Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES



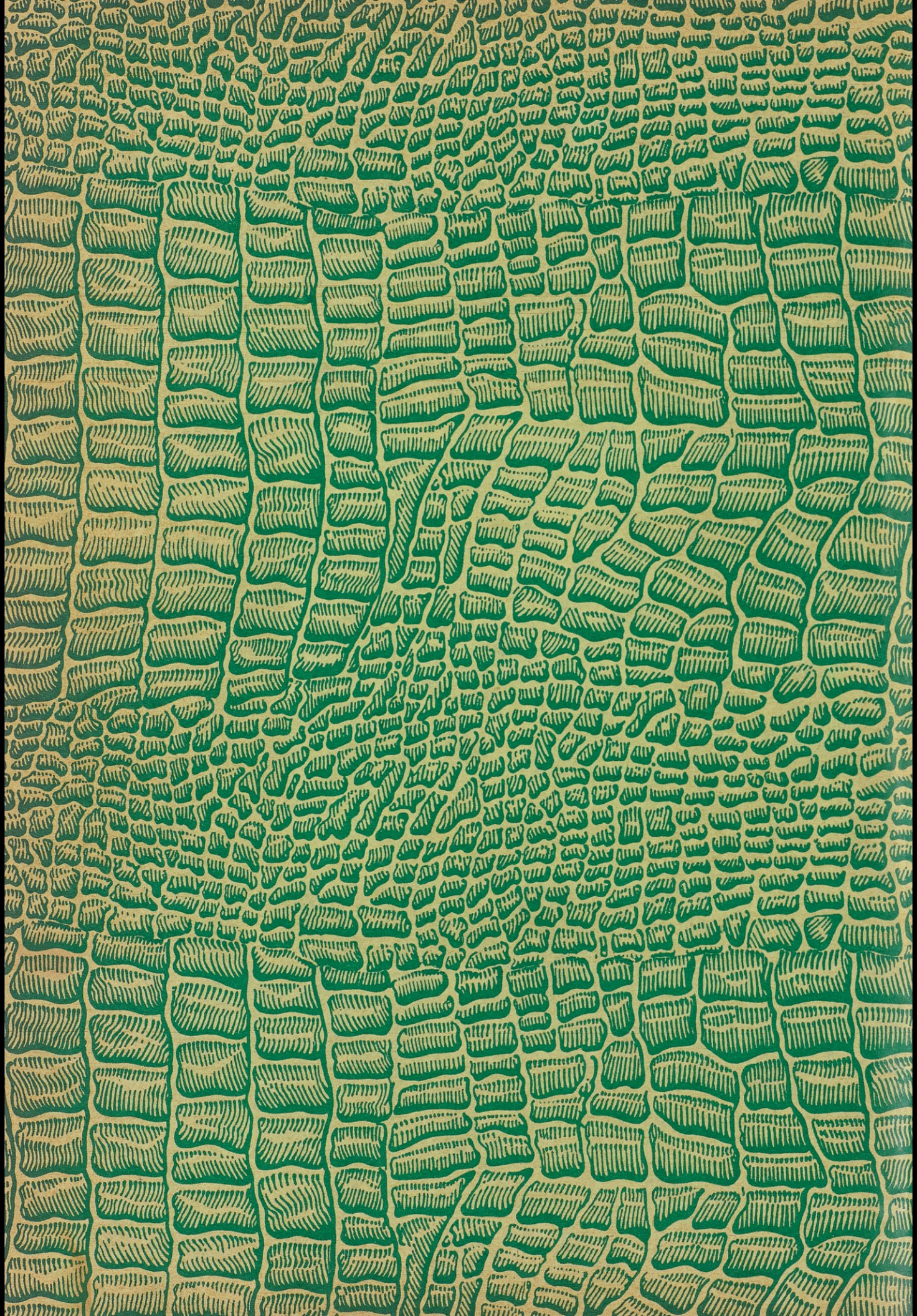

تفسير الخازن

وبهامشه البغوي

المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل تأليف الأمام العلامة قدوة الأمة وعلم الأئمة ناصر الشريعة ومحيي السنة علاء الدين على بن محمد بن ابراهيم البغدادى الصوفى المعروف بالخازن فرغ من تأليفه يوم الاربعاء العاشر من رمضان سنة ٧٢٥ هجرية تغمده الله برحمته آمين

﴿ وقد حلي هامش هذا الكتاب بالتفسير المسمى بمعالم التنزيل ﴾
﴿ تأليف الأمام الجليل محيي السنة أبي محمد الحسين الفراء البغوى ﴾
﴿ عليه سحائب الرحمة والرضوان ﴾

﴿ قال فى كشف الظنون ﴾

(معالم التنزيل فى التفسير) للأمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى الشافعى المتوفى سنة ٥١٦ نقل فيه بالاسناد عن مفسرى الصحابة والتابعين ومن بعدهم

الجزء الرابع

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد على بمصر
لصاحبها مصطفى محمد

893.7K84
DA7
v.4

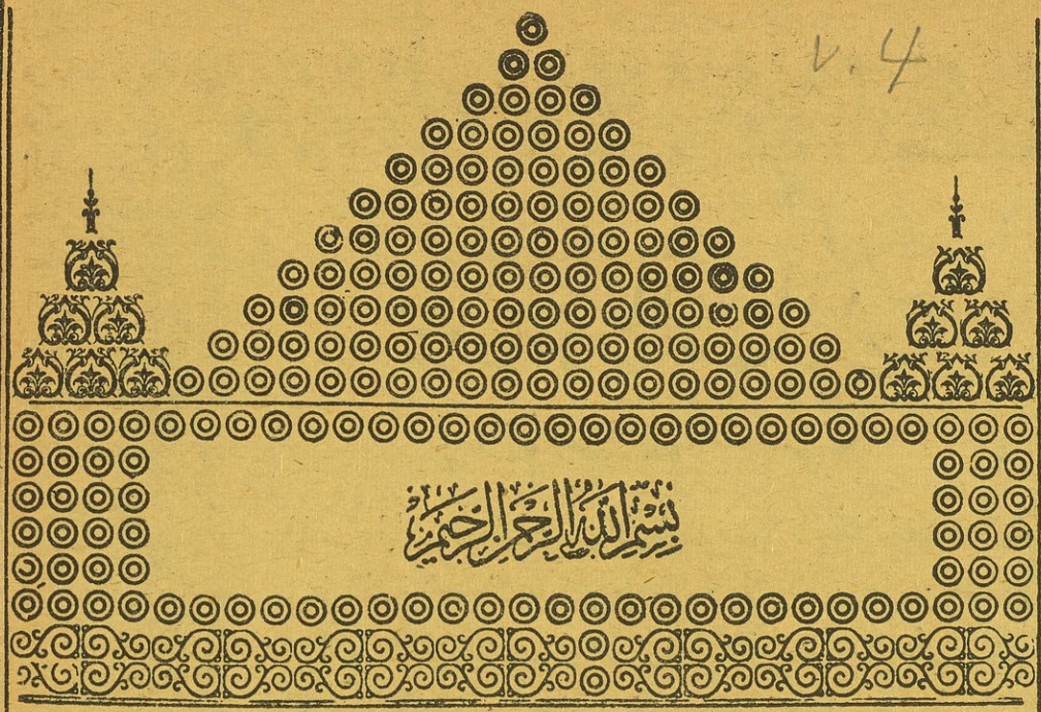

﴿ تفسير سورة الرعد ﴾

قال ابن الجوزى اختلفوا فى نزولها على قولين أحدهما انها مكية رواه أبو طلحة عن ابن عباس وبه قال الحسن وسعيد بن جبير وعطاء وقتادة وروى أبو صالح عن ابن عباس مكية إلا آيتين احداهما قوله ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة والاخرى قوله ويقول الذين كفروا لست مرسلا والقول الثانى انها مدنية رواه عطاء الخرسانى عن ابن عباس وبه قال جابر بن زيد وروى عن ابن عباس انها مدنية إلا آيتين نزلتا بمكة وهما قوله ولو أن قرآنا سيرت به الجبال إلى اخر الآيتين وقال بعضهم المدنى منها قوله هو الذى يريكم البرق إلى قوله دعوة الحق وهى ثلاث وقيل خمس وأربعون آية وثمانية وخمس وخمسون كلمة وثلاث آلاف وخمسمائة وستة احرف

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (المر) قال ابن عباس رضى الله عنهما معناه أنا الله أعلم وأرى وروى عطاء عنه أنه قال ان معناه انا الله الملك الرحمن (تلك آيات الكتاب) الاشارة بتلك الى آيات السورة والمسماة بالمر والمراد بالكتاب السورة أى ايات السورة الكاملة العجيبة فى بابها ثم قال تعالى (والذى أنزل اليك من ربك الحق) يعنى من القرآن كله هو الحق الذى لا هزيد عليه وقيل المراد بالاشارة فى قوله تلك الاخبار والقصص أى الاخبار والقصص التى قصصتها عليك يا محمد هى آيات التوراة والانجيل والكتب الالهية القديمة المنزلة والذى أنزل اليك يعنى وهذا القرآن الذى أنزل اليك يا محمد من ربك الحق أى وهو الحق فاعتصم به وقال ابن عباس وقتادة أراد بآيات الكتاب القرآن والمعنى هذه آيات الكتاب الذى هو القرآن ثم قال والذى أنزل اليك من ربك الحق يعنى وهذا القرآن الذى أنزل اليك من ربك هو الحق الذى لاشك فيه ولا تناقض (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) يعنى مشركى مكة نزلت هذه الآية فى الرد عليهم حين قالوا ان محمدا يقوله من تلقاء نفسه ثم ذكر من دلائل ربوبيته وعجائب قدرته مايدل على وحدانيته فقال تعالى (الله الذى رفع السموات بغير عمد) جمع عمود وهى الاساطين والدعائم التى تكون تحت السقف وفى قوله (ترونها) قولان أحدهما ان الرؤية ترجع

﴿ سورة الرعد ﴾ مكية إلا قوله ولا يزال الذين كفروا أو قوله ويقول الذين كفروا لست مرسلا وهى ثلاث وأربعون آية (بسم الله الرحمن الرحيم) (المر) قال ابن عباس معناه انا الله اعلم وارى (تلك آيات الكتاب) يعنى تلك الاخبار التى قصصتها عليك آيات التوراة والانجيل والكتب المتقدمة (والذى انزل اليك) يعنى وهذا القرآن الذى انزل اليك (من ربك الحق) اى هو الحق فاعتصم به فيكون محل الذى رفعا على الابتداء والحق خبره وقيل محله خفض يعنى تلك آيات الكتاب وايات الذى انزل اليك ثم ابتدأ الحق يعنى ذلك الحق وقال ابن عباس اراد بالكتاب القران ومعناه هذه ايات الكتاب يعنى القران ثم قال وهذا القران الذى انزل اليك ربك هو الحق (ولكن اكثر الناس لا يؤمنون) قال مقاتل نزلت فى مشركى مكة حين قالوا ان محمدا يقول من تلقاء نفسه فرد قولهم ثم بين دلائل ربوبيته فقال عز من قائل (الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها) يعنى السوارى واحدها عمود مثل اديم وادم وعمد ايضا جمعه مثل رسول ورسل ومعناه نفى العمد أصلا وهو الاصح يعنى ليس من دونها دعامة تدعمها ولا فوقها علاقة تمسكها قال اياس بن معاوية السماء مقببة على الارض مثل القبة

إلى السماء يعني وأنتم ترون السموات مرفوعة بغير عمد من تحتها يعني ليس من دونهما دعامة تدعمها ولا من فوقها علاقة تمسكها والمراد نفي العمد بالكلية قال ابن معاوية السماء مقببة على الارض مثل القبة وهذا قول الحسن وقتادة وجمهور المفسرين وإحدى الروايتين عن ابن عباس والقول الثاني ان الرؤية ترجع إلى العمد والمعنى ان لها عمدا ولكن لا ترونها انتم ومن قال بهذا القول يقول ان عمدها على جبل قاف وهو جبل من زمرد محيط بالدنيا والسماء عليه مثل القبة وهذا قول مجاهد وعكرمة والرواية الاخرى عن ابن عباس والقول الاول اصح * وقوله تعالى (ثم استوى على العرش) تقدم تفسيره والكلام عليه في سورة الاعراف بما فيه كفاية (وسخر الشمس والقمر) يعني ذللهما لمنافع خلقه فهما مقهوران يجريان على ما يريد (كل يجري لاجل مسمى) يعني إلى وقت معلوم وهو وقت فناء الدنيا وزوالها وقال ابن عباس اراد بالاجل المسمى درجاتهما ومنازلهما يعني انهما يجريان في منازلهما ودرجاتهما إلى غاية ينتهيان اليها ولا يجاوزانها وتحقيقه ان الله تعالى جعل لكل واحد من الشمس والقمر سيرا خاصا إلى جهة خاصة بمقدار خاص من السرعة والبطء في الحركة (يدبر الامر) يعني انه تعالى يدبر امر العالم العلوي والسفلي ويصرفه ويقضيه بمشيئته وحكمته على اكمل الاحوال لا يشغله شان عن شان وقيل يدبر الامر بالايجاد والاعدام والاحياء والاماتة ففيه دليل على كمال القدرة والرحمة لان جميع العالم محتاجون إلى تدبيره ورحمته داخلون تحت قهره وقضائه وقدرته (يفصل الايات) يعني انه تعالى يبين الايات الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وقيل ان الدلائل الدالة على وجود الصانع قسمان الاول الموجودات المشاهدة وهي خلق السموات والارض وما فيهما من العجائب واحوال الشمس والقمر وسائر النجوم وهذا قد تقدم ذكره والقسم الثاني الموجودات الحادثة في العالم وهي الموت بعد الحياة والفقر بعد الغنى والضعف بعد القوة إلى غير ذلك من احوال هذا العالم وكل ذلك مما يدل على وجود الصانع وكمال قدرته (لعلكم بلقاء ربكم توقنون) يعني انه تعالى يبين الايات الدالة على وحدانيته وكمال قدرته لكي توقنوا وتصدقوا بلقائه والمصير إليه بعد الموت لان من قدر على إيجاد الانسان بعد عدمه قادر على إيجاده واحيائه بعد موته واليقين صفة من صفات العلم وهو فوق المعرفة والدراية وهو سكون الفهم مع ثبات الحكم وزوال الشك يقال منه استيقن وايقن بمعنى علم * قوله تعالى (وهو الذي مد الارض) لما ذكر الدلالة على وحدانيته وكمال قدرته وهي رفع السموات بغير عمد وذكر احوال الشمس والقمر اردفها بذكر الدلائل الارضية فقال وهو الذي مد الارض اي بسطها على وجه الماء وقيل كانت الارض مجتمعة فمدها من تحت البيت الحرام وهذا القول إنما يصح إذا قيل ان الارض منسطحة كالالف وعند اصحاب الهيئة الارض كرة ويمكن ان يقال ان الكرة إذا كانت كبيرة عظيمة فكل قطعة منها تشاهد ممدودة كالسطح الكبير العظيم فحصل الجمع ومع ذلك فالله تعالى قد اخبر انه مد الارض وانه دحاها وبسطها وكل ذلك يدل على التسطيح والله تعالى اصدق قيلا وابين دليلا من اصحاب الهيئة (وجعل فيها) يعني في الارض (رواسي) يعني جبالا ثابتة يقال رسا الشيء يرسو إذا ثبت وارساه غيره اثبته قال ابن عباس كان ابو قبيس اول جبل وضع على الارض (وانهارا) يعني وجعل في الارض انهارا جارية لمنافع الخلق (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) يعني صنفين اثنين احمر واصفر وحلوا وحامضا (يغشى الليل والنهار) يعني يلبس النهار ظلمة الليل ويلبس الليل ضوء النهار (إن في ذلك) يعني الذي تقدم ذكره من عجائب صنعته وغرائب قدرته الدالة على وحدانيته (لايات) اي دلالات (لقوم يتفكرون) يعني فيستدلون بالصنعة على الصانع وبالسبب على المسبب والفكر هو تصرف القلب في طلب الاشياء وقال صاحب المفردات الفكر قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم والتفكر جريان تلك القوة بحسب نظر العقل وذلك للانسان دون الحيوان ولا يقال إلا فيما يمكن ان يحصل له صورة في القلب ولهذا روي تفكروا في الاء الله ولا تفكروا في الله إذ كان الله منزها ان يوصف بصورة وقال بعض الادباء الفكر مقلوب عن الفرك لانه يستعمل في طلب المعاني وهو فرك الامور وبحثها طلبا للوصول إلى حقيقتها * قوله عز وجل (وفي الارض قطع متجاورات) يعني متقاربات

وقيل ترونها راجعة إلى العمد معناه لها عمد ولكن لا ترونها وزعم ان عمدها جبل قاف وهو محيط بالدنيا والسماء عليه مثل القبة (ثم استوى على العرش) علا عليه (وسخر الشمس والقمر) ذللهما لمنافع خلقه فهما مقهوران (كل يجري) أي يجريان على ما يريد الله عز وجل (لاجل مسمى) اى إلى وقت معلوم وهو فناء الدنيا وقال ابن عباس اراد بالاجل المسمى درجاتهما ومنازلهما ينتهيان اليها ولا يجاوزانها (يدبر الامر) يقضيه وحده (يفصل الايات) يبين الدلالات (لعلكم بلقاء ربكم توقنون) لكي توقنوا بوعده وتصدقوه (وهو الذي مد الارض) بسطها (وجعل فيها رواسي) جبالا ثابتة واحدتها راسية قال ابن عباس كان ابو قبيس اول جبل وضع على الارض (وانهارا) اى وجعل فيها انهارا (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) اى صنفين اثنين احمر واصفر وحلوا وحامضا (يغشى الليل النهار) اى يلبس النهار بظلمة الليل ويلبس الليل بضوء النهار (إن في ذلك لايات لقوم يتفكرون) فيستدلون والتفكر تصرف القلب في طلب معاني الاشياء (وفي الارض

قطع متجاورات) متقاربات يقرب بعضها من بعض وهي مختلفة هذه طيبة تنبت وهذه سبخة لا تنبت وهذه قليلة الريع وهذه كثيرة الريع

(وجنات) أى بساتين (من أعناب وزرع ونخيل صنوان) رفعها كلها ابن كثير وابو عمرو وحفص ويعقوب عطفا على الجنات وجرها الاخرون نسقا على الاعناب والصنوان جمع صنو وهو النخلات يجمعهن اصل واحد (وغير صنوان) هى النخلة المنفردة باصلها وقال اهل التفسير صنوان مجتمع وغير صنوان متفرق نظيره من الكلام قنوان جمع قنو ومنه قول النبى ﷺ فى العباس ان عم الرجل صنو أبيه ولا فرق فى الصنوان والصنوان بين التثنية والجمع إلا فى الاعراب وذلك ان النون فى التثنية مكسورة غير منونة وفى الجمع منونة (يسقى بماء واحد) قرا ابن عامر وعاصم ويعقوب يسقى بالياء أى يسقى ذلك كله بماء واحد وقرأ الآخرون بالتاء لقوله تعالى وجنات ولقوله تعالى من بعد ونفضل بعضها على بعض ولم يقل بعضه (٤) والماء جسم رقيق مائع به حياة كل نام (ونفضل بعضها على بعض فى الاكل) فى الثمر والطعم قرأ حمزة والكسائى ويفضل بالياء لقوله تعالى يدبر الامر يفصل الايات وقرا الاخرون بالنون على معنى ونحن نفصل بعضها على بعض فى الاكل وجاء فى الحديث ونفضل بعضها على بعض فى الاكل قال الفارسى كجيد التمر والدقل والحلو والحامض قال مجاهد كمثل بنى ادم صالحهم وخبيثهم وابوهم واحد قال الحسن هذا مثل ضربه الله لقلوب بنى ادم كانت الأرض طينة واحدة فى يد الرحمن عزوجل فسطحها فصارت قطعا متجاورة فينزل عليها المطر من السماء فتخرج هذه زهرتها وشجرها وثمرها ونباتها وتخرج هذه سبخها وملحها وخبيثها وكل يسقى بماء واحد كذلك الناس خلقوا من ادم عليه السلام فينزل من السماء تذكرة فترق قلوب فتخشع وتقسو قلوب فتلهو قال الحسن والله ما جالس القرآن أحد إلا قام من عنده بزيادة أو نقصان قال الله تعالى بعد ونترل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا (إن فى ذلك) الذى ذكرت (لايات لقوم يعقلون وإن تعجب فعجب قولهم) العجب تغير النفس برؤية المستبعد فى العادة والخطاب لرسول الله ﷺ ومعناه إنك إن تعجب من انكارهم النشاة الاخرة مع إقرارهم بابتداء الخلق فعجب امرهم وكان المشركون ينكرون البعث مع إقرارهم بابتداء الخلق من الله تعالى وقد تقرر فى القلوب ان الاعادة اهون من الابتدا. فهذا موضع العجب وقيل معناه وإن تعجب من تكذيب المشركين واتخاذهم مالا يضر ولا ينفع آلهة يعبدونها وهم قد رأوا من قدرة الله تعالى ما ضرب لهم به الامثال فعجب قولهم أى فتعجب أيضا من قولهم (أئذا كنا ترابا) بعد الموت (أئنا لفى خلق جديد) اى نعاد خلقا جديدا كما كنا قبل الموت قرا نافع والكسائى ويعقوب ائذا مستفهما انا بتركه على الخبر ضده ابو جعفر وابن عامر وكذلك فى سبحان فى موضعين والمؤمنون والم السجدة وقرأ الباقون بالاستفهام فيهما وفى الصافات فى موضعين

بعضها من بعض وهى مختلفة فى الطبائع فهذه طيبة تنبت وهذه سبخة لا تنبت وهذه قليلة الريع وهذه كثيرة الريع (وجنات) يعنى بساتين والجنة كل بستان ذى شجر ومن نخيل واعناب وغير ذلك سمى جنة لانه يستر باشجاره الارض واليه الاشارة بقوله (من اعناب وزرع ونخيل صنوان) جمع صنو وهى النخلات يجتمعن من اصل واحد ومنه قوله ﷺ فى عمه العباس عم الرجل صنو ابيه يعنى انهما من اصل واحد (وغير صنوان) هى النخلة المنفردة باصلها فالصنوان المجتمع وغير الصنوان المتفرق (يسقى بماء واحد) يعنى اشجار الجنات وزروعها والماء جسم رقيق مائع به حياة كل نام وقيل فى حده جوهر سيال به قوام الارواح (ونفضل بعضها على بعض فى الاكل) يعنى فى الطعم ما بين الحلو والحامض والعفص وغير ذلك من الطعام عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ فى قوله تعالى ونفضل بعضها على بعض فى الاكل قال الدقل والنرسيان والحلو والحامض اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب قال مجاهد هذا كمثل بنى ادم صالحهم وخبيثهم وابوهم واحد وقال الحسن هذا مثل ضربه الله لقلوب بنى ادم كانت الارض طينة واحدة فى يد الرحمن فسطحها فصارت قطعا متجاورات وانزل على وجهها ماء السماء فتخرج هذه زهرتها وثمرتها وشجرها وتخرج هذه نباتها وتخرج هذه سبخها وملحها وخبيثها وكل يسقى بماء واحد فلو كان الماء قليلا قيل إنما هذا من قبل الماء كذلك الناس خلقوا من آدم فينزل عليهم من السماء تذكرة فترق قلوب قوم فتخشع وتخضع وتقسو قلوب قوم فتلهو ولا تسمع وقال الحسن والله ما جالس القران احد إلا قام من عنده بزيادة او نقصان قال الله تعالى ونزل من القران ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا * وقوله تعالى (إن فى ذلك) يعنى الذى ذكر (لايات لقوم يعقلون) يعنى فيتدبرون ويتفكرون فى الايات الدالة على وحدانيته * قوله تعالى (وإن تعجب فعجب قولهم) العجب تبعيد النفس رؤية المستبعد فى العادة وقيل العجب حالة تعرض للانسان عند الجهل بسبب ولهذا قال بعض الحكماء العجب ما لا يعرف سببه ولهذا قيل العجب فى حق الله محال لانه تعالى علام الغيوب لا تخفى عليه خافية والخطاب فى الاية للنبى ﷺ ومعناه وإنك يا محمد إن تعجب من تكذيبهم إياك بعد ان كنت عندهم تعرف بالصادق الامين فعجب امرهم وقيل معناه وان تعجب من اتخاذ المشركين مالا يضرهم ولا ينفعهم الهة يعبدونها مع اقرارهم بان الله تعالى خالق السموات والارض وهو يضر وينفع وقد راوا من قدرة الله وما ضرب لهم به الامثال ما رأوا فعجب قولهم وقيل وان تعجب من انكارهم النشاة الاخرة والبعث بعد الموت مع اقرارهم بان ابتداء الخلق من الله فعجب قولهم وذلك ان المشركين كانوا ينكرون البعث بعد الموت مع اقرارهم بان ابتداء الخلق من الله وقد تقرر فى النفوس ان الاعادة اهون من الابتداء فهذا موضع التعجب وهو قولهم (ائذا كنا ترابا) يعنى بعد الموت (ائنا لفى خلق جديد) يعنى نعاد خلقا جديدا

هكذا إلا أن أبا جعفر يوافق نافعا فى أول الصافات فيقدم الاستفهام ويعقوب لا يستفهم الثانية أئذا متنا إنا لمدينون قال الله تعالى (أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الاغلال فى أعناقهم) يوم القيامة (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) قوله (ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة) الاستعجال طلب تعجيل الامر قبل مجيء وقته والسيئة ههنا هى العقوبة والحسنة العافية وذلك ان مشركى مكة كانوا يطلبون العقوبة بدلا من العافية استهزاء منهم يقولون اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم (وقد خلت من قبلهم المثلات) اى مضت من قبلهم فى الأمم التى عصت ربها وكذبت رسلها العقوبات والمثلات جمع المثلة بفتح وضم التاء مثل صدقة وصدقات و(ان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب ويقول الذين كفروا لولا انزل (٥) عليه) اى على محمد ﷺ (اية من ربه)

بعد الموت كما كنا قبله ثم ان الله تعالى قال فى حقهم (اولئك الذين كفروا بربهم) وفيه دليل على ان كل من انكر البعث بعد الموت فهو كافر بالله تعالى لأن من انكر البعث بعد الموت فقد انكر القدرة وإن الله على كل شىء قدير ومن انكر ذلك فهو كافر (واولئك الأغلال فى اعناقهم) يعنى يوم القيامة والاغلال جمع غل وهو طوق من حديد يجعل فى العنق وقيل أراد بالاغلال ذلهم وانقيادهم يوم القيامة كما يقاد الأسير ذليلا بالغل (واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) يعنى انهم مقيمون فيها لا يخرجون منها ولا يموتون (ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة) الاستعجال طلب تعجيل الامر قبل مجيء وقته والمراد بالسيئة هنا هى العقوبة وبالحسنة العافية وذلك ان مشركى مكة كانوا يطلبون العقوبة بدلا من العافية استهزاء منهم وهو قولهم اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء وإئتنا بعذاب اليم (وقد خلت من قبلهم المثلات) يعنى وقد مضت فى الأمم المكذبة العقوبات بسبب تكذيبهم رسلهم والمثلة بفتح الميم وضم التاء المثلثة نقمة تنزل بالانسان فيجعل مثلا ليرتدع غيره به وذلك كالنكال وجمعه مثلات بفتح الميم وضمها مع ضم الثاء فيهما لغتان (وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) قال ابن عباس معناه انه لذو تجاوز عن المشركين إذا آمنوا (وان ربك لشديد العقاب) يعنى للمصرين على الشرك الذى ماتوا عليه وقال مجاهد انه لذو تجاوز عن شركهم فى تأخير العذاب عنهم وانه لشديد العقاب إذا عاقب قوله تعالى (ويقول الذين كفروا) يعنى من اهل مكة (لولا) اى هلا (انزل عليه) يعنى على محمد ﷺ (اية من ربه) يعنى مثل عصى موسى وناقة صالح ذلك لأنهم لم يقنعوا بما رأوا من الايات التى جاء بها النبى ﷺ (إنما انت منذر) اى ليس عليك يا محمد غير الانذار والتخويف وليس لك من الايات شىء (ولكل قوم هاد) قال ابن عباس الهادى هو الله وهذا قول سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد والضحاك والنخعى والمعنى إنما عليك الانذار يا محمد والهادى هو الله يهدى من يشاء وقال عكرمة فى رواية اخرى عنه وابو الضحى الهادى هو النبى ﷺ والمعنى إنما انت منذر وانت هاد وقال الحسن وقتادة وابن زيد يعنى ولكل قوم نبى يهديهم وقال ابو العالية الهادى هو العمل الصالح وقال ابو صالح الهادى هو القائد الى الخير لا إلى الشر * قوله عز وجل (الله يعلم ما تحمل كل انثى) لما سالوا النبى ﷺ الايات اخبرهم الله عز وجل عن عظيم قدرته وكمال علمه وانه عالم بما تحمل كل انثى يعنى من ذكر او انثى سوى الخلق او ناقص الخلق واحدا او اثنين او اكثر (وما تغيض) يعنى وما تنقص (الارحام وما تزداد) قال اهل التفسير غيض الأرحام الحيض على الحمل فاذا حاضت الحامل كان ذلك نقصانا فى الولد لان دم الحيض هو غذاء الولد فى الرحم فاذا خرج الدم نقص الغذاء فينقص الولد وإذا لم تحض يزداد الولد ويتم فالنقصان نقصان خلقة الولد بخروج الدم والزيادة تمام خلقه باستمساك الدم وقيل إذا حاضت المراة فى وقت حملها ينقص الغذاء وتزداد مدة الحمل حتى تستكمل تسعة اشهر طاهرة فان رات خمسة ايام دما وضعت لتسعة اشهر وخمسة ايام فالنقصان فى الغذاء زيادة فى مدة الحمل وقيل النقصان السقط والزيادة تمام الخلق وقال الحسن غيضها نقصانها من تسعة اشهر والزيادة زيادتها على تسعة اشهر فاقل مدة الحمل ستة اشهر وقد يولد لهذه المدة ويعيش

اى علامة وحجة على نبوته قال الله تعالى (إنما أنت منذر) مخوف (ولكل قوم هاد) اى لكل قوم نبى يدعوهم إلى الله تعالى وقال الكلبى داع يدعوهم إلى الحق او إلى الضلالة وقال عكرمة الهادى محمد ﷺ يقول إنما انت منذر وانت هاد لكل قوم اى داع وقال سعيد بن جبير الهادى هو الله تعالى قوله تعالى (الله يعلم ما تحمل كل انثى) من ذكر او انثى سوى الخلق او ناقص الخلق واحدا او اثنين او اكثر (وما تغيض الأرحام) اى ما تنقص (وما تزداد) قال اهل التفسير غيض الأرحام الحيض على الحمل فاذا حاضت الحامل كان نقصانا فى الولد لأن دم الحيض غذاء الولد فى الرحم فاذا اهرقت الدم ينقص الغذاء فينتقص الولد وإذا لم تحض يزداد الولد ويتم فالنقصان نقصان خلقه الولد بخروج الدم والزيادة تمام خلقته باستمساك الدم وقيل اذا حاضت ينتقص الغذاء وتزداد مدة الحمل حتى تستكمل تسعة اشهر طاهراً فان رات خمسة ايام دماً وضعت لتسعة اشهر وخمسة ايام فالنقصان فى الغذاء والزيادة فى المدة وقال الحسن غيضها نقصانها من تسعة اشهر والزيادة زيادتها على تسعة اشهر وقيل النقصان والسقط والزيادة تمام الخلق واقل مدة الحمل ستة اشهر فقد يولد المولود لهذه المدة ويعيش واختلفوا فى اكثرها فقال قوم اكثرها سنتان وهو قول عائشة رضى الله عنها وبه قال ابو حنيفة رحمه الله وذهب جماعة الى ان اكثرها اربع سنين وإليه ذهب الشافعى رحمه الله قال حماد بن سلمة انما سمى هرم بن حبان هرما لأنه بقى فى بطن امه اربع سنين

(وكل شيء عنده بمقدار) أي بتقدير وحد لا يتجاوزه ولا يقصر عنه (عالم الغيب والشهادة الكبير) الذي كل شيء دونه (المتعال) المستعلي على كل شيء بقدرته قوله تعالى (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به) أي يستوي في علم الله المسر بالقول والجاهر به (ومن هو مستخف بالليل) أي مستتر بظلمة الليل (وسارب بالنهار) أي ذاهب في سربه ظاهر والسرب بفتح السين وسكون الراء الطريق قال القتيبي سارب بالنهار أي متصرف في حوائجه قال ابن عباس (٦) هو صاحب ريبة مستخف بالليل فاذا خرج بالنهار رأى الناس أنه بريء من الاثم وقيل مستخف بالليل اي ظاهر من قولهم خفيت الشيء إذا اظهرته وأخفيته إذا كتمته وسارب بالنهار أي متوار داخل في سرب (له معقبات) أي لله تعالى ملائكة يتعاقبون فيكم بالليل والنهار فاذا صعدت ملائكة الليل جاء في عقبها ملائكة النهار وإذا صعدت ملائكة النهار جاء في عقبها ملائكة الليل والتعقيب العود بعد البدء وإنما ذكر بلفظ التانيث لأن واحدها معقب وجمعه معقبة ثم جمع الجمع معقبات كما قيل أبناوات سعد ورجالات بكر أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن احمد انا ابو اسحق الهاشمي انا ابو مصعب عن مالك عن ابي الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة ان النبي ﷺ قال يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسالهم ربهم وهو اعلم بهم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون واتيناهم وهم يصلون قوله تعالى (من بين يديه ومن خلفه) يعني من قدام هذا المستخفي بالليل والسارب بالنهار ومن خلفه من وراء ظهره (يحفظونه من امر الله) يعني بامر الله اي يحفظونه باذن الله ما لم يجيء القدر فاذا جاء القدر خلوا عنه وقيل يحفظونه من امر الله اي مما امر الله به من الحفظ عنه قال مجاهد ما من عبد إلا وله ملك موكل به يحفظه في نومه ويقظته من الجن والانس والهوام فما منهم شيء ياتيه يريده الا قال وراءك الا شيء يأذن الله

واختلفوا في أكثره فقال قوم أكثر مدة الحمل سنتان وهو قول عائشة وبه قال أبو حنيفة وقيل ان الضحاك ولد لسنتين وقال جماعة أكثرها سبع سنين واليه ذهب الشافعي وقال حماد بن أبي سلمة إنما سمي هرم بن جبان هرما لأنه بقي في بطن امه أربع سنين وعند مالك ان اكثر مدة الحمل خمس سنين (وكل شيء عنده بمقدار) يعني بتقدير وحد لا يجاوزه ولا ينقص منه وقيل انه تعالى يعلم كمية كل شيء وكيفيته على اكمل الوجوه وقيل معناه أنه تعالى خصص كل حادثة من الحوادث بوقت معين وحال معينة وذلك بمشيته الأزلية وإرادته وتقديره الذي لا يقدر عليه غيره (عالم الغيب والشهادة) يعني أنه تعالى يعلم ما غاب عن خلقه وما يشاهدونه وقيل الغيب هو المعدوم والشاهد هو الموجود وقيل الغيب ما غاب عن الحس والشاهد ما حضر في الحس (الكبير) أي العظيم الذي يصغر كل كبير بالاضافة إلى عظمته وكبريائه فهو يعود إلى معنى كبر قدرته وانه تعالى المستحق لصفات الكمال (المتعال) يعني المنزه عن صفات النقص المتعالي عن الخلق وفيه دليل على انه تعالى موصوف بالعلم الكامل والقدرة التامة وتنزيهه عن جميع النقائص قوله تعالى (سواء منكم من اسر القول ومن جهر به) اي مستو منكم من أخفى القول وكتمه ومن أظهره وأعلنه والمعنى انه قد استوى في علم الله تعالى المسر بالقول والجاهر به (ومن هو مستخف بالليل) اي مستتر بظلمته (وسارب بالنهار) اي ذاهب بالنهار في سربه ظاهر والسرب بفتح السين وسكون الراء الطريق وقال القتيبي السارب المتصرف في حوائجه قال ابن عباس في هذه الاية هو صاحب ريبة مستخف بالليل وإذا خرج بالنهار أرى الناس أنه بري من الاثم وقيل مستخف بالليل ظاهر من قولهم خفيت الشيء إذا اظهرته وأخفيته إذا كتمته وسارب بالنهار أي متوار دخل في السرب مستخفيا ومعنى الاية سواء ما أضمرت به القلوب أو نطقت به الألسن وسواء من أقدم على القبائح مستترا في ظلمات الليل او أتى بها ظاهرا في النهار فان علمه تعالى محيط بالكل (له معقبات) يعني لله ملائكة يتعاقبون بالليل والنهار فاذا صعدت ملائكة الليل عقبتها ملائكة النهار والتعقيب العود بعد البدء وإنما ذكره معقبات بلفظ التأنيث وان كان الملائكة ذكورا لأن واحدها معقب وجمعها معقبة ثم جمع المعقبة معقبات كما قيل ابناوات سعد ورجالات بكر (ق) عن ابي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون واتيناهم وهم يصلون وقيل ان مع كل واحد من بني آدم ملكين ملك عن يمينه وهو صاحب الحسنات وملك عن شماله وهو كاتب السيئات وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات فاذا عمل العبد حسنة كتبها بعشرة امثالها وإذا عمل سيئة قال صاحب الشمال لصاحب اليمين اكتبها عليه فيقول انظره لعله يتوب أو يستغفر فيستأذنه ثلاث مرات فان هو تاب منها وإلا قال اكتبها عليه سيئة واحدة وملك موكل بناصية العبد فاذا تواضع العبد لله عز وجل رفعه بها وان تجبر على الله عز وجل وضعه بها وملك موكل بعينيه يحفظها من الاذى، وملك موكل بفيه لا يدعه يدخل فيه شيء من الهوام يؤذيه فهؤلاء خمسة أملاك موكلون بالعبد في ليله وخمسة غيرهم في نهاره فانظر إلى عظمة الله تعالى وقدرته وكمال شفقته عليك ايها العبد المسكين وهو قوله تعالى (من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله) يعني يحفظون العبد من بين يديه ومن وراء ظهره ومعنى من

فيه فيصيبه قال كعب الأحبار لولا أن الله عز وجل وكل بكم ملائكة يذبون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم لتخطفكم الجن وقال عكرمة الاية في الأمر وحرسهم يحفظونهم من بين أيديهم ومن خلفهم وقيل الاية في الملكين القاعدين عن اليمين وعن الشمال يكتبان الحسنات والسيئات كما قال الله تعالى إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد وقال ابن جريج معنى يحفظونه أي يحفظون عليه من أمر الله يعني الحسنات والسيئات وقيل الهاء في وله راجعة إلى رسول الله ﷺ روى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس أنه قال له معقبات يعني لمحمد صلى الله عليه وسلم حراس من الرحمن من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله يعني من شر الجن وطوارق الليل والنهار وقال عبد الرحمن ابن زيد نزلت هذه الايات في عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة وكانت قصتهما على ما روى الكلبي عن أبي صالح ابن عباس رضي الله عنهما قال أقبل عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة وهما عامريان يريدان نبي الله ﷺ وهو جالس في المسجد في نفر من أصحابه فدخلا المسجد فاستشرف الناس لجمال عامر وكان من أجمل الناس فقال رجل يا رسول الله هذا عامر بن الطفيل (٧) قد أقبل نحوك فقال دعه فان يرد الله

أمر الله بأمر الله واذنه مالم يجيء القدر فاذا جاء خلوا عنه وقيل معناه انهم يحفظونه بما امر الله به من الحفظ له قال مجاهد ما من عبد إلا وملك موكل به يحفظه في نومه ويقظته من الجن والانس والهوام فما من شيء يأتيه يؤذيه إلا قال له الملك وراءك إلا شيء يأذن الله فيه فيصيبه وقال كعب الأحبار لولا ان الله تعالى وكل بكم ملائكة يذبون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم لتخطفتكم الجن وقال ابن جريج يعني يحفظونه أي يحفظون عليه الحسنات والسيئات وهذا على قول من يقول أن الاية في الملكين القاعدين عن اليمين وعن الشمال يكتبان الحسنات والسيئات وقال عكرمة الاية في الأمراء وحرسهم يحفظونهم من بين ايديهم ومن خلفهم والضمير في قوله له راجع إلى النبي ﷺ قال ابن عباس في معنى هذه الاية لمحمد ﷺ حراس من الرحمن من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من شر الجن وطوارق الليل والنهار وقال عبد الرحمن بن زيد نزلت هذه الاية في عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة وهما من بني عامر بن زيد وكانت قصتهما على ما رواه الكلبي عن صالح عن ابن عباس قال أقبل عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة وهما من بني عاور بن زيد على نبي الله ﷺ وهو جالس في المسجد في نفر من اصحابه فدخل المسجد فاستشرف الناس لجمال عامر وكان من أجمل الناس وكان أعور فقال يا نبي الله هذا عامر بن الطفيل قد أقبل نحوك فقال دعه فان يرد الله به خيرا يهده فأقبل حتى قام على رسول الله ﷺ وقال يا محمد مالي ان أسلمت قال لك ما للمسلمين وعليك ما على المسلمين قال تجعل الأمر لي بعدك قال ليس ذلك لي إنما ذلك إلى الله تعالى يجعله حيث يشاء قال فتجعلني على الوبر وانت على المدر قال لا قال فما تجعل لي قال اجعل لك اعنة الخيل تغزو عليها قال أوليس ذلك لي اليوم قم معي اكلمك فقام رسول الله ﷺ وكان عامر قد أوصى إلى أربد بن ربيعة إذا رأيتني اكلمه فدر من خلفه فأضربه بالسيف فجعل عامر يخاصم رسول الله ﷺ ويراجعه ودار اربد من خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضربه فاخترط شبرا من سيفه ثم حبسه الله تعالى عليه فلم يقدر على سله وجعل عامر يومئ اليه فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى أربد وما صنع بسيفه فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فأرسل الله على أربد صاعقة في يوم صحو قائظ فأحرقته وولى عامر هاربا وقال يا محمد دعوت ربك فقتل أربد والله لاملأنها عليك خيلا جردا وشبابا مردا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يمنعني الله من ذلك وابنا قيلة يريد الأوس والخزرج فنزل عامر بيت امرأة سلولية فلما

به خيرا يهده فاقبل حتى قام عليه فقال يا محمد مالي إن اسلمت قال لك ما للمسلمين وعليك ما على المسلمين قال تجعل لي الأمر بعدك قال ليس ذلك الي إنما ذلك إلى الله عز وجل يجعله حيث يشاء قال فتجعلني على الوبر وانت على المدر قال لا قال فاذا تجعل لي قال اجعل لك أعنة الخيل تغزو عليها قال أوليس ذلك لي اليوم قم معي اكلمك فقام معه رسول الله ﷺ وكان عامر أوصى إلى اربد ابن ربيعة إذا رأيتني اكلمه فدار من خلفه فاضربه بالسيف فجعل يخاصم رسول الله ﷺ ويراجعه فدار اربد خلف النبي ﷺ ليضربه بالسيف فاخترط من سيفه شبرا ثم حبسه الله عنه فلم يقدر على سله وجعل عامر يومئ اليه فالتفت رسول الله ﷺ فرأى اربد وما صنع بسيفه فقال

اللهم اكفنيهما بما شئت فأرسل الله على أربد صاعقة في يوم صحو قائظ فأحرقته وولى عامر هاربا وقال يا محمد دعوت ربك فقتل أربد والله لاملأنها عليك خيلا جردا وفتيانا مردا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يمنعك الله تعالى من ذلك وابنا قيلة يريد الأوس والخزرج فنزل عامر بيت امرأة سلولية فلما أصبح ضم عليه سلاحه وقد تغير لونه فجعل يركض في الصحراء ويقول ابرز يا ملك الموت ويقول الشعر ويقول واللات لئن ابصرت محمدا وصاحبه يعني ملك الموت لانفذتهما برمحي فأرسل الله ملكا فلطمه بجناحه فاراده في التراب وخرجت على ركبتيه في الوقت غدة عظيمة فعاد إلى بيت السلولية وهو يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية ثم دعا بفرسه فركبه ثم اجراه حتى مات على ظهره فأجاب الله دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل عامرا بالطعن وأربد بالصاعقة وانزل الله عز وجل في هذه القصة قوله سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار له معقبات من بين يديه يعني لرسول الله صلى الله عليه وسلم معقبات يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من أمر الله يعني تلك المعقبات من امر الله وفيه

تقديم وتأخير وقال لهذين (إن الله لا يغير ما بقوم) من العافية والنعمة (حتى يغيروا ما بأنفسهم) من الحال الجميلة فيعصوا ربهم (وإذا أراد الله بقوم سوء) أي عذابا وهلاكا (فلا مرد له) أي لا رد له (وما لهم من دونه من وال) أي ملجأ يلجئون اليه وقيل وال يلي أمرهم ويمنع العذاب عنهم قوله (هو الذي يريكم البرق خوفا (٨) وطمعا) قيل خوفا من الصاعقة وطمعا في نفع المطر وقيل الخوف للمسافر يخاف منه الأذى أو المشقة والطمع للمقيم يرجوا منه البركة والمنفعة وقيل الخوف من المطر في غير مكانه وأبانه والطمع إذا كان في مكانه وابانه ومن البلدان ما اذا مطروا اقحطوا واذا لم يمطروا اخصبوا (وينشىء السحاب الثقال) بالمطر يقال انشأ الله السحابة فنشأت أي ابداها فبدت والسحب جمع واحدتها سحابة قال علي رضي الله عنه السحاب غربال الماء (ويسبح الرعد بحمده) اكثر المفسرين على ان الرعد اسم ملك يسوق السحاب والصوت المسموع منه تسبيحه قال ابن عباس من سمع صوت الرعد فقال سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير فان اصابته صاعقة فعلى ديته وعن عبد الله بن الزبير أنه كان إذا سمع صوت الرعد ترك الحديث وقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويقول ان هذا الوعيد لأهل الأرض شديد وفي بعض الأخبار يقول الله تعالى لو أن عبادي أطاعوني لسقيتهم المطر بالليل وأطلعت عليهم الشمس بالنهار ولم أسمعهم صوت الرعد وقال جويبر عن الضحاك عن ابن عباس الرعد ملك موكل بالسحاب خيفته يصرفه إلى حيث يؤمر وأن بحور الماء في نقرة إبهامه وأنه يسبح الله تعالى فاذا سبح لا يبقى ملك في السماء الا رفع صوته بالتسبيح فعندها ينزل المطر (والملائكة من خيفته) أي تسبح الملائكة من خيفة الله عز وجل وخشيته وقيل أراد بهؤلاء الملائكة أعوان الرعد

أصبح ضم اليه سلاحه فخرج له خراج في أصل أذنه آخذه منه مثل النار فاشتد عليه فقال غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية ثم ركب فرسه وجعل يركض في الصحراء ويقول اذن يا ملك الموت وجعل يقول الشعر ويقول ان أبصرت محمدا وصاحبه يعني ملك الموت لا نقذتهما برمحي فارسل الله اليه ملكا فلطمه فارداه في التراب ثم عاد فركب جواده حتى مات على ظهره وأجاب الله عز وجل دعاء رسول الله ﷺ في عامر بن الطفيل فمات بالطعن وأربد بن ربيعة مات بالصاعقة وانزل الله عز وجل في شأن هذه القصة سواء منكم من اسر القول ومن جهر به إلى قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يعني رسول الله ﷺ معقبات يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من امر الله اي بأمر الله وقيل ان تلك المعقبات من امر الله وفيه تقديم وتأخير تقديره له معقبات من امر الله يحفظونه من بين يديه ومن خلفه وقوله (إن الله لا يغير ما بقوم) خطاب لهذين عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة يعني لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة التي انعم بها عليهم (حتى يغيروا ما بأنفسهم) يعني من الحالة الجميلة فيعصون ربهم ويجحدون نعمه عليهم فعند ذلك تحل نقمته بهم وهو قوله تعالى (وإذا أراد الله بقوم سوء) يعني هلاكا وعذابا (فلا مرد له) لا يقدر أحد ان يرد ما انزل الله بهم من قضائه وقدره (وما لهم من دونه من وال) يعني وليس لهم من دون الله من وال يلي امرهم ونصرهم ويمنع العذاب عنهم قوله عز وجل (هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا) لما خوف الله عز وجل عباده بقوله وإذا أراد الله بقوم سوء ذكر في هذه الاية من عظيم قدرته ما يشبه النعم من وجه ويشبه العذاب من وجه فقال تعالى هو الذي يعني هو الذي يريكم البرق والبرق معروف وهو لمعان يظهر من خلال السحاب وفي كونه خوفا وطمعا وجوه الأول ان عند لمعان البرق يخاف من الصواعق ويطمع في نزول المطر الثاني انه يخاف من البرق من يتضرر بالمطر كالمسافر ومن في جرينه يعني ببدره التمر والزبيب والقمح ونحو ذلك ويطمع فيه من له في نزول المطر نفع كالزراع ونحوه الثالث ان المطر يخاف منه إذا كان في غير مكانه وزمانه ويطمع فيه إذا كان في مكانه وزمانه فان من البلاد ما اذا امطرت قحطت وإذا لم تمطر اخصبت (وينشىء السحاب الثقال) يعني بالمطر يقال انشأ الله السحابة فنشأت اي ابداها فبدت والسحاب جمع سحابة والسحاب غربال الماء قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقيل السحاب الغيم في ماء اولم يكن فيه ماء ولهذا قيل سحاب جهام وهو الخالي من الماء وأصل السحب الجر وسمي السحاب سحابا اما لجر الريح له او لجره الماء أو لانجراره في سيره (ويسبح الرعد بحمده) اكثر المفسرين على ان الرعد اسم للملك الذي يسوق السحاب والصوت المسموع منه تسبيحه واورد على هذا القول ما عطف عليه وهو قوله (والملائكة من خيفته) وإذا كان المعطوف مغايرا للمعطوف عليه وجب ان يكون غيره وأجيب عنه انه لا يبعد ان يكون الرعد إسما للملك من الملائكة وإنما افرده بالذكر تشريفا له على غيره من الملائكة فهو كقوله وملائكته وجبريل وميكال قال ابن عباس أقبلت يهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا أخبرنا عن الرعد ما هو قال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوقه بها حيث يشاء الله قالوا فما هذا الصوت الذي يسمع قال زجره السحاب حتى تنتهي حيث امرت قالوا صدقت أخرجه الترمذي مع زيادة فيه المخاريق جمع مخراق وهو في الأصل ثوب يلبس ويضرب به الصبيان بعضهم بعضا وأراد به هنا الة تزجر بها الملائكة السحاب وقد جاء تفسيره في حديث آخر وهو صوت (١) من نور تزجر الملائكة به السحاب قال ابن عباس من سمع صوت الرعد فقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من

(١) قوله صوت لعله سوط كما يقتضيه السياق اه مصححه

جعل الله تعالى له أعوانا فهم خائفون خاضعون طائعون قوله تعالى (ويرسل الصواعق) جمع صاعقة وهى العذاب المهلك ينزل من البرق فيحرق من يصيبه (فيصيب بها من يشاء) كما أصاب اربد بن ربيعة قال محمد بن على الباقر الصاعقة (٩) تصيب المسلم وغير المسلم ولا تصيب الذاكر (وهم يجادلون) يخاصمون (فى الله) نزلت فى شأن اربد بن ربيعة حيث قال للنبى ﷺ مم ربك امن درام من ياقوت ام من ذهب فنزلت صاعقة من السماء فاحرقته وسئل الحسن عن قوله عز وجل ويرسل الصواعق الآية قال كان رجل من طواغيت العرب بعث اليه النبى ﷺ نفرا يدعونه إلى الله ورسوله فقال لهم اخبرونى عن رب محمد هذا الذى تدعونى اليه مم هو من ذهب أو فضة أو حديد او نحاس فاستعظم القوم مقالته فانصرفوا إلى النبى ﷺ فقالوا يارسول الله ما رأينا رجلا اكفر قلبا ولا اعتى على الله منه فقال ارجوا اليه فرجعوا اليه فجعل لا يزيدهم على مثل مقالته الأولى وقال اجيب محمداً إلى رب لا اراه ولا أعرفه فانصرفوا وقالوا يارسول الله مازادنا على مقالته الأولى وأخبث فقال ارجعوا اليه فرجعوا اليه فبينما هم جلوس عنده ينازعونه ويدعونه وهو يقول هذه المقالة اذا ارتفعت سحابة فكانت فوق رؤسهم فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة فاحترق الكافر وهم جلوس فجاءوا

خيفته وهو على كل شىء قدير فان أصابه صاعقة فعلى دينه وكان عبد الله بن الزبير إذا سمع الرعد ترك الحديث وقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وكان يقول ان الوعيد لأهل الأرض شديد وفى بعض الأخبار ان الله تعالى يقول لو ان عبادى اطاعونى لسيقتهم المطر بالليل واطلعت عليهم الشمس بالنهار ولم اسمعهم صوت الرعد وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس أنه قال الرعد ملك موكل بالسحاب يصرفه إلى حيث يؤمر وأن بحور الماء فى نقرة ابهامه وأنه يسبح الله فاذا سبح لا يبقى ملك فى السماء إلا رفع صوته بالتسبيح فعندها ينزل المطر وقيل إن الرعد اسم لصوت الملك الموكل بالسحاب ومع ذلك فان صوت الرعد يسبح الله عز وجل لأن التسبيح والتقديس عبارة عن تنزيه الله عز وجل عن جميع النقائص ووجود هذا الصوت المسموع من الرعد وحدوثه دليل على وجود موجود خالد قادر متعال عن جميع النقائص وإن لم يكن ذلك فى الحقيقة تسبيحا ومنه قوله وإن من شىء إلا يسبح بحمده وقيل المراد من تسبيح الرعد أن سمعه سبح لله فلهذا المعنى أضيف اليه وقوله والملائكة من خيفته يعنى ويسبح الملائكة من خيفة الله عز وجل وهيبته وخشيته وقيل المراد بهذه الملائكة أعوان السحاب جعل الله عز وجل مع الملك الموكل بالسحاب أعوانا من الملائكة وهم خائفون خاضعون طائعون وقيل المراد بهم جميع الملائكة وحمله على العموم أولى (ويرسل الصواعق) جمع صاعقة وهى للعذاب النازل من البرق فيحترق من تصيبه وقيل هى الصوت الشديد النازل من الجو ثم يكون فيه نار او عذاب أو موت وهى فى ذاتها شىء واحد وهذه الأشياء الثلاثة تنشأ منها (فيصيب بها) يعنى بالصواعق (من يشاء) يعنى فيهلك بها كما أصاب اربد بن ربيعة قال محمد الباقر الصاعقة تصيب المسلم وغير المسلم ولا تصيب الذاكر (وهم يجادلون فى الله) يعنى يخاصمون فى الله وقيل المجادلة المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة وأصله من جدلت الحبل إذا احكمت فتله نزلت فى شأن اربد بن ربيعة حين قال للنبى ﷺ مم ربك امن درام من ياقوت ام من ذهب فنزلت عاصفة من السماء فاحرقته وسئل الحسن عن قوله ويرسل الصواعق الآية فقال كان رجل من طواغيت العرب بعث اليه النبى ﷺ نفراً من اصحابه يدعونه إلى الله وإلى رسوله فقال لهم اخبرونى عن رب محمد هذا الذى تدعونى اليه هل هو من ذهب او فضة او حديد او نحاس فاستعظم القوم كلامه فانصرفوا إلى النبى ﷺ فقالوا يارسول الله ما رأينا رجلا اكفر قلبا ولا اعتى على الله منه فقال ارجعوا اليه فرجعوا فلم يزدهم على مقالته الأولى شيئا بل قال أأجيب محمداً إلى رب لا أراه ولا أعرفه فانصرفوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا يارسول الله مازادنا على مقالته الأولى شيئا بل قال أخبث فقال ارجعوا اليه فرجعوا اليه فبينما هم عنده يدعونه وينازعونه وهو لا يزيدهم على مقالته شيئا إذ ارتفعت سحابة فكانت فوق رؤسهم فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة فاحرقت الكافر وهم جلوس عنده فرجعوا ليخبروا النبى ﷺ فلما رجعوا استقبلهم نفر من أصحاب النبى ﷺ فقالوا احترق لهم صاحبكم قالوا من أين علمتم ذلك قالوا قد أوحى الله إلى النبى ﷺ ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله واختلفوا فى هذه الواو فقيل واو الحال فيكون المعنى فيصيب بها من يشاء فى حال جداله فى الله وذلك أن أريد لما جادل فى الله أهلكه الله بالصاعقة وقيل انها واو الاستئناف فيكون المعنى أنه تعالى لما تمم ذكر الدلائل قال بعد ذلك وهم يجادلون فى الله (وهو شديد المحال) أى شديد الأخذ بالعقوبة من قولهم يمحل بهم محلا إذا أراد به سوءاً وقيل هو من قولهم يمحل به إذا سعى به السلطان وعرضه للهلاك وتمحل إذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه فيكون المعنى انه سبحانه وتعالى شديد المحال باعدائه حتى يهلكهم بطريق لا يعرفونه ولا يتوقعونه وقيل المحال من المحول وهو الحيلة والميم زائدة ثم

يسعون ليخبروا رسول الله ﷺ فاستقبلهم قوم من أصحاب النبى ﷺ فقالوا لهم احترق صاحبكم فقالوا من أين علمتم فقالوا اوحى الله إلى النبى ﷺ ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله (وهو شديد المحال) قال على رضى الله عنه شديد الاخذ وقال ابن عباس شديد الحول وقال الحسن شديد الحقد وقال مجاهد شديد القوة وقال ابو عبيدة

شديد العقوبة وقيل شديد المكر والمحال والمماحلة المماكرة والمغالبة (له دعوة الحق) أي لله دعوة الصدق وقال رضي الله عنه دعوة الحق التوحيد وقال ابن عباس شهادة (١٠) أن لا إله إلا الله وقيل الدعاء بالأخلاص والدعاء الخالص لا يكون إلا لله عز وجل (والذين يدعون من دونه) أي يعبدون الاصنام من دون الله تعالى (لا يستجيبون لهم بشيء) أي لا يجيبونهم بشيء يريدونه مع نفع أو دفع ضر (الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه) أي الا كباسط كفيه ليقبض على الماء والقابض على الماء لا يكون في يده شيء ولا يبلغ الى فيه منه شيء كذلك الذي يدعو الأصنام وهي لا تضر ولا تنفع لا يكون بيده شيء وقيل معناه كالرجل العطشان الجالس على شفير البئر يمد يده الى البئر فلا يبلغ قعر البئر الى الماء ولا يرتفع اليه الماء فلا ينفعه بسط الكف الى الماء ودعاؤه له ولا هو يبلغ فاه كذلك الذين يدعون الاصنام لا ينفعهم نداؤهم ودعاؤهم وهي لا تقدر على شيء وعن ابن عباس كالعطشان اذا بسط كفيه الى الماء لا ينفعه ذلك مالم يغرف بهما الماء ولا يبلغ الماء فاه مادام باسطا كفيه مثل ضربه الله لخيبة الكفار (وما دعاء الكافرين) أصنامهم (الا في ضلال) يضل عنهم اذا احتاجوا اليه كما قال وضل عنهم ما كانوا يفترون وما كانوا يدعون وقال الضحاك عن ابن عباس ومادعاء الكافرين ربهم الا في ضلال لأن أصواتهم محجوبة عن الله تعالى (ولله يسجد من في السموات والارض طوعا) يعني الملائكة والمؤمنين (وكرها) يعني المنافقين والكافرين الذين اكرهوا على السجود بالسيف

اختلفت عبارات المفسرين في معنى قوله شديد المحال فقال الحسن معناه شديد النقمة وقال مجاهد وقتادة شديد القوة وقال ابن عباس شديد الحول وقيل شديد العقوبة وقيل معناه شديد الجدال وذلك أنه لما أخبر عنهم انهم يجادلون في الله اخبر أنه أشد جدالا منهم * قوله تعالى (له دعوة الحق) يعني لله دعوة الصدق قال علي دعوة الحق التوحيد وقال ابن عباس شهادة أن لا إله إلا الله قال صاحب الكشاف دعوة الحق فيها وجهان أحدهما أن تضاف الدعوة إلى الحق الذي هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة اليه في قولك كلمة الحق للدلالة على أن الدعوة ملابسة للحق مختصة به وانها بمعزل من الباطل والمعنى أن الله تعالى يدعى فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي سؤاله إن كان مصلحة له فكانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقا بأن يوجه اليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف مالا نفع فيه ولا جدوى فيرد دعاءه الثاني أن تضاف إلى الحق الذي هو الله على معنى دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب وعن الحسن الله هو الحق وكل دعاء اليه دعوة الحق * فان قلت ماوجه اتصال هذين الوصفين بما قبلهما * قلت أما على قصة اربد فظاهر لأن إصابته بالصاعقة كانت بدعوة رسول الله ﷺ فانه دعا عليه وعلى صاحبه عامر ابن الطفيل فأجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق وأما على قوله وهم يجادلون في الله فوعيد للكفار على مجادلتهم رسول الله ﷺ وإجابة دعائه أن دعا عليهم وقيل في معنى الآية الدعاء بالأخلاص والدعاء الخالص لا يكون إلا لله تعالى (والذين يدعون من دونه) يعني والذين يدعونهم آلهة من دون الله وهي الأصنام التي يعبدونها (لا يستجيبون لهم بشيء) يعني لا يجيبونهم بشيء يريدونه من نفع او دفع ضر أن دعوهم (إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه) يعني إلا استجابة كاستجابة الماء لمن بسط كفيه اليه يطلب منه أن يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه ولا يقدر ان يجيب دعاءه ويبلغ فاه وكذلك مايدعونه جمادا لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم وقيل شبههم في قلة جدوى دعائهم لآلهتهم بمن أراد أن يغرف الماء بيده ليشربه فيبسطهما ناشرا أصابعه فلم تلق كفاه منه شيئا ولم يبلغ طلبته من شربه وقيل أن القابض على الماء ناشر أصابعه لا يكون في يده منه شيء ولا يبلغ إلى فيه منه شيء كذلك الذي يدعو الأصنام لأنها لا تضر ولا تنفع ولا يفيده منها شيء وقيل بالرجل العطشان الذي يرى الماء من بعيد بعينيه فهو يشير بكفية إلى الماء ويدعوه بلسانه فلا يأتيه أبدا هذا معنى قول مجاهد وعن عطاء كالعطشان الجالس على شفير البئر وهو يمد يديه إلى البئر فلا هو يبلغ إلى قعر البئر ليخرج الماء ولا الماء يرتفع إليه فلا ينفعه بسطه الكف إلى الماء ودعاؤه له ولا هو يبلغ فاه كذلك الذين يدعون الأصنام لا ينفعهم ذلك وقال ابن عباس كالعطشان إذا بسط كفيه في الماء لا ينفعه ذلك مالم يغرف بهما من الماء ولا يبلغ الماء فاه مادام باسط كفيه وهذا مثل ضربه الله تعالى للكفار ودعائهم الأصنام حين لا ينفعهم البتة ثم ختم هذا بقوله (ومادعاء الكافرين) يعني أصنامهم (إلا في ضلال) يعني يضل عنهم اذا احتاجوا اليه قال ابن عباس في هذه الاية أصواتهم محجوبة عن الله تعالى * قوله عز وجل (ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها) في معنى هذا السجود قولان أحدهما أن المراد منه السجود على الحقيقة وهو وضع الجبهة على الأرض ثم على هذا القول ففي معنى الاية وجهان أحدهما أن اللفظ وان كان عاما الا أن المراد منه الخصوص فقوله ولله يسجد من في السموات يعني الملائكة ومن في الأرض من انس يعني المؤمنين طوعا وكرها يعني من المؤمنين من يسجد لله طوعا وهم المؤمنون المخلصون لله العبادة وكرها يعني المنافقين الداخلين في المؤمنين وليسوا منهم فان سجودهم لله على كره منهم لانهم لا يرجون على سجودهم ثوابا ولا يخافون على تركه عقابا بل سجودهم وعبادتهم خوف من المؤمنين الوجه الثاني هو حمل اللفظ على العموم وعلى هذا ففي اللفظ اشكال وهو أن جميع الملائكة والمؤمنين من الجن والإنس يسجدون لله طوعا ومنهم من يسجد له كرها كما تقدم واما

الكفار من الجن والانس فلا يسجدون لله ألبتة فهذا وجد الاشكال والجواب عنه أن المعنى أنه يجب على كل من فى السموات ومن فى الأرض ان يسجد لله فعبر بالوجوب عن الوقوع والحصول وجواب آخر وهو أن يكون المراد من هذا السجود هو الاعتراف بالعظمة والعبودية وكل من فى السموات من ملك ومن فى الأرض من إنس وجن فانهم يقرون لله بالعبودية والتعظيم ويدل عليه قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله والقول الثانى فى معنى هذا السجود هو الانقياد والخضوع وترك الامتناع فكل من فى السموات والأرض ساجد لله بهذا المعنى وهذا الاعتبار لأن قدرته ومشيئته نافذة فى الكل فهم خاضعون منقادون له * وقوله تعالى (وظلالهم بالغدو والآصال) الغدوة والغداة أول النهار وقيل إلى نصف النهار والغدو بالضم من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس والاصال جمع أصل وهو العشية والاصال والعشايا جمع عشية وهى ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس قال المفسرون ان ظل كل شىء يسجد لله سواء ظل المؤمن والكافر وقال مجاهد ظل المؤمن يسجد لله طوعا وهو طائع وظل الكافر يسجد لله كرها وهو كاره وقال الزجاج جاء فى التفسير أن الكافر يسجد لغير الله وظله يسجد لله قال ابن الأنبارى ولا يبعد أن يخلق الله تعالى للظلال عقولا وافهاما تسجد بها وتخشع كما جعل للجبال افهاما حتى سبحت الله مع داود وقيل المراد بسجود الظلال ميلانها من جانب إلى آخر وطولها وقصرها بسبب ارتفاع الشمس ونزولها وإنما خص الغدو والاصال بالذكر لأن الظلال تعظم وتكثر فى هذين الوقتين وقيل لأنهما طرفا النهار فيدخل وسطه فيما بينهما ﴿فصل﴾ وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة فيسن للقارىء والمستمع أن يسجد عند قراءته واستماعه لهذه السجدة والله اعلم * قوله تعالى (قل من رب السموات والأرض) اى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله من رب السموات والأرض يعنى من مالك السموات والأرض ومن مدبرهما وخالقهما فسيقولون الله لأنهم مقرون بأن الله خالق السموات والأرض ومافيها فان اجابوك بذلك فقل انت يا محمد الله رب السموات والأرض وقيل لما قال هذه المقالة للمشركين عطفوا عليه وقالوا أجب أنت فأمره الله أن يجيبهم بقوله (قل الله) أى قل يا محمد الله وقيل إنما جاء السؤال والجواب من جهة واحدة لأن المشركين لا ينكرون أن الله خالق كل شىء فلما لم ينكروا ذلك وأجاب النبى ﷺ بقوله الله فكانهم قالوا ذلك أيضا ثم ألزمهم الحجة على عباداتهم الاصنام بقوله (قل) أى قل يا محمد للمشركين (أفاتخذتم من دونه) يعنى من دون الله (أولياء) يعنى الأصنام والولى الناصر والمعنى توليتم غير رب السموات والأرض واتخذتموهم أنصارا يعنى الأصنام (لا يملكون) يعنى وهم لا يملكون (لانفسهم نفعا ولا ضرا) فكيف لغيرهم ثم ضرب الله مثلا للمشركين الذين يعبدون الأصنام وللمؤمنين الذين يعبدون الله فقال تعالى (قل هل يستوى الأعمى والبصير) قال ابن عباس يعنى المشرك والمؤمن (أم هل تستوى الظلمات والنور) يعنى الشرك والايمان والمعنى كما لا يستوى الأعمى والبصير كذلك لا يستوى الكافر والمؤمن وكما لا تستوى الظلمات والنور كذلك لا يستوى الكفر والايمان وإنما شبه الكافر بالأعمى لأن الأعمى لا يهتدى سبيلا كذلك الكافر لا يهتدى سبيلا (ام جعلوا لله شركاء) هذا استفهام إنكار يعنى جعلوا لله شركاء (خلقوا كخلقه) يعنى خلقوا سموات وأرضين وشمسا وقمرا وجبالا وبحارا وجنا وإنسا (فتشابه الخلق عليهم) من هذا الوجه، المعنى هل رأوا غير الله خلق شيئا فاشتبه عليهم خلق الله بخلق غيره وقيل أن الله تعالى وبخهم بقوله أم جعلوا لله شركاء خلقوا خلقا مثل خلقه فتشابه خلق الشركاء بخلق عندهم وهذا استفهام إنكارى أى ليس الأمر كذلك حتى يشتبه عليهم الامر بل إذا تفكروا بعقولهم وجدوا الله تعالى هو المنفرد بخلق سائر الأشياء والشركاء مخلوقون له أيضا لا يخلقون شيء حتى يشتبه خلق الله بخلق الشركاء وإذا كان الأمر

طوعا وهو طائع وظل الكافر يسجد طوعا وهو كاره (بالغدو والآصال) يعنى إذا سجد بالغدو والعشى يسجد معه ظله والاصال جمع الأصل والأصل جمع الأصيل وهو ما بين العصر إلى غروب الشمس وقيل ظلالهم أى أشخاصهم بالغدو والاصال بالبكر والعشا وقيل سجود الظل تذليله لما اريد له قوله تعالى (قل من رب السموات والأرض) أى خالقهما ومدبرهما فسيقولون الله انهم يقرون بان الله خالقهم وخالق السموات والأرض إذا أجابوك فقل أنت أيضا يا محمد الله وروى انه لما قال هذا للمشركين عطفوا عليه فقالوا أجب أنت فأمره الله عز وجل فقال (قل) انت يا محمد (الله) ثم قال الله لهم إلزاما للحجة (قل افاتخذتم من دونه أولياء) معناه أنكم مع إقراركم بأن الله خالق السموات والأرض أتخذتم من دونه أولياء فعبدتموها من دون الله يعنى الأصنام وهم (لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا) فكيف يملكون لكم ثم ضرب لهم مثلا فقال (قل هل يستوى الأعمى والبصير) كذلك لا يستوى الكافر والمؤمن (ام هل تستوى) قرأ حمزة والكسائى وابو بكر يستوى بالياء وقرأ الاخرون بالتاء لأنه لا حائل بين الفعل والمؤنث (الظلمات والنور) أى كما لا يستوى الظلمات والنور لا يستوى الكفر والايمان (أم جعلوا) أى جعلوا (لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم) اى اشتبه ما خلقوه بما خلقه الله تعالى فلا يدرون ما خلق الله وما خلق آلهتهم

كذلك فقد لزمتهم الحجة وهو قوله تعالى (قل الله خالق كل شيء) أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الله خالق كل شيء مما يصح أن يكون مخلوقا وقوله خالق كل شيء من العموم الذى يراد به الخصوص لأن الله تعالى خلق كل شيء وهو غير مخلوق (وهو الواحد) يعنى والله تعالى هو الواحد المنفرد بخلق الأشياء كلها (القهار) لعباده حتى يدخلهم تحت قضائه وقدره وإرادته * وقوله عز وجل (أنزل من السماء ماء)لما شبه الله عز وجل الكافر بالأعمى والمؤمن بالبصير وشبه الكفر بالظلمات والايمان بالنور ضرب لذلك مثلا فقال تعالى انزل من السماء ماء يعنى المطر (فسالت أودية بقدرها) أوديه جمع وادوهو المفرج بين الجبلين يسيل فيها الماء وقوله فسالت أودية فيه اتساع وحذف تقديره فسال فى الوادى فهو كما يقال جرى النهر والمراد جرى الماء فى النهر فحذف فى لدلالة الكلام عليه بقدرها قال مجاهد بمثلها وقال ابن جريج الصغير بقدره والكبير بقدره وقيل بمقدار مائها وإنما نكر أودية لان المطر إذا نزل لا يعم جميع الأرض ولا يسيل فى كل الاودية بل ينزل فى أرض دون أرض ويسيل فى واد دون واد فلهذا السبب جاء هذا بالتنكير وقال ابن عباس انزل من السماء ماء يعنى قرآنا وهذا مثل ضربه الله تعالى فسالت اودية بقدرها يريد الأودية القلوب شبه نزل القران الجامع للهدى والنور والبيان بنزول المطر لان المطر إذا نزل عم نفعه وكذلك نزول القرآن وشبه القلوب بالأودية لأن الأودية يستكن فيها الماء وكذلك القلوب يستكن فيها الايمان والعرفان ببركة نزول القرآن فهاو هذا خاص بالمؤمنين لانهم الذين انتفعوا بنزول القران (ق) عن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ أن مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فانبتت الكلأ والشعب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء نفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا وأصاب طائفة منها أخرى إنما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه ما بعثنى الله به فتعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به قال الشيخ محيى الدين النووى رحمه الله وغيره فى معنى هذا الحديث أو شرحه ما الكلأ فى الهمز يقع على الرطب واليابس من الحشيش واما قوله وكان منها اجادب فبالجيم والدال المهملة والباء الموحدة كذا فى الصحيحين وهى الارض التى لا تنبت الكلأ جمع جدب على غير قياس وقياسه أجدب والجدب ضد الخصب وقال الخطابى هى التى تمسك الماء ولم يسرع فيه النضوب وفى رواية الهروى اخاذات بالخاء المعجمة والذال المعجمة جمع اخاذة وهى الغدير الذى يمسك الماء وقوله ورعوا كذا هو فى صحيح مسلم من الرعى ووقع فى صحيح البخارى وزرعوا بزيادة زاى من الزرع والقيعان بكسر القاف جمع قاع وهو المستوى من الارض وقوله فذلك مثل من فقه فى دين الله يروى بضم القاف وهو المشهور وروى بكسرها ومعناه فهم الاحكام واما معنى الحديث ومقصوده فهو أن النبى ﷺ ضرب مثلا لما جاء به من الهدى والعلم بالارض التى أصابها المطر قال العلماء والارض ثلاثة أنواع وكذلك الناس لانهم منها خلقوا فالنوع الاول من انواع الارض الطيبة التى تنتفع بالمطر فتنبت به العشب فينتفع الناس به والدواب بالشرب والرعى وغير ذلف وكذلك النوع الاول من الناس من يبلغه الهدى من غير ذلك من العلم فيحيا به قلبه ويحفظه ويعمل به ويعلمه غيره فينتفع به وينفع غيره قال مسروق صحبت اصحاب رسول الله ﷺ فوجدتهم كالاخاذات لان قلوبهم كانت واعية فصارت اوعية للعلوم بما رزقت من صفاء الفهوم النوع الثانى من أنواع الارض أرض لا تقبل الانتفاع فى نفسها لكن فيها فائدة لغيرها وهى إمساك الماء لغيرها لينتفع به الناس والدواب وكذا النوع الثانى من الناس لهم قلوب حافظة لكن ليس لهم أفهام ثاقبة فيبقى ما عندهم من العلم حتى يجىء المحتاج إليه المتعطش لما عندهم من العلم فيأخذه منهم فينتفع به هو وغيره النوع الثالث من انواع الارض ارض سبخة لا تنبت مرعى ولا تمسك ماء كذلك النوع الثالث من الناس ليس لهم قلوب حافظة ولا افهام ثاقبة فاذا بلغهم شيء من العلم لا ينتفعون به فى انفسهم ولا ينفعون غيرهم والله اعلم * وقوله تعالى (فاحتمل السيل زبدا) الزبد ما يعلو على وجه الماء عند الزياده كالحبب

(قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار) ثم ضرب الله تعالى مثلين للحق والباطل فقال عز وجل (انزل) يعنى الله عز وجل (من السماء ماء) يعنى المطر (فسالت) من من ذلك الماء (أودية بقدرها) أى فى الصغر والكبر (فاحتمل السيل) الذى حدث من ذلك الماء (زبدا

رابيا) الزبد الخبث الذى يظهر على وجه الماء وكذلك على وجه القدر رابيا أى عاليا مرتفعا فوق الماء الصافى الباقى هو الحق والذاهب الزائل الذى يتعلق بالأشجار وجوانب الأودية هو الباطل وقيل هو قوله أنزل من السماء ماء هذا مثل للقرآن والأودية مثل للقلوب يريد ينزل القرآن فتحتمل منه القلوب على قدر اليقين والعقل والشك والجهل فهذا أحد المثلين والمثل الآخر قوله عز وجل (ومما يوقدون عليه فى النار) قرأ حمزة والكسائى وحفص يوقدون بالياء لقوله تعالى ما ينفع الناس ولا مخاطبة ههنا قرأ (١٣) الآخرون بالتاء ومما توقدون أى ومن

وكذلك ما يعلو على القدر عند غليانها والمعنى فاحتمل السيل الذى حدث من ذلك الماء زبدا (رابيا) يعنى عاليا مرتفعا فوق الماء طافيا عليه وههنا تم المثل ثم ابتدأ بمثل آخر فقال تعالى (ومما يوقدون عليه فى النار) الايقاد جعل الحطب فى النار لتتقد تلك النار تحت الشىء ليذوب (ابتغاء حلية) يعنى لطلب زينة والضمير فى قوله عليه يعود على الذهب والفضة وان لم يكونا مذكورين لأن الحلية لا تطلب إلا منهما (أو متاع) يعنى أو لطلب متاع آخر مما ينتفع به كالحديد والنحاس والرصاص ونحوه مما يذاب وتتخذ منه الأوانى وغيرها مما ينتفع به والمتاع كل ما يتمتع به ويقال لكل ما ينتفع به فى البيت كالطبق والقدر ونحو ذلك من الاوانى متاع (زبد مثله) يعنى أن فى ذلك الذى يوقد عليه فى النار إذا أذيب فله أيضا زبد مثل زبد الماء فالصافى من الماء ومن هذه الجواهر هو الذى ينتفع به وهو مثل الحق والزبد من الماء ومن هذه الجواهر هو الذى لا ينتفع به وهو مثل الباطل وهو قوله تعالى (كذلك يضرب الله الحق والباطل) فالحق هو الجوهر الصافى الثابت والباطل هو الزبد الطافى الذى لا ينتفع به وهو قوله (فأما الزبد فيذهب جفاء) يعنى ضائعا باطلا الجفاء ما رمى به الوادى من الزبد إلى جوانبه وقيل الجفاء المتفرق يقال جفأت الريح الغيم إذا فرقته والمعنى ان الباطل وان علا فى وقت فانه يضمحل ويذهب (وأما ما ينفع الناس) يعنى الماء الصافى والجوهر الجيد من هذه الأجسام التى تذاب (فيمكث فى الأرض) يعنى يثبت ويبقى ولا يذهب (كذلك يضرب الله الأمثال) قال أهل التفسير والمعانى هذا مثل ضربه الله للحق والباطل فالباطل وإن علا على الحق فى بعض الأوقات والاحوال فان الله يمحقه ويبطله ويجعل العاقبة للحق وأهله كالزبد الذى يعلو على الماء فيذهب الزبد ويبقى الماء الصافى الذى ينتفع به وكذلك الصفو من هذه الجوهر يبقى ويذهب العلو الذى هو الكدر وهو ما ينفيه الكير مما يذاب من جواهر الارض كذلك الحق والباطل وان علا فى وقت فانه يذهب هو وأهله والحق يظهر هو وأهله وقيل هذا مثل للمؤمن واعتقاده وانتفاعه بالايمان كمثل الماء الصافى الذى ينتفع به الناس ومثل الكافر وخبث اعتقاده كالزبد الذى لا ينتفع به ألبتة وقيل هذا مثل ضربه الله للنور الذى يحصل فى قلوب العباد على ما قسم لها فى الازل لان الوادى إذا سأل كنس كل شىء فيه من النجاسات والمستقذرات كذلك إذا سال وادى قلب العبد بالنور الذى قسم له على قدر إيمانه ومعرفته كنس كل ظلمة وغفلة فيه فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض يعنى يذهب البواطل وهى الاخلاق المذمومة وتبقى الحقائق وهى الاخلاق الحميدة كذلك يضرب الله الامثال * وقوله تعالى (للذين استجابوا لربهم الحسنى) قيل اللام فى الذين متعلقة بيضرب والمعنى كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين استجابوا لربهم يعنى أجابوه إلى ما دعاهم إليه من توحيده والايمان به وبرسوله وللكافرين الذين لم يستجيبوا فعلى هذا يكون قوله كذلك يضرب الله الامثال للفريقين من المؤمنين والكافرين وقيل تم الكلام عند قوله كذلك يضرب الله الامثال ثم استانف بقوله للذين استجابوا لربهم الحسنى قال ابن عباس وجمهور المفسرين يعنى الجنة وقيل الحسنى هى المنفعة العظمى فى الحسن وهى المنفعة الخالصة الخالية عن شوائب المضرة والانقطاع (والذين لم يستجيبوا له) يعنى الكفار الذين استمروا على

الذى توقدون عليه النار والايقاد جعل النار تحت الشىء ليذوب (ابتغاء حلية) أى لطلب زينة وأراد الذهب والفضة لأن الحلية تطلب منهما (أو متاع) أى طلب متاع وهو ما ينتفع به وذلك مثل الحديد والنحاس والرصاص والصفر تذاب فيتخذ منها الأوانى وغيرها مما ينتفع بها (زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل) أى إذا أذيب فله أيضا زبد مثل زبد الماء فالباقى الصافى من هذه الجواهر مثل الحق والزبد الذى لا ينتفع به مثل الباطل (فأما الزبد) الذى علا السيل والفلز (فيذهب جفاء) أى ضائعا باطلا والجفاء ما رمى به الوادى من الزبد والقدر إلى جنباته يقال جفا الوادى وأجفأ إذا ألقى غثاءه وأجفأت القدر وجفأت إذا غلت وألقت زبدها فاذا سكت لم يبق فيها شىء معناه ان الباطل وان علا فى وقت فانه يضمحل وقيل جفاء أى متفرقا يقال جفأت الريح الغيم إذا فرقته وذهبت به (وأما ما

ينفع الناس) يعنى الماء والفلز من الذهب والفضة والصفر والنحاس (فيمكث فى الارض) أى يبقى ولا يذهب (كذلك يضرب الله الامثال) جعل الله هذا مثالا للحق والباطل يعنى أن الباطل كالزبد يذهب ويضيع الحق كالماء والفلز يبقى فى القلوب وقيل هذا تسلية للمؤمنين يعنى ان أمر المشركين كالزبد يرى فى الصورة شيئا وليس له حقيقة وأمر المؤمنين كالماء المستقر مكانه له البقاء والثبات قوله تعالى (للذين استجابوا) أجابوا (لربهم) فاطاعوه (الحسنى) الجنة (والذين لم يستجيبوا له لو أن

لهم مافى الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به) أى لبذلوا ذلك يوم القيامة افتداء من النار (أولئك لهم سوء العذاب) قال ابراهيم النخعى سوء الحساب أن يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر له من شىء (وماواهم) فى الآخرة (جهنم وبئس المهاد) الفراش اى بئس ما مهد لهم قوله تعالى (أفمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق) فيؤمن به ويعمل بما فيه (كمن هو أعمى) عنه لا يعلمه ولا يعمل به قيل نزلت فى حمزة وأبى جهل وقيل فى عمار وابى جهل فالاول حمزة او عمار والثانى ابو جهل وهو الاعمى اى لا يستوى من يبصر الحق ويتبعه ومن لا يبصره ولا يتبعه (إنما يتذكر) يتعظ (أولوا الألباب) ذوو العقول (الذين يوفون بعهد الله) بما أمرهم الله تعالى به وفرضه عليهم فلا يخالفونه (ولا ينقضون الميثاق) وقيل اراد العهد الذى اخذه على ذرية آدم عليه السلام حين اخرجهم من صلبه (والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل) قيل اراد به الايمان بجميع الكتب والرسل ولا يفرقون بينهما والاكثرون على أنه أراد به صلة الرحم أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أبو منصور محمد ابن محمد بن سمعان انا ابو جعفر محمد بن احمد بن عبد الجبار الريانى ثنا حميد بن زنجويه ثنا ابن ابى شيبة ثنا سفيان بن عيينة عن الزهرى عن ابى سلمة أن عبد الرحمن بن عوف عاد (١٤) أبا الدرداء فقال يعنى عبد الرحمن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يحكى عن ربه عز وجل أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته اخبرنا عبد الواحد المليحى أنبأنا ابو منصور السمعانى انا ابو جعفر الريانى ثنا حميد بن زنجويه ثنا ابن ابى اويس قال حدثنى سليمان بن بلال عن معاوية ابن ابى مزدر عن سعيد بن يسار عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فاخذت بحقوى الرحمن فقال مه قالت هذا مقام العائذ بك من القطعية قال الا ترضين ان اصل من وصلك واقطع من قطعك قالت بلى يا رب قال فذاك لك ثم قال ابو هريرة اقرؤا إن شئتم فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم أخبرنا عبد الواحد المليحى أنبأنا أبو منصور السمعانى وضده انبانا ابو جعفر الريانى ثنا احمد بن زنجويه ثنا مسلم بن ابراهيم ثنا كثير بن عبد الله اليشكرى ثنا الحسن بن عبد الرحمن بن عوف عن ابيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة تحت العرش يوم القيامة القرآن يحاج العباد له ظهر وبطن والأمانة والرحم تنادى ألا من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله اخبرنا عبد الواحد المليحى انبانا أبو منصور السمعانى انا ابو جعفر الريانى انا حميد بن زنجويه ثنا عبد الله بن صالح حدثنى الليث بن سعد حدثنى عقيل بن أبى شهاب أخبرنى أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احب ان يبسط له فى رزقه وينسأ له فى اثره فليصل رحمه اخبرنا عبد الواحد المليحى انا عبد الرحمن بن شريح انا ابو القاسم عبد الله ابن محمد بن عبد العزيز البغوى ثنا على بن الجعد ثنا شعبة عن عيينة بن عبد الرحمن قال سمعت أبى يحدث عن أبى بكر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال مامن ذنب احرى ان يعجل الله لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع ما يدخر له فى الآخرة من البغى وقطيعة الرحم اخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو الحسين بن بشران أنا إسماعيل بن محمد الصفار أنا أحمد بن منصور الرمادى ثنا عبد الرازق ثنا معمر عن الزهرى عن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لا يدخل الجنة قاطع

كفرهم وشركهم وما كانوا عليه (لو أن لهم مافى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به) يعنى لبذلوا ذلك كله فداء لانفسهم من عذاب النار يوم القيامة (اولئك) يعنى الذين لم يستجيبوا لربهم (لهم سوء الحساب) قال ابراهيم النخعى سوء الحساب ان يحاسب الرجل بذنبه كله ولا يغفر له منه شىء (وماواهم) يعنى فى الاخرة (جهنم وبئس المهاد) يعنى وبئس ما مهد لهم فى الآخرة وقيل المهاد الفراش يعنى وبئس الفراش يفرش لهم فى قوله تعالى جهنم (أفمن يعلم أنما انزل اليك من ربك الحق) يعنى فيؤمن به ويعمل بما فيه (كمن هو أعمى) يعنى اعمى البصيرة لا اعمى البصر وهو الكافر فلا يؤمن بالقرآن ولا يعمل بما فيه قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فى حمزة بن عبد المطلب عم النبى ﷺ وابى جهل بن هشام وقيل نزلت فى عمار بن ياسر وابى جهل فالأول هو حمزة او عمار والثانى هو ابو جهل وحمل الاية على العموم اولى وان كان السبب مخصوصا والمعنى لا يستوى من يبصر الحق ويتبعه ومن لا يبصر الحق ولا يتبعه وإنما شبه الكافر والجاهل بالاعمى لأن الاعمى لا يهتدى لرشد ورب واقع فى مهلكة وكذلك الكافر والجاهل لا يهتديان للرشد وهما واقعان فى المهلكة (إنما يتذكر اولوا الالباب) يعنى إنما يتعظ ذوو العقول السليمة الصحيحة وهم الذين ينتفعون بالمواعظ والاذكار * قوله عز وجل (الذين يوفون بعهد الله) يعنى الذى عاهدهم عليه وهو القيام بما امرهم به وفرضه عليهم واصل العهد حفظ الشىء ومراعاته حالا بعد حال وقيل اراد بالعهد ما أخذه على أولاد آدم حين أخرجهم من صلبه واخذ عليهم العهد والميثاق (ولا ينقضون الميثاق) بل يوفون به توكيدا لقوله الذين يوفون بعهد الله (والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل) قال ابن عباس يريد الايمان بجميع الكتب والرسل يعنى يصل بينهم بالايمان ولا يفرق بين احد منهم والأكثرون على ان المراد به صلة الرحم عن عبد الرحمن بن عوف قال سمعت رسول الله ﷺ يقول قال الله تبارك وتعالى أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته وقال بتته اخرجه ابو داود والترمذى (ق) عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعة الله (خ) عن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يبسط الرزق له فى رزقه وان ينسأ له فى اثره فليصل رحمه صلة الرحم مبرة الاهل والاقارب والاحسان اليهم

أخبرنا الامام أبو على الحسين بن محمد القاضى أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادى ثنا أحمد بن اسحق الصيدلانى أنا أبو نصر أحمد ابن محمد بن نصر ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ثنا عمرو بن عثمان قال سمعت موسى بن طلحة يذكر أبى أيوب الأنصارى أن اعرابيا عرض لرسول الله ﷺ فى مسيره فقال أخبرنى بما يقربنى من الجنة ويباعدنى من النار قال ﷺ تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصل الرحم أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أبو منصور السمعانى ثنا أبو جعفر الريانى ثنا حميد بن زنجويه ثنا يعلى وأبو نعيم قالا ثنا قطرة عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ ليس الواصل بالمكافىء (١٥) ولكن الواصل الذى إذا قطعت رحمه وصلها رواه محمد بن اسمعيل عن محمد بن كثير عن سفيان عن قطر وقال إذا قطعت رحمه وصلها قوله تعالى (ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب والذين صبروا) على طاعة الله وقال ابن عباس على أمر الله عز وجل وقال عطاء على المصائب والنوائب وقيل عن الشهوات وقيل عن المعاصى (ابتغاء وجه ربهم) طلب تعظيمه أن يخالفوه (وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) يعنى يؤدون الزكاة (ويدرؤن بالحسنة السيئة) روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال يدفعون بالصالح من العمل السىء من العمل وهو معنى قوله إن الحسنات يذهبن السيئات وجاء فى الحديث أن رسول الله ﷺ قال إذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها السر بالسر والعلانية بالعلانية أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبى توبة أنبأنا محمد بن احمد بن الحارث انبانا محمد بن يعقوب الكسائى انبانا عبد الله بن محمود انا ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن ابن لهيعة حدثنى يزيد بن ابى حبيب حدثنا ابو الخير انه سمع عقبة بن عامر يقول قال رسول الله ﷺ إن مثل الذى يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات كمثل رجل كانت عليه درع ضيقة قد خنقته ثم عمل حسنة فانفكت عنه حلقة ثم عمل أخرى فانفكت أخرى حتى يخرج إلى الارض وقال ابن كيسان معنى الاية يدفعون الذنب بالتوبة وقيل لا يكافئون الشر بالشر ولكن يدفعون الشر بالخير وقال القتيبى معناه إذا سفه عليهم حلموا فالسفه السيئة والحلم الحسنة وقال قتادة ردوا عليهم معروفا نظيره قوله تعالى وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقال الحسن إذا حرموا اعطوا وإذا ظلموا عفوا وإذا قطعوا وصلوا قال عبد الله بن المبارك هذه ثمان خلال مشيرة إلى ثمانية ابواب الجنة

وضده القطع قوله وأن ينسأ له فى أثرة الاثر هنا الاجل وسمى الاجل أثرا لانه تابع للحياة وسابقها ومعنى ينسأ يؤخر والمراد به تأخير الأجل وهو على وجهين أحدهما أن يبارك الله له فى عمره فكأنما قد زاد فيه والثانى أن يزيده فى عمره زيادة حقيقية والله يفعل ما يشاء (ق) عن جبير بن مطعم أن رسول الله ﷺ قال لا يدخل الجنة قاطع زاد فى رواية سفيان يعنى قاطع رحم (خ) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ليس الواصل بالمكافىء الواصل من إذا قطعت رحمه وصلها عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فان صلة الرحم محبة فى الاهل ومثراة فى المال ومنسأة أى الاثر أخرجه الترمذى ، وقوله تعالى (ويخشون ربهم) يعنى أنهم مع وفائهم بعهد الله وميثاقه والقيام بما أمر الله به من صلة الرحم يخشون ربهم والخشية خوف يشوبه تعظيم واكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه (ويخافون سوء الحساب) تقدم معناه (والذين صبروا) يعنى على طاعة الله وقال ابن عباس على أمر الله وقال عطاء على المصائب والنوائب وقيل صبروا عن الشهوات وعن المعاصى وقيل حمله على العموم أولى فيدخل فيه الصبر على جميع النوائب والمأمورات من سائر العبادات والطاعات وجميع أعمال البر وترك جميع المنهيات فيدخل فيه ترك جميع المعاصى من الحسد والحقد والغيبة وغير ذلك من المنهيات ويدخل فيه الصبر عن المباحات مثل جميع الشهوات والصبر على ما نزل به من الامرض والمصائب وأصل الصبر حبس النفس عما يقتضيه العقل أو الشرع أو عما يقتضيان حبسها عنه فالصبر لفظ عام يدخل تحته جميع ما ذكرو إنما قيد الصبر بقوله (ابتغاء وجه ربهم) لان الصبر ينقسم إلى نوعين الاول الصبر المذموم وهو أن الانسان قد يصبر ليقال ما اكمل صبره وأشد قوته على ما تحمل من النوازل وقد يصبر لئلا يعاب على الجزع وقد يصبر لئلا تشمت به الاعداء وكل هذه الامور وإن كان ظاهرها الصبر فليس ذلك داخلا تحت قوله ابتغاء وجه ربهم لانها لغير الله تعالى النوع الثانى الصبر المحمود وهو أن يكون الانسان صابرا لله تعالى راضيا بما نزل به من الله طالبا فى ذلك الصبر ثواب الله محتسبا أجره على الله فهذا هو الصبر الداخل تحت قوله ابتغاء وجه ربهم يعنى صبروا على ما نزل بهم تعظيما لله وطلب رضوانه (وأقاموا الصلاة) يعنى الصلاة المفروضة وقيل حمله على العموم أولى فيدخل صلاة الفرض والنفل والمراد باقامتها اتمام أركانها وهيآتها (وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) قال الحسن المراد به الزكاة المفروضة فان لم يتهم بترك أداء الزكاة فالاولى أن يؤديها سرا وإن كان متهما بترك أداء الزكاة فالاولى ان يؤديها علانية وقيل ان المراد بالسر ما يخرج من الزكاة بنفسه والمراد بالعلانية ما يؤديه إلى الامام وقيل المراد بالسر صدقة التطوع والمراد بالعلانية الزكاة الواجبة وحمله على العموم اولى (ويدرؤن بالحسنة السيئة) قال ابن عباس

(أولئك لهم عقبى الدار) يعنى الجنة أى عاقبتهم دار الثواب ثم بين ذلك فقال (جنات عدن) بساتين اقامة (يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) قيل من أبواب الجنة وقيل من أبواب القصور (سلام عليكم) أى يقولون سلام عليكم وقيل يقولون سلمكم الله من الافات التى تخافون منها قال مقاتل يدخلون عليهم فى مقدار يوم وليلة من أيام الدنيا ثلاث كرات معهم الهدايا والتحف من الله عز وجل يقولون سلام عليكم (بما صبرتم فنعم عقبى الدار) أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبى توبة أنا ابو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا ابو الحسن محمد بن يعقوب الكسائى أنا عبد الله بن محمود انا ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن بقية بن الوليد حدثنى ارطاة بن المنذر قال سمعت رجلا من مشيخة الجند قال ابو الحجاج يقول جلست إلى ابى امامة فقال ان المؤمن لا يكون متكأ على اريكته إذا أدخل الجنة وعنده سماطان من خدم وعند طرف السماطين باب مبوب فيقبل ملك من ملائكة الله فيستأذن فيقوم أدنى الخدم الى الباب فاذا هو بالملك يستأذن فيقول للذى يليه ملك يستأذن ويقول الذى بينه للذى يليه ملك يستأذن كذلك حتى يبلغ المؤمن فيقول أقربهم إلى المؤمن ائذنوا له ويقول الذى يليه ائذنوا له وكذلك حتى يبلغ اقصاهم الذى عند الباب فيفتح له فيدخل فيسلم ثم ينصرف (فنعم عقبى الدار) يعنى فنعم العقبى عقبى الدار وقيل معناه فنعم عقبى الدار ما أنتم فيه (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) لما ذكر الله أحوال السعداء وما أعد لهم من الكرامات والخيرات ذكر بعد أحوال الأشقياء وما لهم من العقوبات فقال تعالى والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ونقض العهد ضد الوفاء به وهذا من صفة الكفار لانهم هم الذين نقضوا عهد الله يعنى خالفوا أمره ومعنى من بعد ميثاقه كذلك حتى يبلغ أقصاهم الذى عند الباب فيفتح له فيدخل فيسلم ثم ينصرف (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) هذا فى الكفار

يدفعون بالعمل الصالح العمل السيء وهو معنى قوله إن الحسنات يذهبن السيئات ويدل على صحة هذا التأويل ما جاء فى الحديث أن النبى ﷺ قال إذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها السر بالسر والعلانية بالعلانية وروى البغوى بسنده عن عقبة بن عامر قال قال النبى ﷺ ان مثل الذى يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات كمثل رجل عليه درع ضيقة قد خنقته ثم عمل حسنة فانفكت حلقة ثم عمل أخرى فانفكت أخرى حتى خرج إلى الأرض وقال ابن كيسان يدفعون الذنب بالتوبة وقيل لا يكافؤن الشر بالشر ولكن يدفعون الشر بالخير وقال القتيبى معناه إذا سفه عليهم حلموا والسفه السيئة والحلم الحسنة وقال قتادة ردوا عليهم ردا معروفا وقال الحسن إذا حرموا أعطوا وإذا ظلموا عفوا وإذا قطعوا وصلوا قال عبد الله بن المبارك هذه ثمان خلال مشيرة إلى أبواب الجنة الثمانية قلت إنما هى تسع خلال فيحتمل أنه عد خلتين بواحدة ولما ذكر الله عز وجل هذه الخلال من أعمال البر ذكر بعدها ما أعد للعاملين بها من الثواب فقال تعالى (أولئك) يعنى من أتى بهذه الأعمال (لهم عقبى الدار) يعنى الجنة والمعنى ان عاقبتهم دار الثواب (جنات عدن) بدل من عقبى الدار يعنى بساتين إقامة يقال عدن بالمكان إذا أقام به (يدخلونها) يعنى الدار التى تقدم وصفها (ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) يعنى ومن صدق من آبائهم بما صدقوا به وان لم يعمل بأعمالهم قاله ابن عباس وقال الزجاج ان الانسان لا ينتفع بغير أعماله الصالحة فعلى قول ابن عباس معنى صلح صدق وآمن ووحد على قول الزجاج معناه أصلح فى عمله قال الواحدى والصحيح ما قاله ابن عباس لان الله تعالى جعل ثواب المطيع سروره بما يراه فى أهله حيث بشره بدخوله الجنة مع هؤلاء فدل على أنهم يدخلونها كرامة للمطيع العامل الاتى بالاعمال الصالحة ولو كان دخولهم الجنة باعمالهم الصالحة لم يكن فى ذلك كرامة للمطيع ولا فائدة فى الوعد به إذ كل من كان صالحا فى عمله فهو يدخل الجنة قال الامام فخر الدين الرازى قوله تعالى وأزواجهم ليس فيه ما يدل على التمييز بين زوجة وزوجة ولعل الاولى من مات عنها أو ماتت وروى أنه لما كبرت سودة أراد النبى ﷺ طلاقها فسألته أن لا يفعل ووهبت يومها لعائشة فامسكها رجاء أن تحشر فى جملة أزواجه فهو كالدليل على ما ذكرناه * وقوله تعالى (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) يعنى من أبواب الجنة وقيل من ابواب القصور قال ابن عباس يريد به التحية من الله والتحف والهدايا (سلام عليكم) يعنى يقولون سلام عليكم فاضمر القول ههنا لدلالة الكلام عليه (بما صبرتم) يعنى يقولون لهم اسلمكم الله من الافات التى كنتم تخافونها فى الدنيا وادخلكم بما صبرتم فى دار الدنيا على الطاعات وترك المحرمات الجنة وقيل ان السلام قول والصبر فعل ولا يكون القول ثوابا للفعل فعلى هذا يكون قوله سلام عليكم دعاء من الملائكة لهم يعنى سلمكم الله بما صبرتم قال مقاتل ان الملائكة يدخلون عليهم فى مقدار كل يوم من أيام الدنيا ثلاث مرات معهم الهدايا والتحف من الله تعالى يقولون سلام عليكم بما صبرتم وروى البغوى بسنده عن أبى امامة موقوفا عليه قال ان المؤمن ليكون متكئا على اريكته إذا دخل الجنة وعنده سماطان من خدم وعند طرف السماطين باب مبوب فيقبل الملك من ملائكة الله يستأذن فيقوم أدنى الخدم إلى الباب فاذا بالملك يستأذن فيقول للذى يليه ملك يستأذن ويقول الاخر كذلك حتى يبلغ المؤمن فيقول ائذنوا له فيقول اقربهم إلى المؤمن ائذنوا له ويقول الذى يليه ائذنوا له وكذلك حتى يبلغ اقصاهم الذى عند الباب فيفتح له فيدخل فيسلم ثم ينصرف (فنعم عقبى الدار) يعنى فنعم العقبى عقبى الدار وقيل معناه فنعم عقبى الدار ما أنتم فيه (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) لما ذكر الله أحوال السعداء وما أعد لهم من الكرامات والخيرات ذكر بعد أحوال الأشقياء وما لهم من العقوبات فقال تعالى والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ونقض العهد ضد الوفاء به وهذا من صفة الكفار لانهم هم الذين نقضوا عهد الله يعنى خالفوا أمره ومعنى من بعد

(ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) أي يؤمنون ببعض الأنبياء ويكفرون ببعض وقيل يقطعون الرحم (ويفسدون في الأرض) أي يعملون بالمعاصي (أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار) يعني النار وقيل سوء المنقلب لأن منقلب الناس دورهم قوله تعالى (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أي يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء (وفرحوا بالحياة الدنيا) يعني مشركي مكة نشروا وبطروا والفرح لذة في القلب بنيل المشتهى وفيه دليل على ان الفرح بالدنيا حرام (وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع) أي قليل ذاهب قال الكلبي كمثل السكرجة والقصعة والقدح والقدر ينتفع بها ثم تذهب (ويقول الذين كفروا) من اهل مكة (لولا انزل عليه اية من ربه قل ان الله يضل من يشاء ويهدي إليه من اناب) اى يهدى اليه من يشاء بالانابة وقيل يرشد إلى دينه من يرجع إليه بقلبه (الذين آمنوا) في محل النصب بدل من قوله من اناب (وتطمئن) تسكن (قلوبهم بذكر الله) قال مقاتل بالقران والسكون يكون باليقين والاضطراب يكون بالشك (الا بذكر الله تطمئن القلوب) تسكن قلوب المؤمنين ويستقر فيها اليقين قال ابن عباس هذا في الحلف يقول إذا حلف المسلم بالله على شيء تسكن قلوب المؤمنين اليه فان قيل اليس قد قال الله تعالى إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم فكيف تكون الطمأنينة والوجل في حالة واحدة قيل الوجل عند ذكر الوعيد والعقاب والطمأنينة عند ذكر الوعد والثواب فالقلوب توجل إذا ذكرت وعد الله وشدة حسابه وتطمئن إذا ذكرت فضل الله وكرمه (الذين امنوا وعملوا الصالحات) ابتداء

ميثاقه من بعد ما أوثقوه على أنفسهم بالاعتراف والقبول (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) يعني ما بينهم وبين المؤمنين من الرحم والقرابة (ويفسدون في الأرض) يعني بالكفر والمعاصي (أولئك) يعني من هذه صفته (لهم اللعنة) يعني الطرد عن رحمة الله يوم القيامة (ولهم سوء الدار) يعني النار لأن منقلب الناس في العرف إلى دورهم ومنازلهم فالمؤمنون لهم عقبى الدار وهي الجنة والكفار لهم سوء الدار وهي النار * قوله تعالى (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يعني يوسع على من يشاء من عباده فيغنيه من فضله ويضيق على من يشاء من عباده فيفقره ويقتر عليه وهذا أمر اقتضته حكمة الله (وفرحوا بالحياة الدنيا) يعني مشركي مكة لما بسط الله عليهم الرزق أشروا وبطروا والفرح لذة تحصل في القلب بنيل المشتهى وفيه دليل على أن الفرح بالدنيا والركون اليها حرام (وما الحياة الدنيا في الآخرة) يعني بالنسبة إلى الآخرة (إلا متاع) أي قليل ذاهب قال الكلبي المتاع مثل السكرجة والقصعة والقدر ينتفع بها في الدنيا ثم تذهب كذلك الحياة الدنيا لانها ذاهبة لا بقاء لها (ويقول الذين كفروا) يعني من اهل مكة (لولا انزل عليه اية من ربه) يعني هلا انزل على محمد اية ومعجزة مثل معجزة موسى وعيسى (قل) أي قل لهم يا محمد (ان الله يضل من يشاء) فلا ينفعه نزول الآيات وكثرة المعجزات إن لم يهده الله عز وجل وهو قوله (ويهدي إليه من اناب) يعني ويرشد إلى دينه والإيمان به من أناب بقلبه ورجع إليه بكليته (الذين آمنوا) بدل من قوله من أناب (وتطمئن قلوبهم) يعني وتسكن قلوبهم (بذكر الله) قال مقاتل بالقران لأنه طمأنينة لقلوب المؤمنين والطمأنينة والسكون إنما تكون بقوة اليقين والاضطراب إنما يكون بالشك (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) يعني بذكره تسكن قلوب المؤمنين ويستقر اليقين فيها وقال ابن عباس هذا في الحلف وذلك ان المسلم إذا حلف بالله على شيء سكنت قلوب المؤمنين اليه * فان قلت اليس قد قال الله تبارك وتعالى في أول سورة الأنفال إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والوجل استشعار الخوف وحصول الاضطراب وهو ضد الطمأنينة فكيف وصفهم بالوجل والطمأنينة وهل يمكن الجمع بينهما في حال واحد * قلت إنما يكون الوجل عند ذكر الوعيد والعقاب والطمأنينة إنما تكون عند الوعد والثواب فالقلوب توجل إذا ذكرت عدل الله وشدة حسابه وعقابه وتطمئن إذا ذكرت فضل الله ورحمته وكرمه وإحسانه (الذين امنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم) اختلف العلماء في تفسير طوبى فقال ابن عباس فرح لهم وقرة أعين وقال عكرمة نعمى لهم وقال قتادة حسنى لهم وفي رواية أخرى عنه ان هذه الكلمة عربية يقول الرجل للرجل طوبى لك أي أصبت خيراً وقال إبراهيم النخعي خير لهم وكرامة وقال الزجاج طوبى من الطلب وقيل تأويلها الحال المستطابة لهم وهو كل ما استطابه هؤلاء في الجنة من بقاء بلا فناء وعز بلا ذل وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم قال الأزهري تقول طوبى لك وطوباك لحن لا تقوله العرب وهو قول اكثر النحويين وقال سعيد بن جبير طوبى اسم الجنة بالحبشية وروى عن أبي امامة وأبي هريرة وأبي الدرداء ان طوبى اسم شجرة في الجنة تظل الجنان كلها وقال عبيد بن عمير هي شجرة في جنة عدن اصلها في دار النبي ﷺ وفي كل دار وغرفة في الجنة منها غصن لم يخلق الله لونا ولا زهرة الا وفيها منه الا السواد ولم يخلق الله فاكهة ولا ثمرة الا وفيها منها ينبع من أصلها عينان الكافور والسلسبيل وقال مقاتل كل ورقة منها تظل أمة عليها ملك يسبح الله بأنواع التسبيح وروى عن أبي سعيد الخدري أن رجلا سأل رسول الله

 وقوله (طوبى لهم) خبره واختلفوا في تفسير طوبى روى عن ابن عباس رضي الله عنهما فرح لهم وقرة عين وقال عكرمة نعم ما لهم وقال قتادة حسنى لهم وقال معمر عن قتادة هذه كلمة عربية يقول الرجل للرجل طوبى لك أي اصبت خيرا وقال ابراهيم خير لهم وكرامة قال الفراء أصله من الطيب والواو فيه لضمة الطاء وفيه لغتان تقول العرب طوباك وطوبى لك أي لهم الطيب

(وحسن مآب) أى حسن المنقلب وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس طوبى اسم الجنة بالحبشية وقال الربيع هو البستان بلغة الهند وروى عن ابى امامة وابى هريرة وأبى الدرداء قال طوبى شجرة فى الجنة تظل الجنان كلها وقال عبيد بن عمير هى شجرة فى جنة عدن اصلها فى دار النبى ﷺ وفى كل دار وغرفة غصن منها لم يخلق الله لونا ولا زهرة إلا وفيها منها إلا السواد ولم يخلق الله تعالى فاكهة ولا ثمرة إلا وفيها منها ينبع من اصلها عينان الكافور والسلسبيل وقال مقاتل كل ورقة منها تظل أمة عليها ملك يسبح الله عز وجل بانواع التسبيح وروى عن أبى سعيد الخدرى أن رجلا سأل رسول الله ﷺ ماطوبى قال شجرة فى الجنة ظلها مسيرة مائة سنة ثياب أهل الجنة تخرج من اكمامها وعن معاوية بن قرة عن ابيه يرفعه طوبى شجرة غرسها الله تعالى بيده ونفخ فيها من روحه تنبت الحلى والحلل وان أغصانها لترى من وراء سور الجنة أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبى توبة أنا محمد بن أحمد بن الحارث أنا محمد بن يعقوب الكسائى أنا عبد الله بن محمود انبانا ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن اسمعيل بن أبى خالد عن زياد مولى (١٨) بنى مخزوم انه سمع اباهريرة رضى الله عنه ان فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة لا يقطعها اقرؤا ان شئتم وظل ممدود فبلغ ذلك كعبا فقال صدق والذى انزل التوراة على موسى عليه السلام والقرآن على محمد ﷺ لو أن رجلا ركب حقه او جذعه ثم دار باصل الشجرة ما بلغها حتى يسقط هرما ان الله تعالى غرسها بيده ونفخ فيها من روحه وان افنانها لمن وراء سور الجنة ما فى الجنة نهر إلا وهو يخرج من اصل تلك الشجرة وبهذا الاسناد عن عبد الله بن المبارك عن معمر عن الاشعث ابن عبد الله عن شهر بن حوشب عن ابى هريرة قال فى الجنة شجرة يقال لها طوبى يقول الله عز وجل لها تفتقى لعبدى عما شاء ففتقت له عن فرس بسرجه ولجامه

ﷺ عن طوبى فقال هى شجرة فى الجنة مسيرة مائة سنة ثياب أهل الجنة تخرج من اكمامها وعن معاوية بن قرة عن ابيه يرفعه قال طوبى شجرة غرسها الله بيده ونفخ فيها من روحه تنبت الحلى والحلل وان اغصانها لترى من وراء سور الجنة هكذا ذكر البغوى هذين الحديثين بغير سند وروى بسنده موقوفا عن ابى هريرة قال ان الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة اقرؤا ان شئتم وظل ممدود فبلغ ذلك كعب الاحبار فقال صدق والذى انزل التوراة على موسى والقران على محمد لو ان رجلا ركب فرسا اوحقه اوجذعه ثم دار باصل تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط هرما ان الله غرسها بيده ونفخ فيها من روحه وان افنانها لمن وراء سور الجنة وما فى الجنة نهر إلا وهو يخرج من اصل تلك الشجرة قال البغوى وبهذا الاسناد عن عبد الله بن المبارك عن الاشعث عن عبد الله عن شهر بن حوشب عن ابى هريرة قال ان فى الجنة شجرة يقال لها طوبى يقول الله لها تفتق لعبدى عما يشاء فتفتق له عن فرس مسرجة بلجامها وهيئتها كما يشاء وتفتق له عن الراحلة برحلها وزمامها وهيئتها كما يشاء وعن الثياب (ق) عن سهل بن سعد ان رسول الله ﷺ قال ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها (ق) وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه ان النبى ﷺ قال ان فى الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع فى ظلها مائة عام ما يقطعها (ق) وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة زاد البخارى فى روايته واقرؤا إن شئتم وظل ممدود * وقوله تعالى (وحسن مآب) يعنى ولهم حسن منقلب ومرجع ينقلبون ويرجعون اليه فى الاخرة وهى الجنة * قوله عز وجل (كذلك أرسلناك فى أمة قد خلت من قبلها امم) يعنى كما ارسلناك يا محمد إلى هذه الأمة كذلك أرسلنا انبياء قبلك إلى أمم قد خلت ومضت (لتتلوا عليهم الذى اوحينا اليك) يعنى لتقرأ على امتك الذى اوحينا اليك من القرآن وشرائع الدين (وهم يكفرون بالرحمن) قال قتادة ومقاتل وابن جريج هذه الاية مدنية نزلت فى صلح الحديبية وذلك ان سهيل بن عمرو لما جاء للصلح واتفقوا على ان يكتبوا كتاب الصلح قال رسول الله ﷺ لعلى بن ابى طالب اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا لا نعرف الرحمن إلا صاحب اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب اكتب كما تكتب باسمك اللهم فهذا معنى قوله وهم يكفرون بالرحمن يعنى انهم ينكرونه ويجحدونه والمعروف ان الاية مكية وسبب نزولها ان ابا جهل سمع النبى ﷺ وهو فى الحجر يدعو ويقول فى دعائه يا الله يا رحمن فرجع ابو

وهيئته كما شاء وتفتقت له عن الراحلة برحلها وزمامها وهيئتها كما شاء وعن الثياب قوله تعالى (كذلك ارسلناك فى امة) اى كما جهل ارسلنا الأنبياء إلى الأمم ارسلناك إلى هذه الأمة (قد خلت) مضت (من قبلها امم لتتلوا) لتقرأ (عليهم الذى اوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن) قال قتادة ومقاتل وابن جريج الآية مدنية نزلت فى صلح الحديبية وذلك ان سهيل بن عمرو لما جاء إلى النبى ﷺ واتفقوا على ان يكتبوا كتاب الصلح فقال رسول الله ﷺ لعلى اكتب بسم الله الرحمن الرحيم قالوا لا نعرف الرحمن إلا صاحب اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب اكتب كما كنت تكتب باسمك اللهم فهذا معنى قوله وهم يكفرون بالرحمن والمعروف ان الاية مكية وسبب نزولها ان ابا جهل سمع النبى ﷺ وهو فى الحجر يدعو يا الله يا رحمن فرجع إلى المشركين فقال ان محمدا يدعو الهين يدعو الله ويدعو الها اخر يسمى الرحمن ولا نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة فنزلت هذه الاية ونزل قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى وروى الضحاك عن ابن عباس أنها نزلت فى كفار قريش حين قال لهم النبى ﷺ اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن قال الله تعالى

(قل) لهم يا محمد ان الرحمن الذى انكرتم معرفته (هو ربى لا إله إلا هو عليه توكلت) اعتمدت (واليه متاب) أى توبتى ومرجعى قوله (ولو ان قرانا سيرت به الجبال) الاية نزلت فى نفر من مشركى مكة منهم أبو جهل بن هشام وعبد الله بن أبى أمية جلسوا خلف الكعبة فارسلوا إلى النبى ﷺ فاتاهم فقال له عبد الله بن أبى أمية ان سرك ان نتبعك فسير جبال مكة بالقرآن فاذهبها عنا حتى تنفسح فانها أرض ضيقة لمزارعنا واجعل لنا فيها عيونا وانهارا لنغرس فيها الاشجار ونزرع ونتخذ البساتين فلست كما زعمت باهون (١٩) على ربك من داود عليه السلام حيث سخر له الجبال تسبح معه أو سخر لنا الريح فنركبها إلى الشام لمير تنا وحوائجنا ونرجع فى يومنا فقد سخرت الريح لسليمان كما زعمت ولست باهون على ربك من سليمان أو احى لنا جدك قصيا أو من شئت من اباءنا وموتانا لنساله عن امرك أحق ما تقول أم باطل فان عيسى كان يحيى الموتى ولست بأهون على الله منه فانزل الله عز وجل ولو ان قرانا سيرت به الجبال فاذهبت عن وجه الأرض (أو قطعت به الأرض) أى شققت فجعلت انهارا وعيونا (أو كلم به الموتى) واختلفوا فى وجوب لو فقال قوم جوابه محذوف اكتفاء بمعرفة السامعين مراده وتقديره لكان هذا القران كقول الشاعر

فاقسم لو شىء اتانا رسوله * سواك ولكن لم نجد لك مدفعا

أراد لو شىء اتانا رسوله سواك لرددناه وهذا معنى قول قتادة قال لو فعل هذا بقرآن قبل قرآنكم لفعل بقرآنكم وقال الاخرون جواب لو مقدم وتقدير الكلام وهم يكفرون بالرحمن ولو ان قرآنا سيرت به الجبال كانه قال لو سيرت به الجبال او قطعت به الأرض او كلم به الموتى لكفروا بالرحمن ولم يؤمنوا لما سبق من علمنا فيهم كما قال ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شىء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا ان يشاء الله ثم قال (بل لله الامر جميعا) اى فى هذه الأشياء إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل (افلم ييأس الذين آمنوا) قال اكثر المفسرين معناه افلم يعلم قال الكلبى هى لغة النخع وقيل هى هوزان يدل عليه قراءة ابن عباس افلم يتبين الذين آمنو وانكر الفراء ان يكون ذلك بمعنى العلم وزعم انه لم يسمع احدا من العرب يقول يئست بمعنى علمت ولكن معنى العلم فيه مضمر وذلك ان اصحاب رسول الله عليه صلى الله وسلم لما سمعوا هذا من المشركين طمعوا فى أن يفعل الله ما سالوا فيؤمنوا فنزل افلم ييأس

جهل إلى المشركين وقال ان محمدا يدعو إلهين يدعو الله ويدعو إلها آخر يسمى الرحمن ولا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة فنزلت هذه الاية ونزل قوله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى وروى الضحاك عن ابن عباس أنها نزلت فى كفار قريش حين قال لهم النبى ﷺ اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن فقال الله تعالى (قل) أى قل يا محمد ان الرحمن الذى أنكرتم معرفته (هو ربى لا إله إلا هو عليه توكلت) يعنى عليه اعتمدت فى أمورى كلها (واليه متاب) يعنى واليه توبتى ورجوعى قوله تعالى (ولو ان قرآنا سيرت به الجبال) الاية نزلت فى نفر من مشركى قريش منهم أبو جهل بن هشام وعبد الله بن أبى أمية جلسوا خلف الكعبة وأرسلوا خلف النبى ﷺ فأتاهم وقيل إنه مر بهم وهم جلوس فدعاهم إلى الله عز وجل فقال له عبد الله بن أبى أمية إن سرك أن نتبعك فسير جبال مكة بالقرآن فاذهبها عنا حتى تتفتح فانها ارض ضيقة لمزارعنا واجعل لنا فيها أنهارا وعيونا لنغرس الاشجار ونزرع ونتخذ البساتين فلست كما زعمت باهون على ربك من داود حيث سخر له الجبال تسير معه أو سخر لنا الريح لنركبها إلى الشام لمير تنا وحوائجنا ونرجع فى يومنا كما سخرت لسليمان كما زعمت فلست باهون على ربك من سليمان أو أحى لنا جدك قصيا أو من شئت من موتانا لنسأله عن أمرك أحق أو باطل فان عيسى كان يحيى الموتى ولست باهون على الله من عيسى فأنزل الله هذه الاية ولو أن قرآنا سيرت به الجبال فاذهبت عن وجه الأرض (أو قطعت به الأرض) يعنى شققت فجعلت أنهارا وعيونا (أو كلم به الموتى) فأحياها واختلفوا فى جواب لو فقال قوم جواب لو محذوف وإنما حذف اكتفاء بمعرفة السامع مراده وتقديره ولو ان قرآنا فعل به كذا وكذا لكان هذا القرآن كقول الشاعر

فأقسم لو شىء أتانا رسوله * سواك ولكن لم نجد لك مدفعا

أراد لو شىء أتانا رسوله سواك لرددناه وهذا معنى قول قتادة فانه قال معناه لو فعل هذا بقرآن قبل قرآنكم لفعل بقرآنكم وقال آخرون جواب لو تقدم تقديره الكلام وهم يكفرون بالرحمن ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى لكفروا بالرحمن ولم يؤمنوا به لما سبق فى علمنا فيهم كما قال ولو نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شىء قبلا ما كانوا ليؤمنوا ثم قال تعالى (بل لله الأمر جميعا) يعنى فى هذه الأشياء وفى غيرها إن شاء فعل وان شاء لم يفعل (أفلم ييأس الذين آمنوا) قال أكثر المفسرين معناه افلم يعلم قال الكلبى هذه لغة النخع وقيل هى لغة هوازن واختلف أهل اللغة فى هذه اللفظة فقال الليث وابو عبيد الم ييأس الم يعلم واستدلوا لهذه اللغة بقول الشاعر

اقول لهم بالشعب إذ يأسرونني * الم تيأسوا انى ابن فارس زهدم

يعنى الم تعلموا واستدلوا عليه ايضا بقول شاعر اخر

الم ييأس الأقوام انى انا ابنه * وان كنت عن ارض العشيرة نائيا

يعنى الم يعلم الاقوام قال قطرب ييئس بمعنى علم لغة للعرب قالوا ووجه هذه اللغة انه انما وقع لليأس فى مكان

الذين آمنوا يعنى الصحابة رضى الله عنهم أجمعين من إيمان هؤلاء لم ييأسوا علما وكل من علم شيئا يئس من خلافه يقول ألم ييئسهم العلم (ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا) من كفرهم وأعمالهم الخبيثة (قارعة) أى نازلة وداهية تقرعهم من أنواع البلاء أحيانا بالجدب (٢٠) وأحيانا بالسلب وأحيانا بالقتل والأسر وقال ابن عباس أراد بالقارعة السرايا التى كان رسول الله ﷺ يبعثهم اليهم (أو تحل) يعنى السرية أو القارعة (قريبا من دارهم) وقيل او تحل اى تنزل انت يا محمد بنفسك قريبا من ديارهم (حتى ياتى وعد الله) قيل يوم القيامة وقيل الفتح والنصر وظهور رسول الله ﷺ ودينه (ان الله لا يخلف الميعاد) وكان الكفار يسالون هذه الاشياء على سبيل الاستهزاء فانزل الله تسليه لنبيه ﷺ (ولقد استهزىء برسل من من قبلك) كما استهزؤوا بك (فاملیت للذين كفروا) امهلتهم واطلت لهم المدة ومنه الملوان وهما الليل والنهار (ثم أخذتهم) عاقبتهم فى الدنيا بالقتل وفى الاخرة بالنار (فكيف كان عقاب) اى عقابى لهم (افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) اى حافظها ورازقها وعالم بها ومجازيها بما عملت وجوابه محذوف تقديره كمن ليس بقائم بل عاجز عن نفسه (وجعلوا لله شركاء قل سموهم) بينوا اسماءهم وقيل صفوهم ثم انظروا هل هى اهل لان تعبد (أم تنبؤنه) اى تخبرون الله بما لا يعلم فى الارض) فانه لا يعلم شريكا لا لنفسه فى الأرض إلها غيره (أم بظاهر) يعنى أم تتعلقون بظاهر (من القول) مسموع وهو فى الحقيقة باطل لا أصل له وقيل صرفوا بزائل من القول قال الشاعر

وعيرنى الواشون انى أحبها ٭ وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

أى زائل (بل زين للذين كفروا مكرهم) كيدهم وقال مجاهد شركهم وكذبهم على الله (وصدوا عن السبيل) أى صرفوا عن الدين قرأ أهل الكوفة

العلم لأن علمك بالشىء ويقينك به ييئسك من غيره وقيل لم يرد أن اليأس فى وضع كلام العرب للعلم وإنما قصد ان ياس الذين آمنوا من ذلك يقتضى ان يحصل العلم بانتفائه فاذن معنى ياسهم يقتضى حصول العلم وقال الكسائى ما وجدت العرب تقول يئست بمعنى علمت قال وهذا الحرف فى القران من اليأس المعروف لا من العلم وذلك ان المشركين لما طالبوا رسول الله ﷺ بهذه الايات اشراب المسلمون لذلك وأرادوا ان يظهر لهم اية ليجتمعوا على الايمان فقال الله تعالى افلم ييأس الذين امنوا من ايمان هؤلاء ويعلموا علما يقينا (أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا) يعنى من غير ظهور اية وقال الزجاج القول عندى ان معناه افلم ييأس الذين امنوا من إيمان هؤلاء ولأن الله لو يشاء لهدى الناس جميعا وحاصله ان فى معنى الاية قولين أحدهما ان ييئس بمعنى علم والقول الثانى انه من اليأس المعروف وتقدير القولين ما تقدم وتمسك أهل السنة بقوله ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا على ان الله لم يشأ هداية جميع الخلائق (ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا) يعنى من الكفر والأعمال (الخبيثة قارعة) أى نازلة وداهية تقرعهم بانواع البلايا أحيانا مرة بالجدب ومرة بالسلب ومرة بالقتل والاسر وقال ابن عباس أراد بالقارعة السرايا التى كان رسول الله ﷺ يبعثها اليهم (أو تحل) يعنى السرايا أو البلية (قريبا من دارهم) وقيل معناه أو تحل انت يا محمد قريبا من دراهم (حتى ياتى وعد الله) يعنى النصر والفتح وظهور رسول الله ﷺ ودينه وقيل أراد بوعد الله يوم القيامة لأن الله يجمعهم فيه فيجازيهم باعمالهم (ان الله لا يخلف الميعاد) والغرض منه تشجيع قلب النبى ﷺ وإزالة الحزن عنه لعلمه بان الله لا يخلف الميعاد * قوله عز وجل (ولقد استهزىء برسل من قبلك) وذلك ان كفار مكة إنما سالوا هذه الأشياء على سبيل الاستهزاء فانزل الله هذه الاية تسلية للنبى ﷺ والمعنى انهم انما طلبوا منك هذه الايات على سبيل الاستهزاء وكذلك قد استهزىء برسل من قبلك (فاملیت للذين كفروا) يعنى فامهلتهم وأطلت لهم المدة (ثم أخذتهم) يعنى بالعذاب بعد الامهال فعذبتهم فى الدنيا بالقحط والقتل والأسر وفى الاخرة بالنار (فكيف كان عقاب) يعنى فكيف كان عقابى لهم (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) يعنى افمن هو حافظها ورازقها وعالم بها وبما عملت من خير وشر ويجازيها بما كسبت فيثيبها إن أحسنت ويعاقبها إن أساءت وجوابه محذوف وتقديره كمن ليس بقائم بل هو عاجز عن نفسه ومن كان عاجزا عن نفسه فهو عن غيره اعجز وهى الأصنام التى لا تضر ولا تنفع (وجعلوا لله شركاء) يعنى وهو المستحق للعبادة لا هذه الأصنام التى جعلوها لله (شركاء قل سموهم) يعنى له وقيل مفهوم بما يستحقون ثم انظروا هل هى أهل لان تعبد (أم تنبؤنه) يعنى ام تخبرون لله (بما لا يعلم فى الارض) يعنى انه لا يعلم ان لنفسه شريكا من خلقه وكيف يكون المخلوق شريكا للخالق وهو العالم بما فى السموات والارض ولو كان لعلمه والمراد من ذلك نفى العلم بان يكون له شريك (ام بظاهر من القول) يعنى انهم يتعلقون بظاهر من القول مسموع وهو فى الحقيقة باطل لا أصل له وقيل معناه بل بظن من القول لا يعلمون حقيقته (بل زين للذين كفروا مكرهم) قال ابن عباس زين لهم الشيطان الكفر وإنما فسر المكر بالكفر لان مكرهم برسول الله ﷺ كفر منهم والمزين فى الحقيقة هو الله تعالى لانه هو الفاعل المختار على الاطلاق لا يقدر أحد ان يتصرف فى الوجود الا باذنه فتزيين الشيطان القاء الوسوسة فقط ولا يقدر على اضلال أحد وهدايته الا الله تعالى ويدل على هذا سياق الاية وهو قوله ومن يضلل الله فما له من هاد * (وصدوا عن السبيل) قرىء بضم الصاد ومعناه

ويعقوب وصدوا وفى حم المؤمن وصد بضم الصاد فيهما وقرأ الاخرون بالفتح لقوله تعالى إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله وقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله (ومن يضلل الله) نخذلانه إياه (فماله من هاد لهم عذاب فى الحياة الدنيا) بالقتل والأسر (ولعذاب الاخرة أشق) أشد (وما لهم من الله من واق) مانع يمنعهم من العذاب قوله عز وجل (مثل الجنة التى وعد المتقون) أى صفة الجنة كقوله تعالى ولله المثل الأعلى أى الصفة العليا (تجرى من تحتها الانهار) اى صفة الجنة التى وعد المتقون ان (٢١) الأنهار تجرى من تحتها

صرفوا عن سبيل الدين والرشد والهداية ومنعوا من ذلك والصاد المانع لهم هو الله تعالى وقرئ وصدوا بفتح الصاد ومعناه انهم صدوا عن سبيل الله غيرهم اى عن الايمان (ومن يضلل الله فماله من هاد) الوقف عليه بسكون الدال وحذف الياء فى قراءة أكثر القراء (لهم عذاب فى الحياة الدنيا يعنى بالقتل والأسر ونحو ذلك مما فيه غيظهم (ولعذاب الاخرة اشق) يعنى أشد وأغلظ لأن المشقة غلظ الأمر على النفس وشدته مما يكاد يصدع القلب من شدته فهو من الشق الذى هو الصدع (وما لهم من الله) يعنى من عذاب الله (من واق) يعنى من مانع يمنعهم من عذابه * قوله تعالى (مثل الجنة التى وعد المتقون) أى صفة الجنة التى وعد المتقون (تجرى من تحتها الانهار أكلها دائم) لا ينقطع أبدا (وظلها) يعنى أنه دائم لا ينقطع أبدا وليس فى الجنة شمس ولا قمر ولا ظلمة بل ظل ممدود لا ينقطع ولا يزول فى الاية رد على أبى جهم وأصحابه فانهم يقولون ان نعيم الجنة يفنى وينقطع وفى الاية دليل على حركات أهل الجنة لا تنتهى إلى سكون دائم كما يقول أبو الهذيل واستدل القاضى عبد الجبار المعتزلى بهذه الاية على أن الجنة لم تخلق بعد قال ووجه الدليل أنها لو كانت مخلوقة لوجب أن تفنى وينقطع أكلها لقوله تعالى كل شىء هالك إلا وجهه فوجب أن لا تكون الجنة مخلوقة لقوله أكلها دائم يعنى لا ينقطع قال ولا ينكر ان تكون فى السموات جنات كثيرة تتمتع بها الملائكة ومن يعد حيا من الانبياء والشهداء وغيرهم على ما روى إلا ان الذى نذهب اليه أن جنة الخلد لم تخلق بعد والجواب عن هذا حاصل دليلهم مركب من آيتين إحداهما قوله تعالى كل شىء هالك إلا وجهه والاخرى قوله أكلها دائم وظلها فاذا أدخلنا التخصيص على هذين العمومين سقط دليلهم فنخص هذين الدليلين بالدلائل الدالة على ان الجنة مخلوقة منها قوله تعالى وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين * وقوله تعالى (تلك عقبى الذين اتقوا) يعنى ان عاقبة أهل التقوى هى الجنة (وعقبى الكافرين النار) يعنى فى الاخرة * قوله عز وجل (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك فى المراد بالكتاب هنا قولان أحدهما أنه القرآن والذى أتوه المسلمون وهم أصحاب النبى ﷺ والمراد أنهم يفرحون بما يتجدد من الاحكام والتوحيد والنبوة والحشر بعد الموت يتجدد نزول القرآن (ومن الاحزاب) يعنى الذين تحزبوا على النبى ﷺ من الكفار واليهود والنصارى (من ينكر بعضه) وهذا قول الحسن وقتادة * فان قلت ان الاحزاب من المشركين وغيرهم من اهل الكتاب ينكرون القرآن كله فكيف قال ومن الأحزاب من ينكره بعضه * قلت ان احزاب لا ينكرون القران بجملته لانه قد ورد فيه ايات دالات على توحيد الله وإثبات قدرته وعلمه وحكمته وهم لا ينكرون ذلك ابدا والقول الثانى ان المراد بالكتاب التوراة والانجيل والمراد بأهله الذين أسلموا من اليهود والنصارى مثل بن عبد الله بن سلام وأصحابه ومن اسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا أربعون من نجران وثلاثون من الحبشة وعشرة ممن سواهم فرحوا بالقران لكونهم امنوا به وصدقوه ومن الاحزاب يعنى بقية اهل الكتاب من اليهود والنصارى وسائر المشركين من ينكر بعضه وقيل كان ذكر الرحمن قليلا فى القران فى الابتداء فلما أسلم عبد الله بن سلام ومن معه من اهل الكتاب من اليهود والنصارى ساء قلة ذكرهم الرحمن فى القران مع كثرة ذكره فى التوراة فلما كرر الله تعالى ذكر لفظة الرحمن فى القران فرحوا بذلك فانزل الله تعالى والذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك

وقيل مثل صلة مجازها الجنة التى وعد المتقون تجرى من تحتها الانهار (أكلها دائم) أى لا ينقطع ثمرها ونعيمها (وظلها) ظليل لا يزول وهو رد على الجهمية حيث قالوا إن نعيم الجنة يفنى (تلك عقبى) اى عاقبة (الذين اتقوا) يعنى الجنة (وعقبى الكافرين النار) قوله تعالى (والذين آتيناهم الكتاب) يعنى القرآن وهم أصحاب محمد ﷺ (يفرحون بما أنزل اليك من القران (ومن الأحزاب) يعنى الكفار الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ وهم اليهود والنصارى (من ينكر بعضه) هذا قول مجاهد وقتادة وقال الآخرون كان ذكر الرحمن قليلا فى القرآن فى الابتداء فما اسلم عبد الله ابن سلام وأصحابه ساءهم قلة ذكره فى القرآن مع كثرة ذكره فى التوراة فلما كرر الله ذكره فى القرآن فرحوا به فانزل الله سبحانه وتعالى والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه يعنى مشركى مكة حين كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتاب الصلح بسم الله الرحمن الرحيم قالوا ما نعرف إلا رحمن اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب فأنزل الله عز وجل وهم بذكر الرحمن هم كافرون وهم يكفرون بالرحمن وإنما قال بعضه لانهم كانوا لا ينكرون ذكر الله وينكرون ذكر الرحمن

(قل) يا محمد (إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به اليه أدعوا واليه مآب) أى مرجعى (وكذلك أنزلنا حكما عربيا) يقول كما أنزلنا اليك الكتاب يا محمد فانكره الاحزاب كذلك أنزلنا إليك الحكم والدين عربيا نسب إلى العرب لأنه نزل بلغتهم فكذب به الأحزاب وقيل نظم الاية كما انزلنا الكتب على الرسل بلغاتهم فكذلك انزلنا عليك الكتاب حكما عربيا (ولئن اتبعت أهواءهم) فى الملة وقيل فى القبلة (بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولى (٢٢) ولا واق) يعنى من ناصر ولا حافظ قوله تعالى (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك) روى ان اليهود وقيل ان المشركين قالوا ان هذا الرجل ليست له همة إلا فى النساء فانزل الله تعالى ولقد ارسلنا رسلا من قبلك (وجعلنا لهم أزواجا وذرية) وما جعلناهم ملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون (وما كان لرسول ان يأتى بآية إلا باذن الله) هذا جواب عبد الله بن ابى امية ثم قال (لكل أجل كتاب) يقول لكل أمر قضاه الله كتاب قد كتبه فيه وقيل فيه تقديم وتاخير تقديره أى لكل كتاب أجل ومدة أى الكتب المنزلة لكل واحد منها وقت ينزل فيه (يمحو الله ما يشاء ويثبت) قرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم ويعقوب ويثبت بالتخفيف وقرأ الاخرون بالتشديد واختلفوا فى معنى الاية فقال سعيد بن جبير وقتادة يمحو الله ما يشاء من الشرائع والفرائض فينسخه ويبدله ويثبت ما يشاء منها فلا ينسخه وقال ابن عباس يمحو الله ما يشاء ويثبت إلا الرزق والاجل والسعادة والشقاوة وروينا عن حذيفة بن اسيد عن النبى ﷺ يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر فى الرحم بأربعين او خمس واربعين ليلة فيقول يارب اشقى او سعيد فيكتبان فيقول إى رب اذكر ام انثى فيكتبان ويكتب عمله وآثره واجله ورزقه ثم تطوى الصحف فلا يزاد فيها ولا ينقص وعن عمرو بن مسعود انهما قالا يمحو السعادة والشقاوة ايضا ويمحو الرزق والاجل ويثبت ما يشاء روى عن عمر انه كان يطوف بالبيت وهو يبكى ويقول اللهم ان كنت كتبتنى فى اهل السعادة فاثبتنى فيها وإن كنت كتبتنى على الشقاوة فامحنى ذلك

ومن الاحزاب يعنى مشركى مكة من ينكر بعضه وذلك لما كتب النبى ﷺ كتاب الصلح يوم الحديبية كتب فيه بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب فأنزل الله وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربى وإنما قال ومن الاحزاب من ينكر بعضه لانهم كانوا لا ينكرون الله وينكرون الرحمن (قل) أى يا محمد (إنما أمرت أن أعبد الله) يعنى وحده (ولا أشرك به) شيئا (اليه أدعو) أى إلى الله وإلى الايمان أدعو الناس (واليه مآب) يعنى مرجعى يوم القيامة (وكذلك أنزلناه حكما عربيا) أى كما انزلنا الكتب على الانبياء بلغاتهم ولسانهم أنزلنا اليك يا محمد هذا الكتاب وهو القرآن عربيا بلسانك ولسان قومك وإنما سمى القرآن حكما لأن فيه جميع التكاليف والأحكام والحلال والحرام والنقض والابرام فلما كان القرآن سببا للحكم جعل نفس الحكم على سبيل المبالغة وقيل ان الله لما حكم على جميع الخلق بقول القرآن والعمل بمقتضاه سماه حكما لذلك المعنى (ولئن اتبعت أهواءهم) قال جمهور المفسرين ان المشركين دعوا النبى ﷺ إلى ملة آبائهم فتوعده على اتباع أهوائهم فى ذلك وقال ابن السائب المراد به متابعة آبائهم الصلاة لبيت المقدس (بعد ما جاءك من العلم) يعنى بأنك على الحق وان قبلتك الكعبة هى الحق وقيل ظاهر الخطاب فيه للنبى ﷺ والمراد به غيره وقيل هو حث للنبى ﷺ على تبليغ الرسالة والقيام بما أمر به ويتضمن ذلك تحذير غيره من المكلفين لان من هو ارفع منزلة وأعم قدرا وأعلى مرتبة إذا حذر كان غيره ممن هو دونه بطريق الأولى (مالك من الله من ولى ولا واق) يعنى من ناصر ولا حافظ قوله تعالى (ولقد ارسلنا رسلا من قبلك) روى اليهود وقيل المشركين قالوا ان هذا الرجل يعنون النبى ﷺ ليس له همة إلا فى النساء فعابوا عليه ذلك وقالوا لو كان كما يزعم أنه رسول الله لكان مشتغلا بالزهد وترك الدنيا فأجاب الله عز وجل عن هذه الشبهة وعما عابوه به بقوله عز وجل ولقد أرسلنا رسلا من قبلك يا محمد (وجعلنا لهم ازواجا وذرية) فانه قد كان لسليمان عليه الصلاة والسلام ثلثمائة امرأة حرة وسبعمائة امرأة سرية فلم يقدح ذلك فى نبوته وكان لأبيه داود عليه الصلاة والسلام ثلثمائة امرأة فلم يقدح ذلك أيضا فى نبوته فكيف يعيبون عليه ذلك ويجعلونه قادحا فى نبوتك والمعنى ولقد ارسلنا رسلا من قبلك يأكلون ويشربون وينكحون وما جعلناهم ملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون (وما كان لرسول أن يأتى بآية إلا باذن الله) هذا جواب لعبد الله بن أبى أمية وغيره من المشركين الذين سألوا النبى ﷺ الايات واختر قوا عليه أن يريهم المعجزات وتقدير هذا الجواب أن المعجزة الواحدة كافية فى إثبات النبوة وقد أتاهم النبى ﷺ بمعجزات كثيرة يعجز عن مثلها البشر فما لهم أن يقترحوا عليه شيئا واتيان الرسول بالمعجزات ليس اليه بل هو مفوض إلى مشيئة الله عز وجل فان شاء أظهرها وإن شاء لم يظهرها (لكل أجل كتاب) وذلك ان النبى ﷺ كان يخوفهم بنزول العذاب عليهم فلما استبطؤا ذلك وقد كانوا يستعجلون نزوله اخبر الله عز وجل ان لكل قضاء قضاه كتابا قد كتبه فيه وولنا يقع فيه لا يتقدم ولا يتأخر والمعنى ان لكل أجل أجله الله كتابا قد أثبته فيه وقيل فى الاية تقديم وتأخير تقديره لكل كتاب أجل ومدة والمعنى ان الكتب المنزلة لكل كتاب منها وقت ينزل فيه (يمحو الله ما يشاء ويثبت) وذلك انهم لما اعترضوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان محمدا يأمر أصحابه بامر اليوم ثم يأمرهم بخلافه غدا وما سبب

واثبتنى فى أهل السعادة والمغفرة فانك تمحوها ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب ومثله عن ابن مسعود وفى بعض الآثار أن الرجل يكون قد بقى من عمره ثلاثون سنة فيقطع رحمه فترد إلى ثلاثة أيام والرجل يكون قد بقى من عمره ثلاثة ايام فيصل رحمه فتمد إلى ثلاثين سنة أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أبو منصور السمعانى ثنا أبو جعفر الزياتى ثنا حميد بن زنجويه ثنا عبد الله بن صالح حدثنى الليث بن سعد حدثنى زياد بن محمد الانصارى عن محمد بن كعب القرظى عن فضالة بن عبيد عن أبى الدرداء أنه قال قال رسول الله (٢٣) ﷺ ينزل الله عز وجل فى آخر ثلاث ساعات يبقين من الليل فينظر فى الساعة الاولى منهن فى أم الكتاب الذى لا ينظر فيه أحد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت وقيل معنى الاية ان الحفظة يكتبون جميع أعمال بنى آدم وأقوالهم فيمحو الله من ديوان الحفظة ما ليس فيه ثواب ولا عقاب مثل قوله أكلت شربت دخلت خرجت ونحوها من كلام هو صادق فيه ويثبت ما فيه ثواب وعقاب هذا قول الضحاك والكلبى وقال الكلبى يكتب القول كله حتى إذا كان يوم الخميس طرح منه كل شىء ليس فيه ثواب ولا عقاب وقال عطية عن ابن عباس هو الرجل يعمل بطاعة الله عز وجل ثم يعود لمعصية الله فيموت على ضلالة فهو الذى يمحو والذى يثبت الرجل يعمل بطاعة الله فيموت وهو فى طاعة الله عز وجل فهو الذى يثبت وقال الحسن يمحو الله ما يشاء أى من جاء أجله يذهب به ويثبت من لم يجىء أجله إلى يوم اجله وعن سعيد بن جبير قال يمحو الله ما يشاء من ذنوب العباد فيغفرها ويثبت ما يشاء فلا يغفرها وقال عكرمة يمحو الله ما يشاء من الذنوب بالتوبة ويثبت بدل الذنوب حسنات كما قال الله تعالى فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وقال السدى يمحو الله ما يشاء يعنى القمر ويثبت يعنى الشمس بيانه قوله تعالى فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة وقال الربيع هذا فى الارواح يقبضها الله عند النوم فمن أراد موته محاه فامسكه ومن اراد بقاءه اثبته ورده الى صاحبه بيانه قوله عز وجل الله يتوفى الانفس حين موتها الاية

ذلك إلا انه يقول من تلقاء نفسه أجاب الله عن هذا الاعتراض بقوله يمحوا الله ما يشاء ويثبت قال سعيد ابن جبير وقتادة يمحو الله ما يشاء من الشرائع والفرائض فينسخه ويبدله ويثبت ما يشاء من ذلك فلا ينسخه ولا يبدله وقال ابن عباس يمحو الله ما يشاء ويثبت إلا الرزق والاجل والسعادة والشقاوة ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن حذيفة بن أسيد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال يارب اذكر أم انثى فيقضى ربك ما يشاء فيكتب الملك ثم يقول يارب اجله فيقول ربك ما يشاء ويكتب الملك ثم يقول الملك يارب رزقه فيقول ربك ما يشاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك الصحيفة فلا يزيد على أمر ولا ينقص أخرجه مسلم (ق) عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق أن خلق احدكم يجمع فى بطن أمه نطفة اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا بأربع كلمات يكتب رزقه واجله وشقى او سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالذى لا إله غيره إن احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها * فان قلت هذا الحديث والذى قبله صريح بان الآجال والأرزاق مقدرة وكذا السعادة والشقاوة لا تتغير عما قدره الله وعلمه فى الازل فيستحيل زيادتها ونقصانها وكذلك يستحيل ان ينقلب السعيد شقيا او الشقى سعيدا وقد صح فى فضل الرحم ان صلة الرحم تزيد فى العمر فكيف الجمع بين هذه الاحاديث وبين قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت * قلت قد تكرر بالدلائل القطعية ان الله عالم بالاجال والارزاق وغيرها وحقيقة العلم معرفة المعلوم على ما هو عليه فاذا علم الله ان زيدا يموت فى وقت معين استحال ان يموت قبله او بعده وهو قوله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فدل ذلك على ان الاجال لا تزيد ولا تنقص واجاب العلماء عما ورد فى الحديث فى فضل صلة الرحم من انها تزيد فى العمر بأجوبة الصحيح منها ان هذه الزيادة تكون بالبركة فى عمره بالتوفيق للطاعات وعمارة اوقاته بما ينفعه فى الاخرة وصيانتها عن الضياع وغير ذلك والجواب الثانى منها انها بالنسبة الى ما يظهر للملائكة فى اللوح المحفوظ ان عمر زيد مثلا ستون سنة إلا ان يصل رحمه فان وصلها زيد له اربعون سنة وقد علم الله فى الازل ما سيقع من ذلك وهو معنى قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت اى بالنسبة لما يظهر للمخلوقين من تصوير الزيادة واما انقلاب الشقى سعيدا والسعيد شقيا فيتصور فى الظاهر ايضا لان الكافر قد يسلم فينقلب من الشقاوة الى السعادة وكذا العاصى ونحوه وقد يتوب فينقلب من الشقاوة الى السعادة وقد يرتد المسلم والعياذ بالله تعالى فيموت على ردته فينقلب من السعادة الى الشقاوة والاصل فى هذا الاعتبار بالخاتمة عند الموت وما يختم الله به له وهو المراد من علم الله الازلى الذى لا يتغير ولا يتبدل والله اعلم واصل المحو اذهاب اثر الكتابة وضده الاثبات فمن العلماء من حمل الاية على ظاهرها فجعلها عامة فى كل شىء يقتضيه ظاهر اللفظ فيزيد الله ما يشاء فى الرزق والاجل وكذا القول فى السعادة والشقاوة والايمان بالله والكفر ونقل نحو هذا عن عمر وابن مسعود فانهما قالا يمحو السعادة والشقاوة ويمحوا الرزق والاجل ويثبت ما يشاء وروى عن عمر انه كان يطوف بالبيت وهو يبكى ويقول

(وعنده ام الكتاب) أى أصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ الذى لا يبدل ولا يغير وقال عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما هما كتابان كتاب سوى أم الكتاب يمحو منه (٢٤) مايشاء ويثبت وأم الكتاب الذى لا يغير منه شىء وعن عطاء عن ابن عباس قال أن الله تعالى لوحا محفوظا مسيرة خمسمائة عام من درة بيضاء لها دفتان من ياقوت لله فى كل يوم فيه ثلثمائة وستون لحظة يمحو مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وسأل ابن عباس كعبا عن أم الكتاب فقال علم الله ماهو خالق وما خلقه عاملون (وإما نرينك بعض الذى نعدهم) من العذاب قبل وفاتك (أو نتوفينك) قبل ذلك (فانما عليك البلاغ) ليس عليك إلا ذلك (وعلينا الحساب) الجزاء يوم القيامة قوله تعالى (أولم يروا) يعنى أهل مكة الذين يسألون محمدا ﷺ الآيات (انا نأتى الارض ننقصها من أطرافها) أكثر المفسرين على ان المراد منه فتح ديار الشرك فان مازاد فى ديار الاسلام فقد نقص من ديار الاسلام فقد نقص من ديار الشرك يقول أولم يروا انا نأتى الارض ننقصها من اطرافها فنفتحها لمحمد ارضا بعد ارض حوالى ارضهم افلا يعتبرون هذا قول ابن عباس وقتادة وجماعة وقال قوم هو خراب الارض معناه اولم يروا انا نأتى الارض فنخربها ونهلك اهلها افلا يخافون ان نفعل بهم ذلك وقال مجاهد هو خراب الارض وقبض اهلها وعن عكرمة قال قبض الناس وعن الشعبى مثله وقال عطاء وجماعة نقصانها موت العلماء وذهاب الفقهاء اخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحى انبأنا احمد بن عبد الله النعيمى انبأنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسمعيل ثنا اسمعيل بن

فيهما اللهم إن كنت كتبتنى من أهل السعادة فاثبتنى فيها وإن كنت كتبتنى من أهل الشقاوة فامحنى منها واثبتنى فى أهل السعادة والمغفرة فانك تمحو ماتشاء وتثبت وعندك أم الكتاب وروى مثله عن ابن مسعود وقد ورد فى بعض الآثار أن الرجل يكون قد بقى من عمره ثلاثة أيام فيصل رحمه فيمد الى ثلاثين سنة هكذا ذكره البغوى بغير سند وروى بسنده عن أبى الدرداء قال قال رسول الله ﷺ ينزل الله تبارك وتعالى فى ثلاث ساعات بقين من الليل فينظر فى الساعة الأولى منهن فى الكتاب الذى لا ينظر فيه أحد غيره فيمحو مايشاء ويثبت ومن العلماء من حمل معنى الاية على الخصوص فى بعض الأشياء دون بعض فقال المراد بالمحو والإثبات نسخ الحكم المتقدم وإثبات حكم آخر عوضا عن الحكم المتقدم وقيل أن الحفظة يكتبون جميع أعمال بنى آدم وأقوالهم فيمحو الله مايشاء من ديوان الحفظة مالبس فيه ثواب ولا عقاب مثل قول القائل اكلت شربت دخلت خرجت ونحو ذلك من الكلام وهو صادق فيه ويثبت مافيه ثواب وعقاب وهذا قول الضحاك وقال الكلبى يكتب القول كله حتى إذا كان يوم الخميس طرح منه شىء ليس فيه ثواب ولا عقاب وقال ابن عباس هو الرجل يعمل بطاعة الله ثم يعود لمعصية الله فيموت على ضلاله فهو الذى يمحو والذى يثبت هو الرجل يعمل بطاعة الله ثم يموت وهو فى طاعته فهو الذى يثبت وقال الحسن يمحو الله مايشاء يعنى ماجاء أجله فيذهب به ويثبت من لم يجىء أجله وقال سعيد بن جبير يمحو الله مايشاء من ذنوب عباده فيغفرها ويثبت مايشاء منها فلا يغفرها وقال عكرمة يمحو الله مايشاء من الذنوب بالتوبة ويثبت بدل الذنوب حسنات وقال السدى يمحو الله مايشاء يعنى القمر ويثبت الشمس وقال الربيع هذا فى الأرواح يقبضها الله عند النوم فمن أراد موته محاه وأمسكه ومن أراد بقائه أثبته ورده إلى صاحبه وقيل أن الله يثبت فى أول كل سنة حكمها فاذا مضت السنة محاه وأثبت حكما اخر السنة المستقبلة وقيل يمحو الله الدنيا ويثبت الاخرة وقيل هو فى المحن والمصائب فهى مثبتة فى الكتاب ثم يمحوها بالدعاء والصدقة وقيل إن الله يمحو مايشاء ويثبت مايشاء لا اعتراض لأحد عليه يفعل مايشاء ويحكم مايريد * فان قلت مذهب أهل السنة أن المقادير سابقة وقد جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة فكيف يستقيم مع هذا المحو والاثبات * قلت المحو والإثبات مما جف به القلم وسبق به القدر فلا يمحو شيئا ولا يثبت شيئا إلا ماسبق به علمه فى الازل وعليه يترتب القضاء والقدر ﴿مسئلة﴾ استدلت الرافضة على مذهبهم فى البداء بهذه الاية قالوا إن البداء جائز على الله وهو أن يعتقد شيئا ثم يظهر له خلاف ماعتقده وتمسكوا بقوله يمحو الله مايشاء ويثبت والجواب عند هذه المسئلة أن هذا مذهب باطل ظاهر الفساد لأن علم الله قديم أزلى وهو من لوازم ذاته المخصوصة وما كان كذلك كان داخل التغيير والتبديل فيه محالا كذا ذكره الإمام فخر الدين الرازى فى تفسير هذه الاية * وقوله تعالى (وعنده أم الكتاب) يعنى أصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ الذى لا يغير ولا يبدل وسمى اللوح المحفوظ أم الكتاب لأن جميع الأشياء مثبتة فيه ومنه تنسخ الكتب المنزلة وقيل إن العلوم كلها تنسب إليه وتتولد منه قال ابن عباس هما كتابان كتاب يمحو الله منه مايشاء ويثبت مايشاء وأم الكتاب الذى لا يغير شىء منها وروى عطية عن ابن عباس قال إن الله لوحا محفوظا مسيرة خمسمائة عام من درة بيضاء له دفتان من ياقوتة لله فيه كل يوم ثلثمائة وستون لحظة يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وسأل ابن عباس كعبا عن ام الكتاب فقال علم الله ماهو خالق وماخلقه وماهم عاملون (وإما نرينك) يعنى يامحمد (بعض الذين نعدهم) يعنى من العذاب (أو نتوفينك) يعنى قبل أن نريك ذلك (فانما عليك البلاغ) يعنى ليس عليك إلا تبليغ الرسالة إليهم والبلاغ اسم أقيم مقام التبليغ (وعلينا الحساب) يعنى وعلينا أن نحاسبهم يوم القيامة فنجازيهم بأعمالهم * قوله عز وجل (أولم يروا انا نأتى الارض ننقصها من أطرافها) يعنى أولم ير كفار مكة الذين سألوا محمد صلى الله عليه وسلم

الايات أنا نأتي الارض يعني أرض الشرك ننقصها من أطرافها قال أكثر المفسرين المراد منه فتح دار الشرك فان مازاد في دار الاسلام فقد نقص في دار الشرك والمعنى او لم يروا اناناتي الارض فنفتحها لمحمد ﷺ أرضا بعد أرض حوالي أراضيهم أفلا يعتبرون فيتعظون وهذا قول ابن عباس وقتادة وجماعة من المفسرين وذلك أن المفسرين إذا استولوا على بلاد الكفار قهرا وتخريبا كان ذلك نقصانا في ديارهم وزيادة في ديار المسلمين وقوتهم وكان ذلك من أقوى الدلائل على أن الله تعالى ينصر عبده ويعز جنده ويظهر دينه وينجز له ماوعده وقيل هو خراب الارض والمعنى اولم يروا اناناتي الارض فنخربها ونهلك أهلها أفلا يخافون أن نفعل بهم مثل ذلك وقال مجاهد هو خراب الارض وقبض أهلها وعن عكرمة والشعبي ونحوه وهذا القول قريب من الاول وقال عطاء وجماعة من المفسرين نقصانها موت العلماء وذهب الفقهاء (ق) عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس وفي رواية من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا قال الحسن قال عبدالله بن مسعود موت العالم ثلمة في الاسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار وقال عبدالله أيضا عليكم بالعلم قبل أن يقبض ذهاب أهله وقال سليمان لا يزال الناس بخير ما بقي الاول حتى يتعلم الاخر فاذا هلك الاول ولم يتعلم الاخر هلك الناس وقيل لسعيد بن جبير ما علامة هلاك الناس قال هلاك العلماء فعلى هذا القول فالمراد بالاطراف العلماء والاشراف من الناس حكى الجوهري عن ثعلب قال الاطراف الاشراف واستدل الواحدي لهذه اللغة بقول الفرزدق

واسأل بنا وبكم إذا وردت منى * أطراف كل قبيلة من يتبع

قال يريد أشراف كل قبيلة قال الواحدي والتفسير على القول الاول أولى لان هذا وإن صح فلا يليق بهذا الموضع قال الامام فخر الدين الرازي ويمكن ان يقال ايضا أن هذا الوجه لا يليق بهذا الموضع وتقديره ان يقال او لم يروا ان كل مايحدث في الدنيا من الاختلاف خراب بعد عمارة وموت بعد حياة وذل بعد عز ونقص بعد كمال وإذا كانت هذه التغييرات مشاهدة محسوسة فما الذي يؤمنهم ان يقلب الله الامر على هؤلاء الكفرة فيجعلهم ذليلين بعدما كانوا عزيزين ومقهورين بعد أن كانوا قاهرين وعلى هذا الوجه ايضا يجوز إيصال الكلام بما قبله * وقوله تعالى (والله يحكم لا معقب لحكمه) يعني لا راد لحكمه ولا ناقض لقضائه والمعقب هو الذي يعقب غيره بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يعقب غريمه بالاقتضاء والطلب والمعنى والله يحكم نافذا حكمه خاليا من المدافع والمعارض والمنازع لا يتعقب حكمه أحد غيره بتغيير ولا نقض (وهو سريع الحساب) قال ابن عباس يريد سريع الانتقام ممن حاسبه للمجازاة بالخير والشر فمجازاة الكفار بالانتقام منهم ومجازاة المؤمنين بايصال الثواب إليهم وقد تقدم بسط الكلام في معنى سريع الحساب قبل هذا (وقد مكر الذين من قبلهم) يعني من قبل مشركي مكة من الامم الماضية الذين مكروا بانبيائهم والمكر إيصال المكروه إلى الانسان من حيث لا يشعر مثل ما مكر نمرود بابراهيم وفرعون بموسى واليهود بعيسى (فلله المكر جميعا) يعني عند الله جزاء مكرهم وقال الواحدي يعني جميع مكر الماكرين له ومنه اي هو من خلقه وإرادته فالمكر جميعا مخلوق له بيده الخير والشر إليه النفع والضر والمعنى ان المكر لا يضر إلا باذنه وإرادته وفي هذا تسلية للنبي ﷺ وامان له في مكرهم كانه قيل قد فعل من كان قبلهم من الكفار مثل فعلهم وصنعوا مثل صنيعهم فلم يضروا إلا من اراد الله ضره وإذا كان الامر كذلك وجب ان لا يكون الخوف إلا من الله لا من أحد من المخلوقين (يعلم ما تكسب كل نفس) يعني ان جميع اكتساب العباد وتاثيراتها معلومة لله هو خالقها أو خلاف المعلوم ممتنع الوقوع وإذا كان كذلك فكل ما علم وقوعه فهو واجب الوقوع وكل ما علم عدمه كان ممتنع الوقوع وإذا كان كذلك فلا قدرة للعبد على الفعل والترك فكان الكل من الله ولا يحصل ضرر إلا باذنه وإرادته وفيه وعيد للكفار الماكرين (وسيعلم الكفار)

الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم يقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا وقال الحسن قال عبدالله بن مسعود موت العالم ثلمة في الاسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار وقال ابن مسعود رضي الله عنه عليكم بالعلم قبل أن يقبض وقبضه ذهاب أهله وقال علي رضي الله عنه إنما مثل الفقهاء كمثل الاكف إذا قطعت كف لم تعد وقال سليمان لا يزال الناس بخير ما بقي الأول حتى يتعلم الآخر فاذا هلك الأول قبل أن يتعلم الاخر هلك الناس وقيل لسعيد ابن جبير ما علامة هلاك الناس قال هلاك علمائهم (والله يحكم لا معقب لحكمه) لا راد لقضائه ولا ناقض لحكمه (وهو سريع الحساب وقد مكر الذين من قبلهم) يعني من قبل مشركي مكة والمكر إيصال المكروه إلى الانسان من حيث لا يشعر (فلله المكر جميعا) اي عند الله جزاء مكرهم وقيل ان الله خالق مكرهم جميعا بيده الخير والشر وإليه النفع والضر فلا يضر احد احدا إلا

باذنه (يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار) قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو الكافر على التوحيد

وقرأ الاخرون الكفار على الجمع (لمن عقبى الدار) أى عاقبة الدار الاخرة حين يدخلون النار ويدخل المؤمنون الجنة (ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بينى (٢٦) وبينكم) إنى رسول إليكم (ومن عنده علم الكتاب) يريد مؤمنى أهل الكتاب يشهدون أيضا

على التوحيد وقرىء وسيعلم الكفار على الجمع قال ابن عباس يعنى أبا جهل وقيل أراد المستهزئين وهم خمسة نفر من كفار مكة (لمن عقبى الدار) والمعنى أنهم وإن كانوا جهالا بالعواقب فسيعلمون أن العاقبة الحميدة للمؤمنين ولهم العاقبة المذمومة فى الاخرة حين يدخلون النار ويدخل المؤمنون الجنة قوله تعالى (ويقول الذين كفروا لست مرسلا) لما أنكر الكفار كون محمد رسولا من عند الله أمره الله بقوله (قل) أى قل يا محمد لهؤلاء الكفار الذين انكروا نبوتك (كفى بالله شهيدا بينى وبينكم) المراد بشهادة الله على نبوة محمد ﷺ ما اظهر على يديه من المعجزات الباهرات والايات القاهرات الدالة على صدقه وكونه نبيا مرسلا من عند الله (ومن عنده علم الكتاب) يعنى ومن عنده علم الكتاب أيضا يشهد على نبوتك يا محمد وصحتها واختلفوا فى الذى عنده علم الكتاب من هو فروى العوفى عن ابن عباس أنهم علماء اليهود والنصارى والمعنى أن كل من كان عالما من اليهود بالتوراة ومن النصارى بالانجيل علم أن محمدا ﷺ مرسل من الله لما يجد من الدلائل الدالة على نبوته فبما شهد بذلك من شهد به وأنكره من أنكره منهم وقيل أنهم مؤمنوا أهل الكتاب يشهدون أيضا على نبوته قال قتادة هو عبد الله بن سلام وأنكر الشعبى هذا وقال هذه السورة مكية وعبد الله بن سلام أسلم بالمدينة المنورة وقال يونس لسعيد بن جبير ومن عنده علم الكتاب هو عبد الله بن سلام فقال كيف يكون عبد الله بن سلام وهذه السورة مكية وقال الحسن ومجاهد ومن عنده علم الكتاب هو الله تعالى وعلى هذا القول يكون المعنى كفى بالذى يستحق العبادة وبالذى لا يعلم علم ما فى اللوح المحفوظ إلا هو شهيدا بينى وبينكم قال الزجاج الاشبه أن الله لا يشهد على صحة حكمه لغيره وهذا قول مشكل لان عطف الصفة على الموصوف وإن كان جائزا إلا أنه خلاف الأصل فلا يقال شهد بهذا زيد والفقيه بل يقال شهد بهذا زيد الفقيه لكن يشهد هذا القول قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب بكسر الميم والدال وهى قراءة ابن عباس وغيره على البناء للمفعول والمعنى ومن عند الله علم الكتاب ودليل هذه القراءة قوله وعلمناه من لدنا علما وقيل معناه أن من علم أن القرآن الذى جئتكم به معجز ظاهر وبرهان باهر لما فيه من الفصاحة والبلاغة والأخبار عن الغيوب وعن الأمم الماضين فمن علم بهذه الصفة كان شهيدا بينى وبينكم والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة إبراهيم ﷺ وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام ﴾

هى مكية سوى آيتين وهما قوله سبحانه وتعالى ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا إلى آخر الآيتين وهى إحدى وقيل اثنتان وخمسون آية وثمانمائة وإحدى وستون كلمة وثلاثة آلاف وأربعمائة وثلاثون حرفا ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ قوله عز وجل (الر كتاب انزلناه إليك) يعنى هذا كتاب انزلناه إليك يا محمد والكتاب هو القرآن المنزل على محمد ﷺ (لتخرج الناس من الظلمات إلى النور) يعنى بهذا القرآن والمراد من الظلمات الكفر والضلالة والجهل والمراد بالنور الايمان قال الامام فخر الدين الرازى رحمه الله وفيه دليل على أن طرق الكفر والبدع كثيرة وطريق الحق ليس إلا واحدا لأنه تعالى قال لتخرج الناس من الظلمات إلى النور فعبر عن الجهل والكفر والضلال بالظلمات وهى صيغة جمع وعبر عن الايمان والهدى بالنور وهو لفظ مفرد وذلك يدل على أن طرق الكفر والجهل كثيرة وأما طريق العلم والايمان فليس إلا واحد (باذن ربهم) يعنى بأمر ربهم وقيل بعلم ربهم (إلى صراط العزيز الحميد) يعنى إلى دين الاسلام وهو دينه الذى امر به عباده والعزيز هو الغالب الذى لا يغلب والحميد المحمود على كل حال المستحق لجميع المحامد (الله) قرىء بالرفع على الاستئناف وخبره ما بعده وقرأ بالجر نعتا للعزيز الحميد وقال ابو عمرو قراءة الخفض على التقديم والتاخير تقديره إلى صراط الله العزيز الحميد (الذى له ما فى السموات وما فى الارض) يعنى

على ذلك قال قتادة هو عبد الله بن سلام وانكر الشعبى هذا وقال السورة مكية وعبد الله بن سلام أسلم بالمدينة وقال ابو بشر قلت لسعيد بن جبير ومن عنده علم الكتاب اهو عبد الله بن سلام فقال وكيف يكون عبد الله بن سلام وهذه السورة مكية وقال الحسن ومجاهد ومن عنده علم الكتاب هو الله عز وجل يدل عليه قراءة عبد الله بن عباس ومن عنده بكسر الميم والدال اى من عند الله عز وجل وقرأ الحسن وسعيد بن جبير ومن عنده بكسر الميم والدال علم الكتاب على الفعل المجهول دليل هذه القراءة وعلمناه من لدنا علما وقوله الرحمن علم القرآن

(سورة إبراهيم عليه السلام) مكية وهى إحدى وخمسون آية إلا آيتين من قوله تعالى ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا إلى قوله فان مصيركم إلى النار

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (الر كتاب) اى هذا كتاب (انزلناه إليك) يا محمد يعنى القرآن (لتخرج الناس من الظلمات إلى النور) اى لتدعوهم من ظلمات الضلالة إلى نور الايمان (باذن ربهم) بأمر ربهم وقيل بعلم ربهم (إلى صراط العزيز الحميد) أى إلى دينه والعزيز هو الغالب والحميد هو المستحق للحمد (الله) ملكا اقرا بوجعفر ونافع وابن عامر الله بالرفع على الاستئناف وخبره فيما بعده وقرا الاخرون بالخفض نعتا للعزيز الحميد وكان يعقوب إذا وصل خفض وقال ابو عمرو الخفض على التقديم والتأخير تقديره إلى صراط الله العزيز الحميد (الذى له ما فى السموات وما فى الأرض

ملكا وما فيهما عبيده (وويل للكافرين) يعنى الذين تركوا عبادة من يستحق العبادة له ما فى السموات وما فى الارض وعبدوا من لا يملك شيئا البتة بل هو مملوك لله لأنه من جملة خلق الله ومن جملة ما فى السموات وما فى الأرض (عن عذاب شديد) يعنى معدلهم فى الاخرة ثم وصفهم فقال تعالى (الذين يستحبون الحياة الدنيا على الاخرة) يعنى يختارون الحياة الدنيا ويؤثرونها على الاخرة (ويصدون عن سبيل الله) أى ويمنعون الناس عن قبول دين الله (ويبغونها عوجا) يعنى ويطلبون لها زيغا وميلا فحذف الجار واوصل الفعل وقيل معناه يطلبون سبيل الله حائدين عن القصد وقيل الهاء فى يبغونها راجعة إلى الدنيا ومعناه يطلبون الدنيا على طريق الميل عن الحق والميل إلى الحرام (أولئك) يعنى من هذه صفته (فى ضلال بعيد) يعنى عن الحق وقيل يجوز أن يراد فى ضلال بعيد ذى بعد أو فيه بعد لأن الضال يبعد عن الطريق * قوله تعالى (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه) يعنى بلغة قومه ليفهموا عنه ما يدعوهم اليه وهو قوله تعالى (ليبين لهم) يعنى ما يأتون وما يذرون * فان قلت لم يبعث رسول الله ﷺ إلى العرب وحدهم وإنما بعث إلى الناس جميعا بدليل قوله تعالى قل يا أيها الناس إنى رسول الله اليكم جميعا بل هو مبعوث إلى الثقلين الجن والإنس وهم على ألسنة مختلفة ولغات شتى وقوله بلسان قومه وليس قومه سوى العرب يقضى بظاهره انه مبعوث إلى العرب خاصة فكيف يمكن الجمع * قلت بعث رسول الله ﷺ من العرب وبلسانهم والناس تبع للعرب فكان مبعوثا إلى جميع الخلق لانهم تبع للعرب ثم انه يبعث الرسل إلى الأطراف فيترجمون لهم بألسنتهم ويدعونهم إلى الله تعالى بلغاتهم وقيل يحتمل أنه أراد بقومه أهل بلده وفيهم العرب وغير العرب فيدخل معهم من غير جنسهم عموم الدعوى وقيل إن الرسول إذا أرسل بلسان قومه وكانت دعوته خاصة وكان كتابه بلسان قومه كان أقرب لفهمهم عنه وقيام الحجة عليهم فى ذلك فاذا فهموه ونقل عنهم انتشر عنهم علمه وقامت التراجم ببيانه وتفهيمه لمن يحتاج إلى ذلك ممن هو من غير أهله وإذا كان الكتاب بلغة واحدة مع اختلاف الأمم وتباين اللغات كان ذلك أبلغ فى اجتهاد المجتهدين فى تعليم معانيه وتفهيم فوائده وغوامضه وأسراره وعلومه وجميع حدوده وأحكامه وقوله (فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء) يعنى أن الرسول ليس عليه إلا التبليغ والتبيين والله هو الهادى المضل يفعل ما يشاء (وهو العزيز) يعنى الذى يغلب ولا يغلب (الحكيم) فى جميع أفعاله * قوله عز وجل (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) المراد بالايات المعجزات التى جاء بها موسى عليه الصلاة والسلام مثل العصا واليد وفلق البحر وغير ذلك من المعجزات العظيمة الباهرة (أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور) أى أن أخرج قومك بالدعوة من ظلمات الكفر إلى نور الايمان (وذكرهم بايام الله) قال ابن عباس وابى بن كعب ومجاهد وقتادة يعنى بنعم الله وقال مقاتل بوقائع الله فى الامم السالفة يقال فلان عالم بأيام العرب أى بوقائعهم وإنما أراد بما كان فى أيام الله من النعمة والنقمة فأخبر بذكر الأيام عن ذلك لان ذلك كان معلوما عندهم وعلى هذا يكون المعنى عظيم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد والترغيب والوعد أن يذكرهم بما أنعم الله عليهم به من النعمة وعلى من قبلهم ممن آمن بالرسل فيما مضى من الايام والترهيب والوعيد ان يذكرهم بأس الله وشدة انتقامه ممن خالف أمره وكذب رسله وقيل بايام الله فى حق موسى أن يذكر قومه بأيام المحنة والشدة والبلاء حين كانوا تحت أيدى القبط يسومونهم سوء العذاب فخلصهم الله من ذلك وجعلهم ملوكا بعد أن كانوا مملوكين (إن فى ذلك لايات لكل صبار شكور) الصبار الكثير الصبر والشكور الكثير الشكر وإنما خص الشكور والصبور بالاعتبار بالايات وإن كان فيها عبرة للكافة لانهم هم المنتفعون بها دون غيرهم فلهذا خصهم بالايات فكأنها ليست لغيرهم فهو كقوله وهدى للمتقين ولان الانتفاع بالايات لا يمكن حصوله إلا لمن يكون صابرا شاكرا أما من لم يكن كذلك فلا ينتفع بها ألبتة (وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم) لما أمر عز وجل موسى عليه الصلاة والسلام أن يذكر قومه بأيام الله امتثل ذلك الامر وذكرهم بأيام الله فقال اذكروا

الناس عن قبول دين الله (ويبغونها عوجا) يطلبونها زيغا وميلا يريد يطلبون سبيل الله جائرين عن القصد وقيل الهاء راجعة إلى الدنيا ومعناه يطلبون الدنيا عن طريق الميل عن الحق أى بجهة الحرام (أولئك فى ضلال بعيد) قوله تعالى (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) بلغتهم ليفهموا عنه فان قيل كيف هذا وقد بعث النبى ﷺ إلى كافة الخلق قيل بعث من العرب بلسانهم والناس تبع لهم ثم بث الرسل إلى الأطراف يدعونهم إلى الله عز وجل ويترجمون لهم بألسنتهم (فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وهو العزيز الحكيم ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور) أى من الكفر إلى الايمان بالدعوة (وذكرهم بأيام الله) قال ابن عباس وأبى ابن كعب ومجاهد وقتادة بنعم الله وقال مقاتل بوقائع الله فى الأمم السالفة يقال فلان عالم بأيام العرب أى بوقائعهم وإنما أراد بما كان فى أيام الله من النعمة والمحنة فاجتزأ بذكر الأيام عنها لانها كانت معلومة عندهم (إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور) الصبار الكثير الصبر والشكور الكثير الشكر وأراد لكل مؤمن لان الصبر والشكر من خصال المؤمنين (وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم

إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم) قال الفراء لعله الجالبة لهذا الواو وان الله تعالى أخبرهم ان آل فرعون كانوا يعذبونهم بانواع العذاب غير التذبيح وبالتذبيح وحيث طرح الواو في يذبحون ويقتلون أراد تفسير العذاب الذي كانوا يسومونهم (ويستحيون نساءكم) يتركوهن احياء (وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وإذ تأذن ربكم) اى أعلم يقال اذن وتاذن بمعنى واحد مثل اوعد وتوعد (لئن شكرتم) نعمتي فآمنتم واطعتم (لازيدنكم) في النعمة وقيل الشكر قيد الموجود وصيد المفقود وقيل لئن شكرتم بالطاعة لازيدنكم في الثواب (ولئن كفرتم) نعمتي فجحدتموها ولم تشكروها (إن عذابي لشديد وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد) اى غني عن خلقه حميد محمود في افعاله لانه فيها متفضل وعادل (الم يأتكم نبأ الذين) خبر الذين (من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله) يعني من كان بعد قوم نوح وعاد وثمود روى عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه انه قال بعد ما قرأ هذه الاية كذب النسابون وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال بين ابراهيم وبين عدنان ثلاثون قرنا لا يعلمهم إلا الله تعالى وكان مالك بن انس يكره ان ينسب الانسان نفسه ابا ابا إلى آدم وكذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم اولئك الاباء احد إلا الله عز وجل (جاءتهم رسلهم بالبينات) بالدلالات الواضحات

نعمة الله عليكم (إذ أنجاكم من ال فرعون) اى اذكروا انعام الله عليكم في ذلك الوقت الذي انجاكم فيه من ال فرعون (يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم) * فان قلت قال في سورة البقرة لأن قوله يذبحون بغير واو وقال هنا ويذبحون بزيادة واو فما الفرق * قلت إنما حذفت الواو في سورة البقرة لان قوله يذبحون تفسير لقوله يسومونكم سوء العذاب وفي التفسير لا يحسن ذكر الواو كما تقول جاءني القوم زيد وعمرو إذا أردت تفسير القوم وأما دخول الواو هنا في هذه السورة فلان آل فرعون كانوا يعذبونهم بأنواع من العذاب غير التذبيح وبالتذبيح أيضا فقوله ويذبحون نوع آخر من العذاب لا انه تفسير للعذاب (ويستحيون نساءكم) يعني يتركونهن أحياء (وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) * فان قلت كيف كان فعل آل فرعون بلاء ربهم * قلت تمكينهم وامهالهم حتى فعلوا ما فعلوا بلاء من الله ووجه آخر وهو ان ذلكم إشارة إلى الانجاء وهو بلاء عظيم لأن البلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعا ومنه قوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة وهذا الوجه أولى لأنه موافق لاول الاية وهو قوله اذكروا نعمة الله عليكم * فان قلت هب ان تذبيح الابناء فيه بلاء فكيف يكون استحياء النساء فيه بلاء * قلت كانوا يستحيونهن ويتركونهن تحت ايديهم كالاماء فكان ذلك بلاء (وإذ تأذن ربكم) هذا من جملة ما قال موسى لقومه كأنه قيل اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ربك ومعنى تاذن اذن اى اعلم ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في افعل كأنه قيل واذن ربكم إيذانا بليغا تنتفي عنه الشكوك وتنزاح الشبه والمعنى وإذ تأذن ربكم فقال (لئن شكرتم) يعني يا بني إسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها من النعم بالايمان الخالص والعمل الصالح (لازيدنكم) يعني نعمة إلى نعمة ولاضاعفن لكم ما اتيتكم قيل شكر الموجود صيد المفقود وقيل لئن شكرتم بالطاعة لازيدنكم في الثواب واصل الشكر تصور النعمة وإظهارها وحقيقته الاعتراف بنعمة المنعم مع تعظيمه وتوطين النفس على هذه الطريقة وههنا دقيقة وهي ان العبد إذا اشتغل بمطالعة أقسام نعم الله عز وجل عليه وأنواع فضله وكرمه وإحسانه إليه اشتغل بشكر تلك النعمة وذلك يوجب المزيد وبذلك تتأكد محبة العبد لله عز وجل وهو مقام شريف ومقام أعلى منه وهو أنه يشغله حب المنعم عن الالتفات إلى النعم وهذا مقام الصديقين نسأل الله القيام بواجب شكر النعمة حتى يزيدنا من فضله وكرمه وإحسانه وانعامه وقوله (ولئن كفرتم) المراد بالكفر ههنا كفران النعمة وهو جحودها لانه مذكور في مقابلة الشكر (إن عذابي لشديد) يعني لمن كفر نعمتي ولا يشكرها (وقال موسى تكفروا) يعني يا بني إسرائيل (انتم ومن في الارض جميعا) يعني والناس كلهم جميعا فانما ضرر ذلك يعود على انفسكم بحرمانها الخير كله (فان الله لغني) يعني عن جميع خلقه (حميد) اى محمود في جميع افعاله لانه متفضل وعادل (ألم يأتكم نبأ) يعني خبر (الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود) قال بعض المفسرين يحتمل أن يكون هذا خطابا من موسى لقومه والمقصود منه انه عليه الصلاة والسلام كان يخوفهم بهلاك من تقدم من الامم ويحتمل ان يكون خطابا من الله تعالى على لسان موسى عليه الصلاة والسلام يذكرهم بذلك أمر القرون لقومه والمقصود منه انه عليه الصلاة والسلام يذكرهم بأمر القرون الماضية والامم الخالية والمقصود منه حصول العبرة باحوال من تقدم وهلاكهم (والذين من بعدهم) يعني من بعد هؤلاء الامم الثلاثة (لا يعلمهم إلا الله) يعني لا يعلم كنه مقاديرهم وعددهم إلا الله لان علمه محيط بكل شيء ألا يعلم من خلق وقيل المراد بقوله والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله اقوام وامم ما بلغنا خبرهم أصلا ومنه قوله وقرونا بين ذلك كثيرا وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الاية يقول كذب النسابون يعني انهم يدعون علم النسب إلى آدم وقد نفى الله علم ذلك عن العباد وعن عبد الله بن عباس انه قال بين ابرهيم وعدنان ثلاثون قرنا لا يعلمهم إلا الله وكان مالك بن انس يكره ان ينسب الإنسان نفسه ابا ابا إلى آدم لانه لا يعلم اولئك الاباء إلا الله * وقوله تعالى (جاءتهم رسلهم بالبينات) يعني بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات

(فردوا

(فردوا أيديهم فى أفواههم) قال ابن مسعود عضوا على أيديهم غيظا كما قال عضوا عليكم الانامل من الغيظ قال ابن عباس لما سمعوا كتاب الله عجبوا ورجعوا بأيديهم إلى أفواههم قال مجاهد وقتادة كذبوا الرسل وردوا ماجاؤا به (٢٩) يقال رددت قول فلان فى فيه أى

(فردوا أيديهم فى أفواههم) وفى معنى الايدى والافواه قولان أحدهما أن المراد بهما هاتان الجارحتان المعلومتان ثم فى معنى ذلك وجوه قال ابن مسعود عضوا ايديهم غيظا وقال ابن عباس لما سمعوا كتاب الله عجبوا ورجعوا بأيديهم إلى أفواههم وقال مجاهد وقتادة كذبوا الرسل وردوا ماجاؤا به يقال رددت قول فلان فيه اى كذبته وقال الكلبى يعنى أن الامم ردوا أيديهم إلى أفواه أنفسهم يعنى أنهم وضعوا الايدى على الأفواه إشارة منهم إلى الرسل ان اسكتوا وقال مقاتل ردوا أيديهم على أفواه الرسل يسكتونهم بذلك وقيل ان الامم لما سمعوا كلام الرسل عجبوا منه وضحكوا على سبيل السخرية فعند ذلك ردوا أيديهم فى أفواههم كما يفعل الذى غلبه الضحك القول الثانى إن المراد بالايدى والافواه غير الجارحتين فقيل المراد بالايدى النعم ومعناه ردوا مالو قبلوه لكان نعمة عليهم يقال لفلان عندى يداى نعمة والمراد بالافواه وتكذيبهم الرسل والمعنى كذبوهم بأفواههم وردوا قولهم وقيل انهم كفوا عن قبول ما أمروا بقبوله من الحق ولم يؤمنوا به يقال فلان رد يده إلى فيه إذا أمسك عن الجواب فلم يجب وهذا القول فيه بعد لأنهم قد أجابوا بالتكذيب وهو أن الامم ردوا على رسلهم (وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به) يعنى إنا كفرنا بما زعمتم إن الله أرسلكم به لأنهم لم يقروا بأنهم أرسلوا إليهم لأنهم لو أقروا بأن الرسل أرسلوا اليهم لكانوا مؤمنين (وانا لفى شك مما تدعوننا اليه مريب) يعنى يوجب الريبة او يوقع فى الريبة والتهمة والريبة قلق النفس والا تطمئن الى الامر الذى يشك فيه * فان قلت انهم قالوا اولا انا كفرنا بما ارسلتم به فكيف يقولون ثانيا وإنا لفى شك والشك دون الكفر أو داخل فيه * قلت انهم لما صرحوا بكفرهم بالرسل فكأنهم حصل لهم شبهة توجب لهم الشك فقالوا إن لم ندع الجزم فى كفرنا فلا اقل من ان نكون شاكين مرتابين فى ذلك (قالت رسلهم) يعنى مجيبين لأممهم (أفى الله شك) يعنى هل تشكون فى الله وهو استفهام إلى إنكار ونفى لما اعتقدوه (فاطر السموات والارض) يعنى وهل تشكون فى كونه خالق السموات والارض وخالق جميع ما فيهما (يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم) يعنى ليغفر لكم ذنوبكم إذا امنتم وصدقتم وحرف من صلة وقيل انها أصل ليست بصلة وعلى هذا انه يغفر لهم ما بينهم وبينه من الكفر والمعاصى دون مظالم العباد (ويؤخركم إلى أجل مسمى) يعنى إلى حين انقضاء اجالكم فلا يعاجلكم بالعذاب (قالوا) يعنى الأمم مجيبين للرسل (ان انتم) يعنى ما انتم (الا بشر مثلنا) يعنى فى الصورة الظاهرة لستم ملائكة (تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا) يعنى ما تريدون بقولكم هذا الا صدنا عن الهتنا التى كان اباؤنا يعبدونها (فاتونا بسلطان مبين) يعنى حجة بينة واضحة على صحة دعواكم (قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم) يعنى ان الكفار لما قالوا لرسلهم ان أنتم الا بشر مثلنا قالت لهم رسلهم مجيبين لهم هذ الامر كما قلتم ووصفتم فنحن بشر مثلكم لا ننكر ذلك (ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) يعنى بالنبوة والرسالة فيصطفى من يشاء من عباده لهذا المنصب العظيم الشريف (وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله) يعنى وليس لنا ما خصنا الله به من النبوة وشرفنا به من الرسالة ان نأتيكم بآية وبرهان ومعجزة تدل على صدقنا الا باذن الله لنا فى ذلك (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) يعنى فى دفع شروراعدائهم عنهم (ومالنا الا نتوكل على الله) يعنى ان الانبياء قالوا ايضا قد عرفنا انه لا يصيبنا شىء الا بقضاء الله وقدره فنحن نثق به ونتوكل عليه فى دفع شروركم عنا (وقد هدانا سبلنا) يعنى وقد عرفنا طريق النجاة وبين لنا الرشد (ولنصبرن) اللام لام القسم تقديره والله لنصبرن (على ما اذيتمونا) يعنى به من قول او فعل (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) * فان قلت كيف كرر الامر بالتوكل وهل من فرق بين التوكلين * قلت نعم التوكل الأول فيه اشارة الى استحداث التوكل

كذبته وقال الكلبى يعنى ان الامم ردوا أيديهم فى أفواههم أى فى افواه أنفسهم اى وضعوا الايدى على الأفواه اشارة إلى الرسل ان اسكتوا وقال مقاتل فردوا أيديهم على افواه الرسل يسكتونهم بذلك وقيل ان الايدى بمعنى النعم معناه ردوا مالو قبلوا كانت أيادى ونعما فى أفواههم أى بأفواههم يعنى بألسنتهم (وقالوا) يعنى الامم للرسل (انا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفى شك مما تدعونا اليه مريب) موجب للريبة موقع للتهمة (قالت رسلهم أفى الله شك هذا استفهام بمعنى نفى ما اعتقدوه (فاطر السموات والارض) خالقهما (يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم) اى ذنوبكم ومن صلة (ويؤخركم إلى أجل مسمى) إلى حين استيفاء آجالكم فلا يعاقبكم بالعذاب (قالوا) للرسل (ان أنتم) إلا بشر مثلنا) فى الصورة والجسم ولستم ملائكة وإنما (تريدون) بقولكم (أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين) حجة بينة على صحة دعواكم (قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) بالنبوة والحكمة (وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان إلا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ومالنا الا نتوكل على الله) وقد عرفنا ان لا ننال شيئا الا بقضائه وقدره (وقد هدانا سبلنا) بين لنا الرشد وبصرنا طريق النجاة (ولنصبرن) اللام لام القسم مجازا والله لنصبرن (على ما اذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون

وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن إلى ملتنا) يعنون ألا ترجعوا وحتى ترجعوا إلى ديننا (فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم اى بعدهلاكهم (ذلك لمن خاف مقامى) اى خاف قيامه بين يدى كما قال ولمن خاف مقام ربه جنتان فاضاف قيام العبد إلى نفسه كما تقول ندمت على ضربك أى على ضربى إياك (وخاف وعيد) اى عقابى قوله (واستفتحوا) اى استنصروا قال ابن عباس ومقاتل يعنى الامم وذلك انهم قالوا اللهم إن كان هؤلاء الرسل صادقين فعذبنا نظيره قوله تعالى وإذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء وقال مجاهد وقتادة واستفتحوا يعنى الرسل وذلك أنهم لما يئسوا من إيمان قومهم استنصروا الله ودعوا على قومهم بالعذاب كما قال نوح رب لا تذر على الارض من (٣٠) الكافرين ديارا وقال موسى ربنا أطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم الاية (وخاب) خسر وقيل هلك (كل جبار عنيد) والجبار الذى لا يرى فوقه احد والجبرية طلب العلو بما لا غاية وراءه وهذا الوصف لا يكون إلا لله عز وجل وقيل الجبار الذى يجبر الخلق على مراده والعنيد المعاند للحق ومجانبه قاله مجاهد وعن ابن عباس هو المعرض عن الحق وقال مقاتل هو المتكبر وقال قتادة العنيد الذى أبى ان يقول لا اله الا الله (من ورائه جهنم) اى امامه كقوله تعالى وكان وراءهم ملك اى أمامهم قال ابو عبيدة هو من الاضداد وقال الاخفش هو كما يقال هذا الامر من ورائك يريد أنه سيأتيك وانا من وراء فلان يعنى اصل اليه وقال مقاتل من ورائه جهنم اى بعده (ويسقى من ماء صديد) اى من ماء هو صديد وهو ما يسيل من ابدان الكفار من القيح والدم وقال محمد بن كعب ما يسيل من فروج الزناة يسقاه الكافر (يتجرعه) اى يتحساه ويشربه لا بمرة واحدة بل جرعة جرعة لمرارته وحرارته (لا يكاد يسيغه) يكاد صلة اى لا يسيغه كقوله تعالى لم يكد يراها اى لم يرها قال ابن عباس لا يجيزه وقيل معناه قال يكاد لا يسيغه ويسيغه فيغلى فى جوفه اخبرنا محمد بن عبد الله بن ابى توبة انا محمد بن توبة انا محمد بن احمد بن الحارث أنبانا محمد بن يعقوب الكسائى انا عبد الله بن محمود أنا ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن صفوان بن عمرو عن عبد الله بن بشر عن ابى امامة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله ويسقى من ماء صديد يتجرعه قال يعقوب إلى فيه فيكرهه فاذا ادنى منه شوى وجهه ووقعت فروة راسه فاذا شربه قطع امعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله عز وجل وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم ويقول وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه

والتوكل الثانى فيه إشارة إلى السعى فى التثبيت على ما استحدثوا من توكلهم وإبقائه وإدامته فحصل الفرق بين التوكلين * قوله تعالى (وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن فى ملتنا) يعنى ليكونن احد الأمرين إما اخراجكم أيها الرسل من بلادنا وأرضنا وإما عودكم إلى ملتنا * فان قلت هذا يوهم بظاهره انهم كانوا على ملتهم فى اول الامر حتى يعودوا فيها قلت معاذ الله ولكن العود هنا بمعنى الصيرورة وهو كثير فى كلام العرب وفيه وجه اخر وهو أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبل الرسالة لم يظهروا خلاف أممهم فلما أرسلوا إليهم أظهروا مخالفتهم ودعاهم الله فقالوا لهم لتعودن إلى ملتنا ظنا منهم أنهم كانوا على ملتهم ثم خالفوهم واجماع الامة على ان الرسل من أول الامر إنما نشؤا على التوحيد لا يعرفون غيره (فاوحى اليهم ربهم) يعنى أن الله تعالى أوحى إلى رسله وأنبيائه بعد هذه المخاطبات والمحاورات (لنهلكن الظالمين) يعنى أن عاقبة امرهم إلى الهلاك فلا تخالفوهم (ولنسكننكم الارض من بعدهم) يعنى من بعد هلاكهم (ذلك) يعنى ذلك الاسكان (لمن خاف مقامى) يعنى خاف مقامه بين يدى يوم القيامة فأضاف قيام العبد إلى نفسه لأن العرب قد تضيف افعالها إلى انفسها كقولهم ندمت على ضربى اياك وندمت على ضرب مثله (وخاف وعيد) اى وخاف عذابى * وقوله عز وجل (واستفتحوا) يعنى واستنصروا وقال ابن عباس يعنى الأمم وذلك انهم قالوا اللهم ان كان هؤلاء الرسل صادقين فعذبنا وقال مجاهد وقتادة واستفتح الرسل على امهم وذلك انهم لما أيسوا من إيمان قومهم استنصروا الله ودعوا على قومهم بالعذاب (وخاب) يعنى وخسر وقيل هلك (كل جبار عنيد) والجبار فى صفة الانسان يقال لمن تجبر بنفسه بادعاء منزلة عالية لا يستحقها وهو صفة ذم فى صفة الانسان وقيل الجبار الذى لا يرى فوقه أحد وقيل الجبار المتعظم فى نفسه المتكبر على اقرانه والعنيد المعاند للحق ومجانبه قال مجاهد وقال ابن عباس هو المعرض عن الحق وقال مقاتل هو المتكبر وقال قتادة هو الذى يأبى أن يقول لا إله إلا الله وقيل العنيد هو المعجب بما عنده وقيل العنيد الذى يعاند ويخالف (من ورائه جهنم) يعنى هى أمامه وهو صائر إليها وقال أبو عبيدة هو من الاضداد يعنى انه يقال وراء بمعنى خلف وبمعنى أمام وقال الأخفش هو يقال هذا الامر من ورائك يعنى أنه سيأتيك (ويسقى) يعنى فى جهنم (من ماء صديد) وهو ما سال من الجلد واللحم من القيح جعل ذلك شراب أهل النار وقال محمد بن كعب القرظى هو ما يسيل من فروج الزناة يسقاه الكافر وهو قوله (يتجرعه) أى يتحساه ويشربه لا بمرة واحدة بل جرعة بعد جرعة لمرارته وحرارته ونتنه (ولا يكاد يسيغه) أى لا يقدر على ابتلاعه يقال ساغ الشراب فى الحلق إذا سهل انحداره فيه قال بعض المفسرين أن يكاد صلة والمعنى يتجرعه ولا يسيغه وقال صاحب الكشاف دخلت يكاد للمبالغة يعنى ولا يقارب ان يسيغه فكيف تكون الاساغة وقال بعضهم ولا يكاد يسيغه أى يسيغه بعد إبطاء لأن العرب تقول ما كدت أقوم اى قمت بعد إبطاء فعلى هذا كاد على أصلها وليست بصلة وقال ابن عباس معناه لا يجيزه وقيل معناه يكاد لا يسيغه ويسيغه فيغلى فى جوفه عن ابى أمامة رضى الله تعالى عنه قال

(ويأتيه الموت من كل مكان) يعني يجدهم الموت والمه من من كل مكان من أعضائه قال إبراهيم التيمي حتى من تحت كل شعرة من جسده وقيل يأتيه الموت من قدامه ومن خلفه ومن فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله (وماهو بميت) فيستريح قال ابن جريج تعلق بنفسه عند حنجرته ولا تخرج من فيه فيموت ولا ترجع إلى مكانها من جوفه فتنفعه الحياة نظيرها لا يموت فيها ولا يحيى (ومن ورائه) امامه (عذاب غليظ) شديد وقيل العذاب الغليظ الخلود في النار (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم) يعني مثل اعمال الذين كفروا بربهم كقوله تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة اى ترى وجوه الذين كذبوا على الله مسودة (كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف) وصف اليوم بالعصوف والعصوف من صفة الريح لان الريح تكون فيه كما يقال يوم حار ويوم بارد لان الحر والبرد فيه وقيل معناه في يوم عاصف الريح فحذف الريح لانها قد ذكرت من قبل وهذا مثل ضربه الله لأعمال الكفار يريد انهم لا ينتفعون بأعمالهم التي عملوها في الدنيا لانهم اشركوا فيها غير الله كالرماد الذي ذرته الريح لا ينتفع به فذلك قوله تعالى (لا يقدرون) يعني الكفار (مما كسبوا) في الدنيا (على شيء) في الاخرة (ذلك هو الضلال البعيد الم تر ان الله خلق السموات والأرض) قرأ حمزة والكسائي خالق السموات والأرض وفي سورة النور خالق كل دابة مضافا وقرأ الاخرون خلق على الماضي والارض وكل بالنصب (بالحق) أي لم يخلقهما باطلا وإنما خلقهما لامر عظيم (إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) سواكم اطوع لله منكم (وما ذلك على الله بعزيز) منيع شديد يعني ان الاشياء تسهل في القدرة لا يصعب على الله شيء وإن جل وعظم

قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى ويسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب إلى فيه فيكرهه فاذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة راسه فاذا شربه قطع امعاءه حتى تخرج من دبره قال وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم وقال وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا اخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله وقعت فروة رأسه أي جلدة رأسه وإنما شبهها بالفروة للشعر الذي عليها * وقوله تعالى (ويأتيه الموت من كل مكان وماهو بميت) يعني ان الكافر يجد الم الموت وشدته من كل مكان من أعضائه وقال ابراهيم التيمي حتى من تحت كل شعرة من جسده وقيل يأتيه الموت من قدامه ومن خلفه ومن فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله وماهو بميت فيستريح وقال ابن جريج تعلق نفسه عند حنجرته فلا تخرج من فيه فيموت ولا ترجع إلى مكانها من جوفه فتنفعه الحياة (ومن ورائه) يعني امامه (عذاب غليظ) أي شديد قيل هو الخلود في النار * قوله تعالى (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف) هذا كلام مستانف منقطع عما قبله وهو مبتدا محذوف الخبر عند سيبويه تقديره فيما نقص او فيما يتلى عليكم مثل الذين كفروا والمثل مستعار للقصة التي فيها غرابة وقولنا أعمالهم كرماد جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقال أعمالهم كرماد وقال المفسرون والفراء مثل اعمال الذين كفروا بربهم فحذف المضاف اعتمادا على ماذكره بعد المضاف اليه وقيل يحتمل ان يكون المعنى صفة الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد كقولك في صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول والرماد معروف وما يسقط من الحطب والفحم بعد إحراقه بالنار اشتدت به الريح يعني فنسفته وطيرته ولم تبق منه شيئا في يوم عاصف وصف اليوم بالعصوف والعصوف من صفة الريح لان الريح تكون فيه كقولك يوم باردو حار وليلة ماطرة لان الحر والبرد والمطر توجد فيهما وقيل معناه في يوم عاصف الريح فحذف الريح لانه قد تقدم ذكرها وهذا مثل ضربه الله تعالى لأعمال الكفار التي لم ينتفعوا بها ووجه المشابهة بين هذا المثل وبين هذه الأعمال هو ان الريح العاصف تطير الرماد وتذهب به وتفرق اجزاءه بحيث لا يبقى منها شيء وكذلك اعمال الكفار تبطل وتذهب بسبب كفرهم وشركهم حتى لا يبقى منها شيء ثم اختلفوا في هذه الاعمال ماهي فقيل هي ماعملوه من اعمال الخير في حال الكفر كالصدقة وصلة الارحام وفك الاسير واقراء الضيف وبر الوالدين ونحو ذلك من اعمال البر والصلاح فهذه الاعمال وان كانت اعمال بر لكنها لا تنفع صاحبها يوم القيامة بسبب كفره لان كفره احبطها وابطلها كلها وقيل المراد بالاعمال عبادتهم الاصنام التي ظنوا انها تنفعهم فبطلت وحبطت ولم تنفعهم البتة ووجه خسرانهم انهم اتعبوا ابدانهم في الدهر الطويل لكي ينتفعوا بها فصارت وبالا عليهم وقيل اراد بالأعمال الاعمال التي عملوها في الدنيا واشركوا فيها غير الله فانها لا تنفعهم لانها صارت كالرماد الذي ذرته الريح وصار هباء لا ينتفع به وهو قوله تعالى (لا يقدرون مما كسبوا) يعني في الدنيا (على شيء) يعني من تلك الاعمال والمعنى انهم لا يجدون ثواب اعمالهم في الاخرة (ذلك هو الضلال البعيد) يعني ذلك الخسران الكبير لان اعمالهم ضلت وهلكت فلا يرجى عودها والبعيد هنا الذي لا يرجى عوده (الم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق) يعني لم يخلقهما باطلا ولا عبثا وإنما خلقهما لامر عظيم وغرض صحيح (إن يشأ يذهبكم) يعني أيها الناس (ويأت بخلق جديد) يعني سواكم اطوع لله منكم والمعنى ان الذي قدر على خلق السموات والارض قادر على افناء قوم وإماتتهم وإيجاد خلق اخر سواهم لأن القادر لا يصعب عليه شيء وقيل هذا خطاب لكفار مكة يريد يمتكم يامعشر الكفار ويخلق قوما غيركم خيرا منكم واطوع (وما ذلك على الله بعزيز) يعني بممتنع لان الاشياء كلها سهلة على الله

قوله تعالى (وبرزوا لله جميعا) أى خرجوا من قبورهم إلى الله وظهروا جميعا (فقال الضعفاء) يعنى الاتباع (للذين استكبروا) أى تكبروا على الناس وهم القادة والرؤساء (إنا كنا لكم تبعا) جمع تابع مثل حرس وحارس (فهل انتم مغنون) دافعون (عنا من عذاب الله من شىء قالوا) يعنى القادة للمتبوعين (لو هدانا الله لهديناكم) أى لو هدانا الله لدعوناكم إلى الهدى فلما أضلنا دعوناكم إلى الضلالة (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص) مهرب ولا منجا قال مقاتل يقولون فى النار تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم الجزع ثم يقولون تعالوا نصبر فيصبرون خمسمائة عام فلا ينفعهم الصبر فحينئذ يقولون سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص قال محمد بن كعب القرظى بلغنى ان اهل النار يستغيثون بالخزنة كما قال تعالى وقال الذين فى النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فردت الخزنة عليهم اولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قردت الخزنة عليهم ادعوا وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال فلما يئسوا مما عند الخزنة نادوا يا مالك ليقض علينا ربك سالوا الموت فلا يجيبهم ثمانين (٣٢) سنة والسنة ثلاثمائة وستون يوما واليوم كالف سنة مما تعدون ثم لحظ اليهم بعد الثمانين انكم ماكثون فلما ايسوا مما قبله قال بعضهم لبعض انه قد نزل بكم من البلاء ما ترون فهلموا فلنصبر فلعل الصبر ينفعنا كما صبر اهل الدنيا على طاعة الله فنفعهم فاجمعوا على الصبر فطال صبرهم ثم جزعوا فطال جزعهم فنادوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص اى من منجا قال فقام إبليس عند ذلك فخطبهم وذلك قوله تعالى وقال الشيطان لما قضى الامر إن الله وعدكم وعد الحق الاية فلما سمعوا مقالته مقتوا انفسهم فنودوا لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون إلى الايمان فتكفرون قال فنودوا الثانية فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون فردعليهم ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها الايات فنادوا الثالثة ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل فردعليهم أولم تكونوا أقسمتم منقطع من قبل ما لكم من زوال الايات ثم نادوا الرابعة ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل فردعليهم الم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير الاية قال فمكث عليهم ما شاء الله ثم ناداهم الم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون فلما سمعوا ذلك قالوا الآن رحمنا فقالوا عند ذلك ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال عند ذلك اخسؤا فيها ولا تكلمون فانقطع عند ذلك الرجاء والدعاء عنهم فاقبل بعضهم على بعض ينفخ بعضهم فى وجوه بعض واطبقت عليهم النار قوله تعالى (وقال الشيطان) يعنى إبليس (لما قضى الامر) اى فرغ منه فادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار وقال مقاتل يوضع له منبر فى النار فيراه فيجتمع عليه الكفار بالأئمة فيقول لهم (إن الله وعدكم وعد الحق) فوفى لكم به (ووعدتكم فاخلفتكم) وقيل يقول لهم قلت لكم لا بعث ولا جنة ولا نار (وما كان لى عليكم من سلطان) ولاية وقيل لم اتكم بحجة فيما دعوتكم اليه (إلا ان دعوتكم) هذا استثناء منقطع معناه ولكن دعوتكم

وإن جلت وعظمت * قوله عز وجل (وبرزوا لله جميعا) يعنى وخرجوا من قبورهم إلى الله ليحاسبهم ويجازيهم على قدر اعمالهم والبراز الفضاء وبرز حصل فى البروذلك ان يظهر بذاته كلها والمعنى وخرجوا من قبورهم وظهروا إلى الفضاء واورد بلفظ الماضى وإن كان معناه الاستقبال لان كل ما اخبر الله عنه فهو حق وصدق وكائن لا محالة فصار كانه قد حصل ودخل فى الوجود (فقال الضعفاء) يعنى الاتباع (للذين استكبروا) وهم القادة والرؤساء (إنا كنا لكم تبعا) يعنى فى الدين والاعتقاد (فهل انتم) يعنى فى هذا اليوم (مغنون عنا) يعنى دافعون عنا (من عذاب الله من شىء) من هنا للتبعيض والمعنى هل تقدرون على ان تدفعوا عنا بعض عذاب الله الذى حل بنا (قالوا) يعنى الرؤساء والقادة والمتبوعين للتابعين (لو هدانا الله لهديناكم) يعنى لو ارشدنا الله لارشدناكم ودعوناكم إلى الهدى ولكن لما اضلنا دعوناكم إلى الضلالة (سواء علينا اجزعنا ام صبرنا) يعنى مستويان علينا الجزع والصبر والجزع ابلغ من الحزن لانه يصرف الانسان عما هو بصدده ويقطعه عنه (ما لنا من محيص) يعنى من مهرب ولا منجاة مما نحن فيه من العذاب قال مقاتل يقولون فى النار تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم الجزع فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون خمسمائة عام فلا ينفعهم الصبر فعند ذلك يقولون سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقال محمد بن كعب القرظى بلغنى ان اهل النار يستغيثون بالخزنة كما قال الله وقال الذين فى النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فردت الخزنة عليهم وقالوا الم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى فردت الخزنة وقالوا ادعوا وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال فلما يئسوا مما عند الخزنة نادوا يا مالك ليقض علينا ربك سالوا الموت فلا يجيبهم ثمانين سنة والسنة ثلثمائة وستون يوما واليوم كالف سنة مما تعدون ثم يجيبهم بقوله إنكم ماكثون فلما يئسوا مما عنده قال بعضهم لبعض تعالوا فلنصبر كما صبر اهل الطاعة لعل ذلك ينفعنا فصبروا وطال صبرهم فلم ينفعهم وجزعوا فلم ينفعهم عند ذلك قالوا سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص * قوله تعالى (وقال الشيطان) يعنى إبليس (لما قضى الامر) يعنى لما فرغ منه وادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار ياخذ اهل النار فى لوم إبليس وتقريعه وتوبيخه فيقوم فيها خطيبا قال مقاتل يوضع له منبر فى النار فيجتمع عليه اهل النار يلومونه فيقول لهم ما اخبر الله عنه بقوله (إن الله وعدكم وعد الحق) فيه اضمار تقديره فصدق فى وعده (ووعدتكم فاخلفتكم) يعنى الوعد وقيل يقول لهم إنى قلت لكم لا بعث ولا جنة ولا نار (وما كان لى عليكم من سلطان) يعنى من ولاية وقهر وقيل لم آتيكم بحجة فيما وعدتكم به (إلا ان دعوتكم) هذا استثناء

فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم) باجابتى ومتابعتى من غير سلطان ولا برهان (ما أنا بمصرخكم) بمغيثكم (وما أنتم بمصرخى) بمغيثى قرأ الأعمش وحمزة بمصرخى بكسر الياء والاخرون بالنصب لاجل التضعيف ومن كسر فالتقاء الساكنين حركت إلى الكسر لان الياء اخت الكسرة وأهل النحو لم يرضوه وقيل أنه لغة بنى يربوع والاصل بمصرخينى فذهبت النون (٣٣) لاجل الاضافة وادغمت ياء الجماعة فى ياء الاضافة (إنى كفرت بما اشركتمون من قبل) أى كفرت بجعلكم إياى شريكا فى عبادته وتبرات من ذلك (ان الظالمين) الكافرين (لهم عذاب اليم) أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبى نوبة انبانا محمد بن أحمد الحارث انبأنا محمد بن يعقوب الكسائى انبانا عبد الله بن محمود ثنا ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن رشيد بن سعد اخبرنى عبد الرحمن بن زياد عن دخين الحجرى عن عقبة بن عامر عن رسول الله ﷺ فى حديث الشفاعة ذكر الحديث ثم قال يقول عيسى عليه السلام ذلكم النبى الامى فيأتونى فيأذن الله لى ان اقوم فيثور من مجلسى اطيب ريح شمها أحد حتى اتى ربى عز وجل فيشفعنى ويجعل لى نورا من شعر رأسى إلى ظهر قدمى ثم يقول الكفار قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فمن يشفع لنا فيقولون ماهو غير ابليس هو الذى اضلنا فيأتونه فيقولون له قد وجد المؤمنين من يشفع لهم فقم أنت فاشفع لنا فانك أنت اضللتنا فيقوم فيثور من مجلسه انتن ريح شمها احد ثم تعظم جهنم ويقول عند ذلك إن الله وعدكم وعد الحق الاية * وقوله تعالى (وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار) لما شرح الله عز وجل حال الكفار الأشقياء بما تقدم من الايات الكثيرة شرح أحوال المؤمنين السعداء وما أعدلهم فى الآخرة من الثواب العظيم والأجر الجزيل وذلك أن الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم والمنفعة الخالصة الها الاشارة بقوله وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار وكونها دائمة أشير اليه بقوله (خالدين فيها) والتعظيم حصل من وجهين أحدهما قوله (باذن ربهم) لان تلك المنافع إنما كانت تفضلا من الله بانعامه الثانى قوله (تحيتهم فيها سلام) فيحتمل أن بعضهم يحيى بعضا بهذه الكلمة أو الملائكة تحييهم بها أو الرب سبحانه وتعالى يحييهم ويحتمل أن يكون المراد أنهم لما دخلوا الجنة سلموا من جميع الآفات لأن السلام مشتق من السلامة * قوله عز وجل (ألم تر كيف ضرب الله مثلا) لما شرح الله عز وجل أحوال الأشقياء وأحوال السعداء ضرب مثلا فيه حكم هذين القسمين فقال تعالى ألم تر اى بعين قلبك فتعلم علم يقين باعلامى إياك فعلى هذا يحتمل ان يكون الخطاب فيه للنبى ﷺ ويدخل معه غيره فيه ويحتمل أن يكون الخطاب فيه لكل فرد من الناس فيكون المعنى ألم تر أيها الانسان كيف ضرب الله مثلا يعنى بين شبها والمثل عبارة عن قول فى شىء يشبه قولا فى شىء آخر بينهما مشابهة ليتبين أحدهما من الاخر ويتصور وقيل هو قول سائر لتشبيه شىء بشىء آخر (كلمة طيبة) هى قول لا إله إلا الله فى قول ابن عباس وجمهور من المفسرين (كشجرة طيبة) يعنى كشجرة طيبة الثمرة قال ابن عباس هى النخلة وبه قال ابن مسعود وانس ومجاهد وعكرمة والضحاك (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كنا عند رسول الله ﷺ فقال أخبرونى عن شجرة شبه الرجل او قال كالرجل المسلم لا يتحات ورقها تؤتى اكلها كل حين قال ابن عمر فوقع فى نفسى انها النخلة ورايت ابا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت ان اتكلم فلما لم يقولوا شيئا قال رسول الله ﷺ هى النخلة قال فلما قمنا قلت لعمر يا ابتاه والله لقد كان وقع فى نفسى انها النخلة فقال ما منعك ان تتكلم فقلت لم اركم تتكلمون فكرهت ان اتكلم او اقول شيئا قال عمر لان تكون قلتها احب إلى من كذا وكذا وفى رواية ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وانها مثل المسلم فحدثونى ماهى فوقع الناس فى شجر البوادى قال

منقطع معناه لكن دعوتكم (فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم) يعنى ما كان منى إلا الدعاء والقاء الوسوسة وقد سمعتم دلائل الله وجاءتكم الرسل فكان من الواجب عليكم ان لا تلتفتوا إلى ولا تسمعوا قولى فلما رجحتم قولى على الدلائل الظاهرة كان اللوم بكم أولى باجابتى ومتابعتى من غير حجة ولا دليل (ما أنا بمصرخكم) يعنى بمغيثكم ولا منقذكم (وما أنتم بمصرخى) يعنى بمغيثى ولا منقذى مما أنا فيه (إنى كفرت بما اشركتمون من قبل) يعنى كفرت بجعلكم إياى شريكا له فى عبادته وتبرأت من ذلك والمعنى ان ابليس جحد ما يعتقده الكفار فيه من كونه شريكا لله وتبرأ من ذلك (إن الظالمين لهم عذاب اليم) روى البغوى بسنده عن عقبة بن عامر عن النبى ﷺ فى حديث الشفاعة وذكر الحديث إلى قوله فيأتون فيأذن الله لى أن أقوم فيثور من مجلسى أطيب ريح شمها أحد حتى أتى ربى فيشفعنى ويجعل لى نورا من شعر رأسى إلى ظهر قدمى ثم يقول الكفار قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فمن يشفع لنا فيقولون ماهو غير ابليس هو الذى أضلنا فيأتونه فيقولون قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فقم أنت فاشفع لنا فانك أنت أضللتنا فيقوم فيثور من مجلسه انتن ريح شمها أحد ثم تعظم جهنم ويقول عند ذلك إن الله وعدكم وعد الحق الاية * وقوله تعالى (وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار) لما شرح الله عز وجل حال الكفار الأشقياء بما تقدم من الايات الكثيرة شرح أحوال المؤمنين السعداء وما أعد لهم فى الآخرة من الثواب العظيم والأجر الجزيل وذلك أن الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم والمنفعة الخالصة الها الاشارة بقوله وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار وكونها دائمة أشير اليه بقوله (خالدين فيها) والتعظيم حصل من وجهين أحدهما قوله (باذن ربهم) لان تلك المنافع إنما كانت تفضلا من الله بانعامه الثانى قوله (تحيتهم فيها سلام) فيحتمل أن بعضهم يحيى بعضا بهذه الكلمة أو الملائكة تحييهم بها أو الرب سبحانه وتعالى يحييهم ويحتمل أن يكون المراد أنهم لما دخلوا الجنة سلموا من جميع الآفات لأن السلام مشتق من السلامة * قوله عز وجل (ألم تر كيف ضرب الله مثلا) لما شرح الله عز وجل أحوال الأشقياء وأحوال السعداء ضرب مثلا فيه حكم هذين القسمين فقال تعالى ألم تر اى بعين قلبك فتعلم علم يقين باعلامى إياك فعلى هذا يحتمل ان يكون الخطاب فيه للنبى ﷺ ويدخل معه غيره فيه ويحتمل أن يكون الخطاب فيه لكل فرد من الناس فيكون المعنى ألم تر أيها الانسان كيف ضرب الله مثلا يعنى بين شبها والمثل عبارة عن قول فى شىء يشبه قولا فى شىء آخر بينهما مشابهة ليتبين أحدهما من الاخر ويتصور وقيل هو قول سائر لتشبيه شىء بشىء آخر (كلمة طيبة) هى قول لا إله إلا الله فى قول ابن عباس وجمهور من المفسرين (كشجرة طيبة) يعنى كشجرة طيبة الثمرة قال ابن عباس هى النخلة وبه قال ابن مسعود وانس ومجاهد وعكرمة والضحاك (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كنا عند رسول الله ﷺ فقال أخبرونى عن شجرة شبه الرجل او قال كالرجل المسلم لا يتحات ورقها تؤتى اكلها كل حين قال ابن عمر فوقع فى نفسى انها النخلة ورايت ابا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت ان اتكلم فلما لم يقولوا شيئا قال رسول الله ﷺ هى النخلة قال فلما قمنا قلت لعمر يا ابتاه والله لقد كان وقع فى نفسى انها النخلة فقال ما منعك ان تتكلم فقلت لم اركم تتكلمون فكرهت ان اتكلم او اقول شيئا قال عمر لان تكون قلتها احب إلى من كذا وكذا وفى رواية ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وانها مثل المسلم فحدثونى ماهى فوقع الناس فى شجر البوادى قال

ريح شمها احد ثم تعظم جهنم ويقول عند ذلك إن الله وعدكم وعد الحق الاية قوله تعالى (وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام) يسلم بعضهم على بعض وتسلم الملائكة عليهم وقيل المحيى بالسلام هو الله عز وجل وقوله تعالى (الم تر كيف ضرب الله مثلا) الم تعلم والمثل قول سائر لتشبيه شىء بشىء (كلمة طيبة) وهى قول لا إله إلا الله (كشجرة طيبة) وهى النخلة يريد كشجرة طيبة الثمرة وقال ابو ظبيان عن ابن عباس هى

شجرة فى الجنة (أصلها ثابت) فى الأرض (وفرعها) أعلاها (فى السماء) كذلك أصل هذه الكلمة راسخ فى قلب المؤمن بالمعرفة والتصديق فاذا تكلم بها عرجت فلا تحجب حتى تنتهى إلى الله عز وجل قال الله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه (تؤتى اكلها) تعطى ثمرها (كل حين باذن ربها) والحين فى اللغة هو الوقت وقد اختلفوا فى معناه ههنا فقال مجاهد وعكرمة الحين ههنا سنة كاملة لأن النخلة تثمر كل سنة وقال سعيد بن جبير وقتادة والحسن ستة أشهر من وقت إطلاعها إلى صرامها وروى ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما وقيل أربعة أشهر من حين ظهورها إلى ادراكها وقال سعيد بن المسيب شهران من حين تؤكل إلى الصرام وقال الربيع بن انس كل حين أى كل غدوة وعشية لان ثمر النخل يؤكل ابدا ليلا ونهارا وصيفا وشتاء (٣٤) إما تمرا أو رطبا أو بسرا كذلك عمل المؤمن يصعد أول النهار وآخره وبركة إيمانه لا تنقطع أبدا بل تصل اليه فى كل وقت والحكمة فى تمثيل الايمان بالشجرة هى ان الشجرة لا تكون شجرة إلا بثلاثة أشياء عرق راسخ وأصل قائم وفرع عال كذلك الايمان لا يتم إلا بثلاثة أشياء تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالابدان انا ابو عبد الله محمد بن الفضل الخرقى انبأنا ابو الحسن على بن عبد الله الطيسفونى انبأنا عبد الله بن عمر الجوهرى انا احمد بن على الكشميهنى ثنا على بن حجر ثنا اسمعيل بن جعفر ثنا عبد الله بن دينار انه سمع ابن عمر يقول قال رسول الله ﷺ ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وأنها مثل المسلم فحدثونى ماهى قال عبد الله فوقع الناس فى شجر البوادى ووقع فى نفسى أنها النخلة فاستحييت ثم قالوا حدثنا هى يارسول الله قال هى النخلة قال عبد الله فذكرت ذلك لعمر فقال لان تكون قلت هى النخلة كان أحب إلى من كذا وكذا وقيل الحكمة فى تشبيهها الشجرة بالنخلة من بين سائر الأشجار ان النخلة شبه الاشجار بالانسان من حث أنها إذا قطع رأسها يبست وسائر الاشجار تتشعب من جوانبها بعد قطع رؤوسها ولأنها تشبه الانسان فى انها لا تحمل إلا بالتقييح ولأنها خلقت من فضل طينة آدم عليه السلام ولذلك قال النبى ﷺ اكرموا عمتكم قيل ومن عمتنا قال النخلة (ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة) وهى الشرك (كشجرة خبيثة) وهى الحنظل وقيل هى الثوم وقيل الكشوث وهو العشقة (اجتثت) يعنى انقلعت (من فوق الأرض مالها من قرار) ثبات معناه وليس لها أصل ثابت فى الارض ولا فرع صاعد إلى السماء كذلك الكافر لا خير فيه ولا يصعد له قول طيب ولا عمل صالح

عبد الله بن عمر ووقع فى نفسى أنها النخلة فاستحييت أن أتكلم ثم قالوا حدثنا ماهى يارسول الله قال هى النخلة وفى رواية عن ابن عباس أنها شجرة فى الجنة وفى رواية أخرى عنه أنها المؤمن * وقوله (أصلها ثابت) يعنى فى الأرض (وفرعها) يعنى أعلاها (فى السماء) يعنى ذاهبة فى السماء (تؤتى اكلها) يعنى ثمرها (كل حين باذن ربها) يعنى بأمر ربها والحين فى اللغة الوقت يطلق على القليل والكثير واختلفوا فى مقداره هذا وقال مجاهد وعكرمة الحين هنا سنة كاملة لأن النخلة تثمر فى كل سنة مرة واحدة وقال سعيد بن جبير وقتادة والحسن ستة أشهر يعنى من وقت طلعها إلى حين صرامها وروى ذلك عن ابن عباس أيضا وقال على بن أبى طالب ثمانية أشهر يعنى أن مدة حملها باطنا وظاهرا ثمانية أشهر وقيل أربعة أشهر من حين ظهور حملها إلى إدراكها وقال سعيد بن المسيب شهران يعنى من وقت ان يؤكل منها إلى صرامها وقال الربيع بن انس كل حين يعنى غدوة وعشية لأن ثمر النخل يؤكل أبدا ليلا ونهارا وصيفا وشتاء فيؤكل منها الجمار والطلع والبلح والبسر والمنصف والرطب وبعد ذلك يؤكل التمر اليابس إلى حين الطرى الرطب فأكلها دائم فى كل وقت قال العلماء ووجه الحكمة فى تمثيل هذه الكلمة التى هى كلمة الاخلاص واصل الايمان بالنخلة حاصل من أوجه أحدها أن كلمة الاخلاص شديدة الثبوت فى قلب المؤمن كثبوت أصل النخلة فى الأرض الوجه الثانى ان هذه الكلمة ترفع وعمل المؤمن إلى السماء كما قال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وكذلك فرع النخلة الذى هو عال فى السماء الوجه الثالث أن ثمر النخلة يأتى فى كل حين ووقت وكذلك ما يكسبه المؤمن من الأعمال الصالحة فى كل وقت وحين ببركة هذه الكلمة فالمؤمن كلما قال لا إله إلا الله صعدت إلى السماء وجاءته بركتها وثوابها وخيرها ومنفعتها الوجه الرابع أن النخلة شبيهة بالانسان فى غالب الأمر لانها خلقت من فضلة طينة آدم وانها إذا قطع رأسها تموت كالادمى بخلاف سائر الشجر فانه إذا قطع نبت وأنها لا تحمل حتى تلقح بطلع الذكر الوجه الخامس فى وجه الحكمة فى تمثيل الايمان بالشجر على الاطلاق لان الشجرة لا تسمى شجرة إلا بثلاثة أشياء عرق راسخ وأصل ثابت وفرع قائم وكذلك الايمان لا يتم إلا بثلاثة أشياء تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالابدان وقوله سبحانه وتعالى (ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) يعنى أن فى ضرب الأمثال زيادة فى الافهام وتصويرا للمعانى وتذكيرا ومواعظ لمن تذكر واتعظ * قوله تعالى (ومثل كلمة خبيثة) وهو الشرك (كشجرة خبيثة) يعنى الحنظل قاله انس بن مالك ومجاهد وفى رواية عن ابن عباس انها الكشوث وعنه أيضا الثوم وعنها أنها الكافر لانه لا يقبل عمله فليس له اصل ثابت ولا يصعد إلى السماء (اجتثت) يعنى استؤصلت وقطعت (من فوق الأرض مالها من قرار) يعنى ما لهذه الشجرة من ثبات فى الأرض لأنها ليس لها أصل ثابت فى الأرض ولا فرع صاعد إلى السماء كذلك الكافر لا خير فيه ولا يصعد له قول طيب ولا عمل صالح ولا لاعتقاده اصل ثابت فهذا وجه تمثيل الكافر بهذه الشجرة

قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) كلمة التوحيد وهى قول لا إله إلا الله (فى الحياة الدنيا) يعنى قبل الموت (وفى الآخرة) يعنى فى القبر هذا قول اكثر المفسرين وقيل فى الحياة الدنيا عند السؤال فى القبر وفى الآخرة عند البعث والأول اصح اخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحى انبأنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا أبو الوليد ثنا شعبة أخبرنى علقمة بن مرثد قال سمعت سعيد بن عبيدة عن البراء بن عازب ان رسول ﷺ قال المسلم إذا سئل فى القبر يشهد ان

لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الاخرة اخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنبأنا عبد الغافر ابن محمد انبأنا محمد بن عيسى الجلودى انبأنا ابراهيم بن محمد ابن سفيان انبأنا مسلم بن الحجاج ثنا محمد بن بشار ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة بهذا الاسناد عن النبى ﷺ قال يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت قال نزلت فى عذاب القبر يقال له من ربك ربى الله ونبى محمد ﷺ اخرجه البخارى ومسلم (ق) عن انس ان رسول الله ﷺ قال ان العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه اصحابه وانه ليسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا اتاه ملكان فيعقدانه فيقولان له ما كنت تقول فى هذا الرجل محمد فاما المؤمن فيقول اشهد انه عبد الله ورسوله فيقال له انظر إلى مقعدك من النار ابدلك الله به مقعدا من الجنة قال النبى صلى الله عليه وسلم فيراهما جميعا قال قتادة ذكر لنا انه يفسح له فى قبره ثم رجع إلى حديث انس واما المنافق وفى رواية واما الكافر فيقول لا ادرى كنت اقول ما يقول الناس فيه فيقال لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين اذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين لفظ البخارى ولمسلم بمعناه زاد فى رواية انه يفسح له فى قبره سبعون ذراعا ويملأ عليه خضرا إلى يوم يبعثون واخرجه ابو داود عن انس قال وهذا لفظه ان رسول الله ﷺ قال ان المؤمن إذا وضع فى قبره اتاه ملك فيقول ما كنت تعبد فان هداه الله قال كنت اعبد الله فيقول له ما كنت تقول فى هذا الرجل فيقول هو عبد الله ورسوله فلا يسئل عن شىء بعدها فينطلق به إلى بيت كان له فى النار فيقال له هذا كان مقعدك ولكن عصمك الله فابدلك به بيتا فى الجنة فيراه فيقول دعونى حتى اذهب فابشر اهلى فيقال اسكن وان الكافر والمنافق إذا وضع فى قبره اتاه ملك فينهضه فيقول ما كنت تعبد فيقول لا ادرى فيقال له لا دريت ولا تليت فيقال له ما كنت تقول فى هذا الرجل فيقول كنت اقول ما يقول الناس فيه فيضربه بمطراق من حديد بين اذنيه فيصيح صيحة يسمعها الخلق غير الثقلين واخراجه النسائى ايضا عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا قبر الميت او قال إذا قبر أحدكم اتاه ملكان اسودان ازرقان يقال لاحدهما المنكر وللاخر النكير فيقولان ما كنت تقول فى هذا الرجل فيقول كنت اقول هو عبد الله ورسوله اشهد ان لا اله إلا الله وان محمدا عبده ورسوله فيقولان قد كنا نعلم انك تقول هذا ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعا ثم ينور له فيه ثم يقال له نم فيقول ارجع إلى اهلى فاخبرهم فيقولان نم كنومة العروس الذى لا يوقظه إلا احب اهله إليه حتى يبعث الله تعالى من مضجعه ذلك وان كان منافقا فيقول سمعت الناس يقولون قولا فقلت مثلهم لا أدرى فيقولان قد كنا نعلم انك كنت تقول

الشجرة الخبيثة عن انس قال اتى رسول الله ﷺ بقناع عليه رطب فقال مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى اكلها كل حين باذن ربها قال هى النخلة ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار قال هى الحنظلة اخرجه الترمذى مرفوعا وموقوفا وقال الموقوف اصح * قوله سبحانه وتعالى (يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت) لما وصف الله الكلمة الطيبة فى الاية المتقدمة اخبر فى هذه الاية انه يثبت الذين امنوا بالقول الثابت والقول الثابت هى الكلمة الطيبة وهى شهادة ان لا إله إلا الله فى قول جمهور المفسرين لما وصف الكلمة الخبيثة فى الاية المتقدمة بكلمة الشرك قال فى هذه الاية ويضل الله الظالمين يعنى بالكلمة الخبيثة وهى كلمة الشرك فى قول جميع المفسرين وقوله (فى الحياة الدنيا) يعنى فى القبر عند السؤال (وفى الاخرة) يعنى يوم القيامة عند البعث والحساب وهذا القول واضح ويدل عليه ما روى عن البراء بن عازب قال سمعت رسول الله ﷺ يقول أن المسلم إذا سئل فى القبر يشهد ان لا إله إلا الله وان محمدا رسول الله فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الاخرة قال نزلت فى عذاب القبر زاد فى رواية يقال من ربك فيقول ربى الله ونبى محمد ﷺ اخرجه البخارى ومسلم (ق) عن انس ان رسول الله ﷺ قال ان العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه اصحابه وانه ليسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا اتاه ملكان فيعقدانه فيقولان له ما كنت تقول فى هذا الرجل محمد فاما المؤمن فيقول اشهد انه عبد الله ورسوله فيقال له انظر إلى مقعدك من النار ابدلك الله به مقعدا من الجنة قال النبى صلى الله عليه وسلم فيراهما جميعا قال قتادة ذكر لنا انه يفسح له فى قبره ثم رجع إلى حديث انس واما المنافق وفى رواية واما الكافر فيقول لا ادرى كنت اقول ما يقول الناس فيه فيقال لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين اذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين لفظ البخارى ولمسلم بمعناه زاد فى رواية انه يفسح له فى قبره سبعون ذراعا ويملأ عليه خضرا إلى يوم يبعثون واخرجه ابو داود عن انس قال وهذا لفظه ان رسول الله ﷺ قال ان المؤمن إذا وضع فى قبره اتاه ملك فيقول ما كنت تعبد فان هداه الله قال كنت اعبد الله فيقول له ما كنت تقول فى هذا الرجل فيقول هو عبد الله ورسوله فلا يسئل عن شىء بعدها فينطلق به إلى بيت كان له فى النار فيقال له هذا كان مقعدك ولكن عصمك الله فابدلك به بيتا فى الجنة فيراه فيقول دعونى حتى اذهب فابشر اهلى فيقال اسكن وان الكافر والمنافق إذا وضع فى قبره اتاه ملك فينهضه فيقول ما كنت تعبد فيقول لا ادرى فيقال له لا دريت ولا تليت فيقال له ما كنت تقول فى هذا الرجل فيقول كنت اقول ما يقول الناس فيه فيضربه بمطراق من حديد بين اذنيه فيصيح صيحة يسمعها الخلق غير الثقلين واخراجه النسائى ايضا عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا قبر الميت او قال إذا قبر أحدكم اتاه ملكان اسودان ازرقان يقال لاحدهما المنكر وللاخر النكير فيقولان ما كنت تقول فى هذا الرجل فيقول كنت اقول هو عبد الله ورسوله اشهد ان لا اله إلا الله وان محمدا عبده ورسوله فيقولان قد كنا نعلم انك تقول هذا ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعا ثم ينور له فيه ثم يقال له نم فيقول ارجع إلى اهلى فاخبرهم فيقولان نم كنومة العروس الذى لا يوقظه إلا احب اهله إليه حتى يبعث الله تعالى من مضجعه ذلك وان كان منافقا فيقول سمعت الناس يقولون قولا فقلت مثلهم لا أدرى فيقولان قد كنا نعلم انك كنت تقول

فيقال له انظر إلى مقعدك من النار وقد ابدلك الله به مقعدا من الجنة فيراهما جميعا قال قتادة وذكر لنا أنه يفسح له فى قبره ثم رجع إلى حديث انس قال واما المنافق والكافر فيقال له ما كنت تقول فى هذا الرجل فيقول لا ادرى كنت اقول ما يقول الناس فيقال له لا دريت ولا تليت * ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين اخبرنا أبو الفرج المظفر بن اسماعيل التميمى ثنا أبو القاسم حمزة ابن يوسف السهمى انبأنا ابو احمد عبد الله بن عدى الحافظ ثنا عبد الله بن سعيد ثنا اسد بن موسى ثنا عنبسة بن سعد بن كثير حدثنى جدى عن

أبي هريرة عن النبي ﷺ قال ان الميت يسمع خفق النعال إذا ولى عنه الناس مدبرين ثم يجلس ويوضع كفنه في عنقه ثم يسأل وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال إذا قبر الميت اتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللاخر النكير فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وان محمدا عبده ورسوله فيقولان قد كنا نعلم انك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ثم ينور له فيه ثم يقال له نم فيقول ارجع إلى اهلي فاخبرهم فيقولان نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا احب اهله اليه (٣٦) حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وإن كان منافقا او كافرا قال سمعت الناس يقولون قولا فقلت مثله لا ادري فيقولان قد كنا نعلم انك تقول ذلك فيقال للارض التئمي عليه فتلتئم عليه فتختلف أضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك اخرجه الترمذي عن البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الانصار فانتهت إلى القبر ولما يلحد بعد فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كانما على رؤوسنا الطير وبيده عود ينكت به في الارض فرفع رأسه ﷺ فقال تعوذوا بالله من عذاب القبر مرتين او ثلاثا زاد في رواية وقال ان الميت ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين حين يقال له ياهذا من ربك وما دينك ومن نبيك وفي رواية ياتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربي الله فيقولان له ما دينك فيقول ديني الاسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله فيقولان وما يدريك فيقول قرأت كتاب الله وآمنت به وصدقت زاد في رواية فذلك قوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة ثم لقناه قال فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فافرشوا له من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة فياتيه من ريحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره وإن كان الكافر فذكر موته قال فتعاد روحه في جسده فياتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان ما دينك فيقول هاه هاه لا ادري فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هاه هاه لا أدري فينادي مناد من السماء ان قد كذب عبدي فافشوا له من النار والبسوه من النار وافتحوا له بابا إلى النار فياتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه اضلاعه زاد في رواية ثم يقيض له أعمى أبكم أصم معه مرزبة من حديد لو ضرب بها جبلا لصار ترابا فيضربه بها ضربة يسمعها من بين المشرق والمغرب إلا الثقلين فيصير ترابا ثم تعاد فيه الروح أخرجه ابو داود وعن عثمان بن عفان قال كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال استغفروا لاخيكم واسالوا له التثبيت فانه الان يسال اخرجه ابو داود عن الرحمن بن ثمامة المهري قال حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياق الموت فبكى بكاء طويلا وحول وجهه إلى الجدار وجعل ابنه يقول ما يبكيك يا ابتاه بشرك رسول الله ﷺ بكذا وكذا فاقبل بوجهه وقال ان افضل ما نعد شهادة ان لا إله إلا الله وان محمدا رسول الله وذكر الحديث بطوله وفيه فاذا انا مت فلا تصحبني نائحة ولا نار فاذا دفنتموني فسنوا علي التراب سنا ثم اقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها حتى استأنس بكم وانظر ماذا ارجع به رسل ربي اخرجه مسلم بزيادة طويلة فيه قيل المراد من التثبيت بالقول الثابت هو أن الله تعالى إنما يثبتهم في القبر بسبب كثرة مواظبتهم على شهادة الحق في الحياة الدنيا وحبهم لها فمن كانت مواظبته على شهادة الاخلاص أكثر كان رسخا في قلبه أعظم فينبغي للعبد المسلم ان يكثر من قول لا إله إلا الله محمد رسول الله في جميع حالاته من قيامه وقعوده ونومه ويقظته وجميع حركاته وسكناته فلعل الله عز وجل أن يرزقه ببركة مواظبته على شهادة الاخلاص التثبيت في القبر ويسهل عليه جواب المنكرين بما فيه خلاصه من عذاب الآخرة نسال الله التثبيت في القبر وحسن الجواب وتسهيله بفضله ومنه وكرمه وإحسانه انه على كل شيء قدير * وقوله تعالى (ويضل الله الظالمين) يعني ان الله تعالى لا يهدي المشركين إلى الجواب والصواب في

ذلك فيقال للارض التئمي عليه فتلتئم عليه فتختلف أضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك اخرجه الترمذي عن البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الانصار فانتهت إلى القبر ولما يلحد بعد فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كانما على رؤوسنا الطير وبيده عود ينكت به في الارض فرفع رأسه ﷺ فقال تعوذوا بالله من عذاب القبر مرتين او ثلاثا زاد في رواية وقال ان الميت ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين حين يقال له ياهذا من ربك وما دينك ومن نبيك وفي رواية ياتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربي الله فيقولان له ما دينك وفيقول ديني الاسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله فيقولان وما يدريك فيقول قرأت كتاب الله وآمنت به وصدقت زاد في رواية فذلك قوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة ثم لقناه قال فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي افرشوا له من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة فياتيه من ريحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره وإن كان الكافر فذكر موته قال فتعاد روحه في جسده فياتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان ما دينك فيقول هاه هاه لا ادري فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هاه هاه لا أدري فينادي مناد من السماء ان قد كذب عبدي افرشوا له من النار والبسوه من النار وافتحوا له بابا إلى النار فياتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه اضلاعه زاد في رواية ثم يقيض له أعمى أبكم أصم معه مرزبة من حديد لو ضرب بها جبلا لصار ترابا فيضربه بها ضربة يسمعها من بين المشرق والمغرب إلا الثقلين فيصير ترابا ثم تعاد فيه الروح أخرجه ابو داود وعن عثمان بن عفان قال كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال استغفروا لاخيكم واسالوا له التثبيت فانه الان يسال اخرجه ابو داود عن الرحمن بن ثمامة المهري قال حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياق الموت فبكى بكاء طويلا وحول وجهه إلى الجدار وجعل ابنه يقول ما يبكيك يا ابتاه بشرك رسول الله ﷺ بكذا وكذا فاقبل بوجهه وقال ان افضل ما نعد شهادة ان لا إله إلا الله وان محمدا رسول الله وذكر الحديث بطوله وفيه فاذا انا مت فلا تصحبني نائحة ولا نار فاذا دفنتموني فسنوا علي التراب سنا ثم اقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها حتى استأنس بكم وانظر ماذا ارجع به رسل ربي اخرجه مسلم بزيادة طويلة فيه قيل المراد من التثبيت بالقول الثابت هو أن الله تعالى إنما يثبتهم في القبر بسبب كثرة مواظبتهم على شهادة الحق في الحياة الدنيا وحبهم لها فمن كانت مواظبته على شهادة الاخلاص أكثر كان رسخا في قلبه أعظم فينبغي للعبد المسلم ان يكثر من قول لا إله إلا الله محمد رسول الله في جميع حالاته من قيامه وقعوده ونومه ويقظته وجميع حركاته وسكناته فلعل الله عز وجل أن يرزقه ببركة مواظبته على شهادة الاخلاص التثبيت في القبر ويسهل عليه جواب المنكرين بما فيه خلاصه من عذاب الآخرة نسال الله التثبيت في القبر وحسن الجواب وتسهيله بفضله ومنه وكرمه وإحسانه انه على كل شيء قدير * وقوله تعالى (ويضل الله الظالمين) يعني ان الله تعالى لا يهدي المشركين إلى الجواب والصواب في

القبر

أخبرنا الامام ابو علي الحسين ابن محمد القاضي أنبأنا ابو العباس عبد الله بن محمد بن هارون الطيسفوني اخبرنا ابو الحسن بن محمد احمد الترابي أنبأنا أبو بكر احمد ابن محمد بن عمر بن بسطام انبانا ابو الحسن احمد بن سيار القرشي ثنا إبراهيم ابن موسى القراء ابو اسحاق ثنا هشام بن يوسف ثنا عبد الله بن يحيى عن هانيء مولى عثمان قال كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الرجل وقف عليه وقال استغفروا لاخيكم واسالوا الله له التثبيت فانه الان يسأل وقال عمرو بن العاص في سياق الموت وهو يبكي فاذا انا مت فلا تصحبني نائحة ولا نار فاذا دفنتموني فسنوا علي التراب سنا ثم اقيموا حول قبري قدر ما ينحر جزور ويقسم لحمه حتى استأنس بكم وانظر ماذا ارجع به رسل ربي قوله تعالى (ويضل الله الظالمين) اي لا يهدي المشركين إلى الجواب بالصواب في القبر

(ويفعل الله ما يشاء) من التوفيق والخذلان والتثبيت وترك التثبيت قوله تعالى (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا) الاية أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن إسمعيل ثنا الحميدي ثنا سفيان ثنا عمرو عن (٣٧) عطاء عن ابن عباس في قوله تعالى

القبر (ويفعل الله ما يشاء) يعني من التوفيق والخذلان والهداية والإضلال والتثبيت وتركه الاعتراض في جميع أفعاله لا يسئل عما يفعل وهم يسألون * قوله عز وجل (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا) (خ) عن ابن عباس في قوله ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا قال هم كفار مكة وفي رواية هم والله كفار قريش قال عمرهم قريش ونعمة الله هو محمد ﷺ (وأحلوا قومهم دار البوار) قال البوار يوم بدر وعن علي رضي الله عنه قال هم كفار قريش فجروا يوم بدر وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الاجران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية أما بنو المغيرة فقد كفيتموهم يوم بدر وأما بنو امية فقد متعوا إلى حين فقوله بدلوا نعمة الله كفرا معناه ان الله تعالى لما انعم على قريش بمحمد ﷺ فارسله إليهم وانزل عليه كتابه ليخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الايمان اختاروا الكفر على الايمان وغيروا نعمة الله عليهم وقيل يجوز أن يكون بدلوا شكر نعمة الله عليهم كفرا لأنهم لما وجب عليهم الشكر بسبب هذه النعمة اتوا بالكفر فكانهم غيروا الشكر وبدلوه بالكفر وأحلوا قومهم يعني ومن تبعهم على دينهم وكفرهم دار البوار يعني دار الهلاك ثم فسرها بقوله (جهنم يصلونها وبئس القرار) يعني المستقر (وجعلوا لله انداد) يعني أمثالا واشباها من الأصنام وليس لله تعالى ند ولا شبيه ولا مثيل تعالى الله عن الند والشبيه والمثيل علوا كبيرا (ليضلوا عن سبيله) يعني ليضلوا الناس عن طريق الهدى ودين الحق (قل تمتعوا) اى قل يا محمد لهؤلاء الكفار تمتعوا في الدنيا أياما قلائل (فان مصيركم إلى النار) يعني في الاخرة * قوله تعالى (قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة) يعني يقيموا الصلاة الواجبة إقامتها إتمام اركانها (وينفقوا مما رزقناهم) قيل أراد بهذا الانفاق إخراج الزكاة الواجبة وقيل اراد به جميع الانفاق في جميع وجوه الخير والبر وحمله على العموم اولى ليدخل فيه إخراج الزكاة والانفاق في جميع وجوه البر (سرا وعلانية) يعني ينفقون اموالهم في حال السر وحال العلانية وقيل اراد بالسر صدقة التطوع وبالعلانية إخراج الزكاة الواجبة (من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه) قال ابو عبيدة البيع هنا الفداء يعني لا فداء في ذلك اليوم (ولا خلال) ولا خلة وهي المودة والصداقة التي تكون مخالة بين اثنين وقال مقاتل إنما هو يوم لا بيع فيه ولا شراء ولا مخالة ولا قرابة إنما هي الأعمال إما ان يثاب بها او يعاقب عليها * فان قلت كيف نفى الخلة في هذه الاية وفي الاية التي في سورة البقرة واثبتها في قوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين * قلت الاية الدالة على نفي الخلة محمولة على نفي الخلة الحاصلة بسبب ميل الطبيعة ووعونة النفس والاية الدالة على حصول الخلة وثباتها محمولة على الخلة الحاصلة بسبب محبة الله الا تراه اثبتها للمتقين فقط ونفاها عن غيرهم وقيل ان ليوم القيامة احوالا مختلفة ففي بعضها يشتغل كل خليله عن خليله وفي بعضها يتعاطف الاخلاء بعضهم على بعض إذا كانت تلك المخالة لله في محبته * قوله عز وجل (الله الذي خلق السموات والأرض وانزل من السماء ماء فأخرج من الثمرات رزقا لكم) اعلم انه تقدم تفسير هذه الاية في مواضع كثيرة ونذكر ههنا بعض فوائد هذه الاية الدالة على وجود الصانع المختار القادر الذي لا يعجزه شيء اراده فقوله تعالى الله الذي خلق السموات والأرض انما بدا بذكر خلق السموات والأرض لأنها اعظم المخلوقات الشاهدة الدالة على وجود الصانع الخالق القادر المختار وانزل من السماء ماء يعني من السحاب سمي السحاب سماء لارتفاعه مشتق من السمو وهو الارتفاع وقيل ان المطر ينزل من السماء إلى السحاب ومن السحاب إلى الأرض فاخرج به اى بذلك الماء من الثمرات رزقا لكم والثمر اسم يقع على ما يحصل من الشجر وقد يقع على الزرع ايضا بدليل قوله كلوا من ثمره اذا اثمر واتوا حقه يوم حصاده وقوله من الثمرات بيان للرزق أي اخرج به رزقا هو الثمرات (وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره) لما ذكر الله سبحانه وتعالى انعامه بانزال المطر واخراج الثمر

الذين بدلوا نعمة الله كفرا قال هم والله كفار قريش وقال عمر هم قريش ومحمد ﷺ نعمة الله (وأحلوا قومهم دار البوار) قال البوار يوم بدر قوله بدلوا نعمة الله أي غيروا نعمة الله عليهم في محمد ﷺ حيث ابتعثه الله منهم كفرا كفروا به فأحلوا أي انزلوا قومهم ممن تابعهم على كفرهم دار البوار الهلاك ثم بين دار البوار فقال (جهنم يصلونها) يدخلونها (وبئس القرار) المستقر وعن علي كرم الله وجهه الذين بدلوا نعمة الله كفراهم كفار قريش نحروا يوم بدر وقال عمر بن الخطاب هم الاجران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية أما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر وأما بنو أمية فمتعوا إلى حين (وجعلوا لله انداد) أمثالا وليس لله تعالى ند (ليضلوا) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء وكذلك في الحج وسورة لقمان والزمر ليضل وقرأ الاخرون بضم الياء على معنى ليضلوا الناس (عن سبيله قل تمتعوا) عيشوا في الدنيا (فان مصيركم إلى النار قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة)

قال الفراء هذا جزم على الجزاء (وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال) مخالة وصداقة (الله الذي خلق السموات والأرض وانزل من السماء ماء فأخرج به الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره) باذنه

(وسخر لكم الأنهار) ذللها لكم تجرونها حيث شئتم (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) يجريان فيما يعود إلى مصالح العباد ولا يفتران قال ابن عباس دؤبهما في طاعة الله عز وجل (٣٨) (وسخر لكم الليل والنهار) يتعاقبان في الضياء والظلمة والنقصان والزيادة (وآتاكم من كل ماسألتموه) يعني آتاكم من كل شيء سألتموه شيئا فحذف الشيء الثاني اكتفاء بدلالة الكلام على التبعيض وقيل هو على التكثير نحو قولك فلان يعلم كل شيء واتاه كل الناس وانت تريد بعضهم نظيره قوله تعالى فتحنا عليهم ابواب كل شيء وقرأ الحسن من كل بالتنوين ما على النفي يعني من كل مالم تسألوه يعني اعطاكم اشياء ما طلبتموها ولا سألتموها (وإن تعدوا نعمة الله) اى نعم الله (لا تحصوها) اى لا تطيقوا عدها ولا القيام بشكرها (إن الانسان لظلوم كفار) اى ظالم لنفسه بالمعصية كافر بربه في نعمته وقيل الظلوم الذي يشكر غير من انعم عليه والكافر من يجحد النعمة قوله تعالى (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد) يعني الحرم (آمنا) ذا امن يؤمن فيه (واجنبني) ابعدني (وبني ان نعبد الاصنام) يقال جنبت الشيء واجنبته جنبا وجنبته تجنيبا واجتنبته اجتنابا بمعنى واحد فان قيل قد كان ابراهيم معصوما من عبادة بنيه الاصنام فكيف يستقيم السؤال وقد عبد كثير من الاصنام فأين الاجابة قيل الدعاء في حق إبراهيم لزياد العصمة والتثبيت واما دعاؤه لبنيه فاراد بنيه من صلبه ولم يعبد منهم أحد الصنم وقيل أن دعاءه لمن كان مؤمنا من بنيه

لاجل الرزق والانتفاع به ذكر نعمته على عباده بتسخير السفن الجارية على الماء لاجل الانتفاع بها في جلب ذلك الرزق الذي هو الثمرات وغيرها من بلد إلى آخر فهي من تمام نعمة الله على عباده (وسخر لكم الانهار) يعني ذللها لكم تجرونها حيث شئتم ولما كان ماء البحر لا ينتفع به في سقي الزروع والثمرات ولا في الشراب أيضا ذكر نعمته على عباده في تسخير الانهار وتفجير العيون لاجل هذه الحاجة فهو من أعظم نعم الله على عباده (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) الداب العادة المستمرة دائما على حالة واحدة وداب في السير دوام عليه والمعنى أن الله سخر الشمس والقمر يجريان دائما فيما يعود إلى مصالح العباد لا يفتران إلى آخر الدهر وهو انقضاء عمر الدنيا وذهابها قال ابن عباس دؤبهما في طاعة الله عز وجل وقال بعضهم معناه يدأبان في طاعة الله أي في مسيرهما وتأثيرهما في إزالة الظلمة وإصلاح النبات والحيوان لان الشمس سلطان النهار وبها تعرف فصول السنة والقمر سلطان الليل وبه يعرف انقضاء الشهور كل ذلك بتسخير الله عز وجل وإنعامه على عباده وتسخيره لهم (وسخر لكم الليل والنهار) يعني يتعاقبان في الضياء والظلمة والنقصان والزيادة وذلك من أنعام الله على عباده وتسخيره لهم (وآتاكم من كل ماسألتموه) لما ذكر الله سبحانه وتعالى النعم العظام التي أنعم الله بها على عباده وسخرها لهم بين بعد ذلك أنه تعالى لم يقتصر على تلك النعم بل أعطى عباده من المنافع والمرادات مالا يأتي على بعضها العد والحصر والمعنى وآتاكم من كل ماسألتموه شيئا فحذف شيئا اكتفاء بدلالة الكلام على التبعيض وقيل هو التكثير يعني وآتاكم من كل شيء سألتموه ومالم تسألوه لان نعمه علينا أكثر من أن تحصى (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) يعني أن نعم الله كثيرة على عباده فلا يقدر أحد على حصرها ولا عدها لكثرتها (ان الانسان) قال ابن عباس يريد أبا جهل وقال الزجاج هو اسم جنس ولكن يقصد به الكافر (لظلوم كفار) يعني ظلوم لنفسه كفار بنعمة ربه وقيل الظلوم الشاكر لغير من أنعم عليه فيضع الشكر في غير موضعه كفار جحود لنعم الله عليه وقيل بظلم النعمة باغفال شكرها كفار شديد الكفران لها وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار للنعمة يجمع ويمنع * قوله سبحانه (وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا) يعني ذا أمن يؤمن فيه وأراد بالبلد مكة * فان قلت أي فرق بين قوله اجعل هذا البلد آمنا وبين قوله اجعل هذا البلد آمنا * قلت الفرق بينهما أنه سأل في الاول ان يجعله من جملة البلاد التي يأمن أهلها فيها ولا يخافون وسأل في الثاني أن يخرج هذا البلد من صفة كان عليها من الخوف إلى ضدها من الامن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا (واجنبني وبني أن نعبد الاصنام) يعني ابعدني وبني أن نعبد الاصنام * فان قلت قد توجه على هذه الاية اشكالات وهي من وجوه الاول أن إبراهيم دعا ربه أن يجعل مكة آمنة ثم أن جماعة من الجبابرة وغيرهم قد أغاروا عليها وأخافوا أهلها الثاني أن الانبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام معصومون عن عبادة الاصنام وإذا كان كذلك فما الفائدة في قوله أجنبني عن عبادتها الوجه الثالث أن إبراهيم عليه السلام سأل ربه ايضا ان يجنب بنيه عن عبادة الاصنام وقد وجد كثير من بنيه عبد الأصنام مثل كفار قريش وغيرهم ممن ينسب إلى إبراهيم عليه السلام * قلت الجواب عن الوجوه المذكورة من وجوه فالجواب عن الوجه الاول من وجهين احدهما ان ابراهيم عليه السلام لما فرغ من بناء الكعبة دعا بهذا الدعاء والمراد منه جعل مكة آمنة من الخراب وهذا موجود بحمد الله ولم يقدر احد على خراب مكة ووارد على هذا ماورد في الصحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة اخرجاه في الصحيحين واجيب عنه بأن قوله اجعل هذا البلد آمنا إلى قرب القيامة وخراب الدنيا وقيل هو عام مخصوص بقصة ذو السويقتين فلا تعارض بين النصين الوجه الثاني ان يكون المراد اجعل اهل هذا البلد آمنين وهذا الوجه عليه اكثر العلماء من المفسرين وغيرهم وعلى هذا فقد اختص اهل مكة بزيادة الامن في بلدهم كما اخبر الله سبحانه وتعالى بقوله ويختطف الناس

(رب إنهن أضللن كثيرا من الناس) يعني ضل بهن كثير اعن الناس عن طريق الهدى حتى عبدوهن وهذا من المقلوب نظيره قوله تعالى إنما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه اى يخوفهم باوليائه وقيل نسب الاضلال إلى الاصنام لانهن سبب فيه كما يقول القائل فتنتني الدنيا نسب الفتنة إلى الدنيا لأنها سبب الفتنة (فمن تبعني فانه مني) اى من أهل ديني وملتي (ومن عصاني فانك غفور رحيم) قال السدى معناه ومن عصاني ثم تاب وقال مقاتل بن حيان ومن عصاني فيما دون الشرك وقيل قال ذلك قبل أن يعلمه الله أنه لا يغفر الشرك قوله تعالى (ربنا إني أسكنت من ذريتي) أدخل من للتبعيض ومجاز الاية أسكنت من ذريتي ولدا (بواد غير ذي زرع) وهو مكة لأن مكة وادبين جبلين (عند بيتك المحرم) سماه محرما لانه يحرم عنده مالا يحرم عند غيره اخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي انا أحمد بن (٣٩) عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عبد الله بن محمد ثنا عبد الرازق أنبأنا معمر عن أيوب السختياني وكثير بن ابي كثير بن المطلب بن ابي وداعة يزيد احدهما على الاخر عن سعيد بن جبير قال قال ابن عباس أول ما اتخذ النساء المناطق من قبل ام اسمعيل اتخذت منطقا لتعفي أثرها على سارة ثم جاء بها إبراهيم عليه السلام وبابنها اسمعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفل إبراهيم منطلقا فتبعته أم إسمعيل فقالت يا إبراهيم اين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء فقلت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت له آلله امرك بهذا قال نعم قالت إذن لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات فرفع يديه فقال ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت أم إسمعيل ترضع إسمعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلبط أو قال يتلوى وانطلقت كراهية أن تنظر اليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى احدا فلم تر أحدا فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت بطن الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال رسول الله ﷺ فلذلك سعي الناس بينهما فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت أيضا فقالت قد اسمعت إن كان عندك غواث فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه او قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من

الناس من حولهم وأهل مكة آمنون من ذلك حتى أن من التجأ إلى مكة أمن على نفسه وماله من ذلك وحتى ان الوحوش إذا كانت خارجة من الحرم استوحشت فاذا دخلت الحرم امنت واستأنست لعلمها انه لا يهيجها أحد في الحرم وهذا القدر من الامن حاصل بحمد الله بمكة وحرمها واما الجواب عن الوجه الثاني فمن وجوه ايضا الوجه الاول ان دعاء إبراهيم عليه السلام لنفسه لزيادة العصمة والتثبيت فهو كقوله واجعلنا مسلمين لك الوجه الثاني ان إبراهيم عليه السلام وإن كان يعلم ان الله سبحانه وتعالى يعصمه من عبادة الاصنام إلا انه دعا بهذا الدعاء هضما للنفس وإظهارا للعجز والحاجة والفاقة إلى فضل الله تعالى ورحمته وان احدا لا يقدر على نفع نفسه بشيء لم ينفعه الله به فلهذا السبب دعا لنفسه بهذا الدعاء واما دعاؤه لبنيه وهو الوجه الثالث من الاشكالات فالجواب عنه من وجوه الاول ان إبراهيم دعا لبنيه من صلبه ولم يعبد أحد منهم صنما قط الوجه الثاني أنه أراد أولاده وأولاد أولاده الموجودين حالة الدعاء ولا شك أن إبراهيم عليه السلام قد اجيب فيهم الوجه الثالث قال الواحدي دعا لمن اذن الله ان يدعو له فكأنه قال وبني الذين أذنت لي في الدعاء لهم لان دعاء الانبياء مستجاب وقد كان من ينيه من عبد الصنم فعلى هذا الوجه يكون هذا الدعاء من العام المخصوص الوجه الرابع ان هذا مختص بالمؤمنين من اولاده والدليل عليه أنه قال في اخر الاية فمن تبعني فانه مني وذلك يفيد ان من لم يتبعه على دينه فليس مني والله اعلم بمراده واسرار كتابه * وقوله تعالى (رب إنهن) يعني الاصنام (اضللن كثيرا من الناس) وهذا مجاز لان الاصنام جمادات وحجارة لا تعقل شيئا حتى تضل من عبدها إلا انه لما حصل الاضلال بعبادتها اضيفت إليها كما تقول فتنتهم الدنيا وغرتهم وإنما فتنوا بها واغتروا بسببها (فمن تبعني فانه مني) يعني فمن تبعني على ديني واعتقادي فانه مني يعني المتدينين بديني المتمسكين بحبلي كما قال الشاعر

إذا حاولت في أسد فجورا * فاني لست منك ولست مني

اراد ولست من المتمسكين بحبلي وقيل معناه انه مني حكمه حكمي جار مجراي في القرب والاختصاص (ومن عصاني) يعني في غير الدين (فانك غفور رحيم) قال السدي ومن عصاني ثم تاب فانك غفور رحيم وقال مقاتل ومن عصاني فيما دون الشرك فانك غفور رحيم وشرح ابو بكر بن الانباري هذا فقال ومن عصاني فخالفني في بعض الشرائع وقواعد التوحيد فانك غفور رحيم إن شئت أن تغفر له غفرت إذا كان مسلما وذكر وجهين اخرين أحدهما إن هذا كان قبل ان يعلمه الله أنه لا يغفر الشرك كما استغفر لابويه وهو يقول أن ذلك غير محظور فلما عرف انهما غير مغفور لهما تبرأ منه والوجه الاخر ومن عصاني باقامته على الكفر فانك غفور رحيم يعني أنك قادر على أن تغفر له وترحمه بأن تنقله من الكفر إلى الايمان والاسلام وتهديه إلى الصواب * قوله عز وجل إخبارا عن إبراهيم (ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم) (خ) عن ابن عباس قال اول ما اتخذ

الماء فى سقائها وهو يفور بعد ما تغرف تغرف من الماء فى سقائها لكانت زمزم عينا معينا قال فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة وان هناك بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه وإن الله لا يضيع اهله وكان موضع البيت مرتفعا من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا فى أسفل مكة فرأوا طائرا عائفا فقالوا إن هذا الطائر ليدور على ماء ولعهدنا بهذا الوادى وما فيه ماء فارسلوا جريا أو جريين فاذا هم بالماء فرجعوا فاخبروهم بالماء فاقبلوا وأم اسمعيل عند الماء فقالوا أتأذنين لنا أن ننزل عندك فقالت نعم ولكن لا حق لكم فى الماء قالوا نعم قال ابن عباس قال النبى ﷺ فالفى ذلك أم اسمعيل وهى تحب الانس فنزلوا وأرسلوا إلى أهلهم فنزلوا معهم حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وآنسهم وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجوه امرأة منهم وماتت أم اسمعيل فجاء إبراهيم بعد ما تزوج اسمعيل يطالع تركته ذكر ما تلك القصة فى سورة البقرة قوله تعالى (ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس) الأفئدة جمع الفؤاد

النساء المنطق من قبل أم اسمعيل اتخذت منطقا لتعفى أثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسمعيل وهى ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم فى أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هناك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفل إبراهيم منطلقا فتبعته ام اسمعيل فقالت يا إبراهيم إلى أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه أنيس ولا شىء فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت إليها فقالت الله أمرك بهذا قال نعم قالت إذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق إبراهيم فدعا بهذه الدعوات فرفع يديه فقال رب إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت أم اسمعيل ترضع إسمعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفد ما فى السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يتلوى أو قال يتلبط فانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفاء أقرب جبل فى الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحدا فلم تر أحدا فهبطت منه حتى إذا بلغت الوادى رفعت طرف درعها ثم سعت سعى الانسان المجهود حتى جاوزت الوادى ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبى ﷺ فلذلك سعى الناس بينهما فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت صوتا أيضا فقالت قد أسمعت إن كان عندك غواث فاذا هى بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء فى سقائها وهو يفور بعد ما تغرف وفى رواية قدرها تغرف قال ابن عباس قال النبى ﷺ يرحم الله أم اسمعيل لو تركت زمزم او قال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا قال فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافى الضيعة فان ههنا بيتا الله تعالى يبنيه هذا الغلام وأبوه وأن الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعا من الأرض كالرابية تاتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا فى أسفل مكة فرأوا طائرا عائفا فقالوا لأن هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادى وما فيه ماء فأرسلوا جريا او جريين فاذا هم بالماء فرجعوا فاخبروهم فاقبلوا وأم اسمعيل عند الماء فقالوا أتأذنين لنا أن ننزل عندك قالت نعم ولكن لا حق لكم فى الماء قالوا نعم قال ابن عباس قال النبى ﷺ فالفى ذلك أم اسمعيل وهى تحب الانس فنزلوا وأرسلوا إلى أهلهم فنزلوا معهم حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وآنسهم وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجوه بامرأة منهم وماتت أم اسمعيل فجاء إبراهيم بعد ما تزوج اسمعيل يطالع تركته أخرجه البخارى باطول من هذا وقد تقدم الحديث بطوله فى تفسير سورة البقرة وأما تفسير الاية فقوله ربنا إنى أسكنت من ذريتى من للتبعيض أى بعض ذريتى وهو اسمعيل عليه السلام بواد غير ذى زرع يعنى ليس فيه زرع لانه واد بين جبلين جبل ابى قبيس وجبل أجياد وهو وادى مكة عند بيتك المحرم سماه محرما لانه يحترم عنده مالا يحترم عند غيره وقيل لان الله حرمه على الجبابرة فلم ينالوه بسوء وحرم التعرض له والتهاون به وبحرمته وجعل ما حوله محرما لمكانه وشرفه وقيل لأنه حرم على الطوفان بمعنى امتنع منه وقيل سمى محرما لأن الزائرين له يحومون على أنفسهم أشياء كانت مباحة لهم من قبل وسمى عتيقا أيضا لأنه اعتق من الجبابرة أو من الطوفان * فان قلت كيف قال عند بيتك المحرم ولم يكن هناك بيت حينئذ وإنما بناه إبراهيم بعد ذلك * قلت يحتمل أن الله عز وجل أوحى اليه وأعلمه أن له هناك بيتا قد كان فى سالف الزمان وأنه سيعمر فلذلك قال عند بيتك المحرم وقيل يحتمل أن يكون المعنى عند بيتك الذى كان ثم رفع عند الطوفان وقيل يحتمل أن يكون المعنى عند بيتك الذى جرى فى سابق علمك أنه سيحدث فى هذا المكان (ربنا ليقيموا الصلاة) اللام فى ليقيموا متعلقة باسكنت يعنى اسكنت قوما من ذريتى وهم اسمعيل وأولاده بهذا الوادى الذى لا زرع فيه ليقيموا أى لأجل أن يقيموا أو لكى يقيموا الصلاة (فاجعل أفئدة من الناس) قال البغوى جمع

الموفد (تهوى إليهم) تحن وتشتاق إليهم قال السدى رحمه الله أمل قلوبهم إلى هذا الموضع وقال ابن الجوزى أفئدة من الناس أى قلوب جماعة من الناس فلهذا جعله جمع فؤاد قال ابن الأنبارى وإنما عبر عن القلوب بالأفئدة لقرب القلب من الفؤاد لجعل القلب والفؤاد جارحتين وقال الجوهرى الفؤاد القلب والجمع أفئدة فجعلهما جارحة واحدة ولفظة من فى قوله من الناس للتبعيض قال مجاهد لو قال أفئدة الناس لزاحتكم فارس والروم والترك والهند وقال سعيد بن جبير لحجت اليهود والنصارى والمجوس ولكنه قال أفئدة من الناس فهم المسلمون تهوى إليهم قال الأصمعى يقال هوى يهوى هويا إذا سقط من علو إلى أسفل وقال الفراء تهوى إليهم تريدهم كما تقول رأيت فلانا يهوى نحوك معناه يريدك وقال أيضا تهوى تسرع إليهم وقال ابن الأنبارى معناه تنحط إليهم وتنحدر وتنزل هذا قول أهل اللغة فى هذا الحرف وأما أقوال المفسرين فقال ابن عباس يريد تحن اليهم لزيارة بيتك وقال قتادة تسرع إليهم وفى هذا بيان أن حنين الناس إليهم إنما هو لطلب حج البيت لا لأعيانهم وفيه دعاء للمؤمنين بأن يرزقهم حج البيت ودعاء لسكان مكة من ذريته بأنهم ينتفعون بمن يأتى اليهم من الناس لزيارة البيت فقد جمع ابراهيم عليه السلام فى هذا الدعاء من امر الدين والدنيا ما ظهر بيانه وعمت بركاته (وارزقهم من الثمرات) يعنى كما رزقت سكان القرى ذوات الماء والزرع فيكون المراد عمارة قرى بقرب مكة لتحصل تلك الثمار وقيل يحتمل أن يكون المراد جلب الثمرات إلى مكة بطريق النقل والتجارة فهو كقوله تعالى يجبى إليه ثمرات كل شىء * وقوله تعالى (لعلهم يشكرون) يعنى لعلهم يشكرون هذه النعم التى أنعمت بها عليهم وقيل معناه لعلهم يوحدونك ويعظمونك وفيه دليل على أن تحصيل منافع الدنيا إنما هو ليستعان بها على أداء العبادات وإقامة الطاعات (ربنا إنك تعلم ما نخفى وما نعلن) يعنى أنك تعلم السر كما تعلم العلن عما لا تفاوت فيه والمعنى أنك تعلم أحوالنا وما يصلحنا وما يفسدنا وأنت أرحم بنا منا فلا حاجة بنا إلى الدعاء والطلب إنما ندعوك إظهارا للعبودية لك وتخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك وافتقارا إلى ما عندك وقيل معناه تعلم ما نخفى من الوجد بفرقة إسمعيل وامه حيث أسكنتهما بوادغير ذى زرع وما نعلن يعنى من البكاء وقيل ما يخفى يعنى من الحزن المتمكن فى القلب وما نعلن يعنى ما جرى بينه وبين هاجر عند الوداع حين قالت لابراهيم عليه السلام إلى من تكلنا قال إلى الله قالت اذا لا يضيعنا (وما يخفى على الله من شىء فى الأرض ولا فى السماء) قيل هذا من تتمة قول إبراهيم يعنى وما يخفى على الله الذى هو عالم الغيب من شىء فى كل مكان وقال الأكثرون انه من قول الله تعالى تصديقا لإبراهيم فيما قال فهو كقوله وكذلك يفعلون (الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل واسحاق) قال ابن عباس ولد اسماعيل لابراهيم وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة واثنتى عشرة سنة وقال سعيد بن جبير بشر ابرهيم باسحق وهو ابن مائة وسبع عشرة سنة ومعنى قوله على هذا الكبر مع الكبر لان هبة الولد فى هذا السن من أعظم المنن لانه سن اليأس من الولد فلهذا شكر الله على هذه المنة فقال الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسمعيل واسحق * فان قلت كيف جمع بين اسمعيل واسحاق فى الدعاء فى وقت واحد وانما بشر باسحاق بعد اسمعيل بزمان طويل * قلت يحتمل ان ابراهيم عليه السلام انما أتى بهذا الدعاء عندما بشر باسحاق وذلك انه لما عظمت المنة على قلبه بهبة ولدين عظيمين عند كبره * قال عند ذلك الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق ولا يرد على هذا ما ورد فى الحديث أنه دعا بما تقدم عند مفارقة اسمعيل وامه لان الذى صح فى الحديث أنه دعا بقوله ربنا انى أسكنت من ذريتى الى قوله لعلهم يشكرون اذا ثبت هذا فيكون قوله الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل واسحاق فى وقت اخر والله اعلم بحقيقة الحال (ان ربى لسميع الدعاء) كان ابراهيم عليه السلام قد دعا ربه وسأله الولد بقوله رب هب لى من الصالحين فلما استجاب الله دعاءه ووهبه ما سأل شكر الله على ما أكرمه به من اجابة دعائه فعند ذلك قال الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق ان ربى لسميع الدعاء وهو من قولك سمع الملك كلام فلان اذا اعتد به وقبله (رب اجعلنى مقيم الصلاة) يعنى ممن يقيم الصلاة بأركانها ويحافظ عليها فى أوقاتها (ومن ذريتى) اى واجعل من

السدى معناه أمل قلوبهم إلى هذا الموضع قال مجاهد لو قال أفئدة الناس لزاحتكم فارس والروم والترك والهند وقال سعيد بن جبير لحجت اليهود والنصارى والمجوس ولكنه قال أفئدة من الناس وهم المسلمون (وارزقهم من الثمرات) مارزقت سكان القرى ذوات الماء) لعلهم يشكرون ربنا إنك تعلم ما نخفى وما نعلن) من أمورنا وقال ابن عباس ومقاتل من الوجد باسمعيل وأمه حيث أسكنتهما بواد غير ذى زرع (وما يخفى على الله من شىء فى الأرض ولا فى السماء) قيل هذا كله قول إبراهيم متصل بما قبله وقال الأكثرون يقول الله عز وجل وما يخفى على الله من شىء فى الأرض ولا فى السماء (الحمد لله الذى وهب لى على الكبر) أعطانى على كبر السن (إسمعيل وإسحاق إن ربى لسميع الدعاء) قال ابن عباس ولد إسمعيل لابراهيم وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد إسحق وهو ابن مائة واثنتى عشرة سنة وقال سعيد بن جبير بشر إبراهيم باسحق وهو ابن مائة وسبع عشرة سنة (رب اجعلنى مقيم الصلاة) يعنى ممن يقيم الصلاة بأركانها ويحافظ عليها (ومن ذريتى) يعنى اجعل من ذريتى من يقيمون الصلاة

(ربنا وتقبل دعاء) أى عملى وعبادتى سمى العبادة دعاء وجاء فى الحديث الدعاء مخ العبادة وقيل معناه استجب دعائى (ربنا اغفر لى ولوالدى)
فان قيل كيف استغفر لوالديه وهما غير مؤمنين قيل قد قيل ان أمه أسلمت وقيل أراد أن أسلما وتابا وقيل قال ذلك قبل أن يتبين له

أمر أبيه وقد بين الله عذر خليله فى استغفاره لأبيه فى سورة التوبة (وللمؤمنين) أى اغفر للمؤمنين كلهم (يوم يقوم الحساب) أى يبدو ويظهر وقيل أراد يوم الحساب يوم يقوم الناس للحساب فاكتفى بذكر الحساب لكونه مفهوما قوله تعالى (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) الغفلة معنى يمنع الانسان من الوقوف على حقائق الأمور والاية لتسلية المظلوم وتهديد للظالم (إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار) أى لا تغمض من هول ما ترى فى ذلك اليوم وقيل ترتفع وتزول عن أماكنها (مهطعين) قال قتادة مسرعين قال سعيد بن جبير الاهطاع النسلان كعدو الذئب وقال مجاهد مديمى النظر ومعنى الاهطاع أنهم لا يلتفتون يمينا ولا شمالا ولا يعرفون مواطن أقدامهم (مقنعى رؤوسهم) أى رافعى رؤوسهم قال القتيبى المقنع الذى يرفع رأسه ويقبل ببصره على ما بين يديه وقال الحسن وجوه الناس يومئذ إلى السماء لا ينظر أحد إلى أحد (لا يرتد إليهم طرفهم) لا ترجع إليهم أبصارهم من شدة النظر وهى شاخصة قد شغلهم ما بين أيديهم (وأفئدتهم هواء) أى خالية قال قتادة خرجت قلوبهم عن صدورهم فصارت فى حناجرهم لا تخرج من أفوههم ولا تعود إلى مكانها فأفئدتهم

ذريتى من يقيم الصلاة وإنما ادخل لفظة من التى هى للتبعيض فى قوله ومن ذريتى لأنه علم باعلام الله إياه انه قد يوجد من ذريته جمع من الكفار لا يقيمون الصلاة فلهذا قال ومن ذريتى وأراد بهم المؤمنين من ذريته (ربنا وتقبل دعاء) سأل ابراهيم عليه السلام ربه أن يتقبل دعاءه فاستجاب الله لابراهيم وقيل دعاءه بفضله ومنه وكرمه (ربنا اغفر لى) * فان قلت طلب المغفرة من الله إنما يكون لسابق ذنب قد سلف حتى يطلب المغفرة من ذلك الذنب وقد ثبت عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من الذنوب فما وجه طلب المغفرة له * قلت المقصود منه الالتجاء إلى الله سبحانه وتعالى وقطع الطمع من كل شىء إلا من فضله وكرمه والاعتراف بالعبودية لله تعالى والاتكال على رحمته (ولوالدى) * فان قلت كيف استغفر ابراهيم لأبويه وكانا كافرين * قلت أراد أنهما ان اسلما وتابا وقيل انما قال ذلك قبل أن يتبين له انهما من أصحاب الجحيم وقيل ان أمه أسلمت فدعا لها وقيل أراد بوالديه آدم وحواء (وللمؤمنين) يعنى واغفر للمؤمنين كلهم (يوم يقوم الحساب) يعنى يوم يبدو ويظهر الحساب وقيل أراد يوم يقوم الناس للحساب فاكتفى بذلك أى بذكر الحساب لكونه مفهوما عند السامع وهذا دعاء للمؤمنين بالمغفرة والله سبحانه وتعالى لا يرد دعاء خليله ابراهيم عليه السلام ففيه بشارة عظيمة لجميع المؤمنين بالمغفرة * قوله سبحانه وتعالى (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) الغفلة معنى يمنع الانسان من الوقوف على حقائق الأمور وقيل حقيقة الغفلة سهو يعترى الإنسان من قلة التحفظ والتيقظ وهذا فى حق الله محال فلا بد من تأويل الاية فالمقصود منها انه سبحانه وتعالى ينتقم من الظالم للمظلوم ففيه وعيد وتهديد للظالم واعلام له بأن لا يعامله معاملة الغافل عنه بل ينتقم ولا يتركه مغفلا قال سفيان بن عيينة فيه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم فان قلت تعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله ﷺ غافلا وهو أعلم الناس به إنه لم يكن غافلا حتى قيل له ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون * قلت إذا كان المخاطب به رسول الله ﷺ ففيه وجهان أحدهما التثبيت على ما كان عليه من أنه لا يحسب الله غافلا فهو كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله إلها آخر وكقوله سبحانه وتعالى يا أيها الذين امنوا امنوا اى اثبتوا على ما أنتم عليه من الإيمان الوجه الثانى ان المراد بالنهى عن حسبانه غافلا الاعلام بأنه سبحانه وتعالى عالم بما يفعل الظالمون ولا يخفى عليه شىء وانه ينتقم منهم فهو على سبيل الوعيد والتهديد لهم والمعنى ولا تحسبنه معاملهم معاملة الغافل عنهم ولكن يعاملهم معاملة الرقيب الحفيظ عليهم المحاسب لهم على الصغير والكبير وان كان المخاطب غير النبى ﷺ فلا اشكال فيه ولا سؤال لأن اكثر الناس غير عارفين بصفات الله فمن جوز ان يحسبه غافلا فلجهله بصفاته (إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار) يقال شخص بصر الرجل إذا بقيت عيناه مفتوحتين لا يطرفهما وشخوص البصر يدل على الحيرة والدهشة من هول ما ترى فى ذلك اليوم (مهطعين) قال قتادة مسرعين وهذا قول أبى عبيدة فعلى هذا المعنى أن الغالب من حال من بقى بصره شاخصا من شدة الخوف أن يبقى واقفا باهتا فبين الله سبحانه وتعالى فى هذه الاية ان احوال أهل الموقف يوم القيامة بخلاف الحال المعتادة فأخبر سبحانه وتعالى انهم مع شخوص الأبصار يكونون مهطعين يعنى مسرعين نحو الداعى وقيل المهطع الخاضع الذليل الساكت (مقنعى رؤسهم) الاقناع رفع الرأس إلى فوق فاهل الموقف من صفتهم انهم رافعوا رؤسهم إلى السماء وهذا بخلاف المعتاد لأن من يتوقع البلاء فانه يطرق ببصره إلى الأرض قال الحسن وجوه الناس يوم القيامة إلى السماء لا ينظر أحد إلى أحد وهو قوله تعالى (لا يرتد إليهم طرفهم) اى لا ترجع إليهم أبصارهم من شدة الخوف فهى شاخصة لا ترتد إليهم قد شغلهم ما بين أيديهم (وأفئدتهم هواء) أى خالية قال قتادة خرجت قلوبهم من صدورهم فصارت فى حناجرهم فلا تخرج من أفواههم ولا تعود إلى أماكنها ومعنى الاية ان أفئدتهم خالية فارغة

هواء لاشيء فيها ومنه سمي ما بين السماء والأرض هواء الخلوه وقيل خالية لا تعي شيئا ولا تعقل من الخوف وقال الاخفش جوفا لا عقول لها والعرب تسمي كل اجوف خلو هواء وقال سعيد بن جبير وافئدتهم هواء اي مترددة تمور في أجوافهم ليس لها مكان تستقر فيه وحقيقة المعنى أن القلوب زائلة عن أماكنها والأبصار شاخصة من هول ذلك اليوم (وأنذر الناس) خوفهم (يوم) أي بيوم (يأتيهم العذاب) هو يوم القيامة (فيقول الذين ظلموا) اشركوا (ربنا اخرنا) امهلنا (إلى أجل قريب) هذا سؤالهم الرد إلى الدنيا أي ارجعنا اليها (نجب دعوتك ونتبع الرسل) فيجابون (أولم تكونوا أقسمتم من قبل) حلفتم في دار الدنيا (مالكم من زوال) عنها أي لا تبعثون وهو قوله تعالى وأقسموا بالله جهد إيمانهم لا يبعث الله من يموت (وسكنتم) في الدنيا (في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) بالكفر والعصيان يعني قوم نوح وعادو ثمود وغيرهم (وتبين لكم كيف فعلنا بهم) أي عرفتم عقوبتنا إياهم (وضربنا لكم الامثال) أي بينا مثلكم كمثلهم (وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم) أي جزاء مكرهم (وإن كان مكرهم) قرأ علي وابن مسعود وإن كان مكرهم بالدال وقرأ العامة بالنون (لتزول منه الجبال) قرأ العامة لتزول بكسر اللام الأولى ونصب الثانية (٤٣) معناه وما كان مكرهم لتزول قال الحسن

لا تعي شيئا ولا تعقل من شدة الخوف وقال سعيد بن جبير وأفئدتهم هواء أي مترددة تهوي في أجوافهم ليس لها مكان تستقر فيه ومعنى الاية ان القلوب يومئذ زائلة عن أماكنها والأبصار شاخصة والرؤس مرفوعة إلى السماء من هول ذلك اليوم وشدته (وأنذر الناس) يعني وخوف الناس يا محمد بيوم القيامة وهو قوله سبحانه وتعالى (يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا) يعني ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي (ربنا أخرنا إلى أجل قريب) يعني أمهلنا مدة يسيرة قال بعضهم طلبوا الرجوع إلى الدنيا حتى يؤمنوا فينفعهم ذلك وهو قوله تعالى (نجب دعوتك ونتبع الرسل) فأجيبوا بقوله (أولم تكونوا أقسمتم من قبل) يعني في دار الدنيا (مالكم من زوال) يعني مالكم عنها انتقال ولا بعث ولا نشور (وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) يعني بالكفر والمعاصي ممن كان قبلكم من كفار الامم الخالية كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم (وتبين لكم كيف فعلنا بهم) يعني وقد عرفتم كيف كانت عقوبتنا إياهم (وضربنا لكم الأمثال) يعني الأمثال التي ضربها الله عز وجل في القرآن ليتدبروها ويعتبروا بها فيجب على كل من شاهد أحوال الماضيين من الامم الخالية والقرون الماضية وعلم ما جرى لهم وكيف أهلكوا أن يعتبر بهم ويعمل في خلاص نفسه من العقاب والهلاك * قوله سبحانه وتعالى (وقد مكروا مكرهم) اختلفوا في الضمير إلى من يعود في قوله وقد مكروا فقيل يعود إلى الذين سكنوا في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وهذا القول صحيح لأن الضمير يجب عوده إلى أقرب مذكور وقيل أن المراد بقوله وقد مكروا كفار قريش الذين مكروا برسول الله ﷺ ومكرهم ماذكره الله تعالى بقوله تعالى وإذ يمكر بك الذين كفروا الاية والمعنى وانذر الناس يا محمد يوم يأتيهم العذاب يعني بسبب مكرهم بك * وقوله تعالى (وعند الله مكرهم) يعني جزاء مكرهم وقيل ان مكرهم مثبت عند الله ليجازيهم به يوم القيامة (وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال) يعني وإن كان مكرهم لأضعف من أن تزول منه الجبال وقيل معناه أن مكرهم لا يزيل أمر محمد ﷺ الذي هو ثابت كثبوت الجبال وقد حكي عن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه في الاية قولا آخر وهو أنها نزلت في نمرود الجبار الذي حاج

إن كان مكرهم لأضعف من ان تزول منه الجبال وقيل معناه ان مكرهم لا يزيل امر محمد ﷺ الذي هو ثابت كثبوت الجبال وقرأ ابن جريج والكسائي لتزول بفتح اللام الأولى ورفع الثانية معناه ان مكرهم وان عظم حتى بلغ محلا يزيل الجبال لم يقدروا على إزالة أمر محمد وقال قتادة معناه وان كان مكرهم شركهم لتزول منه الجبال وهو قوله تعالى وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا ويحكى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في معنى الاية انها نزلت في نمرود الجبار الذي حاج ابراهيم في ربه وذلك انه قال ان كان ما يقول ابراهيم حقا فلا انتهى حتى أصعد السماء فاعلم ما فيها

فعمد إلى أربعة أفرخ من النسور فربأها حتى شبت واتخذ تابوتا وجعل له بابا من أعلى وبابا من أسفل وقعد من أسفل وقعد نمرود مع الرجل في التابوت ونصب خشبات في أطراف التابوت وجعل على رؤسها اللحم وربط التابوت بارجل النسور وخلاها فطرن وصعدن طمعا في اللحم حتى مضى يوم وابعدن في الهواء فقال نمرود لصاحبه افتح الباب الأعلى وانظر إلى السماء هل قربنا منها ففتح الباب ونظر فقال ان السماء كهيئتها ثم قال افتح الباب الأسفل وانظر إلى الأرض كيف تراها ففعل فقال أرى مثل اللجة والجبال مثل الدخان فطارت النسور يوما آخر وارتفعت حتى حالت الريح بينها وبين الطيران فقال لصاحبه افتح البابين ففتح الأعلى فاذا السماء كهيئتها وفتح الأسفل فاذا الأرض سوداء مظلمة فنودي ايها الطاغية اين تريد قال عكرمة كان مغه في التابوت غلام قد حمل معه القوس والنشاب فرمى بسهم فعاد إليه السهم متلطخا بدم سمكة قذفت نفسها من بحر في الهواء وقيل طائرا أصابه السهم فقال كفيت شغل إله السماء قال ثم أمر نمرود صاحبه أن يصوب الخشبات وينكس اللحم ففعل فهبطت النسور بالتابوت فسمعت الجبال خفيق التابوت والنسور ففزعت وظنت أنه قد حدث حدث من السماء وأن الساعة قد قامت فكادت تزول عن أماكنها فذلك قوله تعالى وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال

(فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) بالنصر لأوليائه وهلاك أعدائه وفيه تقديم وتأخير تقديره ولا تحسبن الله مخلف رسله وعده (إن الله عزيز ذو انتقام) قوله تعالى (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات) أخبرنا إسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا خالد بن مخلد عن محمد بن جعفر بن أبي كثير حدثني أبو حازم بن دينار بن سهل بن سعد قال قال رسول الله ﷺ يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علم لأحد واخبرنا عبد الواحد عن (٤٤) أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنبأ نا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسمعيل ثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن خالد هو ابن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن يزيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال قال النبي ﷺ تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلا لأهل الجنة وعن ابن مسعود في هذه الاية قال تبدل الأرض بأرض كفضة بيضاء نقية لم يسفك فيها دم ولم تعمل فيها خطيئة وقال علي بن أبي طالب تبدل الأرض من فضة والسماء من ذهب وقال محمد بن كعب وسعيد بن جبير تبدل الأرض خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه وقيل معنى التبديل جعل السموات جنانا وجعل الأرض نيرانا وقيل تبديل الأرض تغييرها من هيئة إلى هيئة وهي تسيير جبالها وطم أنهارها وتسوية أوديتها وقلع أشجارها وجعلها قاعا صفصفا وتبديل السموات تغيير هاعن حالها بتكوير شمسها وخسوف قمرها وانتثار نجومها وكونها مرة كالدهان ومرة كالمهل أخبرنا إسمعيل بن القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا علي بن مسهر عن داود هو ابن أبي هند عن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت سألت رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات فاين يكون الناس يومئذ يا رسول الله فقال على الصراط وروى عن ثوبان أن حبرا من أحبار اليهود سأل رسول الله ﷺ فقال أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض قال هم في الظلمة دون الجسر

إبراهيم في ربه فقال نمرود إن كان ما يقول إبراهيم حقا فلا أنتهي حتى أصعد إلى السماء فاعلم ما فيها فعمد إلى أربعة أفراخ من النسور فربا ها حتى كبرت وشبت واتخذ تابوتا من خشب وجعل له بابا من أعلى وبابا من أسفل ثم جوع النسور ونصب خشبات أربعا في أطراف التابوت وجعل على رؤس تلك الخشبات لحما احمر وقعد هو في التابوت وأقعد معه رجلا آخر وأمر بالنسور فربطت في أطراف التابوت من أسفل فجعلت النسور كلما رأت اللحم رغبت فيه وطارت إليه فطارت النسور يوما اجمع حتى بعدت في الهواء فقال نمرود لصاحبه افتح الباب الأعلى وانظر إلى السماء هل قربنا منها ففتح ونظر فقال له إن السماء كهيئتها فقال له افتح الباب الأسفل فانظر إلى الأرض كيف تراها ففعل فقال أرى الأرض مثل اللجة والجبال مثل الدخان قال فطارت النسور يوما آخر وارتفعت حتى حالت الريح بينها وبين الطيران فقال النمرود لصاحبه افتح الباب الأعلى ففعل فاذا السماء كهيئتها وفتح الباب الأسفل فاذا الأرض سوداء مظلمة فنودي أيها الطاغي أين تريد قال عكرمة وكان معه في التابوت غلام قد حمل القوس والنشاب وأخذ معه الترس ورمى بسهم فعاد إليهم السهم ملطخا بدم سمكة قذفت بنفسها من بحر في الهواء وقيل أن طائرا أصابه السهم فلما رجع إليه السهم ملطخا بالدم قال كفيت إله السماء ثم أمر نمرود صاحبه أن يصوب النشاب إلى أسفل وينكس اللحم ففعل فهبطت النسور بالتابوت فسمعت الجبال خفيق التابوت والنسور ففزعت وظنت أنه قد حدث حدث من السماء وإن الساعة قد قامت فكادت تزول عن أماكنها فذلك قوله تعالى وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال واستبعد بعض العلماء هذه الحكاية وقال ان الخطر فيه عظيم ولا يكاد عاقل أن يقدم على مثل هذا الأمر العظيم وليس فيه خبر صحيح يعتمد عليه ولا مناسبة لهذه الحكاية بتأويل الاية البتة (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) يعني فلا تحسبن الله يا محمد مخلف ما وعد به رسله من النصر وإعلاء الكلمة وإظهار الدين فانه ناصر رسله وأوليائه ومهلك أعداءه وفيه تقديم وتأخير تقديره ولا تحسبن الله مخلف رسله وعده (ان الله عزيز) أي غالب (ذو انتقام) يعني من أعدائه * قوله عز وجل (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات) ذكر المفسرون في معنى هذا التبديل قولين أحدهما أنه تبدل صفة الأرض والسماء لا ذاتهما فأما تبديل الأرض فبتغيير صفتها وهيئتها مع بقاء ذاتها وهو أن تدك جبالها وتسوى وهادها وأوديتها وتذهب أشجارها وجميع ما علمها من عمارة وغيرها لا يبقى على وجهها شيء إلا ذهب وتمد مد الاديم وأما تبديل السماء فهو ان تنتثر كواكبها وتطمس شمسها وقمرها ويكوران وكونها تارة كالدهان وتارة كالمهل وبهذا القول قال جماعة من العلماء ويدل على صحة هذا القول ما روى عن سهل بن سعد قال قال رسول الله ﷺ يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس بها علم لأحد أخرجاه في الصحيحين العفراء بالعين المهملة وهي البيضاء إلى حمرة ولهذا شبهها بقرصة النقي وهو الخبز الجيد البياض الفائق المائل إلى حمرة كأن النار ميلت بياض وجهها إلى الحمرة وقوله ليس بها علم لأحد يعني ليس فيها علامة لأحد بتبديل هيئتها وزوال جبالها وجميع بنائها فلا يبقى فيها أثر يستدل به والقول الثاني هو تبديل ذوات الأرض والسماء وهذا قول جماعة من العلماء ثم اختلفوا في معنى هذا التبديل فقال ابن مسعود في معنى هذه

هذه الاية قال تبدل الارض بارض كالفضة بيضاء نقية لم يسفك بها دم ولم يعمل عليها خطيئة وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه الأرض من فضة والسماء من ذهب وقال أبي بن كعب في معنى التبديل بأن تصير الارض نيرانا والسماء جنانا وقال ابو هريرة وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب القرظي تبدل الارض خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه عن ابي سعيد الخدري قال قال النبي ﷺ تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفؤ احدكم خبزته في السفر نزلا لأهل الجنة أخرجاه في الصحيحين بزيادة فيه قال الشيخ محيي الدين النووي في شرح هذا الحديث أما النزل فبضم النون والزاي ويجوز إسكان الزاي وهو ما يعد للضيف عند نزوله واما الخبزة فبضم الخاء وقال اهل اللغة هي الظلة التي توضع في الملة يتكفؤها بالهمزة بيده أي يميلها من يد الى يد حتى تجتمع وتسوى لانها ليست منبسطة كالرقاقة وقد حققنا الكلام في اليد في حق الله سبحانه وتعالى وتأويلها مع القطع باستحالة الجارحة عليه ليس كمثله شيء ومعنى الحديث ان الله سبحانه وتعالى يجعل الارض كالظلة اى الرغيف العظيم وتكون طعاما نزلا لأهل الجنة والله على كل شيء قدير * فان قلت إذا فسرت التبديل بما ذكرت فكيف يمكن الجمع بينه وبين قوله تعالى يومئذ تحدث اخبارها وهو ان تحدث بكل ما عمل عليها * قلت وجه الجمع بين الايتين ان الارض تبدل أولا صفتها مع بقاء ذاتها كما تقدم فيومئذ تحدث أخبارها ثم بعد ذلك تبدل تبديلا ثانيا وهو ان تبدل ذاتها بغيرها كما تقدم ايضا ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن عائشة قالت سألت النبي ﷺ عن قوله تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله فقال على الصراط اخرجه مسلم وروى ثوبان ان حبرا من اليهود سأل رسول الله ﷺ أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض قال هم في الظلمة دون الجسر ذكره البغوي بغير سند في هذين الحديثين دليل على أن تبديل الأرض ثاني مرة يكون بعد الحساب والله أعلم بمراده وأسرار كتابه * وقوله تعالى (وبرزوا) يعني وخرجوا من قبورهم (لله) يعني لحكم الله والوقوف بين يديه للحساب (الواحد القهار) صفتان لله تعالى فالواحد الذي لا ثاني له ولا شريك معه المنزه عن الشبيه والضد والند والقهار الغالب الذي يقهر عباده على ما يريد ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد * قوله تعالى (وترى المجرمين يومئذ مقرنين) يعني مشدودين بعضهم إلى بعض يقال قرنت الشيء بالشيء إذا شددته معه في رباط واحد (في الأصفاد) يعني في القيود والأغلال قال ابن عباس يقرن كل كافر مع شيطانه في سلسلة وقال أبو زيد تقرن أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالأصفاد وهي القيود وقال ابن قتيبة يقرن بعضهم إلى بعض (سرابيلهم) يعني قمصهم واحدها سربال وقيل السربال كل ما لبس (من قطران) القطران دهن يتحلب من شجر الأيهل والعرعر والتوت كالزفت تدهن به الابل إذا جربت وهو الهناء يقال هنأت البعير اهنؤه بالهناء وهو القطران قال الزجاج وإنما جعل لهم القطران سرابيل لأنه يبالغ في اشتعال النار في الجلود ولو أراد الله المبالغة في إحراقهم بغير ذلك القدر ولكنه حذرهم مما يعرفون وقرأ عكرمة ويعقوب من قطران على كلمتين منونتين فالقطر النحاس المذاب والآن الذي انتهى حره (وتغشى وجوههم النار) يعني تعلوها وتجللها (ليجزي الله كل نفس ما كسبت) يعني من خير اوشر (إن الله سريع الحساب) يعني إذا حاسب عباده يوم القيامة (هذا بلاغ للناس) يعني هذا القرآن فيه تبليغ وموعظة للناس (ولينذروا) يعني وليخوفوا بالقران ومواعظه وزواجره (وليعلموا أنما هو إله واحد) يعني وليستدلوا بهذه الآيات على وحدانية الله تعالى (وليذكر اولوا الألباب) يعني وليتعظ بهذا القران وما فيه من المواعظ اولوا العقول والافهام الصحيحة فانه موعظة لمن اتعظ والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة الحجر ﴾

مكية باجماعهم وهي تسع وتسعون اية وستمائة واربع وخمسون كلمة والفان وسبعمائة وستون حرفا

وقوله تعالى (وبرزوا) خرجوا من قبورهم (لله الواحد القهار) الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد (وترى المجرمين يومئذ مقرنين) مشدودين بعضهم ببعض (في الاصفاد) في القيود والاغلال واحدها صفد وكل من شددته شدا وثيقا فقد صفدته قال أبو عبيدة تقول العرب صفدت الرجل فهو مصفود وصفدته بالتشديد فهو مصفد وقيل يقرن كل كافر مع شيطانه في سلسلة بيانه قوله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم يعني قرناءهم من الشياطين وقيل معناه مقرنة ايديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالاصفاد والقيود ومنه قيل للجبل قرن (سرابيلهم) أي قمصهم واحدها سربال (من قطران) هو ما تهنأ به الابل وقرأ عكرمة ويعقوب من قطران على كلمتين منونتين والقطر النحاس والصفر المذاب والآن الذي انتهى حره قال الله تعالى يطوفون بينها وبين حميم آن (وتغشى وجوههم النار) أي تعلو (ليجزي الله كل نفس ما كسبت) من خير وشر (إن الله سريع الحساب هذا) أي هذا القرآن (بلاغ) أي تبليغ وعظة (للناس ولينذروا) وليخوفوا (به وليعلموا إنما هو إله واحد) أي ليستدلوا بهذه الايات على وحدانية الله (وليذكر أولوا الألباب) أي ليتعظ أولوا العقول ﴿سورة الحجر﴾ مكية وهي تسعة وتسعون اية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (الر) معناه أنا الله أرى (تلك ايات الكتاب) أى هذه ايات الكتاب (وقران) أى وايات قرآن (مبين) أى بين الحلال من الحرام والحق من الباطل فان قيل لما ذكر الكتاب ثم قال وقران مبين وكلاهما واحد قلنا قد قيل كل واحد منهما يفيد فائدة أخرى فان الكتاب ما يكتب والقران (٤٦) ما يجمع بعضه إلى بعض وقيل المراد بالكتاب بالتوراة والإنجيل وبالقران هذا الكتاب (ربما)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ قوله سبحانه وتعالى (الر تلك ايات الكتاب وقران مبين) تلك إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات والمراد بالكتاب وبالقران المبين الكتاب الذى وعد به الله محمداً ﷺ وتنكير القران للتفخيم والتعظيم والمعنى تلك ايات الكتاب الكامل فى كونه كتابا وفى كونه قرانا وأى قران كانه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة فى البيان وقيل أراد بالكتاب التوراة والإنجيل لأنه عطف القران على الكتاب والمعطوف غير المعطوف عليه وهذا القول ليس بالقوى لانه لم يجر للتوراة والإنجيل ذكر حتى يشار اليهما وقيل المراد بالكتاب القران وإنما جمعهما بوصفين وإن كان الموصوف واحدا لما فى ذلك من الفائدة وهى التفخيم والتعظيم والمبين الذى يبين الحلال من الحرام والحق من الباطل (ربما) قرىء بالتخفيف والتشديد وهما لغتان ورب للتقليل وكم للتكثير وإنما زيدت ما مع رب ليليها الفعل تقول رب رجل جاءنى وربما جاءنى زيد وإن شئت جعلت ما بمنزلة شىء كانك قلت رب شىء فيكون المعنى رب شىء (يود الذين كفروا) وقيل ما فى ربما بمعنى حين يود يعنى يتمنى الذين كفروا لأن التمنى هو تشهى حصول ما يوده واختلف المفسرون فى الوقت الذى يتمنى الذين كفروا (لو كانوا مسلمين) على قولين أحدهما أن ذلك يكون عند معاينة العذاب وقت الموت فحينئذ يعلم الكافر أنه كان على الضلال فيتمنى لو كان مسلما وذلك حين لا ينفعه ذلك التمنى قال الضحاك هو عند حالة المعاينة والقول الثانى اهذا التمنى يكون فى الاخرة وذلك حين يعاينون أهوال يوم القيامة وشدائده وما يصيرون عليه من العذاب فحينئذ يتمنى الذين كفروا ولو كانوا مسلمين وقال الزجاج ان الكافر كلما رأى حالا من أحوال العذاب ورأى حالا من أحوال المسلم ودلو كان مسلما وقيل إذا رأى الكافر أن الله تعالى يرحم المسلمين ويشفع بعضهم فى بعض حين يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين والقول المشهور ان ذلك التمنى حين يخرج الله المؤمنين من النار عن أبى موسى الأشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال إذا اجتمع أهل النار فى النار ومعهم من شاء الله من أهل القبلة قال الكفار لمن فى النار من أهل القبلة الستم مسلمين قالوا فما أغنى عنكم إسلامكم وأنتم معنا فى النار فقالوا كانت لنا ذنوب فاخذنا بها فيغفر الله لهم بفضل رحمته فيأمر بكل من كان من أهل القبلة فى النار فيخرجون منها فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذكره البغوى بغير سند وكذا ذكره ابن الجوزى وقال واليه ذهب ابن عباس فى رواية عن أنس بن مالك ومجاهد وعطاء وأبو العالية وإبراهيم يعنى النخعى * فان قلت رب إنما وضعت للتقليل وتمنى الذين كفروا لو كانوا مسلمين يكثر يوم القيامة فكيف ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين * قلت قال صاحب الكشاف هو وارد على مذهب العرب فى قولهم لعلك ستندم على فعلك وربما ندم الانسان على فعله ولا يشكون فى تندمه ولا يقصدون تقليله ولكنهم أرادوا لو كان الندم مشكوكا فيه أو كان قليلا لحق عليك أن لا تفعل هذا الفعل لأن العقلاء يتحرزون من التعرض للغم المظنون كما يتحرزون من المتيقن ومن القليل منه كما يتحرزون من الكثير قال غيره أن هذا القليل أبلغ فى التهديد ومعناه يكفيك قليل الندم فى كونه زاجرا لك عن هذا الفعل فكيف بكثيره وقيل ان شغلهم بالعذاب لا يفرغهم للندامة إنما يخطر ذلك ببالهم * فان قلت رب لا تدخل إلا على الماضى فكيف قال ربما يودوهو فى المستقبل قلت لان المترقب فى اخبار الله تعالى بمنزلة الماضى المقطوع به فى تحققه كأنه قال ربما ود * قوله سبحانه وتعالى (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا) يعنى دع يا محمد هؤلاء الكفار يأكلوا فى دنياهم ويتمتعوا بلذاتها (ويلههم الأمل) يعنى ويشغلهم طول الأمل عن الايمان والأخذ بطاعة الله تعالى (فسوف يعلمون) يعنى

قرأ أبو جعفر ونافع وعاصم بتخفيف الباء والباقون بتشديدها وهما لغتان ورب للتقليل وكم للتكثير ورب تدخل على الاسم وربما على الفعل يقال رب رجل جاءنى وربما جاءنى رجل وأدخل ما ههنا للفعل بعدها (يود) يتمنى (الذين كفروا لو كانوا مسلمين) واختلفوا فى الحالة التى يتمنى الكافر فيها الاسلام قال الضحاك حالة المعاينة وقيل يوم القيامة والمشهور انه حين يخرج الله المؤمنين من النار وروى عن أبى موسى الأشعرى عن النبى ﷺ قال إذا اجتمع أهل النار فى النار ومعهم من شاء الله من أهل القبلة قال الكفار لمن فى النار من أهل القبلة ألستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما أغنى عنكم إسلامكم وأنتم معنا فى النار فقالوا كانت لنا ذنوب فاخذنا بها فيغفر الله لهم بفضل رحمته فيأمر بكل من كان من أهل القبلة فى النار فيخرجون فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين

(ويلههم) يشغلهم (الأمل) عن الأخذ بحظهم من الايمان والطاعة (فسوف يعلمون) إذا وردوا القيامة وذاقوا وبال ما صنعوا وهذا تهديد ووعيد وقال بعض اهل العلم ذرهم تهديد وقوله فسوف يعلمون تهديد آخر فتى يهنأ العيش بين تهديدين والاية نسختها اية القتال

(وما أهلكنا من قرية) أى من أهل قرية (إلا ولها كتاب معلوم) أى أجل مضروب لا يتقدم عليه ولا يأتيهم العذاب حتى يبلغوه ولا يتأخر عنهم (ما تسبق من أمة أجلها) من صلة أى ما تسبق أمة اجلها (وما يستأخرون) أى الموت لا يتقدم (٤٧) ولا يتأخر وقيل العذاب وقيل الأجل المضروب وقالوا

إذا وردوا القيامة وذاقوا وبال ما صنعوا وهذا فيه تهديد ووعيد لمن أخذ بحظه من الدنيا ولذاتها ولم يأخذ بحظه من طاعة الله عز وجل وقال بعض أهل العلم ذرهم تهديد وفسوف يعلمون تهديد اخر فتى يهنا العيش بين تهديدين وهذه الاية منسخة باية القتال وفى الاية دليل على أن ايثار التلذذ والتنعم فى الدنيا يؤدى إلى طول الأمل وليس ذلك من أخلاق المؤمنين قال على بن أبى طالب إنما أخشى عليكم اثنتين طول الأمل واتباع الهوى فان طول الامل ينسى الآخرة واتباع الهوى يصد عن الحق (وما أهلكنا من قرية) يعنى من أهل قريه واراد إهلاك الاستئصال (إلا ولها كتاب معلوم) أى أجل مضروب ووقت معين لا يتقدم العذاب عليه ولا يتأخر عنه ولا يأتيهم إلا فى الوقت الذى حدلهم فى اللوح المحفوظ (ما تسبق من امة اجلها) من زائدة فى قوله من امة كقولك ما جاءنى من أحد يعنى احد وقيل هى على اصلها لانها تفيد التبعيض إلى هذا الحكم فيكون ذلك فى إفادة عموم النفى اكد ومعنى الايه ان الاجل المضروب لهم وهو وقت الموت او نزول العذاب لا يتقدم ولا يتأخر وهو قوله سبحانه وتعالى (وما يستأخرون) وإنما ادخل الهاء فى اجلها الارادة الأمة وإخراجها من قوله وما يستاخرون لارادة الرجال * قوله عز وجل (وقالوا) يعنى مشركى مكة (يا ايها الذى نزل عليك الذكر) يعنى القران واردوا به محمدا ﷺ (إنك لمجنون) إنما نسبوه إلى الجنون لأنه ﷺ كان يظهر عند نزول الوحى عليه ما يشبه الغشى فظنوا ان ذلك جنون فلهذا السبب نسبوه إلى الجنون وقيل ان الرجل إذا سمع كلاما مستغربا من غيره فربما نسبه إلى الجنون ولما كانوا يستبعدون كونه رسولا من عند الله واى بهذا القران العظيم أنكروه ونسبوه إلى الجنون وإنما قالوا يا ايها الذى نزل عليه الذكر على طريق الاستهزاء وقيل معناه يا ايها الذى نزل عليه الذكر فى زعمه واعتقاده واعتقاد اصحابه وأتباعه إنك لمجنون فى ادعائك الرسالة (لو ما) قال الزجاج والفراء لو ما ولو لا لغتان ومعناهما هلا يعنى هلا (تأتينا بالملائكة) يعنى يشهدون لك بأنك رسول من عند الله حقا (إن كنت من الصادقين) يعنى فى قولك وادعائك الرسالة (ما تنزل الملائكة إلا بالحق) يعنى بالعذاب او وقت الموت وهو قوله تعالى (وما كانوا إذا منظرين) يعنى لو نزلت الملائكة اليهم لم يمهلوا ولم يؤخروا ساعة واحدة وذلك ان كفار مكة كانوا يطلبون من رسول الله ﷺ إنزال الملائكة عيانا فاجابهم الله عز وجل بهذا والمعنى لو نزلوا عيانا لزال عن الكفار الامهال وعذبوا فى الحال ان لم يؤمنوا ويصدقوا (إنا نحن نزلنا الذكر) يعنى القران انزلناه عليك يا محمد وإنما قال سبحانه وتعالى انا نحن نزلنا الذكر جوابا لقولهم يا ايها الذى نزل عليه الذكر فاخبر الله عز وجل انه هو الذى نزل الذكر على محمد ﷺ (وإنا له لحافظون) الضمير فى له يرجع إلى الذكر يعنى وانا للذكر الذى انزلناه على محمد لحافظون يعنى من الزيادة فيه والنقص منه والتغيير والتبديل والتحريف فالقران العظيم محفوظ من هذه الأشياء كلها لا يقدر احد من جميع الخلق من الجن والانس ان يزيد فيه او ينقص منه حرفا واحدا او كلمة واحدة وهذا مختص بالقران العظيم بخلاف سائر الكتب المنزلة فانه قد دخل على بعضها التحريف والتبديل والزيادة والنقصان ولما تولى الله عز وجل حفظ هذا الكتاب بقى مصونا على الأبد محروسا من الزيادة والنقصان وقال ابن السائب ومقاتل الكناية فى له راجعة إلى محمد ﷺ يعنى وإنا لمحمد لحافظون ممن اراده بسوء فهو كقوله تعالى والله يعصمك من الناس ووجه هذا القول ان الله سبحانه وتعالى لما ذكر الانزال والمنزل دل ذلك على المنزل عليه وهو محمد ﷺ فحسن صرف الكناية اليه لكونه امرا معلوما إلا ان القول الأول اصح واشهر وهو قول الاكثرين لأنه اشبه بظاهر التنزيل ورد الكناية الى اقرب مذكور أولى وهو الذكر واذ قلنا ان الكناية عائدة الى القران وهو الأصح فاختلفوا فى كيفية حفظ الله عز وجل للقران فقال بعضهم حفظه بأن جعله معجزا باقيا مبانيا لكلام البشر فعجز الخلق عن الزيادة فيه والنقصان منه لأنهم لو ارادوا الزيادة فيه والنقصان منه لتغيير نظمه

يعنى مشركى مكة (يا أيها الذى نزل عليه الذكر) أى القرآن وأرادوا به محمد ﷺ (أنك لمجنون) وذكروا تنزيل الذكر على سبيل الاستهزاء (لو ما) هلا (تأتينا بالملائكة) شاهدين لك بالصدق على ما تقول إن الله أرسلك (إن كنت من الصادقين) إنك نبى (ما تنزل الملائكة) قرأ أهل الكوفة غير أبى بكر بنونين الملائكة نصب وقرأ أبو بكر بالتاء وضمها وفتح الزاى الملائكة رفع وقرأ الباقون بالتاء وفتحها وفتح الزاى الملائكة رفع (إلا بالحق) أى بالعذاب ولو نزلت يعنى الملائكة لعجلوا بالعذاب (وما كانوا إذا منظرين) أى مؤخرين وقد كان الكفار يطلبون إنزال الملائكة عيانا فاجابهم الله تعالى بهذا ومعناه أنهم لو نزلوا عيانا لزال عن الكفار الأمهال وعذبوا فى الحال (إنا نحن نزلنا الذكر) يعنى القران (وإنا له لحافظون) أى نحفظ القران من الشياطين ان يزيدوا فيه أو ينقصوا منه أو يبدلوا بغيره قال الله تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والباطل هو ابليس لا يقدر ان يزيد فيه ما ليس منه ولا ان ينقص

منه ما هو منه وقيل الهاء فى له راجعة الى محمد ﷺ اى انه انا لمحمد لحافظون ممن اراده بسوء كما قال جل ذكره والله يعصمك من الناس

وظهر ذلك لكل عالم عاقل وعلموا ضرورة ان ذلك ليس بقرآن وقال آخرون أن الله حفظه وصانه من المعارضة فلم يقدر أحد من الخلق أن يعارضه وقال آخرون بل اعجز الله الخلق عن ابطاله وإفساده بوجه من الوجوه فقيض الله له العلماء الراسخين يحفظونه ويذبون عنه إلى اخر الدهر لأن دواعي جماعة من الملاحدة واليهود متوفرة على إبطاله وإفساده فلم يقدروا على ذلك بحمد الله تعالى قوله سبحانه وتعالى (ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين) لما تجرأ كفار مكة على رسول الله ﷺ وخاطبوه بالسفاهة وهو قولهم انك لمجنون وأساؤا الأدب عليه أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا ﷺ ان عادة الكفار في قديم الزمان مع أنبيائهم كذلك فلك يا محمد اسوة في الصبر على أذى قومك بجميع الانبياء ففيه تسلية للنبي ﷺ وفي الآيه محذوف تقديره ولقد أرسلنا رسلا من قبلك يا محمد فحذف ذكر الرسل لدلالة الارسال عليه وقوله تعالى في شيع الأولين الشيعة هم القوم المجتمعة المتفقة كلمتهم وقال الفراء الشيعة هم الاتباع وشيعة الرجل اتباعه وقيل الشيعة من يتقوى بهم الإنسان وقوله في شيع الأولين من باب إضافة الصفة إلى الموصوف (وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤن كذلك نسلكه في قلوب المجرمين) السلوك النفاذ في الطريق والدخول فيه والسلك ادخال الشيء في حال الشيء كادخال الخيط في المخيط ومعنى الاية كما سلكنا الكفر والتكذيب والاستهزاء في قلوب شيع الاولين كذلك نسلكه أي ندخله في قلوب المجرمين يعني مشركي مكة وفيه رد على القدرية المعتزلة وهي أبين آية في ثبوت القدر لمن أذعن للحق ولم يعاند قال الواحدي قال أصحابنا اضاف الله سبحانه وتعالى إلى نفسه ادخال الكفر في قلوب الكفار وحسن ذلك منه فمن امن بالقران فليستحسنه وقال الامام فخر الدين الرازي احتج أصحابنا بهذه الآية على أنه تعالى يخلق الباطل والضلال في قلوب الكفار فقالوا قوله كذلك نسلكه أي كذلك نسلك الباطل والضلال في قلوب المجرمين وقالت المعتزلة لم يجر للضلال والكفر ذكر فما قبل هذا اللفظ فلا يمكن أن يكون الضمير عائدا اليه وأجيب عنه بأنه سبحانه وتعالى قال ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤن فالضمير في قوله كذلك نسلكه عائد اليه والاستهزاء بالأنبياء كفر وضلال فثبت صحة قولنا أن المراد من قوله كذلك نسلكه في قلوب المجرمين أنه الكفر والضلال * قوله تعالى (لا يؤمنون به) بمحمد ﷺ وقيل بالقران (وقد خلت سنة الأولين) فيه وعيد وتهديد لكفار مكة يخوفهم أن ينزل بهم مثل ما انزل بالأمم الماضية المكذبة للرسل والمعنى وقد مضت سنة الله باهلاك من كذب الرسل من الأمم الماضية فاحذروا يا أهل مكة أن يصيبكم مثل ما أصابهم من العذاب (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون) يعني ولو فتحنا على هؤلاء الذين قالوا لو ما تأتينا بالملائكة بابا من السماء فظلوا يقال ظل فلان يفعل كذا إذا فعله بالنهار كما يقال بات يفعل كذا إذا فعله بالليل فيه يعني في ذلك الباب يعرجون يعني يصعدون والمعارج المصاعد وفي المشار اليه بقوله فظلوا به يعرجون قولان أحدهما أنهم الملائكة وهو قول ابن عباس والضحاك والمعنى لو كشف عن أبصار هؤلاء الكفار فرأوا بابا من السماء مفتوحا والملائكة تصعد فيه لما امنوا والقول الثاني أنهم المشركون وهو قول الحسن وقتادة والمعنى فظل المشركون يصعدون في ذلك الباب فينظرون في ملكوت السموات وما فيها من الملائكة لما امنوا لعنادهم وكفرهم ولقالوا انا سحرنا وهو قوله تعالى (لقالوا إنما سكرت أبصارنا) قال ابن عباس سدت أبصارنا مأخوذ من سكر النهر إذا حبس ومنع من الجري وقيل هو من سكر الشراب والمعنى أن ابصارهم حارت ووقع بها من فساد النظر مثل ما يقع للرجل السكران من تغيير العقل وفساد النظر وقيل سكرت يعني غشيت أبصارنا وسكنت عن النظر وأصله من السكور يقال سكرت عينه إذا تحيرت وسكنت عن النظر (بل نحن قوم مسحورون) يعني سحرنا محمد وعمل فينا سحره وحاصل الاية ان الكفار لما طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم الملائكة فيروهم عيانا ويشهدوا بصدقه اخبر الله سبحانه وتعالى أنه لو حصل لهم هذا وشاهدوه عيانا لما امنوا ولقالوا سحرنا لما سبق لهم في الازل من الشقاوة * قوله سبحانه وتعالى

قوله تعالى (ولقد أرسلنا من قبلك) أي رسلا (في شيع الأولين) أي في الأمم والقرون الماضية والشيعة هم القوم المجتمعة المتفقة كلمتهم على رأي واحد (وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤن) كما فعلوا بك ذكره تسلية للنبي ﷺ (كذلك نسلكه) أي كما سلكنا الكفر والتكذيب والاستهزاء بالرسل في قلوب شيع الاولين كذلك نسلكه ندخله (في قلوب المجرمين) يعني مشركي مكة قومك وفيه رد على القدرية (لا يؤمنون به) يعني لا يؤمنون بمحمد ﷺ وبالقران (وقد خلت) مضت (سنة الاولين) أي وقائع الله تعالى الاهلاك فيمن كذب الرسل من الأمم الخالية يخوف أهل مكة (ولو فتحنا عليهم) يعني على الذين يقولون لو ما تأتينا بالملائكة (بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون) فظلت الملائكة يعرجون فيه وهم يرونها عيانا هذا قول الاكثرين وقال الحسن معناه فظل هؤلاء الكفار يعرجون فيه اي يصعدون والأول اصح (لقالوا إنما سكرت) سدت (أبصارنا) قاله ابن عباس وقال الحسن سحرت وقال قتادة أخذت وقال الكلبي عميت وقرأ ابن كثير سكرت بالتخفيف اي حبست ومنعت النظر كما يسكر النهر لحبس الماء (بل نحن قوم مسحورون) أي عمل فينا السحر فسحرنا محمد

قوله تعالى (ولقد جعلنا فى السماء بروجا) والبروج هى النجوم الكبار مأخوذة من الظهور يقال تبرجت المرأة أى ظهرت وأرادبها المنازل التى تنزلها الشمس والقمر والكواكب السيارة وهى اثنا عشر برجا الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت وقال ابن عطية هى قصور فى السماء عليها الحرس (وزيناها) أى السماء بالشمس والقمر والنجوم (للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم) مرجوم وقيل ملعون قال ابن عباس كانت الشياطين لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون بأخبارها فيلقون على الكهنة ماسمعوا فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد ﷺ منعوا من السموات اجمع فما منهم من أحد يريد استراق السمع إلا رمى بشهاب فلما منعوا من تلك المقاعد ذكروا (٤٩) ذلك لإبليس فقال لقد حدث فى الأرض حادث قال فبعثهم فوجدوا رسول الله ﷺ يتلو القرآن فقالوا هذا والله حدث (إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين) والشهاب الشعلة من النار وذلك أن الشياطين يركب بعضهم بعضاً إلى السماء الدنيا ويسترقون السمع من الملائكة فيرمون بالكواكب فلا تخطىء ابدا فمنهم من تقتله ومنهم من تحرق وجهه أو جنبه أو يده أو حيث يشاء الله ومنهم من تخبله فيصير غولا يضل الناس فى البوادى أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا احمد بن عبد الله النعيمى انا محمد ابن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا الحميدى ثنا سفيان ثنا عمرو قال سمعت عكرمة يقول سمعت أبا هريرة يقول أن نبى الله ﷺ قال إذا قضى الله الأمر فى السماء ضربت

(ولقد جعلنا فى السماء بروجا) يعنى البروج التى تنزلها الشمس فى مسيرها واحداها برج وهى بروج الفلك الاثنا عشر برجا وهى الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت وهذه البروج مقسومة على ثمانية وعشرين منزلا لكل برج منزلان وثلث منزل وقد تقدم ذكر منازل القمر فى تفسير سورة يونس وهذه البروج مقسومة على ثلثمائة وستين درجة لكل برج منها ثلاثون درجة تقطعها الشمس فى كل سنة مرة وبها تتم دورة الفلك ويقطعها القمر فى ثمانية وعشرين يوما قال ابن عباس فى هذه الآية يريد بروج الشمس والقمر يعنى منازلهما وقال ابن عطية هى قصور فى السماء عليها الحرس وقال الحسن ومجاهد وقتادة هى النجوم العظام قال أبو اسحق يريدون نجوم هذه البروج وهى نجوم على ماصورت به وسميت وأصل هذا كله من الظهور (وزيناها) يعنى السماء بالشمس والقمر والنجوم (للناظرين) يعنى المعتبرين المستدلين بها على توحيد خالقها وصانعها وهو الله الذى أوجد كل شىء وخلقه وصوره (وحفظناها) يعنى السماء (من كل شيطان رجيم) أى مرجوم فعيل بمعنى مفعول وقيل ملعون مطرود من رحمة الله قال ابن عباس كانت الشياطين لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون بأخبارها إلى الكهنة فيلقونها اليهم فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد ﷺ منعوا من السموات أجمع فما منهم من أحد يريد أن يسترق السمع إلا رمى بشهاب فلما منعوا من تلك المقاعد ذكروا ذلك لابليس فقال لقد حدث فى الأرض حدث فبعثهم ينظرون فوجدوا رسول الله ﷺ يتلو القرآن فقالوا هذا والله حدث (إلا من استرق السمع) هذا استثناء منقطع معناه لكن من استرق السمع (فاتبعه) أى لحقه (شهاب مبين) والشهاب شعله من نار ساطع سمى الكوكب شهابا لأجل مافيه من البريق شبه بشهاب النار قال ابن عباس فى قوله إلا من استرق السمع يريد الخطفة اليسيرة وذلك أن الشياطين يركب بعضهم بعضا إلى السماء يسترقون السمع من الملائكة فيرمون بالكواكب فلا تخطىء أبدا فمنهم من تقتله ومنهم من تحرق وجهه أو جنبه أو يده أو حيث يشاء الله ومنهم من تخبله فيصير غولا يضل الناس فى البوادى (خ) عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال إذا قضى الله الأمر فى السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كانه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الذى قال الحق وهو العلى الكبير فيسمعها مسترقو السمع ومسترقو السمع هكذا بعضهم فوق بعض ووصف سفيان بكفه فحدقها وبدد بين أصابعه فيسمع الكلمة فيلقيها الى من تحته ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن فربما أدركه الشهاب قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال أليس قال لنا كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التى سمعت من السماء.

(٧ - خازن - بع) الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كانه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الذى قال الحق وهو العلى الكبير فيسمعها مسترقو السمع ومسترقو السمع هكذا بعضهم فوق بعض ووصف سفيان بكفه فحدقها وبدد بين أصابعه فيسمع أحدهم الكلمة فيلقيها إلى من تحته ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال اليس قد قال لنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التى سمعت من السماء أخبرنا عبد الواحد المليحى انا احمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا محمد ابن أبى مريم ثنا الليث ثنا ابن جعفر عن محمد بن عبد الرحمن عن عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها زوج النبى ﷺ أنها سمعت النبى ﷺ يقول أى الملائكة تنزل فى العنان وهو السحاب فتذكر الأمر الذى قضى فى السماء فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوحى إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم واعلم أن هذا لم يكن ظاهرا قبل مبعث النبى ﷺ ولم يذكره شاعر من

(فصل) اختلف العلماء هل كانت الشياطين ترمى بالنجوم قبل مبعث رسول الله ﷺ ام لا على قولين أحدهما انها لم تكن ترمى بالنجوم قبل مبعث رسول الله ﷺ وإنما ظهر ذلك في بدء امره فكان ذلك أساسا لنبوته ﷺ ويدل على صحة هذا القول ماروى عن ابن عباس قال انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب أخرجاه في الصحيحين فظاهر هذا الحديث يدل على أن هذا الرمى بالشهب لم يكن قبل مبعثه ﷺ فلما بعث حدث هذا الرمى ويعضده ماروى ان يعقوب بن المغيرة بن الأخنس بن شريق قال أول من فزع للرمى بالنجوم هذا الحى من ثقيف وانهم جاؤا إلى رجل منهم يقال له عمرو بن امية احد بنى علاج وكان أهدى العرب فقالوا له الم تر ما حدث في السماء من القذف بالنجوم فقال بلى ولكن انظروا فان كانت معالم النجوم التي يهتدى بها في البر والبحر ويعرف بها الانواء من الصيف والشتاء لما يصلح الناس من معايشهم هي التي يرمى بها فهو والله طى الدنيا وهلاك الخلق الذين فيها وإن كانت نجوما غير ها وهى ثابتة على حالها فهذا الأمر أراده الله من الخلق قال الزجاج ويدل على أنها كانت بعد مولد النبي ﷺ ان شعراء العرب الذى ذكروا البرق والاشياق المسرعه لم يوجد في شعرهم ذكر الكواكب المنقضة فاحدثت بعد مولده ﷺ استعملت الشعراء ذكرها قال ذو الرمة

كأنه كوكب في أثر عفرية * مسوم في سواد الليل منقضب

والقول الثاني ان ذلك كان موجودا قبل مبعث النبي ﷺ ولكن لما بعث شدد واغلظ عليهم قال معمر قلت للزهرى اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت افرأيت قوله وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فقال غلظت وشدد امرها حين بعث محمد ﷺ ويدل على صحة هذا القول ما روى عن ابن عباس قال اخبرنى رجل من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار أنهم بينما هم جلوس مع رسول الله ﷺ إذ رمى بنجم واستنار فقال لهم رسول الله ﷺ ما كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمى بمثل هذا قالوا كنا نقول ولد الليلة رجل عظيم أو مات رجل عظيم فقال رسول الله ﷺ فانها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته ولكن ربنا تبارك اسمه إذا قضى امرا سبح حملة العرش ثم سبح اهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح إلى اهل هذه السماء ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم بما قال فيستخبر بعض أهل السماء بعضا حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا فتخطف الجن السمع فيقذفونه إلى أوليائهم يرمون فما جاؤا به على وجهه فهو حق ولكنهم يقذفون فيه ويزيدون اخرجه مسلم وقال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعثه ولكن لم يكن في شدة الحراسة مثل بعد مبعثه قال وعلى هذا وجدنا الشعر القديم قال بشر بن أبي حازم وهو جاهلى

فالعير يرهقها الغبار وجحشها * ينقض خلفهما انقضاض الكوكب

وقال اوس بن حجر وهو جاهلى

فانقض كالدرى يتبعه * نقع يثور تخاله طنبا

والجمع بين هذين القولين ان الرمى بالنجوم كان موجودا قبل مبعث النبي ﷺ فلما بعث شدد ذلك وزيد في حفظ السماء وحراستها صونا لاخبار الغيوب والله أعلم * قوله سبحانه وتعالى (والأرض مددناها) يعنى بسطناها على وجه الماء كما يقال انها دحيت من تحت الكعبة ثم بسطت هذا قول اهل التفسير وزعم أرباب الهيئة انها كرة عظيمة بعضها في الماء وبعضها خارج عن الماء وهو الجزء المعمور منها واعتذروا عن قوله تعالى والأرض مددناها بان الكرة إذا كانت عظيمة كان كل جزء منها كالسطح العظيم فثبت بهذا الامر ان الارض ممدودة مبسوطة وانها كرة وردهذا أصحاب التفسير بان الله أخبر في كتابه بانها ممدودة وأنها مبسوطة ولو كانت كرة لاخبر بذلك والله أعلم بمراده وكيف مد الأرض (وألقينا فيها رواسى) يعنى جبالا ثوابت وذلك أن الله سبحانه وتعالى لما خلق الارض على الماء مادت ورجفت فأثبتها بالجبال (وأنبتنا فيها) أى في الأرض لأن أنواع النبات المنتفع به تكون في الأرض وقيل الضمير يرجع إلى الجبال لأنها أقرب مذكور لقوله تعالى

ابن شريق إن اول من فزع للرمى بالنجوم هذا الحى من ثقيف وانهم جاؤا إلى رجل منهم يقال له عمرو ابن أمية أحد بنى علاج كان اهدى العرب فقالوا له الم تر ما حدث في السماء من القذف بالنجوم قال بلى فانظروا فان كانت معالم النجوم التي يهتدى بها في البر والبحر وتعرف بها الانواء من الصيف والشتاء لما يصلح الناس من معايشهم هي التي يرمى بها فهى والله طى الدنيا وهلاك الخلق الذي فيها وإن كانت نجوما غيرها وهى والله ثابتة على حالها فهذا الأمر أراده الله تعالى بهذا الخلق قال معمر قلت للزهرى اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت افرأيت قوله تعالى وإنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع الاية قال غلظ وشدد امرها حيث بعث محمد ﷺ وقال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعثه ولكن لم يكن في شدة الحراسة فصار شدة الحراسة والاهتمام بالرجم بعد مبعثه وقيل ان النجم ينقض فيرمى الشياطين ثم يعود إلى مكانه والله أعلم قوله تعالى (والارض مددناها) بسطناها على وجه الماء يقال انها مسيرة خمسمائة سنة في مثلها دحيت من تحت الكعبة (وألقينا فيها رواسى) جبالا ثوابت وقد كانت الأرض تميد إلى أن أرساها الله بالجبال (وانبتنا فيها) اى في الارض

(من كل شيء موزون) بقدر معلوم وقيل يعني في الجبال وهي جواهر من الذهب والفضة والحديد والنحاس وغيرها حتى الزرنيخ والكحل كل ذلك يوزن وزنا وقال ابن زيد هي الأشياء التي توزن وزنا (وجعلنا لكم فيها معايش) جمع معيشة قيل أراد بها المطاعم والمشارب والملابس وقيل ما يعيش به الآدمي في الدنيا (ومن لستم له برازقين) أي جعلنا فيها معايش من لستم له برازقين من الدواب والأنعام أي جعلنا لكم وكفيناكم رزقها ومن في الآية بمعنى ما كقوله تعالى فمنهم من يمشي على بطنه وقيل من في موضعها لأنه أراد المماليك مع الدواب وقيل من في محل الخفض عطفا على الكاف والميم في لكم (وان من شيء) أي وما من شيء (إلا عندنا خزائنه) أي مفاتيح خزائنه وقيل (وما ننزله إلا بقدر معلوم) لكل أرض حد مقدر ويقال لا تنزل من السماء (٥١) قطرة إلا ومعها ملك يسوقها حيث أراد به المطر

(من كل شيء موزون) وإنما يوزن ما تولد في الجبال من المعادن وقال ابن عباس وسعيد بن جبير موزون اي معلوم وقال مجاهد وعكرمة أي مقدور فعلى هذا يكون المعنى معلوم القدر عند الله تعالى لان الله سبحانه وتعالى يعلم القدر الذي يحتاج إليه الناس في معايشهم وارزاقهم فيكون إطلاق الوزن عليه مجازا لان الناس لا يعرفون مقادير الاشياء إلا بالوزن وقال الحسن وعكرمة وابن زيد انه عنى به الشيء الموزون كالذهب والفضة والرصاص والحديد والكحل ونحو ذلك مما يستخرج من المعادن لان هذه الأشياء كلها توزن وقيل معنى موزون متناسب في الحسن والهيئة والشكل تقول العرب فلان موزون الحركات إذا كانت حركاته متناسبة حسنة وكلام موزون إذا كان متناسبا حسنا بعيدا من الخطأ والسخف وقيل ان جميع ما ينبت في الأرض والجبال نوعان أحدهما ما يستخرج من المعادن وجميع ذلك موزون والثاني النبات وبعضه موزون ايضا وبعضه مكيل وهو يرجع إلى الوزن لان الصاع والمد مقدران بالوزن (وجعلنا لكم فيها معايش) جمع معيشة وهو ما يعيش به الإنسان مدة حياته في الدنيا من المطاعم والمشارب والملابس ونحو ذلك (ومن لستم له برازقين) يعني الدواب والوحش والطير أنتم منتفعون بها ولستم لها برازقين لان رزق جميع الخلق على الله ومنه قوله تعالى وما من دابة في الارض إلا على الله رزقها وتكون من في قوله تعالى ومن لستم بمعنى ما لان من لمن يعقل وما لمن لا يعقل وقيل يجوز إطلاق لفظة من على من لا يعقل كقوله تعالى فمنهم من يمشي على بطنه وقيل اراد بهم العبيد والخدم فتكون من على اصلها ويدخل معهم ما لا يعقل من الدواب والوحش (وان من شيء الا عندنا خزائنه) الخزائن جمع خزانة وهي اسم للمكان الذي يخزن فيه الشيء للحفظ يقال خزن الشيء اذا احرزه فقيل أراد مفاتيح الخزائن وقيل اراد بالخزائن المطر لانه سبب الارزاق والمعايش لبني آدم والدواب والوحش والطير ومعنى عندنا انه في حكمه وتصرفه وامره وتدبيره * قوله تعالى (وما ننزله الا بقدر معلوم) يعني بقدر الكفاية وقيل ان لكل ارض حدا ومقدارا من المطر يقال لا تنزل من السماء قطرة مطر الا ومعها ملك يسوقها الى حيث يشاء الله تعالى وقيل ان المطر ينزل من السماء كل عام بقدر واحد لا يزيد ولا ينقص ولكن الله يمطر قوما اخرين وقيل اذا اراد الله بقوم خيرا انزل عليهم المطر والرحمة واذا اراد بقوم شرا صرف المطر عنهم الى حيث لا ينتفع به كالبراري والقفار والرمال والبحار ونحو ذلك * وحكى جعفر بن محمد الصادق عن ابيه عن جده انه قال في العرش تمثال جميع ما خلق الله في البر والبحر وهو تأويل قوله وان من شيء الا عندنا خزائنه (وأرسلنا الرياح لواقح) قال ابن عباس يعني للشجر وهو قول الحسن وقتادة واصل هذا من قولهم لقحت الناقة والقحها الفحل اذا القى اليها الماء فحملت فكذلك الرياح كالفحل للسحاب وقال ابن مسعود في تفسير هذه الاية يرسل الله الرياح لتلقح السحاب فتحمل الماء فتمجه في السحاب ثم تمر به فتدر كما تدر اللقحة وقال

يريد الله عز وجل ويشاء عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال في العرش مثال جميع ما خلق الله في البر والبحر وهو تأويل قوله تعالى وان من شيء إلا عندنا خزائنه (وأرسلنا الرياح لواقح) أي حوامل لأنها تحمل الماء إلى السحاب وهو جمع لاقحة يقال ناقة لاقحة إذا حملت الولد قال ابن مسعود يرسل الله الريح فتحمل الماء فيمر به السحاب فيدر كما تدر اللقحة ثم تمطر وقال أبو عبيدة أراد باللواقح الملاقح واحدتها ملقحة لانها تلقح الاشجار قال عبيد بن عمير يبعث الله الريح المبشرة فتقم الارض قما ثم يبعث الله المثيرة فتثير السحاب ثم يبعث الله المؤلفة فتؤلف السحاب بعضه إلى بعض فتجعله ركاما ثم يبعث اللواقح فتلقح الشجر وقال أبو بكر بن عياش لا تقطر قطرة من السحاب إلا بعد

أن تعمل الرياح الأربع فيه فالصبا تهيجه والشمال تجمعه والجنوب تذره والدبور تفرقه وفي الخبر ان اللقح رياح الجنوب وفي بعض الآثار ما هبت ريح الجنوب الا بعث عينا غدقة واما الريح العقيم فانها تأتي بالعذاب ولا تلقح اخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب انا عبد العزيز بن أحمد الخلال ثنا أبو العباس الاصم انا الربيع انا الشافعي أنا من لا أتهم بحديثه ثنا العلاء بن راشد عن عكرمة عن ابن عباس قال ما هبت ريح قط الا جثا النبي صلى الله عليه وسلم على ركبتيه وقال اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا قال ابن عباس في كتاب الله عز وجل فارسلنا عليهم ريحا صرصرا اذا ارسلنا عليهم الريح العقيم وقال وارسلنا الرياح لواقح وقال يرسل الرياح مبشرات قرأ حمزة وحده وارسلنا الريح لواقح على الوحدة والوجه أن الريح يراد بها الجنس والكثرة ولهذا وصفت بالجمع في قوله لواقح وقرأ الباقون الرياح على الجمع ووجهه ظاهر وذلك انها وصفت بقوله لواقح وهي جماعة فينبغي أن يكون الموصف أيضا جماعة ليتوافقا

قوله (فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه) أى جعلنا المطر لكم سقيا يقال أسقى فلان فلانا إذا جعل له سقيا وسقاه إذا أعطاه ما يشرب وتقول للعرب سقيت الرجل ماء ولبنا إذا كان لسقيه فاذا جعلوا له ماء لشرب أرضه ودوابه تقول العرب أسقيته (وما انتم له بخازنين)

يعنى المطر فى خزائنا لا فى خزائنكم وقال سفيان بما نعين (وانا لنحن نحيى ونميت ونحن الوارثون) بان نميت جميع الخلائق فلا يبقى حى سوانا والوارث من صفات الله عز وجل قيل الباقى بعد فناء الخلق وقيل معناه ان مصير الخلق اليه (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين) قال ابن عباس أراد بالمستقدمين الاموات وبالمستاخرين الاحياء. قال السعى الاولين والاخرين وقال عكرمة المستقدمون من خلق الله والمستاخرون من لم يخلق الله قال مجاهد المستقدمون القرون الاولى والمستاخرون امة محمد ﷺ وقال الحسن المستقدمون فى الطاعة والخير والمستأخرون المبطئون عنها وقيل المستقدمون فى الصفوف فى الصلاة والمستأخرون فيها وذلك ان النساء كن يخرجن الى صلاة الجماعة فيقفن خلف الرجال فربما كان من الرجال من فى قلبه ريبة فيتأخر الى اخر صفوف الرجال ليقرب من النساء ومن النساء من كانت فى قلبها ريبة فتقدم الى أول صفوف النساء لتقرب من الرجال فنزلت هذه الآية وقال النبى ﷺ خير صفوف الرجال أولها وشرها اخرها وخير صفوف النساء اخرها وشرها اولها وقال الاوزاعى اراد المصلين فى اول الوقت والمؤخرين الى اخره وقال مقاتل اراد بالمستقدمين والمستاخرين فى صف القتال وقال ابن عيينة اراد من يسلم ومن لا يسلم

عبيد بن عمير يرسل الله الريح المبشرة فتقم الأرض قما ثم يرسل المثيرة فتثير السحاب ثم يرسل المؤلفة فتؤلف السحاب بعضه إلى بعض فتجعله ركاما ثم يرسل اللواقح فتلقح الشجر والاظهر فى هذه الاية الفاحها السحاب لقوله بعده فانزلنا من السماء ماء قال أبو بكر بن عياش لا تقطر قطرة من السماء إلا بعد أن تعمل الرياح الاربع فيها فالصبا تهيج السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه وقال أبو عبيد لواقح هنا بمعنى ملاقح جمع ملقحة حذفت الميم وردت إلى الاصل وقال الزجاج يجوز ان يقال لها لواقح وان القحت غيرها لان معناها النسبة كما يقال درهم وازن اى ذو وزن واعترض الواحدى على هذا فقال هذا ليس بمعنى لانه كان يجب ان يصح اللاقح بمعنى ذات لقح حتى يوافق قول المفسرين وأجاب الرازى عنه بان قال هذا ليس بشىء لأن اللاقح هو المنسوب إلى اللقحة ومن افاد غير اللقحة فله نسبة إلى اللقحة وقال صاحب المفردات لواقح أى ذات لقاح وقيل ان الريح فى نفسها لاقح لانها حاملة للسحاب والدليل عليه قوله تعالى حتى إذا قلت سحابا ثقالا أى حملت فعلى هذا تكون الريح لاقحة بمعنى حاملة تحمل السحاب وقال الزجاج ويجوز أن يقال للريح لقحت إذا أتت بالخير كما قيل لها عقيم إذا لم تات بخير وورد فى بعض الأخبار أن الملقح الرياح الجنوب وفى بعض الاثار ما هبت رياح الجنوب إلا واتبعت عينا غدقة (ق) عن عائشة أن النبى ﷺ كان إذا عصفت الريح قال اللهم إنى أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت وخير ما أرسلت به واعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به وروى البغوى بسنده إلى الشافعى إلى ابن عباس قال ما هبت ريح قط إلا جثا النبى ﷺ على ركبتيه وقال اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا قال ابن عباس فى كتاب الله عز وجل إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا فارسلنا عليهم الريح العقيم وقال وأرسلنا الرياح لواقح وقال يرسل الرياح مبشرات وقوله سبحانه وتعالى (فانزلنا من السماء ماء) يعنى المطر (فاسقيناكموه) يعنى جعلنا لكم المطر سقيا يقال اسقى فلان فلانا إذا جعل له سقيا وسقاه إذا اعطاه ما يشرب وتقول العرب سقيت الرجل ماء ولبنا إذا كان لسقيه فاذا جعلوا له ماء لشرب أرضه أو ماشيته يقال أسقيناه (وما أنتم له) يعنى للمطر (بخازنين) يعنى أن المطر فى خزائننا لا فى خزائنكم وقيل وما انتم له بمانعين (وإنا لنحن نحيى ونميت) يعنى بيدنا احياء الخلق واماتتهم لا يقدر على ذلك أحد الا الله سبحانه وتعالى لان قوله تعالى وانا لنحن يفيد الحصر يعنى لا يقدر على ذلك سوانا (ونحن الوارثون) وذلك بان نميت جميع الخلق فلا يبقى أحد سوانا فيزول ملك كل مالك ويبقى جميع ملك المالكين لنا والوارث هو الباقى بعد ذهاب غيره والله سبحانه وتعالى هو الباقى بعد فناء خلقه الذين امتعهم بما اتاهم فى الحياة الدنيا لان وجود الخلق وما اتاهم كان ابتداؤه منه تعالى فاذا فنى جميع الخلائق رجع الذى كانوا يملكونه فى الدنيا على المجاز الى مالكه على الحقيقة وهو الله تعالى وقيل مصير الخلق اليه * قوله عز وجل (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين) عن ابن عباس قال كانت امرأة تصلى خلف رسول الله ﷺ من أحسن الناس فكان بعض الناس يتقدم حتى يكون فى الصف الأول لئلا يراها ويتاخر بعضهم حتى يكون فى الصف المؤخر فاذا ركع نظر من تحت ابطيه فانزل الله عز وجل ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين أخرجه النسائى وأخرجه الترمذى وقال فيه وقد روى عن ابن الجوزى نحوه ولم يذكر فيه عن ابن عباس وهذا اشبه ان يكون أصح قال البغوى وذلك أن النساء كن يخرجن الى الجماعة فيقفن خلف الرجال فربما كان من الرجال من فى قلبه ريبة فيتاخر الى اخر صف من الرجال ومن النساء من فى قلبها ريبة فتقدم الى اول صف النساء لتقرب من الرجال فنزلت هذه الاية فعند ذلك قال النبى ﷺ خير صفوف الرجال أولها وشرها اخرها وخير صفوف النساء اخرها وشرها اولها اخرجه مسلم عن ابى هريرة وقال ابن

عباس

(وإن ربك هو يحشرهم أنه حكيم عليم) على ما علم منهم وقيل يملك الكل ثم يحشرهم الأولين والاخرين أخبرنا أبو صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن أنا أبو سعيد الصيرفي ثنا أبو العباس الاصم ثنا أحمد بن عبد الجبار ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي سفيان عن جابر قال قال النبي ﷺ من مات على شيء بعثه الله عليه قوله تعالى (ولقد خلقنا الانسان) يعني آدم عليه السلام سمي إنسانا لظهوره وإدراك البصر إياه وقيل من النسيان لانه عهد إليه فنسي (من صلصال) وهو الطين اليابس الذي إذا نقرته سمعت له صلصلة (٥٣) أي صوتا قال ابن عباس هو الطين الحر

عباس أراد بالمستقدمين من خلق الله وبالمستأخرين من لم يخلق الله تعالى بعد وقال مجاهد المستقدمون القرون الاولى والمستأخرون أمة محمد ﷺ وقال الحسن المستقدمون يعني في الطاعة والخير والمستأخرون يعني فيهما وقال الاوزاعي أراد بالمستقدمين المصلين في أول الوقت وبالمستأخرين المؤخرين لها إلى اخره وقال مقاتل أراد بالمستقدمين وبالمستأخرين في صف القتال وقال ابن عيينة أراد من يسلم أولا ومن يسلم آخرا وقال ابن عباس في رواية أخرى عنه أن رسول الله ﷺ حرض على الصف الاول فازدحموا عليه وقال قوم كانت بيوتهم قاصية عن المسجد لنبيعن دورنا ونشتري دورا قريبة من المسجد حتى ندرك الصف المقدم فنزلت هذه الاية ومعناها إنما تجزون على النيات فاطمأنوا وسكنوا فيكون معنى الاية على القول الاول المستقدم للتقوى والمتأخر للنظر وعلى القول الاخير المستقدم لطلب الفضيلة والمستأخر للعذر ومعنى الاية أن علمه سبحانه وتعالى محيط بجميع خلقه مقدمهم ومتاخرهم طائعهم وعاصيهم لا يخفى عليه شيء من أحوال خلقه (وإن ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم) يعني على ما علم منهم وقيل أن الله سبحانه وتعالى يميت الكل ثم يحشرهم الأولين والاخرين على ما ماتوا عليه (م) عن جابر قال قال رسول الله ﷺ يبعث كل عبد على ما مات عليه قوله سبحانه وتعالى (ولقد خلقنا الانسان) يعني آدم عليه السلام في قول جميع المفسرين سمي إنسانا لظهوره وإدراك البصر إياه وقيل من النسيان لانه عهد إليه فنسي من (صلصال) يعني من الطين اليابس إذا نقرته سمعت له صلصلة يعني صوتا وقال ابن عباس هو الطين الحر الطيب الذي إذا انضب عنه الماء تشقق فاذا حرك تقعقع وقال مجاهد هو الطين المنتن واختاره الكسائي وقال هو من صل اللحم إذا انتن (من حما) يعني من الطين الاسود (مسنون) أي متغير قال مجاهد وقتادة هو المنتن المتغير وقال أبو عبيدة هو المصبوب تقول العرب سننت الماء إذا صببته قال ابن عباس هو التراب المبتل المنتن جعل صلصالا كالفخار والجمع بين هذه الاقاويل على ما ذكره بعضهم أن الله سبحانه وتعالى لما أراد خلق ادم عليه السلام قبض قبضة من تراب الارض فبلها بالماء حتى اسودت وأنتن ريحها وتغيرت واليه الاشارة بقوله أن مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم أن ذلك التراب بله الماء وخمره حتى اسودت وانتن ريحه وتغير واليه الاشارة بقوله من حما مسنون ثم ذلك الطين الاسود المتغير صوره صورة إنسان أجوف فلما جف ويبس كانت تدخل فيه الريح فتسمع له صلصلة يعني صوتا وإليه إشارة بقوله من صلصال كالفخار وهو الطين اليابس إذا تفخر في الشمس ثم نفخ فيه الروح فكان بشرا سويا قوله تعالى (والجان خلقناه من قبل) يعني من قبل ادم عليه السلام قال ابن عباس الجان أبو الجن كما أن ادم أبو البشر وقال قتادة هو إبليس وقيل الجان وإبليس ابو الشياطين وفي الجن مسلمون وكافرون يأكلون ويشربون ويحيون ويموتون كبني ادم واما الشياطين فليس فيهم مسلمون ولا يموتون إلا إذا مات إبليس وقال وهب ان من الجن من يولد له ويأكلون ويشربون بمنزلة الادميين ومن الجن من هو بمنزلة الريح لا يتوالدون ولا يأكلون ولا يشربون وهم الشياطين والاصح ان الشياطين نوع من الجن لاشتراكهم في الاستتار سموا جنا لتوارهم واستتارهم عن الاعين من قولهم جن الليل إذا ستر والشيطان هو العاتي المتمرد الكافر والجن منهم المؤمن ومنهم الكافر (من نار السموم) يعني من ريح حارة

الطيب الذي إذا نضت عنه الماء تشقق فاذا حرك تقعقع وقال مجاهد هو الطين المنتن واختاره الكسائي وقال هو من صل اللحم إذا انتن (من حما) والحما الطين المنتن الاسود (مسنون) أي متغير قال مجاهد وقتادة هو المنتن المتغير وقال أبو عبيدة هو المصبوب تقول العرب سننت الماء أي صببته قال ابن عباس هو التراب المبتل المنتن جعل صلصالا كالفخار وفي بعض الاثار أن الله عز وجل خمر طينة آدم وتركه حتى صار متغيرا اسود ثم خلق منه آدم عليه السلام (والجان خلقناه من قبل) قال ابن عباس هو أبو الجن كما أن آدم أبو البشر وقال قتادة هو إبليس خلق قبل آدم ويقال الجان أبو الجن وإبليس أبو الشيطان وفي الجن مسلمون وكافرون ويحيون ويموتون وأما الشياطين فليس منهم مسلمون ويموتون إذا مات إبليس وذكر وهب أن من الجن من يولدهم ويأكلون ويشربون بمنزلة الادميين ومن الجن من هم بمنزلة الريح لا يأكلون ولا يشربون ولا يتوالدون (من نار السموم) والسموم ريح حارة تدخل مسام الانسان فتقتله يقال السموم بالنهار والحرور بالليل وعن الكلبي عن ابي صالح السموم نار لا دخان لها والصواعق تكون منها وهي نار بين السماء وبين الحجاب فاذا اراد الله ان يحدث امرا خرقت الحجاب فهوى إلى ما امرت به فالهدة التي تسمعون في خرق ذلك الحجاب وقيل نار السموم لهب النار وقيل من نار السموم أي من نار جهنم وعن الضحاك عن ابن عباس قال كان إبليس من حي من الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم وخلقت الجن الذين ذكروا في القران من مارج من نار فاما الملائكة فانهم خلقوا من النور

قوله تعالى (وإذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا) أي سأخلق بشرا (من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته) وعدلت صورته وأتممت خلقه (ونفخت فيه من روحي) فصار بشرا حيا والروح جسم لطيف يحيا به الانسان وأضافه إلى نفسه تشريفا (فقعوا له ساجدين) سجود تحية لا سجود عبادة (فسجد الملائكة) (٥٤) الذين أمروا بالسجود (كلهم أجمعون) فان قيل لم قال كلهم أجمعون وقد حصل المقصود بقوله فسجد الملائكة قلنا زعم الخليل وسيبويه انه ذكر ذلك تاكيدا وذكر المبرد ان قوله فسجد الملائكة كان من المحتمل انه سجد بعضهم فذكر كلهم ليزول هذا الاشكال ثم كان يحتمل انهم سجدوا في اوقات مختلفة فزال ذلك الاشكال بقوله اجمعون وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه ان الله عز وجل قال لجماعة من الملائكة اسجدوا لادم فلم يفعلوا فارسل الله عليهم نارا فاحرقهم ثم قال لجماعة اخرى اسجدوا لادم فسجدوا (الا إبليس ابى ان يكون من الساجدين قال يا إبليس مالك الا تكون مع الساجدين قال لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون) أراد اني افضل منه لانه طيني وانا ناري والنار تاكل الطين (قال فاخرج منها) اي من الجنة (فانك رجيم) طريد (وان عليك اللعنة الى يوم الدين) قيل ان اهل السموات يلعنون ابليس كما يلعنه اهل الارض فهو ملعون في السماء والارض (قال رب فانظرني الى يوم يبعثون) اراد الخبيث ان لا يموت (قال فانك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم) اي الوقت الذي يموت فيه الخلائق وهو النفخة الاولى ويقال ان مدة موت ابليس اربعون سنة وهي ما بين النفختين ويقال انه لم تكن اجابة الله تعالى اياه في الامهال اكراما له بل كانت زيادة في بلائه وشقائه

تدخل مسام الانسان من لطفها وقوة حرارتها فتقتله ويقال للريح الحارة التي تكون بالنهار السموم وللريح الحارة التي تكون بالليل الحرور وقال أبو صالح السموم نار لا دخان لها والصواعق تكون منها وهي نار بين السماء والحجاب فاذا حدث أمر خرقت الحجاب فهوت إلى ما أمرت به فالهدة التي تسمعون من خرق ذلك الحجاب وهذا على قول أصحاب الهيئة أن الكرة الرابعة يسمى كرة النار وقيل من نار السموم يعني من نار جهنم وقال ابن مسعود هذه السموم جزء من سبعين جزأ من السموم التي خلق منها الجان وتلا هذه الاية وقال ابن عباس كان إبليس من حي من الملائكة يسمون الجان خلقوا من نار السموم وخلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار وخلقت الملائكة من النور قوله عز وجل (وإذ قال ربك للملائكة) أي واذكر يا محمد إذ قال ربك للملائكة (إني خالق بشرا) سمي الادمي بشرا لأنه جسم كثيف ظاهر البشرة ظاهر الجلد (من صلصال من حمأ مسنون) تقدم تفسيره (فاذا سويته) يعني عدلت صورته وأتممت خلقه (ونفخت فيه من روحي) النفخ عبارة عن إجراء الريح في تجاويف جسم اخر ومنه نفخ الروح في النشاة الاولى وهو المراد من قوله ونفخت فيه من روحي واضاف الله عز وجل روح ادم إلى نفسه على سبيل التشريف والتكريم لها كما يقال بيت الله وناقة الله وعبد الله وسياتي الكلام على الروح في تفسير سورة الاسراء عند قوله ويسالونك عن الروح إن شاء الله تعالى (فقعوا له ساجدين) الخطاب للملائكة الذين قال الله لهم إني خالق بشرا أمرهم بالسجود لادم بقوله فقعوا له ساجدين وكان هذا السجود تحية لا سجود عبادة (فسجد الملائكة كلهم) يعني الذين أمروا بالسجود لادم (اجمعون) قال سيبويه هذا توكيد بعد توكيد وسئل المبرد عن هذه الاية فقال لو قال فسجد الملائكة لاحتمل ان يكون سجد بعضهم فلما قال كلهم لزم إزالة ذلك الاحتمال فظهر بهذا انهم سجدوا باسرهم ثم عند هذا بقي احتمال اخر وهو انهم سجدوا في أوقات متفرقة او في دفعة واحدة فلما قال اجمعون ظهر ان الكل سجدوا دفعة واحدة ولما حكى الزجاج هذا القول عن المبرد قال قول الخليل وسيبويه اجود لأن اجمعين معرفة فلا تكون حالا روى عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله سبحانه وتعالى امر جماعة من الملائكة بالسجود لادم فلم يفعلوا فارسل الله عليهم نارا فاحرقتهم ثم قال لجماعة اخرى اسجدوا لادم فسجدوا (إلا إبليس ابى ان يكون مع الساجدين) يعني مع الملائكة الذين امروا بالسجود لادم فسجدوا (قال) يعني قال الله (يا إبليس مالك الا تكون مع الساجدين قال) يعني إبليس (لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون) اراد إبليس انه افضل من ادم لان ادم طيني الاصل وابليس ناري الاصل والنار افضل من الطين فيكون ابليس في قياسه افضل من ادم لم يدر الخبيث ان الفضل فيما فضله الله تعالى (قال فاخرج منها) يعني من الجنة وقيل من السماء (فانك رجيم) اي طريد (وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين) قيل ان اهل السموات يلعنون ابليس كما يلعنه اهل الارض فهو ملعون في السموات والارض. فان قلت ان حرف إلى لانتهاء الغاية فهل ينقطع اللعن عنه يوم الدين الذي هو يوم القيامة. قلت لا بل يزداد عذابا إلى اللعنة التي عليه كانه قال تعالى وإن عليك اللعنة فقط إلى يوم الدين ثم تزداد معها بعد ذلك عذابا دائما مستمرا لا انقطاع له (قال رب فانظرني) يعني اخرني (إلى يوم يبعثون) يعني يوم القيامة واراد بهذا السؤال انه لا يموت ابدا لانه إذا امهل إلى يوم القيامة ويوم القيامة لا يموت فيه احد لزم من ذلك انه لا يموت ابدا فلهذا السبب سأل الانظار إلى يوم يبعثون فاجابه الله سبحانه وتعالى بقوله (قال فانك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم) يعني الوقت الذي يموت فيه جميع الخلائق وهو النفخة الاولى فيقال ان مدة موت ابليس اربعون سنة وهو ما بين النفختين ولم تكن اجابة الله تعالى إياه في الامهال

(قال رب بما أغويتنى) أقسم للتنى وقيل خيبتنى من رحمتك (لأزينن لهم فى الأرض) حب الدنيا ومعاصيك (ولأغوينهم) أى لأضلنهم (أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين) المؤمنين الذين أخلصوا لك بالطاعة والتوحيد ومن فتح اللام أى من أخلصته بتوحيدك فهديته واصطفيته (قال) الله تعالى (هذا صراط على مستقيم) قال الحسن معناه صراط مستقيم قال مجاهد الحق يرجع إلى الله تعالى وعليه طريقه ولا يعوج عليه شىء وقال الأخفش يعنى على الدلالة على الصراط المستقيم قال الكسائى هذا على التهديد (٥٥) والوعيد كما يقول الرجل لمن يخاصمه طريقك

إكراما له بل كان ذلك الامهال زيادة له فى بلائه وشقائه وعذابه وإنما سمى يوم القيامة بيوم الوقت المعلوم لأن ذلك اليوم لا يعلمه أحد إلا الله تعالى فهو معلوم عنده وقيل إن جميع الخلائق يموتون فيه فهو معلوم بهذا الاعتبار وقيل لما سأل إبليس الانظار إلى يوم يبعثون اجابه الله بقوله فانك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم يعنى اليوم الذى عينت وسألت الانظار إليه (قال رب بما أغويتنى) الباء للقسم فى قوله بما وما مصدرية وجواب القسم (لأزينن) والمعنى فبإغوائك إياى لأزينن لهم فى الارض وقيل هى باء السبب يعنى بسبب كونى غاويا لأزينن (لهم فى الارض) يعنى لأزينن لهم حب الدنيا ومعاصيك (ولأغوينهم اجمعين) يعنى بالقاء الوسوسة فى قلوبهم وذلك ان إبليس لما علم أنه يموت على الكفر غير مغفور له حرص على إضلال الخلق بالكفر وإغوائهم ثم استثنى فقال (إلا عبادك منهم المخلصين) يعنى المؤمنين الذين أخلصوا لك التوحيد والطاعة والعبادة ومن فتح من المخلصين يكون المعنى إلا من اخلصته واصطفيته لتوحيدك وعبادتك وإنما استثنى ابليس المخلصين لأنه علم ان كيده ووسوسته لا تعمل فيهم ولا يقبلون منه وحقيقة الاخلاص فعل الشىء خالصا لله عن شائبة الغير فكل من اتى بعمل من أعمال الطاعات فلا يخلو إما أن يكون مراده بتلك الطاعات وجه الله فقط أو غير الله أو بمجموع الأمرين أما ما كان لله تعالى فهو الخالص المقبول وأما ما كان لغير الله فهو الباطل المردود وأما من كان مراده بمجموع الأمرين فان ترجيح جانب الله تعالى كان من المخلصين الناجحين وإن ترجح الجانب الاخر كان من الهالكين لأن المثل يقابله المثل فيبقى القدر الزائد وإلى أى الجانبين رجح أخذ به (قال) يعنى الله تبارك وتعالى (هذا صراط على مستقيم) قال الحسن معناه هذا صراط إلى مستقيم وقال مجاهد الحق يرجع إلى الله وعليه طريقه لا يعرج إلى شىء وقال الاخفش معناه على الدلالة على الصراط المستقيم وقال الكسائى هذا على طريق التهديد والوعيد كما يقول الرجل لمن يخاصمه طريقك على أى لا تنفلت منى وقيل معناه على استقامته بالبيان والبرهان والتوفيق والهداية وقيل هذا عائد إلى الاخلاص والمعنى ان الاخلاص طريق على وإلى يؤدى إلى كرامتى ورضوانى (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان) أى قوة وقدرة وذلك أن إبليس لما قال لأزينن لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين أوهم بهذا الكلام ان له سلطانا على غير المخلصين فبين الله سبحانه وتعالى انه ليس له سلطان على أحد من عبيده سواء كان من المخلصين أو لم يكن من المخلصين قال أهل المعانى ليس لك عليهم سلطان على قلوبهم وسئل سفيان بن عيينة عن هذه الاية فقال معناه ليس لك عليهم سلطان أن تلقيهم فى ذنب يضيق عنه عفوى وهؤلاء خاصته أن الذين هداهم واجتباهم من عباده (الا من اتبعك من الغاوين) يعنى الا من اتبع ابليس من الغاوين فان له عليهم سلطانا بسبب كونهم منقادين له فيما يأمرهم به (وان جهنم لموعدهم اجمعين) يعنى موعد ابليس واتباعه (لها) يعنى لجهنم (سبعة أبواب) يعنى سبع طبقات قال على بن ابى طالب تدرون كيف ابواب جهنم هكذا ووضع احدى يديه على الأخرى أى سبعة أبواب بعضها فوق بعض قال ابن جريج النار سبع دركات اولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية (لكل باب منهم جزء مقسوم) يعنى لكل دركة قوم يسكنونها والجزء بعض الشىء وجزأته جعلته أجزاء والمعنى أن الله سبحانه وتعالى يجزى أتباع ابليس سبعة أجزاء فيدخل كل قسم منهم دركة من النار والسبب فيه ان مراتب الكفار

اى لا تفلت منى كما قال عز وجل إن ربك لبالمرصاد وقيل معناه على استقامته بالبيان والبرهان والتوفيق والهداية وقرأ ابن سيرين وقتادة ويعقوب على من العلو أى رفيع وعبر بعضهم عنه رفيع أن ينال مستقيم أن يمال (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان) أى قوة قال أهل المعانى يعنى على قلوبهم وسئل سفيان بن عيينة عن هذه الاية فقال معناه ليس لك عليهم سلطان تلقيهم فى ذنب يضيق عنه عفوى وهؤلاء ثنية الله الذين هداهم واجتباهم (إلا من اتبعك من الغاوين وإن جهنم لموعدهم أجمعين) يعنى موعد إبليس ومن تبعه (لها سبعة أبواب) أطباق قال على كرم الله وجهه تدرون كيف أبواب النار هكذا ووضع إحدى يديه على الأخرى أى سبعة أبواب بعضها فوق بعض وان الله وضع الجنان على العرض ووضع النيران بعضها فوق بعض قال ابن جريج النار سبع دركات أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية (لكل باب منهم جزء مقسوم) أى لكل دركة قوم يسكنونها وقال الضحاك فى الدركة الأولى أهل التوحيد الذين أدخلوا النار يعذبون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون وفى الثانية النصارى وفى الثالثة اليهود وفى الرابعة الصابئون وفى الخامسة المجوس وفى السادسة أهل الشرك وفى السابعة المنافقون فذلك قوله تعالى ان المنافقين فى الدرك الأسفل من النار وروى عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ ان لجهنم سبعة أبواب باب منها لمن سل السيف

على أمتى أو قال على أمة محمد قوله تعالى (إن المتقين فى جنات وعيون) أى فى بساتين وأنهار (ادخلوها) أى يقال لهم ادخلوا الجنة (بسلام) اى بسلامة (امنين) من الموت والخروج والافات (ونزعنا) اخرجنا (مافى صدورهم من غل) هو الشحناء والعداوة والحقد والحسد (إخوانا) نصب على الحال (على سرر) جمع سرير (متقابلين) يقابل بعضهم بعضا لا ينظر احدمنهم الى قفا صاحبه وفى بعض الاخبار ان المؤمن فى الجنة اذا ود ان يتقى اخاه المؤمن سار سرير كل واحد منهما الى صاحبه فيلتقيان ويتحدثان (لا يمسهم) لا يصيبهم (فيها نصب) اى تعب (وما هم منها بمخرجين) هذه انص اية فى القران على الخلود قوله تعالى (نبىء عبادى انى انا الغفور الرحيم) قال ابن عباس يعنى لمن تاب منهم وروى ان النبى ﷺ خرج يوما على نفر من اصحابه وهم يضحكون فقال اتضحكون وبين ايديكم النار فنزل جبريل بهذه الاية وقال يقول لك ربك يا محمد لم تقنط عبادى من رحمتى (وان عذابى هو العذاب الاليم) قال قتادة بلغنا ان نبى الله ﷺ قال لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع عن حرام ولو يعلم قدر عذابه لبخع نفسه اخبرنا عبد الواحد المليحى انا احمد ابن عبد الله النعيمى انا محمد ابن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو بن ابى عمرو عن سعيد بن ابى سعيد المقبرى ثلاثة عن ابى هريرة قال سمعت النبى ﷺ يقول ان الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة وارسل فى خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذى عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذى عند الله من العذاب لم يأمن من النار

مختلفة فلذلك اختلفت مراتبهم فى النار قال الضحاك فى الدركة الأولى أهل التوحيد الذين أدخلوا النار يعذبون فيها بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها وفى الثانية النصارى وفى الثالثة اليهود وفى الرابعة الصابئون وفى الخامسة المجوس وفى السادسة اهل الشرك وفى السابعة المنافقون فذلك قوله سبحانه وتعالى إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال لجهنم سبعة أبواب باب منها لمن سل السيف على أمتى أو قال على أمة محمد ﷺ أخرجه الترمذى وقال حديث غريب قوله سبحانه وتعالى (إن المتقين فى جنات وعيون) المراد بالمتقين الذين اتقوا الشرك فى قول جمهور المفسرين وقيل هم الذين اتقوا الشرك والمعاصى والجنات البساتين والعيون الانهار الجارية فى الجنات وقيل يحتمل أن تكون هذه العيون غير الأنهار الكبار التى فى الجنة وعلى هذا فهل يختص كل واحد من أهل الجنة بعيون أو تجرى هذه العيون من بعضهم إلى بعض وكلا الامرين محتمل فيحتمل أن كل واحد من أهل الجنة يختص بعيون تجرى فى جناته وقصوره ودوره فينتفع بها هو ومن يختص به من حوره وولدانه ويحتمل أنها تجرى من جنات بعضهم إلى جنات بعض لانهم قد طهروا من الحسد والحقد (ادخلوها) اى يقال لهم ادخلوها والقائل هو الله تعالى أو بعض ملائكته (بسلام آمنين) يعنى ادخلوا الجنة مع السلامة والأمن من الموت ومن جميع الآفات (ونزعنا مافى صدورهم من غل) الغل الحقد الكامن فى القلب ويطلق على الشحناء والعداوة والبغضاء والحقد والحسد وكل هذه الخصال المذمومة داخلة فى الغل لأنها كامنة فى القلب يروى ان المؤمنين يحبسون على باب الجنة فيقتص بعضهم من بعض ثم يؤمر بهم إلى الجنة وقد نقيت قلوبهم من الغل والغش والحقد والحسد (إخوانا) يعنى فى المحبة والمودة والمخالطة وليس المراد منه أخوة النسب (على سرر) جمع سرير قال بعض اهل المعانى السرير مجلس رفيع عال مهيأ للسرور وهو مأخوذ منه لانه مجلس سرور قال ابن عباس على سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت والسرير مثل صنعاء إلى الجابية (متقابلين) يعنى يقابل بعضهم بعضا لا ينظر احدمنهم فى قفا صاحبه وفى بعض الاخبار ان المؤمن فى الجنة إذا اراد ان يلقى اخاه المؤمن سار سرير كل واحد منهما صاحبه فيلتقيان ويتحدثان (لا يمسهم فيها) يعنى فى الجنة (نصب) اى تعب ولا اعياء (وما هم منها) يعنى من الجنة (بمخرجين) هذا نص من الله فى كتابه على خلود اهل الجنة فى الجنة والمراد منه خلود بلا زوال وبقاء بلا فناء وكمال بلا نقصان وفوز بلا حرمان * قوله سبحانه وتعالى (نبىء عبادى انى انا الغفور الرحيم) قال ابن عباس يعنى لمن تاب منهم وروى ان النبى ﷺ خرج على اصحابه وهم يضحكون فقال اتضحكون وبين ايديكم النار فنزل جبريل بهذه الآية وقال يقول لك ربك يا محمد مم تقنط عبادى ذكره البغوى بغير سند (وان عذابى هو العذاب الأليم) قال قتادة بلغنا ان الرسول ﷺ قال لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع عن حرام ولو يعلم العبد قدر عذابه لبخع نفسه يعنى لقتل نفسه (خ) عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ان الله سبحانه وتعالى خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فامسك عنده تسعا وتسعين رحمة وادخل فى خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذى عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذى عند الله من العذاب لم يأمن من النار وفى الاية لطائف منها انه سبحانه وتعالى اضاف العباد إلى نفسه بقوله نبىء عبادى وهذا تشريف وتعظيم لهم الا ترى انه لما اراد ان يشرف محمدا ﷺ ليلة المعراج لم يزد على قوله سبحان الذى اسرى بعبده ليلا فكل من اعترف على نفسه بالعبودية لله تعالى فهو داخل فى هذا التشريف العظيم ومنها انه سبحانه وتعالى لما ذكر الرحمة والمغفرة بالغ فى التاكيد بالفاظ

قوله تعالى (ونبئهم عن ضيف إبراهيم) أى عن الضيافة والضيف اسم يقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث وهم الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى ليبشروا إبراهيم بالولد ويهلكوا قوم لوط (إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال) ابراهيم (إنا منكم وجلون) خائفون لأنهم لم يأكلوا طعامه (قالوا لا توجل) لا تخف (إنا نبشرك) قرأ حمزة وحده نبشرك بفتح النون وإسكان الباء وضم الشين وتخفيفها وقرأ الباقون نبشرك بضم النون وفتح الباء وكسر الشين وتشديدها (بغلام عليم) أى غلام فى صغره عليم فى كبره يعنى اسحق فتعجب ابراهيم عليه السلام من كبره وكبر امرأته (وقال أبشرتمونى) أى بالولد (على ان مسنى الكبر) اى على حال الكبر قاله على طريق التعجب (فبم تبشرون) فبأى شىء تبشرون قرأ نافع بكسر النون وتخفيفها أى تبشرون وقرأ ابن كثير بكسرها وبتشديد النون أى تبشرونني أدغمت نون الجمع فى نون الاضافة وقرأ الآخرون بفتح النون وتخفيفها (قالوا بشرناك بالحق) أى بالصدق (فلا تكن من القانطين قال ومن يقنط) قرأ أبو عمرو والكسائى ويعقوب بكسر النون والاخرون بفتحها وهما لغتان قنط يقنط وقنط يقنط أى من ييأس (من رحمة ربه إلا الضالون) أى الخاسرون والقنوط من رحمة الله كبيرة كالامن من مكره (قال) ابراهيم لهم (فما خطبكم) ماشأنكم (أيها المرسلون قالوا إنا أرسلنا

ثلاثة أولها قوله أنى وثانيها وثالثها إدخال الألف واللام فى الغفور الرحيم وهذا يدل على تغليب جانب الرحمة والمغفرة ولما ذكر العذاب لم يقل انا المعذب وماوصف نفسه بذلك بل قال وان عذابى هو العذاب الأليم على سبيل الاخبار ومنها انه سبحانه وتعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ عباده هذا المعنى فكانه أشهد رسوله على نفسه فى التزام المغفرة والرحمة * قوله سبحانه وتعالى (ونبئهم عن ضيف ابراهيم) هذا معطوف على ماقبله أى واخبر يا محمد عبادى عن ضيف ابراهيم واصل الضيف الميل يقال ضفت إلى كذا إذا ملت إليه والضيف من مال إليك نزولا بك وصارت الضيافة متعارفة فى القرى واصل الضيف مصدر ولذلك استوى فيه الواحد والجمع فى عامة كلامهم وقد يجمع فيقال أضياف وضيوف وضيفان وضيف ابراهيم هم الملائكة الذين أرسلهم الله سبحانه وتعالى ليبشروا إبراهيم بالولد ويهلكوا قوم لوط (إذ دخلوا عليه) يعنى إذ دخل الأضياف على ابراهيم عليه السلام (فقالوا سلاما) أى نسلم سلاما (قال) يعنى (إنا منكم وجلون) أى خائفون وإنما خاف ابراهيم منهم لانهم لم يأكلوا طعامه (قالوا لا توجل) يعنى لا تخف (إنا نبشرك بغلام عليم) يعنى انهم بشروه بولد ذكر غلام فى صغره عليم فى كبره وقيل عليم بالأحكام والشرائع والمراد به اسحق عليه السلام فلما بشروه بالولد عجب ابراهيم من كبره وكبر امرأته (قال أبشرتمونى يعنى بالولد (على ان مسنى الكبر) يعنى على حالة الكبر قاله على طريق التعجب (فبم تبشرون) يعنى فبأى شىء تبشرون وهو استفهام بمعنى التعجب كانه عجب من حصول الولد على الكبر (قالوا بشرناك بالحق) يعنى بالصدق الذى قضاه الله بأن يخرج منك ولدا ذكر تكثر ذريته وهو اسحق (فلا تكن من القانطين) يعنى فلا تكن من الايسين من الخير والقنوط هو الاياس من الخير (قال) يعنى ابراهيم ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون) يعنى من ييأس من رحمة ربه الا المكذبون وفيه دليل على ان ابراهيم عليه السلام لم يكن من القانطين ولكنه استبعد حصول الولد على الكبر فظنت الملائكة انه قنوط فنفى ذلك عن نفسه واخبر ان القانط من رحمة الله تعالى من الضالين لأن القنوط من رحمة الله كبيرة كالامن من مكر الله ولا يحصل الامن عند من يجهل كون الله تعالى قادرا على مايريدون ومن يجهل كونه سبحانه وتعالى عالما بجميع المعلومات فكل هذه الأمور سبب للضلالة (قال) يعنى ابراهيم (فما خطبكم) يعنى فماشأنكم وما الأمر الذى جئتم فيه (أيها المرسلون والمعنى ما الأمر الذى جئتم به سوى ما بشرتمونى به الولد (قالوا) يعنى الملائكة (إنا أرسلنا الى قوم مجرمين) يعنى لهلاك قوم مجرمين (إلا آل لوط) يعنى اشياعه واتباعه من اهل دينه (انا لمنجوهم اجمعين الا امرأته) يعنى امرأة لوط (قدرنا) يعنى قضينا وإنما أسند الملائكة القدر الى أنفسهم وان كان ذلك الله عز وجل لاختصاصهم بالله وقربهم منه كما تقول خاصة الملك نحن امرنا ونحن فعلنا وان كان قد فعلوه بامر الملك (انها لمن الغابرين) يعنى لمن الباقين فى العذاب والاستثناء من النفى اثبات ومن الاثبات نفى فاستثناء امرأة لوط من الناجين يلحقها بالهالكين (فلما جاء آل لوط المرسلون) وذلك ان الملائكة عليهم السلام لما بشروا ابراهيم بالولد عرفوه بما ارسلوا به سارروا الى لوط وقومه فلما دخلوا على لوط (قال انكم قوم منكرون) وانما قال هذه المقالة لوط لانهم دخلوا فيه وهم فى زى شبان مردان حسبان الوجوه فخاف ان يهجم عليهم قومه فلهذا السبب قال هذه المقالة وقيل ان النكرة ضد المعرفة فقوله انكم قوم منكرون يعنى لا اعرفكم ولا اعرف من اى الاقوام انتم ولا لأى غرض دخلتم على فعند ذلك (قالوا) يعنى الملائكة

الى قوم مجرمين) مشركين (الا آل لوط) اتباعه واهل دينه (انا لمنجوهم أجمعين) خفف الجيم حمزة والكسائى وشده الباقون (الا امرأته) اى امرأة لوط (قدرنا فضينا انها لمن الغابرين) الباقين فى العذاب والاستثناء من النفى اثبات ومن الاثبات نفى فاستثنى امراة لوط من الناجين فكانت ملحقة بالهالكين قرأ أبو بكر قدرنا ههنا وفى سورة النمل بتخفيف الدال والباقون بتشديدها (فلما جاء آل لوط المرسلون قال) لوط لهم (انكم قوم منكرون) أى انا لا اعرفكم (قالوا

بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) أى يشكون فى أنه نازل بهم وهو العذاب لأنه كان يوعدهم بالعذاب ولا يصدقونه (وأتيناك بالحق) باليقين وقيل بالعذاب (وإنا لصادقون فاسر بأهلك بقطع من الليل واتبع ادبارهم) أى خلفهم (ولا يلتفت منكم أحد) حتى لا يرى ما نزل بقومهم وقيل جعل الله ذلك علامة لمن ينجو من آل لوط (وامضوا حيث تؤمرون) قال ابن عباس يعنى الشام وقال مقاتل يعنى زغر وقيل الأردن (وقضينا اليه ذلك الأمر) (٥٨) أى وقضينا إلى آل لوط ذلك الأمر أى أحكمنا الأمر الذى أمرنا فى قوم لوط واخبرناه

(إن دابر هؤلاء) يدل عليه قراءة عبدالله وقلنا له ان دابر هؤلاء يعنى اصلهم (مقطوع) مستأصل (مصبحين) اذا دخلوا فى الصبح (وجاء اهل المدينة) يعنى سدوم (يستبشرون) باضياف لوط اى يبشر بعضهم بعضا طمعا فى ركوب الفاحشة منهم (قال) لوط لقومه (ان هؤلاء ضيفى) وحق على الرجل اكرام ضيفه (فلا تفضحون) فيهم (واتقوا الله ولا تخزون ولا تخجلون (قالوا اولم ننهك عن العالمين) اى الم ننهك عن ان تضيف احدا من العالمين وقيل الم ننهك ان تدخل الغرباء المدينة فاما نركب منهم الفاحشة (قال هؤلاء بناتى) ازوجهن اياكم ان اسلمتم فاتوا الحلال ودعوا الحرام (ان كنتم فاعلين) ما امركم به وقيل اراد بالبنات نساء قومه لان النبى كالو الدلامته قال الله تعالى (لعمرك) يا محمد الله وحياتك (انهم لفى سكرتهم) حيرتهم وضلالتهم (يعمهون) يترددون قال قتادة يلعبون روى عن ابى الجوزاء عن ابن عباس انه قال ما خلق الله نفسا اكرم عليه من محمد ﷺ وما اقسم الله تعالى بحياة احد الا بحياته (فاخذتهم ثم الصيحة مشرقين) اى حتى اضاءت الشمس فكان ابتداء العذاب حين اصبحوا وتمامه حين اشرقوا (فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ان فى ذلك لايات للمتوسمين) قال ابن عباس للناظرين وقال مجاهد للمتفرسين وقال قتادة للمعتبرين وقال مقاتل للمتفكرين

(بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) يعنى جئناك بالعذاب الذى كانوا يشكون فيه (وأتيناك بالحق) يعنى باليقين الذى لا شك فيه (وإنا لصادقون) يعنى فيما أخبرناك به من اهلاكهم (فأسر باهلك) بقطع من الليل يعنى اخر الليل والقطع القطعه من الشىء وبعضه (واتبع ادبارهم) يعنى واتبع اثار أهلك وسر خلفهم (ولا يلتفت منكم أحد) حتى لا يرى ما نزل بقومه من العذاب فيرتاع بذلك وقيل المراد الاسراع فى السير وترك الالتفات إلى ورائه والاهتمام بما خلفه كما تقول امض لشأنك ولا تعرج على شىء وقيل جعل ترك الالتفات علامة لمن ينجو من ال لوط ولئلا يتخلف احد منهم فينا له العذاب (وامضوا حيث تؤمرون) قال ابن عباس يعنى إلى الشأم وقيل الاردن وقيل إلى حيث يأمركم جبريل وذلك ان جبريل امرهم ان يسيروا إلى قرية معينة ماعمل أهلها عمل قوم لوط (وقضينا اليه ذلك الأمر) يعنى وأوحينا إلى لوط ذلك الأمر الذى حكمنا به على قومه وفرغنا منه ثم انه سبحانه وتعالى فسر ذلك الأمر الذى قضاه بقوله (أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين) يعنى ان هؤلاء القوم يستأصلون عن اخرهم بالعذاب وقت الصبح وانما بهم الامر الذى قضاه عليهم أولا وفسر ثانيا تفخيما له وتعظيما لشأنه (وجاء أهل المدينة) يعنى مدينة سدوم وهى مدينة قوم لوط (يستبشرون) يعنى يبشر بعضهم بعضا بأضياف لوط والاستبشار اظهار الفرح والسرور وذلك ان الملائكة لما نزلوا على لوط ظهر أمرهم فى المدينة وقيل ان امرأته اخبرتهم بذلك وكانوا شبانا مردا فى غاية الحسن ونهاية الجمال فجاء قوم لوط إلى داره طمعا منهم فى ركوب الفاحشة (قال) يعنى قال لوط لقومه (إن هؤلاء ضيفى) وحق على الرجل إكرام ضيفه (فلا تفضحون) يعنى فيهم يقال فضحه يفضحه إذا أظهر من أمره ما يلزمه العار بسببه (واتقوا الله) يعنى خافوا الله فى أمرهم (ولا تخزون) يعنى ولا تخجلون (قالوا) يعنى قوم لوط الذين جاؤا اليه (أولم ننهك عن العالمين) يعنى أولم ننهك عن أن تضيف أحدا من العالمين وقيل معناه أولم ننهك أن تدخل الغرباء الى بيتك فانا نريد أن نركب منهم الفاحشة وقيل معناه ألسنا قد نهيناك أن تكلمنا فى أحد من العالمين اذا قصدناه بالفاحشة (قال) يعنى قال لوط لقومه الذين قصدوا اضيافه (هؤلاء بناتى) ازوجكم اياهن ان اسلمتم فأتوا الحلال ودعوا الحرام وقيل اراد بالبنات نساء قومه لأن النبى كالو الدلامته (ان كنتم فاعلين) يعنى ما آمركم به (لعمرك) الخطاب فيه للنبى ﷺ قال ابن عباس معناه وحياتك يا محمد وقال ما خلق الله نفساً اكرم عليه من محمد ﷺ وما اقسم بحياة احد الا بحياته والعمر والعمر واحد وهو اسم لمدة عمارة بدن الانسان بالحياة والروح وبقائه مدة حياته قال النحويون ارتفع لعمرك بالابتداء والخبر محذوف والمعنى لعمرك قسمى فحذف الخبر لان فى الكلام دلالة عليه (انهم لفى سكرتهم) يعنى فى حيرتهم وضلالتهم وقيل غفلتهم (يعمهون) يعنى يترددون متحيرين وقال قتادة يلعبون (فأخذتهم الصيحة مشرقين) يعنى حين اضاءت الشمس فكان ابتداء العذاب الذى نزل بهم وقت الصبح وتمامه وانتهاؤه حين اشرقت الشمس (فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل) تقدم تفسيره فى سورة هود (ان فى ذلك) يعنى الذى نزل بهم من العذاب (لايات للمتوسمين) قال ابن عباس للناظرين وقال قتادة للمعتبرين وقال مقاتل للمتفكرين وقال مجاهد للمتفرسين ويعضد هذا التأويل ماروى عن ابى سعيد الخدرى ان رسول الله ﷺ قال اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله

(وانها) يعنى قرى قوم لوط (لبسبيل مقيم) أى بطريق واضح وقال مجاهد بطريق معلم ليس بخفى ولا زائل (إن فى ذلك لاية للمؤمنين وإن كان) وقد كان (أصحاب الأيكة) الغيضة (لظالمين) لكافرين واللام للتأكيد وهم قوم شعيب عليه السلام كانوا أصحاب غياض وشجر ملتف وكانت عامة شجرهم الدوم وهو المقل (فانتقمنا منهم) بالعذاب وذلك أن الله سلط عليهم الحر سبعة أيام ثم بعث سحابة فالتجؤا اليها يلتمسون الروح فبعث عليهم منها نارا فأحرقتهم فذلك قوله تعالى فأخذهم عذاب يوم الظلة (وانهما) يعنى (٥٩) مدينتى قوم لوط وأصحاب الأيكة (لبامام مبين) لبطريق واضح مستبين قوله تعالى (ولقد كذب أصحاب الحجر) وهى مدينة ثمود قوم صالح وهى بين المدينة والشام (المرسلين) أراد صالحا وحده وإنما ذكر بلفظ الجمع لأن من كذب رسولا فقد كذب المرسلين كلهم (وآتيناهم آياتنا) يعنى الناقة وولدها والبئر والاية فى الناقة خروجها من الصخرة وكبرها وقرب ولادها وغزارة لبنها (فكانوا عنها معرضين وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين) من الخراب ووقوع الجبل عليهم (فأخذتهم الصيحة) يعنى صيحة العذاب (مصبحين) أى داخلين فى وقت الصبح (فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من الشرك والأعمال الخبيثة اخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبى توبة أنبأنا محمد بن أحمد ابن الحارث انا محمد بن يعقوب الكسائى ثنا عبد الله بن محمود انبأنا إبراهيم ابن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن معمر عن الزهرى انا سالم بن عبد الله عن ابيه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه لما مر بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم إلا ان يكونوا باكين ان يصيبكم مثل ما اصابهم قال وتقنع بردائه وهو على الرجل وقال عبد الرازق عن معمر ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى اجتاز الوادى قوله تعالى (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما إلا بالحق وان الساعة) يعنى القيامة (لاتية) يجازى المحسن باحسانه والمسىء باساءته (فاصفح الصفح الجميل) فاعرض عنهم واعف عفو احسنا اسختها اية القتال

ثم قرأ إن فى ذلك لايات للمتوسمين أخرجه الترمذى وقال حديث غريب الفراسة بالكسر اسم من قولك تفرست فى فلان الخير وهى على نوعين أحدهما ما دل عليه ظاهر الحديث وهو ما يوقعه الله فى قلوب أوليائه فيعلمون بذلك أحوال الناس بنوع من الكرامات واصابة الحدس والنظر والظن والتثبيت والنوع الثانى ما يحصل بدلائل التجارب والخلق والاخلاق تعرف بذلك أحوال الناس ايضا وللناس فى علم الفراسة تصانيف قديمة وحديثة قال الزجاج حقيقة المتوسمين فى اللغة المثبتين فى نظرهم حتى يعرفوا سمة الشىء وصفته وعلامته فالمتوسم الناظر فى سمة الدلائل تقول توسمت فى فلان كذا أى عرفت وسم ذلك سمته (وإنها) يعنى قرى قوم لوط (لبسبيل مقيم) يعنى بطريق واضح قال مجاهد بطريق معلم ليس بخفى ولا زائل والمعنى ان اثار ما انزل الله بهذه القرى من عذابه وغضبه لبسبيل مقيم ثابت لم يدثر ولم يخف والذين يمرون عليها من الحجاز إلى الشام يشاهدون ذلك ويرون اثره (إن فى ذلك) يعنى الذى ذكر من عذاب قوم لوط وما أنزل بهم (لاية للمؤمنين) يعنى المصدقين بما أنزله الله على رسوله ﷺ (وإن كان اصحاب الايكة لظالمين) يعنى اصحاب الايكة وهى الغيضة واللام فى قوله لظالمين للتأكيد وهم قوم شعيب عليه السلام كانوا اصحاب غياض وشجر ملتف وكان عامة شجرهم المقل وكانوا قوما كافرين فبعث الله عز وجل اليهم شعيبا رسولا فكذبوه فاهلكهم الله فهو قوله تعالى (فانتقمنا منهم) يعنى بالعذاب وذلك ان الله سبحانه وتعالى سلط عليهم الحر سبعة ايام حتى اخذ بأنفاسهم وقربوا من الهلاك فبعث الله سبحانه وتعالى سحابة كالظلة فالتجؤا اليها واجتمعوا تحتها يلتمسون الروح فبعث الله عليهم نارا فاحرقتهم جميعا (وانهما يعنى مدينة قوم لوط ومدينة اصحاب الايكة (لبامام مبين) يعنى طريق واضح مستبين لمن مر بهما وقيل الضمير راجع إلى الايكة ومدين لأن شعيبا كان مبعوثا اليهما وانما سمى الطريق إماما لأنه يؤم ويتبع ولأن المسافر يأتم به حتى يصير إلى الموضع الذى يريده * عز وجل (ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين) قال المفسرون الحجر اسم كان يسكنه ثمود وهو معروف بين المدينة النبوية والشام واثاره موجود باقية يمر عليها ركب الشام إلى الحجاز واهل الحجاز إلى الشام واراد بالمرسلين صالحا وحده وانما ذكره بلفظ الجمع للتعظيم اولانهم كذبوه وكذبوا من قبله من الرسل (واتيناهم اياتنا) يعنى الناقة وولدها والايات التى كانت فى الناقة خروجها من الصخرة وعظم جثتها وقرب ولادها وغزارة لبنها اضاف الايات اليهم وان كانت لصالح لأنه مرسل اليهم بهذه الايات (فكانوا عنها) يعنى عن الايات (معرضين) يعنى تاركين لها غير ملتفتين اليها (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين) خوفا من الخراب وان يقع عليهم الجبل او الشقف (فأخذتهم الصيحة) يعنى العذاب (مصبحين) يعنى فى وقت الصبح (فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون) يعنى من الشرك والأعمال الخبيثة (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم ان يصيبكم ما اصابهم إلا ان تكونوا باكين ثم قنع راسه واسرع السير حتى جاوز الوادى * قوله سبحانه وتعالى (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق) يعنى لاظهار الحق والعذاب وهو ان يثاب المؤمن المصدق ويعاقب الجاحد الكافر الكاذب (وإن الساعة لاتية) يعنى وإن القيامة لتأتى ليجازى المحسن باحسانه والمسىء باساءته (فاصفح الصفح الجميل) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم اى فاعرض عنهم يا محمد واعف عنهم عفوا حسنا واحتمل

(إن ربك هو الخلاق العليم) بخلقه قوله تعالى (ولقد آتيناك سبعا من المثاني) قال عمر وعلي فاتحة الكتاب وهو قول قتادة وعطاء والحسن وسعيد بن جبير أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا ادم ثنا ابن أبي ذئب ثنا سعيد المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أم القران هي السبع المثاني (والقران العظيم) وعن ابن مسعود قال السبع المثاني هي فاتحة الكتاب والقران العظيم سائر القران واختلفوا في ان الفاتحة لم سميت مثاني فقال ابن عباس والحسن وقتادة لأنها تثنى في الصلاة فتقرأ في كل ركعة وقيل لأنها مقسومة بين الله وبين العبد بنصفين نصفها ثناء ونصفها دعاء كما روينا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال يقول الله قسمت الصلاة (٦٠) بيني وبين عبدي نصفين وقال الحسين بن الفضل بن سميت مثاني لأنها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة كل مرة معها سبعون الف ملك وقال مجاهد سميت مثاني لان الله تعالى استثناها وأدخرها لهذه الامة فما اعطاها غيرهم وقال ابو زيد البلخي سميت مثاني لانها تثنى اهل الشر عن الفسق من قول العرب ثنيت عناني وقيل لان أولها ثناء وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس ان السبع المثاني هي السبع الطوال اولها سورة البقرة واخرها الانفال مع التوبة وقال بعضهم سورة يونس بدل الانفال انا ابو سعد احمد بن ابراهيم الشريحي انا ابو اسحاق الثعلبي ثنا ابو اسحاق ابن احمد المخلدي انا ابو بكر محمد بن حمدون بن خالد وعبد الله بن محمد بن مسلم قال أنبأنا هلال بن العلاء ثنا حجاج بن محمد عن ايوب بن عيبة عن يحيى ابن كثير عن شداد بن عبد الله عن ابي اسماء الرحبي عن ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله تعالى أعطاني السبع الطوال مكان التوراة وأعطاني المئين مكان الانجيل وأعطاني مكان الزبور المثاني وفضلني ربي بالمفصل وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أوتي النبي صلى الله عليه وسلم السبع الطوال وأعطى موسى ستا فلما ألقى الالواح رفع ثنتان وبقي أربع قال ابن عباس وإنما سميت السبع الطوال مثاني لان الفرائض والحدود والامثال والخير والشر والعبر والخبر ثنيت فيها وقال طاوس القران كله مثاني قال الله تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني وسمى القران مثاني لان الانباء والقصص ثنيت فيه وعلى هذا القول المراد بالسبع سبعة أسباع القران فيكون تقديره على هذا وهي القران العظيم وقيل الواو مقحمة مجازه ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم

ما تلقى من أذى قومك وهذا الصفح والاعراض منسوخ بآية القتال وقيل فيه بعد لأن الله سبحانه وتعالى أمر نبيه ﷺ ان يظهر الخلق الحسن وأن يعاملهم بالعفو والصفح الخالي من الجزع والخوف (إن ربك هو الخلاق العليم) يعني انه سبحانه وتعالى خلق خلقه وعلم ما هم فاعلوه وما يصلحهم ☆ قوله عز وجل (ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران) قال ابن الجوزي جبب نزولها ان سبع قوافل وافت من بصرى واذرعات لهود قريظة والنضير في يوم واحد فيها انواع من البر والطيب والجواهر فقال المسلمون لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينا بها وانفقناها في سبيل الله فانزل الله هذه الاية وقال قد أعطيتكم سبع ايات هي خير من هذه السبع القوافل ويدل على صحة هذا قوله لا تمدن عينيك الاية قال الحسن بن الفضل قلت وهذا القول ضعيف ولا يصح لأن هذه السورة مكية باجماع أهل التفسير وليس فيها من المدني شيء ويهود قريظة والنضير كانوا بالمدينة وكيف يصح أن يقال ان سبع قوافل جاءت في يوم واحد فيها أموال عظيمة حتى تمناها المسلمون فانزل الله هذه الاية وأخبرهم ان هذه السبع ايات هي خير من هذه السبع القوافل والله اعلم وفي المراد بالسبع المثاني أقوال أحدها انها فاتحة الكتاب وهذا قول عمر وعلي وابن مسعود وفي رواية عنه وابن عباس وفي رواية الاكثرين عنه وأبي هريرة والحسن وسعيد بن جبير وفي رواية عنه ومجاهد وعطاء وقتادة في اخرين ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ الحمد لله رب العالمين أم القران وأم الكتاب والسبع المثاني أخرجه أبو داود والترمذي (ق) عن أبي سعيد بن المعلى قال قال رسول الله ﷺ الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقران العظيم الذي أوتيته أخرجه البخاري وفيه زيادة اما السبب في تسمية فاتحة الكتاب بالسبع المثاني فلانها سبع ايات باجماع أهل العلم واختلفوا في سبب تسميتها بالمثاني فقال ابن عباس والحسن وقتادة لأنها تثنى في الصلاة تقرأ في كل ركعة وقيل لأنها مقسومة بين العبد وبين الله نصفين فنصفها الأول ثناء على الله ونصفها الثاني دعاء ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال يقول الله تبارك وتعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين الحديث مذكور في فضل الفاتحة وقيل سميت مثاني لأنها كلماتها مثناة مثل قوله الرحمن الرحيم إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين فكل هذه الفاظ مثناة وقال الحسن بن الفضل لأنها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة معها سبعون الف ملك وقال مجاهد لأن الله سبحانه وتعالى استثنا وادخرها لهذه الأمة فلم يعطها لغيرهم وقال أبو زيد البلخي لأنها تثنى أهل الشر عن الشر من قول العرب ثنيت عناني وقال ابن الزجاج سميت فاتحة الكتاب مثاني لاشتمالها على الثناء على الله تعالى وهو حمد الله وتوحيده وملكه وإذا ثبت كون الفاتحة هي السبع المثاني دل ذلك على فضلها وشرفها وانها من أفضل سور القران لان إفرادها بالذكر في قوله تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم مع أنها جزء من أجزاء

القران واحدى سوره لا بدوأن يكون لاختصاصها بالشرف والفضيلة القول الثانى فى تفسير قوله سبعا من المثانى انها السبع الطوال وهذا قول ابن عمر وابن مسعود فى رواية عنه وابن عباس وفى رواية عنه وسعيد بن جبير وفى رواية عنه السبع الطوال هى سورة البقرة وال عمران والنساء والمائدة والأنعام والاعراف واختلفوا فى السابعة فقيل الأنفال مع براءة لأنهما كالسورة الواحدة ولهذا لم يكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم وقيل السابعة هى سورة يونس ويدل على صحة هذا القول ماروى عن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال ان الله سبحانه وتعالى اعطانى السبع الطوال مكان التوراة واعطانى المئين مكان الانجيل واعطانى الزبور المثانى وفضلنى ربى بالمفضل اخرجه البغوى باسناد الثعلبى قال ابن عباس إنما سميت السبع الطوال مثانى لأن الفرائض والحدود والامثال والخبر والعبر ثنيت فيها واورد على هذا القول ان هذه السور الطوال غالبها مدنيات فكيف يمكن تفسير هذه الآية بها وهى مكية واجيب عن هذا الايراد بان الله سبحانه وتعالى حكم فى سابق علمه بانزال هذه السورة على النبى ﷺ وإذا كان الأمر كذلك صح ان تفسر هذه الاية بهذه السور القول الثالث ان السبع المثانى هى السور التى هى دون الطوال وفوق المفصل وهى المئين وحجة هذا القول الحديث المتقدم واعطانى مكان الزبور المثانى والقول الرابع ان المثانى هى القرآن كله وهذا قول طاوس وحجة هذا القول ان الله سبحانه وتعالى قال ان الله انزل احسن الحديث كتابا متشابها مثانى وسمى القران كله مثانى لان الاخبار والقصص والامثال ثنيت فيه * فان قلت كيف يصح عطف القران فى قوله والقران العظيم على قوله سبعا من المثانى وهل هو إلا عطف الشىء على نفسه * قلت إذا عنى بالسبع المثانى فاتحة الكتاب او السبع الطوال فما وراءهن ينطلق عليه القران لأن القران اسم يقع على البعض كما يقع على الكل الا ترى إلى قوله بما اوحينا إليك هذا القران يعنى سورة يوسف عليه السلام واذا عنى بالسبع المثانى القران كله كان المعنى ولقد اتيناك سبعا من المثانى وهى القرآن العظيم وإنما سمى القران عظيما لأنه كلام الله ووحيه انزله على خير خلقه محمد ﷺ * قوله (لا تمدن عينيك) الخطاب للنبى ﷺ لا تمدن عينيك يا محمد (إلى مامتعنا به ازواجا) يعنى اصنافا (منهم) يعنى من الكفار متمنيا لها نهى الله عز وجل رسوله ﷺ عن الرغبة فى الدنيا ومزاحمة اهله عليها والمعنى انك قد اوتيت القران العظيم الذى فيه غنى عن كل شىء فلا تشغل قلبك وسرك بالالتفات إلى الدنيا والرغبة فيها وروى ان سفيان ابن عيينة تأول قول النبى ﷺ ليس منا من لم يتغن بالقران يعنى من لم يستغن بالقران فتأويل هذه الاية قيل إنما يكون مادا عينيه إلى الشىء إذا ادام النظر إليه مستحسنا له فيحصل من ذلك تمنى ذلك الشىء المستحسن فكان رسول الله ﷺ لا ينظر إلى شىء من متاع الدنيا ولا يلتفت اليه ولا يستحسنه (ولا تحزن عليهم) يعنى ولا تغتم على مافاتك من مشاركتهم فى الدنيا وقيل ولا تحزن على ايمانهم إذا لم يؤمنوا ففيه النهى عن الالتفات الى اموال الكفار والالتفات اليهم ايضا وروى البغوى بسنده عن ابى هريرة قال قال رسول الله ﷺ لا تغبطن فاجرا بنعمته فانك لا تدرى ماهو لاق بعد موته ان له عند الله قاتلا لا يموت قيل وما هو قال النار (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله ﷺ اذا نظر احدكم الى من فضل عليه فى المال والخلق فلينظر الى من هو اسفل منه لفظ البخارى ولمسلم قال قال رسول الله ﷺ انظروا الى من هو اسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم قال عوف بن عبد الله بن عتبة كنت اصحب الاغنياء فما كان احدا اكثر همامنى كنت ارى دابة خير من دابتى وثوبا خيرا من ثوبى فلما سمعت هذا الحديث صحبت الفقراء فاسترحت * وقوله سبحانه وتعالى (واخفض جناحك) يعنى لين جانبك

الرغبة فى الدنيا ومزاحمة أهلها عليها (ولا تحزن عليهم) أى لا تغتم على مافاتك من مشاركتهم فى الدنيا أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد ابن عبد الله النعيمى أنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن المقبرى ثنا عيسى بن نصر أنبأ عبد الله بن المبارك أنا جهم بن أوس قال سمعت عبد الله بن ابى مريم ومر به عبد الله بن رستم فى موكبه فقال لابن ابى مريم إنى لاشتهى مجالستك وحديثك فلما مضى قال ابن مريم سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله ﷺ لا تغبطن فاجرا بنعمته فانك لا تدرى ماهو لاق بعد موته أن له عند الله قاتلا لا يموت فبلغ ذلك وهب بن منبه فارسل إليه وهب أبا داود الأعور فقال يا أبا فلان ماقاتلا لا يموت قال ابن ابى مريم النار أخبرنا أبو منصور محمد بن عبد الملك المظفر السرخسى أنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن الفضل الفقيه ثنا أبو الحسن ابن أبى إسحق ثنا إبراهيم بن عبد الله العبسى أنا وكيع عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من فوقكم فانه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم وقيل هذه الاية متصلة بما قبلها وذلك انه لما من الله تعالى عليه بالقران نهاه عن الرغبة فى الدنيا روى ان سفيان بن عيينة تاول قول النبى ﷺ ليس منا من لم يتغن بالقران اى من لم يستغن بالقران وتأويل هذه الاية قوله تعالى (واخفض جناحك) لين جانبك

(للمؤمنين) وارفق بهم والجناح ان من ابن آدم جانباه (وقل إنى أنا النذير المبين كما أنزلنا على المقتسمين) قال الفراء مجازه انذركم عذابا كعذاب المقتسمين حكى عن ابن عباس أنه قال هم اليهود والنصارى (الذين جعلوا القرآن عضين) جزؤه فجعلوه أعضاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه وقال مجاهد هم اليهود والنصارى قسموا كتابهم ففرقوه وبدلوه وقيل المقتسمون قوم اقتسموا القرآن فقال بعضهم سحر وقال بعضهم شعر وقال بعضهم كذب وقال بعضهم أساطير الأولين وقيل الاقتسام هو انهم فرقوا القول فى رسول الله ﷺ فقالوا ساحر كاهن شاعر وقال مقاتل كانوا ستة عشر رجلا بعثهم الوليد (٦٢) بن المغيرة أيام الموسم فاقتسموا عقاب مكة وطرقها وقعدوا على نقابها فيقولون لمن جاء من الحجاج لا تغتروا بهذا الرجل الخارج الذى يدعى النبوة منا وتقول طائفة منهم انه مجنون وطائفة انه كاهن وطائفة انه شاعر والوليد قاعد على باب المسجد نصبوه حكما فاذا سئل عنه قال صدق اولئك يعنى المقتسمين وقوله عضين قيل هو جمع عضو ماخوذ من قولهم عضيت الشىء تعضية إذا فرقته ومعناه انهم جعلوا القران اعضاء فقال بعضهم سحر وقال بعضهم كهانة وقال بعضهم اساطير الاولين وقيل هو جمع عضة يقال عضة وعضين مثل برة وبرين وعزة وعزين واصلها عضة ذهبت هاؤها الاصلية كما نقصوا من الشفة واصلها شفهة بدليل انك تقول فى التصغير شفيهة والمراد بالعضة الكذب والبهتان وقيل المراد بالعضيل العضة وهو السحر يريد أنهم سموا القران سحرا (فوربك لنسالنهم أجمعين) يوم القيامة (عما كانوا يعملون) فى الدنيا قال محمد بن إسمعيل قال عدة من أهل العلم عن قوله لا إله إلا الله فان قيل كيف الجمع بين هذه الاية سؤال وبين قوله تعالى فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان قيل قال ابن عباس لا يسالهم هل عملتم لانه اعلم بهم منهم ولكن يقول لم عملتم كذا وكذا واعتمده قطرب فقال السؤال ضربان سؤال استعلام وسؤال توبيخ فقوله تعالى فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان يعنى استعلاما وقوله لنسالنهم أجمعين يعنى توبيخا وتقريعا وقال عكرمة عن ابن عباس فى الايتين أن يوم القيامة يوم طويل فيه مواقف مختلفة يسالون فى بعض المواقف ولا يسالون فى بعضها نظير ذلك قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون وقال فى اية أخرى ثم أنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون

للمؤمنين) وارفق بهم لما نهاه الله سبحانه وتعالى عن الالتفات إلى الاغنياء من الكفار امره بالتواضع واللين والرفق بفقراء المسلمين وغيرهم من المؤمنين (وقل) اى وقل لهم يا محمد (إنى أنا النذير المبين) لما امر الله تعالى رسوله ﷺ بالزهد فى الدنيا والتواضع للمؤمنين امره بتبليغ ما أرسل به إليهم والنذارة تبليغ مع تخويف والمعنى انى انا النذير بالعقاب لمن عصانى المبين البين النذارة (كما أنزلنا على المقتسمين) يعنى انذركم عذاب كعذاب أنزلناه بالمقتسمين قال ابن عباس اراد بالمقتسمين اليهود والنصارى وهو قول الحسن ومجاهد وقتادة سموا بذلك لانهم آمنوا ببعض القرآن وكفروا ببعضه فما وافق كتبهم آمنوا به وما خالف كتبهم كفروا به وقال عكرمة انهم اقتسموا سور القرآن فقال واحد منهم هذه السورة لى وقال اخر هذه السورة لى وإنما فعلوا ذلك استهزاء به وقال مجاهد أنهم اقتسموا كتبهم فآمنوا ببعضها وكفروا ببعضها وكفر اخرون منهم بما امن به غيرهم وقال قتادة وابن السائب أراد بالمقتسمين كفار قريش سموا بذلك لان أقوالهم تقسمت فى القران فقال بعضهم انه سطر وزعم بعضهم انه كهانة وزعم بعضهم انه أساطير الاولين وقال ابن السائب سموا بالمقتسمين لانهم اقتسموا عقاب مكة وطرقها وذلك أن الوليد بن المغيرة بعث رهطا من أهل مكة قيل ستة عشر وقيل أربعين فقال لهم انطلقوا فتفرقوا على عقاب مكة وطرقها حيث يمر بكم أهل الموسم فاذا سالوكم عن محمد فليقل بعضكم انه كاهن وليقل بعضكم أنه شاعر وليقل بعضكم انه ساحر فاذا جاؤا إلى صدقتكم فيذهبوا وقعدوا على عقاب مكة وطرقها يقولون لمن مر بهم من حجاج العرب لا تغتروا بهذا الخارج الذى يدعى النبوة منا فانه مجنون كاهن وشاعر وقعد الوليد بن المغيرة على باب المسجد الحرام فاذا جاءوا وسالوه عما قال أولئك المقتسمون قال صدقوا * وقوله سبحانه وتعالى (الذين جعلوا القران عضين) (خ) عن ابن عباس فى قوله تعالى الذين جعلوا القران عضين قال هم اليهود والنصارى جزؤه اجزاء امنوا ببعض وكفروا ببعض قيل هو جمع عضة من قولهم عضيت الشىء إذا فرقته وجعلته أجزاء وذلك لانهم جعلوا القران اجزاء مفرقة فقال بعضهم هو سحر وقال بعضهم هو كهانة وقال بعضهم هو أساطين الاولين وقيل هو جمع عضة وهو الكذب والبهتان وقيل المراد به العضة وهو السحر يعنى أنهم جعلوا القران سحرا (فوربك لنسالنهم أجمعين) أقسم الله بنفسه انه يسال هؤلاء المقتسمين الذين جعلوا القران عضين (عما كانوا يعملون) يعنى عما كانوا يقولونه فى القران وقيل عما كانوا يعملون من الكفر والمعاصى وقيل يرجع الضمير فى لنسالنهم إلى جميع الخلق المؤمن والكافر لان اللفظ عام فحمله على العموم أولى قال جماعة من أهل العلم عن لا إله إلا الله عن أنس عن النبى ﷺ فى قوله لنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون قال عن قول لا إله إلا الله أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقال أبو العالية يسال العباد عن خلتين عما كانوا يعبدون وماذا أجابوا المرسلين * فان قلت كيف الجمع بين قوله لنسالنهم اجمعين وبين قوله فيومئذ لا يسال عن ذنبه إنس ولا جان * قلت قال ابن عباس لا يسالهم هل عملتم لانه اعلم به منهم ولكن يقول لم عملتم كذا واعتمده قطرب فقال السؤال ضربان سؤال استعلام وسؤال توبيخ فقوله تعالى فيومئذ لا يسال عن ذنبه إنس ولا جان يعنى سؤال استعلام وقوله لنسالنهم اجمعين

قوله تعالى (فاصدع بما تؤمر) قال ابن عباس اظهره ويروى عنه أمضه وقال الضحاك أعلم وقال الأخفش أفرق أى أفرق بالقرآن بين الحق والباطل وقال سيبويه اقض بما تؤمر وأصل الصدع الفصل والفرق أمر النبى ﷺ فى هذه الاية باظهار الدعوة وروى عن عبد الله بن عبيدة قال كان مستخفيا حتى نزلت هذه الاية فخرج هو وأصحابه (وأعرض عن المشركين) نسختها آية القتال (إنا كفيناك المستهزئين) يقول الله تعالى لنبيه ﷺ فاصدع بامر الله ولا تخف احدا غير الله عز وجل فان الله كافيك من عاداك كما كفاك المستهزئين وهم خمسة نفر من رؤساء قريش الوليد بن المغيرة المخزومى وكان رأسهم والعاص بن وائل السهمى والأسود بن عبد المطلب بن الحارث بن أسد بن عبد العزى ابن زمعة وكان رسول الله ﷺ قد دعا عليه فقال اللهم اعم بصره وأثكله بولده والأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة والحارث بن قيس بن الطلاطلة فاتى جبريل النبى ﷺ والمستهزؤن يطوفون (٦٣) بالبيت فقام جبريل وقام النبى ﷺ إلى جنبه فمر به الوليد بن المغيرة فقال جبريل يا محمد كيف تجد هذا فقال بئس عبد الله فقال قد كفيته وأومأ إلى ساق الوليد فمر برجل من خزاعة نبال بريش نباله وعليه برديمان وهو يجر إزاره فتعلقت شظية من نبل بازاره فمنعه الكبر ان يطاطىء رأسه فينزعها وجعلت تضرب ساقه فخدشته فمرض منها فمات ومر به العاص بن وائل فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد قال بئس عبد الله فاشار جبريل إلى أخمص رجليه وقال قد كفيته فخرج على راحلته ومعه ابنان له يتنزه فنزل شعبا من تلك الشعاب فوطىء على شبرقة فدخلت منها شوكة فى اخمص رجله فقال لدغت لدغت فطلبوا فلم يجدوا شيئا وانتفخت رجله حتى صارت مثل عنق البعير فمات مكانه ومر به الاسود بن المطلب فقال جبريل كيف تجد هذا قال عبد سوء فأشار بيده إلى عينيه وقال قد كفيته فعمى قال ابن عباس رماه جبريل بورقة خضراء فعمى فذهب ضوء بصره ورجعت عيناه فجعل يضرب برأسه الجدار حتى هلك وفى رواية الكلبى أتاه جبريل وهو قاعد فى أصل شجرة ومعه غلام له فجعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك فاستغاث بغلامه فقال غلامه لا أرى أحدا يصنع بك شيئا غير نفسك حتى مات وهو يقول قتانى رب محمد ومر به الاسود بن عبد يغوث فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فال بئس عبد الله على انه ابن خالى فقال قد كفيته وأشار إلى بطنه فاستسقى بطنه فمات حينا وفى رواية للكلبى أنه خرج من أهله فأصابه السموم فاسود حتى عاد حبشيا فاتى اهله فلم يعرفوه واغلقوا دونه الباب حتى مات وهو يقول قتانى رب محمد ومر به الحارث بن قيس فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال عبد سوء فأومأ إلى رأسه وقال قد كفيته فامتخط قيحا فقتله وقال ابن عباس أنه اكل حوتا مالحا فاصابه العطش فلم يزل يشرب عليه من الماء حتى انقد بطنه فمات فذلك قوله تعالى إنا كفيناك المستهزئين بك وبالقران

سؤال توبيخ وتقريع وجواب اخر وهو مروى عن ابن عباس أيضا أنه قال فى الآيتين أن يوم القيامة يوم طويل فيه مواقف فيسئلون فى بعض المواقف ولا يسئلون فى بعضها نظيره قوله سبحانه وتعالى هذا يوم لا ينطقون وقال تعالى فى آية أخرى ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قوله سبحانه وتعالى (فاصدع بما تؤمر) قال ابن عباس اظهر ويروى عنه أمضه وقال الضحاك أعلم وأصل الصدع الشق والفرق اى افرق بالقران بين الحق والباطل امر النبى ﷺ فى هذه الاية باظهار الدعوة وتبليغ الرسالة إلى من أرسل اليهم قال عبد الله بن عبديه مازال النبى ﷺ مستخفيا حتى نزلت هذه الاية فخرج هو وأصحابه (واعرض عن المشركين) اى اكفف عنهم ولا تلتفت إلى لومهم على إظهار دينك وتبليغ رسالة ربك وقيل أعرض عن الاهتمام باستهزائهم وهو قوله سبحانه وتعالى (إنا كفيناك المستهزئين) اكثر المفسرين على ان هذا الاعراض منسوخ بآية القتال وقال بعضهم مال النسخ وجه لان معنى الاعراض ترك المبالاة بهم والالتفات اليهم فلا يكون منسوخا وقوله تعالى إنا كفيناك المستهزئين يقول الله عز وجل لنبيه محمد ﷺ فاصدع بما امرتك به ولا تخف احدا غيرى فانى انا كافيك وحافظك من عاداك فانا كفيناك المستهزئين وكانوا خمسة نفر من رؤساء كفار قريش كانوا يستهزؤن بالنبى ﷺ وبالقرآن وهم الوليد بن المغيرة المخزومى وكان رأسهم والعاص بن وائل السهمى والاسود بن المطلب بن الحرث بن اسد بن عبد العزى ابن زمعة وكان رسول الله ﷺ قد دعا عليه فقال اللهم اعم بصره وأثكله بولده والاسود بن عبد يغوث ابن وهب بن عبد مناف بن زهرة والحرث بن قيس بن الطلاطلة كذا ذكره البغوى وقال ابن الجوزى الحرث بن قيس بن عيطلة وقال الزهرى عيطلة أمه وقيس أبوه فهو منسوب إلى أبيه وأمه قال المفسرون أتى جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ والمستهزؤن يطوفون بالبيت فقام جبريل وقام النبى ﷺ إلى جنبه فمر به الوليد بن المغيرة فقال جبريل يا محمد كيف تجد هذا قال بئس عبد الله فقال قد كفيته وأومأ إلى ساق الوليد فمر الوليد برجل من خزاعة نبال قريش نبله وعليه برديمانى وهو يجر إزاره فتعلقت شظية من النبل بازار الوليد فمنعه الكبر أن يطأطىء رأسه فينزعها وجعلت تضربه فى ساقه فخدشته فمرض منها فمات ومر بهما العاص بن وائل السهمى فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال بئس عبد الله فأشار جبريل إلى اخمص قدمه وقال قد كفيته فخرج العاص على راحلة يتنزه ومعه ابناه فنزل شعبا من تلك الشعاب فوطىء شبرقة فدخل منها شوكة فى أخمص رجله فقال لدغت لدغت فطلبوا فلم يجدوا شيأ وانتفخت رجله حتى

(الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون) وقيل استهزاؤهم واقتسامهم هو أن الله لما أنزل فى القرآن سورة البقرة وسورة النحل وسورة النمل وسورة العنكبوت كانوا يجتمعون ويقولون استهزاء يقول هذا فى سورة البقرة ويقول هذا فى سورة النحل ويقول هذا فى سورة العنكبوت فانزل الله تعالى (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك) قال ابن عباس فصل بأمر ربك (وكن من الساجدين) من المصلين المتواضعين وقال الضحاك فسبح بحمد ربك قل سبحان الله وبحمده وكن من الساجدين يعنى من المصلين وروى أن رسول الله ﷺ كان إذا حزبه امر فزع الى الصلاة (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) أى الموت الموقن به وهذا معنى ماذكر فى سورة مريم وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا أخبرنا المطهر بن على الفارسى أنا محمد بن ابراهيم الصالحى أنا عبد الله محمد بن جعفر بن الشيخ الحافظ ثنا أمية بن محمد الصواف البصرى ثنا محمد بن يحيى الازدى ثنا ابى والهيثم بن خارجة قالا ثنا إسمعيل بن عياش عن شرحبيل بن مسلم عن ابى مسلم الخولانى عن جبير بن نفير قال قال رسول الله ﷺ ما اوحى الله الى ان اجمع المال واكون من التاجرين ولكن اوحى الى ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وروى عن عمر رضى الله عنه قال نظر النبى ﷺ إلى مصعب بن عمير مقبلا عليه أهاب كبش قد تنطق به فقال رسول الله ﷺ انظروا إلى هذا الذى قد نور الله قلبه لقد رايته بين ابويه يغذيانه بأطيب الطعام والشراب ولقد رأيت عليه حلة شراها أو ثمريت له بمائتى درهم فدعاه حب الله ورسوله إلى ماترون والله أعلم

(سورة النحل) مكية ماتان وثمان وعشرون اية إلا قوله تعالى وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به إلى آخر السورة

صارت مثل عنق البعير فمات مكانه ومر بهما الاسود بن المطلب فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال عبد سوء فاشار جبريل إلى عينيه وقال قد كفيته فعمى قال ابن عباس رماه جبريل بورقة خضراء فذهب بصره ورجعت عينه فجعل يضرب برأسه الجدار حتى هلك وفى رواية الكلبى قال أتاه جبريل وهو قاعد فى أصل شجرة ومعه غلام له وفى رواية فجعل ينطح رأسه فى الشجرة ويضرب وجهه بالشوك فاستغاث بغلامه فقال له غلامه ما أرى أحدا يصنع بك شيئا غيرك فمات وهو يقول قتلنى محمد ومر بهما الاسود بن عبد يغوث فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال بئس عبد الله على أنه خالى فقال جبريل قد كفيته وأشار إلى بطنه فاستسقى بطنه فمات وفى رواية الكلبى أنه خرج من أهله فأصابه سموم فاسود وجهه حتى صار حبشيا فاتى أهله فلم يعرفوه وأغلقوا دونه الباب فمات وهو يقول قتلنى رب محمد ومر بهما الحرث بن قيس فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال عبد سوء فأومأ جبريل إلى رأسه وقال قد كفيته فامتخط قيحا فقتله وقال ابن عباس أنه أكل حوتا مالحا فأصابه العطش فلم يزل يشرب الماء حتى انقد بطنه فمات فذلك قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين يعنى بك وبالقرآن (الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون) يعنى إذا نزل بهم العذاب ففيه وعيد وتهديد * قوله سبحانه وتعالى (ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون) يعنى بسبب ما يقولون وهو ما كانوا يسمعونه من الاستهزاء به والقول الفاحش والجبلة البشرية تأبى ذلك فيحصل عند سماع ذلك ضيق الصدر فعند ذلك أمره بالتسبيح والعبادة وهو قوله (فسبح بحمد ربك) قال ابن عباس فصل بأمر ربك (وكن من الساجدين) يعنى من المتواضعين لله وقال الضحاك فسبح بحمد ربك قل سبحان الله وبحمده وكن من الساجدين يعنى من المصلين روى أن النبى ﷺ كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة قال بعض العارفين من المحققين أن السبب فى زوال الحزن عن القلب إذا أتى العبد بهذه العبادات أنه يتنور باطنه ويشرق قلبه وينفسح وينشرح صدره فعند ذلك يعرف قدر الدنيا وحقارتها فلا يلتفت اليها ولا يتأسف على فواتها فيزول الهم والغم والحزن عن قلبه وقال بعض العلماء إذا نزل بالعبد مكروه ففزع إلى الصلاة فكأنه يقول يارب إنما يجب على عبادتك سواء أعطيتنى أو كفيتنى ما أكره فأنا عبدك وبين يديك فافعل بى ماتشاء * قوله تعالى (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) يعنى الموت الموقن به الذى لا يشك فيه أحد والمعنى واعبد ربك فى جميع أوقاتك ومدة حياتك حتى يأتيك الموت وأنت فى عبادة ربك وهذا مثل قوله تعالى فى سورة مريم وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا روى البغوى بسنده عن جبير بن نفير قال قال النبى ﷺ ما أوحى الله إلى أن أجمع المال وأكون من التاجرين ولكن أوحى إلى أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وعن عمر قال نظر النبى ﷺ إلى مصعب بن عمير مقبلا وعليه أهاب كبش قد تنطق به فقال رسول الله ﷺ انظروا إلى هذا الذى نور الله قلبه لقد رأيته بين أبويه يغذيانه بأطيب الطعام والشراب ولقد رأيت عليه حلة شراها أو قال شريت له بمائتى درهم فدعاه حب الله وحب رسوله إلى ماترون ذكره البغوى بغير سند والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة النحل ﴾

مكية إلا قوله تعالى وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به إلى آخر السورة فانها نزلت بالمدينة فى قتل حمزة قاله ابن عباس وفى رواية أخرى عنه أنها مكية غير ثلاث آيات نزلت بالمدينة وهى قوله تعالى ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا إلى قوله يعلمون وقال قتادة هى مكية إلا خمس آيات وهى قوله والذين هاجروا فى الله من بعد

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (أتى) أى جاء ودنا وقرب (أمر الله) قال ابن عرفة تقول العرب أتاك الأمر وهو متوقع بعد أى أتى أمر الله وعده (فلا تستعجلوه) وقوعا أمر الله قال الكلبى وغيره المراد منه القيامة قال ابن عباس لما نزلت قوله تعالى اقتربت الساعة قال الكفار بعضهم لبعض إن هذا يزعم ان القيامة قد تربت فامسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى تنظروا ما هو كائن فلما لم ينزل شىء قالوا ما نرى شيئا فنزل قوله اقترب للناس حسابهم فاشفقوا فلما امتدت الأيام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فانزل الله تعالى أتى امر الله فوثب النبى ﷺ ورفع الناس رؤسهم وظنوا أنها قد أتت حقيقة فنزلت فلا تستعجلوه فاطمانوا والاستعجال (٦٥) طلب الشىء قبل حينه ولما نزلت هذه

ماظلموا وقوله ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا وقوله تعالى وإن عاقبتم إلى اخر السورة زاد مقاتل وقوله من كفر بالله من بعد إيمانه الاية وضرب الله مثلا قرية كانت امنة مطمئنة الاية وقيل كان يقال لسورة النحل سورة النعم لكثرة تعداد النعم فيها وهى مائه وثمان وعشرون اية والفان وثمانمائة وأربعون كلمة وسبعة الاف وسبعمائه وسبعة أحرف

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله سبحانه وتعالى (أتى أمر الله) يعنى جاء ودنا وقرب أمر الله تقول العرب اتاك الامر وهو متوقع المجىء بعد ما أتى ومعنى الاية أتى امر الله وعدا (فلا تستعجلوه) يعنى وقوعا والمراد به مجىء القيامة قال ابن عباس لما نزل قوله سبحانه وتعالى اقتربت الساعة وانشق القمر قال الكفار بعضهم لبعض ان هذا الرجل يزعم أن القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما رأوا أنه لا ينزل شىء قالوا ما نرى شيئا فنزل قوله تعالى اقترب للناس حسابهم فاشفقوا فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزل اتى امر الله فوثب النبى ﷺ ورفع الناس رؤسهم وظنوا أنها قد اتت حقيقة فنزل فلا تستعجلوه فاطمانوا والاستعجال طلب مجىء الشىء قبل وقته ولما نزلت هذه الاية قال النبى ﷺ بعثت أنا والساعة كهاتين ويشير باصبعه يمدهما أخرجاه فى الصحيحين من حديث سهل بن سعد (ق) عن انس قال قال رسول الله ﷺ بعثت انا والساعة كهاتين كفضل احداهما على الاخرى وضم السبابة إلى الوسطى وفى رواية بعثت فى نفس الساعة فسبقتها كفضل هذه على الاخرى قال ابن عباس كان مبعث النبى ﷺ من اشراط الساعة ولما مر جبريل باهل السموات مبعوثا إلى النبى ﷺ قالوا الله اكبر قامت الساعة وقال قوم المراد بالامر هنا عقوبة المكذبين وهو العذاب بالقتل بالسيف وذلك ان النضر بن الحرث قال اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم فاستعجل العذاب فنزلت هذه الاية وقتل النضر يوم بدر صبرا (سبحانه وتعالى عما يشركون) يعنى تنزه الله وتعاظم بالاوصاف الحميدة عما يصفه به المشركون ٭ قوله سبحانه وتعالى (ينزل الملائكة بالروح) يعنى بالوحى (من أمره) وإنما سمى الامر روحا لانه تحيا القلوب من موت الجهالات وقال عطاء بالنبوة وقال قتادة بالرحمة وقيل الروح هو جبريل والباء بمعنى مع يعنى ينزل الملائكة مع الروح وهو جبريل (على من يشاء من عباده) يعنى على من يصطفيه من عباده للنبوة والرسالة وتبليغ الوحى إلى الخلق (ان انذروا) يعنى بأن اعلموا (أنه لا إله إلا أنا فاتقون) أى فخافون وقيل معناه مروا بقول لا إله إلا الله منذرين يعنى مخوفين بالقران (خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون) تقدم تفسيره (خلق الإنسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين) يعنى أنه جدل بالباطل بين الخصومة نزلت فى أبى بن خلف الجحى وكان ينكر البعث فجاء بعظم رميم إلى النبى ﷺ فقال تزعم ان الله يحيى هذا العظم بعد ما رم فنزلت فيه هذه الاية ونزل فيه أيضا قوله تعالى قال من يحيى العظام وهى رميم والصحيح ان الاية عامة فى كل ما يقع من الخصومة فى الدنيا ويوم القيامة وحملها على العموم اولى وفيها بيان القدرة وأن الله خلق الانسان من نطفة قذرة فصار جبارا كثير الخصومة وفيها

الاية قال النبى ﷺ بعثت انا والساعة كهاتين واشار باصبعيه وإن كادت لتسبقنى قال ابن عباس كان بعثت النبى ﷺ من اشراط الساعة ولما مر جبريل عليه السلام بأهل السموات مبعوثا إلى محمد ﷺ قالوا الله أكبر قامت الساعة وقال قوم المراد بالأمر ههنا عقوبة المكذبين والعذاب بالسيف وذلك أن النضر بن الحارث قال اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء فاستعجل العذاب فنزلت هذه الاية وقتل النضر يوم بدر صبرا (سبحانه وتعالى عما يشركون) معناه تعاظم بالأوصاف الحميدة عما يصفه به المشركون (ينزل الملائكة) قرأ العامة بضم الياء وكسر الزاى والملائكة نصب وقرأ يعقوب بالتاء وفتحها وفتح الزاى والملائكة رفع يتنزل الملائكة (بالروح) بالوحى سماه روحا لانه يحيى به القلوب والحق قال عطاء بالنبوة

(٩ - خازن - بع) وقال قتادة بالرحمة قال أبو عبيدة بالروح يعنى مع الروح وهو جبرائيل (من امره على من يشاء من عباده ان انذروا) اعلموا (أنه لا إله إلا أنا فاتقون) وقيل معناه مروهم بقول لا إله إلا الله منذرين مخوفين بالقران إن لم يقولوا وقوله فاتقون أى فخافون (خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون) أى ارتفع عما يشركون (خلق الإنسان من نطفة فاذا هو خصيم) جدل بالباطل (مبين) نزلت فى أبى بن خلف الجحى وكان ينكر البعث جاء بعظم رميم فقال اتقول ان الله تعالى يحيى هذا بعد ما قدرم كما قال جل ذكره وضرب لنا مثلا ونسى خلقه نزلت فيه أيضا والصحيح ان الاية عامة وفيها بيان القدرة وكشف قبيح ما فعلوه

من جحود نعم الله مع ظهورها عليهم قوله تعالى (والانعام خلقها) يعنى الابل والبقر والغنم (لكم فيها دفء) يعنى من أوبارها وأشعارها وأصوافها ملابس ولحفا تستدفئون بها (٦٦) (ومنافع) بالنسل والدر والركوب والحمل وغيرها (ومنها تأكلون) يعنى لحومها (ولكم فيها جمال) زينة (حين تريحون) أى حين ترددونها بالعشى من مراعيها إلى مباركها التى تاوى اليها (وحين تسرحون) أى تخرجونها بالغداة من مراحها الى مسارحها وقدم الرواح لان المنافع تؤخذ منها بعد الرواح ومالكها يكون أعجب بها اذا راحت (وتحمل أثقالكم) أحمالكم (الى بلد) اخر غير بلدكم قال عكرمة البلد مكة (لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس) أى بالمشقة والجهد والشق النصف أيضا أى لم تكونوا بالغيه الا بنقصان قوة النفس وذهاب نصفها وقرأ أبو جعفر بشق بفتح الشين وهما لغتان مثل رطل ورطل (ان ربكم لرؤف رحيم) بخلقه حيث جعل لكم هذه المنافع (والخيل) يعنى وخلق الخيل وهى اسم جنس لا واحد له من لفظه كالإبل والنساء والسماء (والبغال والحمير لتركبوها وزينة) يعنى وجعلها زينة لكم مع المنافع التى فيها واحتج بهذه الاية من حرم لحوم الخيل وهو قول ابن عباس وتلا هذه الاية فقال هذه للركوب واليه ذهب الحكم ومالك وأبو حنيفة وذهب جماعة إلى اباحة لحوم الخيل وهو قول الحسن وشريح وعطاء وسعيد بن جبير وبه قال الشافعى واسحق ومن اباحها قال ليس (فصل المراد من الآية بيان التحليل والتحريم بل المراد منه تعريف الله عباده نعمه وتنبيههم على كمال قدرته وحكمته واحتجوا بما أخبرنا

كشف قبيح ما فعله الكفار من جحدهم نعم الله تعالى مع ظهورها عليهم * قوله عز وجل (والانعام خلقها) لما ذكر الله سبحانه وتعالى أنه خلق السموات والارض ثم اتبعه بذكر خلق الإنسان ذكر بعدما ينتفع به فى سائر ضروراته ولما كان أعظم ضرورات الإنسان إلى الاكل واللباس الذين يقوم بهما بدن الإنسان بدا بذكر الحيوان المنتفع به فى ذلك وهو الانعام فقال تعالى والانعام خلقها وهى الابل والبقر والغنم وقال الواحدى تم الكلام عند قوله والانعام خلقها ثم ابتدا فقال تعالى (لكم فيها دفء) قال ويجوز أيضا أن يكون تمام الكلام عند قوله لكم ثم ابتدا فقال تعالى فيها دفء قال صاحب النظم أحسن الوجهين ان يكون الوقف عند قوله خلقها ثم يبتدأ بقوله لكم فيها دفء والدليل عليه أنه عطف عليه قوله ولكم فيها جمال والتقدير لكم فيها دفء ولكم فيها جمال ولما كانت منافع هذه الانعام منها ضرورية ومنها غير ضرورية بدأ الله سبحانه وتعالى بذكر المنافع الضرورية فقال تعالى لكم فيها دفء وهو ما يستدفا به من اللباس والاكسية ونحوها المتخذة من الاصواف والأوبار والأشعار الحاصلة من النعم (ومنافع) يعنى النسل والدر والركوب والحمل عليها وسائر ما ينتفع به من الانعام (ومنها تأكلون) يعنى من لحومها * فان قلت قوله تعالى ومنها تأكلون يفيد الحصر لأن تقديم الظرف مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها * قلت الاكل من هذه الانعام هو الذى يعتمده الناس فى معايشهم واما الاكل من غيرها كالدجاج والبط والأوز وصيد البر والبحر فغير معتد به فى الأغلب واكله يجرى مجرى التفكه فخرج ومنها تأكلون مخرج الأغلب فى الاكل من هذه الانعام * فان قلت منفعة الاكل مقدمة على منفعة اللباس فلم أخر منفعة الاكل وقدم منفعة اللباس * قلت منفعة اللباس اكثر وأعظم من منفعة الاكل فلهذا قدم على الاكل وقوله سبحانه وتعالى (ولكم فيها) أى فى الانعام (جمال) أى زينة (حين تريحون وحين تسرحون) الاراحة رد الإبل بالعشى إلى مراحها حيث تاوى اليه بالليل ويقال سرح القوم ابنهم تسريحا إذا أخرجوها بالغداة إلى المرعى قال أهل اللغة واكثر ما تكون هذه الراحة أيام الربيع إذا استطاع الغيث ونبت العشب والكلأ وخرجت العرب للنجعة وأحسن ما تكون النعم فى ذلك الوقت فمن الله سبحانه وتعالى بالتجمل بها فيه كما من بالانتفاع بها لأنه من أغراض أصحاب المواشى بل هو من معظمها لان الرعاة إذا سرحوا النعم بالغداة إلى المرعى وروحوها بالعشى إلى الافنية والبيوت يسمع للابل رغاء وللشاء ثغاء يجاب بعضها بعضا فعند ذلك يفرح أربابها وتتجمل بها الافنية والبيوت ويعظم وقعها عند الناس * فان قلت لم قدمت الاراحة على التسريح * قلت لان الجمال فى الاراحة وهو رجوعها إلى البيوت اكثر منها وقت التسريح لان النعم تقبل من المرعى ملأى البطون حافلة الضروع فيفرح أهلها بها بخلاف تسريحها إلى المرعى فانها تخرج من المرعى جائعة البطون ضامرة الضروع من اللبن ثم تأخذ فى التفرق والانتشار للرعى فى البر فثبت بهذا البيان ان التجمل فى الاراحة أكثر منه فى التسريح فوجب تقديمه * وقوله سبحانه وتعالى (وتحمل أثقالكم) الاثقال جمع ثقل وهو متاع السفر وما يحتاج اليه من آلات السفر (إلى بلد) يعنى غير بلدكم قال ابن عباس يريد من مكة إلى اليمن وإلى الشام وإنما قال ابن عباس هذا القول لانه خطاب لاهل مكة واكثر تجاراتهم وأسفارهم إلى الشام اليمن وحمله على العموم اولى لانه خطاب عام فدخول الكافة فيه أولى من تخصيصه ببعض المخاطبين (لم تكونوا بالغيه) يعنى بالغى ذلك البلد الذى تقصدونه (إلا بشق الانفس) يعنى بالمشقة والجهد والعناء والتعب والشق نصف الشىء والمعنى هذا لم تكونوا بالغيه إلا بنقصان قوة النفس وذهاب نصفها (إن ربكم لرؤف رحيم) يعنى بخلقه حيث خلق لهم هذه المنافع * قوله سبحانه وتعالى (والخيل والبغال والحمير لتركبوها) هذه الآية عطف على ما قبلها والمعنى وخلق هذه الحيوانات لاجل ان تركبوها والنخيل اسم جنس لا واحد له من لفظه كالإبل والرهط والنساء (وزينة) يعنى وجعلها زينة مع المنافع التى فيها

عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا ابن اسمعيل ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد بن زيد عن عمرو هو ابن دينار عن محمد بن علي عن جابر رضي الله عنه قال نهى النبي ﷺ يوم خيبر (٦٧) الحمر ورخص في لحوم الخيل أخبرنا أبو الفرج المظفر بن اسمعيل التميمي أنا أبو القاسم حمزة ابن يوسف السهمي أنا أبو احمد عبد الله بن عدي الحافظ ثنا الحسن بن الفرج ثنا عمرو ابن خالد ثنا عبد الله بن عبد الكريم عن عطاء بن أبي رباح عن جابر انهم كانوا يأكلون لحوم الخيل على عهد النبي ﷺ ونهى عن لحوم البغال والحمير وروى عن المقدام بن معدي كرب عن خالد بن الوليد ان النبي ﷺ نهى عن أكل لحوم الخيل والبغال والحمير وأسناده ضعيف (ويخلق مالا تعلمون) قيل يعني ما اعد الله في الجنة لأهلها وفي النار لأهلها مما لم تره عين ولا سمعته أذن ولا خطر على قلب بشر وقال قتادة يعني السوس في النبات والدود في الفواكه قوله تعالى (وعلى الله قصد السبيل) يعني بيان طريق الهدى من الضلالة وقيل بيان الحق بالآيات والبراهين والقصد الصراط المستقيم (ومنها جائر) يعني ومن السبيل جائر عن الاستقامة معوج فالقصد من السبيل دين الاسلام والجائر منها دين اليهودية والنصرانية وسائر مثل الكفر قال جابر بن عبد الله قصد السبيل بيان الشرائع والفرائض وقال عبد الله بن المبارك وسهل بن عبد الله قصد السبيل السنة ومنها جائر الاهواء والبدع دليله قوله تعالى وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل (ولو شاء لهداكم اجمعين) نظيره قوله تعالى ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها قوله (هو الذي أنزل من السماء ماء

﴿فصل﴾ احتج بهذه الاية من يرى تحريم لحوم الخيل وهو قول ابن عباس وتلا هذه الاية وقال هذه للركوب وإليه ذهب الحكم ومالك وأبو حنيفة رحمهم الله واستدلوا أيضا بأن منفعة الأكل أعظم من منفعة الركوب فلما لم يذكره الله تعالى علينا تحريم اكله فلو كان أكل لحوم الخيل جائزا لكان هذا المعنى أولى بالذكر لان الله سبحانه وتعالى خص الانعام بالاكل حيث قال ومنها تأكلون وخص هذه بالركوب فقال لتركبوها فعلمنا أنها مخلوقة للركوب لا للاكل وذهب جماعة من اهل العلم إلى إباحة لحوم الخيل وهو قول الحسن وشريح وعطاء وسعيد بن جبير وإليه ذهب الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه واحمد واسحق واحتجوا على إباحة لحوم الخيل بما روى عن أسماء بنت بكر ابي الصديق انها قالت نحرنا على عهد النبي ﷺ فرسا فاكلناه وفي رواية قالت ذبحنا على عهد النبي ﷺ فرسا ونحن بالمدينة فاكلناه أخرجه البخاري ومسلم (ق) عن جابر ان النبي ﷺ نهى عن لحوم الحمر الاهلية وإذن في الخيل وفي روايه قال اكلنا زمن خيبر لحوم الخيل وحمر الوحش ونهى النبي ﷺ عن الحمار الاهلي هذه رواية البخاري ومسلم وفي رواية أبي داود قال ذبحنا يوم خيبر الخيل والبغال والحمير وكنا قد أصابتنا مخمصة فنهانا النبي ﷺ عن البغال والحمير ولم ينهانا عن الخيل وأجاب من أباح لحوم الخيل عن هذه الاية بأن ذكر الركوب والزينة لا يدل على أن منفعتها مختصة بذلك وإنما خص هاتان المنفعتان بالذكر لانهما معظم المقصود قالوا ولهذا سكت عن حمل الاثقال على الخيل مع قوله في الانعام وتحمل أثقالكم ولم يلزم من هذا التحريم حمل الاثقال على الخيل وقال البغوي ليس المراد من الاية بيان التحليل والتحريم بل المراد منها تعريف الله عباده نعمته وتنبيههم على كمال قدرته وحكمته والدليل الصحيح المعتمد عليه في إباحة لحوم الخيل ان السنة مبينة للكتاب ولما كان نص الاية يقتضي أن الخيل والبغال والحمير مخلوقة للركوب والزينة وكان الاكل مسكوتا عنه دار الامر فيه على الإباحة والتحريم فوردت السنة باباحة لحوم الخيل وتحريم لحوم البغال والحمير فأخذنا بها جمعا بين النصين والله اعلم * وقوله تعالى (ويخلق مالا تعلمون) لما ذكر الله سبحانه وتعالى الحيوانات التي ينتفع بها الانسان في جميع حالاته وضروراته على سبيل التفصيل ذكر بعدها ما لا ينتفع بها الانسان في الغالب على سبيل الإجمال لان مخلوقات الله عز وجل في البر والبحر والسموات أكثر من أن تحصى أو يحيط بها عقل احد او فهمه فلهذا ذكرها على الاجمال وقال بعضهم ويخلق مالا تعلمون يعني مما أعده الله لاهل الجنة في الجنة ولاهل النار في النار مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال قتادة في قوله ويخلق مالا تعلمون يعني السوس في النبات والدود في الفواكه * وقوله سبحانه وتعالى (وعلى الله قصد السبيل) القصد استقامة الطريق يقال طريق قصد وقاصد إذا ادرك مطلوبك وفي الاية حذف تقديره وعلى الله بيان قصد السبيل وهو بيان طريق الهدى من الضلالة وقيل معناه وعلى الله بيان طريق الحق بالايات والبراهين (ومنها جائر) يعني ومن السبيل سبيل جائر على الاستقامة بل هو معوج فالقصد من السبيل هو دين الاسلام والجائر منها دين اليهودية والنصرانية وسائر ملل الكفر وقال جابر بن عبد الله قصد السبيل بيان الشرائع والفرائض وقال عبد الله بن المبارك وسهل بن عبد الله قصد السبيل السنة ومنها جائر الاهواء والبدع (ولو شاء لهداكم أجمعين) فيه دليل على ان الله تعالى ما شاء هداية الكفار وما أراد منهم الايمان لان كلمة لو تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره فقوله لو شاء لهداكم اجمعين معناه ولو شاء هدايتكم لهداكم اجمعين وذلك يفيد أنه تعالى ما شاء هدايتهم فلا جرم ما هداهم * قوله عز وجل (وهو الذي انزل من السماء ماء) لما ذكر الله سبحانه وتعالى نعمته على عباده بخلق الحيوانات لاجل الانتفاع والزينة عقبه بذكر إنزال المطر من السماء وهو من اعظم النعم على العباد فقال هو الذي انزل من السماء يعني والله الذي خلق جميع الاشياء هو

الذى انزل من السماء ماء يعنى المطر (لكم منه) يعنى من ذلك الماء (شراب) يعنى تشربونه (ومنه) يعنى ومن ذلك الماء (شجر) الشجر فى اللغة ماله ساق من نبات الارض ونقل الواحدى عن أهل اللغة انهم قالوا الشجرة أصناف ماجل وعظم وهو الذى يبقى على الشتاء ومادق هو صنفان أحدهما تبقى له أدوحة فى الشتاء وينبت فى الربيع ومنها مالا يبقى له ساق فى الشتاء كالبقول وقال أبو اسحق كل ما ينبت على وجه الارض فهو شجر وأنشد * نطعمها اللحم إذا عز الشجر * أراد أنهم يسقون الخيل اللبن إذا جدبت الارض وقال ابن قتيبة فى هذه الاية يعنى الكلا ومعنى الاية انه ينبت بالماء الذى أنزل من السماء ماترعى الراعية من ورق الشجر لأن الإبل ترعى كل الشجر (فيه) يعنى فى الشجر (تسيمون) يعنى ترعون مواشيكم يقال سمت السائمة إذا خليتها ترعى وسامت هى إذا رعت حيث شاءت (ينبت لكم) اى ينبت الله لكم وقرىء ننبت على التعظيم لكم (به) أى بذلك الماء (الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات) لما ذكر الله فى الحيوان تفصيلا واجمالا ذكر فى الثمار تفصيلا وإجمالا فبدا بذكر الزرع وهى الحب الذى يقتات به كالحنطة والشعير وما أشبههما لأن به قوام بدن الإنسان وثنى بذكر الزيتون لما فيه من الادم والدهن والبركة وثلث بذكر النخيل لأن ثمرتها غذاء وفاكهة وختم بذكر الأعناب لأنها شبه النخلة فى المنفعة من التفكه والتغذية ثم ذكر سائر الثمرات إجمالا لينبه بذلك على عظيم قدرته وجزيل نعمته على عباده ثم قال تعالى (إن فى ذلك) يعنى فيما ذكر من أنواع الثمار (لآية) يعنى علامة دالة على قدرتنا ووحدانيتنا (لقوم يتفكرون) يعنى فيما ذكر من دلائل قدرته ووحدانيته (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم) تقدم تفسيره فى سورة الأعراف (مسخرات) يعنى مذللات مقهورات تحت قهره وإرادته وفيه رد على الفلاسفة والمتجمين لأنهم يعتقدون أن هذه النجوم هى الفعالة المتصرفة فى العالم السفلى فأخبر الله تعالى ان هذه النجوم مسخرات فى نفسها مذللات (بأمره) يعنى بأمر ربها مقهورات تحت قهره يصرفها كيف يشاء ويختار وانها ليس لها تصرف فى نفسها فضلا عن غيرها ولما ذكر الله سبحانه وتعالى انه خلق هذه النجوم وجعلها مسخرات لمنافع عباده ختم هذه الآية بقوله (إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) يعنى ان كل من كان له عقل صحيح سليم علم ان الله سبحانه وتعالى هو الفعال المختار وان جميع الخلق تحت قدرته وقهره وتسخيره لما أراده منهم (وماذرأ لكم فى الأرض) يعنى وما خلق لكم فى الارض وسخر لأجلكم من الدواب والانعام والأشجار والثمار (مختلفا ألوانه) يعنى فى الخلقة والهيئة والكيفية واختلاف ألوان المخلوقات مع كثرتها حتى لا يشبه بعضها بعضا من كل الوجوه فيه دليل قاطع على كمال قدرة الله ولذلك ختم هذه الآية بقوله تعالى (إن فى ذلك لآية لقوم يذكرون) يعنى فيعتبرون بذلك * قوله سبحانه وتعالى (وهو الذى سخر) لكم (البحر) لما ذكر الله سبحانه وتعالى الدلائل الدالة على قدرته ووحدانيته من خلق السموات والارض وخلق الإنسان من نطفة وخلق سائر الحيوان والنبات وتسخير الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك من آثار قدرته وعجائب صنعته وذكر إنعامه فى ذلك على عباده بتسخير البحر لهم نعمة من الله عليهم ومعنى تسخير الله البحر لعباده جعله بحيث يتمكن الناس من الانتفاع به إما بالركوب عليه أو بالغوص فيه أو الصيد منه فذكر هذه الثلاثة الأقسام من أنواع الانتفاع به فقال تعالى وهو الذى سخر البحر (لتأكلوا منه لحما طريا) فبدا بذكر الأكل لأنه أعظم المقصود لأن به قوام البدن وفى ذكر الطرى مزيد فائدة دالة على كمال قدرة الله تعالى وذلك ان السمك لو كان كله مالحا لما عرف به من قدرة الله تعالى ما يعرف بالطرى لأنه لما خرج من البحر الملح الزعاق الحيوان الطرى الذى لحمه فى غاية العذوبة علم أنه إنما حدث بقدرة الله وخلقه لا بحسب الطبع وعلم بذلك أن الله قادر على إخراج الضد من المنفعة الثانية قوله تعالى (وتستخرجوا منه حلية تلبسونها) يعنى اللؤلؤ والمرجان كما قال تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم لأن زينة النساء بالحلى وإنما هو لأجل الرجال فكان ذلك زينة لهم المنفعة الثالثة قوله تعالى (وترى الفلك) يعنى السفن (مواخر فيه) يعنى جوارى فيه قال قتادة مقبلة ومدبرة وذلك أنك ترى

(لكم منه شراب) تشربونه (ومنه شجر) أى من ذلك الماء شراب أشجاركم وحياة نباتك (فيه) يعنى فى الشجر (تسيمون) ترعون مواشيكم (ينبت لكم به) أى ينبت الله لكم به يعنى بالماء الذى انزل وقرأ أبو بكر عن عاصم ننبت بالنون (الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون وسخر لكم) ذلل لكم (الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات) مذللات (بأمره) أى باذنه وقرأ حفص عن عاصم والنجوم مسخرات بالرفع على الابتداء (إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون وماذرأ) خلق (لكم) لأجلكم أى وسخر ماخلق لأجلكم (فى الأرض) من الدواب والأشجار والثمار وغيرها (مختلفا) نصب على الحال (ألوانه إن فى ذلك لآية لقوم يذكرون) يعتبرون (وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا) يعنى السمك (وتستخرجوا منه حلية تلبسونها) يعنى اللؤلؤ والمرجان (وترى الفلك مواخر فيه) جوارى فيه قال قتادة مقبلة ومدبرة وهو أنك ترى سفينتين احداهما تقبل والأخرى تدبر تجريان بريح واحدة وقال الحسن مواخر أى مملوءة وقال الفراء والاخفش مواخر شواق تشق الماء بجؤجؤها قال مجاهد تمخر السفن الرياح وأصل المخر الرفع والشق وفى الحديث إذا أواد أحدكم البول فليستمخر الريح أى لينظر من أين مجراها سفينتين

وهبوبها حتى لا يرد عليه البول وقال أبو عبيدة صوائح والمخر صوت هبوب الريح عند شدتها (ولتبتغوا من فضله) يعني التجارة (ولعلكم تشكرون) إذا رأيتم صنع الله فيما سخر لكم (وألقى في الأرض رواسي) يعني جبالا ثقالا (أن تميد بكم) يعني لئلا تميل وتضطرب بكم والميد هو اضطراب الشيء العظيم كالأرض وقال وهب لما خلق الله سبحانه وتعالى الأرض جعلت تمور وتتحرك فقالت الملائكة أن هذه غير مقرة أحدا على ظهرها فأصبحوا وقد أرسيت بالجبال فلم تدر الملائكة مم خلقت الجبال (وأنهارا) يعني وجعل فيها أنهارا لأن في ألقى معنى الجعل فقوله سبحانه وتعالى وأنهارا معطوف على وألقى ولما ذكر الله الجبال ذكر بعدها الأنهار لأن معظم عيون الانهار وأصولها تكون من الجبال (وسبلا) يعني وجعل فيها طرقا مختلفة تسلكونها في أسفاركم والتردد في حوائجكم من بلد إلى بلد ومن مكان إلى مكان (لعلكم تهتدون) يعني بتلك السبل إلى ما تريدون فلا تضلون (وعلامات) يعني وجعل فيها علامات تهتدون بها في أسفاركم قال بعضهم تم الكلام عند قوله وعلامات ثم ابتدأ (وبالنجم هم يهتدون) وقال محمد بن كعب والكلبي أراد بالعلامات الجبال والنجوم فالجبال علامات النهار والنجوم علامات الليل وقال مجاهد أراد بالكل النجوم فمنها ما يكون علامات ومنها ما يهتدى به وقال السدي أراد بالنجم الثريا وبنات نعش والفرقدين والجدي فهذه يهتدى بها إلى الطريق والقبلة وقال قتادة انما خلق الله النجوم لثلاثة أشياء لتكون زينة السماء ومعالم الطريق ورجوما للشياطين فمن قال غير هذا فقد تكلف ما لا علم له به * قوله سبحانه وتعالى (أفمن يخلق كمن لا يخلق) لما ذكر الله عز وجل من عجائب قدرته وغرائب صنعته وبديع خلقه ما ذكر على الوجه الأحسن والترتيب الأكمل وكانت هذه الأشياء المخلوقة المذكورة في الآيات المتقدمة كلها دالة على كمال قدرة الله تعالى ووحدانيته وأنه تعالى هو المنفرد بخلقها جميعا قال على سبيل الانكار على من ترك عبادته واشتغل بعبادة هذه الاصنام التي لا تضر ولا تنفع ولا تقدر على شيء أفمن يخلق يعني هذه الاشياء الموجودة المرتبة بالعيان وهو الله تعالى الخالق لها كمن لا يخلق يعني هذه الاصنام العاجزة التي لا تخلق شيئا البتة لأنها جمادات لا تقدر على شيء فكيف يليق بالعاقل ان يشتغل بعبادتها ويترك من يستحق العبادة وهو الله خالق هذه الاشياء كلها ولهذا المعنى ختم هذه الآية بقوله (أفلا تذكرون) يعني هذا القدر ظاهر غير خاف على احد فلا يحتاج فيه الى دقيق الفكر والنظر بل مجرد التذكر فيه كفاية لمن فهم وعقل واعتبر بما ذكر * بقي في الآية سؤالان الاول قوله كمن لا يخلق المراد به الاصنام وهي جمادات لا تعقل فكيف يعبر عنها بلفظة من هو لمن يعقل والجواب عنه ان الكفار لما سموا هذه الاصنام آلهة وعبدوها اجريت مجرى من يعقل في زعمهم الا ترى الى قوله بعد هذا والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيئا فخاطبهم على قدر زعمهم وعقولهم السؤال الثاني قوله افمن يخلق كمن لا يخلق المقصود منه الزام الحجة على من عبد الاصنام حيث جعل غير الخالق مثل الخالق فكيف قال على سبيل الاستفهام افمن يخلق كمن لا يخلق والجواب عنه انه ابليس المراد منه الاستفهام بل المراد منه ان من خلق الاشياء العظيمة واعطى هذه النعم الجزيلة كيف يسوى بينه وبين هذه الجمادات الخسيسة في التسمية والعبادة وكيف يليق بالعاقل ان يترك عبادة من يستحق العبادة لانه خالق هذه الاشياء الظاهرة كلها ويشتغل بعبادة جمادات لا تخلق شيئا البتة والله اعلم * وقوله تعالى (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) يعني ان نعم الله على العبد فيما خلق الله فيه من صحة البدن وعافية الجسم واعطاء النظر الصحيح والعقل السليم والسمع الذي يفهم به الاشياء وبطش اليدين وسعي الرجلين الى

سفينتين إحداهما تقبل والأخرى تدبر تجريان بريح واحدة وأصل المخر في اللغة الشق يقال مخرت السفينة مخرا إذا شقت الماء بجؤجؤها وقال مجاهد تمخر الرياح السفن يعني أنها إذا جرت يسمع لها صوت قال أبو عبيدة يعني من صوائح والمخر صوت هبوب الريح عند شدتها وقال الحسن مواخر يعني مواقر أي مملوءة متاعا (ولتبتغوا من فضله) يعني الأرباح بالتجارة في البحر (ولعلكم تشكرون) يعني انعام الله عليكم إذا رأيتم نعم الله فيما سخر لكم (وألقى في الأرض رواسي) يعني جبالا ثقالا (أن تميد بكم) يعني لئلا تميل وتضطرب بكم والميد هو اضطراب الشيء العظيم كالأرض وقال وهب لما خلق الله سبحانه وتعالى الأرض جعلت تمور وتتحرك فقالت الملائكة أن هذه غير مقرة أحدا على ظهرها فأصبحوا وقد أرسيت بالجبال فلم تدر الملائكة مم خلقت الجبال (وأنهارا) يعني وجعل فيها أنهارا لأن في ألقى معنى الجعل فقوله سبحانه وتعالى وأنهارا معطوف على وألقى ولما ذكر الله الجبال ذكر بعدها الأنهار لأن معظم عيون الانهار وأصولها تكون من الجبال (وسبلا) يعني وجعل فيها طرقا مختلفة تسلكونها في أسفاركم والتردد في حوائجكم من بلد إلى بلد ومن مكان إلى مكان (لعلكم تهتدون) يعني بتلك السبل إلى ما تريدون فلا تضلون (وعلامات) يعني وجعل فيها علامات تهتدون بها في أسفاركم قال بعضهم تم الكلام عند قوله وعلامات ثم ابتدأ (وبالنجم هم يهتدون) وقال محمد بن كعب والكلبي أراد بالعلامات الجبال والنجوم فالجبال علامات النهار والنجوم علامات الليل وقال مجاهد أراد بالكل النجوم فمنها ما يكون علامات ومنها ما يهتدى به وقال السدي أراد بالنجم الثريا وبنات نعش والفرقدين والجدي فهذه يهتدى بها إلى الطريق والقبلة وقال قتادة انما خلق الله النجوم لثلاثة أشياء لتكون زينة السماء ومعالم الطريق ورجوما للشياطين فمن قال غير هذا فقد تكلف ما لا علم له به * قوله سبحانه وتعالى (أفمن يخلق كمن لا يخلق) لما ذكر الله عز وجل من عجائب قدرته وغرائب صنعته وبديع خلقه ما ذكر على الوجه الأحسن والترتيب الأكمل وكانت هذه الأشياء المخلوقة المذكورة في الآيات المتقدمة كلها دالة على كمال قدرة الله تعالى ووحدانيته وأنه تعالى هو المنفرد بخلقها جميعا قال على سبيل الانكار على من ترك عبادته واشتغل بعبادة هذه الاصنام التي لا تضر ولا تنفع ولا تقدر على شيء أفمن يخلق يعني هذه الاشياء الموجودة المرتبة بالعيان وهو الله تعالى الخالق لها كمن لا يخلق يعني هذه الاصنام العاجزة التي لا تخلق شيئا البتة لأنها جمادات لا تقدر على شيء فكيف يليق بالعاقل ان يشتغل بعبادتها ويترك من يستحق العبادة وهو الله خالق هذه الاشياء كلها ولهذا المعنى ختم هذه الآية بقوله (أفلا تذكرون) يعني هذا القدر ظاهر غير خاف على احد فلا يحتاج فيه الى دقيق الفكر والنظر بل مجرد التذكر فيه كفاية لمن فهم وعقل واعتبر بما ذكر * بقي في الآية سؤالان الاول قوله كمن لا يخلق المراد به الاصنام وهي جمادات لا تعقل فكيف يعبر عنها بلفظة من هو لمن يعقل والجواب عنه ان الكفار لما سموا هذه الاصنام آلهة وعبدوها اجريت مجرى من يعقل في زعمهم الا ترى الى قوله بعد هذا والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيئا فخاطبهم على قدر زعمهم وعقولهم السؤال الثاني قوله افمن يخلق كمن لا يخلق المقصود منه الزام الحجة على من عبد الاصنام حيث جعل غير الخالق مثل الخالق فكيف قال على سبيل الاستفهام افمن يخلق كمن لا يخلق والجواب عنه انه ابليس المراد منه الاستفهام بل المراد منه ان من خلق الاشياء العظيمة واعطى هذه النعم الجزيلة كيف يسوى بينه وبين هذه الجمادات الخسيسة في التسمية والعبادة وكيف يليق بالعاقل ان يترك عبادة من يستحق العبادة لانه خالق هذه الاشياء الظاهرة كلها ويشتغل بعبادة جمادات لا تخلق شيئا البتة والله اعلم * وقوله تعالى (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) يعني ان نعم الله على العبد فيما خلق الله فيه من صحة البدن وعافية الجسم واعطاء النظر الصحيح والعقل السليم والسمع الذي يفهم به الاشياء وبطش اليدين وسعي الرجلين الى

فقد تكلف ما لا علم له به (أفمن يخلق) يعني الله تعالى (كمن لا يخلق) يعني الاصنام (أفلا تذكرون وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها

إن الله لغفور) لتقصيركم فى شكر نعمه (رحيم) بكم حيث وسع عليكم النعم ولم يقطعها عنكم بالتقصير والمعاصى (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون والذين تدعون من دون الله) يعنى الأصنام (٧٠) وقرأ عاصم ويعقوب يدعون بالياء (لا يخلقون شيئا وهم يخلقون أموات) أى الأصنام (غير احياء وما يشعرون) يعنى الاصنام (ايان) متى (يبعثون) والقران يدل على ان الاصنام تبعث وتجعل فيها الحياة فتبرا من عابدها وقيل مايدرى الكفار عبدة الاصنام متى يبعثون قوله تعالى (إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة) جاحدة (وهم مستكبرون) متعظمون (لا جرم) حقا (ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه لا يحب المستكبرين) اخبرنا ابو سعيد بكر بن محمد بن محمد يحيى البسطامى انا ابو الحسن عبد الرحمن بن ابراهيم بن سحتوتة انا ابو الفضل سفيان بن محمد الجوهرى ثنا على بن الحسن ابن ابى عيسى الهلالى ثنا يحيى بن حماد ثنا شعبة عن ابان بن ثعلبة عن فضيل العقيمى عن ابراهيم النخعى عن علقمة بن قيس عن عبد الله عن النبى ﷺ قال لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر ولا يدخل النار من فى قلبه مثقال ذرة من إيمان فقال رجل يارسول الله ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا قال ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس (وإذا قيل لهم) يعنى لهؤلاء الذين لا يؤمنون بالاخرة وهم مشركو مكة الذين اقتسموا وإنما عقابها إذا سأل منهم الحاج (ماذا أنزل ربكم قالوا اساطير الاولين) احاديثهم واباطيلهم (ليحملوا) اى ليجعلوا (اوزارهم) ذنوب انفسهم (كاملة) وإنما ذكر الكمال لان البلايا التى تلحقهم فى الدنيا ومايفعلون فيها من الحسنات لا تكفر عنهم شيئا (يوم القيامة)

غير ذلك مما أنعم به عليه فى نفسه وفيما أنعم به عليه مما خلق له من جميع ما يحتاج إليه من أمر الدين والدنيا لا تحصى حتى لو رام أحد معرفة أدنى نعمة من هذه النعم لعجز عن معرفتها وحصرها فكيف بنعمة العظام التى لا يمكن الوصول إلى حصرها لجميع الخلق فذلك قوله تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها يعنى ولو اجتهدتم فى ذلك وأتعبتم نفوسكم لا تقدرون عليه (إن الله لغفور) يعنى لتقصيركم فى القيام بشكر نعمته كما يجب عليكم (رحيم) يعنى بكم حيث وسع عليكم النعم ولم يقطعها عنكم بسبب التقصير والمعاصى (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون) يعنى أن الكفار مع كفرهم كانوا يسرون أشياء وهو ما كانوا يمكرون بالنبى ﷺ وما يعلنون يعنى ومايظهرون من إيذاءه فاخبرهم الله عز وجل أنه عالم بكل أحوالهم سرها وعلانيتها لا تخفى عليه خافية وإن دقت وخفيت وقيل أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر الاصنام وذكر عجزها فى الاية المتقدمة ذكر فى هذه الاية أن لا إله الذى يستحق العبادة يجب أن يكون عالما بكل المعلومات سرها وعلانيتها وهذه الأصنام ليست كذلك فلا تستحق العبادة ثم وصف الله هذه الاصنام بصفات فقال تعالى (والذين تدعون من دون الله) يعنى الاصنام التى تدعونها آلهة من دون الله (لا يخلقون شيئا وهم يخلقون) * فان قلت قوله سبحانه وتعالى فى الاية المتقدمة أفمن يخلق كمن لا يخلق يدل على أن هذه الاصنام لا تخلق شيئا فقوله سبحانه وتعالى لا يخلقون شيئا وهم يخلقون هذا هو نفس المعنى المذكور فى تلك الاية فما فائدة التكرار قلت فائدته أن المعنى المذكور فى الاية المتقدمة انهم لا يخلقون شيئا فقط والمذكور فى هذه الاية أنهم لا يخلقون شيئا وانهم مخلوقون كغيرهم فكان هذه زيادة فى المعنى وهو فائدة التكرار (أموات) أى جمادات ميتة لا حياة فيها (غير أحياء) يعنى كغيرها والمعنى لو كانت هذه الاصنام آلهة كما تزعمون لكانت أحياء غير جائز عليها الموت لان الاله الذى يستحق أن يعبد هو الحى الذى لا يموت وهذه أموات غير احياء فلا تستحق العبادة فمن عبدها فقد وضع العبادة فى غير موضعها * وقوله * (وما يشعرون) يعنى هذه الاصنام (أيان يبعثون) يعنى متى يبعثون وفيه دليل على أن الاصنام تجعل فيها الحياة وتبعث يوم القيامة حتى تتبرأ من عابديها وقيل معناه مايدرى الكفار الذين عبدوا الاصنام متى يبعثون * قوله سبحانه وتعالى (إلهكم إله واحد) يعنى أن الذى يستحق العبادة هو إله واحد وهذه اصنام متعددة فكيف تستحق العبادة (فالذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة) يعنى جاحدة لهذا المعنى (وهم مستكبرون) يعنى عن اتباع الحق لان الحق إذا تبين كان تركه تكبرا (لا جرم) يعنى حقا (أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يحب المستكبرين) يعنى عن اتباع الحق (م) عن ابن مسعود أن النبى ﷺ قال لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا قال ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس وقوله بطر الحق هو ان يجعل ما جعله الله حقا من توحيده وعبادته باطلا وهذا على قول من جعل اصل البطر من الباطل ومن جعله من الحيرة فمعناه يتحير عند سماع الحق فلا يقبله ولا يجعله حقا وقيل البطر التكبر يعنى انه يتكبر عند سماع الحق فلا يقبله وقوله وغمط الناس يقال غمضت حق فلان إذا احتقرته ولم تره شيئا وكذا معنى غمضته اى انتقصت به وازدريته * قوله عز وجل (وإذا قيل لهم) يعنى لهؤلاء الذين لا يؤمنون بالاخرة وهم كفار مكة الذين اقتسموا عقابها وطرقها إذا سألهم الحاج الذين يقدمون عليهم (ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين) يعنى احاديثهم واباطيلهم (ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة) اللام فى ليحملوا لام العاقبة وذلك انهم لما وصفوا القرآن بكونه اساطير الاولين كانت عاقبتهم بذلك ان يحملوا اوزارهم يعنى ذنوب انفسهم

وإنما قال سبحانه وتعالى كاملة لأن البلايا التى اصابتهم فى الدنيا واعمال البر التى عملوها فى الدنيا لا تكفر عنهم شيئا يوم القيامة بل يعاقبون بكل اوزارهم قال الامام فخر الدين الرازى وهذا يدل على انه سبحانه وتعالى قد يسقط بعض العقاب عن المؤمنين إذ لو كان هذا المعنى حاصلا فى حق الكل لم يكن لتخصيص هؤلاء الكفار بهذا التكميل فائدة * وقوله سبحانه وتعالى (ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم) يعنى ويحصل للرؤساء الذين اضلوا غيرهم وصدوهم عن الايمان مثل اوزار الاتباع والسبب فيه ما روى عن ابى هريرة ان رسول الله ﷺ قال من دعا إلى هدى كان له من الاجر مثل اجور من تبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيئا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الاثم مثل اثام من تبعه ذلك من اثامهم شيئا اخرجه مسلم ومعنى الاية والحديث ان الرئيس او الكبير اذا سن سنة حسنة او سنة قبيحة فتبعه عليها جماعة فعملوا بها فان الله سبحانه وتعالى يعظم ثوابه او عقابه حتى يكون ذلك الثواب او العقاب مساويا لكل ما يستحقه كل واحد من الاتباع الذين عملوا بسنته الحسنة او القبيحة وليس المراد ان الله تعالى يوصل جميع الثواب او العقاب الذى يستحقه الاتباع إلى الرؤساء لأن ذلك ليس بعدل ويدل عليه قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وقوله تعالى وان ليس للانسان إلا ما سعى قال الواحدى ولفظة من فى قوله ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم ليست للتبعيض ولانها لو كانت للتبعيض لنقص عن الاتباع بعض الاوزار وذلك غير جائز لقوله عليه الصلاة والسلام لا ينقص ذلك من اثامهم شيئا ولكنها للجنس اى ليحملوا من جنس اوزار الاتباع وقوله بغير علم يعنى ان الرؤساء إنما يقدمون على إضلال غيرهم بغير علم بما يستحقونه من العقاب على ذلك الاضلال بل يقدمون على ذلك جهلا منهم بما يستحقوته من العذاب الشديد (ألا ساء ما يزرون) يعنى الا بئس ما يحملون ففيه وعيد وتهديد * قوله سبحانه وتعالى (قد مكر الذين من قبلهم) يعنى من قبل كفار قريش وهو نمروذ بن كنعان الجبار وكان اكبر ملوك الارض فى زمن ابراهيم ﷺ وكان من مكره انه بنى صرحا ببابل ليصعد إلى السماء ويقاتل اهلها فى زعمه وقال ابن عباس وكان طول الصرح فى السماء خمسة الاف ذراع وقال كعب ومقاتل كان طوله فرسخين فهبت ريح فقصفته والقت راسه فى البحر وخر عليهم الباقى فاهلكهم وهم تحته ولما سقت تبلبت السنة الناس من الفزع فتكلموا يومئذ بثلاثة وسبعين لسانا فلذلك سميت بابل وكان لسان الناس قبل ذلك السريانية قلت هكذا ذكره البغوى وفى هذا نظر الان صالحا عليه السلام كان قبلهم وكان يتكلم بالعربية وكان اهل اليمن عربا منهم جرهم الذى نشا اسمعيل بينهم وتعلم منهم العربية وكانت قبائل من العرب قديمة قبل إبراهيم عليه السلام مثل طسم وجديس وكل هؤلاء عرب تكلموا فى قديم الزمان بالعربية ويدل على صحة هذا قوله ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى والله اعلم وقيل حمل قوله قد مكر الذين من قبلهم على العموم اولى فتكون الاية عامة فى جميع الماكرين المبطلين الذين يحاولون الحاق الضرر والمكر بالغير * قوله سبحانه وتعالى (فاتى الله بنيانهم من القواعد) يعنى قصد تخريب بنيانهم من اصوله وذلك بان اتاهم بريح قصفت بنيانهم من اعلى واتاهم بزلازل قلعت بنيانهم من قواعده واساسه هذا إذا حملنا تفسير الاية على القول الاول وهو ظاهر اللفظ وان حملنا تفسير الاية على القول الثانى وهو حملها على العموم كان المعنى انهم لما رتبوا منصوبات ليمكروا بها على انبياء الله واهل الحق من عباده اهلكهم الله تعالى وجعل هلاكهم مثل هلاك قوم بنوا بنيانا وثيقا شديدا ودعموه بالاساطين فانهدم ذلك البنيان وسقط عليهم فاهلكهم فهو مثل ضربه الله سبحانه وتعالى لمن مكر باخر فاهلكه الله بمكره ومنه المثل السائر على السنة الناس من حفر بئرا لأخيه اوقعه الله فيه * وقوله تعالى (فخر عليهم السقف من فوقهم) يعنى سقط عليهم السقف فاهلكهم وقوله من فوقهم للتاكيد لان السقف لا يخر إلا من فوقهم وقيل يحتمل انهم لم يكونوا تحت السقف عند سقوطه فلما قال من فوقهم علم انهم كانوا تحته وانه لما خر عليهم اهلكوا وماتوا تحته (واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) يعنى فى مامنهم وذلك انهم لما اعتمدوا على قوة بنيانهم وشدته كان ذلك البنيان سبب هلاكهم

بغير علم) بغير حجة فيصدونهم عن الايمان (ألا ساء ما يزرون) ما يحملون أنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الخرقى انا ابو الحسن على بن عبد الله الطيسفونى انا عبد الله بن عمر الجوهرى انا احمد بن على الكشميهنى ثنا على بن حجر ثنا اسمعيل بن جعفر عن العلاء بن عبدالرحمن عن أبيه عن ابى هريرة ان رسول الله ﷺ قال من دعا إلى هدى كان له من الاجر مثل اجور من تبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيأ ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الاثم مثل اثام من تبعه لا ينقص ذلك من اثامهم شيئا قوله تعالى (قد مكر الذين من قبلهم) وهو نمروذ بن كنعان بنى الصرح ببابل ليصعد السماء قال ابن عباس ووهب كان طول الصرح فى السماء خمسة الاف ذراع وقال كعب ومقاتل كان طوله فرسخين فهبت ريح والقت راسه فى البحر وخر عليهم الباقى وهم تحته ولما سقط الصرح تبلبت السن الناس من الفزع يومئذ فتكلموا بثلاثة وسبعين لسانا فلذلك سميت بابل وكان لسان الناس قبل ذلك بالسريانية فذلك قوله تعالى (فاتى الله بنيانهم من القواعد) اى

قصد تخريب بنيانهم من اصولها (فخر عليهم السقف) يعنى اعلى البيوت (من فوقهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) من مأمنهم

(ثم يوم القيامة يخزيهم) يهينهم بالعذاب (ويقول أين شركائى الذين كنتم تشاقون فيهم) تخالفون المؤمنون فيهم مالهم لا يحضرونكم فيدفعون عنكم العذاب وكسر نافع النون من تشاقون على الاضافة والاخرون بفتحها (قال الذين أوتوا العلم) وهم المؤمنون (إن الخزى) الهوان (اليوم والسوء) أى العذاب (على الكافرين (٧٢) الذين تتوفاهم الملائكة) يقبض أرواحهم ملك الموت وأعوانه قرأ حمزة يتوفاهم بالياء وكذا ما بعده (ظالمى أنفسهم) بالكفر ونصب على الحال اى فى حال كفرهم (فالقوا السلم) أى استسلموا وانقادوا وقالوا (ما كنا نعمل من سوء) شرك فقال لهم الملائكة (بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون) قال عكرمة عنى بذلك من قتل من الكفار ببدر (فادخلوا) اى قال لهم ادخلوا (ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) عن الايمان (وقيل للذين اتقوا) وذلك ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من ياتيهم بخبر النبى ﷺ فاذا جاء يسأل الذين قعدوا على الطرق عنه فيقولون ساحر كاهن شاعر كذاب مجنون ولو لم تقله خير فيقول السائل إنا شر وفد إن رجعت إلى قومى دون ان ادخل مكة فالقاه فيدخل مكة فيرى اصحاب النبى ﷺ فيخبرونه بصدقه وأنه نبى مبعوث فذلك قوله وقيل للذين اتقوا (ماذا انزل ربكم قالوا خيرا) يعنى انزل خيرا ثم ابتدأ فقال (للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة) كرامة من الله قال ابن عباس هى جنات تضعيف الاجر إلى العشر وقال الضحاك هى النصر والفتح وقال مجاهد هى الرزق الحسن (ولدار الاخرة) أى ولدار الحال الاخرة (خير ولنعم دار المتقين) قال الحسن هى الدنيا لأن أهل التقوى يتزودون فيها للاخرة وقال أكثر المفسرين هى الجنة ثم فسرها فقال

(ثم يوم القيامة يخزيهم) يعنى يهينهم بالعذاب وفيه إشعار بأن العذاب يحصل لهم فى الدنيا والاخرة لأن الخزى هو العذاب مع الهوان (ويقول) يعنى ويقول الله لهم يوم القيامة (أين شركائى) يعنى فى زعمكم واعتقادكم (الذين كنتم تشاقون فيهم) يعنى كنتم تعادون وتخالفون المؤمنين وتخاصمونهم فى شأن لان المشاقة عبارة عن كون كل واحد من الخصمين فى شق غير شق صاحبه والمعنى مالهم لا يحضرون معكم ليدفعوا عنكم ما نزل بكم من العذاب والهوان (قال الذين أوتوا العلم) يعنى المؤمنين وقيل الملائكة (إن الخزى) يعنى الهوان (اليوم) يعنى فى هذا اليوم وهو يوم القيامة (والسوء) يعنى العذاب (على الكافرين) وإنما يقول المؤمنون هذا يوم القيامة لأن الكفار كانوا يستهزئون بالمؤمنين فى الدنيا وينكرون عليهم أحوالهم فاذا كان يوم القيامة ظهر اهل الحق واكرموا بانواع الكرامات واهين اهل الباطل وعذبوا بانواع العذاب فعند ذلك يقول المؤمنون ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين وفائدة هذا القول إظهار الشماتة بهم فيكون أعظم فى الهوان والخزى قوله تعالى (الذين تتوفاهم الملائكة) تقبض أرواحهم الملائكة وهم ملك الموت وأعوانه (ظالمى انفسهم) يعنى بالكفر (فالقوا السلم) يعنى انهم استسلموا وانقادوا لأمر الله الذى نزل بهم وقالوا (ما كنا نعمل من سوء) يعنى شركا وإنما قالوا ذلك من شدة الخوف (بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون) يعنى فلا فائدة لكم فى إنكاركم قال عكرمة عنى بذلك ما حصل من الكفار يوم بدر (فادخلوا) اى فيقال لهم ادخلوا (أبواب جهنم خالدين فيها) يعنى مقيمين فيها لا يخرجون منها وإنما قال ذلك لهم ليكون اعظم فى الغم والحزن وفيه دليل على ان الكفار بعضهم أشد عذابا من بعض (لبئس مثوى المتكبرين) يعنى عن الايمان قوله عز وجل (وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا) وذلك أن أحياء العرب كانوا يبعثون إلى مكة أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبى ﷺ فاذا جاء الوافد سأل الذين كانوا يقعدون على طرقات مكة من الكفار فيقولون هو ساحر كاهن شاعر كذاب مجنون وإذا لم تلقه خير لك فيقول الوافد ناشر وافد إن رجعت إلى قومى من دون أن أدخل مكة فالقاه فيدخل مكة فيرى اصحاب رسول الله ﷺ فيسألهم عنه فيخبرونه بصدقه وأمانته وانه مبعوث من الله عز وجل فذلك قوله سبحانه وتعالى وقيل للذين اتقوا يعنى اتقوا الشرك وقول الزور والكذب ماذا انزل ربكم قالوا خيرا يعنى انزل خيرا فان قلت لم رفع الاول وهو قوله أساطير الاولين ونصب الثانى وهو قوله قالوا خيرا قلت ليحصل الفرق بين الجوابين جواب المنكر الجاحد وجواب المقر المؤمن وذلك انهم لما سألوا الكفار عن المنزل على النبى ﷺ عدلوا بالجواب على السؤال فقالوا هو أساطير الاولين وليس هو من الانزال فى شىء لانهم لم يعتقدوا كونه منزلا ولما سألوا المؤمنين عن المنزل على النبى ﷺ لم يتلعثموا واطبقوا الجواب على السؤال بينا مكشوفا معقولا للانزال فقالوا خيرا اى انزل خيرا الكلام عند قوله خيرا فهو وقف تام ثم ابتدأ بقوله تعالى (للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة) يعنى للذين اتوا بالاعمال الصالحة الحسنة ثوابها مضاعفة من الواحد إلى العشرة إلى السبعمائة إلى أضعاف كثيرة وقال الضحاك هى النصر والفتح وقال مجاهد هى الرزق الحسن فعلى هذا يكون معنى الاية للذين احسنوا ثواب احسانهم فى هذه الدنيا حسنة وهى النصر والفتح والرزق الحسن وغير ذلك مما أنعم الله به على عباده فى الدنيا ويدل على صحة هذا التاويل قوله تعالى (ولدار الاخرة خير) يعنى ما لهم فى الاخرة مما أعد الله لهم فى الجنة خير مما يحصل لهم فى الدنيا (ولنعم دار المتقين) يعنى الجنة وقال الحسن هى الدنيا لأن أهل التقوى يتزودون منها الى الاخرة والقول الأول أولى وهو قول جمهور المفسرين لأن الله فسر هذه الدار بقوله

(جنات عدن) يعنى بساتين اقامة من قولهم عدن بالمكان أى أقام به (يدخلونها) يعنى تلك الجنات لا يرحلون عنها ولا يخرجون منها (تجرى من تحتها الأنهار) يعنى تجرى الأنهار فى هذه الجنات من تحت دور أهلها وقصورهم ومساكنهم (لهم فيها) يعنى فى الجنات (ما يشاؤن) يعنى ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين مع زيادات غير ذلك وهذه الحالة لا تحصل لأحد إلا فى الجنة لأن قوله لهم فيها ما يشاؤن لا يفيد الحصر وذلك يدل على ان الانسان لا يجد ما يريد فى الدنيا (كذلك يجزى الله المتقين) أى هكذا يكون جزاء المتقين ثم عاد إلى وصف المتقين فقال تعالى (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) يعنى مؤمنين طاهرين من الشرك قال مجاهد زاكية أقوالهم وأفعالهم وقيل ان قوله طيبين كلمة جامعة لكل معنى حسن فيدخل فيه انهم أتوا بكل ما أمروا به من فعل الخيرات والطاعات واجتنبوا كل ما نهوا عنه من المكروهات والمحرمات مع الاخلاق الحسنة والخصال الحميدة والمباعدة من الأخلاق المذمومة والخصال المكروهة القبيحة وقيل معناه ان اوقاتهم تكون طيبة سهلة لأنهم يبشرون عند قبض أرواحهم بالرضوان والجنة والكرامة فيحصل لهم عند ذلك الفرح والسرور والابتهاج فيسهل عليهم قبض أرواحهم ويطيب لهم الموت على هذه الحالة (يقولون) يعنى الملائكة لهم (سلام عليكم) يعنى تسلم عليهم الملائكة أو تبليغهم السلام من الله (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) يعنى فى الدنيا من الأعمال الصالحة فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وبين قوله ﷺ لن يدخل احد منكم الجنة بعمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا أنا إلا ان يتغمدنى الله بفضله ورحمته أخرجاه فى الصحيحين من حديث ابى هريرة. قلت قال الشيخ محيى الدين النووى فى شرح مسلم اعلم ان مذهب اهل السنة انه لا يثبت بالعقل ثواب ولا عقاب ولا إيجاب ولا تحريم ولا غير ذلك من انواع التكاليف ولا تثبت هذه الأشياء كلها ولا غيرها الا بالشرع ومذهب اهل السنة ايضا ان الله سبحانه وتعالى لا يجب عليه شىء بل العالم كله ملكه والدنيا والآخرة فى سلطانه يفعل فيهما ما يشاء فلو عذب المطيعين والصالحين اجمعين وادخلهم النار كان ذلك عدلا منه واذا اكرمهم ورحمهم وادخلهم الجنة فهو فضل منه ولو نعم الكافرين وادخلهم الجنة كان ذلك له ومنه فضلا ولكنه سبحانه وتعالى اخبره وخبره صادق انه لا يفعل هذا بل يغفر للمؤمنين ويدخلهم الجنة برحمته ويعذب الكافرين ويدخلهم النار عدلا منه واما المعتزلة فيثبتون الأحكام بالعقل ويوجبون ثواب الأعمال ويوجبون الأصلح فى خيط طويل لهم تعالى الله عن اختراعاتهم الباطلة المنابذة لنصوص الشرع لافى ظاهر هذا الحديث دلالة لأهل الحق انه لا يستحق احد الثواب والجنة بطاعته واما قوله سبحانه وتعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وتلك الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون ونحوها من الايات التى تدل على ان الأعمال الصالحة يدخل بها الجنة فلا تعارض بينها وبين هذا الحديث بل معنى الايات ان دخول الجنة بسبب الأعمال والتوفيق للإخلاص فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله فيصح انه لم يدخل الجنة بمجرد العمل وهو مراد الحديث ويصح انه دخل بالأعمال اى بسببها وهى من الرحمة والفضل والمنة والله اعلم بمراده قوله تعالى (هل ينظرون) يعنى هؤلاء الذين اشركوا بالله وجحدوا نبوتك يا محمد (إلا ان تأتيهم الملائكة) يعنى لقبض أرواحهم (أو يأتى امر ربك) يعنى بالعذاب فى الدنيا وهو عذاب الاستئصال وقيل المراد به يوم القيامة (كذلك فعل الذين من قبلهم) يعنى من الكفر والتكذيب (وما ظلمهم الله) يعنى بتعذيبه اياهم (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) يعنى باكتسابهم المعاصى والكفر والأعمال القبيحة الخبيثة (فأصابهم سيئات ما عملوا) يعنى فأصابهم عقوبات ما اكتسبوا من الأعمال الخبيثة (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) والمعنى ونزل بهم جزاء استهزائهم (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه شىء نحن ولا آباؤنا) يعنى ان مشركى مكة قالوا هذا على طريق الاستهزاء والحاصل انهم تمسكوا بهذا القول فى انكار النبوة فقالوا لو شاء الله منا الايمان لحصل جئت أو لم تجىء ولو شاء الله منا الكفر لحصل جئت أو لم تجىء وإذا كان كذلك فالكل من الله فلا فائدة فى بعثة الرسل إلى الامم والجواب عن هذا انهم قالوا ان الكل من الله

(جنات عدن يدخلونها تجرى من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاؤن كذلك يجزى الله المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) مؤمنين طاهرين من الشرك قال مجاهد زاكية أفعالهم وأقوالهم وقيل معناه أن وفاتهم تقع طيبة سهلة (يقولون) يعنى الملائكة لهم (سلام عليكم) وقيل معناه يبلغونهم سلام الله (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) قوله (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة) لقبض أرواحهم (أو يأتى أمر ربك) يعنى يوم القيامة وقيل العذاب (كذلك فعل الذين من قبلهم) أى كفروا كما كفر الذين من قبلهم (وما ظلمهم الله) بتعذيبه إياهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون فاصابهم سيئات ما عملوا) عقوبات كفرهم وأعمالهم الخبيثة (وحاق بهم نزل بهم (ما كانوا به يستهزؤن وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شىء نحن ولا آباؤنا

فكانت بعثة الرسل عبثا كان هذا اعتراضا على الله تعالى وهو جار مجرى طلب العلة فى أحكام الله وفى أفعاله وهو باطل لأن الله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فلا اعتراض لأحد عليه فى أحكامه وأفعاله ولا يجوز لأحد أن يقول له لم فعلت هذا ولم تفعل هذا وكان فى حكم الله وسنته فى عباده أرسل الرسل اليهم ليأمروهم بعبادة الله تعالى وينهونهم عن عبادة غيره وأن الهداية والاضلال فمن هداه فهو المهتدى ومن أضله فهو الضال وهذه سنة الله فى عباده انه يأمر الكل بالايمان وينهاهم عن الكفر ثم انه سبحانه وتعالى يهدى من يشاء إلى الايمان ويضل من يشاء فلا اعتراض لأحد عليه ولما كانت سنة الله قديمة ببعثة الرسل الأمم الكافرة المكذبة كان قول هؤلاء لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شىء نحن ولا آباؤنا جهلا منهم لأنهم اعتقدوا ان يكون الأمر كذلك يمنع من جواز بعثة الرسل وهذا الاعتقاد باطل فلا جرم استحقوا عليه الذم والوعيد وأما قوله تعالى (ولا حرمنا من دونه من شىء) يعنى الوصيلة والسائبة والحام والمعنى فلو لا ان الله رضيها لنا لغيرنا ذلك ولهدانا إلى غيره (كذلك فعل الذين من قبلهم) يعنى ان من تقدم هؤلاء من كفار مكة ومن الأمم الماضية كانوا على هذه الطريقة وهذا الفعل الخبيث فانكار بعثة الرسل كان قديما فى الأمم الخالية (فهل على الرسل إلا البلاغ المبين) يعنى ليس اليهم هداية أحد إنما عليهم تبليغ ما ارسلوا به إلى من أرسلوا اليه (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا) يعنى كما بعثنا فيكم محمدا ﷺ رسولا (ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) يعنى ان الرسل كانوا يأمرونهم بان يعبدوا الله وان يجتنبوا عبادة الطاغوت وهو اسم كل معبود من دون الله (فمنهم) يعنى فمن الامم الذين جاءتهم الرسل (من هدى الله) يعنى هداه الله إلى الايمان به وتصديق رسله (ومنهم من حقت عليه الضلالة) يعنى ومن الأمم من وجبت عليه الضلالة بالقضاء السابق فى الأزل حتى مات على الكفر والضلال وفى هذه الاية أبين دليل على أن الهادى والمضل هو الله تعالى لأنه المتصرف فى عباده فيهدى من يشاء ويضل من يشاء لا اعتراض لاحد عليه بما حكم به فى سابق علمه (فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) يعنى فسيروا فى الارض معتبرين متفكرين لتعرفوا مال من كذب الرسل وهو خراب منازلهم بالعذاب والهلاك ولتعرفوا ان العذاب نازل بكم ان أصررتم على الكفر والتكذيب كما نزل بهم * قوله سبحانه وتعالى (إن تحرص على هداهم) الخطاب للنبى ﷺ يعنى ان تحرص يا محمد على هدى هؤلاء وإيمانهم وتجتهد كل الاجتهاد (فان الله لا يهدى من يضل) قرىء بفتح الياء وكسر الدال يعنى لا يهدى الله من أضله وقيل معناه لا يهتدى من أضله الله وقرىء بضم الياء وفتح الدال ومعناه من أضله الله فلا هادى له (وما لهم من ناصرين) أى مانعين يمنعونهم من العذاب (واقسموا بالله جهد أيمانهم) قال ابن الجوزى سبب نزولها ان رجلا من المسلمين كان له على رجل من المشركين دين فأتاه يتقاضاه فكان فيما تكلم به المسلم والذى أرجوه بعد الموت فقال المشرك انك لتزعم انك تبعث بعد الموت واقسم بالله ان لا يبعث الله من يموت فنزلت هذه الاية قاله أبو العالية وتقرير الشبهة التى حصلت للمشركين فى إنكار البعث بعد الموت ان الانسان ليس هو إلا هذه البنية المخصوصة فاذا مات وتفرقت أجزاؤه وبلى امتنع عوده بعينه لأن الشىء إذا عدم فقد فنى ولم يبق له ذات ولا حقيقة بعد فنائه وعدمه فهذا هو أصل شبهتهم ومعتقدهم فى إنكار البعث بعد الموت فذلك قوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم (لا يبعث الله من يموت) فرد الله عليهم ذلك وكذبهم فى قولهم فقال تعالى (بلى) يعنى بلى يبعثهم بعد الموت لأن لفظة بلى إثبات لما بعد النفى والجواب عن شبهتهم ان الله سبحانه وتعالى خلق الانسان وأوجده من العدم ولم يك شيئا فالذى أوجده بقدرته ثم أعدمه قادر على إيجاده بعد إعدامه لان النشأة الثانية أهون من الاولى (وعدا عليه حقا) يعنى ان الذى وعد به من البعث بعد الموت وعد حق لا خلف فيه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يعنى لا يفهمون كيف يكون ذلك العود لله سبحانه وتعالى قادر على كل شىء (ليبين لهم الذى يختلفون فيه) يعنى من أمر البعث ويظهر لهم الحق الذى لا خلف فيه (وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين)

فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين) أى ليس اليهم الهداية إنما اليهم التبليغ (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا) أى كما بعثنا فيكم (ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وهو معبود من دون الله (فمنهم من هدى الله) أى هداه الله إلى دينه (ومنهم من حقت عليه الضلالة) أى وجبت بالقضاء السابق حتى مات على كفره (فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) اى مآل أمرهم وهو خراب منازلهم بالعذاب والهلاك (ان تحرص على هداهم) يا محمد (فان الله لا يهدى من يضل) قرأ أهل الكوفة يهدى بفتح الياء وكسر الدال أى لا يهدى الله من أضله وقيل معناه لا يهتدى من أضله الله وقرأ الاخرون بضم الياء وفتح الدال يعنى من أضله الله فلا هادى له كما قال من يضلل الله فلا هادى له (وما لهم من ناصرين) اى مانعين من العذاب قوله تعالى (واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت) وهم منكروا البعث قال الله تعالى ردا عليهم (بلى وعدا عليه حقا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ليبين لهم الذى يختلفون) أى ليظهر لهم الحق فيما يختلفون (فيه وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين)

يعني في قولهم لا بعث بعد الموت (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) يعني ان الله سبحانه وتعالى قادر إذا اراد ان يحيي الموتى ويبعثهم للحساب والجزاء فلا تعب عليه في إحيائهم وبعثهم إنما يقول لشيء ان اراده كن فيكون على ما اراد لأنه القادر الذي لا يعجزه شيء اراده (خ) عن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ يقول الله تبارك وتعالى يشتمني بن ادم وما ينبغي له ان وما ينبغي ويكذبني وما ينبغي له ان يكذبني اما شتمه إياي فيقول ان لي ولدا واما تكذيبه إياي فقوله لن يعدني كما بدأني وفي رواية كذبني بن ادم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس اول الخلق باهون علي من إعادته واما شتمته إياي فقوله اتخذ الله ولدا وانا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد . وقوله تعالى (والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا) يعني اوذوا وعذبوا نزلت في بلال وصهيب وخباب وعابس وجبير وابي جندل بن سهيل اخذهم المشركون بمكة فجعلوا يعذبونهم ليرجعوا عن الاسلام إلى الكفر وهم المستضعفون فاما بلال فكان اصحابه يخرجونهم إلى بطحاء مكة في شدة الحر ويشدونه ويجعلون على صدره الحجارة وهو يقول احد احد فاشتراه منهم ابو بكر الصديق واعتقه واشترى معه ستة نفر اخرين واما صهيب فقال لهم اني رجل كبير ان كنت معكم فلن انفعكم وإن كنت عليكم فلا اضركم فاشترى نفسه بماله فباعوه منه فربه ابو بكر الصديق فقال يا صهيب ربح البيع واما باقيهم فاعطوهم بعض ما يريدون فخلوا عنهم وقال قتادة هم اصحاب رسول الله ﷺ ظلمهم اهل مكة فاخرجوهم من ديارهم حتى لحق طائفة بالحبشة ثم بوأهم الله المدينة بعد ذلك فجعلها لهم دار هجرة فهاجروا اليها وجعل لهم انصارا من المؤمنين فاووهم ونصروهم وواسوهم وهذه الاية تدل على فضل المهاجرين وفضل الهجرة وفيه دليل على أن الهجرة إذا لم تكن لله خالصة لم يكن لها موقع وكانت بمنزلة الانتقال من بلد إلى اخر ومنه حديث الاعمال بالنيات وفيه فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها او امراة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر اليه الحديث اخرجاه في الصحيحين من رواية عمر بن الخطاب . قوله تعالى (لنبوانهم في الدنيا حسنة) يعني لنبوانهم تبوئة حسنة وهو انه تعالى انزلهم المدينة وجعلها لهم دار هجرة والمعنى لنبوانهم في الدنيا دارا حسنة او بلدة حسنة وهي المدينة روى عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان إذا اعطى الرجل من المهاجرين عطاء يقول له خذ هذا بارك الله لك فيه هذا ما بوأك الله في الدنيا وما ادخر لك في الاخرة افضل ثم يقول هذه الاية وقيل معناه ليحسنن اليهم في الدنيا بان يفتح لهم مكة ويمكنهم من اهلها الذين ظلموهم واخرجوهم منها ثم ينصرهم على العرب قاطبة وعلى اهل المشرق والمغرب وقيل المراد بالحسنة في الدنيا التوفيق والهداية في الدين (ولأجر الاخرة اكبر) يعني اعظم وافضل واشرف مما اعطاهم في الدنيا (لو كانوا يعلمون) قيل الضمير يرجع إلى الكفار لان المؤمنين يعلمون ما لهم في الاخرة والمعنى لو كان هؤلاء الكفار يعلمون ان اجر الاخرة اكبر مما هم فيه من نعيم الدنيا لرغبوا فيه وقيل انه راجع الى المهاجرين والمعنى لو كانوا يعلمون ما اعد الله لهم في الاخرة لزادوا في الجد والاجتهاد والصبر على ما اصابهم من ادى المشركين (الذين صبروا) يعني في الله على ما نالهم من الاذى والمكروه فهو صفة مدح يعني صبروا على العذاب ومفارقة الوطن وعلى الجهاد وبذل الانس والاموال في سبيل الله (وعلى ربهم يتوكلون) يعني في امورهم كلها قال بعضهم ذكر الله الصبر والتوكل في هذه الاية وهما مبدا السلوك الى الله تعالى ومنتهاه اما الصبر فهو النفس وحبسها على اعمال البر وسائر الطاعات واحتمال الاذى من الخلق والصبر على الشهوات المباحات والمحرمات والصبر على المصائب واما التوكل فالانقطاع عن الخلق بالكلية والتوجه إلى الحق تعالى بالكلية فالاول هو مبدا السلوك إلى الله تعالى والثاني هو آخر الطريق ومنتهاه (وما ارسلنا من قبلك

القطان ثنا أحمد بن يوسف السلمي ثنا عبد الرازق انا معمر عن همام بن منبه ثنا ابو هريرة قال قال رسول الله ﷺ قال الله كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني عبدي ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه إياي ان يقول لن يعيدنا كما بدأنا وأما شتمه إياي ان يقول اتخذ الله ولدا وأنا الصمد لم أند ولم أولد ولم يكن لي كفوا احد قوله تعالى (والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا) عذبوا وأوذوا في الله نزلت في بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس وجبير وأبي جندل ابن سهل اخذهم للمشركون بمكة فعذبوهم وقال قتادة هم اصحاب النبي ﷺ ظلمهم اهل مكة وأخرجوهم من ديارهم حتى لحق منهم طائفة بالحبشة ثم بوأ الله لهم المدينة بعد ذلك فجعلها لهم دار هجرة وجعل لهم انصارا من المؤمنين (لنبوئنهم في الدنيا حسنة) وهو انه انزلهم المدينة روى عن عمر بن الخطاب كان إذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاء يقول خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ادخر لك في الاخرة افضل ثم تلا هذه الاية وقيل معناه لنحسنن اليهم في الدنيا وقيل الحسنة في الدنيا التوفيق والهداية (ولاجر الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون) وقوله ولو كانوا يعلمون يتصرف إلى المشركين لان المؤمنين كانوا يعلمونه (الذين صاروا) في الله على ما نالهم (وعلى ربهم يتوكلون) وما أرسلنا من قبلك

إلا رجالا نوحي إليهم) نزلت في مشركي مكة حيث أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا فهلا بعث إلينا ملكا (فاسئلوا اهل الذكر) يعنى مؤمني اهل الكتاب (إن كنتم لاتعلمون بالبينات والزبر) واختلفوا في الجالب للباء في قوله بالبينات قيل هي راجعة إلى قوله وما ارسلنا من قبلك بالبينات والزبر غير رجال يوحى إليهم ولم نبعث ملائكة وقيل تأويله وما ارسلنا من قبلك إلا رجالا يوحى إليهم ارسلناهم بالبينات والزبر (وانزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما انزل إليهم) أراد بالذكر الوحي وكان رسول ﷺ مبينا للوحي وبيان الكتاب يطلب من السنة (ولعلهم يتفكرون افأمن الذين مكروا) عملوا (السيئات) من قبل نمرود بن كنعان وغيره من الكفار (ان يخسف الله بهم الأرض او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون (او يأخذهم) بالعذاب (في تقلبهم) تصرفهم الاسفار وقال ابن عباس في اختلافهم وقال ابن جريج في اقبالهم وادبارهم (فما هم بمعجزين السابقين الله (او يأخذهم على تخوف) والتخوف النقص اى ينقص من اطرافهم ونواحيهم شيئا بعد شيء حتى يهلك جميعهم يقال تخوفه الدهر وتخونه إذا نقصه واخذ ماله لاحشمه ويقال هذا لغة بني هزيل

إلا رجلا نوحي إليهم) نزلت هذه الاية جوابا لمشركي مكة حيث أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا الله اعظم واجل من أن يكون رسوله بشرا فهلا بعث ملكا إلينا فاجابهم الله عز وجل بقوله وما أرسلنا من قبلك يا محمد إلا رجالا يعني مثلك نوحي إليهم والمعنى ان اعادة الله عز وجل جارية من أول مبدا الخلق انه لم يبعث إلا رسولا من البشر فهذه عادة مستمرة وسنة جارية قديمة (فاسئلوا أهل الذكر) يعني أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى وإنما امرهم الله بسؤال اهل الكتاب لأن كفار مكة كانوا يعتقدون أهل الكتاب أهل علم وقد أرسل إليهم رسلا منهم مثل موسى وعيسى وغيرهم من الرسل وكانوا بشرا مثلهم فاذا سألوهم فلابد وان يخبروهم بان الرسل الذين أرسلوا إليهم كانوا بشرا فاذا أخبروهم بذلك زالت الشبهة عن قلوبهم (ان كنتم لاتعلمون) الخطاب لأهل مكة يعني إن كنتم يا هؤلاء لا تعلمون ذلك ذلك (بالبينات والزبر) اختلفوا في المعنى الجالب لهذه الباء فقيل المعنى وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر إلا رجالا يوحى إليهم أرسلناهم بالبينات والزبر وقيل الذكر بمعنى العلم في قوله فاسئلوا أهل الذكر يعني أهل العلم والمعنى فاسئلوا أهل الذكر الذي هو العلم بالبينات والزبر إن كنتم لاتعلمون انتم ذلك والبينات والزبر اسم جامع لكل ما يتكامل به أمر الرسالة لأن مدار أمر الرسول على المعجزات الدالة على صدقه ومى بالبينات وعلى بيان الشرائع والتكاليف هي المراد بالزبر يعني الكتب المنزلة على الرسل من الله عز وجل (أنزلنا إليك الذكر) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وانزلنا عليك يا محمد الذكر الذي هو القران وإنما سماه ذكرا لان فيه مواعظ وتنبيها للغافلين (لتبين للناس ما نزل اليهم) يعني ما أجمل إليك من أحكام القران وبيان الكتاب يطلب من السنة والمبين لذلك المجمل هو الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا قال بعضهم متى وقع تعارض بين القرآن والحديث وجب تقديم الحديث لان القرآن مجمل والحديث مبين بدلالة هذه الاية والمبين مقدم على المجمل وقال بعضهم القرآن منه محكم ومنه متشابه فالمحكم يجب أن يكون مبينا والمتشابه هو المجمل ويطلب بيانه من السنة فقوله تعالى لتبين للناس ما نزل إليهم محمول على ما أجمل فيه دون المحكم المبين المفسر (ولعلهم يتفكرون) يعني فيما انزل إليهم فيعملوا به (افامن الذين مكروا السيئات) فيه حذف تقديره المنكرات السيئات وهم كفار قريش مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبأصحابه وبالغوا في أذيتهم والمكر عبارة عن السعي بالفساد على سبيل الاخفاء وقيل المراد بهذا المكر اشتغالهم بعبادة غير الله فيكون مكرهم على انفسهم والصحيح ان المراد بهذا المكر السعي وفي أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وقيل المراد بالذين مكروا السيئات نمرود ومن هم مثله والصحيح ان المراد بهم كفار مكة (ان يخسف الله بهم الارض) يعني كما خسف بقرون من قبلهم (أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون) يعني أن العذاب يأتيهم بغتة فيهلكهم فجأة كما أهلك قوم لوط وغيرهم (أو يأخذهم في تقلبهم) في تصرفهم في الاسفار فانه سبحانه وتعالى قادر على إهلاكهم في السفر كما هو قادر على إهلاكهم في الحضر وقال ابن عباس يأخذهم في اختلافهم وقال ابن جريج في اقبالهم وادبارهم يعني انه تعالى قادر على ان يأخذهم في ليلهم ونهارهم وفي جميع احوالهم (فما هم بمعجزين) يعني بسابقين الله او يفوتونه بل هو قادر عليهم (او يأخذهم على تخوف) قال ابن عباس ومجاهد يعني على تنقص قال ابن قتيبة التخوف التنقص ومثله التخون ويقال تخوفه الدهر وتخونه إذا انتقصه واخذ ماله وخشمه ويقال هذه لغة هذيل فعلى هذا القول يكون المراد به أنه ينقص من اطرافهم ونواحيهم الشيء حتى يهلك جميعهم وقيل هو على اصله من الخوف فيحتمل انه سبحانه وتعالى لا يأخذهم بالعذاب ولا بل يخوفهم ثم يعذبهم بعد ذلك وقال الضحاك والكلبي هو من الخوف يعني يهلك طائفة فيتخوف الاخرون ان يصيبهم مثل ما اصابهم والحاصل انه سبحانه وتعالى خوفهم بخسف يحصل في الأرض او بعذاب ينزل من السماء او بآفات تحدث دفعة او بافات تحدث قليلا قليلا إلى ان يأتي الهلاك على آخرهم ثم انه سبحانه تعالى

وقال الضحاك والكلبي هو من الخوف اى ان يعذب طائفة ليتخوف الاخرون ان يصيبهم مثل ما اصابهم

ختم

(فان ربكم لرؤوف رحيم) حين لم يعجل بالعقوبة قوله (أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء) قرأ حمزة والكسائي بالتاء على الخطاب وكذلك في سورة العنكبوت والاخرون بالياء خبرا عن الذين مكروا السيئات إلى ما خلق الله من شيء من جسم قائم له ظل (يتفيؤا) قرأ ابو عمر ويعقوب بالتاء والاخرون بالياء (ظلاله) اى تميل وتدور من جانب إلى جانب فهي في اول النهار على حال ثم تتقلص ثم تعود في اخر النهار إلى حال أخرى سجدا لله فميلانها ودورانها سجودها لله عز وجل ويقال للظل بالعشي فيء لانه فاء اى رجع من المغرب إلى المشرق فالفيء الرجوع والسجود الميل يقال سجدت النخلة إذا مالت قوله عز وجل (عن اليمين والشمائل سجدا لله) قال قتادة والضحاك اما اليمين فاول النهار والشمال اخر النهار تسجد الظلال لله وقال الكلبي الظل قبل طلوع الشمس عن يمينك وعن شمالك وقدامك وخلفك وكذلك إذا غابت فاذا طلعت كان من قدامك وإذا ارتفعت كان عن يمينك ثم بعده كان خلفك فاذا كان قبل ان تغرب الشمس كان عن يسارك فهذا تفيؤه وتقلبه وهو سجوده وقال مجاهد إذا زالت الشمس سجد كل شيء لله وقيل المراد من الظلال سجود الاشخاص فان قيل لم وحد اليمين وجمع الشمائل قيل من شأن العرب في اجتماع العلامتين الاكتفاء بواحدة كقوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وقوله يخرجهم من الظلمات إلى النور وقيل اليمين يرجع إلى قوله ما خلق الله ولفظ ما واحد والشمائل جمع يرجع إلى المعنى (وهم داخرون) صاغرون (ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض) إنما أخبر بما لغلبة ما لا يعقل على من يعقل في العدد والحكم للأغلب كتغليب المذكر على المؤنث (من دابة) أراد من كل حيوان يدب ويقال السجود الطاعة والأشياء كلها مطيعة لله عز وجل من حيوان وجماد قال الله تعالى قالتا أتينا طائعين وقيل سجود الأشياء تذللها وتسخرها لما أريدت له وسخرت له وقيل سجود الجمادات وما لا يعقل ظهور أثر الصنع فيه على معنى انه يدعو الغافلين إلى السجود عند التامل والتدبر فيه قال الله تعالى سنريهم آياتنا في الافاق (والملائكة) خص الملائكة بالذكر مع كونهم من جملة ما في السموات

ختم الآية بقوله (فان ربكم لرؤوف رحيم) يعني أنه سبحانه وتعالى لا يعجل بالعقوبة والعذاب * قوله سبحانه وتعالى (أولم يروا) قرىء بالتاء على خطاب الحاضرين وبالياء على الغيبة (إلى ما خلق الله من شيء) يعني من جشم قائم له ظل وهذه الرؤية لما كانت بمعنى النظر وصلت بالى لأن المراد منها الاعتبار والاعتبار لا يكون إلا بنفس الرؤية التي يكون معها نظر إلى الشيء ليتأمل أحواله ويتفكر فيه فيعتبر به (يتفيؤا ظلاله) يعني تميل وتدور من جانب إلى جانب فهي من أول النهار على حال ثم تقلص ثم تعود في اخر النهار إلى حالة أخرى ويقال للظل بالعشي فيء لأنه من فاء يفيء إذا رجع من المغرب إلى المشرق والفيء الرجوع قال الأزهري تفيؤ الظلال رجوعها بعد انتصاف النهار فالتفيؤ لا يكون إلا بالعشي وما انصرفت عنه الشمس والظل يكون بالغداة وهو ما لم تنله الشمس وقوله ظلاله جمع ظل وإنما أضاف الظلال وهو جمع مفرد وهو قوله من شيء لأنه يراد به الكثرة ومعناه الإضافة إلى ذوي الظلال (عن اليمين والشمائل) قال العلماء إذا طلعت الشمس من المشرق وأنت متوجه إلى القبلة كان ظلك عن يمينك فاذا ارتفعت الشمس واستوت في وسط السماء كان ظلك خلفك فاذا مالت الشمس إلى الغروب كان ظلك عن يسارك وقال الضحاك أما اليمين فأول النهار وأما الشمال فآخر النهار وإنما وحد اليمين وإن كان المراد به الجمع للايجاز والاختصار في اللفظ وقيل اليمين راجع إلى لفظ الشيء وهو واحد والشمال راجع إلى المعنى لأن لفظ الشيء يراد به الجمع (سجدا لله) في معنى هذا السجود قولان أحدهما أن المراد به الاستسلام والانقياد والخضوع يقال سجد البعير إذا طأطأ رأسه ليركب وسجدت النخلة إذا مالت لكثرة الحمل والمعنى ان جميع الأشياء التي لها ظلال فهي منقادة لله تعالى مستسلمة لأمره غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ وغيره وقال مجاهد إذا زالت الشمس سجد كل شيء لله والقول الثاني في معنى هذا السجود أن الظلال واقعة على الأرض ملتصقة بها كالساجد على الأرض فلما كانت الظلال يشبه شكلها شكل الساجدين اطلق الله عليها هذا اللفظ وقيل ظل كل شيء ساجد لله سواء كان ذلك الشيء يسجد لله أو لا ويقال ان ظن الكافر ساجد لله وهم غير ساجد لله (وهم داخرون) أي صاغرون أذلاء والداخر الصاغر الذي يفعل ما تأمره به شاء أم أبى وذلك أن جميع الأشياء منقادة لأمر الله تعالى * فان قلت الظلال ليست من العقلاء فكيف عبر عنها بلفظ من يعقل وجمعها بالواو والنون * قلت لما وصفها الله سبحانه وتعالى بالطاعة والانقياد لأمره وذلك صفة لمن يعقل عبر عنها بلفظ من يعقل وجاز جمعها بالواو والنون وهو جمع العقلاء قوله عز وجل (ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة) قال العلماء السجود على نوعين سجود طاعة وعبادة كسجود المسلم لله عز وجل وسجود انقياد وخضوع كسجود الظلال فقوله ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة يحتمل النوعين لأن سجود كل شيء بحسبه فسجود المسلمين والملائكة لله سجود عبادة وطاعة وسجود غيرهم سجود انقياد وخضوع وأتى بلفظ ما في قوله ما في السموات وما في الأرض للتغليب لأن ما لا يعقل أكثر ممن يعقل في العدد والحكم للأغلب كتغليب المذكر على المؤنث ولأنه لو أتى بمن التي هي للعقلاء لم يكن فيها دلالة على التغليب بل كانت متناولة للعقلاء خاصة فأتى بلفظة ما ليشمل الكل ولفظة الدابة مشتقة من الدبيب وهو عبارة عن الحركة الجسمانية فالدابة اسم يقع على كل حيوان جسماني يتحرك ويدب فيدخل فيه الإنسان

والأرض تشريفا ورفعا لشأنهم وقيل لخروجهم من الموصوفين بالدبيب إذ لهم أجنحة يطيرون بها وقيل أراد الله يسجد ما في السموات من الملائكة وما في الأرض من دابة وتسجد الملائكة (وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم) كقوله وهو الظاهر فوق عباده

(ويفعلون ما يؤمرون) أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي انا محمد بن سمعان ثنا ابو بكر محمد بن إبراهيم الشعراني ثنا محمد بن يحيى الذهلي ثنا عبيد الله بن موسى العبسي ثنا اسرائيل عن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن مورق عن ابي ذر قال قال رسول الله ﷺ اني اري مالا ترون واسمع مالا تسمعون اطت السماء وحق لها ان تئط والذي نفسي بيده ما فيها موضع اربع اصابع الا وفيه ملك بمجد الله ولو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرشات ولصعدتم الى الصعدات تجارون قال ابو ذر يا ليتني كنت شجرة تعضد رواه ابو عيسى عن احمد بن منيع عن ابي احمد الزبيري عن اسرائيل وقال الا وملك واضع جبهته ساجدا لله قوله تعالى (وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياي فارهبون وله ما في السموات والأرض وله الدين) الطاعة والاخلاص (واصبا) دائما ثابتا معناه ليس من احد يدان له ويطاع الا انقطع ذلك عنه بزوال او هلاك غير الله عز وجل فان الطاعة تدوم له ولا تنقطع) أفغير الله تتقون) أي تخافون استفهام على طريق الانكار قوله تعالى (وما بكم من نعمة ليكشفها فمن الله) أي وما يكن بكم من نعمة فمن الله (ثم إذا مسكم الضر) القحط والمرض (فاليه تجارون) تضجون وتصيحون بالدعاء والاستغاثة

لأنه مما يدب على الأرض ولهذا أفرد الملائكة في قوله (والملائكة) لأنهم أولوا أجنحة يطيرون بها أو أفردهم بالذكر وإن كانوا من جملة من في السموات لشرفهم وقيل اراد الله يسجد ما في السموات من الملائكة وما في الأرض من دابة فسجود الملائكة والمسلمين للطاعة وسجود غيرهم تذليلها وتسخيرها لما خلقت له وسجود ما لا يعقل وسجود الجمادات يدل على قدرة الصانع سبحانه وتعالى فيدعوا الغافلين إلى السجود لله عند التأمل والتدبر (وهم لا يستكبرون) يعني الملائكة (يخافون ربهم من فوقهم) هو كقوله وهو القاهر فوق عباده وقد تقدم تفسيره (ويفعلون ما يؤمرون) عن أبي ذر قال رسول الله ﷺ إني أرى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجارون إلى الله تعالى قال أبو ذر لوددت أني كنت شجرة تعضد اخرجه الترمذي وقال عن ابي ذر موقوفا (فصل) وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن فيسن للقارىء والمستمع أن يسجد عند قراءتها وسماعها قوله سبحانه وتعالى (وقال الله لا تتخذا إلهين اثنين) لما اخبر الله عز وجل في الاية المتقدمة ان كل ما في السموات والارض خاضعون لله منقادون لامره عابدون له وانهم في ملكه وتحت قدرته وقبضته نهى في هذه الاية عن الشرك وعن اتخاذ إلهين اثنين فقال وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين قال الزجاج ذكر الاثنين توكيدا لقوله إلهين وقال صاحب النظم فيه تقديم وتاخير تقديره لا تتخذوا اثنين إلهين يعني ان الاثنين لا يكون كل واحد منهما إلها ولكن اتخذوا إلها واحدا وهو قوله تبارك وتعالى (إنما هو إله واحد) لان الالهين لا يكونان إلا متساويين في الوجود والقدم وصفات الكمال والقدرة والارادة فصارت الأثنينية منافية للالهية وذلك قوله تعالى إنما هو إله واحد يعني لا يجوز ان يكون في الوجود إلهان اثنان إنما هو إله واحد (فاياي فارهبون) يعني فخافون والرهب مخافة مع حزن واضطراب ونقل الكلام من الغيبة إلى الحضور وهو من طريق الالتفات لانه ابلغ في الترهيب من قوله فاياه ترهبوا فهو من بديع الكلام وبليغه وقوله فاياي فارهبون يفيد الحصر وهو ان لا يرهب الخلق إلا منه ولا يرغبون إلا اليه وإلى كرمه وفضله وإحسانه (وله ما في السموات والارض) لما ثبت بالدليل الصحيح والبرهان الواضح إله العالم لا شريك له في الالهية وجب ان يكون جميع المخلوقات عبيدا له وفي ملكه وتصرفه وتحت قدرته فذلك قوله تعالى وله ما في السموات والارض يعني عبيدا وملكا (وله الدين واصبا) يعني وله العبادة والطاعة واخلاص العمل دائما ثابتا والواصب الدائم قال ابن قتيبة ليس من احد يدان له ويطاع الا انقطع ذلك لسبب في حال الحياة او بالموت الا الحق سبحانه وتعالى فان طاعته واجبة أبدا ولانه المنعم على عباده المالك لهم فكانت طاعته واجبة دائما ابدا (افغير الله تتقون) يعني انكم عرفتم ان الله واحد لا شريك له في ملكه وعرفتم ان كل ما سواه محتاج اليه فبعد هذه المعرفة كيف تخافون غيره وتتقون سواه فهو استفهام بمعنى التعجب وقيل هو استفهام على طريق الانكار قوله عز وجل (وما بكم من نعمة فمن الله) يعني من نعمة الاسلام وصحة الابدان وسعة الارزاق وكل ما اعطاكم من مال أو ولد فكل ذلك من الله تعالى إنما هو المتفضل به على عباده فيجب عليكم شكره على جميع انعامه ولما بين في الاية المتقدمة انه يجب على جميع العباد ان لا يخافوا الا الله تعالى بين هذه الاية ان جميع النعم منه فلا يشكر عليها إلا إياه لانه هو المتفضل بها على عباده فيجب عليهم شكره عليها (ثم إذا مسكم الضر) اي الشدة والأمراض والأسقام (فاليه تجارون) يعني اليه تستغيثون وتصيحون وتضجون بالدعاء ليكشف عنكم ما نزل بكم من الضرر والشدة وأصل الجؤار هو رفع الصوت الشديد ومنه جؤار البقر والمعنى أن النعم لما كانت كلها ابتداء منه فان حصل شدة وضر في بعض الأوقات فلا يلجأ إلا اليه ولا يدعى إلا إياه

(ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا) ليجحدوا (بما تيناهم) وهذه اللام تسمى لام العاقبة أى حاصل أمرهم هو كفرهم بما آتيناهم أعطيناهم من النعماء وكشف الضراء والبلاء (فتمتعوا) أى عيشوا فى الدنيا المدة التى ضربتها لكم (فسوف تعلمون) عاقبة امركم هذا وعيد لهم (ويجعلون لما لا يعلمون) له حقا أى الأصنام (نصيبا مما رزقناهم) من الأموال وهو ما جعلوا للاوثان من

ليكشفها فانه هو القائد على كشفها وهو قوله تعالى (ثم إذا كشف الضر عنكم) يعنى ثم إذا أزال الشدة والبلاء عنكم (إذا فريق منكم) يعنى طائفة وجماعة منكم (بربهم يشركون) يعنى أنهم يضيفون كشف الضر إلى العوائد والأسباب ولا يضيفونه إلى الله عز وجل فهذا من جملة شركهم الذى كانوا عليه وإنما قسمهم فريقين لأن فريق المؤمنين لا يرون كشف الضر إلا من الله تعالى ثم قال تعالى (ليكفروا بما آتيناهم) قيل ان هذه اللام لام كى ويكون المعنى على هذا أنهم إنما أشركوا بالله ليجحدوا نعمه عليهم فى كشف الضر عنهم وقيل أنها لام العاقبة والمعنى عاقبة أمرهم هو كفرهم بما آتيناهم من النعماء وكشفنا عنهم الضر والبلاء (فتمتعوا) لفظه أمر والمراد منه التهديد والوعيد يعنى فعيشوا فى اللذة التى أنتم فيها إلى المدة التى ضربها الله لكم (فسوف تعلمون) يعنى عاقبة أمركم إلى ماذا تصيرون وهو نزول العذاب بكم * قوله تعالى (ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا) قيل الضمير فى قوله لما لا يعلمون عائد إلى المشركين يعنى ان المشركين لا يعلمون وقيل أنه عائد إلى الأصنام يعنى الأصنام لا تعلم شيئا البتة لانها جماد والجماد لا علم له ومنهم من رجح القول الأول لأن نفى العلم عن الحى حقيقة وعن الجماد مجاز فكان عود الضمير إلى المشركين أولى ولانه قال لما لا يعلمون فجعلهم بالواو والنون وهو جمع لمن يعقل ومنهم من رجح القول الثانى قال لانا اذا قلنا أنه عائدا المشركين احتجنا فيه الى اضمار فيكون المعنى ويجعلون يعنى المشركين لما لا يعلمونه أنه الهة ولا له حق نصيبا واذا قلنا أنه عائد الى الأصنام لم تحتج الى هذا الاضمار لأنها لا علم لها ولا فهم وقوله (مما رزقناهم) يعنى ان المشركين جعلوا للاصنام نصيبا من حروثهم وانعامهم وأموالهم التى رزقهم الله وقد تقدم تفسيره فى سورة الانعام (تالله) اقسم بنفسه على نفسه أنه يسألهم يوم القيامة وهو قوله تعالى (لتسئلن عما كنتم تفترون) يعنى عما كنتم تكذبون فى الدنيا فى قولكم ان هذه الأصنام الهة وان لها نصيبا من أموالكم وهذا التفات من الغيبة الى الحضور وهو من بديع الكلام وبليغه (ويجعلون لله البنات) هم خزاعة وكنانة قالوا الملائكة بنات الله وانما اطلقوا لفظ البنات على الملائكة لاستتارهم عن العيون كالنساء أو لدخول لفظ التأنيث فى تسميتهم (سبحانه) نزه الله نفسه عن الولد والبنات (ولهم ما يشتهون) يعنى ويجعلون لأنفسهم ما يشتهون يعنى البنين (واذا بشر أحدهم بالأنثى) البشارة عبارة عن الخبر السار الذى يظهر على بشرة الوجه أثر الفرح به ولما كان ذلك الفرح والسرور يوجبان تغير بشرة الوجه كان كذلك الحزن والغم يظهر أثره على الوجه وهو الكمودة التى تعلو الوجه عند حصول الحزن والغم فثبت بهذا أن البشارة لفظ مشترك بين الخبر السار والخبر المحزن فصح قوله وابشر أحدهم بالانثى (ظل وجهه مسودا) يعنى متغيرا من الغم والحزن والغيظ والكراهة التى حصلت له عند هذه البشارة والمعنى أن هؤلاء المشركين لا يرضى أحدهم بالبنت الانثى أن تنسب اليه فكيف يرضى ان ينسبها الى الله تعالى ففيه تبكيت لهم وتوبيخ * وقوله سبحانه وتعالى (وهو كظيم) يعنى أنه ظل ممتلئا غما وحزنا (يتوارى من القوم من سوء ما بشر به) يعنى أنه يختفى من ذلك القول الذى بشر به وذلك أن العرب كانوا فى الجاهلية اذا قربت ولادة زوجة أحدهم توارى من القوم الى أن يعلم ماولد له فان كان ولدا ابتهج وسر بذلك وظهر وان كانت انثى حزن ولم يظهر اياما حتى يفكر ما يصنع بها وهو قوله تعالى (ايمسكه على هون) يعنى على هو ان وانما ذكر الضمير فى ايمسكه لانه عائد الى ما بشر فى قوله واذا بشر أحدهم (أم يدسه فى التراب) يعنى ام يخفى الذى بشر به فى التراب والدس اخفاء الشىء فى الشىء قال أهل التفسير ان مضر وخزاعة وتميما كانوا يدفنون البنات احياء والسبب فى ذلك اما خوف الفقر وكثرة العيال ولزوم النفقة أو الحمية فيخافون عليهم من الاسر ونحوه أو طمع غير الاكفاء فهن فكان

حروثهم وانعامهم فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا ثم رجع من الخبر إلى الخطاب فقال (تالله لتسئلن) يوم القيامة (عما كنتم تفترون) فى الدنيا (ويجعلون لله البنات) وهم خزاعة وكنانة قالوا الملائكة بنات الله تعالى (سبحانه ولهم ما يشتهون) أى ويجعلون لأنفسهم البنين الذين يشتهونهم فيكون ما فى محل النصب ويجوز أن يكون على الابتدا فيكون ما فى محل الرفع (واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا) متغيرا من الغم والكراهية (وهو كظيم) وهو ممتلىء حزنا وغيظا فهو يكظمه أى يمسكه ولا يظهره (يتوارى) أى يختفى (من القوم من سوء ما بشر به) من الحزن والعار ثم يتفكر (ايمسكه) ذكر الكناية رد اعلى ما (على هون) أى هوان (ام يدسه فى التراب) أى يخفيه فيئده وذلك أن مضر وخزاعة وتميما كانوا يدفنون البنات أحياء خوفا من الفقر عليهم وطمع غير الاكفاء فهن وكان الرجل من العرب إذا ولدت له بنت وأراد أن يستحيها البسها جبة من صوف أو شعر وتركها ترعى له الابل والغنم فى البادية واذا أراد أن يقتلها تركها حتى اذا صارت سداسية قال لامها زينيها حتى اذهب بها الى احمائها وقد حفر لها بئرا فى الصحراء فاذا بلغ بها البئر قال لها انظرى الى هذه البئر فيدفعها من خلفها فى البئر ثم يهيل على رأسها التراب حتى يستوى البئر بالارض فذلك قوله عز وجل ايمسكه على هون ام يدسه فى التراب وكان صعصعة عم الفرزدق اذا احس بشىء من ذلك وجه الى والد البنت ابلا يحييها

بذلك فقال الفرزدق يفتخر به وعمى الذى منع الوائدات ٭ فاحيا الوئيد فلم يوأد (الاساء مايحكمون) بئس مايقضون لله البنات ولأنفسهم البنين نظيره ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى وقيل بئس حكمهم وأد البنات (للذين لايؤمنون بالآخرة) يعنى لهؤلاء الذين يصفون لله البنات ولأنفسهم البنين (مثل (٨٠) السوء) صفة السوء من الاحتياج إلى الولد وكراهية الاناث وقتلهن خوف التقر

الرجل من العرب فى الجاهلية إذا ولدت له بنت وأراد أن يستحيها تركها حتى كبرت ألبسها جبة من صوف أو شعر وجعلها ترعى الإبل والغنم فى البادية وإذا اراد أن يقتلها تركها حتى إذا صارت سداسية قال لأمها زينيها حتى اذهب بها إلى احمائها ويكون قد حفر لها حفرة فى الصحراء فاذا بلغ بها تلك الحفرة قال انظرى إلى هذه البئر فاذا نظرت اليها دفعها من خلفها فى تلك البئر ثم يهيل التراب على رأسها وكان صعصعة عم (١) الفرزدق إذا أحس بشىء من ذلك وجه بابل إلى والد البنت حتى يحييها بذلك فقال الفرزدق يفتخر بذلك

وعمى الذى منع الوائدات ٭ فأحيا الوئيد فلم يوأد

عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ الوائدة والموؤدة فى النار أخرجه أبو داود ٭ وقوله تعالى (الاساء مايحكمون) يعنى بئس مايصنعون ويقضون حيث يجعلون لله الذى خلقهم البنات وهم يستنكفون منهن ويجعلون لأنفسهم البنين نظيره قوله سبحانه وتعالى ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى وقيل معناه الاساء مايحكمون فى وأد البنات (للذين لايؤمنون بالاخرة مثل السوء) يعنى صفة السوء من احتياجهم إلى الولد الذكر وكراهتهم الاناث وقتلهن خوف الفقر (ولله المثل الأعلى) أى الصفة العليا المقدسة وهى ان له التوحيد وأنه المنزه عن الولد وأنه لا إله إلا هو وان له جميع صفات الجلال والكمال من العلم والقدرة والبقاء السرمدى وغير ذلك من الصفات التى وصف الله بها نفسه وقال ابن عباس مثل السوء النار والمثل الأعلى شهادة أن لا إله إلا الله (وهو العزيز) اى الممتنع فى كبريائه وجلاله (الحكيم) يعنى فى جميع أفعاله قوله (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم) يعنى بسبب ظلمهم فيعاجلهم بالعقوبة على ظلمهم وكفرهم وعصيانهم ٭ فان قلت الناس اسم جنس يشمل الكل وقد قال تعالى فى آية أخرى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فقسمهم فى تلك الاية ثلاثة أقسام فجعل الظالمين قسما واحدا من ثلاثة ٭ قلت قوله ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم عام مخصوص بتلك الاية الأخرى لأن فى جنس الناس الأنبياء والصالحين ومن لا يطلق عليه اسم الظلم وقيل اراد بالناس الكفار فقط بدليل قوله ان الشرك لظلم عظيم وقوله (ماترك عليها) يعنى على الأرض كنايه عن غير مذكور لان الدابة لاتدب إلا على الارض (من دابة) يعنى ان الله سبحانه وتعالى لو يؤاخذ الناس بظلمهم لاهلك جميع الدواب التى على وجه الارض قال قتادة وقد فعل الله ذلك فى زمن نوح عليه السلام فاهلك من كان على وجه الارض إلا من كان فى السفينة مع نوح عليه السلام وروى أن أبا هريرة سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر إلا نفسه فقال بئس ماقلت ان الحبارى تموت هزالا بظلم الظالم وقال ابن مسعود ان الجعل لتعذب فى جحرها بذنب ابن ادم وقيل أراد بالدابة الكافر بدليل قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا وقيل فى معنى الاية ولو يؤاخذ الله الاباء الظالمين بسبب ظلمهم لانقطع النسل ولم توجد الابناء فلم يبق فى الارض أحد (ولكن يؤخرهم) يعنى يمهلهم بفضله وكرمه وحلمه (إلى أجل مسمى) يعنى إلى انتهاء اجالهم وانقضاء أعمارهم (فاذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون) يعنى لايؤخرون ساعة من الاجل الذى جعله الله لهم ولاينقصون عنه وقيل أراد بالاجل المسمى يوم القيامة والمعنى ولكن يؤخرهم إلى يوم القيامة فيعذبهم فلا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون (ويجعلون لله ما يكرهون) يعنى لانفسهم وهى البنات (وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى) يعنى ويقولون أن لهم البنين وذلك أنهم قالوا لله البنات ولنا البنون وهذا

(١) قوله صعصعة عم كذا بالنسخ التى بايدينا والصواب جد وكذا قوله (وعمى الذى) الصواب وجد الذى كما هو مقرر فى كتب الادب اه

(ولله المثل الاعلى) الصفة العليا وهى التوحيد وأنه لا إله إلا هو وقيل جميع صفات الجلال والكمال من العلم والقدرة والبقاء وغيرها من الصفات قال ابن عباس مثل السوء النار والمثل الاعلى شهادة ان لا إله إلا الله (وهو العزيز الحكيم ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم) فيعاجلهم بالعقوبة على كفرهم وعصيانهم (ماترك عليها) اى على الارض كناية عن غير مذكور (من دابة) قال قتادة فى الاية قد فعل الله ذلك من زمن نوح فاهلك من على الارض إلا من كان فى سفينة نوح عليه السلام روى ان ابا هريرة سمع رجلا يقول ان الظالم لايضر إلا نفسه فقال بئس ماقلت ان الحبارى تموت فى وكرها بظلم الظالم وقال ابن مسعود ان الجعل لتعذب فى حجرها بذنب ابن ادم وقيل ان معنى الاية لو يؤاخذ الله اباء الظالمين بظلمهم انقطع النسل ولم توجد الابناء فلم يبق فى الارض احد ولكن يؤخرهم إلى اجل) يمهلهم بحمله إلى اجل (مسمى) إلى منتهى اجالهم وانقطاع اعمارهم (فاذا أجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون) قوله عز وجل (ويجعلون لله ما يكرهون) لانفسهم يعنى البنات (وتصف) أى تقول (ألسنتهم الكذب ان لهم الحسنى) يعنى البنين محل ان نصب بدل عن الكذب قال يمان يعنى بالحسنى الجنة فى المعاد يقولون نحن فى الجنة إن كان محمد صادقا بالوعد فى البحث

القول

(لا جرم) حقا قال ابن عباس لى (ان لهم النار) فى الاخرة (وأنهم مفرطون) قرأ نافع بكسر الراء أى مسرفون وقرأ أبو جعفر بتشديد الراء وكسرها أى مضيعون أمر الله وقرأ الاخرون بفتح الراء وتخفيفها أى منسيون فى النار قاله ابن عباس وقال سعيد بن جبير مبعدون وقال مقاتل متروكون قال قتادة معجلون إلى النار قال الفراء مقدمون إلى النار ومنه قوله (٨١) ﷺ انا فرطكم على الحوض أى

القول كذب منهم وافتراء على الله وقيل أراد بالحسنى الجنة والمعنى أنهم مع كفرهم وقولهم الكذب يزعمون انهم على الحق وان لهم الجنة وذلك انهم قالوا ان كان محمد صادقا فى البعث بعد الموت فان لنا الجنة لانا على الحق فاكذبهم الله تعالى فقال (لا جرم أن لهم النار) يعنى فى الاخرة لا الجنة (وانهم مفرطون) قرىء بكسر الراء مع التخفيف يعنى مسرفون وقرىء بكسر الراء مع التشديد يعنى مضيعون لامر الله وقراءة الجمهور بفتح الراء مع تخفيفها أى منسيون فى النار قاله ابن عباس وقال سعيد بن جبير ومقاتل متروكون وقال قتادة معجلون إلى النار وقال الفراء مقدمون إلى النار والفرط ما تقدم إلى الماء قبل القوم ومنه قوله ﷺ انا فرطكم على الحوض أى متقدمكم (تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك) يعنى كما أرسلناك إلى هذه الامة لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فكان شأنهم مع رسلهم التكذيب ففيه تسلية للنبى ﷺ (فزين لهم الشيطان أعمالهم) يعنى اعمالهم الخبيثة من الكفر والتكذيب والمزين فى الحقيقة هو الله تعالى هذا مذهب اهل السنة وإنما جعل الشيطان آلة بالقاء الوسوسة فى قلوبهم وليس له قدرة ان يضل احدا ويهدى أحدا وإنما له الوسوسة فقط فمن اراد الله شقاوته سلطه عليه حتى يقبل وسوسته (فهو وليهم) أى ناصرهم (اليوم) ومن كان الشيطان وليه وناصره فهو مخذول مغلوب مقهور وإنما سماه وليا لهم لطاعتهم إياه (ولهم عذاب اليم) يعنى فى الاخرة (وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا) يعنى فى أمر الدين والاحكام فتبين لهم الهدى من الضلال والحق من الباطل والحلال من الحرام (وهدى ورحمة) يعنى وما أنزلنا عليك الكتاب إلا بيانا وهدى ورحمة (لقوم يؤمنون) لانهم هم المنتفعون به قوله سبحانه وتعالى (والله أنزل من السماء ماء) يعنى المطر (فأحيا به) يعنى بالماء (الارض) يعنى النبات والزرع (بعد موتها) يعنى يبسها وجدوبتها (إن فى ذلك لاية) يعنى دلالة واضحة على كمال قدرتنا (لقوم يسمعون) يعنى سماع إنصاف وتدبر وتفكر لان سماع القلوب هو النافع لا سماع الاذان فمن سمع ايات الله أى القرآن بقلبه وتدبرها وتفكر فيها انتفع ومن لم يسمع بقلبه لم ينتفع بالايات (وإن لكم فى الانعام لعبرة) يعنى إذا تفكرتم فيها عرفتم كمال قدرتنا على ذلك (نسقيكم مما فى بطونه) الضمير عائد إلى الانعام وكان حقه ان يقال مما فى بطونها واختلف النحويون فى الجواب فقيل إن لفظ الانعام مفرد وضع لافادة الجمع فهو بحسب اللفظ مفرد فيكون ضميره ضمير الواحد وهو مذكر وبحسب المعنى جمع فيكون ضميره ضمير الجمع وهو مؤنث فلهذا المعنى قال هنا مما فى بطونه وقال فى سورة المؤمنين مما فى بطونها وهذا قول أبو عبيدة والاخفش وقول الكسائى انه رده إلى ما ذكر يعنى مما فى بطون ما ذكرنا وقال غيره الكناية مردودة إلى البعض وفيه إضمار كانه قال نسقيكم مما فى بطونه اللبن فاضمر اللبن إذ ليس لكلها لبن (من بين فرث) وهو ما فى الكرش من الثقل فاذا خرج منها لا يسمى فرثا (ودم لبنا خالصا) يعنى من الفرث ليس عليه لون الدم ولا رائحة الفرث قال ابن عباس إذا أكلت الدابة العلف واستقر فى كرشها وطبخته كان أسفله فرثا وأوسطه لبنا وأعلاه دما فالكبد مسلطة عليه تقسمه بتقدير الله سبحانه وتعالى فيجرى الدم فى العروق واللبن فى الضروع ويبقى الثقل كما هو (سائغا للشاربين) يعنى هنيئا سهلا يجرى فى الحلق بسهولة بل انه لم يغص أحد باللبن قط هذا قول المفسرين فى معنى هذه الاية وحكى الامام فخر الدين الرازى قول الحكماء فى ذلك فقال ولقائل ان يقول الدم واللبن لا يتولدان فى الكرش البتة والدليل عليه الحس فان هذه الحيوانات تذبح ذبحا متواليا وما رأى أحد فى كرشها دما ولا لبنا بل الحق ان الحيوان إذا تناول الغذاء وصل ذلك العلف

متقدمكم (تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك) كما أرسلنا إلى هذه الأمة (فزين لهم الشيطان أعمالهم) الخبيثة (فهو وليهم) ناصرهم (اليوم) وقرينهم سماه وليا لهم لطاعتهم إياه (ولهم عذاب أليم) فى الاخرة (وما انزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه) من الدين والاحكام (وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) اى ما أنزلنا عليك الكتاب إلا بيانا وهدى ورحمة فالهدى والرحمة عطف على قوله لتبين (والله أنزل من السماء ماء) يعنى المطر (فأحيا به الارض) بالنبات (بعد موتها) يبوستها (إن فى ذلك لاية لقوم يسمعون) سمع القلوب لا سمع الاذان (وإن لكم فى الانعام لعبرة) لعظة (نسقيكم) بفتح النون هنا وفى المؤمنين قرأ نافع وابن عامر وأبو بكر ويعقوب والباقون بضمها وهما لغتان (مما فى بطونه) قال الفراء رد الكناية إلى النعم والنعم والانعام واحد ولفظ النعم مذكر قال أبو عبيدة والأخفش النعم يذكر ويؤنث فمن انث فالمعنى الجمع ومن ذكر فلحكم اللفظ

(١١ - خازن - بع) قال الكسائى رده إلى ما يعنى فى بطون ما ذكرنا وقال المؤرخ الكناية مردودة إلى البعض والجزء كانه قال نسقيكم مما فى بطونه اللبن إذ ليس لكلها لبن واللبن فيه مضمر (من بين فرث) وهو ما فى الكرش من الثقل فاذا خرج منه لا يسمى فرثا (ودم لبنا خالصا) من الدم والفرث ليس عليه لون دم ولا رائحة فرث (سائغا للشاربين) هنيئا يجرى على السهولة فى الحلق وقيل أنه لم يغص أحدا باللبن قط قال ابن عباس اذا أكلت الدابة العلف واستقر فى كرشها وطبخته كان أسفله الفرث واوسطه اللبن وأعلاه الدم والكبد مسلطة عليها تقسمها

إلى معدته إن كان إنسانا وإلى كرشه إن كان من الأنعام وغيرها فاذا طبخ وحصل الهضم الأول فيه فما كان منه صافيا انجذب الى الكبد وما كان كثيفا نزل إلى الأمعاء ثم ذلك الذى حصل فى الكبد ينطبخ فيها ويصير دما وهو الهضم الثانى ويكون ذلك مخلوطا بالصفراء والسوداء وزيادة المائية فأما الصفراء فتذهب إلى المرارة وأما السوداء فتذهب إلى الطحال وأما المائية فتذهب إلى الكلية ومنها إلى المثانة وأما الدم فيذهب فى الأودية وهى العروق النابتة من الكبد وهناك يحصل الهضم الثالث وبين الكبد وبين الضرع عروق كثيرة فينصب الدم من تلك العروق إلى الضرع والضرع لحم غددى رخو ابيض فيقلب الله عز وجل ذلك الدم عندا نصبابه إلى ذلك اللحم الغددى الرخو الابيض فيصير الدم لبنا فهذا صورته تكون اللبن فى الضرع فاللبن انما يتولد من بعض أجزاء الدم والدم إنما يتولد من بعض الأجزاء اللطيفة من الأشياء المأكولة الحاصلة فى الكرش فاللبن تولد أولا من الفرث ثم من الدم ثانيا ثم صفاه الله سبحانه وتعالى بقدرته فجعله لبنا خالصا من بين فرث ودم وعند تولد اللبن فى الضرع يخلق الله عز وجل بلطيف حكمته فى حلمة الثدى ثقبا صغارا ومسام ضيقة فيجعلها كالمصفاة للبن فكل ما كان لطيفا من اللبن خرج بالمص أو الحلب وما كان كثيفا احتبس فى البدن وهو المراد بقوله خالصا يعنى من شوائب كدورة الدم والفرث سائغا للشاربين يعنى جاريا فى حلوقهم سهلا لذيذا هنيئا مريئا * قوله عز وجل (ومن ثمرات النخيل والاعناب) يعنى لكم أيضا عبرة فيما نسقيكم ونرزقكم من ثمرات النخيل والاعناب (تتخذون منه) الضمير فى منه يرجع إلى ما تقديره ولكم من ثمرات النخيل والأعناب ما تتخذون منه (سكرا ورزقا حسنا) قال ابن مسعود وابن عمر والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وابراهيم وابن ابى ليلى والزجاج وابن قتيبة السكر الخمر سميت بالمصدر من قولهم سكر سكرا وسكرا والرزق الحسن سائر ما يتخذ من ثمرات النخيل والأعناب مثل الدبس والتمر والزبيب والخل وغير ذلك * فان قلت الخمر محرمة فكيف ذكرها الله عز وجل فى معرض الانعام والامتنان * قلت قال العلماء فى الجواب عن هذا إن هذه السورة مكية وتحريم الخمر إنما نزل فى سورة المائدة وهى مدنية فكان نزول هذه الآية فى الوقت الذى كانت الخمر فيه غير محرمة وقيل إن الله عز وجل نبه فى هذه الاية على تحريم الخمر أيضا لأنه ميز بينها وبين الرزق الحسن فى الذكر فوجب أن يقال الرجوع عن كونه حسنا يدل على التحريم وروى العوفى عن ابن عباس إن السكر هو الخل بلغة الحبشة وقال بعضهم السكر هو النبيذ وهو نقيع التمر والزبيب إذا اشتد والمطبوخ من العصير وهو قول الضحاك والنخعى ومن يبيح شرب النبيذ ومن يحرمه يقول المراد من الاية الاخبار لا الإحلال وأولى الأقاويل أن قوله تتخذون منه سكرا منسوخ سئل ابن عباس عن هذه الاية فقال السكر ما حرم من ثمراتها والرزق الحسن ما حل قلت القول بالنسخ فيه نظر لان قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا خبر والاخبار لا يدخلها النسخ ومن زعم انها منسوخة رأى ان هذه الاية نزلت بمكة فى وقت إباحة الخمر ثم إن الله تبارك وتعالى حرمها بالمدينة فحكم على هذه الاية أنها منسوخة وقال أبو عبيدة فى معنى الاية السكر الطعم يقال سكر لك أى طعم لك وقال غيره السكر ما سد الجوع من قولهم سكرت النهر أى سددته والتمر والزبيب ما يسد الجوع وهذا شرح قول أبى عبيدة ان السكر الطعم (إن فى ذلك) يعنى الذى ذكر من إنعامه على عباده (لاية) يعنى دلالة وحجة واضحة (لقوم يعقلون) يعنى ان من كان عاقلا استدل بهذه الاية على كمال قدرة الله تعالى ووحدانيته وعلم بالضرورة ان لهذه الاشياء خالقا ومدبرا قادرا على ما يريده * قوله سبحانه وتعالى (وأوحى ربك إلى النحل) لما ذكر الله سبحانه وتعالى دلائل قدرته وعجائب صنعته الدالة على وحدانيته من إخراج اللبن من بين فرث ودم وإخراج السكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والاعناب ذكر فى هذه الاية إخراج العسل الذى جعله شفاء للناس من دابة ضعيفة وهى النحلة فقال سبحانه وتعالى وأوحى ربك إلى النحل الخطاب للنبى ﷺ والمراد به كل فرد من الناس ممن له عقل وتفكر يستدل به على كمال قدرة الله ووحدانيته وأنه الخالق لجميع الاشياء المدبر لها بلطيف حكمته وقدرته وأصل الوحى الاشارة السريعة وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز

بتقدير الله تعالى فيجرى الدم فى العروق واللبن فى الضرع ويبقى الفرث كما هو (ومن ثمرات النخيل والاعناب) يعنى ولكم أيضا عبرة فيما نسقيكم ونرزقكم من ثمرات النخيل والأعناب (تتخذون منه) والكناية فى منه عائدة إلى ما محذوفة أى ما تتخذون منه (سكرا ورزقا حسنا) قال قوم السكر الخمر والرزق الحسن الخل والزبيب والتمر والرب قالوا وهذا قبل تحريم الخمر وإلى هذا ذهب ابن مسعود وابن عمر وسعيد ابن جبير والحسن ومجاهد وقال الشعبى السكر ما شربت والرزق الحسن ما اكلت وروى العوفى عن ابن عباس أن السكر هو الخل بلغة الحبشة وقال بعضهم السكر النبيذ المسكر وهو نقيع التمر والزبيب إذا اشتد والمطبوخ من العصير وهو قول الضحاك والنخعى ومن يبيح شرب النبيذ ومن حرم يقول المراد من الآية الاخبار لا الاحلال وأولى الاقاويل روى عن ابن عباس قال السكر ما حرم من ثمرها والرزق الحسن ما أحل وقال ابو عبيدة السكر الطعم يقال هذا سكر لك أى طعم (إن فى ذلك لاية لقوم يعقلون وأوحى ربك إلى النحل) اى ألهمها وقذف فى أنفسها ففهمته والنحل زنابير العسل واحدتها نحلة والتعريض

والتعريض وقد يكون بصوت مجرد ويقال للكلمة الالهية التي يلقيها الله إلى أنبيائه وحي وإلى أوليائه الهام وتسخير الطير لما خلق له ومنه قوله تعالى وأوحى ربك إلى النحل يعني أنه سخرها لما خلقها له وألهمها رشدها وقدر في أنفسها هذه الأعمال العجيبة التي يعجز عنها العقلاء من البشر وذلك أن النحل يبني بيوتا على شكل مسدس من أضلاع متساوية لا يزيد بعضها على بعض بمجرد طباعها ولو كانت البيوت مدورة أو مثلثة أو مربعة أو غير ذلك من الاشكال لكان فيما بينها خلل ولما حصل المقصود فالهمها الله سبحانه وتعالى أن تبنيها على هذا الشكل المسدس الذي لا يحصل فيه خلل وفرجة خالية ضائعة وألهمها الله تعالى أيضا أن تجعل عليها أميرا كبيرا نافذ الحكم فيها وهي تطيعه وتمتثل أمره ويكون هذا الأمير أكبرها جثة وأعظمها خلقة ويسمى يعسوب النحل يعني ملكها كذا حكاه الجوهري والهمها الله سبحانه وتعالى أيضا أن جعلت على باب كل خلية بوابا لا يمكن غير أهلها من الدخول إليها وألهمها الله سبحانه وتعالى أيضا أنها تخرج من بيوتها فتدور وترعى ثم ترجع إلى بيوتها ولا تضل عنها ولما امتاز هذا الحيوان الضعيف بهذه الخواص العجيبة الدالة على مزيد الذكاء والفطنة دل ذلك على الالهام الالهي فكان ذلك شبيها بالوحي فلذلك قال تبارك وتعالى وأوحى ربك إلى النحل والنحل زنبور العسل ويسمى الدبر أيضا قال الزجاج يجوز أن يقال سمي هذا الحيوان نحلا لأن الله سبحانه وتعالى نحل الناس العسل الذي يخرج من بطونها بمعنى أعطاهم وقال غيره النحل يذكر ويؤنث وهي مؤنثة في لغة الحجاز وكذا أنثها الله تعالى فقال (ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون) يعني يبنون ويسقفون ذلك أن النحل منه وحشي وهو الذي يسكن الجبال والشجر ويأوي إلى الكهوف ومنه اهلي وهو الذي يأوي إلى البيوت ويربيه الناس عندهم وقد جرت العادة أن الناس يبنون للنحل الاماكن حتى تأوي إليها وقال ابن زيد أراد بالذي يعرشون الكروم (ثم كلي من كل الثمرات) يعني من بعض الثمرات لأنها لا تأكل من الثمار فلفظة كل ههنا ليست للعموم (فاسلكي سبل ربك) يعني الطرق التي الهمك الله أن تسلكها وتدخلي فيها لأجل طلب الثمرات (ذللا) قيل انها نعت للسبل يعني انها مذللة لك الطرق مسهلة لك مسالكها قال مجاهد لا يتوعر عليها مكان تسلكه وقيل الذلل نعت للنحل يعني أنها مذللة مسخرة لاربابها مطيعة منقادة لهم حتى انهم ينقلونها من مكانها إلى مكان آخر حيث شاؤا وارادوا لا تستعصي عليها (يخرج من بطونها شراب) يعني العسل (مختلف ألوانه) يعني ما بين ابيض واحمر وأصفر وغير ذلك من الوان العسل وذلك على قدر ما تأكل من الثمار والأزهار ويستحيل في بطونها عسلا بقدرة الله تعالى ثم يخرج من أفواهها يسيل كاللعاب وزعم الامام فخر الدين الرازي أنه رأى في بعض كتب الطب أن العسل طل من السماء ينزل كالترنجبين فيقع على الأزهار واوراق الشجر فتجمعه النحل فتأكل بعضه وتدخر بعضه في بيوتها لأنفسها لتتغذى به فاذا اجتمع في بيوتها من تلك الأجزاء الطلية شيء كثير فذلك هو العسل وقال هذا القول اقرب الى العقل لأن طبيعة الترنجبين تقرب من طبيعة العسل وايضا فانا نشاهد ان النحل تتغذى بالعسل واجاب عن قوله تعالى يخرج من بطونها بان كل تجويف في داخل البدن يسمى بطنا فقوله يخرج من بطونها يعني من افواهها وقول اهل الظاهر اولى واصح لانا نشاهد انه يوجد في طعم العسل طعم تلك الازهار التي تأكلها النحل وكذلك يوجد لونها وريحها وطعمها فيه ايضا ويعضد هذا قول بعض ازواج النبي ﷺ له اكلت مغافير قال لا قالت فاهذه الريح التي اجد منك قال سقتني حفصة شربة عسل قالت جرست نحلة العرفط العرفط شجر الطلح وله سمع يقال له المغافير كريه الرائحة فمعنى جرست نحلة العرفط اكلت ورعت من العرفط الذي له الرائحة الكريهة فثبت بهذا الدليل صحة قول اهل الظاهر من المفسرين وانه يوجد في طعم العسل ولونه وريحه طعم ما يأكله النحل ولونه وريحه لا ما قاله الاطباء من انه طل لانه لو كان طلا لكان على لون واحد وطبيعة واحدة وقوله ان طبيعة العسل تقرب من طبيعة الترنجبين فيه نظر لان مزاج الترنجبين معتدل الى الحرارة وهو الطف من السكر ومزاج العسل حار يابس في الدرجة الثانية فبينهما فرق كبير وقوله كل تجويف في داخل البدن يسمى بطنا فيه نظر لان لفظ البطن إذا اطلق لم يرد به إلا العضو

(أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون) يبنون وقد جرت العادة أن أهلها يبنون لها الأماكن فهي تأوي إليها قال ابن زيد هي الكروم (ثم كلي من كل الثمرات) ليس معنى الكل العموم وهو كقوله تعالى وأوتيت من كل شيء (فاسلكي سبل ربك ذللا) قيل هي نعت الطرق يقول هي مذللة للنحل سهلة المسالك قال مجاهد لا يتوعر عليها مكان سلكته وقال آخرون الذلل نعت النحل أي مطيعة منقادة بالتسخير يقال أن أربابها ينقلونها من مكان إلى مكان ولها يعسوب إذا وقف وقفت وإذا سار سارت (يخرج من بطونها شراب) يعني العسل (مختلف الوانه) أبيض وأحمر وأصفر

المعروف مثل بطن الانسان وغيره والله أعلم * وقوله تعالى (فيه) يعنى فى الشراب الذى يخرج من بطون النحل (شفاء للناس) وهذا قول ابن عباس وابن مسعود إذ الضمير فى قوله فيه شفاء للناس يرجع إلى العسل وقد اختلفوا فى هذا الشفاء هل هو على العموم لكل مرض أو على الخصوص لمرض دون مرض على قولين أحدهما أن العسل فيه شفاء من كل داء وكل مرض قال ابن مسعود العسل شفاء من كل داء والقران شفاء لما فى الصدور وفى رواية أخرى عنه عليكم بالشفاءين القران والعسل وروى نافع أن ابن عمر ما كانت تخرج به قرحة ولا شىء إلا لطخ الموضع بالعسل ويقرأ يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس (ق) عن ابى سعيد الخدرى قال جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال ان اخى استطلق بطنه فقال رسول الله ﷺ اسقه عسلا فسقاه ثم جاء فقال إنى سقيته عسلا فلا يزده إلا استطلاقا فقال له ثلاث مرات ثم جاء الرابعة فقال اسقه عسلا فقال لقد سقيته فلم يزده إلا استطلاقا فقال رسول الله ﷺ صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فبرا وقد اعترض بعض الملحدين ومن فى قلبه مرض على هذا الحديث فقال إن الأطباء مجمعون على ان العسل مسهل فكيف يوصف لمن به الاسهال فنقول فى الرد على هذا المعترض الملحد الجاهل بعلم الطب ان الاسهال يحصل من انواع كثيرة منها التخم والهيضات وقد اجمع الاطباء فى مثل هذا على ان علاجه بأن تترك الطبيعة وفعلها فان احتاجت إلى معين على الاسهال اعينت مادامت القوة باقية فاما حبسها فضر عندهم واستعجال مرض فيحتمل ان يكون إسهال الشخص المذكور فى الحديث اصابه من امتلاء او هيضة فدواؤه بترك إسهاله على ما هو عليه أو تقويته فامره رسول الله ﷺ بشرب العسل فزاده سهالا فزاده عسلا إلى ان افنيت المادة فوقف الاسهال ويكون الخط الذى كان به يوافقه شرب العسل فثبت بما ذكرناه ان امره ﷺ لهذا الرجل يشرب العسل جار على صناعة الطب وان المعترض عليه جاهل بها واستنا نصد الاستظهار لتصديق الحديث بقول الاطباء بل لو كذبوه لكذبناهم وكفرناهم بذلك وإنما ذكرنا هذا الجواب الجارى على صناعة الطب دفعا لهذا المعترض بأنه لا يحسن صناعة الطب التى اعترض بها والله اعلم وقوله ﷺ صدق الله وكذب بطن اخيك يحتمل انه ﷺ علم بالوحى الالهى ان العسل الذى امره بشربه سيظهر نفعه بعد ذلك فما لم يظهر نفعه فى الحال عندهم قال صدق الله يعنى فيما وعد به من ان فيه شفاء وكذب بطن اخيك باستعجالك للشفاء فى اول مرة والله اعلم بمراده واسرار رسوله ﷺ فان قالوا كيف يكون شفاء للناس وهو يضر بأصحاب الصفراء ويهيج الحرارة ويضر بالشباب المحرورين ويعطش قلنا فى الجواب عن هذا الاعتراض ايضا ان قوله فيه شفاء للناس مع انه يضر باصحاب الصفراء ويهيج الحرارة انه خرج مخرج الاغلب وانه فى الاغلب فيه شفاء ولم يقل انه شفاء لكل الناس لكل داء ولكنه فى الجملة دواء وان نفعه اكثر من مضرته وقل معجون من المعاجين إلا وتمامه به والاشربة المتخذة من العسل نافعة لاصحاب البلغم والشيوخ المبرودين ومنافعه كثيرة جدا والقول الثانى انه شفاء للاوجاع التى شفاؤها فيه وهذا قول السدى وقال مجاهد فى قوله فيه شفاء للناس يعنى القران لانه شفاء من امراض الشرك والجهالة والضلالة وهو هدى ورحمة للناس والقول الاول اصح لان الضمير يجب ان يعود إلى اقرب المذكورات وأقربها قوله تعالى يخرج من بطونها شراب وهو العسل فهو أولى ان يرجع الضمير إليه لانه اقرب مذكور * وقوله سبحانه وتعالى (إن فى ذلك لاية لقوم يتفكرون * يعنى فيعتبرون ويستدلون بما ذكرنا على وحدانيتنا وقدرتنا * قوله عز وجل (والله خلقكم) يعنى اوجدكم من العدم واخرجكم إلى الوجود ولم تكونوا شيئا (ثم يتوفاكم) يعنى عند انقضاء اجالكم إما صبيانا واما شبانا واما كهولا (ومنكم من يرد إلى ارذل العمر) يعنى أردأه واضعفه وهو الهرم قال بعض العلماء عمر الانسان له أربع مراتب أولها من النشوء والنماء وهو من أول العمر إلى بلوغ ثلاث وثلاثين سنة وهو غاية سن الشباب وبلوغ الاشد ثم المرتبة الثانية سن الوقوف وهو من ثلاث وثلاثين سنة إلى اربعين سنة وهو غاية

(فيه شفاء للناس) أى فى العمل وقال مجاهد اى فى القران والاولى اولى انا إسمعيل بن عبد القاهر ثنا عبد الغافر بن محمد ثنا محمد بن عيسى الجلودى ثنا إبراهيم ابن محمد بن سفيان ثنا مسلم ابن الحجاج ثنا محمد بن المثنى انا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن قتادة عن ابى المتوكل عن ابى سعيد الخدرى قال جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال إن اخى استطلق بطنه فقال رسول الله ﷺ اسقه عسلا فسقاه ثم جاء فقال إنى سقيته فلم يزده إلا استطلاقا فقال النبى صلى الله عليه وسلم له ثلاث مرات ثم جاء الرابعة فقال اسقه عسلا قال قد سقيته فلم يزده إلا استطلاقا فقال رسول الله ﷺ صدق الله وكذب بطن اخيك اسقه عسلا فسقاه فبرا قال عبد الله بن مسعود العسل شفاء من كل داء والقران شفاء لما فى الصدور وروى عنه انه قال عليكم بالشفاءين القران والعسل (إن فى ذلك لاية لقوم يتفكرون) فيعتبرون (والله خلقكم ثم يتوفاكم) صبيانا اوشبانا او كهولا (ومنكم من يرد الى ارذل العمر) أردئه قال مقاتل يعنى الهرم قال قتادة ارذل العمر تسعون سنة روى عن على قال ارذل العمر خمس وسبعون وقيل ثمانون سنة

(لكيلا يعلم بعد علم شيئا) لكيلا يعقل بعد عقله الأول شيئا (إن الله عليم قدير) أنا عبد الواحد المليحي ثنا أحمد النعيمي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا موسى بن اسمعيل ثنا هرون بن موسى ثنا ابو عبد الله الأعور عن شعيب عن انس بن مالك ان رسول الله ﷺ كان يدعو أعوذ بك من البخل والكسل وأرذل العمر وعذاب القبر وفتنة الدجال وفتنة المحيا والممات (والله فضل بعضكم على بعض في

القوة وكمال العقل ثم المرتبة الثالثة سن الكهولة وهو الأربعين إلى الستين وهذه المرتبة يشرع الانسان في النقص ولكنه يكون نقصا خفيا لا يظهر ثم المرتبة الرابعة سن الشيخوخة والانحطاط من الستين إلى آخر العمر وفيها يتبين النقص ويكون الهرم والخرف وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ارذل العمر خمس وسبعون سنة وقيل ثمانون سنة وقال قتادة تسعون سنة (ق) عن انس قال كان رسول الله ﷺ يقول اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم والبخل وأعوذ بك من عذاب القبر واعوذ بك من فتنة المحيا والممات وفي رواية أخرى عنه قال كان رسول الله ﷺ يدعو بهذه الدعوات اللهم إني أعوذ بك من البخل والكسل وأرذل العمر وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات وقوله تعالى (لكيلا يعلم بعد علم شيئا) يعني الانسان يرجع إلى حالة الطفولية بنسيان ما كان علم بسبب الكبر وقال ابن عباس لكي يصير كالصبي الذي لا عقل له وقال ابن قتيبة معناه حتى لا يعلم بعد علمه بالأمور شيئا لشدة هرمه وقال الزجاج المعنى وان منكم من يكبر حتى يذهب عقله خرفا فيصير بعد ان كان عالما جاهلا ليريكم الله من قدرته انه كما قدر على إماتته وإحيائه انه قادر على نقله من العلم إلى الجهل هكذا وجدته منقولا عنه ولو قال ليريكم من قدرته انه كما قدر على نقله من العلم إلى الجهل انه قادر على احيائه بعد إماتته ليكون ذلك دليلا على صحة هذا البعث بعد الموت لكان أجود قال ابن عباس ليس هذا في المسلمين لأن المسلم لا يزاد في طول العمر والبقاء إلا كرامة عند الله وعقلا ومعرفة وقال عكرمة من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر حتى لا يعلم بعد علم شيئا وقال في قوله إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم الذين قرؤا القرآن وقال ابن عباس في قوله تعالى ثم رددناه أسفل سافلين يريد الكافرين ثم استثنى المؤمنين فقال تعالى إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات * وقوله تعالى (إن الله عليم) يعني بما صنع بأوليائه وأعدائه (قدير) يعني على ما يريد * قوله تعالى (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) يعني أن الله سبحانه وتعالى بسط على واحد وضيق وقتر على واحد وكثر لواحد وقلل على آخر وكما فضل بعضكم على بعض في الرزق كذلك فضل بعضكم على بعض في الخلق والخلق والعقل والصحة والسقم والحسن والقبح والعلم والجهل وغير ذلك فهم متفاوتون ومتباينون في ذلك كله وهذا مما اقتضته الحكمة الالهية والقدرة الربانية (فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم) يعني من العبيد حتى يستووا فيه هم وعبيدهم يقول الله سبحانه وتعالى هم لا يرضون أن يكونوا هم وعمالهم فيما رزقتهم سواء وقد جعلوا عبيدي شركائي في ملكي وسلطاني يلزم بهذه الحجة المشركين حيث جعلوا الأصنام شركاء لله قال قتادة هذا مثل ضربه الله عز وجل يقول هل منكم أحد يرضى أن يشركه مملوكه في جميع ماله فكيف تعدلون بالله خلقه وعباده وقيل في معنى الاية ان الموالي والمماليك الله رازقهم جميعا (فهم فيه) يعني في رزقه (سواء) فلا تحسبن أن الموالي يردون رزقهم على مماليكهم من عند أنفسهم بل ذلك رزق الله أجراه على يد الموالي للمماليك والمقصود منه بيان أن الرازق هو الله سبحانه وتعالى لجميع خلقه وأن الموالي والمماليك في الرزق سواء وأن المالك لا يرزق المملوك بل الرازق للمماليك والمالك هو الله سبحانه وتعالى * وقوله (أفبنعمة الله يجحدون) فيه إنكار على المشركين حيث جحدوا نعمته وعبدوا غيره * قوله عز وجل (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) يعني النساء فخلق من آدم حواء زوجته وقيل جعل لكم من جنسكم ازواجا لانه خطاب عام يعم الكل فتخصيصه بادم وحواء خلاف الدليل (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) الحفدة جمع حافد وهو المسرع في الخدمة المسارع إلى الطاعة ومنه قوله في الدعاء وإليك

الرزق) بسط عن واحد وضيق على الآخر وقلل وكثر (فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم) من العبيد (فهم فيه سواء) اي حتى يستووا هم وعبيدهم في ذلك يقول الله تعالى لا يرضون ان يكونوا هم ومماليكهم فيما رزقهم الله سواء وقد جعلوا عبيدي شركائي في ملكي وسلطاني يلزم به الحجة على المشركين قال قتادة هذا مثل ضربه الله عز وجل فهل منكم أحد يشركه مملوكه في زوجته وفراشه وماله أفتعدلون بالله خلقه وعباده (أفبنعمة الله يجحدون) بالاشراك به وقرأ أبو بكر بالتاء لقوله والله فضل بعضكم على بعض في الرزق والآخرون بالياء لقوله فهم فيه سواء قوله تعالى (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) يعني النساء خلق من آدم زوجته حواء وقيل من أنفسكم أي من جنسكم أزواجا (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) قال ابن مسعود والنخعي الحفدة اختان الرجل على بناته وعن ابن مسعود أيضا أنهم الاصهار

فيكون معنى الاية على هذا القول وجعل لكم من أزواجكم بنين وبنات تزوجونهم فيحصل بسببهم الاختان والاصهار وقال عكرمة والحسن والضحاك هم الخدم قال مجاهد هم الأعوان من أعانك فقد حفدك وقال عطاء هم ولد الرجل الذين يعينونه ويخدمونه وقال قتادة مهنة تمتهنونهم ويخدمونكم من أولادكم قال الكلبي ومقاتل البنين الصغار والحفدة كبار الأولاد الذين يعينونه على عمله وروى مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس انهم ولد الولد وروى العوفي عنه انهم امرأة الرجل ليسوا منه

(ورزقكم من الطيبات) من النعم الحلال (أفبالباطل) يعني الأصنام (يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون) يعني التوحيد والاسلام وقيل الباطل الشيطان أمرهم بتحريم البحيرة والسائبة وبنعمة الله اى بما احل الله لهم يكفرون بجحدون تحليله (ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات) يعني المطر (والأرض) يعني النبات (شيئا) قال الأخفش هو بدل من الرزق معناه انهم لا يملكون من أمر الرزق شيئا قليلا ولا كثيرا وقال الفراء نصب شيئا بوقوع الرزق عليه اى لا يرزق شيئا (ولا يستطيعون) ولا يقدرون على شيء بذكر عجز الأصنام عن ايصال نفع أو دفع ضر (فلا تضربوا لله الأمثال) يعني الأشباه فتشبهونه بخلقه وتجعلون له شريكا فانه واحد لا مثل له (إن الله يعلم وانتم لا تعلمون) خطأ ما تضربون من الأمثال ثم ضرب مثلا للمؤمن الكافر فقال جل ذكره (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء) هذا مثل الكافر رزقه الله مالا فلم يقدم فيه خيرا (ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا) هذا مثل المؤمن أعطاه الله مالا فعمل فيه بطاعة الله وأنفقه في رضاء الله سرا وجهرا فاثابه الله عليه الجنة (هل يستوون) ولم يقل هل يستويان لمكان من وهو اسم يصلح للواحد والاثنين والجمع وكذلك قوله لا يستطيعون بالجمع لاجل من معناه هل يستوى هذا الفقير البخيل والغنى السخى كذلك لا يستوى الكافر العاصى والمؤمن المطيع

نسعى ونحفد أى نسرع إلى طاعتك فهذا أصله فى اللغة ثم اختلفت أقوال المفسرين فيهم فقال ابن مسعود والنخعى الحفدة اختان الرجل على بناته وعن ابن مسعود أيضا انهم اصهاره فهو بمعنى الاول فعلى هذا القول يكون معنى الاية وجعل لكم من أزواجكم بنين وبنات تزوجوهم فيجعل لكم بسببهم الاختان والاصهار وقال الحسن وعكرمة والضحاك هم الخدم وقال مجاهد الاعوان وكل من اعانك فقد حفدك وقال عطاء هم ولد الرجل الذين يعينونه ويخدمونه وقيل هم أهل المهنة الذين يمتهنون ويخدمون من الاولاد وقال مقاتل والكلبى البنين هم الصغار والحفدة كبار الاولاد الذين يعينون الرجل على عمله وقال ابن عباس هم ولد الولد وفى رواية أخرى عنه أنهم بنو امرأة الرجل الذين ليسوا منه كل هذه الأقوال متقاربة لأن اللفظ يحتمل الكل بحسب المعنى المشترك وبالجملة فان الحفدة هم غير البنين لان الله سبحانه وتعالى قال بنين وحفدة فجعل بينهما مغايرة (ورزقكم من الطيبات) يعني النعم التى انعم عليكم من انواع الثمار والحبوب والحيوان والاشربة المستطابة الحلال من ذلك كله (افبالباطل يؤمنون) يعني بالاصنام وقيل بالشيطان يؤمنون وقيل معناه يصدقون ان لى شريكا وصاحبة وولدا هذا استفهام انكار اى ليس لهم ذلك (وبنعمة الله هم يكفرون) يعني انهم يضيفون ما انعم الله به عليهم إلى غيره وقيل معناه انهم يجحدون ما احل الله لهم (ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات والأرض) يعني الاصنام التى لا تقدر على انزال المطر الذى فى السموات خزائنه ولا يقدرون على اخراج النبات الذى فى الأرض معدته (شيئا) يعني لا يملك من الرزق شيئا قليلا ولا كثيرا وقيل معناه يعبدون مالا يرزق شيئا (ولا يستطيعون) يعني ولا يقدرون على شيء يذكر عجز الأصنام عن إيصال نفع أو دفع ضر (فلا تضربوا لله الأمثال) يعني لا تشبهوا الله بخلقه فانه لا مثل له ولا شبيه ولا شريك من خلقه لأن الخلق كلهم عبيده وفى ملكه فكيف يشبه الخالق بالمخلوق أو الرازق بالمرزوق أو القادر بالعاجز (إن الله يعلم) يعني ما أنتم عليه من ضرب الأمثال له (وأنتم لا تعلمون) خطأ ما تضربون له من الأمثال * قوله تعالى (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا) لما نهاهم الله سبحانه وتعالى عن ضرب الأمثال لقلة علمهم ضرب هو سبحانه وتعالى لنفسه مثلا فقال تعالى مثلكم فى إشراككم بالله الأوثان كمثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر كريم مالك قادر قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف يشاء فصريح العقل يشهد بأنه لا يجوز التسوية بينهما فى التعظيم والإجلال فلما لم تجز التسوية بينهما مع استوائهما فى الخلقة والصورة البشرية فكيف يجوز للعاقل أن يسوى بين الله عز وجل الخالق القادر على الرزق والأفضال وبين الأصنام التى لا تملك ولا تقدر على شيء البتة وقيل هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر والمراد بالعبد المملوك الذى لا يقدر على شيء هو الكافر لأنه لما كان محروما من عبادة الله وطاعته صار كالعبد الذليل الفقير العاجز الذى لا يقدر على شيء وقيل ان الكافر لما رزقه الله مالا فلم يقدم فيه خيرا صار كالعبد الذى لا يملك شيئا والمراد بقوله ومن رزقناه منا رزقا حسنا المؤمن لانه لما اشتغل بطاعة الله وعبوديته والانفاق فى وجوه البر والخير صار كالحر المالك الذى ينفق سرا وجهرا فى طاعة الله وابتغاء مرضاته وهو قوله سبحانه وتعالى (فهو ينفق منه سرا وجهرا) فأثابه الله الجنة على ذلك * فان قلت لم قال عبدا مملوكا لا يقدر على شيء وكل عبد هو مملوك وهو غير قادر على التصرف * قلت إنما ذكر المملوك ليتميز من الحر لأن اسم العبد يقع عليهما جميعا لأنهما من عباد الله وقوله لا يقدر على شيء احترز به عن المملوك المكاتب والمأذون له فى التصرف لأنهما يقدران على التصرف واحتج الفقهاء بهذه الاية على ان العبد لا يملك شيئا (هل يستوون) ولم يقل هل يستويان يعنى هل يستوى الأحرار والعبيد والمعنى كما لا يستوى هذا الفقير البخيل والغنى السخى كذلك لا يستوى الكافر العاصى والمؤمن الطائع

وروى ابن جريج عن عطاء فى قوله تعالى عبدا مملوكا أى أبو جهل بن هشام ومن رزقناه منا رزقا حسنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه وقال

ثم قال (الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) يقول ليس الأمر كما يقولون ما للأوثان عندهم من يد ولا معروف فتحمد عليه إنما الحمد الكامل لله عز وجل لأنه المنعم والخالق والرازق ولكن أكثر الكفار لا يعلمون ثم ضرب مثلا للاصنام فقال (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه) كل ثقل وو بال على مولاه بن عمه وأهل ولايته (أينما (٨٧) يوجهه) يرسله (لا يأت بخير) لأنه لا يفهم ما يقال له ولا يفهم عنه هذا مثل الأصنام لا تسمع ولا تنطق ولا تعقل وهو كل على مولاه عابده يحتاج إلى أن يحمله ويضعه ويخدمه هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل) يعني الله فانه قادر متكلم يأمر بالتوحيد (وهو على صراط مستقيم) قال الكلبي يعني يدلكم على صراط مستقيم وقيل هو رسول الله ﷺ يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم وقيل كلا المثلين للمؤمن والكافر يرويه عطية عن ابن عباس قال عطاء الابكم أبي بن خلف ومن يأمر بالعدل حمزة وعثمان بن عفان وعثمان ابن مظعون وقال مقاتل نزلت في هاشم بن عمرو بن الحرث بن ربيعة القرشي وكان قليل الخير يعادي رسول الله ﷺ وقيل نزلت في عثمان بن عفان ومولاه كان عثمان ينفق عليه وكان مولاه يكره الاسلام (ولله غيب السموات والأرض وما أمر الساعة) في قرب كونها (إلا كلمح البصر) إذا قال له كن فيكون (أو هو أقرب) بل هو أقرب (إن الله على كل شيء قدير)

وقال عطاء في قوله عبدا مملوكا هو أبو جهل بن هشام ومن رزقناه منا رزقا حسنا هو أبو بكر الصديق ثم قال تعالى (الحمد لله) حمد الله نفسه لأنه المستحق لجميع المحامد لأنه المنعم المتفضل على عباده وهو الخالق الرازق لا هذه الأصنام التي عبدها هؤلاء فانها لا تستحق الحمد لأنها جماد عاجزة لا يد لها على أحد ولا معروف فتحمد عليه إنما الحمد الكامل لله لا لغيره فيجب على جميع العباد حمد الله لانه أهل الحمد والثناء الحسن (بل أكثرهم) يعني الكفار (لا يعلمون) يعني ان الحمد لله لا لهذه الاصنام (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم) هو الذي ولد أخرس فكل أبكم أخرس وليس كل أخرس ابكم والابكم الذي لا يفهم ولا يفهم (لا يقدر على شيء) هو إشارة إلى العجز التام والنقصان الكامل (وهو كل على مولاه) أي ثقيل على من يلي أمره ويعوله وقيل أصله من الغلظ وهو نقيض الحدة يقال كل السكين إذا غلظت شفرته وكل اللسان إذا غلظ فلا يقدر على النطق وكل فلان عن الامر إذا ثقل عليه فلم ينبعث فيه فتموله وهو كل على مولاه أي غليظ ثقيل على مولاه (أينما يوجهه) أي حيثما يرسله ويصرفه في طلب حاجة أو كفاية مهم (لا يأت بخير) يعني لا يأت بنجح لانه أخرس عاجز لا يحسن ولا يفهم (هل يستوى) يعني من هذه صفته (هو) يعني صاحب هذه الصفات المذمومة (ومن يأمر بالعدل) يعني ومن هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات ذو رشد وديانة ويأمر الناس بالعدل والخير (وهو) في نفسه (على صراط مستقيم) يعني على سيرة صالحة ودين قويم فيجب ان يكون الامر بالعدل عالما قادرا مستقيما في نفسه حتى يتمكن من الامر بالعدل وهذا مثل ثان ضربه الله لنفسه ولما يفيض على عباده من انعامه ويشملهم به من آثار رحمته واللطافه وللاصنام التي هي أموات جماد لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تنطق ولا تعقل وهي كل على عابديها لانه تحتاج إلى كلفة الحمل والنقل والخدمة وقيل كلا المثلين للمؤمن والكافر والمؤمن هو الذي يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم والكافر هو الابكم الثقيل الذي لا يأمر بخير فعلى هذا القول تكون الاية على العموم في كل مؤمن وكافر وقيل هي على الخصوص فالذي يأمر بالعدل هو رسول الله ﷺ وهو على صراط مستقيم والذي يأمر بالظلم وهو أبكم أبو جهل وقيل الذي يأمر بالعدل عثمان بن عفان وكان له مولى يأمره بالاسلام وذلك المولى يأمر عثمان بالامساك عن الانفاق في سبيل الله تعالى فهو الذي لا يأتي بخير وقيل المراد بالابكم الذي لا يأتي بخير أبي بن خلف وبالذي يأمر بالعدل حمزة وعثمان بن عفان وعثمان بن مظعون (ولله غيب السموات والارض) اخبر الله عز وجل في الاية عن كمال علمه وانه عالم بجميع الغيوب فلا تخفى عليه خافية ولا يخفى عليه شيء منها وقيل الغيب هنا وهو علم قيام الساعة وهو قوله (وما أمر الساعة) يعني في قيامها والساعة هي الوقت الذي يقوم الناس فيه لموقف الحساب (إلا كلمح البصر) يعني في السرعة ولمح البصر هو انطباق جفن العين وفتحه وهو طرف العين أيضا (أو هو أقرب) يعني ان لمح البصر يحتاج إلى زمان وحركة والله سبحانه وتعالى إذا أراد شيئا قال له كن فيكون في أسرع من لمح البصر وهو قوله (إن الله على كل شيء قدير) فيه دليل على كمال قدرة الله تعالى وانه سبحانه وتعالى مهما أراد شيا كان أسرع ما يكون قال الزجاج ليس المراد ان الساعة تاتي في أقرب من لمح البصر ولكنه سبحانه وتعالى وصف سرعة القدرة على الاتيان بها متى شاء لا يعجزه شيء * قوله عز وجل (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا) تم الكلام هنا لان الانسان خلق في اول الفطرة لله ومبدئها خاليا عن العلم والمعرفة لا يهتدي سبيلا ثم ابتدا فقال تعالى (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) يعني ان الله سبحانه وتعالى إنما أعطاكم هذه الحواس لتنتقلوا بها من الجهل إلى العلم فجعل لكم مسمع لتسمعوا به نصوص الكتاب والسنة وهي الدلائل السمعية فتستدلوا بها على ما يصلحكم في أمر دينكم وجعل لكم الابصار لتبصروا بها عجائب

نزلت في الكفار الذين يستعجلون القيامة استهزاء (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم) قرأ الكسائي بطون وبيوت أمهاتكم بكسر الهمزة وقرأ حمزة بكسر الميم والهمزة الباقون بضم الهمزة وفتح الميم (لا تعلمون شيئا) تم الكلام ثم ابتدا فقال جل وعلا (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) لان الله تعالى جعل هذه الاشياء لهم قبل الخروج من بطون الامهات وإنما اعطاهم العلم بعد الخروج

(لعلكم تشكرون) نعمة كون السمع والأبصار والأفئدة قبل الخروج إذ يسمع الطفل ويبصر ولا يعلم وهذه الجوارح من غير هذه الصفات كالمعدوم كما قال فيمن لا يسمع الحق ولا يبصر العبر ولا يعقل الثواب صم بكم عمى فهم لا يرجعون لا يشكرون نعمه (ألم يروا) قرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب بالتاء والباقون بالياء لقوله ويعبدون (إلى الطير مسخرات) مذللات (في جو السماء) وهو الهوى بين السماء والارض روى كعب الاحبار ان الطير ترفع اثنى عشر ميلا ولا ترفع فوق هذا وفوق الجو السماك السماء (ما يمسكهن) في الهواء (إلا الله إن في ذلك لايات لقوم يؤمنون والله جعل لكم من بيوتكم) التي هي من الحجر والمدر (سكنا) أي مسكنا تسكنونه (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا) يعني الخيام والقباب والاخبية والفساطيط من الانطاع والادم (تستخفونها) أي يخف عليكم حملها (يوم ظعنكم) رحلتكم في سفركم قرا ابن عامر واهل الكوفة ساكنة العين والاخرون بفتحها وهو اجزل اللغتين (ويوم إقامتكم) في بلدكم لا تثقل عليكم في الحالين (ومن اصوافها وأوبارها واشعارها) يعني اصواف الضان واوبار الابل واشعار المعز والكناية راجعة إلى الانعام (اثاثا) قال ابن عباس مالا قال مجاهد متاعا قال القتيبي الاثاث المال جميعه من الابل والغنم والعبيد والمتاع وقال غيره هو متاع البيت من الفرش والاكسية (ومتاعا) بلاغا ينتفعون بها (إلى حين) يعني إلى حين الموت وقيل إلى حين تبلى (والله جعل لكم مما خلق ظلالا) تستظلون بها من شدة الحر وهي ظلال الابنية والاشجار (وجعل لكم من الجبال أكنانا) يعني الاسراب والغيران واحدها كن

مصنوعاته وغرائب مخلوقاته فتستدلوا بها على وحدانيته وجعل لكم الافئدة لتعقلوا بها وتفهموا معاني الاشياء التي جعل دلائل وحدانيته وقال ابن عباس في هذه الاية يريد لتسمعوا مواعظ الله وتبصروا ما أنعم الله به عليكم من إخراجكم من بطون أمهاتكم إلى أن صرتم رجالا وتعلقوا عظمة الله وقيل في معنى الاية الله خلقكم في بطون أمهاتكم وسواكم وصوركم ثم أخرجكم من الضيق إلى السعة وجعل لكم الحواس الات لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتناب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقي إلى ما يسعدكم به في الاخرة * قلت ظاهر الاية يدل على أن جعل الحواس الثلاث بعد الاخراج من البطون وإنما خلقت هذه الحواس للانسان من جملة خلقه وهو في بطن أمه * قلت ذكر العلماء أن تقديم الاخراج وتأخير ذكر هذه الحواس لا يدل على ان خلقها كان بعد الاخراج لان الواو لا توجب الترتيب ولان العرب تقدم وتؤخر في بعض كلامها وأقول لما كان الانتفاع بهذه الحواس بعد الخروج من البطن فكانما خلقت في ذلك الوقت الذي ينتفع بها فيه وإن كانت قد خلقت قبل ذلك * وقوله تعالى (لعلكم تشكرون) يعني إنما أنعم عليكم بهذه الحواس لتستعملوها في شكر من أنعم بها عليكم (ألم يروا إلى الطير مسخرات) يعني مذللات (في جو السماء) الجو الفضاء الواسع بين السماء والارض وهو الهواء قال كعب الاحبار ان الطير ترتفع في الجو اثني عشر ميلا ولا ترتفع فوق ذلك (ما يمسكهن إلا الله) يعني في حال قبض أجنحتها وبسطها واصطفافها في الهواء وفي هذا حث على الاستدلال بها على ان لها مسخرا سخرها ومذللا ذللها وممسكا أمسكها في حال طيرانها ووقوفها في الهواء وهو الله تعالى (إن في ذلك لايات لقوم يؤمنون) إنما خص المؤمنين بالذكر لانهم هم الذين يعتبرون بالايات ويتفكرون فيها وينتفعون بها دون غيرهم * قوله سبحانه وتعالى (والله جعل لكم من بيوتكم) يعني التي هي من الحجر والمدر (سكنا) يعني مسكنا تسكنونه والسكن ما سكنت اليه وفيه من الف او بيت (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا) يعني الخيام والقباب والأخبية والفساطيط المتخذة من الادم والانطاع واعلم ان المساكن على قسمين احدهما ما لم يمكن نقله من مكان إلى مكان آخر وهي البيوت المتخذة من الحجارة والخشب ونحوهما والقسم الثاني ما يمكن نقله من مكان إلى مكان آخر وهي الخيام والفساطيط المتخذة من جلود الأنعام وإليها الاشارة بقوله تعالى (تستخفونها) يعني يخف عليكم حملها (يوم ظعنكم) يعني في يوم سيركم ورحيلكم في اسفاركم وظعن البادية هو لطلب ماء أو مرعى ونحو ذلك (ويوم إقامتكم) يعني وتخف عليكم أيضا في إقامتكم وحضركم والمعنى لا تثقل عليكم في الحالتين (ومن اصوافها وأوبارها وأشعارها) الكناية عائدة إلى الأنعام يعني ومن اصواف الضان وأوبار الابل واشعار المعز (اثاثا) يعني تتخذون اثاثا الأثاث متاع البيت الكبير واصله من أث إذا كثر وتكاثف وقيل للمال أثاث إذا كثر قال ابن عباس أثاثا يعني مالا وقال مجاهد متاعا وقال القتيبي الاثاث المال أجمع من الابل والغنم والعبيد والمتاع وقال غيره الاثاث هو متاع البيت من الفرش والاكسية ونحو ذلك (ومتاعا) يعني وبلاغا وهو ما يتمتعون به (إلى حين) يعني إلى حين يبلى ذلك الأثاث وقيل إلى حين الموت * فان قلت أي فرق بين الاثاث والمتاع حتى ذكره بواو العطف والعطف يوجب المغايرة فهل من فرق * قلت الاثاث ما كثر من الات البيت وحوائجه وغير ذلك فيدخل فيه جميع اصناف المال والمتاع ما ينتفع به في البيت خاصة فظهر الفرق بين اللفظتين والله أعلم (والله جعل لكم مما خلق ظلالا) يعني جعل لكم ما تستظلون به من شدة الحر والبرد وهي ظلال الابنية والجدران والاشجار (وجعل لكم من الجبال أكنانا) جمع كن وهو ما يسكن فيه من شدة الحر والبرد كالاسراب والغيران ونحوها وذلك لان الانسان إما ان يكون غنيا أو فقيرا فاذا سافر احتاج في سفره ما يقيه من شدة الحر والبرد فاما الغني فيستصحب معه الخيام في سفره ليستكن

(وجعل لكم سرابيل) قصا من الكتان والقز والقطن والصوف (تقيكم) تمنعكم (الحر) قال أهل المعانى اراد الحر والبرد اكتفاء بذكر أحدهما لدلالة الكلام عليه (وسرابيل تقيكم باسكم) يعنى الدروع والباس الحرب يعنى تقيكم فى باسكم (٨٩) السلاح ان يصيبكم (كذلك يتم

ليستكن فيها واليه الاشارة بقوله وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا وأما الفقير فيستكن فى ظلال الاشجار والخيطان والكهوف ونحوها واليه الاشارة بقوله والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا ولأن بلاد العرب شديدة الحر وحاجتهم إلى الظلال وما يدفع شدته وقوته اكثر فلهذا السبب ذكر الله هذه المعانى فى معرض الامتنان عليهم بها لأن النعمة عليهم فيها ظاهرة (وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر) يعنى وجعل لكم قصا وثيابا من القطن والكتان والصوف وغير ذلك تمنعكم من شدة الحر قال اهل المعانى والبرد فاكتفى بذكر احدهما لدلالة الكلام عليه (وسرابيل تقيكم باسكم) يعنى الدروع والجواشن وسائر ما يلبس فى الحرب من السلاح والباس الحرب يعنى تقيكم فى باسكم السلاح ان يصيبكم قال عطاء الخراسانى إنما نزل القرآن على قدر معرفتهم فقال تعالى وجعل لكم من الجبال اكنانا وما جعل لهم من السهول اعظم واكثر ولكن كانوا اصحاب جبال كما قال ومن أصوافها واوبارها وأشعارها وما جعل لهم من القطن والكتان اكثر ولكن كانوا اصحاب صوف ووبر وشعر كما قال تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برد وما انزل من الثلج اكثر ولكنهم كانوا لا يعرفون الثلج وقال تقيكم الحر وما جعل لهم لما بقى من البرد اكثر ولكنهم كانوا اصحاب حر * وقوله سبحانه وتعالى (كذلك) يعنى كما انعم عليكم بهذه النعم (يتم نعمته عليكم) يعنى نعم الدنيا والدين (لعلكم تسلمون) يعنى لعلكم يا اهل مكة تخلصون لله الوحدانية والربوبية والعبادة والطاعة وتعلمون انه لا يقدر على هذه الانعامات إلا الله (فان تولوا) يعنى فان اعرضوا عن الايمان بك وتصديقك يا محمد وآثروا ما هم فيه من الكفر واللذات الدنيوية فانما وبال ذلك عليهم لا عليك (فانما عليك البلاغ المبين) يعنى ليس عليك فى ذلك عتب ولا سمة تقصير إنما عليك البلاغ وقد فعلت ذلك ثم ذمهم الله تعالى بقوله (يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها) قال السدى نعمة الله يعنى محمدا ﷺ انكروه وكذبوه وقيل نعمة الله هى الاسلام لأنه من اعظم النعم التى انعم الله بها على عباده ثم ان كفار مكة انكروه وجحدوه وقال مجاهد وقتادة نعمة الله ما عدد عليهم فى هذه السورة من النعم يقرون بانها من الله ثم إذا قيل لهم صدقوا وامتثلوا امر الله فيها ينكرونها ويقولون ورثناها عن اباءنا وقال الكلبى انه لما ذكر هذه النعم قالوا هذه نعم كلها من الله تعالى لكنها بشفاعة الهتنا وقيل هو قول الرجل لولا فلان لكان كذا ولولا فلان لما كان كذا وقيل انهم يعترفون بان الله انعم بهذه النعم ولكنهم لا يستعملونها فى طلب رضوانه ولا يشكرونه عليها (واكثرهم الكافرون) إنما قال الله سبحانه وتعالى واكثرهم الكافرون مع انهم كانوا كلهم كافرين لانه كان فيهم من لم يبلغ بعد حد التكليف فعبر بالأكثر عن البالغين وقيل اراد بالاكثر الكافرين الحاضرين والمعاندين وقد كان فيهم من ليس بمعاند وان كان كافرا وقيل انه عبر بالاكثر عن الكل لانه قد يذكر الاكثر ويراد به الجميع * قوله سبحانه وتعالى (ويوم نبعث من كل امة شهيدا) لما ذكر الله سبحانه وتعالى نعمه على الكافرين وانكارهم لها وذكر ان اكثرهم كافرون اتبعه بذكر الوعيد لهم فى الاخرة فقال تعالى ويوم نبعث من كل امة شهيدا يعنى رسولا وذلك اليوم هو يوم القيامة والمراد بالشهداء الانبياء يشهدون على امهم بانكار نعم الله عليهم وبالكفر (ثم لا يؤذن للذين كفروا) يعنى فى الاعتذار وقيل لا يؤذن لهم فى الكلام اصلا وقيل لا يؤذن لهم بالرجوع إلى دار الدنيا فيعتذروا أو يتوبوا وقيل لا يؤذن لهم فى معارضة الشهود بل يشهدون عليهم ويقرونهم على ذلك (ولا هم يستعتبون) الاستعتاب طلب العتاب والمعتبة هى الغلظة والموجدة التى لا يجدها الانسان فى نفسه على غيره والرجل إنما يطلب العتاب من خصمه ليزيل ما فى نفسه عليه من الموجدة والغضب ويرجع إلى الرضا عنه إذا لم يطلب العتاب منه دل ذلك على انه ثابت على غضبه عليه ومعنى الاية انهم لا يكلفون ان يرضوا ربهم فى ذلك اليوم لأن الاخرة ليست دار تكليف ولا يرجعون الى الدنيا فيتوبوا ويرجعوا ويرضوا ربهم

نعمته عليكم لعلكم تسلمون) تخلصون له الطاعة قال عطاء الخرسانى إنما انزل القران على قدر معرفتهم فقال وجعل لكم من الجبال اكنانا وما جعل لهم من السهول أكثر وأعظم ولكنهم كانوا أصحاب جبال كما قال ومن اصوافها واوبارها واشعارها لأنهم كانوا اصحاب وبر وشعر وكما قال وينزل من السماء من جبال فيها من برد وما انزل من الثلج اكثر ولكنهم كانوا لا يعرفون الثلج وقال تقيكم الحر وما تقى من البرد اكثر ولكنهم كانوا اصحاب حر (فان تولوا) فان اعرضوا فلا يلحق فى ذلك عتب ولا سمة تقصير (فانما عليك البلاغ المبين يعرفون نعمة الله) قال السدى يعنى محمدا ﷺ (ثم ينكرونها) يكذبون به وقال قوم هى الاسلام وقال مجاهد وقتادة يعنى ما عدلهم من النعم فى هذه السورة يقرون أنها من الله ثم قيل لهم تصدقوا وامتثلوا لأمر الله فيها ينكرونها فيقولون ورثنها من اباءنا وقال الكلبى هو انه لما ذكرلهم هذه النعمة قالوا نعم هذه كلها من الله ولكنها بشفاعة الهتنا وقال عوف بن عبد

 الله هو قول الرجل لولا فلان لكان كذا وكذا ولولا فلان لما كان كذا (واكثرهم الكافرون) الجاحدون قوله عز وجل (ويوم نبعث من كل امة شهيدا) يعنى رسولا (ثم لا يؤذن للذين كفروا) فى الاعتذار وقيل فى الكلام أصلا (ولا هم يستعتبون) يسترضون يعنى لا يكلفون ان يرضوا ربهم لان الآخرة ليست بدار تكليف ولا يرجعون إلى الدنيا فيتوبون وحقيقة المعنى فى الاستعتاب انه

التعرض لطلب الرضا وهذا الباب منسد فى الآخرة على الكفار (وإذا رأى الذين ظلموا) كفروا (العذاب) يعنى جهنم (فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون وإذا راى الذين اشركوا) يوم القيامة (شركاءهم) اوثانهم (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك) اربابا و نعبدهم (فالقوا) يعنى الاوثان (اليهم القول) اى قالوا لهم (٩٠) (انكم لكاذبون) فى تسميتنا الهة مادعونا كم إلى عبادتنا (والقوا) يعنى المشركين (الى الله يومئذ السلم) استسلموا وانقادوا لحكمه فيهم ولم تغن عنهم الهتهم شيئا (وضل) وزال (عنهم ما كانوا يفترون) من انها تشفع لهم (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) منعوا الناس عن طريق الحق) زدناهم عذابا فوق العذاب) قال عبدالله عقارب لها أنياب امثال النخل الطوال وقال سعيد بن جبير حيات أمثال البخت وعقارب أمثال البغال تلسع احداهن اللسعة يجد صاحبها حمتها اربعين خريفاً وقال ابن عباس ومقاتل يعنى خمسة انهار من صفر مذاب كالنار تسيل من تحت العرش يعذبون بها ثلاثة على مقدار الليل واثنان على مقدار النهار وقيل انهم يخرجون من حر النار إلى برد الزمهرير فيبادرون من شدة الزمهرير إلى النار مستغيثين بها وقيل يضاعف لهم العذاب ضعفاً بسبب كفرهم وضعفا بسبب صدهم الناس عن سبيل الله (بما كانوا يفسدون) يعنى الزيادة إنما حصلت لهم بسبب صدهم عن سبيل الله وبسبب ما كانوا يفسدون مع ما يستحقونه من العذاب على الكفر (ويوم نبعث فى كل أمة شهيدا عليهم) قال ابن عباس يريد الانبياء قال المفسرون كل نبى شاهد على أمته وهو اعدل شاهد عليها (من انفسهم) يعنى منهم لأن كل نبى إنما بعث من قومه الذين بعث اليهم ليشهدوا عليهم وبما فعلوا من كفر وإيمان وطاعة وعصيان (وجئنا بك) يا محمد (شهيداً على هؤلاء) يعنى على قومك وامتك وتم الكلام هنا ثم قال تبارك وتعالى (ونزلنا عليك الكتاب) يعنى القرآن (تبيانا لكل شىء) تبيانا اسم من البيان قال مجاهد يعنى لما امر به ومانهى عنه وقال اهل المعانى تبيانا لكل شىء يعنى من امور الدين اما بالنص عليه او بالاحالة على ما يوجب العلم به من بيان النبى ﷺ لأن النبى ﷺ بين مافى القرآن من الأحكام والحدود والحلال والحرام وجميع المأمورات والمنهيات واجماع الأمة فهو أيضاً أصل ومفتاح لعلوم الدين (وهدى) يعنى من الضلالة (ورحمة) يعنى لمن آمن به وصدقه (وبشرى للمسلمين) يعنى وفيه بشرى للمسلمين من الله عزوجل * قوله سبحانه وتعالى (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) قال ابن عباس العدل شهادة أن لا إله إلا الله والإحسان أداء الفرائض وفى رواية عنه قال العدل خلع الانداد والاحسان أن تعبد الله كأنك تراه وان تحب للناس ما تحب لنفسك إن كان مؤمناً تحب أن يزداد إيمانا وإن كان كافرا تحب أن يكون أخاك فى الإسلام وقال فى رواية أخرى عنه العدل التوحيد والإحسان الاخلاص وأصل العدل فى اللغة المساواة فى كل شىء من غير زيادة فى شىء ولا غلو ولا نقصان فيه ولا تقصير

فالاستعتاب التعرض لطلب الرضا وهذا باب منسد على الكفار فى الاخرة (وإذا رأى الذين ظلموا) يعنى ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصى (العذاب) يعنى عذاب جهنم (فلا يخفف عنهم) يعنى العذاب (ولاهم ينظرون) يعنى لا يؤخرون ولا يمهلون (وإذا راى الذين اشركوا) يعنى يوم القيامة (شركاءهم) يعنى اصنامهم التى كانوا يعبدونها فى الدنيا (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك) يعنى اربابا وكنا نعبدهم و نتخذهم الهة (فالقوا) يعنى الاصنام (اليهم) يعنى إلى عابديها (القول انكم لكاذبون) يعنى ان الاصنام قالت للكفار انكم لكاذبون يعنى تسميتنا الهة ومادعوناكم الى عبادتنا * فان قلت الاصنام جماد لا تتكلم فكيت يصح منها الكلام * قلت لا يبعد ان الله سبحانه وتعالى لما بعثها واعادها فى الاخرة خلق فيها الحياة والنطق والعقل حتى قالت ذلك والمقصود من اعادتها و بعثها ان تكذب الكفار و يراها الكفار وهى غاية الذلة والحقارة فيزدادون بذلك غما وحسرة (والقوا) يعنى المشركين (إلى الله يومئذ السلم) يعنى انهم استسلموا لله وانقادوا لحكمه فهم ولم تغن عنهم الهتهم شيئا (وضل عنهم) يعنى وزال عن المشركين (ما كانوا يفترون) يعنى ما كانوا يكذبون فى الدنيا فى قولهم أن الأصنام تشفع لهم (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) يعنى ضموا مع كفرهم أنهم منعوا الناس عن الدخول فى الإيمان بالله ورسوله (زدناهم عذابا فوق العذاب) يعنى زدناهم هذه الزيادة بسبب صدهم عن سبيل الله مع ما يستحقونه من العذاب على كفرهم الأصلى واختلفوا فى هذه الزيادة ماهى فقال عبدالله بن مسعود عقارب لها أنياب كامثال النخل الطوال وقال سعيد بن جبير حيات كالبخت وعقارب امثال البغال تلسع احداهن اللسعة فيجد صاحبها المها اربعين خريفا وقال ابن عباس ومقاتل يعنى خمسة انهار من صفر مذاب كالنار تسيل يعذبون بها ثلاثة على مقدار الليل واثنان على مقدار النهار وقيل انهم يخرجون من حر النار إلى برد الزمهرير فيبادرون من شدة الزمهرير إلى النار مستغيثين بها وقيل يضاعف لهم العذاب ضعفاً بسبب كفرهم وضعفا بسبب صدهم الناس عن سبيل الله (بما كانوا يفسدون) يعنى الزيادة إنما حصلت لهم بسبب صدهم عن سبيل الله وبسبب ما كانوا يفسدون مع ما يستحقونه من العذاب على الكفر (ويوم نبعث فى كل أمة شهيدا عليهم) قال ابن عباس يريد الانبياء قال المفسرون كل نبى شاهد على أمته وهو اعدل شاهد عليها (من انفسهم) يعنى منهم لأن كل نبى إنما بعث من قومه الذين بعث اليهم ليشهدوا عليهم وبما فعلوا من كفر وإيمان وطاعة وعصيان (وجئنا بك) يا محمد (شهيداً على هؤلاء) يعنى على قومك وامتك وتم الكلام هنا ثم قال تبارك وتعالى (ونزلنا عليك الكتاب) يعنى القرآن (تبيانا لكل شىء) تبيانا اسم من البيان قال مجاهد يعنى لما امر به ومانهى عنه وقال اهل المعانى تبيانا لكل شىء يعنى من امور الدين اما بالنص عليه او بالاحالة على ما يوجب العلم به من بيان النبى ﷺ لأن النبى ﷺ بين مافى القرآن من الأحكام والحدود والحلال والحرام وجميع المأمورات والمنهيات واجماع الأمة فهو أيضاً أصل ومفتاح لعلوم الدين (وهدى) يعنى من الضلالة (ورحمة) يعنى لمن آمن به وصدقه (وبشرى للمسلمين) يعنى وفيه بشرى للمسلمين من الله عزوجل * قوله سبحانه وتعالى (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) قال ابن عباس العدل شهادة أن لا إله إلا الله والإحسان أداء الفرائض وفى رواية عنه قال العدل خلع الانداد والاحسان أن تعبد الله كأنك تراه وان تحب للناس ما تحب لنفسك إن كان مؤمناً تحب أن يزداد إيمانا وإن كان كافرا تحب أن يكون أخاك فى الإسلام وقال فى رواية أخرى عنه العدل التوحيد والإحسان الاخلاص وأصل العدل فى اللغة المساواة فى كل شىء من غير زيادة فى شىء ولا غلو ولا نقصان فيه ولا تقصير

تبيانا) بيانا (لكل شىء) يحتاج اليه من الأمر والنهى والحلال والحرام والحدود والأحكام (وهدى) من الضلالة (ورحمة) فالعدل (وبشرى) بشارة (للمسلمين إن الله يأمر بالعدل) بالانصاف (والاحسان) إلى الناس وعن ابن عباس العدل والتوحيد والاحسان اداء الفرائض وعنه أيضاً الاحسان والاخلاص فى التوحيد وذلك معنى قول النبى ﷺ الإحسان ان تعبد الله كانك تراه وقال مقاتل العدل التوحيد

والاحسان العفو عن الناس (وإيتاء ذي القربى) صلة الرحم (وينهى عن الفحشاء) ماقبح من القول والفعل وقال ابن عباس الزنا (والمنكر) مالا يعرف في شريعة ولا سنة (والبغي) الكبر والظلم وقال ابن عيينة العدل استواء السر والعلانية والاحسان ان يكون سريرته احسن من علانيته والفحشاء والمنكر ان تكون علانيته احسن من سريرته (يعظكم لعلكم تذكرون) لعلكم تتعظون قال ابن مسعود اجمع اية في القران هذه الاية وقال ايوب عن عكرمة ان النبي ﷺ قرأ على الوليد إن الله يأمر بالعدل الى اخر الاية فقال له يا ابن اخي اعد فاعاد عليه فقال إن له والله لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وماهو بقول البشر قوله تعالى (واوفوا بعهد الله إذا عاهدتم) والعهد ههنا هو اليمين قال الشعبي العهد يمين وكفارته كفارة اليمين (ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها) تشديدها فتحنثوا فيها (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) شهيدا بالوفاء (إن الله يعلم ما تفعلون) واختلفوا فيمن نزلت هذه الاية وان كان حكمها عاما قيل نزلت في الذين بايعوا رسول الله ﷺ امرهم الله بالوفاء بها وقال مجاهد وقتادة نزلت في حلف اهل الجاهلية ثم ضرب الله مثلا لنقض العهد فقال (ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة) اي من بعد غزله واحكامه قال الكلبي ومقاتل هي امراة خرقاء حمقاء من

فالعدل هو المساواة في المكافأة إن خيرا فخير وإن شرا فشر والاحسان أن تقابل الخير بأكثر منه والشر بان تعفو عنه وقيل العدل الانصاف ولا إنصاف أعظم من الاعتراف للمنعم بانعامه والاحسان ان تحسن إلى من اساء اليك وقيل امر بالعدل في الأفعال وبالاحسان في الأقوال فلا يفعل إلا ما هو عدل ولا يقول إلا ما هو حسن (وإيتاء ذي القربى) يعني ويامر بصلة الرحم وهم القرابة الادنون والابعدون منك فيستحب ان تصلهم من فضل ما رزقك الله فان لم يكن لك فضل فدعاء حسن وتودد (وينهى عن الفحشاء) قال ابن عباس يعني الزنا وقال غيره الفحشاء ماقبح من القول والفعل فيدخل فيه الزنا وغيره من جميع الاقوال والأفعال المذمومة (والمنكر) قال ابن عباس يعني الشرك والكفر وقال غيره المنكر مالا يعرف في شريعة ولا سنة (والبغي) يعني الكبر والظلم وقيل البغي هو التطاول على الغير على سبيل الظلم والعدوان قال بعضهم ان اعجل المعاصي والبغي ولو ان جبلين بغى احدهما على الاخر لدك الباغي وقال ابن عيينة في هذه الاية العدل استواء السر والعلانية والاحسان أن تكون سريرته أحسن من علانيته والفحشاء والمنكر والبغي ان تكون علانيته احسن من سريرته وقال بعضهم إن الله سبحانه وتعالى ذكر من المامورات ثلاثة اشياء ومن المنهيات ثلاثة اشياء فذكر العدل وهو الانصاف والمساواة في الأقوال والأفعال وذكر في مقابلته الفحشاء وهي ماقبح من الأقوال والأفعال وذكر الإحسان وهو ان تعفو عمن ظلمك وتحسن إلى ما اساء اليك وذكر في مقابلته المنكر وهو ان تنكر إحسان من احسن إليك وذكر إيتاء ذي القربى والمراد به صلة القرابة والتودد إليهم والشفقة عليهم وذكر في مقابلته البغي وهو ان يتكبر عليهم او يظلمهم حقوقهم ثم قال تعالى (يعظكم لعلكم تذكرون) يعني إنما امركم بما امركم به ونهاكم عما نهاكم عنه لكي تعظوا او تذكروا فتعملوا بما فيه رضا الله تعالى قال ابن مسعود ان اجمع اية في القران لخير وشر هذه الآية وقال أهل المعاني لما قال الله تعالى في الآية الأولى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء بين في هذه الآية المامور به والمنهي عنه على سبيل الإجمال فما من شيء يحتاج اليه الناس في امر دينهم مما يجب ان يؤتى او يترك إلا وقد اشتملت عليه هذه الآية وروى عكرمة ان النبي ﷺ قرا على الوليد بن المغيرة إن الله يأمر بالعدل إلى اخر الاية فقال له يا ابن اخي اعد على فاعادها عليه فقال له الوليد والله ان له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن اعلاه لمثمر وإن اسفله لمغدق وما هو بقول بشر ٭ قوله عز وجل (واوفوا بعهد الله إذا عاهدتم) لما ذكر الله سبحانه وتعالى في الاية المتقدمة المامورات والمنهيات على سبيل الاجمال ذكر في هذه الآية بعض ذلك الإجمال على التفصيل فبدأ بالأمر بالوفاء بالعهد لانه اكد الحقوق فقال تعالى واوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ثم نزلت في الذين بايعوا رسول الله ﷺ على الاسلام فامرهم بالوفاء بهذه البيعة وقيل المراد منه كل ما يلتزمه الإنسان باختياره ويدخل فيه الوعد ايضا لان الوعد من العهد وقيل العهد ههنا اليمين قال القتيبي العهد يمين وكفارته كفارة يمين فعلى هذا يجب الوفاء به إذا كان فيه صلاح اما إذا لم يكن فيه صلاح فلا يجب الوفاء به لقوله ﷺ من حلف يمينا ثم راى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه فيكون قوله واوفوا بعهد الله من العام الذي خصصته السنة وقال مجاهد وقتادة نزلت في حلف أهل الجاهلية ويشهد لهذا التأويل قوله ﷺ كل حلف كان في الجاهلية لم يزده الاسلام إلا شدة (ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها) يعني تشديدها فتحنثوا فيها وفيه دليل على المراد بالعهد غير اليمين لانه اعم منها (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) يعني شهيدا بالوفاء بالعهد (ان الله يعلم ما تفعلون) يعني من وفاء العهد ونقضه ثم ضرب الله سبحانه وتعالى مثلا لنقض العهد فقال تعالى (ولا تكونوا) يعني في نقض العهد (كالتي نقضت غزلها من بعد قوة) يعني من بعد إبرامه واحكامه قال الكلبي ومقاتل هذه امرأة من قريش يقال لها ريطة بنت عمرو

قريش يقال لها ريطة بنت عمرو بن سعد بن كعب بن زيد مناة بن تميم وتلقب بجعر وكانت بها وسوسة وكانت اتخذت مغزلا بقدر ذراع وصنارة مثل الاصبع وفلكة عظيمة على قدرها وكانت تغزل الغزل من الصوف والشعر والوبر وتأمر جواريها بذلك فكن يغزلن من الغداة إلى نصف النهار فاذا انتصف النهار أمرتهن بنقض جميع ما غزلن فهذا كان رأيها ومعناه

أنهالم تكف عن العمل ولا حين عملت كفت عن النقض فكذلك أنتم إذا نقضتم العهد لا كففتم عن العهد ولا حين عاهدتم وفيتم به (أنكاثا) يعنى انقاضا واحدتها نكث وهو ما نقض بعد القتل غزلا كان او حبلا (تتخذون إيمانكم دخلا بينكم) اى دخلا وخيانة وخديعة والدخل مايدخل فى شىء للفساد وقيل الدخل والدغل ان يظهر الوفاء ويبطن النقض (ان تكون) اى لان تكون (امة هى اربى) اى اكثر واعلى (من أمة) قال مجاهد وذلك أنهم كانوا يحالفون الحلفاء فاذا وجدوا قوما أكثر منهم واعز نقضوا حلف هؤلاء وحالفوا الاكثر فمعناه طلبتم العز بنقض العهد بان كانت امة اكثر من امة فنهاهم الله عن ذلك (إنما يبلوكم الله به) يختبركم الله بامره إياكم بالوفاء بالعهد (وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) فى الدنيا (ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة) على ملة واحدة وهى الاسلام (ولكن يضل من يشاء) بخذلانه إياهم عدلا منه (ويهدى من يشاء) بتوفيقه اياهم فضلا منه (ولتسئلن عما كنتم تعملون) يوم القيامة (ولا تتخذوا ايمانكم دخلا) خديعة وفسادا (بينكم) فتغرون بها الناس فيسكنون إلى ايمانكم ويامنون ثم تنقضونها (فتزل قدم بعد ثبوتها) فتهلكوا بعد ما كنتم امنين والعرب تقول لكل مبتلى بعد عافية او ساقط فى ورطة بعد سلامة زلت قدمه (وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله) قيل معناه سهلتم طريق نقض العهد على الناس بنقضكم العهد (ولكم عذاب عظيم ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا) يعنى لا تنقضوا عهودكم تطلبون بنقصها عرضا قليلا من الدنيا ولكن اوفوا بها (إنما عند الله هو) من الثواب لكم على الوفاء بالعهد (خير لكم إن كنتم تعلمون) فضل ما بين العوضين ثم بين ذلك فقال (ما عندكم ينفد) أى الدنيا ومافيها يفنى (وما عند الله باق ولنجزين) قرا ابو جعفر وابن كثير وعاصم بالنون والباقون بالياء (الذين صبروا) على الوفاء فى السراء والضراء (أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) اخبرنا ابو عبيد الله محمد بن الفضل الخرقى انا ابو الحسن الطيسفونى أنا عبد الله بن عمر الجوهرى ثنا احمد بن على الكشميهنى ثنا على بن حجر ثنا إسمعيل بن جعفر ثنا عمرو بن أبى عمرو مولى المطلب عن أبى موسى الأشعرى أن رسول الله ﷺ قال من أحب

ابن سعد بن كعب بن زيد مناة بن تميم وكانت خرقاء حمقاء بها وسوسة وكانت قد اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل الاصبع وفلكة عظيمة على قدرها وكانت تغزل الغزل من الصوف او الشعر او الوبر وتامر جواريها بالغزل فكن يغزلن من الغداة إلى نصف النهار فاذا انتصف النهار امرتهن بنقض جميع ماغزلن فكان هذا دابها والمعنى ان هذه المراة لم تكف عن العمل ولا حين عملت كفت عن النقض فكذلك من نقض العهد لا تركه ولا حين عاهد وفى به (انكاثا) جمع نكث وهو ماينقض من الغزل او الحبل بعد الفتل (تتخذون أيمانكم دخلا بينكم) يعنى دخلا وخيانة وخديعة والدخل مايدخل فى الشىء على سبيل الفساد وقيل الدخل والدغل ان يظهر الرجل الوفاء بالعهد ويبطن نقضه (أن تكون) يعنى لأن تكون (امة هى اربى من امة) يعنى اكثر واعلى من امة قال مجاهد وذلك انهم كانوا يحالفون الحلفاء فاذا وجدوا قوما اكثر من اولئك واعز نقضوا حلف هؤلاء وحالفوا الأكثر والمعنى انكم طلبتم العز بنقض العهد لأن كانت امة أى جماعة اكثر من جماعة فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بالوفاء بالعهد لمن عاهدوا وحالفوا (إنما يبلوكم الله به) يعنى يختبركم بما امركم به من الوفاء بالعهد وهو اعلم بكم (وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) يعنى فى الدنيا فيثيب الطائع المحق ويعاقب المسىء المخالف، قوله سبحانه وتعالى (ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة) يعنى على ملة واحدة ودين واحد وهو دين الإسلام (ولكن يضل من يشاء) يعنى بخذلانه إياه عدلا منه (ويهدى من يشاء) بتوفيقه اياه فضلا منه وذلك مما اقتضته الحكمة الالهية لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وهو قوله تعالى (ولتسئلن عما كنتم تعملون) يعنى فى الدنيا فيجازى المحسن باحسانه ويعاقب المسىء باساءته او يغفر له، قوله عز وجل (ولا تتخذوا إيمانكم دخلا بينكم) يعنى خديعة وفسادا بينكم فتغروا بها الناس فيسكنوا إلى أيمانكم ويأمنوا إليكم ثم تنقضونها وإنما كرر هذا المعنى تاكيدا عليهم واظهارا لعظم امر نقض العهد قال المفسرون وهذا فى نهى الذين بايعوا رسول الله ﷺ على الاسلام نهاهم عن نقض عهده لأن الوعيد الذى بعده وهو قوله سبحانه وتعالى فتزل قدم بعد ثبوتها لا يليق بنقض عهد غيره إنما يليق بنقض عهد رسول الله ﷺ على الايمان به وبشريعته وقوله (فتزل قدم بعد ثبوتها) مثل يذكر لكل واقع فى بلاء ومحنة بعد عافية ونعمة او سقط فى ورطة بعد سلامة تقول العرب لكل واقع فى بلاء بعد عافية زلت قدمه والمعنى فتزل اقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها (وتذوقوا السوء) يعنى العذاب (بما صددتم عن سبيل الله) يعنى بسبب صدكم غيركم عن دين الله وذلك لأن من نقض العهد فقد علم غيره نقض العهد فيكون هو اقدمه على ذلك (ولكم عذاب عظيم) يعنى بنقضكم العهد (ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا) يعنى ولا تنقضوا عهودكم وتطلبوا بنقضها عوضا من الدنيا قليلا ولكن أوفوا بها (إن ما عند الله) يعنى فان ماعند الله من الثواب لكم على الوفاء بالعهد (هو خير لكم) يعنى من عاجل الدنيا (إن كنتم تعلمون) يعنى فضل ما بين العوضين ثم بين ذلك فقال تبارك وتعالى (ما عندكم ينفد) يعنى من متاع الدنيا ولذاتها يفنى ويذهب (وما عند الله باق) يعنى من ثواب الآخرة ونعيم الجنة (ولنجزين الذين صبروا) يعنى على الوفاء بالعهد على السراء والضراء (أجرهم) يعنى ثواب صبرهم (أحسن ما كانوا يعملون) عن أبى موسى الأشعرى أن رسول الله

ﷺ قال من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب اخرته أضر بدنياه فآثروا مايبقى على مايفنى وقوله سبحانه وتعالى (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن) * فان قلت من عمل صالحا يفيد العموم فما فائدة الذكر والأنثى * قلت هو منهم صالح على الاطلاق للنوعين إلا أنه إذا ذكر واطلق كان الظاهر تناوله للذكر دون الأنثى فقيل من ذكر أو أنثى على التبيين ليعلم الوعد للنوعين جميعا وجواب اخر وهو ان هذه الاية واردة بالوعد بالثواب والمبالغة فى تقرير الوعد من اعظم دلائل الكرم والرحمة اثباتا للتأكيد وإزالة لوهم التخصيص وقوله وهو مؤمن جعل الإيمان شرطا فى كون العمل الصالح موجبا للثواب (فلنحيينه حياة طيبة) قال سعيد بن جبير وعطاء هى الرزق الحلال وقال مقاتل هى العيش فى الطاعة وقيل هى حلاوة الطاعة وقال الحسن هى القناعة وقيل رزق يوم بيوم واعلم ان عيش المؤمن فى الدنيا وان كان فقيرا أطيب من عيش الكافر وإن كان غنيا لأن المؤمن لما علم أن رزقه من عند الله وذلك بتقديره وتدبيره وعرف ان الله محسن كريم متفضل لا يفعل إلا الصواب فكان المؤمن راضيا عن الله وراضيا بما قدره الله له ورزقه إياه وعرف ان له مصلحة فى ذلك القدر الذى رزقه إياه فاستراحت نفسه من الكد والحرص فطاب عيشه بذلك واما الكافر أو الجاهل بهذه الأصول الحريص على طلب الرزق فيكون أبدا فى حزن وتعب وعناء وحرص وكدر ولا ينال من الرزق إلا ماقدر له فظهر بهذا أن عيش المؤمن قنوع أطيب من غيره وقال السدى الحياة الطيبة إنما تحصل فى القبر لأن المؤمن يستريح بالموت من نكد الدنيا وتعبها وقال مجاهد وقتادة فى قوله فلنحيينه حياة طيبة هى الجنة وروى العوفى عن الحسن قال لا تطيب لاحد الحياة إلا فى الجنة لأنها حياة بلا موت وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم وملك بلا هلك وسعادة بلا شقاوة فثبت بهذا ان الحياة الطيبة لا تكون إلا فى الجنة ولقوله فى سياق الاية (ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) لأن ذلك الجزاء إنما يكون فى الجنة * قوله عز وجل (فاذا قرأت القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) الخطاب فيه للنبى ﷺ ويدخل فيه غيره من أمته لأن النبى ﷺ لما كان غير محتاج إلى الاستعاذة وقد أمر بها فغيره أولى بذلك ولما كان الشيطان ساعيا فى القاء الوسوسة فى قلوب بنى ادم وكانت الاستعاذة بالله مانعة من ذلك فلهذا السبب أمر رسول الله ﷺ والمؤمنين بالاستعاذة عند القراءة حتى تكون مصونة من وسواس الشيطان عن جبير بن مطعم أنه رأى رسول الله ﷺ يصلى صلاة قال عمر ولا أدرى أى صلاة هى قال الله أكبر كبيرا ثلاثا والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة وأصيلا ثلاثا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزته قال نفخه الكبر ونفثه السحر وهمزته الموتة أخرجه أبو داود الموتة الجنون والفاء فى قوله فاستعذ بالله للتعقيب فظاهر لفظ الاية يدل على أن الاستعاذة بعد القراءة واليه ذهب جماعة من الصحابة والتابعين وهو قول أبى هريرة واليه ذهب مالك وجماعة وداود الظاهرى قالوا لأن قارىء القران يستحق ثوابا عظيما وربما حصلت الوسواس فى قلب القارىء هل حصل له ذلك الثواب ام لا فاذا استعاذ بعد القراءة اندفعت تلك الوساوس وبقى الثواب مخلصا فاما مذهب الاكثرين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الائمة وفقهاء الامصار فقد اتفقوا على ان الاستعاذة مقدمة على القراءة قالوا ومعنى الاية إذا اردت ان تقرأ القران فاستعذ بالله ومثله قوله سبحانه وتعالى إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الخ ومثله من الكلام إذا اردت ان تاكل فقل بسم الله وإذا اردت ان تسافر فتأهب وايضا فان الوسوسة إنما تحصل فى اثناء القراءة فتقديم الاستعاذة على القراءة لتذهب الوسوسة عنه اولى من تأخيرها عن وقت الحاجة اليها ومذهب عطاء انه تجب الاستعاذة عند قراءة القران سواء كانت فى الصلاة اوفى غيرها واتفق سائر الفقهاء على ان الاستعاذة سنة فى الصلاة وغيرها وقد تقدمت هذه المسئلة والخلاف فيها فى اول سورة الفاتحة والاستعاذة الاعتصام بالله والالتجاء اليه عن الشيطان ووسوسته والمراد من الشيطان إبليس

مؤمن فلنحيينه حياة طيبة) قال سعيد بن جبير وعطاء هى الرزق الحلال قال الحسن هى القناعة وقال مقاتل بن حيان يعنى العيش فى الطاعة قال أبو بكر الوراق هى حلاوة الطاعة وقال مجاهد وقتادة هى الجنة ورواه عوف عن الحسن وقال لا تطيب الحياة لاحد إلا فى الجنة (ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) قوله سبحانه وتعالى (فاذا قرأت القرآن) أى إذا أردت قراءة القران (فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) كقوله تعالى إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا والاستعاذة سنة عند قراءة القران وأكثر العلماء على أن الاستعاذة قبل القراءة وقال أبو هريرة بعدها ولفظه أن يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أنا عبد الواحد بن احمد المليحى أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبى شريح أنا أبو القاسم البغوى ثنا على بن الجعد أنا شعبة عن عمرو بن مرة سمعت عاصما عن ابن جبير ابن مطعم عن أبيه أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم يصلى قال فكبر فقال الله أكبر كبيرا ثلاث

مرات والحمد لله كثيرا ثلاث مرات وسبحان الله بكرة واصيلا ثلاث مرات اللهم إنى اعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه ولمزه ونفخه ونفثه قال عمرو ونفخه الكبر ونفثه الشعر وهمزه الموتة والموتة الجنون والاستعاذة بالله هى الاعتصام به

(إنه ليس له سلطان) حجة وولاية (على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) قال سفيان ليس لهسلطان على أن يحملهم على ذنب لا يغفر (إنما سلطانه على الذين يتولونه) يطيعونه ويدخلون فى ولايته (والذين هم به مشركون) أى بالله مشركون وقيل الكناية راجعة إلى الشيطان ومجازه الذين هم من أجله مشركون بالله (وإذا بدلنا آية مكان اية) يعنى وإذا نسخنا حكم اية فابدلنا مكانه حكما اخر (والله اعلم بما ينزل) اعلم بما هو اصلح لخلقه فيما يغير ويبدل من أحكامه (قالوا إنما أنت) يا محمد (مفتر) مختلق وذلك أن المشركين قالوا ان محمد يسخر باصحابه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غدا ماهو الا مفتر يتقوله من تلقاء نفسه قال الله (بل أكثرهم لا يعلمون) حقيقة القران وبيان الناسخ والمنسوخ (قل نزله) يعنى القران (روح القدس) جبريل (من ربك بالحق) بالصدق (ليثبت الذين امنوا) أى ليثبت قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا ويقينا (وهدى وبشرى للمسلمين ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر) ادمى وما هو من عند الله واختلفوا فى هذا البشر قال ابن عباس كان رسول الله ﷺ يعلم فينا بمكة اسمه بلعام وكان نصرانيا أعجمى اللسان فكان المشركون يرون رسول الله ﷺ يدخل عليه ويخرج فكانوا يقولون انما يعلمه بلعام وقال عكرمة كان النبى صلى الله عليه وسلم يقرىء غلاما لبنى المغيرة يقال له يفيش وكان يقرأ الكتب فقالت قريش انما يعلمه بشر يعيش وقال الفراء قال المشركون انما يتعلم من عايش مملوك كان لحويطب ابن عبد العزى وكان قد أسلم وحسن إسلامه وكان أعجمى اللسان وقال ابن اسحق كان رسول الله ﷺ كان فيما بلغنى كثيرا ما يجلس عند المروة الى غلام رومى نصرانى عبد لبعض بنى الحضرمى يقال له جبر وكان يقرأ الكتب وقال عبد الله بن مسلم الحضرمى كان لنا عبدان من اهل عين التمر يقال لأحدهما يكنى ابا فكيهة ويقال الاخر جبر وكانا يصنعان السيوف بمكة وكانا يقران التوراة والإنجيل فربما مر بهما النبى صلى الله عليه وسلم وهما يقران التوراة فيقف ويستمع قال الضحاك وكان النبى ﷺ اذا اذاه الكفار يقعد اليهما ويستريح بكلامهما فقال المشركون انما يتعلم محمد منهما فنزلت هذه الاية قال الله تعالى تكذيبا لهم

وقيل هو اسم جنس يطلق على المردة من الشياطين لأن لهم قدرة على إلقاء الوسوسة فى قلوب بنى ادم باقدار الله إياهم على ذلك (إنه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون) لما أمر الله رسوله ﷺ بالاستعاذة من الشيطان فكان ذلك أوهم ان له قدرة على التصرف فى أبدان بنى ادم فأزال الله سبحانه وتعالى هذا الوهم بقوله أنه ليس له سلطان يعنى ليس له قدرة ولا ولاية على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون قال سفيان ليس له سلطان على أن يحملهم على ذنب لا يغفر (١) ويظهر من هذا أن الاستعاذة إنما تفيد إذا حضر بقلب الإنسان كونه ضعيفا وأنه لا يمكنه التحفظ من وسوسة الشيطان إلا بعصمة الله ولهذا قال المحققون لا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله إلا بتوفيق الله ثم قال تعالى (إنما سلطانه على الذين يتولونه) يعنى يطيعونه ويدخلون فى ولايته يقال توليته إذا أطعته وتوليت عنه إذا أعرضت عنه (والذين هم به مشركون) يعنى بالله وقيل الضمير فى به راجع إلى الشيطان والمعنى هم من أجله مشركون بالله * قوله سبحانه وتعالى (وإذا بدلنا اية مكان اية والله أعلم بما ينزل) وذلك أن المشركين من أهل مكة قالوا ان محمدا يسخر باصحابه يأمرهم اليوم بامر وينهاهم عنه غدا ماهو إلا مفتر يتقوله من تلقاء نفسه فانزل الله هذه الاية والمعنى وإذا نسخنا حكم اية فابدلنا مكانه حكما اخر والله أعلم بما ينزل اعتراض دخل فى الكلام والمعنى والله أعلم بما ينزل من الناسخ وبما هو أصلح لخلقه وبما يغير ويبدل من أحكامه أى هو أعلم بجميع ذلك مما هو من مصالح عباده وهذا نوع توبيخ وتقريع للكفار على قولهم للنبى ﷺ وهو قوله تعالى (قالوا إنما أنت مفتر) أى تختلقه من عندك والمعنى إذا كان الله تعالى أعلم بما ينزل فما بالهم ينسبون محمدا إلى الافتراء والكذب لأجل التبديل والنسخ وإنما فائدة ذلك ترجع إلى مصالح العباد كما يقال أن الطبيب يأمر المريض بشرب دواء ثم بعد ذلك ينهاه عنه ويأمره بغيره لما رى فيه من المصلحة (بل اكثرهم لا يعلمون) يعنى لا يعلمون فائدة الناسخ وتبديل المنسوخ (قل) أى قل لهم يا محمد (نزله) يعنى القران (روح القدس) يعنى جبريل ﷺ أضيف إلى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود وطلحة الخير والمعنى الروح المقدس المطهر (من ربك) يعنى أن جبريل نزل بالقران من ربك يا محمد (بالحق ليثبت الذين امنوا) يعنى ليثبت بالقران قلوب المؤمنين فيزدادوا إيمانا ويقينا (وهدى وبشرى) يعنى وهو هدى وبشرى (للمسلمين) * قوله عز وجل (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر) وذلك أن كفار مكة قالوا إنما يتعلم هذه القصص وهذه الأخبار من انسان اخر وهو ادمى مثله وليس هو من عند الله كما يزعم فاجابهم الله بقوله ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر واختلفوا فى ذلك البشر من هو فقال ابن عباس كان النبى ﷺ يعلم قينا بمكة اسمه بلعام وكان نصرانيا أعجمى اللسان فكان المشركون يرون رسول الله ﷺ يدخل عليه ويخرج من عنده فكانوا يقولون إنما يعلمه بلعام وقال عكرمة

(١) قوله ويظهر من هذا اسم الإشارة راجع لما ذكره قبل قول سفيان كما يعلم من الفخر فانه لم يذكر فى هذا المحل قول سفيان وذكر ما قبله وما بعده وعبارته صحيحة بخلاف ما هنا فانه يوهم رجوع اسم الإشارة لقول سفيان وهو غير ظاهر اه

(لسان الذين يلحدون إليه) أي يميلون ويشيرون إليه (أعجمي) الأعجمي الذي لا يفصح وإن كان ينزل بالبادية والعجمي منسوب إلى العجم وإن كان فصيحا والأعرابي البدوي والعربي منسوب إلى العرب وإن لم يكن فصيحا (وهذا لسان عربي مبين) فصيح واراد باللسان القرآن والعرب تقول اللغة لسان وروى أن الرجل الذي كانوا يشيرون إليه أسلم وحسن إسلامه (إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله لا يرشدهم الله (ولهم عذاب أليم) ثم أخبر الله تعالى ان الكفار هم المفترون فقال (إنما يفتري (٩٥) الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون) لا محمد ﷺ فان قيل قد قال إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون فما معنى قوله وأولئك هم الكاذبون قيل انما يفتري الكذب اخبار عن فعلهم وهم الكاذبون نعت لازم لهم كقول الرجل لغيره كذبت وانت كاذب أي كذبت في هذا القول ومن عادتك الكذب اخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي أنا أبو حفص عمر بن احمد الجوهري أنا جدي ابو بكر محمد بن عمر بن حفص ثنا أبو بكر محمد بن الفرج الأزرق ثنا سعيد بن عبد الحميد بن جعفر ثنا يعلى ابن الأشدق عن عبد الله ابن جراد قال قلت يا رسول الله المؤمن يزني قال قد يكون ذلك قال قلت المؤمن يسرق قال قد يكون ذلك قلت المؤمن يكذب قال لا قال الله إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله (من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره) قال ابن عباس نزلت هذه الاية في عمار وذلك ان المشركين اخذوه وأباه ياسرا وأمه سمية وصهيبا وبلالا وخبابا وسالما فعذبوهم فأما سمية فانها ربطت بين بعيرين ووجيء قبلها بحربة ففتلت وقتل زوجها ياسر وهما أول قتيلين قتلا في الإسلام وأما عمار فانه أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرها قال قتادة أخذ بنو المغيرة عمارا وغطوه في بئر ميمون وقالوا اكفر بمحمد فبا يعهم على ذلك وقلبه كاره فأخبر الرسول ﷺ بأن عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملىء إيمانا من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله ﷺ وهو يبكي فقال رسول الله ﷺ ما وراءك يا عمار قال شرا يا رسول الله نلت منك وذكرت

كان النبي ﷺ يقرىء غلاما لبني المغيرة يقال له يعيش فكان يقرأ الكتب فقالت قريش إنما يعلمه يعيش وقال محمد بن اسحق كان النبي ﷺ فيما بلغني كثيرا ما يجلس عند المروة إلى غلام رومي نصراني عبد لبعض بني الحضرمي يقال له جبر وكان يقرأ الكتب وقال عبيد الله بن مسلمة كان لنا عبدان من أهل عين التمر يقال لأحدهما يسار ويكنى أبا فكيهة ويقال للآخر جبر وكانا يصنعان السيوف بمكة وكانا يقرآن التوراة والإنجيل بمكة فربما مر بهما النبي ﷺ وهما يقرآن فيقف ويستمع قال الضحاك وكان النبي ﷺ إذا آذاه الكفار يقعد إليهما فيتروح بكلامهما فقال المشركون إنما يتعلم محمد منهما وقال الفراء قال المشركون إنما يتعلم محمد من عائش المملوك كان لحويطب بن عبد العزى كان نصرانيا وقد اسلم وحسن إسلامه وكان أعجميا وقيل هو عداس غلام عتبة بن ربيعة والحاصل ان الكفار اتهموا النبي ﷺ وقالوا إنما يتعلم هذه الكلمات من غيره ثم إنه يضيفها لنفسه ويزعم انه وحي من عند الله عز وجل وهو كاذب في ذلك فأجاب الله عنه وانزل هذه الاية تكذيبا لهم فيما رموا به النبي ﷺ من الكذب فقال تعالى (لسان الذين يلحدون إليه) يعني يميلون ويشيرون إليه (أعجمي) يعني هو اعجمي والأعجمي هو الذي لا يفصح في كلامه وإن كان يسكن البادية ومنه سمي زياد الأعجم لأنه كان في لسانه عجمة مع انه كان من العرب والعجمي منسوب إلى العجم وإن كان فصيحا بالعربية والإعرابي الذي يسكن البادية والعربي الذي يسكن الأمصار من بلاد العرب وهو منسوب إلى العرب (وهذا لسان عربي مبين) يعني من الفصاحة والبلاغة ووجه الجواب هو ان الذي يشيرون إليه رجل اعجمي في لسانه عجمة تمنعه من الإتيان بفصيح الكلام ومحمد ﷺ جاءكم بهذا القرآن الفصيح الذي عجزتم أنتم اهل الفصاحة والبلاغة فكيف يقدر من هو اعجمي على مثله واين فصاحة هذا القرآن من عجمة هذا الذي يشيرون إليه فثبت بهذا البرهان ان الذي جاء به محمد ﷺ وحي اوحاه الله اليه وليس هو من تعليم الذي يشيرون اليه ولا هو آتى به من تلقاء نفسه بل هو وحي من الله عز وجل اليه وروى ان الرجل الذي كانوا يشيرون اليه قد أسلم وحسن إسلامه (إن الذين لا يؤمنون بآيات الله) يعني لا يصدقون انها من عند الله (لا يهديهم الله) يعني لا يرشدهم ولا يوفقهم للايمان (ولهم عذاب اليم) يعني في الاخرة ثم اخبره الله سبحانه وتعالى ان الكفار هم المفترون فقال تعالى (إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) يعني إنما يقدم على فرية الكذب من لا يؤمن بايات الله فهو رد لقول كفار قريش إنما انت مفتر (واولئك هم الكاذبون) يعني في قولهم انما يعلمه بشر لا محمد ﷺ * فان قلت قد قال تبارك وتعالى إنما يفتري الكذب فما معنى قوله تعالى واولئك هم الكاذبون والثاني هو الأول * قلت قوله سبحانه وتعالى إنما يفتري الكذب اخبار عن حال قولهم وقوله واولئك هم الكاذبون نعت لازم لهم كقول الرجل لغيره كذبت وانت كاذب اي كذبت في هذا القول ومن عادته الكذب وفي الاية دليل على ان الكذب من افحش الذنوب الكبار لأن الكاذب المفتري هو الذي لا يؤمن بآيات الله روى البغوي باسناد الثعلبي عن عبد الله بن جراد قال قلت يا رسول الله المؤمن يزني قال قد يكون ذلك قلت المؤمن يسرق قال قد يكون ذلك قلت المؤمن يكذب قال لا قال الله تعالى إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله * قوله تعالى (من كفر بالله بعد إيمانه إلا من أكره

وقلبه مطمئن بالايمان) نزلت فى عمار بن ياسر وذلك ان المشركين أخذوه وأباه ياسر وأمه سمية وصهيبا وبلالا وخبابا وسالما فعذبوهم ليرجعوا عن الإسلام فاما سمية أم عمار فانها ربطت بين بعيرين ووجىء قلبها بحربة فقتلت وقتل زوجها ياسر فهما أول قتيلين قتلا فى الإسلام وأما عمار فانه أعطاهم بعض ما أرادوا بلسانه مكرها قال قتادة أخذ بنو المغيرة عمارا وغطوه فى بئر ميمون وقالوا له اكفر بمحمد فبايعهم على ذلك وقلبه كاره وأخبر النبى ﷺ أن عمارا كفر فقال إن عمار ملىء إيمانا من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه فأتى عمار النبى ﷺ وهو يبكى فقال النبى ﷺ ما ورائك قال شرا يارسول الله نلت منك وذكرت فقال كيف وجدت قلبك قال مطمئنا بالإيمان فجعل النبى ﷺ يمسح عينيه وقال إن عادوا لك فعد لهم بما قلت فنزلت هذه الآية وقال مجاهد نزلت فى أناس من أهل مكة آمنوا فكتب إليهم بعض أصحاب النبى ﷺ أن هاجروا إلينا فانا لا نراكم منا حتى تهاجروا فخرجوا يريدون المدينة فادركتهم قريش فى الطريق ففتنوهم عن دينهم فكروا كارهين وهذا القول ضعيف لأن الآية مكية وكان هذا فى أول الإسلام قبل أن يأمروا بالهجرة وقال مقاتل نزلت فى جبر مولى عامر بن الحضرمى أكرهه سيده على الكفر فكفر مكرها وقلبه مطمئن بالإيمان ثم أسلم عامر ابن الحضرمى مولى جبر وحسن إسلامه وهاجر إلى المدينة والاولى أن يقال إن الآية عامة فى كل من أكره على الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان وإن كان السبب خاصا * فان قلت المكره على الكفر ليس بكافر فلا يصح استثناؤه من الكافر فما معنى هذا الاستثناء فى إلا من اكره * قلت المكره لما ظهر منه بعد الإيمان ماشابه مايظهر من الكافر طوعا صح هذا الاستثناء لهذه المشابهة والمشاكلة والله أعلم

﴿فصل فى حكم الآية﴾ قال العلماء يجب أن يكون الإكراه الذى يجوز له أن يتلفظ معه بكلمة الكفر أن يعذب بعذاب لا طاقة له به مثل التخويف بالقتل والضرب الشديد والإيلامات القوية مثل التحريق بالنار ونحوه قال العلماء أومن أظهر الإسلام مع النبى ﷺ أبو بكر وخباب وصهيب وبلال وعمار وأبوه ياسر وأمه سمية فأما النبى ﷺ فمنعه الله من أذى المشركين بعمه أبو طالب وأما أبو بكر فمنعه قومه وعشيرته وأخذ الآخرون وألبسوا أدراع الحديد وأجلسوا فى حر الشمس بمكة فأما بلال فكانوا يعذبونه وهو يقول أحد أحد حتى اشتراه أبو بكر وأعتقه وقتل ياسر وسمية كما تقدم وقال خباب لقد أوقدوا لى نارا ما أطفأها إلا ودك ظهرى واجمعوا على ان من أكره على الكفر لا يجوز له ان يلتفظ بكلمة تصريحا بل يأتى بالمعاريض وبما يوهم أنه كفر فلو أكره على التصريح يباح له ذلك بشرط أنينة القلب على الإيمان غير معتقد ما يقوله من كلمة الكفر ولو صبر حتى قتل كان افضل لان ياسرا أوسمية قتلا ولم يلتفظا بكلمة الكفر ولان بلالا صبر على العذاب ولم يلم على ذلك قال العلماء من الافعال مايتصور الإكراه عليها كشرب الخمر وأكل لحم الخنزير والميتة ونحوها فمن أكره بالسيف أو القتل على أن يشرب الخمر أو يأكل الميتة أو لحم الخنزير أو نحوها جاز ذلك لقوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وقيل لا يجوز له ذلك وإن صبر كان أفضل من الافعال مالا يتصور الإكراه عليه كالزنا لأن الإكراه يوجب الخوف الشديد وذلك يمنع انتشار الآلة فلا يتصور فيه الإكراه واختلف العلماء فى طلاق المكره فقال الشافعى رضى الله عنه وأكثر العلماء لا يقع طلاق المكره وقال أبو حنيفة يقع حجة الشافعى ومن وافقه قوله سبحانه وتعالى لا إكراه فى الدين ولا يمكن أن يكون المراد نفى ذاته لأن ذاته موجودة فوجب حمله على نفى أثاره والمعنى أنه لا أثر له ولا عبرة به وقوله تعالى وقلبه مطمئن بالإيمان فيه دليل على أن محل الإيمان هو القلب (ولكن من شرح بالكفر صدرا) يعنى فتحه ووسعه لقبول الكفر واختاره ورضى به (فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) يعنى فى الآخرة (ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة) يعنى يكون ذلك الإقدام على الارتداد إلى الكفر لأجل أنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة (وأن الله لا يهدى القوم الكافرين) يعنى لا يرشدهم إلى الإيمان ولا يوفقهم للعمل به (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم

آلهتهم بخير قال كيف وجدت قلبك مطمئنا بالإيمان فجعل النبى ﷺ يمسح عينيه وقال إن عادوا لك فعد لهم بما قلت فنزلت هذه الاية قال مجاهد نزلت فى ناس من أهل مكة آمنوا فكتب إليهم بعض أصحاب النبى ﷺ ان هاجروا فانا لا نراكم منا حتى تهاجروا إلينا فخرجوا يريدون المدينة فادركتهم قريش فى الطريق فكروا كارهين وقال مقاتل نزلت فى جبر مولى عامر بن الحضرمى اكرهه سيده على الكفر فكفر مكرها (وقلبه مطمئن بالإيمان) ثم أسلم مولى عامر بن الحضرمى وحسن إسلامه وهاجر جبر مع سيده (ولكن من شرح بالكفر صدرا) اى فتح صدره بالكفر بالقبول فاختاره (فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) واجمع العلماء على ان من أكره على كلمة الكفر يجوز له ان يقول بلسانه وإذا قال بلسانه غير معتقد لا يكون كفرا وإن ابى ان يقول حتى يقتل كان افضل واختلف أهل العلم فى طلاق المكره فذهب أكثرهم إلا انه لا يقع (ذلك بأنهم استحبوا) آثروا

(الحياة الدنيا على الاخرة وان الله لا يهدى القوم الكافرين) لا يرشدهم (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم

وأبصارهم وأولئك هم الغافلون) عما يرادبهم (لاجرم) أى حقا (أنهم فى الاخرة هم الخاسرون) أى المغبونون (ثم أن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا) عذبوا أو منعوا من الاسلام (فتنهم المشركون (ثم جاهدوا وصبروا) على الايمان والهجرة والجهاد (إن ربك من بعدها) من بعد تلك الفتنة والغفلة (لغفور رحيم) نزلت فى عياش بن أبى ربيعة أخى أبى جهل من الرضاعة وفى أبى جندل بن سهيل بن عمرو والوليد بن الوليد ابن المغيرة وسلمة بن هشام وعبد الله بن أبى أسيد الثقفى فتنهم المشركون فاعطوهم بعض ما أرادوا ليسلموا من شرهم أنهم هاجروا بعد ذلك وجاهدوا وقال الحسن وعكرمة نزلت فى عبد الله بن سعد بن أبى سرح وكان يكتب للنبى (٩٧) ﷺ فاستزله الشيطان فلحق بالكفار فامر النبى ﷺ يوم فتح مكة بقتله فاستجاره عثمان وكان أخاه لامه من الرضاعة فاجاره رسول الله ﷺ ثم انه أسلم وحسن إسلامه فانزل الله هذه الاية وقرأ ابن عامر فتنوا بفتح الفاء والتاء ورده إلى من أسلم من المشركين فتنوا المسلمين (يوم تأتى كل نفس تجادل) تخاصم وتحتج (عن نفسها) بما أسلفت من خير وشر مشتغلا بها لا تتفرغ إلى غيرها (وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون) روى أن عمر بن الخطاب قال لكعب الأحبار خوفنا قال يا أمير المؤمنين والذى نفسى بيده ولو وافيت يوم القيامة بمثل عمل سبعين نبيا لاتت عليك ساعات وأنت لا تهمك إلا نفسك وأن لجهنم زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبى مرسل منتخب إلا وقع جاثيا على ركبتيه حتى ابراهيم خليل الرحمن يقول يارب لا أسألك إلا نفسى وان تصديق ذلك الذى انزله الله عليكم يوم تاتى كل نفس تجادل عن نفسها وروى عكرمة عن ابن عباس فى هذه الآية قال ما تزال الخصومة بين الناس يوم

وأبصارهم) تقدم تفسيره (وأولئك هم الغافلون) يعنى عما يرادبهم من العذاب فى الاخرة وهو قوله سبحانه وتعالى (لاجرم أنهم فى الاخرة هم الخاسرون) يعنى ان الانسان إنما يعمل فى الدنيا ليربح فى الآخرة فاذا دخل النار بأن خسرانه وظهر غبنه لأنه ضيع رأس ماله وهو الايمان ومن ضيع رأس ماله فهو خاسر * قوله عز وجل (ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا) يعنى عذبوا ومتعوا من الدخول فى الاسلام فتنتهم المشركون (ثم جاهدوا وصبروا) على الايمان والهجرة والجهاد (إن ربك من بعدها) يعنى من بعد الفتنة التى فتنوها (لغفور رحيم) نزلت هذه الاية فى عياش بن ابى ربيعة وكان اخا ابى جهل من الرضاعة وقيل كان اخاه لأمه فى ابى جندل بن سهيل بن عمرو والوليد بن الوليد بن المغيرة وسلمة بن هشام وعبد الله بن أسد الثقفى فتنهم المشركون وعذبوهم فاعطوهم بعض ما أرادوا ليسلموا من شرهم ثم أنهم بعد ذلك هاجروا وجاهدوا وقال الحسن وعكرمة نزلت هذه الاية فى عبد الله بن ابى سرح كان قد اسلم وكان يكتب للنبى ﷺ فاستزله الشيطان فارتد ولحق بدار الحرب فلما كان يوم فتح مكة أمر النبى ﷺ بقتله فاستجاره عثمان وكان اخاه لأمه فأجاره رسول الله ﷺ فأسلم وحسن إسلامه وهذا القول إنما يصح إذا قلنا ان هذه الاية مدنية نزلت بالمدينة فتكون من الايات المدنيات فى السور المكيات والله اعلم بحقيقة ذلك قوله سبحانه وتعالى (يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها) يعنى تخاصم وتحتج عن نفسها اى بما أسلفت من خير وشر واشتغلت بالمجادلة لا تتفرغ إلى غيرها * فان قلت النفس هى نفس واحدة وليس لها نفس أخرى فما معنى قوله كل نفس تجادل عن نفسها * قلت ان النفس هى قد يراد بها بدن الانسان وقد يراد بها مجموع ذاته وحقيقته فالنفس الأولى هى مجموع ذات الانسان وحقيقته والنفس الثانية هى بدنه فهى عينها ذاتها ايضا والمعنى يوم يأتى كل إنسان يجادل عن ذاته ولا يهمه غيره ومعنى هذه المجادلة الاعتذار بما لا يقبل منه كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين ونحو ذلك من الاعتذارات (وتوفى كل نفس ما عملت) يعنى جزاء ما عملت فى الدنيا من خير أو شر (وهم لا يظلمون) يعنى لا ينقصون من جزاء اعمالهم شيئا بل يوفون ذلك كاملا من غير زيادة ولا نقصان روى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لكعب الأحبار خوفنا فقال يا امير المؤمنين والذى نفسى بيده لو وافيت القيامة بمثل عمل سبعين نبيا لاتت عليك ساعات وأنت لا يهمك إلا نفسك وان جهنم لتزفر زفرة ما يبقى ملك مقرب ولا نبى مرسل إلا جثا على ركبتيه حتى إبراهيم خليل الرحمن يقول يارب لا أسألك إلا نفسى وان تصديق ذلك فيما انزل الله تعالى يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها وروى عكرمة عن ابن عباس فى هذه الاية قال ما تزال الخصومة بين الناس يوم القيامة حتى تخاصم الروح الجسد فتقول الروح يارب لم تكن لى ايدا بطش بها ولا رجل امشى بها ولا عين ابصر بها ويقول الجسد يارب انت خلقتنى كالخشبة ليست لى يد ابطش بها ولا رجل امشى بها ولا عين ابصر بها فجاء هذا الروح كشعاع النور فبه نطق لسانى وبه ابصرت عيناى وبه مشيت رجلاى فضرب الله لهما مثلا اعمى ومقعد دخلا حائطا يعنى بستانا فيه ثمار فالأعمى لا يبصر الثمر والمقعد لا يناله فحمل الاعمى المقعد فاصابا من الثمر فعليهما العذاب * قوله عز وجل (وضرب الله مثلا قرية) المثل عبارة عن قول فى شىء يشبه قولا فى شىء آخر بينهما مشابهة ليبين

أحدهما الاخر ويصوره وقيل هو عبارة عن المشابهة لغيره فى معنى من المعانى أى معنى كان وهو أعلم الألفاظ الموضوعة للمشابهة قال الامام فخر الدين الرازى المثل قد يضرب بشىء موصوف بصفة معينة سواء كان ذلك الشىء موجودا أو لم يكن وقد يضرب بشىء موجود معين فهذه القرية التى ضرب الله بها هذا المثل يحتمل أن يكون شيئا مفروضا ويحتمل أن تكون قرية معينة وعلى التقدير الثانى فتلك القرية يحتمل أن تكون مكة أو غيرها والأكثر من المفسرين على انها مكة والاقرب أنها غير مكة لأنها ضربت مثلا لمكة ومثل مكة يكون غير مكة وقال الزمخشرى فى كتابه الكشاف وضرب الله مثلا قرية أى جعل القرية التى هذه حالها مثلا لكل قوم أنعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فانزل الله بهم نقمته فيجوز أن تراد قرية مقدرة على هذه الصفة وأن تكون فى قرية الأولين قرية كانت هذه حالها فضرب الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها وقال الواحدى ضرب المثل ببيان المشبه والمشبه به وهنا ذكر المشبه به وهنا ذكر المشبه لوضوحه عند المخاطبين والاية عند عامة المفسرين نازلة فى أهل مكة وما امتحنوا به من الخوف والجوع بعد الأمن والنعمة بتكذيبهم النبى ﷺ فتقدير الاية ضرب الله مثلا لقريتكم أى بين الله شبها ثم قال قرية فيجوز أن تكون القرية بدلا من مثلا لأنها هى الممثل بها ويجوز أن يكون المعنى ضرب الله مثلا مثل قرية فحذف المضاف هذا قول الزجاج والمفسرين كلهم قالوا أراد بالقرية مكة يعنون أنه أراد مكة فى تمثيلها بقرية صفتها ما ذكر وقال ابن الجوزى فى هذه القرية قولان أحدهما أنها مكة قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والجمهور وهو الصحيح والثانى أنها قرية أوسع الله على اهلها حتى كانوا يستنجون بالخبز فبعث الله عليهم الجوع قاله الحسن وأقول هذه الاية نزلت بالمدينة فى قول مقاتل وبعض المفسرين وهو الصحيح لأن الله سبحانه وتعالى وصف هذه القرية بصفات ستة كانت هذه الصفات موجودة فى اهل مكة فضربها الله مثلا لأهل المدينة يحذرهم ان يصنعوا مثل صنيعهم فيصيبهم ما اصابهم من الجوع والخوف ويشهد لصحة ما قالت أن الخوف المذكور فى هذه الاية فى قوله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف هو البعوث والسرايا التى كان النبى ﷺ يبعثها فى قول جميع المفسرين لأن النبى ﷺ لم يؤمر بالقتال وهو بمكة وإنما امر بالقتال لما هاجر إلى المدينة فكان يبعث البعوث والسرايا إلى حول مكة يخوفهم بذلك وهو بالمدينة والله اعلم بمراده واما تفسير قوله تعالى وضرب الله مثلا قرية يعنى مكة (كانت آمنة) يعنى ذات أمن لا يهاج أهلها ولا يغار عليهم (مطمئنة) يعنى قارة بأهلها لا يحتاجون إلى الانتقال عنها الانتجاع كما كان يحتاج إليه سائر العرب (يأتيها رزقها رغدا) يعنى واسعا (من كل مكان) يعنى يحمل اليها الرزق والميرة من البر والبحر نظيره قوله سبحانه وتعالى تجبى إليه ثمرات كل شىء وذلك بدعوة إبراهيم ﷺ وهو قوله وارزق أهله من الثمرات (فكفرت) يعنى هذه القرية والمراد اهلها (بانعم الله) جمع نعمة والمراد بها سائر النعم التى أنعم الله بها على اهل مكة فلما قابلوا نعم الله التى انعم بها عليهم بالجحود والكفر لا جرم ان الله تعالى انتقم منهم فقال تعالى (فاذاقها الله لباس الجوع والخوف) وذلك أن الله سبحانه وتعالى ابتلاهم بالجوع سبع سنين فقطع عنهم المطر وقطعت عنهم العرب الميره بأمر رسول الله ﷺ حتى جهدوا فاكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب والميتة والعهن وهو الوبر يعالج بالدم ويخبط به حتى يؤكل حتى كان احدهم ينظر إلى السماء فيرى شبه الدخان من الجوع ثم ان رؤساء مكة كلموا رسول الله ﷺ فى ذلك وقالوا ماهذا هبك عاديت الرجال فما بال النساء والصبيان فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس فى حمل الطعام إليهم وهم بعد مشركون والخوف يعنى خوف بعوث النبى ﷺ وسراياه التى كان يبعثها الإغارة فكانت تطيف بهم وتغير على من حولهم من العرب فكان اهل مكة يخافونهم * فان قلت الاذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحتها والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة ايقاعها عليه وهو ان اللباس لا يذاق بل يلبس فيقال كساهم الله لباس الجوع أو يقال فاذاقهم الله طعم الجوع قلت قال صاحب الكشاف اما الاذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها فى البلايا

كانت آمنة) يعنى مكة كانت آمنة لا يهاج اهلها ولا يغار عليها (مطمئنة) قارة بأهلها لا يحتاجون إلى الانتقال للانتجاع كما يحتاج إليه سائر العرب (يأتيها رزقها رغدا من كل مكان) يحمل إليها من البر والبحر نظيره تجبى إليه ثمرات كل شىء (فكفرت بأنعم الله) جمع النعمة وقيل جمع نعماء مثل بأساء وابؤس (فأذاقها الله لباس الجوع ابتلاهم الله بالجوع سبع سنين وقطعت العرب عنهم الميرة بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جهدوا وأكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب الميتة والعهن وهو الوبر يعالج بالدم حتى كان أحدهم ينظر إلى السماء فيرى شبه دخان من الجوع ثم أن رؤساء مكة كلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا هذا هبك عاديت الرجال فما بال النساء والصبيان فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس بحمل الطعام إليهم وهم بعد مشركون وذكر اللباس لأن ما أصابهم من الهزال والشحوب وتغير ظاهرهم عما كانوا عليه من قبل كاللباس لهم (والخوف

والشدائد ما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر وأذاقه العذاب شبه ما يدرك من أثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر البشع وأما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشى الانسان والتبس به من بعض الحوادث وأما إيقاع الإذاقة على لباس الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكانه قيل فاذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف ثم ذكر بعده من علم المعانى والبيان ما يشهد لصحة ماقال وقال الامام فخر الدين الرازى جوابه من وجوه الاول أن الاحوال التى حصلت لهم عند الجوع نوعان أحدهما أن المذوق هو الطعام فلما فقدوا الطعام صاروا كانهم يذوقون الجوع والثانى ان ذلك الجوع كان شديدا كاملا فصار كانه أحاط بهم من كل الجهات فأشبه اللباس والحاصل انه حصل لهم ذلك الجوع حاله تشبه المذوق وحالة تشبه الملبوس فاعتبر الله كلا الاعتبارين فقال فاذاقها الله لباس الجوع والخوف الوجه الثانى أن التقدير أن الله عرفها أثر لباس الجوع والخوف إلا أنه تعالى عبر عن التعريف بلفظ الاذاقة واصل الذوق بالفم ثم قد يستعار فيوضع موضع التعرف وهو الاختبار تقول ناظر فلانا وذق عنده قال الشاعر ومن يذق الدنيا فانى طعمتها * وسيق الينا عذبها وعذابها ولباس الجوع والخوف ما ظهر عليهم من الضمور وشحوب اللون ونهكة البدن وتغيير الحال وكسوف البال كما تقول تعرفت سوء أثر الجوع والخوف على فلان كذلك يجوز أن تقول ذقت لباس الجوع والخوف على فلان الوجه الثالث أن يحمل لفظ الذوق واللبس على المماسة فصار التقدير فاذاقها الله مساس الجوع والخوف ثم قال تعالى (بما كانوا يصنعون) ولم يقل بما صنعت لانه أراد أهل القرية والمعنى فعلنا بهم ما فعلنا بسبب ما كانوا يصنعون وهذا مثل أهل مكة لانهم كانوا فى الامن والطمأنينة والخصب ثم أنعم الله عز وجل عليهم بالنعمة العظيمة وهى إرسال محمد ﷺ وهو منهم فكفروا به وكذبوه وبالغوا فى إيذائه وأرادوا قتله فأخرجه الله من بينهم وأمره بالهجرة إلى المدينة وسلط على أهل مكة البلاء والشدائد والجوع والخوف كل ذلك بسبب تكذيبهم رسول الله ﷺ وخروجه من بين أظهرهم * قوله سبحانه وتعالى (ولقد جاءهم) يعنى أهل مكة (رسول منهم) يعنى محمدا ﷺ يعرفون نسبه ويعرفونه قبل النبوة وبعدها (فكذبوه فاخذهم العذاب) يعنى الجوع والخوف وقيل القتل يوم بدر والقول الاول اولى لما تقدم فى الاية (وهم ظالمون) يعنى كافرون (فكلوا مما رزقكم الله) فى المخاطبين بهذا قولان أحدهما أنهم المسلمون وهو قول جمهور المفسرين والثانى انهم هم المشركون من أهل مكة قال الكلبى لما اشتد الجوع باهل مكة كلم رؤساؤهم رسول الله ﷺ فقالوا إنك إنما عاديت الرجال فما بال النساء والصبيان فاذن رسول الله ﷺ للناس أن يحملوا الطعام اليهم حكاه الواحدى وغيره القول الاول هو الصحيح قال ابن عباس فكلوا يا معشر المؤمنين مما رزقكم الله يريد الغنائم (حلالا طيبا) يعنى إن الله سبحانه وتعالى أحل الغنائم لهذه الامة وطيبها لهم ولم تحل لاحد قبلهم (واشكروا نعمة الله) يعنى التى انعم بها عليكم (إن كنتم إياه تعبدون إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم) تقدم تفسير هذه الاية واحكامها فى سورة البقرة فلم نعده هنا وقوله تعالى (ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب) يعنى ولا تقولوا لاجل وصفكم الكذب (هذا حلال وهذا حرام) يعنى انكم تحلون وتحرمون لاجل الكذب لا لغيره فليس لتحليلكم وتحريمكم معنى وسبب الا الكذب فقط. فلا تفعلوا ذلك قال مجاهد يعنى البحيرة والسائبة قال ابن عباس يعنى قولهم ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وذلك ان العرب فى الجاهلية كانوا يحلون اشياء ويحرمون اشياء من عند انفسهم وينسبون ذلك الى الله تعالى وهو قوله تعالى (لتفتروا على الله الكذب) يعنى لا تقولوا ان الله امرنا بذلك فتكذبوا على الله لان وصفهم الكذب هو افتراء على الله ثم توعد المفترين للكذب فقال سبحانه وتعالى (ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) يعنى لا ينجون من العذاب وقيل لا يفوزون بخير لان الفلاح هو الفوز بالخير والنجاح ثم بين ان ما هم فيه من نعيم الدنيا يزول عنهم عن قريب

(مما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول منهم) محمد صلى الله عليه وسلم (فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم) قوله تعالى (ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب) أى لا تقولوا لوصف السنتكم أو لاجل وصفكم الكذب أى أنكم تحلون وتحرمون لأجل الكذب لا لغيره (هذا حلال وهذا حرام) يعنى البحيرة والسائبة (لتفتروا على الله الكذب) فتقولون إن الله امرنا بهذا (إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) لا ينجون من عذاب الله (متاع قليل) يعنى الذى هم فيه متاع قليل أو لهم متاع قليل فى الدنيا

(ولهم عذاب أليم) فى الآخرة (وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) يعنى فى سورة الأنعام وقوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الاية (وما (١٠٠) ظلمناهم بتحريم ذلك عليهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) فحرمنا عليهم ببغيهم (ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا) يعنى بالاصلاح الاستقامة على التوبة (ان ربك من بعدها) اى من بعد الجهالة (لغفور رحيم) قوله تعالى (ان ابراهيم كان امة) قال ابن مسعود الامة معلم الخير اى كان معلم الخير يأتم به اهل الدنيا وقد اجتمع فيه من الخصال الحميدة ما اجتمع فى امة قال مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار قال قتادة ليس من اهل دين الا يتولونه ويرضونه (قانتا لله) مطيعا وقيل قائما بأوامر الله تعالى (حنيفا) مستقيما على دين الاسلام وقيل مخلصا (ولم يك من المشركين شاكرا لانعمه اجتباه) اختاره (وهداه الى صراط مستقيم) اى الى دين الحق (واتيناه فى الدنيا حسنة) يعنى الرسالة والخلة وقيل لسان الصدق والثناء الحسن وقال مقاتل بن حيان يعنى الصلاة عليه فى قول هذه الامة اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وال ابراهيم وقيل اولادا ابرارا على الكبر وقيل القبول العام فى جميع الامم (وانه فى الاخرة لمن الصالحين) مع ابائه الصالحين فى الجنة وفى الاية تقديم وتأخير مجازه واتيناه فى الدنيا والاخرة حسنة وانه لمن الصالحين

فقال تعالى (متاع قليل) يعنى متاعهم فى الدنيا متاع قليل فانه لا بقاء له (ولهم عذاب اليم) يعنى فى الاخرة (وعلى الذين هادوا) يعنى اليهود (حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) يعنى ما سبق ذكره وبيانه فى سورة الأنعام وهو قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الاية (وما ظلمناهم) يعنى بتحريم ذلك عليهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يعنى إنما حرمنا عليهم ما حرمنا بسبب بغيهم وظلمهم أنفسهم ونظيره قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم * وقوله تعالى (ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة) المقصود من هذه الاية بيان فضل الله وكرمه وسعة مغفرته ورحمته لأن السوء لفظ جامع لكل فعل قبيح فيدخل تحته الكفر وسائر المعاصى وكل ما لا ينبغى وكل من عمل السوء فانما يفعله بالجهالة لأن العاقل لا يرضى بفعل القبيح فمن صدر عنه فعل قبيل من كفر أو معصية فانما يصدر عنه بسبب جهله أما الجهلة بقدر ما يترتب عليه من العقاب او الجهلة بقدر من يعصيه فثبت بهذا إن فعل السوء إنما يفعل بجهالة ثم أن الله تعالى وعد من عمل سوأ بجهالة ثم تاب وأصلح العمل فى المستقبل أن يتوب عليه ويرحمه وهو قوله تعالى (ثم تابوا من بعد ذلك) يعنى من بعد عمل ذلك السوء (وأصلحوا) يعنى أصلحوا العمل فى المستقبل وقيل معنى الاصلاح الاستقامة على التوبة (إن ربك من بعدها) يعنى من بعد عمل السوء بالجهالة والتوبة منه (لغفور) يعنى لمن تاب وآمن (رحيم) يعنى بجميع المؤمنين والتائبين * قوله سبحانه وتعالى (إن إبراهيم كان أمة) حكى ابن الجوزى عن ابن الأنبارى أنه قال هذا مثل قول العرب فلان رحمة وفلان علامة ونسابة يقصدون بهذا التأنيث قصد التناهى فى المعنى الذى يصفونه به والعرب توقع الأسماء المبهمة على الجماعة وعلى الواحد كقوله تبارك وتعالى فنادته الملائكة وإنما ناداه جبريل وحده وإنما سمى إبراهيم صلى الله عليه وسلم امة لانه اجتمع فيه من صفات الكمال وصفات الخير والأخلاق الحميدة ما اجتمع فى أمة ومنه قول الشاعر

ليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم فى واحد

ثم للمفسرين فى معنى هذه اللفظة أقوال أحدها قول ابن مسعود الامة معلم الخير يعنى أنه كان معلما للخير يأتم به أهل الدنيا الثانى قال مجاهد انه كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار فلهذا المعنى كان أمة واحدة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فى زيد بن عمرو بن نفيل يبعثه الله أمة وحده وإنما قال فيه هذه المقالة لانه كان قد فارق الجاهلية وما كانوا عليه من عبادة الاصنام الثالث قال قتادة ليس من أهل دين إلا وهم يتولونه ويرضونه وقيل الامة فعلة بمعنى مفعولة وهو الذى يؤتم به * وكان إبراهيم عليه السلام إماما يقتدى به دليل قوله سبحانه وتعالى انى جاعلك للناس إماما وقيل إنه عليه السلام هو السبب الذى لاجله جعلت أمته ومن تبعه ممتازين عمن سواهم بالتوحيد لله والدين الحق وهو من باب إطلاق المسبب على السبب وقيل إنما سمى إبراهيم عليه السلام أمة لانه قام مقام أمة فى عبادة الله (قانتا لله) يعنى مطيعا لله وقيل هو القائم بأوامر الله (حنيفا) مسلما يعنى مقيما على دين الاسلام لا يميل عنه ولا يزول وهو أول من اختتن وضحى واقام مناسك الحج (ولم يك من المشركين) يعنى انه عليه السلام كان من الموحدين المخصين من صغره إلى كبره (شاكرا لانعمه) يعنى أنه كان شاكرا لله على أنعمه التى أنعم بها عليه (اجتباه) أى اختاره لنبوته واصطفاه لخلته (وهداه إلى صراط مستقيم) يعنى هداه إلى دين الاسلام لانه الصراط المستقيم والدين القويم (واتيناه فى الدنيا حسنة) يعنى الرسالة والخلة وقيل هى لسان الصدق والثناء الحسن والقبول العام فى جميع الامم فان الله حببه الى جميع خلقه فكل أهل الاديان يتولونه المسلمون واليهود والنصارى ومشركو العرب وغيرهم وقيل هو قول المصلى فى التشهد اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم أنه اتاه اولاد ابرارا على الكبر (وانه فى الاخرة لمن الصالحين) يعنى فى اعلى مقامات الصالحين فى الجنة وقيل معناه وانه فى الاخرة لمع الصالحين يعنى الانبياء فى الجنة فتكون من بمعنى مع ولما وصف الله عز وجل ابراهيم عليه السلام بهذه الصفات الشريفة العالية امر الله سبحانه وتعالى

ثم أوحينا اليك) يا محمد (أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا) حاجا مسلما (وما كان من المشركين) وقال أهل الأصول كان النبي ﷺ مأمورا بشريعة إبراهيم إلا ما نسخ في شريعته وما لم ينسخ صار شرعا قوله تعالى (إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) أي خالفوا فيه قيل معناه إنما جعل السبت لعنة على الذين اختلفوا فيه وقيل معناه ما فرض الله تعظيم السبت وتحريمه إلا على الذين اختلفوا فيه يعني

وتعالى نبيه محمد ﷺ باتباعه فقال تعالى (ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم) يعني دينه وما كان عليه من الشريعة والتوحيد قال اهل الأصول كان النبي ﷺ مأمورا بشريعة إبراهيم إلا ما نسخ منها وما لم ينسخ صار شرعا وقال أبو جعفر الطبري أمره باتباعه في التبري من الأوثان والتدين بدين الاسلام وهو قوله (حنيفا) مسلما (وما كان من المشركين) تقدم تفسيره وقوله تعالى إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) يعني إنما فرض تعظيم السبت على الذين اختلفوا فيه وهم اليهود روى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس قال أمرهم موسى بتعظيم يوم الجمعة فقال تفرغوا لله في كل سبعة أيام يوما فاعبدوه في يوم الجمعة ولا تعملوا فيه شيئا من صنعتكم وستة أيام لصنعتكم فأبوا عليه وقالوا لا نريد إلا اليوم الذي فرغ الله فيه من الخلق وهو يوم السبت فجعل ذلك اليوم عليهم وشدد عليهم فيه ثم جاءهم عيسى عليه السلام أيضا بيوم الجمعة فقالت النصارى لا نريد أن يكون عيدهم بعد عيدنا يعنون اليهود فاتخذوا الاحد فأعطى الله عز وجل الجمعة لهذه الأمة فقبلوها فبورك لهم فيها (ق) عن ابي هريرة عن رسول الله ﷺ قال نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا فاختلفوا فيه وأوتيناه من بعدهم فهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فهم لنا فيه تبع فغدا لليهود وبعد غد للنصارى وفي رواية لمسلم نحن الاخرون الأولون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة وفي رواية أخرى له قال أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الاحد فجاء الله بنا فهدانا لليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم لنا تبع يوم القيامة نحن الاخرون في الدنيا الاولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق قال الشيخ محيي الدين النووي في شرح المسلم قال العلماء في هذا الحديث نحن الاخرون في الزمان والوجود السابقون في الفضل ودخول الجنة فتدخل هذه الامة الجنة قبل سائر الامم وقوله بيد أنهم يعني غير انهم أو إلا انهم وقوله فهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له قال القاضي عياض الظاهر انه فرض عليهم تعظيم يوم الجمعة بغير تعين ووكل إلى اجتهادهم لاقامة شرائعهم فيه فاختلف احبارهم في تعيينه ولم يهدهم الله له وفرضه على هذه الامة مبينا ولم يكلهم إلى اجتهادهم ففازوا بفضيلته قال يعني القاضي عياضا وقد جاء أن موسى عليه السلام أمرهم بيوم الجمعة وأعلمهم بفضله فناظروه أن السبت أفضل فقيل له دعهم قال القاضي ولو كان منصوصا عليه لم يصلح اختلافهم فيه بل كان يقول خالفوا فيه قال الشيخ محيي الدين النووي ويمكن أن يكونوا أمروا به صريحا ونص على عينه فاختلفوا فيه هل يلزم تعيينه أم لهم إبداله فأبدلوه وغلطوا في إبداله قال الامام فخر الدين الرازي في قوله تعالى على الذين اختلفوا فيه يعني على نبيهم موسى حيث أمرهم بالجمعة فاختاروا السبت فاختلافهم في السبت كان اختلافا على نبيهم في ذلك اليوم أي لأجله وليس معنى قوله اختلفوا فيه ان اليهود اختلفوا فمنهم من قال بالسبت ومنهم من لم يقل به لان اليهود اتفقوا على ذلك وزاد الواحدي على هذا فقال وهذا مما اشكل على كثير من المفسرين حتى قال بعضهم يعني الاختلاف في السبت أن بعضهم قال هو أعظم الايام حرمة لان الله فرغ فيه من خلق الاشياء وقال الاخرون بل الاحد أفضل لان الله سبحانه وتعالى ابتدأ فيه بخلق الاشياء وهذا غلط لان اليهود لم يكونوا فريقين في السبت وإنما اختار الاحد النصارى بعدهم بزمان طويل * فان قلت ان اليهود إنما اختاروا السبت لان اهل الملل اتفقوا على ان خلق الخلق في ستة ايام وبدأ بالخلق والتكوين في يوم الاحد وتم الخلق يوم الجمعة وكان يوم السبت يوم فراغ فقالت اليهود نحن نوافق ربنا في ترك العمل في هذا

اليهود فقال قوم هو أعظم الأيام لأن الله تعالى فرغ من خلق الأشياء يوم الجمعة ثم سبت يوم السبت وقال قوم بل أعظم الأيام يوم الأحد لأن الله تعالى ابتدأ فيه خلق الأشياء فاختاروا تعظيم غير ما فرض الله عليهم وقد افترض عليهم تعظيم يوم الجمعة قال الكلبي أمرهم موسى بالجمعة فقال تفرغوا لله في كل سبعة أيام يوما فاعبدوه يوم الجمعة ولا تعملوا فيه لصنيعكم وستة أيام لصناعتكم فأبوا وقالوا لا نريد إلا اليوم الذي فرغ الله فيه من الخلق السبت لجعل ذلك اليوم عليهم وشدد عليهم فيه ثم جاءهم عيسى عليه السلام بيوم الجمعة فقالوا لا نريد أن يكون عيدهم بعد عيدنا يعنون اليهود فاتخذوا الأحد فأعطى الله الجمعة هذه الامة فقبلوها وبورك لهم فيها أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي أنا ابو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي ثنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان ثنا احمد بن يوسف السلمي أنبأنا عبد الرزاق أنا معمر عن همام بن منبه قال ثنا ابو هريرة عن محمد رسول الله ﷺ قال نحن الاخرون السابقون يوم القيامة بيد انهم اتوا الكتاب من قبلنا واوتيناه من بعدهم ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم يعني يوم الجمعة فاختلفوا فيه فهدانا الله له والناس لنا فيه تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد قال الله تعالى إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه قال قتادة الذين اختلفوا فيه هم اليهود استحله بعضهم وحرمه بعضهم

(وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ادع إلى سبيل ربك بالحكمة) بالقرآن (والموعظة الحسنة) يعنى مواعظ القرآن وقيل الموعظة الحسنة هى الدعاء إلى الله بالترغيب والترهيب وقيل هو قول اللين الرقيق من غير تغليظ ولا تعنيف (وجادلهم بالتى هى أحسن) وخاصمهم وناظرهم بالخصومة التى هى أحسن أى أى اعرض عن أذاهم وتقصر فى تبليغ الرسالة والدعاء إلى الحق نسختها آية القتال (وإن ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) هذه الايات نزلت بالمدينة فى شهداء احد وذلك ان المسلمين لما راوا ما فعل المشركون بقتلاهم يوم أحد من تبقير البطون والمثلة السيئة حتى لم يبق احد من قتلى المسلمين إلا مثل به غير حنظلة بن الراهب فان أباه أبا عامر الراهب كان مع ابى سفيان فتركوا حنظلة لذلك فقال المسلمون حين راوا ذلك لئن اظهرنا الله عليهم لنزيدن على صنيعهم ولنمثلن بهم مثله لم يفعلها احد من العرب بأحد فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمه حمزة بن عبد المطلب وقد جدعوا انفه واذنه وقطعوا مذاكيره وبقروا بطنه واخذت هند بنت عتبة قطعة من كبده فمضغتها ثم استرطبتها لتأكلها فلم تلبث فى بطنها حتى رمت بها فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال اما انها لو اكلتها لم تدخل النار ابدا ان حمزة اكرم يدخل على الله تعالى من ان شيئا من جسده النار فلما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حمزة نظر الى شىء لم ينظر الى شىء قط كان أوجع لقبه منه فقال النبى ﷺ رحمة الله عليك أبا السائب فانك ما علمتك إلا فعالا للخيرات وصولا للرحم ولولا احزن من بعدك عليك لسرنى أن أدعك حتى تحشر من أفواج شتى أما والله لئن أظفرنى الله بهم لأمثلن بسبعين منهم مكانك فأنزل الله تعالى وإن عاقبتم فعاقبوا الاية

اليوم فاختاروا السبت لهذا المعنى وقالت النصارى إنما بدأ بخلق الأشياء فى يوم الأحد فنحن نجعل هذا اليوم عيدا لنا وهذان الوجهان معقولان فاوجه فضل يوم الجمعة حتى جعله أهل الاسلام عيدا * قلت يوم الجمعة أفضل الايام لان كمال الخلق وتمامه كان فيه وحصول التمام والكمال يوجب الفرح والسرور فجعل يوم الجمعة عيدا بهذا الوجه وهو أولى ووجه آخر وهو أن الله عز وجل خلق فيه أشرف خلقه وهو آدم عليه السلام وهو ابو البشر وفيه تاب عليه فكان يوم الجمعة أشرف الايام لهذا السبب ولان الله سبحانه وتعالى اختار يوم الجمعة لهذه الامة وادخره لهم ولم يختاروا لانفسهم شيئا وكان ما اختاره الله لهم افضل مما اختاره غيرهم لانفسهم وقال بعض العلماء بعث الله موسى بتعظيم يوم السبت ثم نسخ بيوم الاحد فى شريعة عيسى عليه السلام ثم نسخ يوم السبت ويوم الاحد بيوم الجمعة فى شريعة محمد ﷺ فكان افضل الايام يوم الجمعة كما ان محمدا ﷺ افضل الانبياء وفى معنى الاية قول اخر قال قتادة الذين اختلفوا فيه اليهود استحله بعضهم وحرمه بعضهم فعلى هذا القول يكون معنى قوله إنما جعل السبت أى وبال السبت ولعنته على الذين اختلفوا فيه وهم اليهود فاحله بعضهم فاصطادوا فيه فلعنوا ومسخوا قردة وخنازير فى زمن داود عليه السلام وقد تقدمت القصة فى تفسير سورة الاعراف وبعضهم ثبت على تحريمه فلم يصطد فيه شيئا وهم الناهقون والقول الاول اقرب إلى الصحة * وقوله تعالى (وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) يعنى فى أمر السبت فيحكم الله بينهم يوم القيامة فيجازى المحقين بالثواب والمبطلين بالعقاب * قوله عز وجل (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) يعنى ادع إلى دين ربك يا محمد وهو دين الاسلام بالحكمة يعنى بالمقالة المحكمة الصحيحة وهى الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة يعنى وادعهم إلى الله بالترغيب والترهيب وهو انه لا يخفى عليهم انك تناصحهم وتقصد ما ينفعهو (وجادلهم بالتى هى أحسن) يعنى بالطريقة التى هى أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف وقيل ان الناس اختلفوا وجعلوا ثلاثة اقسام القسم الاول هم العلماء الكاملون اصحاب العقول الصحيحة والبصائر الثاقبة الذين يطلبون معرفة الاشياء على حقائقها فهؤلاء المشار إليهم بقوله ادع إلى سبيل ربك بالحكمة يعنى ادعهم بالدلائل القطعية اليقينية حتى يعلموا الاشياء بحقائقها حتى ينتفعوا وينفعوا الناس وهم خواص العلماء من الصحابة وغيرهم القسم الثانى هم اصحاب الفطرة السليمة والخلقة الاصلية وهم غالب الناس الذين لم يبلغوا احدا الكمال ولم ينزلوا إلى حضيض النقصان فهم اوساط الاقسام وهم المشار إليهم بقوله والموعظة الحسنة اى ادع هؤلاء بالموعظة الحسنة القسم الثالث هم اصحاب جدال وخصام ومعاندة وهؤلاء المشار إليهم بقوله وجادلهم بالتى هى احسن حتى ينقادوا إلى الحق ويرجعوا إليه وقيل المراد بالحكمة القرآن يعنى ادعهم بالقرآن الذى هو حكمة وموعظة حسنة وقيل المراد بالحكمة النبوة اى ادعهم بالنبوة والرسالة والمراد بالموعظة الحسنة الرفق واللين فى الدعوة وجادلهم بالتى هى احسن اى اعرض عن اذاهم ولا تقصر فى تبليغ الرسالة والدعاء إلى الحق فعلى هذا القول قال بعض علماء التفسير هذا منسوخ بآية السيف (إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين) يعنى إنما عليك يا محمد تبليغ ما ارسلت به اليهم ودعاؤهم بهذه الطرق الثلاثة وهو اعلم بالفريقين الضال والمهتدى فيجازى كل عامل بعمله * قوله سبحانه وتعالى (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) نزلت هذه الاية بالمدينة فى سبب شهداء احد وذلك ان المسلمين لما راوا ما فعل المشركون بقتلى المسلمين يوم احد من تبقير البطون والمثلة السيئة

السيئة حتى لم يبق أحد من قتلى المسلمين إلا مثل به غير حنظلة بن أبي عامر الراهب وذلك أن أباه أبا عامر الراهب كان مع أبي سفيان فتركوا حنظلة لذلك فقال المسلمون حين رأوا ذلك لئن أظهرنا الله عليهم لنربين على صنيعهم ولنمثلن بهم مثلة لم يفعلها أحد من العرب بأحد ووقف رسول الله ﷺ على عمه حمزة بن عبد المطلب وقد جدعوا أنفه وأذانه وقطعوا مذاكيره وبقروا بطنه وأخذت هند بنت عتبة قطعة من كبده فمضغتها ثم استرطبتها لتأكلها فلم تتزل في بطنها حتى رمت بها فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال أما أنها لو أكلتها لم تدخل النار أبدا حمزة أكرم على الله من أن يدخل شيئا من جسده النار فلما نظر رسول الله ﷺ إلى عمه حمزة نظر إلى شيء لم ينظر إلى شيء قط كان أوجع لقلبه منه فقال رسول الله ﷺ رحمة الله عليك فانك ما علمتنا ما كنت إلا فعالا للخيرات وصولا للرحم ولو لا حزن من بعدك عليك لسرني أن ادعك حتى تحشر من افواج شتى اما والله لئن أظفرني الله بهم لامثلن بسبعين منهم مكانك فانزل الله عز وجل وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به الآية فقال رسول الله ﷺ بل نصبر ونمسك عما أراد وكفر عن يمينه عن أبي بن كعب قال لما كان يوم أحد أصيب من الأنصار أربعة وستون رجلا ومن المهاجرين ستة منهم حمزة فمثلوا بهم فقالت الأنصار لئن أصبنا يوما مثل هذا لنربين عليهم قال فلما كان يوم فتح مكة انزل الله عز وجل وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين فقال رجل لا قريش بعد اليوم فقال رسول الله ﷺ كفوا عن القوم إلا أربعة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وأما تفسير الاية فقوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به سمى الفعل الأول باسم الثاني للمزاوجة في الكلام والمعنى ان صنع بكم سوء من قتل أو مثلة ونحوها فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه فهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها أمر الله برعاية العدل والانصاف في هذه الآية في باب استيفاء الحقوق يعني ان رغبتم في استيفاء القصاص فاقتصوا بالمثل ولا تزيدوا عليه فان استيفاء الزيادة ظلم والظلم ممنوع منه في عدل الله وشرعه ورحمته وفي الآية دليل على أن الأولى ترك استيفاء القصاص وذلك بطريق الاشارة والرمز والتعريض بأن الترك أولى فان كان لا بد من استيفاء القصاص فيكون من غير زيادة عليه بل يجب مراعاة المماثلة ثم انتقل من طريق الاشارة إلى طريق التصريح فقال تعالى (ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) يعني ولئن عفوتم وتركتم استيفاء القصاص وصبرتم كان ذلك العفو والصبر خيرا من استيفاء القصاص وفيه أجر للصابرين والعافين

(فصل) اختلف العلماء هل هذه الآية منسوخة أم لا على قولين أحدهما أنها نزلت قبل براءة فأمر النبي ﷺ أن يقاتل من قاتله ولا يبدأ بالقتال ثم نسخ ذلك وأمر بالجهاد وهذا قول ابن عباس والضحاك فعلى هذا يكون معنى قوله ولئن صبرتم عن القتال فلما أعز الله الاسلام وكثر أهله أمر الله رسوله ﷺ بالجهاد ونسخ هذا بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الاية القول الثاني انها احكمت وأنها نزلت فيمن ظلم ظلامة فلا يحل له أن ينال من ظالمه أكثر مما نال منه الظالم وهذا قول مجاهد والشعبي والنخعي وابن سيرين والنووي قال بعضهم الأصح انها محكمة لأن الآية واردة في تعليم حسن الأدب في كيفية استيفاء الحقوق وفي القصاص وترك التعدي وهو طلب الزيادة وهذه الأشياء لا تكون منسوخة فلا تعلق لها بالنسخ والله أعلم * قوله عز وجل (واصبر وما صبرك إلا بالله) الخطاب لرسول الله ﷺ أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر واعلمه أن صبره بتوفيقه ومعونته (ولا تحزن عليهم) يعني على الكافرين وإعراضهم عنك وقيل معنى الآية ولا تحزن على قتلى أحد وما فعل بهم فانهم أفضوا إلى رحمة الله ورضوانه (ولا تك في ضيق مما يمكرون) يعني ولا يضيقن صدرك يا محمد بسبب مكرهم فان الله كافيك وناصرك عليهم قرىء في ضيق بفتح الصاد وكسرها فقيل لغتان وقال أبو عمرو الضيق بالفتح الهم وبالكسر الشدة وقال أبو عبيد بالكسر في قلة المعاش وفي المسكن وإذا ما كان في القلب والصدر فانه بالفتح وقال القتيبي الضيق تخفيف ضيق مثل هين وهين ولين ولين فعلى هذا يكون صفة كأنه قال سبحانه وتعالى ولا تك في أمر ضيق من مكرهم

(ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) أي ولئن عفوتم لهو خير للعافين فقال النبي ﷺ بل نصبر ونمسك عما أراد وكفر عن يمينه قال ابن عباس والضحاك كان هذا قبل نزول براءة حين أمر النبي ﷺ بقتال من قاتله ومنع من الابتداء بالقتال فلما أعز الاسلام وأهله نزلت براءة وأمروا بالجهاد ونسخت هذه الآية قال النخعي والثوري ومجاهد وابن سيرين الآية محكمة نزلت في من ظلم بظلامة فلا يحل له أن ينال من ظالمه أكثر مما نال الظالم منه أمر بالجزاء والعفو ومنع من الاعتداء ثم قال لنبيه ﷺ (واصبر وما صبرك إلا بالله) أي بمعونة الله وتوفيقه (ولا تحزن عليهم) في اعراضهم عنك (ولا تك في ضيق مما يمكرون) أي مما فعلوا من الأفاعيل قرأ ابن كثير ههنا وفي النمل ضيق بكسر الضاد وقرأ الآخرون بفتح الضاد قال أهل الكوفة هما لغتان مثل رطل ورطل وقال أبو عمر الضيق بالفتح الغم وبالكسر الشدة وقال أبو عبيدة الضيق بالكسر في قلة المعاش وفي المساكن فأما ما كان في القلب والصدر فانه بالفتح وقال

ابن قتيبة الضيق تخفيف ضيق مثل هين وهين ولين ولين فعلى هذا هو صفة كأنه قال ولا تكن في أمر ضيق من مكرهم

قال الإمام فخر الدين الرازى هذا الكلام من المقلوب لأن الضيق صفة والصفة تكون حاصلة فى الموصوف ولا يكون الموصوف حاصلا فى الصفة فكان المعنى فلا يكون الضيق حاصلا فيك إلا أن الفائدة فى قوله ولا تك فى ضيق هى ان الضيق إذا عظم وقوى صار كالشىء المحيط بالانسان من كل جانب كالقميص المحيط به فكانت الفائدة فى ذكر هذا اللفظ بهذا المعنى (إن الله مع الذين اتقوا) أى اتقوا المثلة والزيادة فى القصاص وسائر المناهى (والذين هم محسنون) يعنى بالعفو عن الجانى وهذه المعية بالعون والفضل والرحمة يعنى إن اردت أيها الإنسان أن اكون معك بالعون والفضل والرحمة فكن من المتقين المحسنين وفى هذا إشارة إلى التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله قال بعض المشايخ كمال الطريق صدق مع الحق وخلق مع الخلق وكمال الإنسان أن يعرف الحق لذاته والخير لأجل أن يعمل به وقيل لهرم بن حيان عند الموت أوص فقال إنما الوصية فى المال ولا مال لى ولكنى أوصيك بخواتيم سورة النحل والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة الإسراء ﴾

﴿فصل فى نزولها﴾ قال ابن الجوزى هى مكية فى قول الجماعة إلا أن بعضهم يقول فيها مدنى فروى عن ابن عباس أنه قال هى مكية إلا ثمن آيات من قوله سبحانه وتعالى وان كادوا ليفتنونك إلى قوله نصيرا وهذا قول قتادة وقال مقاتل فيها من المدنى وقل رب ادخلنى مدخل صدق الآية وقوله تعالى إن الذين أوتوا العلم من قبله وقوله إن ربك احاط بالناس وقوله تعالى وان كادوا ليفتنونك وقوله تعالى ولولا أن ثبتناك والتى تليها وهى مائة وعشر آيات وقيل وإحدى عشرة آية وخمسمائة وثلاث وثلاثون كلمة وثلاثة آلاف وأربعمائة وستون حرفا (بسم الله الرحمن الرحيم) ۞ قوله عز وجل (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا) روى ابن الجوزى عن النبى ﷺ انه سئل عن تفسير سبحان الله فقال تنزيه الله عن كل شىء هكذا ذكره بغير سند وقال النحويون سبحان اسم علم على التسبيح يقال سبحت الله تسبيحا فالتسبيح هو المصدر وسبحان الله علم للتسبيح وتفسير سبحان الله تنزيه الله عن كل سوء ونقيصة وأصله فى اللغة التباعد فمعنى سبحان الله بعده ونزاهته عن كل ما لا ينبغى الذى أسرى يقال سرى به وأسرى به لغتان بعبده أجمع المفسرون والعلماء والمتكلمون أن المراد به محمد ﷺ لم يختلف أحد من الأمة فى ذلك وقوله بعبده اضافة تشريف وتعظيم وتبجيل وتفخيم وتكريم ومنه قول بعضهم.

لا تدعنى إلا بيا عبدها * فانه أشرف أسمائى

قيل لما بلغ رسول الله ﷺ إلى الدرجات العالية والرتب الرفيعة ليلة المعراج أوحى الله عز وجل إليه يا محمد بم شرفتك قال رب حيث نسبتنى إلى نفسك بالعبودية فانزل الله سبحانه وتعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا ۞ فان قلت الإسراء لا يكون إلا بالليل فما معنى ذكر الليل * قلت أراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الإسراء وأنه أسرى به فى بعض ليلة من مكة إلى الشام مسيرة شهر أو أكثر فدل تنكير الليل على البعضية (من المسجد الحرام) قيل كان الإسراء من نفس مسجد مكة وفى حديث مالك بن صعصعة أن رسول الله ﷺ قال بينا انا فى المسجد الحرام فى الحجر وذكر حديث المعراج وسيأتى بكماله فيما بعد وقيل عرج به من دار أم هانىء بنت أبى طالب وهى بنت عمه أخت على رضى الله تعالى عنه فعلى هذا أراد بالمسجد الحرام الحرم (إلى المسجد الأقصى) يعنى إلى بيت المقدس سمى أقصى لبعده عن المسجد الحرام أو لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد (الذى باركنا حوله) يعنى بالأنهار والأشجار والثمار وقيل سماه مباركا لأنه مقر الأنبياء ومهبط الملائكة والوحى وقبلة الأنبياء قبل نبينا محمد ﷺ وإليه تحشر الخلق يوم القيامة * فان قلت ظاهر الآية يدل على أن الإسراء كان إلى بيت المقدس والأحاديث الصحيحة تدل على أنه عرج به إلى السماء فكيف الجمع بين الدليلين وما فائدة ذكر المسجد الأقصى فقط * قلت قد كان الإسراء على ظهر البراق إلى المسجد الأقصى ومنه كان عروجه إلى السماء على المعراج فائدة ذكر المسجد الأقصى فقط انه صلى الله عليه وسلم لو أخبر بصعوده

ماتة وإحدى عشرة آية (بسم الله الرحمن الرحيم) (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا) سبحان الله تنزه الله تعالى من كل سوء ووصف بالبراءة من كل نقص على طريق المبالغة وتكون سبحان بمعنى التعجب أسرى بعبده أى سيره وكذلك سرى به والعبد هو محمد ﷺ (من المسجد الحرام) قيل كان الاسراء من مسجد مكة روى قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة أن رسول الله ﷺ قال بينا أنا فى المسجد الحرام فى الحجر بين النائم واليقظان إذ أتانى جبريل بالبراق فذكر حديث المعراج وقال قوم عرج به من دار أم هانىء بنت أبى طالب ومعنى قوله من المسجد الحرام أى من الحرم قال مقاتل كانت ليلة الإسراء قبل الهجرة بسنة ويقال كان فى رجب وقيل كان فى رمضان (إلى المسجد الأقصى) يعنى بيت المقدس وسمى أقصى لأنه أبعد المساجد التى تزار وقيل لبعده من المسجد الحرام (الذى باركنا حوله) بالأنهار والأشجار والثمار وقال مجاهد سماه مباركا لأنه مقر الأنبياء ومهبط الملائكة والوحى وفيه الصخرة ومنه يحشر الناس يوم القيامة

(لنريه من آياتنا) من عجائب قدرتنا وقد رأى هناك الأنبياء والآيات الكبرى (إنه السميع البصير) ذكر السميع لينبه على أنه المجيب لدعائه وذكر البصير لينبه على أنه الحافظ له في ظلمة الليل وروى عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول ما فقد جسد النبي ﷺ ولكن الله أسرى بروحه والأكثرون على أنه أسرى بجسده في اليقظة وتواترت الأخبار الصحيحة على ذلك اخبرنا ابو عمر وعبد

إلى السماء أولا لاشتداد انكارهم لذلك فلما أخبر أنه أسرى به إلى البيت المقدس وبان لهم صدقه فيما أخبر به من العلامات التي فيه وصدقوه عليها أخبر بعد ذلك بعروجه إلى السماء فجعل الاسراء إلى المسجد الأقصى كالتوطئة لمعراجه إلى السماء * وقوله تعالى (لنريه من آياتنا) يعني من عجائب قدرتنا فقد رأى محمد ﷺ في تلك الليلة الانبياء وصلى بهم ورأى الايات العظام * فان قلت لفظه من قوله من آياتنا تقتضي التبعيض وقال في حق ابراهيم عليه السلام وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وظاهر هذا يدل على فضيلة ابراهيم عليه السلام على محمد ﷺ ولا قائل به فما وجهه * قلت ملكوت السموات والأرض من بعض آيات الله أيضا ولايات الله أفضل من ذلك وأكثر والذي أراه محمداً صلى الله عليه وسلم من آياته وعجائبه تلك الليلة كان أفضل من ملكوت السموات والأرض فظهر بهذا البيان فضل محمد ﷺ على ابراهيم عليه السلام (إنه هو السميع) لأقواله ودعائه (البصير) لأفعاله الحافظ له في ظلمة الليل وقت إسرائه وقيل إنه هو السميع لما قالت له قريش حين اخبرهم بمسراه إلى بيت المقدس البصير بما ردوا عليه من التكذيب وقيل إنه هو السميع لأقوال جميع خلقه البصير بأفعالهم فيجازي كل عامل بعمله وحمله على العموم أولى ﴿فصل﴾ في ذكر حديث المعراج وما يتعلق به من الأحكام وما قال العلماء فيه (ق) حدثنا قتادة عن أنس بن مالك بن صعصعة أن نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسرى به قال بينما أنا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجعا ومنهم من قال بين النائم واليقظان إذ أتاني ات فقد قال وسمعته يقول فشق ما بين هذه إلى هذه فقلت للجارود وهو إلى جنبي ما يعني به قال من ثغرة نحره إلى شعرته وسمعته يقول من قصته إلى شعرته فاستخرج قلبي ثم اتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانا فغسل قلبي ثم حشي ثم إعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار الابيض فقال له الجارود هو البراق يا اباحمزة قال أنس نعم يضع خطوه عند أقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل عليه السلام حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فاذا فيها آدم فقال هذا أبوك ادم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فاذا بيحيى وعيسى وهما ابن الخالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالا مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه من قبل نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت إذا يوسف قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فاذا ادريس قال هذا إدريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل إليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا هارون قال هذا هارون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى اتى السماء السادسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قال مرحبا فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال

الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو حامد أحمد بن عبد الله النعيمي أنا أبو عبد الله محمد ابن يوسف الفربري ثنا أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري ثنا هدبة بن خالد ثنا همام بن يحيى ثنا قتادة ثنا قال البخاري وقال لي خليفة العصفري ثنا يزيد ابن زريع ثنا سعيد بن هشام قال ثنا قتادة ثنا أنس ابن مالك عن مالك بن صعصعة أن نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسرى به ثنا قال البخاري ثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن أنس بن مالك قال كان أبو ذر يحدث الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حدثنا وأخبرنا أبو سعيد اسماعيل ابن عبد القاهر أنا أبو الحسين عبد الغفار بن محمد الفارسي أنا أبو أحمد محمد ابن عيسى الجلودي ثنا أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا أبو الحسين مسلم ابن الحجاج ثنا شيبان بن فروخ ثنا حماد بن سلمة ثنا ثابت البناني عن أنس ابن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دخل حديث بعضهم في

 بعض قال أبو ذر ان رسول الله ﷺ قال فرج عني سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطشت من ذهب ممتلىء حكمة وإيمانا فافرغه في صدري ثم اطبقه وقال مالك بن صعصعة أن نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسرى به قال بينما أنا في الحطيم وربما قال في الحجر بين النائم واليقظان وذكر بين رجلين فأتيت بطست

من ذهب علوه حكمة وإيمانا فشق من النحر إلى مراق البطن واستخرج قلبي فغسل ثم ملئ وقيل حشي ثم اعيد وقال سعيد وهشام ثم غسل البطن بماء مزم ثم ملئ إيمانا وحكمة ثم اتيت بالبراق وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل يقع حافره عند منتهى طرفه فركبته فانطلقت مع جبريل حتى أتيت بيت المقدس قال (١٠٦) فربطته بالحلقة التي تربط بها الأنبياء قال ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت

فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح الباب فلما خلصت فاذا فيها آدم فقال لي هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح وفي حديث ابي ذر علونا السماء الدنيا فاذا رجل قاعد عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة اذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قلت لجبريل من هذا قال هذا أبوك آدم وهذه الأسودة التي عن يمينه وشماله نسم بنيه فاهل اليمين منهم اهل الجنة والأسودة التي عن شماله اهل النار فاذا نظر عن يمينه ضحك وإذا نظر عن قبل شماله بكى ثم صعد حتى السماء الثانية فاستفتح قيل من هذا قال جبريل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت إذا بيحيى بن زكريا وعيسى عليهما السلام وهما ابنا خالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم فردا علي السلام ثم قالا مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فاذا يوسف وإذا هو قد أعطي شطر الحسن قال هذا يوسف فسلم عليه

مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح فلما تجاوزت بكى قيل له ما يبكيك قال أبكي لأن غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا ابراهيم قال هذا أبوك إبراهيم فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر وإذا اوراقها مثل اذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى فاذا أربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ماهذان ياجبريل قال اما الباطنان فنهران في الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع لي البيت المعمور ثم أتيت باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل فاخذت اللبن فقال هي الفطرة انت عليها وامتك ثم فرضت علي الصلوات خمسين صلاة كل يوم فرجعت فمررت على موسى فقال بم امرت قلت امرت بخمسين صلاة كل يوم قال ان امتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم واني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فامرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فامرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال بم أمرت قلت أمرت بخمس صلوات كل يوم قال إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم واني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك قال سألت ربي حتى استحييت ولكن ارضى واسلم قال فلما جاوزت نادى منادي امضيت فريضتي وخففت عن عبادي زاد في رواية أخرى وأجزي بالحسنة عشرا وفي رواية أخرى بينا انا عند البيت بين النائم واليقظان وفيه ثم غسل البطن بماء زمزم ثم ملئ إيمانا وحكمة وفيه فرفع لي البيت المعمور فسألت جبريل فقال هذا البيت يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا مرة أخرى (ق) عن أنس بن مالك قال كان أبو ذر يحدث إلى النبي ﷺ قال فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل فرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغها في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء فلما جئنا السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء الدنيا افتح قال من هذا قال هذا جبريل قيل هل معك أحد قال نعم معي محمد ﷺ قال فأرسل إليه قال نعم فافتح ففتح قال فلما علونا السماء الدنيا فاذا رجل عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة قال فاذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت ياجبريل من هذا قال هذا آدم وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فأهل اليمين أهل الجنة والأسودة التي عن شماله اهل النار فاذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى ثم عرج بي جبريل حتى اتى السماء الثانية فقال لخازنها افتح فقال له خازنها مثل ما قال خازن السماء الدنيا ففتح فقال أنس بن مالك فذكر أنه وجد في السموات آدم وإدريس وعيسى وموسى وإبراهيم ولم يثبت كيف منازلهم غير أنه قد ذكر أنه قد وجد آدم في السماء الدنيا وإبراهيم في السماء السادسة قال فلما مر جبريل ورسول الله بادريس قال مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح قال ثم مر فقلت من هذا قال هذا إدريس قال ثم مررت بموسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح قال فقلت من هذا قال هذا موسى قال ثم مررت بعيسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قلت من هذا قال هذا عيسى بن مريم قال ثم مررت بابراهيم فقال

فسلمت عليه فرد علي ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل وقيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فاذا إدريس قال هذا إدريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا هارون قال هذا هارون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فاذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قال فلما جاوزت بكى قيل له ما يبكيك قال أبكى لأن غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من امته اكثر ممن يدخلها من أمتي ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا ابراهيم قال هذا أبوك ابراهيم فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت من هذا قال ابراهيم قال ابن شهاب وأخبرني ابن حزم أن ابن عباس وابا حبة الأنصاري كان يقولان قال رسول الله ﷺ ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى اسمع فيه صريف الأقلام قال ابن حزم وانس بن مالك قال رسول الله ﷺ ففرض الله على أمتي خمسين صلاة قال فرجعت بذلك حتى مررت بموسى فقال موسى ماذا فرض ربك على أمتك قال قلت فرض عليهم خمسين صلاة قال لي موسى فراجع ربك فان أمتك لا تطيق ذلك قال فراجعت ربي فوضع شطرها قال فرجعت إلى موسى فاخبرته قال راجع ربك فان امتك لا تطيق ذلك قال فراجعت ربي فقال هي خمس وهن خمسون لا يبدل القول لدي قال فرجعت إلى موسى فقال راجع ربك فقلت قد استحييت من ربي قال ثم انطلق بي جبريل حتى اتى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي قال ثم ادخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك (ق) عن شريك ابن أبي نمر أنه سمع أنس بن مالك يقول ليلة أسرى برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة انه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى اليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم أيهم هو فقال أوسطهم هو خيرهم فقال آخرهم خذوا اخيرهم فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبريل فشق جبريل ما بين نحره إلى لبته حتى فرغ من صدره وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه ثم أتى بطست من ذهب فيه نور من ذهب محشوا ايمانا وحكمة فحشا به صدره ولغاديده يعني عروق حلقه ثم اطبقه ثم عرج به إلى السماء الدنيا فضرب بابا من ابوابها فناداه اهل السماء من هذا فقال جبريل قالوا ومن معك قال معي محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم قالوا مرحبا به وأهلا يستبشر به اهل السماء لا يعلم أهل السماء ما يريد الله به في الأرض حتى يعلمهم فوجد في السماء الدنيا آدم عليه السلام فقال له جبريل هذا أبوك آدم فسلم عليه ورد عليه السلام وقال مرحبا واهلا يا بني نعم الابن أنت فاذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان فقال ما هذان النهران يا جبريل قال هذان النيل والفرات عنصرهما ثم مضى به في السماء فاذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فضرب بيده فاذا هو مسك أذفر قال ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك ثم عرج إلى السماء الثانية فقالت الملائكة له مثل ما قالت له الأولى من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم قالوا مرحبا وأهلا ثم عرج به إلى السماء الثالثة وقالوا له مثل ما قالت الأولى والثانية ثم عرج به إلى الرابعة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به إلى السماء الخامسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به إلى السادسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به إلى السماء السابعة فقالوا له مثل ذلك كل سماء فيها انبياء قد سماهم فوعيت منهم ادريس في الثانية وهرون في الرابعة وآخر في الخامسة ولم أحفظ اسمه وابراهيم في السادسة وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله فقال موسى رب لم أظن ان يرفع علي احد ثم علاه فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى فكان منه قاب قوسين أو أدنى فاوحى الله فيما اوحى اليه خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة ثم هبط حتى بلغ موسى فاحتبسه موسى فقال يا محمد ماذا عهد اليك ربك قال عهد إلي خمسين صلاة كل يوم وليلة قال إن امتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم فالتفت النبي ﷺ إلى جبريل كانه يستشيره في ذلك فأشار اليه جبريل ان نعم ان شئت فعلا به إلى الجبار تعالى فقال وهو مكانه يا رب خفف عنا فان امتي لا تستطيع هذا فوضع عنه عشر صلوات ثم رجع إلى موسى فاحتبسه فلم يزل يرده موسى إلى ربه حتى صارت خمس صلوات ثم احتبسه موسى عند الخمس فقال يا محمد والله لقد راودت بني إسرائيل على دون هذا فتركوه فأمتك أضعف أجسادا وقلوبا وأبدانا وأبصارا وأسماعا فارجع فليخفف عنك ربك كل ما كره فقال يا موسى قد والله استحييت من ربي مما اختلفت إليه قال فاهبط باسم الله قال وجعلت في نومي فلما استيقظت وأنا عند الحجر سمعت قائلا يقول أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي (ق) عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يقع حافره عند منتهى طرفه فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطت الدابة بالحلقة التي يربط بها الأنبياء قبلي ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم فقيل مرحبا به وأهلا ثم استفتح فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم فقيل مرحبا به وأهلا ثم استفتح فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم فقيل مرحبا به وأهلا فاذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير ثم استفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم فقيل مرحبا به وأهلا فاذا أنا بعيسى ويحيى فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم استفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم فقيل مرحبا به وأهلا فاذا أنا بيوسف فاذا هو قد أعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير ثم استفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم فقيل مرحبا به وأهلا فاذا أنا بإدريس فرحب بي ودعا لي بخير ثم استفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم فقيل مرحبا به وأهلا فاذا أنا بهارون فرحب بي ودعا لي بخير ثم استفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم فقيل مرحبا به وأهلا فاذا أنا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير ثم استفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم فقيل مرحبا به وأهلا فلما جاوزت بكى فقيل له ما يبكيك قال أبكي لأن غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من امته اكثر ممن يدخلها من أمتي ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا ابراهيم قال هذا أبوك ابراهيم فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح فرفع لي البيت المعمور فسألت جبريل فقال هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا اليه آخر ما عليهم وقال ثابت عن أنس فاذا أنا بابراهيم مسندظهره إلى البيت المعمور وإذ هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر وإذا أوراقها مثل

آذان الفيلة قال فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها فى أصلها أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذان يا جبريل فقال أما الباطنان فنهران فى الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات وأوحى إلى ما أوحى ففرض على خمسين صلاة فى كل يوم (١٠٨) وليلة فنزلت إلى موسى فقال ما فرض ربك على أمتك قلت خمسين صلاة قال راجع إلى ربك فاسأله التخفيف فان امتك لا تطيق ذلك فانى قد بلوت بنى اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربى فقلت يارب خفف على امتى فحط عنى خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عنى خمسا قال ان امتك لا تطيق ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف قال فلم ازل اراجع بين ربى وبين موسى حتى قال الله تعالى يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل الصلاة عشر فهى خمسون وهى خمس لا يبدل القول لدى ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فان عملها كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك فقلت سألت ربى حتى استحييت ولكن ارضى وأسلم قال فلما جاوزت نادى مناد امضيت فريضتى وخففت عن عبادى ثم ادخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ واذا ترابها المسك قال ابن شهاب فأخبرنى ابن حزم ان ابن عباس وابا حجاة الأنصارى كانا يقولان قال النبى صلى الله عليه وسلم ثم عرج بى حتى ظهرت لمستوى أسمع قال فيه صريف الاقلام قال ابن حزم وانس قال النبى ﷺ ففرض الله على أمتى خمسين صلاة وروى معمر عن قتادة عن انس ان النبى ﷺ اتى بالبراق ليلة أسرى به ملجما مسرجا فاستصعب عليه فقال له جبريل أبمحمد تفعل هذا فما ركبك

عند الخمس فقال يا محمد والله لقد راودت بنى إسرائيل قومى على أدنى من هذا فضعفوا فتركوه فأمتك اضعف أجسادا وقلوبا وأبدانا وأبصارا واسماعا فارجع فليخفف عنك ربك كل ذلك يلتفت النبى ﷺ إلى جبريل عليه السلام ليشير عليه فلا يكره ذلك جبريل فرفعه عند الخامسة فقال يارب أن أمتى ضعفاء أجسادهم وقلوبهم واسماعهم وابدانهم فخفف عنا فقال الجبار يا محمد قال لبيك وسعديك قال انه لا يبدل القول لدى كما فرضت عليك فى أم الكتاب قال فكل حسنة بعشر أمثالها فهى خمسون فى ام الكتاب وهى خمس عليك فرجع إلى موسى فقال كيف فعلت قال خفف عنا أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها قال موسى قد والله راودت بنى اسرائيل على ادنى من ذلك فتركوه ارجع إلى ربك فليخفف عنك أيضا قال رسول الله ﷺ يا موسى قد والله استحييت من ربى مما اختلفت إليه قال فاهبط بسم الله فاستيقظ وهو فى المسجد الحرام هذا لفظ حديث البخارى وأدرج مسلم حديث شريك عن انس الموقوف عليه فى حديث ثابت البنانى المسند فاذكر من اول حديث شريك طرفا ثم قال وساق الحديث نحو حديث ثابت قال مسلم وقدم وأخر وزاد ونقص وليس فى حديث ثابت من هذه الألفاظ إلا ما نورده على نصه أخرجه مسلم وحده وهو حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البنانى عن انس أن رسول الله ﷺ قال أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار دون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس قال فربطته بالحلقة التى يربط بها الأنبياء قال ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءنى جبريل باناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل عليه السلام اخترت الفطرة قال ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث إليه قال قد بعث اليه قال ففتح لنا فاذا انا بآدم فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث إليه قال قد بعث اليه قال ففتح لنا فاذا انا بابنى الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا فرحبا بى ودعوا لى بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بيوسف عليه السلام فاذا هو قد أعطى شطر الحسن قال فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فاذا انا بادريس فرحب ودعا لى بخير قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بهرون فرحب ودعا لى بخير ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث إليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بموسى فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا ابراهيم عليه السلام مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بى الى سدرة المنتهى واذا ورقها كاذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من أمر الله ما غشى تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها فاوحى الى ما أوحى ففرض على خمسين صلاة فى كل يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك على أمتك قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك لا يطيقون ذلك فانى قد بلوت بنى اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربى فقلت يارب خفف على امتى فحط عنى خمسا فرجعت الى موسى فقلت قد حط عنى خمسا

أحد أكرم على الله منه فارفض عرقا وقال ابن بريدة عن أبيه قال قال النبي ﷺ لما انتهينا إلى بيت المقدس قال جبريل باصبعه فخرق بها الحجر وشد بها البراق أنا عبد الواحد المليحي أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل حدثني محمود أنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الزهري أخبرني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ ليلة أسري بي لقيت موسى قال فنعته فاذا هو

قال ان أمتك لا تطيق ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف قال فلم ازل ارجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشرة فذلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فان عملها كتبت له سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فاخبرته قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فقال رسول الله ﷺ فقلت قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه هذه رواية مسلم واخرجه الترمذي مختصرا وفيه ان رسول الله ﷺ اتى بالبراق ليلة اسري به ملجما مسرجا فاستصعب عليه فقال له جبريل ايمحمد تفعل هكذا ما ركبك احد اكرم على الله منه فارفض عرقا وأخرجه النسائي مختصرا والمعنى واحد وفي آخره قال فرجعت إلى ربي فسألته التخفيف فقال إني يوم خلقت السموات والأرض فرضت عليك وعلى امتك خمسين صلاة فخمس بخمسين فقم بها أنت وأمتك فعرفت أن أمر الله جرى بقول حتم فلم اراجع

﴿فصل﴾ قال البغوي قال بعض أهل الحديث ما وجدنا للبخاري ومسلم في كتابهما شيئا لا يحتمل مخرجا إلا حديث شريك بن أبي نمر عن انس وأحال الأمر فيه على شريك وذلك أنه ذكر فيه أن ذلك كان قبل الوحي واتفق أهل العلم على أن المعراج كان بعد الوحي بنحو من اثنتي عشرة سنة وفيه ان الجبار تبارك وتعالى دنا فتدلى وذكرت عائشة ان الذي تدلى هو جبريل عليه السلام قال البغوي وهذا الاعتراض عندي لا يصح لأن هذا كان رؤيا في النوم أراه الله ذلك قبل أن يوحى اليه بدليل اخر الحديث فاستيقظ وهو في المسجد الحرام ثم عرج به في اليقظة بعد الوحي وقبل الهجرة بسنة تحقيقا لرؤياه التي راها من قبل كما انه رأى فتح مكة في المنام عام الحديبية سنة ست من الهجرة ثم كان تحقيقها سنة ثمان ونزل قوله سبحانه وتعالى لقد صدق رسوله الرؤيا بالحق وقال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله تعالى في كتابه شرح مسلم قد جاء من رواية شريك في هذا الحديث أوهام انكرها عليه العلماء وقد نبه مسلم على ذلك بقوله قدم واخر وزاد ونقص منها قوله وذلك قبل ان يوحى اليه وهو غلط لم يوافق عليه فان الاسراء أقل ما قيل فيه انه كان بعد مبعثه ﷺ بخمسة عشر شهرا وقال الحربي كانت ليلة الاسراء ليلة سبع وعشرين من شهور ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة وقال الزهري كان ذلك بعد مبعثه ﷺ بخمس سنين وقال ابن اسحق اسري به ﷺ وقد فشا الاسلام بمكة والقبائل قال الشيخ محيي الدين واشبه الاقوال قول الزهري وابن اسحق وأما قوله في رواية شريك وهو نائم وفي الرواية الأخرى بينا انا عند البيت بين النائم واليقظان فقد يحتج به من يجعلها رؤيا نوم ولا حجة فيه إذ قد يكون ذلك حاله أول وصول الملك اليه وليس في الحديث ما يدل على كونه نائما في القصة كلها هذا كلام القاضي عياض وهذا الذي قاله في رواية شريك وأن أهل العلم قد أنكروها قد قاله غيره وقد ذكر البخاري في رواية شريك هذه عن أنس في كتاب التوحيد من صحيحه وأتى بالحديث مطولا قال الحافظ عبد الحق في كتابه الجمع بين الصحيحين بعد ذكر هذه الرواية هذا الحديث بهذا اللفظ من رواية شريك بن أبي نمر عن أنس قد زاد فيه زيادة مجهولة وأتى فيه بألفاظ غير معروفة وقد روى حديث الأسراء جماعة من الحفاظ المتقنين والأئمة المشهورين كابن شهاب وثابت البناني وقتادة يعني عن أنس فلم يات أحد منهم بما أتى شريك وشريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث قال والأحاديث التي تقدمت قبل هذا هي المعول عليها

﴿فصل﴾ في شرح بعض الفاظ حديث المعراج وما يتعلق به كانت ليلة الأسراء قبل الهجرة بسنة يقال كانت في رجب ويقال في رمضان وقد تقدم زيادة على هذا القدر في الفصل الذي قبل هذا واختلف الناس

رجل حسبته قال مضطرب رجل الرأس كأنه من رجال سنوءة قال ولقيت عيسى فنعته النبي ﷺ فقال ربعة احمر كأنما خرج من ديماس يعني الحمام ورأيت ابراهيم وانا اشبه ولده به قال وأتيت باناءين احدهما لبن والآخر فيه خمر فقيل لي خذ ايهما شئت فاخذت اللبن فشربته فقيل لي هديت الفطرة وأصبت الفطرة أما أنك لو أخذت الخمر لغوت امتك أنا عبد الواحد المليحي ثنا احمد بن عبد الله النعيمي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا الحميدي ثنا سفيان ثنا عمرو عن عكرمة عن ابن عباس في قوله وما جعلنا الرؤيا التي اريناك إلا فتنة للناس قال هي رؤيا عين اريها النبي ﷺ ليلة اسري به إلى بيت المقدس قال والشجرة الملعونة في القرآن قال هي شجرة الزقوم أنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عبد العزيز ابن عبد الله حدثني سليمان عن شريك بن عبد الله قال سمعت انس بن مالك يقول ليلة اسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة انه جاءه ثلاثة نفر قبل ان يوحى اليه

وهو نائم في المسجد الحرام فقال اولهم ايهم هو فقال اوسطهم هو خيرهم فقال اخرهم خذوا خيرهم فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه أو تنام عيناه ولا ينام قلبه وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه حتى احتملوه ووضعوه عند بئر زمزم فشق جبريل ما بين نحره إلى لبته حتى فرغ من صدره وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده وساق حديث المعراج بقصته

فقال واذا هو فى السماء الدنيا بنهرين يطردان قال هذا النيل والفرات عنصرهما واحد ثم مضى به إلى السماء الدنيا فاذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فضرب يده فاذا هو مسك اذفر قال ماهذا ياجبريل قال هذا الكوثر الذى خبأ لك ربك وساق الحديث وقال ثم عرج بى إلى السماء السابعة وقال قال موسى رب لم أظن أن ترفع على أحد ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله حتى جاء سدرة والمنتهى ودنى الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فاوحى اليه فيما أوحى اليه خمسين صلاة كل يوم وليلة وقال فلم يزل يردده موسى إلى ربه حتى صارت إلى خمس صلوات ثم احتبسه موسى عند الخمس فقال يامحمد والله لقد راودت بنى إسرائيل قومى على ادنى من ذلك فضعفوا عنه وتركوه فامتك أضعف قلوبا واجسادا وأبدانا وأبصارا وأسماعا فارجع فليخفف عنك ربك كل ذلك يتلفت النبى ﷺ إلى جبريل ليشير عليه ولا يكره ذلك جبريل فرفعه عند الخامسة فقال يارب ان امتى ضعفاء أجسادهم وقلوبهم واسماعهم وابدانهم فخفف عنهم فقال الجبار يامحمد قال لبيك وسعديك قال انه لا يبدل القول لدى كما فرضت عليك فى ام الكتاب فكل حسنة بعشر أمثالها فهى خمسون فى ام الكتاب وهى خمس عليك فقال موسى ارجع إلى ربك فليخفف عنك ايضا فقال رسول الله ﷺ قد والله استحييت من ربى مما اختلفت اليه قال فاهبط بسم الله فاستيقظ وهو فى المسجد الحرام وروى مسلم هذا الحديث مختصرا عن هارون بن سعيد الايلى عن ابن وهب عن سليمان جواز

فى الاسراء برسول الله ﷺ فقيل إنما كان ذلك فى المنام والحق الذى عليه أكثر الناس ومعظم السلف وعامة الخلف من المتاخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين انه اسرى بروحه وجسده ﷺ ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا ولفظ العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد والأحاديث الصحيحة التى تقدمت تدل على صحة هذا القول لمن طالعها وبحث عنها وحكى محمد بن جرير الطبرى فى تفسيره عن حذيفة أنه قال كل ذلك كان رؤيا وانه مافقد جسد رسول الله ﷺ وإنما أسرى بروحه وحكى هذا القول عن عائشة أيضا وعن معاوية نحوه والصحيح ماعليه جمهور العلماء من السلف والخلف والله اعلم قوله ﷺ اتيت بالبراق هو اسم للدابة التى ركبها رسول الله ﷺ ليلة أسرى به واشتقاقه من البرق لسرعته او لشدة صفائه وبياضه ولمعانه وتلألئه ونوره والحلقة باسكان اللام ويجوز فتحها والمراد بربط البراق بالحلقة الأخذ بالاحتياط فى الأمور وتعاطى الاسباب وان ذلك لا يقدح فى التوكل إذا كان الاعتماد على الله تعالى وقوله جاءنى جبريل باناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فيه اختصار والتقدير قال لى اخترفاخترت اللبن وهو قول جبريل اخترت الفطرة يعنى فطرة الإسلام وجعل اللبن علامة للفطرة الصحيحة السليمة لكونه سهلا طيبا سائغا للشاربين وانه سليم العاقبة بخلاف الخمر فانها ام الخبائث وجالبة لأنواع الشر قوله ثم عرج بى حتى اتى السماء الدنيا فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل فيه بيان الأدب لمن استأذن وأن يقول أنا فلان ولا يقول انا فانه مكروه وفيه أن للسماء أبوابا وبوابين وان عليها حرسا وقول بواب السماء وقد ارسل اليه وفى الرواية الأخرى وقد بعث اليه معناه للاسراء وصعود السماء وليس مراده الاستفهام عن أصل البعثة والرسالة فان ذلك لا يخفى عليه إلى هذه المدة هذا هو الصحيح فى معناه وقيل غيره وقوله فاذا انا بادم وذكر جماعة من الأنبياء فيه استحباب لقاء اهل الفضل والصلاح بالبشر والترحيب والكلام اللين الحسن وإن كان الزائر افضل من المزور وفيه جواز مدح الإنسان فى وجهه إذا أمن عليه من الاعجاب وغيره من أسباب الفتنة وقوله فاذا انا بابراهيم مسندا ظهره إلى البيت المعمور فيه دليل على جواز الاستناد إلى القبلة وتحويل ظهره اليها وقوله ثم ذهب بى إلى السدرة هكذا وقع فى هذه الرواية السدرة بالألف واللام وفى باقى الروايات إلى سدرة المنتهى قال ابن عباس وغيره من المفسرين سميت بذلك لأن علم الملائكة ينتهى اليها ولم يجاوزها أحد غير رسول الله ﷺ وقال ابن مسعود سميت بذلك لكونها ينتهى اليها مايهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من امر الله عزوجل وقوله وإذا ثمرها كالقلال هو بكسر القاف جمع قلة بضمها وهى الجرة الكبيرة التى تسع قربتين أو أكثر قوله فرجعت إلى ربى قال الشيخ محيى الدين النووى معناه رجعت إلى الموضع الذى ناجيته فيه أولا فناجيته فيه ثانيا وقوله فلم أزل أرجع بين موسى وبين ربى معناه وبين موضع مناجاة ربى عز وجل * قلت وأما الكلام على معنى الرؤية وما يتعلق بها فانه سيأتى إن شاء الله تعالى فى تفسير سورة النجم عند قوله تعالى ثم دنا فتدلى قوله ففرض الله سبحانه وتعالى على امتى خمسين صلاة إلى قوله فوضع شطرها وفى الرواية الأخرى فوضع عنى عشرا وفى الأخرى خمسا ليس بين هذه الرواية منافاة لأن المراد بالشطر الجزء وهو الخمس وليس المراد منه التنصيف وأما رواية العشر فهى رواية شريك ورواية الخمس رواية ثابت البنانى وقتادة وهما اثبت من شريك فالمراد حط عنى خمسمائة إلى آخره ثم قال هى خمس وهن خمسون يعنى خمسين فى الاجر والثواب لان الحسنة بعشر أمثالها واحتج العلماء بهذا الحديث على جواز

ابن بلال قال شيخنا الامام رضى الله عنه قد قال بعض أهل الحديث ماوجدنا لمحمد بن إسمعيل ولمسلم فى كتابهما شيئا لا يحتمل مخرجا الا هذا وأحال الامر فيه إلى شريك بن عبد الله وذلك أنه ذكر فيه أن ذلك قبل أن يوحى اليه واتفق أهل العلم على أن المعراج كان

بعد الوحي بنحو من اثنتي عشر سنة قبل الهجرة بسنة وفيه أيضا أن الجبار دنا فتدلى وذكرت عائشة أن الذي دنا فتدلى جبريل عليه السلام قال شيخنا الامام رضي الله عنه وهذا الاعتراض عندي لا يصح لأن هذا كان رؤيا في النوم اراه الله عز وجل قبل الوحي بدليل آخر الحديث قال فاستيقظ وهو في المسجد الحرام ثم عرج به في اليقظة بعد الوحي قبل الهجرة بسنة تحقيقا لرؤياه من قبل كما أنه

جواز نسخ الشيء قبل فعله وفي أول الحديث أنه شق صدره ﷺ ليلة المعراج وقد شق أيضا في صغره وهو عند حليمة التي كانت ترضعه فالمراد بالشق الثاني زيادة التطهير لما يراد به من الكرامة ليلة المعراج وقوله أتيت بطست من ذهب قد يتوهم منه أنه يجوز استعمال إناء الذهب لنا وليس الأمر كذلك لأن هذا الفعل من فعل الملائكة وهو مباح لهم استعمال الذهب أو يكون هذا قد كان قبل تحريمه وقوله ممتلئ إيمانا وحكمة فافرغها في صدري * فان قلت الحكمة والإيمان معان والافراغ صفة الأجسام فما معنى ذلك * قلت يحتمل أنه جعل في الطست شيء يحصل به كمال الايمان والحكمة وزيادتهما فسمي إيمانا وحكمة لكونه سببا لهما وهذا من أحسن المجاز وقوله في صفة ادم عليه السلام فاذا رجل عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة هو جمع سواد وقد فسره في الحديث بأنه نسم بنيه يعني أرواح بنيه وقد اعترض على هذا بأن أرواح المؤمنين في السماء وأرواح الكفار تحت الأرض السفلى فكيف تكون في السماء والجواب عنه أنه يحتمل أن أرواح الكفار تعرض على ادم عليه السلام وهو في السماء فوافق وقت عرضها على ادم مرور النبي ﷺ فاخبر بما رأى وقوله فاذا نظر عن يمينه ضحك وإذا نظر عن شماله بكى فيه شفقة الوالد على أولاده وسروره وفرحه بحسن حال المؤمن منهم وحزنه على سوء حال الكفار منهم وقوله في إدريس مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح قد اتفق المؤرخون على أن إدريس هو أخنوخ وهو جد نوح عليهما السلام فيكون جد النبي ﷺ كما أن ابراهيم جده فكان ينبغي أن يقول بالنبي الصالح والابن الصالح كما قال ادم وابراهيم عليهما الصلاة والسلام فالجواب عن هذا أنه قيل أن ادريس المذكور هنا هو الياس وهو من ذرية ابراهيم فليس هو جد نوح هذا جواب القاضي عياض قال الشيخ محي الدين ليس في الحديث ما يمنع كون ادريس ابا لنبينا محمد ﷺ وأن قوله الأخ الصالح يحتمل أن يكون قاله تلطفا وتأدبا وهو اخ وإن كان أبا لان الأنبياء أخوة والمؤمنين أخوة والله أعلم

﴿فصل﴾ في ذكر الآيات التي ظهرت بعد المعراج الدالة على صدقه ﷺ وسياق أحاديث تتعلق بالاسراء قال البغوي روي أنه لما رجع رسول الله ﷺ ليلة اسري به وكان بذي طوى قال يا جبريل ان قومي لا يصدقوني قال يصدقك ابو بكر وهو الصديق قال ابن عباس وعائشة أن النبي ﷺ قال لما كانت ليلة اسري بي إلى السماء أصبحت بمكة فضقت بامري وعرفت ان الناس يكذبوني فروي انه ﷺ قعد معتزلا حزينا فمر به ابو جهل فجلس اليه فقال كالمستهزيء هل استفدت من شيء قال نعم اسري بي أ لليلة قال الى أين قال الى بيت المقدس قال ابو جهل ثم أصبحت بين أظهرنا قال نعم فلم ير أبو جهل ان ينكر ذلك مخافة ان يجحده الحديث ولكن قال اتحدث قومك بما حدثتني به قال نعم قال ابو جهل يا معشر بني كعب بن لؤي هلموا فانتضت المجالس وجاؤا حتى جلسوا اليهما فقال حدث قومك بما حدثتني قال نعم اسري بي الليلة قالوا الى اين قال الى بيت المقدس قالوا ثم أصبحت بين أظهرنا قال نعم قال فبقي الناس بين مصفق وبين واضع يده على راسه متعجبا وارتد اناس ممن كان قد امن به وصدقه وسعى رجل من المشركين الى ابي بكر فقال له هل لك في صاحبك يزعم انه اسري به الليلة الى بيت المقدس قال اوقد قال ذلك قال نعم قال لئن كان قال ذلك لقد صدق قالوا اوتصدقه انه ذهب الى بيت المقدس وجاء في ليلة قبل ان يصبح قال نعم اني اصدقه بما هو ابعد من ذلك اصدقه بخبر السماء في غدوة او روحة فلذلك سمي ابو بكر الصديق قال وكان في القوم من اتى المسجد الأقصى قالوا هل تستطيع ان تنعت لنا

رأى فتح مكة في المنام عام الحديبية سنة ست من الهجرة ثم كان تحقيقه سنة ثمان ونزل قوله عز وجل لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وروى أنه لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به وكان بذي طوى قال يا جبريل ان قومي لا يصدقوني قال يصدقك أبو بكر وهو الصديق قال ابن عباس وعائشة رضي الله عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كانت ليلة اسري بي أصبحت بمكة فضقت بامري وعرفت ان الناس يكذبوني فروي أنه عليه الصلاة والسلام قعد معتزلا حزينا فمر به أبو جهل فجلس اليه فقال له كالمستهزيء هل استفدت من شيء قال نعم اني اسري بي الليلة قال إلى أين قال إلى بيت المقدس قال ثم أصبحت بين ظهرانينا قال نعم فلم ير أبو جهل أنه ينكر ذلك مخافة أن يجحده الحديث قال اتحدث قومك بما حدثتني به قال نعم قال أبو جهل يا معشر بني كعب ابن لؤي هلموا قال فانتضت اليه المجالس فجاؤا حتى جلسوا اليهما قال فحدث قومك بما حدثتني قال نعم انه اسري بي الليلة قالوا الى اين قال الى بيت المقدس قالوا ثم اصبحت بين ظهرانينا قال نعم قال فمن بين مصفق ومن بين واضع يده على راسه متعجبا للكذب وارتد ناس ممن كان امن به وصدقه وسعى رجل من المشركين الى ابي بكر فقال هل لك في صاحبك يزعم انه اسري به الليلة الى بيت المقدس قال اوقد قال ذلك قال نعم قال لئن كان قال ذلك لقد صدق قالوا وتصدقه انه ذهب الى بيت المقدس في ليلة وجاء قبل ان يصبح قال

نعم أنى لاصدقه بما هو أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء فى غدوة أو روحة فلذلك سمى أبو بكر الصديق قال وفى القوم من قد أتى المسجد الأقصى فقال أهل تستطيع أن تنعت لنا المسجد الأقصى قال نعم قال فذهبت انعت وأنعت فما زلت أنعت حتى التبس على بعض النعت قال فجىء بالمسجد وأنا أنظر اليه حتى وضع دون دار عقيل فنعت المسجد وأنا أنظر اليه فقال القوم أما النعت فوالله أصاب ثم قالوا يا محمد

اخبرنا عن عيرنا فهى هم الينا فهل لقيت منها شيئا قال نعم مررت على عير بنى فلان وهى بالروحاء وقد اضلوا بعيرا لهم وهم فى طلبه وفى رحالهم قدح من ماء فعطشت فأخذته فشربته ثم وضعته كما كان فسلوا هل وجدوا الماء فى القدح حين رجعوا اليه قالوا هذه اية قال ومررت بعير بنى فلان وفلان راكبان قعودا لهما بذى طوى فنفر بعيرهما منى فرمى بفلان فانكسرت يده فسلوهما عن ذلك قالوا هذه اية قالوا فاخبرنا عن عيرنا نحن متى تجىء قال مررت بها بالتنعيم قالوا فما عدتها واحمالها وهيئتها ومن فيها فقال نعم هيئتها كذا وكذا وفيها فلان وفلان يقدمها جمل اورق عليه غرارتان مخيطتان تطلع عليكم عند طلوع الشمس قالوا وهذه اية اخرى ثم خرجوا يشتدون نحو الثنية وهم يقولون والله لقد قص محمد شيئا وبينه حتى اتوا كدى فجلسوا عليه فجعلوا ينتظرون متى تطلع الشمس فيكذبونه إذ قال قائل منهم والله هذه الشمس قد طلعت وقال اخر وهذه والله الأبل قد طلعت يقدمها بعير اورق فيها فلان وفلان كما قال فلم يؤمنوا وقالوا ان هذا إلا سحر مبين (م) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ لقد رأيتنى فى الحجر وقريش تسألنى عن مسراى فسألتنى عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها فكربت كربة ما كربت مثلها قط قال فرفعه الله لى أنظر اليه ما يسألونى عن شىء إلا انبأتهم به وقد رأيتنى فى جماعة من الأنبياء فاذا موسى قائم يصلى فاذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة وإذا عيسى بن مريم قائم يصلى أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفى وإذا ابراهيم قائم يصلى أشبه الناس به صاحبكم يعنى به نفسه ﷺ فحانت الصلاة فأممتهم فلما فرغت من الصلاة قال لى قائل يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلم عليه فالتفت اليه فبدأنى بالسلام (ق) عن جابر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول لما كذبتنى قريش قمت إلى الحجر فجلى الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وانا أنظر اليه زاد البخارى فى رواية له كذبنى قريش حين أسرى بى إلى بيت المقدس وذكر الحديث (م) عن أنس ان رسول الله ﷺ قال أتيت على موسى ليلة أسرى بى عند الكثيب الأحمر فاذا هو قائم يصلى فى قبره قال قال رسول الله ﷺ لما انتهينا إلى بيت المقدس قال جبريل كذا بأصبعه فخرق به الحجر وشد به البراق أخرجه الترمذى * فان قلت كيف رأى رسول الله ﷺ موسى يصلى فى قبره وكيف صلى بالأنبياء فى بيت المقدس ثم وجدهم على مراتبهم فى السموات وسلموا عليه وترحبوا به وكيف تصح الصلاة من الأنبياء بعد الموت وهم فى الدار الآخرة ؟ قلت أما صلاته ﷺ بالأنبياء فى بيت المقدس يحتمل ان الله سبحانه وتعالى جمعهم له ليصلى بهم ويعرفوا فضله وتقدمه عليهم ثم ان الله سبحانه وتعالى أراه اياهم فى السموات على مراتبهم ليعرف هو مراتبهم وفضلهم وأما مروره بموسى وهو قائم يصلى فى قبره عند الكثيب الأحمر فيحتمل أنه كان بعد رجوعه من المعراج وأما صلاة الأنبياء وهم فى الدار الآخرة فهم فى حكم الشهداء بل أفضل منهم وقد قال الله سبحانه وتعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء فالأنبياء أحياء بعد الموت واما حكم صلاتهم فيحتمل انها الذكر والدعاء وذلك من اعمال الآخرة فان الله تعالى قال دعواهم فيها سبحانك اللهم ووردفى الحديث انهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس ويحتمل ان الله سبحانه وتعالى خصهم بخصائص فى الاخرة كما خصهم فى الدنيا بخصائص

لم

وفلان كما قال لهم فلم يؤمنوا وقالوا ان هذا إلا سحر مبين انا اسمعيل بن عبد القاهر انبانا عبد القاهر بن محمد انبانا محمد بن عيسى الجلودى انبأنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج حدثنى زهير بن حرب ثنا حجير بن المثنى انبأنا عبد العزيز وهو ابن ابى سلمة عن عبد الله بن الفضل عن ابى سلمة بن عبد الرحمن عن ابى هريرة رضى الله عنهم قال قال رسول الله ﷺ لقد رأيتنى فى الحجر وقريش تسألنى عن

مسراى فسألتنى عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها قال فكربت كربا ما كربت مثله قط قال فوقعه الله لى أنظر ما يسألونى عن شىء إلا أنبأتهم به ولقد رأيتنى فى جماعة من الأنبياء فاذا موسى قائم يصلى فاذا رجل ضرب جعد كانه من رجال شنوءة وإذا عيسى قائم يصلى اقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفى وإذا ابراهيم قائم يصلى اشبه الناس به صاحبكم يعنى نفسه فحانت الصلاة فأممتهم فلما فرغت من الصلاة قال لى قائل يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلم عليه فالتفت اليه فبدأنى بالسلام قوله تعالى (وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى إسرائيل أن لا) بأن لا (تتخذوا من دونى وكيلا) ربا كفيلا قرأ أبو عمرو لا يتخذوا باو لياء لأنه خبر عنهم والاخرون بالتاء يعنى قلنا لهم لا تتخذوا (ذرية من حملنا) قال مجاهد هذا نداء يعنى يا ذرية من حملنا (مع نوح) فى السفينة فأنجيناهم من الطوفان (إنه كان عبدا شكورا) كان نوح عليه السلام إذا أكل طعاما أو شرب شرابا أو لبس ثوبا قال الحمد لله فسمى عبدا شكورا أى كثير الشكر قوله عز وجل (وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب) الايات روى سفيان بن سعيد الثورى عن منصور بن المعتمر عن ربعى بن خراش عن حذيفة قال قال النبى ﷺ إن بنى إسرائيل لما اعتدوا وقتلوا الأنبياء بعث الله عليهم ملك فارس بختنصر وكان الله ملكه سبعمائة سنة فسار إليهم حتى دخل بيت المقدس فحاصروها وفتحها حتى قتل على دم يحيى بن زكريا عليه السلام سبعين ألفا ثم سبى أهلها وأولاد الأنبياء وسلب حلى بيت المقدس واستخرج منها سبعين الفا ومائة ألف عجلة من حلى قلت يا رسول الله كان بيت المقدس عظيما قال أجل بناه سليمان بن داود من ذهب وفضة وياقوت وزبرجد وكان عمده ذهبا أعطاه الله ذلك وسخر له الشياطين يأتونه بهذه الأشياء فى طرفة عين فسار بها بختنصر حتى نزل بابل فأقام بنو إسرائيل فى يده مائة سنة يستعبدهم المجوس وأبناء المجوس فيهم الأنبياء ثم ان الله رحمهم فأوحى إلى ملك من ملوك فارس يقال له كورش وكان مؤمنا أن يسير إليهم ليستنقذ بقايا بنى إسرائيل فسار كورش لبنى إسرائيل ورد بيت المقدس حتى رده إليه فأقام بنو إسرائيل مطيعين لله تعالى مائة سنة ثم إنهم عادوا فى المعاصى فسلط الله عليهم ملكا يقال له انطيانوس فغزا بنى إسرائيل حتى أتاهم بيت المقدس فسبى أهلها وأحرق بيت المقدس وقال لهم يا بنى إسرائيل إن عدتم فى المعاصى عدنا عليكم بالسبى فعادوا فسلط الله عليهم ملك رومية يقال له فاقس بن استيانوس فغزاهم فى (١١٣) البر والبحر فسباهم وسبى حلى بيت المقدس وأحرق بيت المقدس قال النبى ﷺ هذا من صفة حلى بيت ويرده المهدى إلى بيت المقدس هو ألف وسبعمائة سفينة يرمى بها على حتى

لم يخص بها غيرهم منها أنه ﷺ أخبر أنه رآهم يلبون ويحجون فكذلك الصلاة والله أعلم بالحقائق * قوله سبحانه وتعالى (وآتينا موسى الكتاب) يعنى التوراة (وجعلناه) الكتاب (هدى لبنى إسرائيل أن لا تتخذوا) يعنى وقلنا لهم لا تتخذوا (من دونى وكيلا) يعنى ربا كفيلا (ذرية) يعنى يا ذرية (من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا) يعنى ان نوحا كان كثير الشكر وذلك انه كان اذا كل طعاما او شرب شرابا أو لبس ثوبا قال الحمد لله فسماه الله عبدا شكورا لذلك * قوله عز وجل (وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب

(١٥ - خازن - بع) تنقل إلى بيت المقدس وبها يجمع الله الأولين والاخرين قال محمد بن اسحق كانت بنو إسرائيل فيهم الأحداث والذنوب وكان الله فى ذلك متجاوزا عنهم محسنا إليهم وكان أول ما نزل بهم بسبب ذنوبهم كما اخبر على لسان موسى عليه السلام ان ملكا منهم كان يدعى صديقه وكان الله تعالى إذا ملك الملك عليهم بعث معه نبيا يسدده ويرشده لا ينزل عليهم الكتب إنما يؤمرون باتباع التوراة والاحكام التى فيها فلما ملك ذلك الملك بعث الله معه شعياء بن أصفيا وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام وشعياء هو الذى بشر بعيسى ومحمد عليهما السلام فقال ابشرى أورستم الان يأتيك راكب الحمار ومن بعده صاحب البعير فلك ذلك الملك بنى إسرائيل وبيت المقدس زمانا طويلا فلما انقضى ملكه عظمت فيهم الاحدوشعياء معه بعث الله عليهم سنجاريب ملك بابل معه ستمائة ألف راية فأقبل سائرا حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض فى ساقه قرحة فجاء النبى شعياء وقال له يا ملك بنى إسرائيل إن سنجاريب ملك بابل قد نزل بك هو وجنوده بستمائة ألف راية وقد هابهم الناس وفرقوا فكبر ذلك على الملك فقال نبى الله هل أتاك وحى من الله فيما حدث فتخبرنا به كيف يفعل الله بنا وبسنجاريب وجنوده فقال لم يأتنى وحى فبينما هم على ذلك أوحى الله إلى شعياء النبى ان ائت ملك بنى إسرائيل فمره ان يوصى وصيته ويستخلف عن ملكه من يشاء من اهل بيته فأتى شعياء ملك بنى إسرائيل صديقه فقال له إن ربك قد أوحى إلى ان آمرك ان توصى وصيتك وتستخلف من شئت على ملكك من اهل بيتك فانك ميت فلما قال شعياء لصديقه اقبل على القبلة فصلى وبكى فقال وهو يبكى ويتضرع إلى الله بقلب مخلص اللهم رب الارباب وإله الالهة ياقدوس المقدس يارحمن يارحيم يارؤوف الذى لا تأخذه سنة ولا نوم اذكرنى بعملى وفعلى وحسن قضائى على بنى إسرائيل وذلك كله كان منك وانت اعلم به منى سرى وعلانيتى لك وانت الرحمن فاستجاب له وكان عبدا صالحا فأوحى الله تعالى إلى شعياء صديقه ان ربه قد استجاب له ورحمه واخر له اجله خمس عشرة سنة وانجاه من عدوه سنجاريب فأتاه شعياء فأخبره بذلك فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجع وانقطع عنه الحزن وخر ساجدا لله وقال يا إلهى وإله آبائى لك سجدت وسبحت وكبرت وعظمت انت الذى تعطى الملك لمن تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير عالم الغيب والشهادة أنت الاول والاخر والظاهر والباطن وانت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين وانت الذى اجبت دعوتى ورحمت تضرعى فلما رفع راسه اوحى الله إلى

شعياء ان قل للملك صديقه فيأمر عبدا من عبيده فيأتيه بماء التين فيجعله فى قرحته فيشفى فيصبح وقد برأ ففعل وشفى وقال الملك لشعياء سل ربك ان يجعل لنا علما بما هو صانع بعدونا هذا قال الله لشعياء قل له إنى قد كفيتك عدوك وأنجيتك منهم وأنهم سيصبحون موتى كلهم إلا سنجاريب وخمسة نفر من كتابه أحدهم يختنصر فلما أصبحوا جاء صارخ فصرخ على باب المدينة يا ملك بنى إسرائيل إن الله قد كفاك عدوك فاخرج فان سنجاريب ومن معه قد هلكوا فلما خرج الملك التمس سنجاريب فى القتلى فلم يوجد فى الموتى فبعث الملك فى طلبه فأدركه الطلب فى مغارة وخمسة نفر من كتابه أحدهم يختنصر فجعلوهم فى الجوامع ثم أتوا بهم إلى ملك بنى إسرائيل فلما رآهم خر ساجدا لله من حين طلعت الشمس إلى العصر ثم قال يا سنجاريب كيف ترى فعل ربنا بكم ألم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وأنتم غافلون فقال سنجاريب له قد أتانى خبر ربكم ونصره إياكم ورحمته التى يرحمكم بها قبل أن اخرج من بلادى فلم أطع مرشدا أو لم يلقنى فى الشقوة إلا قلة عقلى ولو سمعت أو عقلت ما غزوتكم فقال صديقه الحمد لله رب العالمين الذى كفانا كم بما شاء وإن ربنا لم يبتلك ومن معك لكرامتك على ربك ولكنه أبقاك ومن معك لتزدادوا شقوة فى الدنيا وعذابا فى الاخرة ولتخبروا من وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا بكم فتنذروا من بعدكم ولو ذلك لقتلكم ولدمك ولدم من معك أهون على الله من دم قراد لو قتلك ثم ان ملك بنى إسرائيل امر امير حرسه فقذف فى رقابهم الجوامع فطافت بهم سبعين يوما حول بيت المقدس وايليا وكان يرزقهم كل يوم خبزين من شعير لكل رجل منهم فقال سنجاريب لملك بنى إسرائيل القتل خير مما تفعل بنا فأمر بهم الملك إلى السجن والقتل فأوحى الله إلى شعياء عليه السلام أن قل لملك بنى إسرائيل يرسل سنجاريب ومن معه لينذروا من وراءهم وليكرمهم وليحملهم حتى يبلغوا بلادهم فبلغ شعياء الملك ذلك ففعل الملك صديقه ما أمر به فخرج سنجاريب ومن معه حتى قدموا بابل فلما قدموا اجمع الناس فأخبرهم كيف فعل الله بجنوده فقال له كهانه وسحرته يا ملك بابل قد كنا نقص عليك خبر ربهم وخبر نبيهم ووحى الله الى نبيهم فلم تطعنا وهى أمة لا يستطيعها احد مع ربهم وكان امر سنجاريب تخويفا لهم ثم كفاهم الله تذكرة وعبرة ثم لبث سنجاريب بعد ذلك سبع سنين ثم مات واستخلف بختنصر ابن ابنه على ما كان عليه جده يعمل عمله فلبث سبع عشرة سنة ثم قبض الله ملك بنى إسرائيل صديقه فرج أمر بنى إسرائيل وتنافسوا الملك حتى قتل بعضهم بعضا ونبيهم شيعاء معهم ولا يقبلون منه فلما فعلوا ذلك قال الله لشعياء قم فى قومك حتى اوحى على لسانك فلما قام النبى شعياء انطق الله على لسانه بالوحى فقال يا سماء استمعى ويا ارض انصتى فان الله يريد ان يقص شأن بنى إسرائيل الذين رباهم بنعمه واصطفاهم لنفسه وخصهم بكرامته وفضلهم على عباده وهم كالغنم الضائعة التى لا راعى لها فأوى شاردتها وجمع ضالتها وجبر كسرها وداوى مريضها واسمن مهزولها وحفظ سمينها فلما فعل ذلك بطرت فتناطحت كباشها فقتل بعضها بعضا حتى لم يبق منها

عظم صحيح يجبر اليه آخر كسير فويل لهذه الأمة الخاطئة التى لا يدرون انى جاءهم الحين ان البعير مما يذكر وطنه فينتابه وان الحمار لما يذكر الأرى الذى شبع عليه فيراجعه وان الثور مما يذكر الهرج الذى سمن فيه فينتابه وأن هؤلاء

يعنى اعلمناهم واخبرناهم فيما آتيناهم

القوم لا يذكرون من حيث جاءهم الخير وهم اولوا الألباب والعقول ليسوا ببقر ولا حمير وإنى ضارب لهم مثلا فليسمعوه وقل كيف ترون فى الارض كانت خرابا زمانا موتا لا عمران فيها وكان لها رب حكيم قوى فأقبل عليها بالعمارة وكره ان تخرب ارضه وهو قوى او ان يقابل ضيع وهو حكيم فأحاط عليها جدارا وشيد فيها قصورا وانبط نهرا وصنف فيها غراسا من الزيتون والرمان والنخيل والأعناب والوان الثمار كلها وولى ذلك واستحفظه فيها راى وهمة حفيظا قويا امينا فلما اطلعت جاءت طلعها خروبا قالوا ابئست الارض هذه فترى ان يهدم جدرها وقصرها ويدفن نهرها ويقبض على قيمها ويحرق غراسها حتى تصير كما كانت اول مرة خرابا موتا لا عمران فيها قال الله قل لهم فان الجدار ديني وان القصر شريعتى وان النهر كتابى وان القيم نبيى وان الغراس هم وان الخروب الذى اطلع الغراس اعمالهم الخبيثة وإنى قد قضيت عليهم قضاءهم على انفسهم هم انه مثل ضربته لهم يتقربون إلى بذبح البقر والغنم وليس ينالنى اللحم لا اكله ويدعون ان يتقربون إلى بالتقوى والكف عن ذبح الانفس التى حرمتها فأيديهم مخضوبة بدمائها يشيدون لى البيوت مساجدا ويطهرون اجوافها وينجسون قلوبهم واجسادهم ويدنسونها ويزوقون الى المساجد ويزينونها ويخرجون عقولهم واخلاقهم ويفسدونها فأى حجة لى الى تشييد البيوت ولست اسكنها واى حجة الى تزويق المساجد ولست ادخلها انما امرت برفعها لاذكر واسبح فيها يقولون صمنا فلم يرفع صيامنا وصلينا فلم يرفع تنور صلاتنا وتصدقنا فلم ترك صدقاتنا ودعونا بمثل حنين الحمام وبكينا بمثل عواء الذئاب فى كل ذنب لا يستجاب لنا قال الله فأسأل لهم ما الذى يمنعنى ان استجيب لهم السمت اسمع السامعين وابصر الناظرين واقرب المجيبين وارحم الراحمين فكيف ارفع صيامهم وهم يلبسونه بقوله الزور ويتقون عليه بطعمة الحرام ام كيف انور صلاتهم وقلوبهم صاغية الى من يحاربنى ويحادنى وينتهك محارمى ام كيف تزكى عندى صدقاتهم يتصدقون بأموال غيرهم انما آجرهم عليها اهل المغصوبين ام كيف استجيب دعاءهم وانما هو قول بألسنتهم بلا فعل والفعل من ذلك بعد انما استجيب للداعى الذين وانما اسمع قول المستضعف المسكين وان من علامة رضاى رضا المساكين يقولون لما سمعوا كلامى وبلغتهم رسالتى انها اقاويل منقولة واحاديث متوارثة وتأليف مما يؤلف السحرة والكهنة وزعموا انهم لو شاءوا ان يأتوا بحديث مثله فعلوا ولو شاؤا ان يطلعوا على علم الغيب بما يوحى اليهم الشياطين اطلعوا وانى قد قضيت يوم خلقت السموات والارض قضاء اثبته وختمته على نفسى وجعلت دونه اجلا مؤجلا لا بد انه واقع فان صدقوا فيما ينتحلون من علم الغيب فليخبروك متى انفذه او فى اى زمان يكون وان كانوا يقدرون على ان ياتوا

بما يشاؤن فليأتوا بمثل هذه القدرة التي بها أمضيت فاني مظهره على الدين كله ولو كره المشركون وان كان يقدرون على أن يؤلفوا ما يشاؤن فليؤلفوا مثل الحكمة التي بها ادبر امر ذلك القضاء ان كانوا صادقين وإني قضيت يوم خلقت السموات والأرض ان اجعل النبوة في الاجراء وإن اجعل الملك في الرعاء والعز في الأذلاء والقوة في الضعفاء والغنى في الفقراء والعلم في الجهالة والحكمة في الأميين فسلهم متى هذا ومن القائم بهذا ومن أعوان هذا الأمر وانصاره إن كانوا يعلمون واني باعث لذلك نبيا أميا أميينا ليس أعمى من عميان ولا ضالا من ضالين ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا اسدده بكل جميل واهب له كل خلق كريم جعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى إمامه والاسلام ملته واحمد دينه واحمد اسمه أهدي به بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة ارفع به بعد الخالة واشهر به بعد النكرة واكثر به بعد القلة واغني به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة واؤلف به بين قلوب مختلفة واهواء متشتتة وامم متفرقة واجعل امته خير أمة اخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر توحيد إلى إيمانا وإخلاصا لي يصلون قياما وقعودا وركعا وسجودا يقاتلون في سبيلي صفوفا وزحوفا ويخرجون من ديارهم واموالهم ابتغاء رضواني الهمهم التكبير والتوحيد والتسبيح والتحميد والتهليل والمدحة والتمجيد في مسيرهم ومجالسهم ومضاجعهم ومناقبهم ومثواهم يكبرون ويهللون ويقدسون على رؤس الاشراف ويطهرون الى الوجوه والأطراف ويعقدون الى الثياب على الانصاف قربانهم دماهم وأناجيلهم في صدورهم في رهبان بالليل ليوث بالنهار ذلك فضلي أوتيه من أشاء وأنا ذو الفضل العظيم فلما فرغ شعياء من مقالته عدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقيته شجرة فانفلقت له فدخل فيها فادركه الشيطان فاخذ بهدبة من ثوبه فاراهم إياها فوضعوا المنشار في وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه في وسطها واستخلف الله على بني إسرائيل بعد ذلك رجلا منهم يقال له ناشية بن أموص وبعث لهم ارمياء بن حلقيا نبيا وكان من سبط هارون بن عمران وذكر ابن اسحق انه الخضر واسمه ارمياء سمي الخضر لأنه جلس على فرة بيضاء فقام عنها وهي تهتز خضراء فبعث الله أرمياء إلى ذلك الملك ليسدده ويرشده ثم عظمت الأحداث في بني إسرائيل وركبوا المعاصي واستحار موا المحارم فأوحى الله إلى أرمياء ان ائت قومك من بني إسرائيل فاقصص عليهم ما أمرك به وذكرهم نعمتي وعرفهم باحداثهم فقال اميا، يارب إني ضعيف (١١٥) إن لم تقوني عاجز ان لم تبلغني مخذول ان لم تنصرني قال الله تعالى أولم تعلم ان الأمور كلها تصدر عن مشيتي وإن القلوب والالسنة بيدي أقلبها كيف شئت اني معك ولن يصل إليك شيء معي قيام فيهم ولم يدر ما يقول فالهمه الله عز وجل في الوقت خطبة بليغة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية

آتيناهم من الكتاب انهم

وقال في آخرها عن الله تعالى واني حلفت بعزتي لأقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحليم ولأسلطن عليهم جبارا قاسيا ألبسه الهيبة وانزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم أوحى الله إلى ارمياء اني مهلك بني إسرائيل بيافث من أهل بابل على ما ذكرنا في سورة البقرة فسلط الله عليهم بختنصر فخرج في ستمائة ألف راية ودخل بيت المقدس بجنوده ووطيء الشام وقتل بني إسرائيل حتى افناهم وخرب بيت المقدس وأمر جنوده ان يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفوه في بيت المقدس ففعلوا ذلك حتى ملاوه ثم أمرهم ان يجمعوا من في بلدان بيت المقدس كلهم فاجتمع عنده كل صغير وكبير من بني إسرائيل فاختار منهم سبعين ألف صبي فلما خرجت غنائم جنده وأراد أن يقسمها فيهم قالت له الملوك الذين كانوا معه أيها الملك لك غنائمنا كلها واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بني إسرائيل فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فأصاب كل رجل منهم أربعة غلمان وفرق من بقي من بني إسرائيل ثلاث فرق فثلثا أقر بالشام وثلثا سبى وثلثا قتل وذهب بناشئة بيت المقدس وبالصبيان السبعين الألف حتى أقدمهم بابل فكانت هذه الواقعة الأولى التي أنزل الله ببني إسرائيل بظلمهم فذلك قوله تعالى فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد يعني بختنصر وأصحابه ثم ان بختنصر اقام في سلطانه ماشاء الله ثم راى رؤيا اعجبته إذ رأى شيئا أصابه فانساه الله الذي رأى فدعا دانيال وحنانيا وعزازيا وميشائيل وكانوا من ذراري الأنبياء وسالهم عنها قالوا أخبرنا بها نخبرك بتأويلها قال لا اذكرها ولئن لم تخبروني بها وبتأويلها لانزعن اكتافكم فخرجوا من عنده فدعوا الله وتضرعوا اليه فاعلمهم الله بالذي رأى وسألهم عنه فجاؤه وقالوا رايت تمثالا قدماه وساقاه من نحاس وركبتاه وفخذاه من نحاس وبطنه من فضة وصدره من ذهب ورأسه وعنقه من حديد قال صدقتم قالوا فبينما أنت تنظر اليه وقد أعجبتك أرسل الله تعالى صخرة من السماء فدقته فهي التي انستكها قال صدقتم قال فما تأويلها قالوا تأويلها انك رأيت ملك الملوك فبعضهم كان الين ملكا وبعضهم كان أحسن ملكا وبعضهم كان أشبه ملكا الفخار أضعفه ثم فوقه النحاس أشد منه ثم فوق النحاس الفضة أحسن من ذلك وأفضل والذهب أحسن من الفضة وأفضل ثم الحديد ملكك فهو أشد واعز مما كان قبله والصخرة التي رأيت أرسل الله من السماء فدقته نبي يبعثه الله من السماء فيدق ذلك اجمع ويصير الأمر اليه ثم ان أهل بابل قالوا لبختنصر أرأيت هؤلاء الغلمان من بني اسرائيل الذين كنا سألناك ان تعطيناهم ففعلت فانا قد انكرنا نساءنا منذ كانوا معنا لقد رأينا نساءنا انصرفت عنا وجوههن الينا فأورجهن من بين أظهرنا او اقلهم قال شأنكم بهم فمن احب منكم أن يقتل من كان في يده فليفعل ذلك فلما قربوهم للقتل بكوا إلى الله تعالى وقالوا يارب أصابنا البلاء بذنوب غيرنا فوعد الله ان يحييهم فقتلوا إلا من استبقى بختنصر منهم دانيال وحنانيا وعزازيا وميشائيل ثم لما أراد الله هلاك بختنصر انبعث وتيقظ فقال لمن في يده من بني إسرائيل أرايتم هذا البيت الذي خربته والناس الذين قتلتهم منهم وما هذا البيت قالوا هذا بيت الله وهؤلاء أهله كانوا من ذراري الأنبياء فظلموا

وتعدوا فسلط عليهم بذنوبهم وكان ربهم رب السموات والارض ورب الخلق كلهم يكرمهم ويعزهم فلما فعلوا ما فعلوا اهلكهم الله وسلط عليهم غيرهم فاستكبر وظن انه بجبروته فعل ذلك ببني إسرائيل قال فاخبروني كيف لي ان اطلع إلى السماء العليا فاقتل من فيها واتخذها ملكا لي فاني قد فرغت من الارض قالوا ما يقدر عليها أحد من الخلائق قال لتفعلن أو لاقتلنكم عن آخركم فبكوا وتضرعوا إلى الله تعالى فبعث الله عليه بقدرته بعوضة فدخلت منخرة حتى عضت بام دماغه فما كان يقر ولا يكسن حتى يوجاله رأسه على أم دماغة فلما مات شقوا رأسه فوجدوا البعوضة عاضة على ام دماغه ليرى الله العباد قدرته وينجي الله من بقي من بني إسرائيل في يديه فردوهم إلى الشام فبنوا فيه وكثروا حتى كانوا على احسن ما كانوا عليه ويزعمون ان تعالى احيا اولئك الذين قتلوا فحقوا بهم ثم انهم لما دخلوا الشام دخلوها وليس معهم عهد من الله تعالى وكانت التوراة قد احترقت وكان عزير من السبايا الذين كانوا ببابل فرجع إلى الشام يبكي عليها ليلا ونهارا وقد خرج من الناس فهو كذلك إذ أقبل اليه رجل فقال يا عزير ما يبكيك قال ابكي على كتاب الله وعهده الذي كان بين اظهرنا الذي لا يصلح امر دنيانا واخرتنا غيره قال افتحب ان يرده اليك قال نعم ارجع فصم وتطهر وطهر ثيابك ثم موعدك هذا المكان غدا فرجع عزير فصام وتطهر وطهر ثيابه ثم عمد إلى المكان الذي وعده فجلس فيه فاتاه ذلك الرجل باناء فيه ماء وكان ملكا بعثه الله اليه فسقاه من ذلك الاناء فثبت التوراة في صدره فرجع إلى بني إسرائيل فوضع لهم التوراة فاحبوه حتى لم يحبوا حبه شيئا قط ثم قبضه الله وجعت بنو إسرائيل بعد ذلك يحدثون الاحداث ويعود الله عليهم ويبعث فيهم الرسل ففريقا يكذبون وفريقا يقتلون حتى كان اخر من بعث الله فيهم من انبيائه زكريا ويحيى وعيسى وكانوا من بيت ال داود فمات زكريا وقيل قتل زكريا فلما رفع الله عيسى من بين اظهرهم وقتلوا يحيى بعث الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له خردوش فسار اليهم باهل بابل حتى دخل عسكرهم الشام فلما ظهر عليهم امر راسا من رؤس جنوده يدعى بيورزذان صاحب الفيل فقال اني كنت حلفت بالهي لئن انا ظفرت على اهل بيت المقدس لاقتلنهم حتى تسيل دماؤهم في وسط عسكري إلا اني لا اجد احدا اقتله فامره ان يقتلهم حتى بلغ ذلك منهم بيورزاذان ودخل بيت المقدس فقام في البقعة التي كانوا يقربون فيها قربانهم اوجد دما يغلي فسألهم عنه فقال يا بني إسرائيل ما شأن هذا الدم يغلي اخبروني خبره قالوا هذا دم قربان لنا قربناه فلم يقبل منه فذلك يغلي ولقد قربناه منذ ثمانمائة سنة القربان يتقبل منا إلا هذا فقال ما صدقتموني فقالوا لو كان كول زمانا لتقبل منا ولكن قد انقطع منا الملك والنبوة والوحي فلذلك لم يقبل ما فذبح منهم بيورزاذان على ذلك الدم سبعمائة وسبعين رجلا من رؤوسهم فلم يهدا فامر بسبعمائة غلام من غلمانهم فذبحهم على الدم فلم يهدا فامر بسبعة الاف من شيبهم وازواجهم فذبحهم على الدم فلم يهدا فلما رأى بيورزاذان الدم لا يهدا قال لهم يا بني إسرائيل ويلكم اصدقوني واصبروا (١١٦) على امر ربكم فقد طال ما ملكتم في الارض تفعلون فيها ما شئتم قبل أن لا اترك منكم نافخ نار أتى ولا ذكر إلا قتلته فلما رأوا الجد منه وشدة القتل صدقوا الخبر فقالوا ان هذا الدم دم نبي كان ينهانا عن أمور كثيرة من سخط الله فلو أنا اطعناه فيها لكان ارشد لنا وكان يخبرنا بأمركم فلم نصدقه فقتلناه فهذا دمه فقال لهم بيورزاذان ما كان اسمه قالوا يحيى بن زكريا قال الان لتفسدن صدقتموني بمثل هذا انتقم ربكم منكم فلما رأى بيورزاذان انهم صدقوه خر ساجدا وقال لمن حوله اغلقوا ابواب المدينة واخرجوا من كان ههنا من جيش خردوش وخلا في بني إسرائيل قال يا يحيى بن زكريا ندعلم ربي وربك ما قد اصاب قومك من اجلك وما قتل منهم فاهدا باذن ربك قبل ان لا ابقي من قومك احدا فهدا الدم باذن الله ورفع بيورزاذان عنهم القتل وقال آمنت بالذي امنت به بنو إسرائيل وايقنت انه لا رب غيره وقال لبني إسرائيل ان خردوش امرني ان اقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره وانى لست استطيع إن اعصية فقالوا له افعل ما امرت به فامرهم فحفروا خندقا وامر بأموالهم من الخيل والبغال والحمير والابل والبقر والغنم فذبحها حتى سأل الدم في العسكر وامر بالقتلى الذين قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ما قتل من مواشيهم فلم يظن خردوش الا ما في الخندق من دماء بني إسرائيل فما بلغ الدم عسكره ارسل ان بيورزاذان ان ارفع عنهم القتل ثم انصرف إلى بابل وقد افنى بنو إسرائيل او كاد ان يفنيهم وهي الواقعة الاخيرة التي انزل الله نبي إسرائيل وذلك قوله لتفسدن في الارض مرتين فكانت الواقعة الاولى بختنصر وجنوده الاخرى خردوش وجنوده وكانت اعظم الوقعتين فلم يقم لهم بعد ذلك راية وانتقل الملك بالشام ونواحيها إلى الروم اليونانية إلا بقايا بني إسرائيل كثروا وكانت لهم الرياسة ببيت المقدس ونواحيها على غير وجه الملك وكانوا في نعمة إلى ان بدلوا واحدثوا الاحداث فسلط الله عليهم طيطوس بن اسطيانوس الرومي فاخرب بلادهم وطردهم عنها ونزع الله عنهم الملك والرياسة وضربت عليهم الذلة فلا يبقى احد منهم إلا وعليه الصغار والجزية وبقي بيت المقدس خرابا إلى خلافة عمر بن الخطاب فعمره المسلمون بامره وقال قتادة بعث الله عليهم جلوت في الاولى فسعى وقتل وخرب ثم رددنا لكم الكرة عليهم يعني في زمان داود فاذا جاء وعد الاخرة بعث الله عليهم بختنصر فسعى وخرب ثم قال عسى ربكم ان يرحمكم فعاد الله عليهم بالرحمة ثم عاد اللوم بشر ما بحضرتهم فبعث الله عليهم ماشاء من نقمته وعقوبته ثم بعث الله عليهم العرب كما قال واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب فهم في العذاب الى يوم القيامة وذكر السدي باسناده ان رجلا من بني إسرائيل رئي في النوم ان خراب بيت المقدس على يدي غلام يتيم ابن ارملة من اهل بابل يدعى بختنصر وكانوا يصدقون فصدق رؤياهم فاقبل ليسأل عنه حتى نزل على امه وهو يحتطب فجاء وعلى رأسه حزمة حطب فالقاها ثم قعد فكلمه ثم اعطاه ثلاثة دراهم فقال اشتر بهذا طعاما وشرابا فاشترى بدرهم لحما وبدرهم خبزا وبدرهم خمرا فاكلوا وشربوا

سيفسدون وهو قوله تعالى

وفعل فى اليوم الثانى كذلك وفى اليوم الثالث كذلك ثم قال إنى أحب أن تكتب لى أمانا إن انت ملكت يوما من الدهر فقال أتسخر منى فقال إنى لا أسخر منك ولكن ما عليك أن تتخذها عندى يدا فكتب له أمانا وقال أرأيت إن جئت والناس حولك قد حالوا بينى وبينك قال ترفع صحيفتك على قصبة فاعرفك فكتب له وأعطاه أن ملك بنى إسرائيل كان يكرم يحيى بن زكريا ويدنى مجلسه وانه هوى ابنة امرأته وقال ابن عباس ابنة اخيه فسأل يحيى بن زكريا عن تزويجها فنهاه عن نكاحها فبلغ ذلك أمها فحقدت على يحيى بن زكريا وعمدت حين جلس الملك على شرابه فالبستها ثيابا رقاقا حمرا وطيبتها وألبستها الحلى وأرسلتها إلى الملك وأمرتها أن تستميله الخمر فان أراودها عن نفسها ابت عليه حتى يعطيها ما سألته فاذا أعطاها سألت رأس يحيى بن زكريا أن يؤتى به فى طست ففعلت ذلك فلما اراودها قالت لا أفعل حتى تعطينى ما أسألك قال فما تسالينى قالت رأس يحيى بن زكريا أن يؤتى به فى الطست فقال ويحك سليني غير هذا فقالت ما اريد إلا هذا فلما أبت عليه بعث فاتى برأسه حتى وضع بين يديه والرأس يتكلم ويقول ويل لك لا تحل لك ويكرر ذلك فلما اصبح إذا دمه يغلى فامر بتراب فالقى عليه فرقى الدم يعنى صعد الدم يغلى ويلقى عليه التراب حتى بلغ سور المدينة وهو فى ذلك يغلى فبعث صخابين ملك بابل جيشا إليهم وامر عليهم بختنصر فسار بختنصر وأصحابه حتى بلغوا ذلك المكان فلما سمعوا به تحصنوا منه فى مدائنهم فلما اشتد عليهم المقام اراد الرجوع فخرجت اليه عجوز من عجائز بنى إسرائيل فقالت تريد أن ترجع قبل فتح المدينة قال نعم قد طال مقامى وجاع أصحابى قالت أرأيت ان فتحت لك المدينة تعطينى ما أسألك فتقتل من امرتك بقتله وتكف إذا أمرتك أن تكف قال نعم قالت إذا أصبحت أن تقسم جندك اربعة ارباع ثم اقم على كل زاوية ربعا ثم ارفعوا أيديكم إلى السماء فنادوا الا نستفتحك يا الله بدم يحيى بن زكريا فانها سوف تتساقط فنهضوا فتساقطت المدينة ودخلوا من جوانبها فقالت كف يدك وانطلقت به إلى دم يحيى بن زكريا وقالت اقتل على هذا الدم حتى يسكن فتقتل عليه سبعين الفا حتى سكن فلما سكن قالت كف الان يدك فان الله لم يرض إذا قتل نبى حتى يقتل من قتله ومن رضى بقتله فاتاه صاحب الصحيفة فصحيفته فكف عنه وعن أهل بيته فخرب بيت المقدس وطرح فيه الجيف واعانه على خرابه الروم من اجل ان بنى اسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا وذهب معه بوجوه بنى إسرائيل وذهب بدانيال وقوم من اولاد الانبياء وذهب معه برأس جالوت فلما قدم بابل وجد صخابين قدمات فتملك مكانه وكان اكرم الناس عنده دانيال واصحابه فحسدهم المجوس وشوا بهم اليه وقالوا له دانيال واصحابه لا يعبدون إلهك ولا (١١٧) يأكلون ذبيحتك فسالهم فقالوا

(لتفسدن فى الأرض مرتين) وقال ابن عباس وقضينا عليهم فى الكتاب فالى بمعنى على والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ واللام لتفسدن لام القسم تقديره والله لتفسدن فى الأرض يعنى بالمعاصى والمراد بالأرض أرض الشام وبيت المقدس (ولتعلن) يعنى ولتستكبرن ولتظلمن الناس (علوا كبيرا فاذا جاء وعد اولاهما) يعنى

اجل لنارا نعبده ولسنا ناكل من ذبيحتكم فامر الملك بخد فخدلهم فالقوا فيه وهم ستة والقى معهم بسبع ضار ليأكلهم فذهبوا ثم راحوا فوجدوهم جلوسا والسبع مفترش ذراعيه معهم لم يخدش منهم احدا ووجدوا معهم رجلا سابعا فقال ما هذا السابع إنما كانوا ستة فخرج السابع وكان ملكا فطمه لطمة فصار فى صورة الوحش ومسخه الله سبع سنين وذكر وهب ان الله مسخ بختنصر نسرا فى الطيور ثم مسخه نورا فى الدواب ثم مسخه أسدا فى الوحوش فكان مسخه سبع سنين وقلبه فى ذلك قلب إنسان ثم رد الله اليه ملكه فامن فسئل وهب اكان مؤمنا فقال وجدت اهل الكتاب اختلفوا فيه فمنهم من قال مات مؤمنا ومنهم من قال احرق بيت الله وكتبه وقتل الانبياء فغضب الله عليه فلم يقبل توبته وقال السدى ثم ان بختنصر رجع الى صورته بعد المسخ ورد الله اليه ملكه كان دانيال واصحابه اكرم الناس عليه فحسدهم المجوس وقالوا لبختنصر ان دانيال إذا شرب الخمر لم يملك نفسه ان يبول وكان ذلك فيهم عارا لجعل لهم طعاما وشرابا فاكلوا وشربوا وقال للبواب انظر اول من يخرج ليبول فاضربه بالطبرزين فقال انا بختنصر فقال كذبت بختنصر امرنى بذلك فكان اول من قام للبول بختنصر فلما راه البواب شد عليه فقال ويحك انا بختنصر فقال كذبت بختنصر امرنى فضربه فقتله هذا ما ذكره فى المبتدا إلا ان رواية من روى ان بختنصر غزى بنى اسرائيل عند قتلهم يحيى بن زكريا غلط عند اهل السير بل هم مجمعون على ان بختنصر انما غزى بنى اسرائيل عند قتلهم شعياء فى عهد ارميا ومن وقت ارميا وتخرب بختنصر بيت المقدس الى مولد يحيى بن زكريا اربعمائة احدى وستون سنة وذلك انهم كانوا يعدون من لدن تخريب بختنصر بيت المقدس الى حين عمارته فى عهد كيوس بن اخشورش بن اصبهبذ بابل من قبل بهمن بن اسفنديار سبعين سنة ثم من بعد عمارته الى ظهور الاسكندر على بيت المقدس ثمان وثمانون سنة ثم من بعد مملكته التى قتل يحيى بن زكريا ثلثمائة وستة والصحيح من ذلك ما ذكر محمد بن اسحق قوله عز وجل وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب اى اعلمناهم واخبرناهم فيما اتيناهم من الكتاب انهم سيفسدون والقضاء على وجوه يكون امرا كونه وقضى ربك ويكون حكما كونه أن ربك يقضى بينهم ويكون خلقا كقوله فقضاهن سبع سموات وقال ابن عباس وقتادة يعنى وقضينا عليهم فالى بمعنى على والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ (لتفسدن) لام القسم مجازه والله لتفسدن (فى الارض مرتين) بالمعاصى والمراد بالأرض ارض الشام وبيت المقدس (ولتعلن) ولتستكبرن ولتظلمن الناس (علوا كبيرا فاذا جاء وعد اولاهما) يعنى اولى مرتين قال قتادة افسادهم فى المرة الأولى ما خالفوا من احكام التوراة وركبوا المحارم وقال محمد بن اسحق افسادهم فى المرة الأولى قتل شعياء بين الشجرة وارتكابهم المعاصى

(بعثنا عليكم عبادا لنا) قال قتادة يعنى جالوت الجزرى وجنوده وهو الذى قتله داود وقال سعيد بن جبير يعنى سنجاريب من أهل نينوى وقال ابن إسحق بختنصر البابلى وأصحابه (١١٨) وهو الأظهر (أولى بأس) ذوى بطش (شديد) فى الحرب (فجاسوا) أى فطافوا وداروا (خلال الديار) وسطها يطلبونكم ويقتلونكم والجوس طلب الشىء بالاستقصاء قال الفراء جاسوا قتلوكم بين بيوتكم (وكان وعدا مفعولا) قضاء كائنا لا خلف فيه (ثم رددنا لكم الكرة) يعنى الرجعة والدولة (عليهم وامددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا) عددا أى من ينفر معهم وعاد البلد أحسن مما كان (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم) اى لها ثوابها (وإن أسأتم فلها) اى فعليها كقوله تعالى فسلام لك اى عليك وقيل فلها الجزاء والعقاب (فاذا جاء وعد الاخرة) اى المرة الاخيرة من إفسادكم وذلك قصدهم قتل عيسى عليه السلام حين رفع وقتلهم يحيى بن زكريا عليهما السلام فسلط الله عليهم الفرس والروم خردوش وطيطوس حتى قتلوهم وسبوهم ونفوهم عن ديارهم فذلك قوله تعالى (ليسوؤا وجوهكم) اى تحزن وجوهكم وسوء الوجه بادخال الغم والحزن قرأ الكسائى ويعقوب لنسوء بالنون وفتح الهمزة على التعظيم كقوله وقضينا وبعثنا وقرأ ابن عامر وحمزة وأبو بكر بالياء وفتح الهمزة على التوحيد أى ليسوء الله وجوهكم وقيل لبسوء الوعد وجوهكم وقرأ الباقون بالياء وضم الهمزة على الجمع أى ليسوء العباد أولوا البأس الشديد وجوهكم لشعياء (وليدخلوا المسجد) يعنى بيت المقدس ونواحيه (كما دخلوه أول مرة وليتبروا) وليهلكوا (ما علوا) أى ما غلبوا عليه من بلادكم (تتبيرا)

أولى المرتين قيل إفسادهم فى المرة الأولى هو ما خالفوا من أحكام التوراة وركبوا من المحارم وقيل إفسادهم فى المرة الأولى قتلهم شعياء فى الشجرة وارتكابهم المعاصى (بعثنا عليكم عبادا لنا) يعنى جالوت وجنوده وهو الذى قتله داود وقيل هو سنجاريب وهو من أهل نينوى وقيل هو بختنصر البابلى وهو الاصح (أولى باس شديد) يعنى ذوى بطش وقوة فى الحرب (فجاسوا خلال الديار) يعنى طافوا بين الديار وسطها يطلبونكم ليقتلوكم (وكان وعدا مفعولا) يعنى قضاء كائنا لازما لا خلف فيه (ثم رددنا لكم الكرة عليهم) يعنى رددنا لكم الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم حين تبتم من ذنوبكم ورجعتم عن الفساد (وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا) يعنى أكثر عددا (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم) يعنى لها ثوابها وجزاء إحسانها (وإن أسأتم فلها) يعنى فعلها إساءتها (فاذا جاء وعد الاخرة) يعنى المرة الاخرة من إفسادكم وهو قصدهم قتل عيسى فخلصه الله منهم ورفعه إليه وقتلوا زكريا ويحيى عليهما السلام فسلط عليهم الفرس والروم فسبوهم وقتلوهم وهو قوله تعالى (ليسوؤا وجوهكم) يعنى ليحزنوكم وقرىء بالنون أى ليسوء الله وجوهكم (وليدخلوا المسجد) يعنى بيت المقدس ونواحيه (كما دخلوه أول مرة) يعنى وقت إفسادهم الأول (وليتبروا ما علوا تتبيرا) يعنى وليهلكوا ما غلبوا عليه من بلاد بنى إسرائيل إهلاكا (ذكر القصة فى هذه الآية) قال محمد بن إسحق كانت بنو إسرائيل قبل هم الأحداث والذنوب وكان الله فى ذلك متجاوزا عنهم ومحسنا إليهم وكان أول ما نزل بهم بسبب ذنوبهم ان ملكا منهم كان يدعى صديقة وكان الله إذا ملك عليهم الملك بعث معه نبيا ليسدده ويرشده ولا ينزل عليهم كتابا إنما يؤمرون باتباع التوراة والأحكام التى فيها فلما ملك صديقة بعث الله معه شعياء وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى وشعياء هو الذى بشر بعيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم فقال ابشرى اورشليم الان يأتيك راكب الحمار ومن بعده صاحب البعير فلما ذلك الملك يعنى صديقة بنى إسرائيل وبيت المقدس زمانا فلما انقضى ملكه عظمت الاحداث فيهم وكان معه شعياء فبعث الله سنجاريب ملك بابل ومعه ستمائة ألف راية فلم يزل سائرا حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض من قرحة كانت فى ساقه فجاء شعياء النبى إليه وقال يا ملك بنى إسرائيل إن سنجاريب ملك بابل قد نزله بك هو وجنوده بستمائة ألف راية وقد ظنوا بهم الناس وفرقوا منهم فكبر ذلك على الملك وقال يا نبى الله هل أتاك من الله وحى فيما حدث فتخبرنا به وكيف يفعل الله بنا وبسنجاريب وجنوده فقال شعياء لم يأتنى وحى فى ذلك فبينما هم على ذلك أوحى الله إلى شعياء النبى ان ائت ملك بنى إسرائيل فمره أن يوصى وصيته ويستخلف على ملكه من يشاء من أهل بيته فاتى شعياء ملك بنى إسرائيل وقال ان ربك قد أوحى إلى ان امرك أن توصى وصيتك وتستخلف من شئت على ملكك من أهل بيتك فانك ميت فلما قال ذلك شعياء لصديقة الملك أقبل على القبلة فصلى ودعا فقال وهو يبكى ويتضرع إلى الله تعالى بقلب مخلص اللهم رب الارباب وإله الالهة ياقدوس يا متقدس يا رحمن يا رحيم يا رؤف يا من لا تأخذه سنة ولا نوم اذكرنى بعملى وفعلى وحسن قضائى على بنى إسرائيل وذلك كله كان منك وأنت أعلم به منى سرى وعلانيتى لك فاستجاب الله له وكان عبدا صالحا فأوحى الله إلى شعياء ان يخبر صديقة ان ربه قد استجاب له ورحمه وأخر أجله خمس عشرة سنة وأنجاه من عدوه سنجاريب فاتاه شعياء فاخبره فلما قال له ذهب عنه الوجع وانقطع عنه الحزن وخر ساجدا لله وقال إلهى وإله أبائى لك سجدت وسبحت وكبرت وعظمت أنت الذى تعطى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتزل من تشاء عالم الغيب والشهادة انت الاول والاخر والظاهر والباطن وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين انت الذى اجبت دعوتى ورحمت تضرعى فلما رفع رأسه اوحى الله إلى شعياء ان قل للملك صديقة فيأمر عبدا من عبيده فيأتيه بماء التين فتجعله على قرحته فيشفى فيصبح وقد برا ففعل ذلك فشفى فقال الملك لشعياء سل ربك ان يجعل لنا علما بما هو صانع بعدونا هذا قال الله

لشعياء قل له إنى قد كفيتك عدوك وأنجيتك منهم وأنهم سيصبحون موتى كلهم إلا سنجاريب وخمسة نفر من كتابه احدهم يختصر فلما اصبحوا جاء صارخ يصرخ على باب المدينة يا ملك بنى إسرائيل أن الله قد كفاك عدوك فاخرج فان سنجاريب ومن معه هلكوا فخرج الملك والتمس سنجاريب فلم يوجد فى الموتى فبعث الملك فى طلبه فادركه الطلب فى مفازة ومعه خمسة نفر من كتابه احدهم يختصر فجعلوهم فى الجوامع ثم اتوا بهم الملك فلما رآهم خر ساجدا لله تعالى من حين طلعت الشمس إلى العصر ثم قال لسنجاريب كيف رايت فعل ربنا بكم الم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وأنتم غافلون فقال سنجاريب قد اتانى خبر ربكم ونصره إياكم ورحمته التى يرحمكم بها قبل أن أخرج من بلادى فلم أطع مرشدا ولم يلقنى فى الشقوة إلا قلة عقلى ولو سمعت أو عقلت ماغزوتكم فقال الملك لصديقه الحمد لله رب العالمين الذى كفانا كم بما شاء وأن ربنا لم يمنعك ومن معك لكرامتك عليه ولكنه إنما أبقاك ومن معك لتزدادوا شقوة فى الدنيا وعذابا فى الاخرة ولتخبروا من وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا بكم فتنذروا من بعدكم ولو لا ذلك لقتلك ومن معك ولدمك ودم من معك أهون على الله من دم قرادلو لا قتلت ثم ان ملك بنى إسرائيل أمر أمير جرسه أن يقذف فى رقابهم الجوامع ففعل وطاف بهم سبعين يوما حول بيت المقدس وايلياء وكان يرزقهم فى كل يوم خبزين من بعير لكل رجل منهم فقال سنجاريب للملك صديقة القتل خير مما نحن فيه وما تفعل بنا فامر بهم إلى السجن فاوحى الله إلى شعياء النبى ان قل لملك بنى اسرائيل يرسل سنجاريب ومن معه لينذوا من وراءهم ليسكرمهم وليحملهم حتى يبلغوا بلادهم فبلغ ذلك شعياء للملك ففعل وخرج سنجاريب ومن معه حتى قدموا بابل فلما قدم الناس فاخبرهم كيف فعل الله تعالى بجنوده فقال له كهانة وسحرته يا ملك بابل قد كنا نقص عليك خبر ربهم وخبر نبيهم ووحى الله إلى نبيهم فلم تطعنا وهى أمة لا يستطعها أحد مع ربهم وكان أمر سنحاريب تخويفا لبنى إسرائيل ثم كفاهم الله تعالى ذلك تذكرة وعبرة ثم أن سنجاريب لبث بعد ذلك سبع سنين ثم مات واستخلف على ملكه بختنصر ابن ابنه فعمل بعمله وقضى بقضائه فلبث سبع عشرة سنة ثم قبض الله ملك بنى اسرائيل صديقة فمرج امر بنى اسرائيل وتنافسوا الملك حتى قتل بعضهم بعضا وشعياء نبيهم معهم لا يقبلون منه فلما فعلوا ذلك قال الله لشعياء قم فى قومك حتى اوحى على لسانك فلما قام أطلق الله لسانه بالوحى فقال يا سماء استمعى ويا أرض أنصتى فان الله يريد أن يقص شأن بنى إسرائيل الذين رباهم بنعمته واصطفاهم لنفسه وخصهم بكرامته وفضلهم على عباده وهم كالغنم الضائعة التى لا راعى لها فاوى شاردتها وجمع ضالتهم وجبر كسيرها وداوى مريضها واسمن مهزولها وحفظ سمينها فلما فعل ذلك بطرت فتناطحت كباشها فقتل بعضها حتى لم يبق منها عظم صحيح يجبر اليه آخر فويل لهذه الأمة الخاطئة الذين لا يدرون أنى جاءهم الحين ان البعير مما يذكر وطنه فينتابه وان أعمار مما يذكر الارى الذى يشبع عليه فيراجعه وأن الثور مما يذكر المرج الذى سمن فيه فينتابه وان هؤلاء القوم لا يذكرون من حيث جاءهم الخير وهم اولوا الالباب والعقول ليسوا ببقر ولا حمير وانى ضارب لهم مثلا فليسمعوه قل كيف ترون فى أرض كانت خرابا زمانا لا عمران فيها وكان لها رب حكيم قوى فاقبل عليها بالعمارة وكره أن تخرب أرضه وهو قوى أو يقال ضيع وهو حكيم فاحاط عليها جدارا وشيد فيها قصرا وانبط فيها نهرا وصف فيها غراسا من الزيتون والرمان والنخيل والأعناب والوان الثمار كلها وولى ذلك واستحفظه فيما ذا راى وهمة حفيظا قويا اميناً فلما اطلعت جاء طلعها خروبا فقالوا ابئست الارض هذه فنرى ان يهدم جدارها وقصرها ويدفن نهرها ويقبض قيمها ويحرق غراسها حتى تصير كما كانت اول مرة خرابا موات لا عمران فيها قال الله تعالى قل لهم الجدار دينى والقصر شريعتى وان النهر كتابى وان القيم نبيى وان الغراس هم وان الخروب الذى اطلع الغراس اعمالهم الخبيثة وإنى قضيت عليهم قضاء هم على انفسهم وانه مثل ضربته لهم يتقربون إلى بذبح البقر والغنم وليس ينالنى اللحم ولا آكله ويدعون أن يتقربوا إلى بالتقوى والكف عن ذبح الانفس التى حرمتها وايديهم مخضوبة منها وثيابهم متزملات بدمائها يشيدون لى البيوت مساجد ويطهرون أجوافها وينجسون قلوبهم واجسادهم ويدنسونها ويزوقون لى المساجد

ويزينوها ويخربون عقولهم وأخلاقهم ويفسدونها فاى حاجة إلى تشييد البيوت ولست اسكنها وأى حاجة لى إلى تزويق المساجد ولست أدخلها إنما امرت برفعها لاذكر واسبح فيها يقولون صمنا فلم يرفع صيامنا وصلينا فلم تنور صلاتنا وتصدقنا فلم تزكى صدقتنا ودعونا بمثل حنين الحمام وبكينا بمثل عواء الذئاب فى كل ذلك لا يستجاب لنا قال الله فاسألهم ما الذى يمنعنى أن أستجيب لهم الست اسمع السامعين وابصر الناظرين وأقرب المجيبين وأرحم الراحمين فكيف أرفع صيامهم وهم يلبسونة بقوله الزور ويتقوون عليه بطعمة الحرام أم كيف أنور صلاتهم وقلوبهم صاغية إلى من يحاربنى ويحادنى وينتهك محارمى أم كيف تزكوا عندى صدقاتهم وهم يتصدقون باموال غيرهم إنما آجر عليها أهلها المغصوبين أم كيف استجيب لهم دعاءهم وإنما هو قولهم بالسنتهم والفعل من ذلك بعيد وإنما أستجيب للداعى اللين وإنما استمع قول المستضعف المستكين وان من علامة رضاى رضى المساكين يقولون لما سمعوا كلامى وبلغتهم رسالتى أنها أقاويل منقولة وأحاديث متواترة وتأليف مما تؤلف السحرة والكهنة وزعموا انهم لو شاؤا أن يأتوا بحديث مثله فعلوا ولو شاؤا ان يطلعوا على علم الغيب بما توحى اليهم الشياطين اطلعوا وانى قد قضيت يوم خلقت السموات والأرض قضاء أثبته وحتمته على نفسى وجعلت دونه اجلا مؤجلا لابد انه واقع فان صدقوا فيما ينتحلون من علم الغيب فليخبروك متى انقذه او فى اى زمان يكون وإن كانوا يقدرون على ان ياتوا بما يضاؤن فليأتوا بمثل هذه القدرة التى بها امضيت فانى مظهره على الدين كله ولو كره المشركون كان كانوا يقدرون على ان يؤلفوا ما يشاؤن فيؤلفوا مثل هذا الحكمة التى أدبر بها ذلك القضاء إن كانوا صادقين وإنى قد قضيت يوم خلقت السماء والأرض أن أجعل النبوة فى الاجراء وان اجعل الملك فى الرعاء والعز فى الاذلاء والقوة فى الضعفاء والغنى فى الفقراء والعلم فى الجهلة والحكمة فى الأميين فسلهم متى هذا ومن القائم بهذا ومن أعوان هذا الأمر وأنصاره إن كانوا يعلمون وإنى باعث لذلك نبيا اميا ليس اعمى من عميا ولا ضال من ضالين وليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الاسواق ولا منزين بالفحش ولا قوال للخنا اسدده بكل جميل واهب له كل خلق كريم اجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقولة والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى إمامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدى به بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واشهر به بعد النكرة واكثر به القلة واغنى به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة واؤلف به بين قلوب مختلفة واهواء متشتة وامم متفرقة واجعل امته خير امة اخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر توحيدا لى وإيمانا بى واخلاصا لى يصلون قياما وقعودا وركعا وسجودا ويقاتلون فى سبيلى صفوفا وزحوفا ويخرجون من ديارهم واموالهم ابتغاء مرضاتى الهمهم التكبير والتسبيح والتحميد والتهليل والمدحة والتمجيد لى فى مسيرهم ومجالسهم ومضاجعهم ومتقلبهم ومثواهم يكبرون ويهللون ويقدسون على رؤوس الاشراف يطهرون لى الوجوه والاطراف ويعقدون لى النيات على الانصاف قربانهم دماؤهم واناجيلهم فى صدورهم رهبان بالليل ليوث بالنهار وذلك فضلى اوتيه من اشاء وانا ذو الفضل العظيم فلما فرغ شعياء من مقالته عدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقيته شجرة فانفلقت له فدخل فيها فادركه الشيطان فاخذ بهدبة من ثوبه فاراهم اياها فوضعوا المنشار فى وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه فى وسطها واستخلف الله على بنى اسرائيل بعد ذلك رجلا منهم يقال له ناشة بن اموص وبعث لهم ارمياء بن حلقيا نبيا وكان من سبط هرون بن عمران ذكر ابن اسحق انه الخضر واسمه ارمياء سمى الخضر لانه جلس على فروة بيضاء فقام عنها وهى تهتز خضراء فبعث الله ارمياء إلى ذلك الملك ليسدده ويرشده ثم عظمت الاحداث فى بنى اسرائيل وركبوا المعاصى واستحلوا المحارم فاوحى الله إلى ارمياء ان ائت قومك من بنى اسرائيل فاقصص عليهم ما آمرك به وذكرهم نعمى وعرفهم باحداثهم فقال ارمياء يارب إنى ضعيف إن لم تقوى عاجز ان لم تبلغنى مخذول ان لم تنصرنى وقال الله تعالى او لم تعلم ان الامور كلها تصدر عن مشيتى وان القلوب والالسنة بيدى اقلبها كيف شئت انى معك وان يصل

اليك

إليك شيء معي فقام أرمياء فهم ولم يدر ما يقول فألهمه الله عز وجل في الوقت خطبة بليغة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال في آخرها عن الله عز وجل وانى حلفت بعزتى لأقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحليم ولأسلطن عليهم جبارا قاسيا ألبسه الهيبة وأنزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم أوحى الله إلى إرمياء انى مهلك بنى إسرائيل ببيافث ويافث من أهل بابل فسلط الله عليهم بختنصر فخرج في ستمائة الف راية ودخل بيت المقدس بجنوده ووطىء الشام وقتل بنى إسرائيل حتى أفناهم وخرب بيت المقدس وامر جنوده ان يملا كل رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفه في بيت المقدس ففعلوا ذلك حتى ملؤه ثم أمرهم ان يجمعوا من في بلدان بيت المقدس كلهم فاجتمع عنده كل صغير وكبير من بنى إسرائيل فاختار منهم سبعين الف صبي فلما خرجت غنائم جنده وأراد أن يقسمها فيهم قالت له الملوك الذين كانوا معه ايها الملك لك غنائمنا كلها واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بنى إسرائيل فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فأصاب كل رجل منهم أربعة غلمان وفرق من بقى من بنى إسرائيل ثلاث فرق ثلثا أقرهم بالشام وثلثا ساهم وثلثا قتلهم وذهب بأناث بيت المقدس وبالصبيان السبعين الفاحتى أقدمهم بابل فكانت هذه الواقعة الأولى التي أنزل الله عز وجل ببنى إسرائيل بظلمهم فذلك قوله سبحانه وتعالى فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد يعنى بختنصر واصحابه ثم ان بختنصر أقام في سلطانه ماشاء الله ثم رأى رؤيا عجيبة إذ رأى شيا أصابه فأنساه الذى رأى فدعا دانيال وحنانيا وعزاريا ومشائيل وكانوا من ذرارى الأنبياء وسألهم عنها فقالوا اخبرنا بها نخبرك بتأويلها فقال ما أذكرها ولئن لم تخبرونى بها وبتأويلها لانزعن اكتافكم فخرجوا من عنده فدعوا الله وتضرعوا اليه فاعلمهم الله بالذى سألهم عنه فجاؤه فقالوا رأيت تمثالا قدماه وساقاه من فخار وركبتاه وفخذاه من نحاس وبطنه من فضة وصدره من ذهب ورأسه وعنقه من حديد قال صدقتم قالوا فبينما انت تنظر إليه وقد اعجبك ارسل الله صخرة من السماء فدقته فهى التي أنستكها قال صدقتم فما تأويلها قالوا تأويلها انك رايت الملوك بعضهم كان الين ملكا وبعضهم أحسن ملكا وبعضهم كان اشد ملكا والفخار اضعفه ثم فوقه النحاس اشد منه ثم فوق النحاس والفضة احسن من ذلك وافضل والذهب احسن من الفضة وافضل ثم الحديد ملكك فهو اشد واعز مما قبله والصخرة التي رأيت ارسل الله من السماء فدقته فنبى يبعثه الله من السماء فيدق ذلك اجمع ويصير الأمر اليه ثم ان اهل بابل قالوا لبختنصر ارايت هؤلاء الغلمان من بنى إسرائيل الذين سألناك ان تعطينا لهم ففعلت فانا قد انكرنا نساءنا منذ كانوا معنا لقد رأينا نساءنا انصرفت وجوههن عنا إليهم فاخرجهم من بين اظهرنا أو اقتلهم فقال شانكم بهم فمن احب منكم ان يقتل من كان في يده فليفعل فلما قربوهم للقتل بكوا وتضرعوا إلى الله عز وجل وقالوا يا ربنا اصابنا البلاء بذنوب غيرنا فوعدهم الله ان يحييهم فقتلوا إلا من كان منهم مع بختنصر منهم دانيال وحنانيا وعزاريا وميشائيل ثم لما اراد الله تعالى هلاك بختنصر انبعث فقال لمن في يده من بنى إسرائيل ارايتم هذا البيت الذى خربت والناس الذى قتلت منكم وما هذا البيت قالوا هو بيت الله وهؤلاء اهله كانوا من ذرارى الأنبياء فظلموا وتعدوا فسلطت عليهم بذنوبهم وكان ربهم رب السموات والأرض ورب الخلائق كلهم يكرمهم ويعزهم فلما فعلوا ما فعلوا أهلكهم وسلط عليهم غيرهم فاستكبروا وتجبروا وظن انه بجبروته فعل ذلك ببنى إسرائيل قال ما خبرونى كيف لى ان اطلع إلى السماء العليا فاقتل من فيها واتخذها لى ملكا قد فرغت من اهل الأرض قالوا ما يقدر عليها احد من الخلائق قال لتفعلن او لأقتلنكم عن آخركم فبكوا وتضرعوا إلى الله تعالى فبعث الله عز وجل عليه بقدرته بعوضة فدخلت منخره حتى عضت ام دماغه فما كان يقر ولا يسكن حتى يوجا له راسه على ام دماغه فلما مات شقوا راسه فوجدوا البعوضة عاضة على ام دماغه ليرى الله العباد قدرته ونجى الله من بقى من بنى اسرائيل في يده وردهم إلى الشام فبنوا فيه وكثروا حتى كانوا على احسن ما كانوا عليه ويزعمون ان الله سبحانه وتعالى احيا اولئك الذين قتلوا فلحقوا بهم ثم انهم لما دخلوا الشام دخلوها وليس معهم من الله عهد كانت التوراة قد احترقت وكان عزير من

السبايا الذين كانوا ببابل فلما رجع إلى الشام جعل يبكى ليله ونهاره وخرج عن الشام فبينما هو كذلك إذ جاءه رجل فقال له يا عزيز ما يبكيك قال ابكى على كتاب الله وعده الذى كان بين اظهرنا الذى لا يصلح ديننا وآخرتنا غيره قال أفتحب ان يرد اليك قال نعم قال ارجع فصم وتطهر وطهر ثيابك ثم موعدك هذا المكان غدا فرجع عزيز فصام وتطهر وطهر ثيابه ثم عمد إلى المكان الذى وعده فجلس فيه فاتاه ذلك الرجل باناء فيه ماء وكان ملكا بعثه الله اليه فسقاه من ذلك الاناء فثلثت التوراة فى صدره فرجع إلى بنى إسرائيل فوضع لهم التوراة فأحبوه حبا لم يحبوا حبه شيأ قط ثم قبضه الله تعالى وجعلت بنو إسرائيل بعد ذلك يحدثون الأحداث ويعود الله عليهم ويبعث فيهم الرسل ففريقا يكذبون وفريقا يقتلون حتى كان آخر من بعث اليهم من أنبيائهم زكريا ويحيى وعيسى عليه السلام وكانوا من بيت ال داود فزكريا مات وقيل قتل وتصدوا عيسى ليقتلوه فرفعه الله من بين أظهرهم وقتلوا يحيى فلما فعلوا ذلك بعث الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له خردوش فسار اليهم بأهل بابل حتى دخل عليه الشام فلما ظهر عليهم أمر رأسا من رؤساء جنوده يقال له بيورزاذان صاحب القتل فقال له انى قد كنت حلفت بالهى لئن انا ظفرت على اهل بيت المقدس لأقتلنهم حتى يسيل الدم فى وسط عسكرى إلا ان لا أجد أحدا اقتله فأمره ان يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم ثم ان بيورزاذان دخل بيت المقدس فقام فى البقعة التى كانوا يقربون فيها قربانهم فوجد فيها دما يغلى فسألهم عنه فقال يا بنى إسرائيل ما شان هذا الدم يغلى اخبرونى خبره فقالوا هذا دم قربان لنا قربناه فلم يقبل منا فلذلك يغلى ولقد قربنا القربان من ثمانمائة سنة فتقبل منا إلا هذا فقال ما صدقتمونى فقالوا لو كان كأول زماننا لتقبل منا لكن قد انقطع منا الملك والنبوة والوحى فلذلك لم يقبل منا فذبح بيورزاذان منهم على ذلك الدم سبعمائة وسبعين روحا من رؤسهم فلم يهدأ الدم فأمر سبعمائة غلاء من غلمانهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ فأمر بسبعة الاف من شيبهم وأزواجهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ فلما رأى بيورزاذان الدم لا يهدأ فقال لهم يا بنى إسرائيل ويلكم اصدقونى واصبروا على أمر ربكم فقد طالما ملكتم فى الأرض تفعلون ما شئتم قبل ان لا أترك منكم نافخ نار من ذكر ولا أنثى إلا قتلته فلما رأوا الجهد وشدة القتل صدقوه الخبر فقالوا ان هذا دم نبى كان ينهانا عن أمور كثيرة من سخط الله تعالى فلو كنا أطعناه كنا أرشدنا وكان يخبرنا عن اموركم فلم نصدقه ففتناه فهدأ دمه فقال بيورزاذان ما كان اسمه قالوا يحيى بن زكريا قال الآن صدقتمونى لمثل هذا ينتقم ربكم منكم فلما علم بيورزاذان انهم صدقوه خر ساجدا وقال لمن حوله اغلقوا أبواب المدينة واخرجوا من كان ههنا من جيش خردوش وخلافى بنى إسرائيل ثم قال يا يحيى بن زكريا قد علم ربى وربك ما اصاب قومك من اجلك ومن قتل منهم فاهدأ باذن ربك قبل ان لا ابقى من قومك احدا إلا قتلته فهدا الدم باذن الله تعالى ورفع بيورزاذان عنهم القتل وقال امنت بما آمنت به بنو إسرائيل وأيقنت انه لا رب غيره وقال لبنى إسرائيل ان خردوش امرنى ان اقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره وانى لا استطيع ان اعصيه قالوا له افعل ما امرت به فامرهم فحفروا خندقا وامرهم باموالهم من الخيل والبغال والحمير والابل والبقر والغنم فذبحها حتى سال الدم فى العسكر وامر بالقتلى للذين قتلوا قبل ذلك فطرحوه على ما قتل من المواشى فلم يظن خردوش إلا ان ما فى الخندق من دماء بنى إسرائيل فلما بلغ الدم عسكره ارسل إلى بيورزاذان ان ارفع عنهم القتل ثم انصرف إلى بابل وقد أفنى بنى إسرائيل او كاد ان يفنيهم وهى الواقعة الأخيرة التى أنزل الله ببنى إسرائيل فى قوله لتفسدن فى الأرض مرتين فكانت الواقعة الأولى بختنصر وجنوده والأخرى خردوش وجنوده وكانت أعظم الوقعتين فلم تقم لهم بعد ذلك راية وانتقل الملك بالشام ونواحيها إلى الروم واليونانيين إلا ان بقايا بنى إسرائيل كثروا وكانت لهم الرياسة ببيت المقدس ونواحيها على غير وجه الملك وكانوا فى نعمة إلى ان بدلوا وأحدثوا الأحداث فسلط الله عليهم طوطوس بن اسبيانيوس الرومى فخرب بلادهم وطردهم عنها ونزع الله عنهم الملك والرياسة وضربت عليهم الذلة والمسكنة فما لبثوا فى امة إلا وعليهم الصغار والجزية وبقى بيت المقدس خرابا إلى خلافة عمر بن الخطاب فعمره المسلمون

(عسى ربكم) يا بنى إسرائيل (أن يرحمكم) بعد انتقامه منكم فيرد الدولة اليكم (وإن عدتم عدنا) أى ان عدتم إلى المعصية عدنا إلى العقوبة قال قتادة فعادوا فبعث الله عليهم محمدا ﷺ فهم يعطون الجزية عن يدوهم صاغرون (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) سجنا ومحبسا من الحصر وهو الحبس قال الحسن حصيرا أى فراشا وذهب إلى الحصير الذى يبسط ويفرش (إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم) أى إلى الطريقة التى هى أصوب وقيل الكلمة التى هى أعدل وهى شهادة ان لا إله إلا الله (ويبشر) يعنى القرآن (المؤمنين الذين يعملون الصالحات

بأمره وقيل فى سبب قتل يحيى عليه السلام ان ملك بنى إسرائيل كان يكرمه ويدنى مجلسه وان الملك هوى بنت امراته وقال ابن عباس ابنة أخيه فسأل يحيى تزويجها فنهاه عن نكاحها فبلغ ذلك امها فحقدت على يحيى وعمدت حين جلس الملك على شرابه فالبستها ثيابا رقاقا حمر وطيبتها والبستها الحلى وارسلتها إلى الملك وأمرتها أن تسقيه فان راودها عن نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما سألته فاذا أعطاها ما سألت سألت رأس يحيى بن زكريا وأن يؤتى به فى طست ففعلت فلما راودها قالت لا أفعل حتى تعطينى ما أسألك قال فما تسألينى قالت رأس يحيى بن زكريا فى هذا الطست فقال ويحك سليني غير هذا قالت ما أريد غير هذا فلما أبت عليه بعث فاتى برأسه حتى وضع بين يديه والرأس يتكلم يقول لا يحل لك فلما أصبح إذا دمه يغلى فامر بتراب فالقى عليه فرقى الدم يغلى فلا زال يغلى ويلقى عليه التراب وهو يغلى حتى بلغ سور المدينة وهو فى ذلك يرقى ويغلى وسلط الله عليهم ملك بابل فخرب بيت المقدس وقتل سبعين الفا حتى سكن دمه * قوله عز وجل (عسى ربكم أن يرحمكم) يعنى يا بنى إسرائيل بعد انتقامه منكم فيرد الدولة اليكم (وإن عدتم) أى إلى المعصية (عدنا) أى إلى العقوبة قال قتادة فعادوا فبعث الله محمدا ﷺ عليهم فهم يعطون الجزية عن يدوهم صاغرون (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) اى سجنا ومحبسا من الحصر الذى هو مجلس الحبس وقيل فراشا من الحصير الذى يبسط ويفترش * قوله تعالى (إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم) أى إلى الطريقة التى هى أصوب وقيل إلى الكلمة التى هى اعدل وهى شهادة ان لا إله إلا الله (ويبشر) يعنى القرآن المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا) يعنى الجنة (وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا اليما) يعنى النار فى الآخرة (ويدع الإنسان) أى على نفسه وولده وماله (بالشر) يعنى قوله عند الغضب اللهم اهلكه اللهم العنه ونحو ذلك (دعاءه بالخير) أى كدعائه ربه أن يهب له النعمة والعافية ولو استجاب الله دعاءه على نفسه لهلك ولكن الله لا يستجيب بفضله وكرمه (وكان الإنسان عجولا) أى بالدعاء على ما يكره أن يستجاب له فيه وقال ابن عباس ضجرا لا صبر له على سراء ولا ضراء * قوله تعالى (وجعلنا الليل والنهار آيتين) اى علامتين دالتين على واحدانيتنا وقدرتنا وفى معنى الاية قولان احدهما ان يكون المراد من الايتين نفس الليل والنهار وهو انه جعلهما دليلين للخلق على مصالح الدنيا والدين اما فى الدين فلان كل واحد منهما مضاد للاخر مغاير مع كونهما متعاقبين على الدوام ففيه أقوى دليل على ان لهما مدبرا يدبرهما ويقدرهما بالمقادير المخصوصة وأما فى الدنيا فلان مصالح العباد لا تتم إلا بهما فى الليل يحصل السكون والراحة وفى النهار يحصل التصرف فى المعاش والكسب والقول الثانى ان يكون المراد وجعلنا نيرى الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر (فمحونا آية الليل) أى جعلنا الليل يمحو الضوء مطموسا مظلما لا يستبان فيه شىء (وجعلنا آية النهار مبصرة) أى تبصر فيه الاشياء رؤية بينة قال ابن عباس جعل الله نور الشمس سبعين جزءا ونور القمر كذلك فمحا من نور القمر تسعة وستين جزءا مع نور الشمس وحكى ان الله امر جبريل فامر جناحه على وجه القمر ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقى فيه النور وسأل ابن الكراء عليا عن السواد الذى فى القمر فقال هو أثر المحو (لتبتغوا فضلا من ربكم) أى لتتوصلوا ببياض النهار إلى استبانة اعمالكم والتصرف فى معايشكم (ولتعلموا) اى باختلاف الليل والنهار (عدد السنين والحساب)

أن لهم) بأن لهم (أجرا كبيرا) وهو الجنة (وإن الذين لا يؤمنون بالاخرة أعتدنا لهم عذابا أليما) وهو النار قوله تعالى (ويدع الانسان) حذف الواو لفظا لاستقلال اللام الساكنة كقوله سندع الزبانية وحذف فى الخط أيضا وهى غير محذوفة فى المعنى ومعناه ويدعو الإنسان على ماله وولده ونفسه (بالشر) فيقول عند الغضب اللهم العنه واهلكه ونحوهما (دعاءه بالخير) أى كدعائه ربه بالخير أن يهب له النعمة والعافية ولو استجاب الله دعاءه على نفسه لهلك ولكن الله لا يستجيب بفضله (وكان الإنسان عجولا) بالدعاء على ما يكره ان يستجاب له فيه قال جماعه من أهل التفسير وقال ابن عباس ضجرا لا صبر له على السراء والضراء قوله عز وجل (وجعلنا الليل والنهار ايتين) اى علامتين دالتين على وجودنا ووحدانيتنا وقدرتنا (فمحونا اية الليل) قال ابن عباس جعل الله نور الشمس سبعين جزأ ونور القمر كذلك فمحا من نور القمر تسعة وستين جزأ فجعلها مع نور الشمس حكى أن الله تعالى امر جبريل فامر جناحه على وجه القمر ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقى فيه النور وسأل ابن الكواء عليا عن السواد الذى فى القمر قال هو اثر المحو (وجعلنا آية النهار مبصرة) منيرة مضيئة يعنى يبصر بها قال الكسائى تقول العرب ابصر النهار إذا أضاءت بحيث يبصر بها (لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب) اى لو ترك الله الشمس والقمر كما خلقهما لم يعرف الليل من النهار ولم يدر الصائم متى يفطر ولم يدر وقت الحج ولا وقت حلول الآجال ولا وقت السكون والراحة

(وكل شيء فصلناه تفصيلا) قوله عز وجل (وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه) قال ابن عباس عمله وما قدر عليه فهو ملازمه أينما كان وقال الكلبي ومقاتل خيره وشره معه لا يفارقه حتى يحاسبه به وقال الحسن يمنه وشؤمه وعن مجاهد ما من مولود إلا في عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد وقال اهل المعاني اراد بالطائر ما قضى الله عليه انه عامله وما هو صائر اليه من سعادة او شقاوة سمي طائرا على عادة العرب فيما كانت تتفاءل وتتشاءم به من سوانح الطير وبوارحها وقال ابو عبيدة والقتيبي اراد بالطائر حظه من الخير والشر من قولهم طار سهم فلان بكذا وكذا وخص العنق من بين سائر الأعضاء (١٢٤) لأنه موضع القلائد والأطواق وغيرهما مما يزين او يشين فجرى كلام العرب بتشبيه الأشياء اللازمة إلى الأعناق

أي ما يحتاجون اليه ولولا ذلك لما علم أحد حساب الأوقات ولتعطلت الأمور ولو ترك الله الشمس والقمر كما خلقها لم يعرف الليل من النهار ولم يدر الصائم متى يفطر ولم يعرف وقت الحج ولا وقت حلول الديون المؤجلة واعلم ان الحساب يبنى على اربع مراتب الساعات والأيام والشهور والسنين فالعدد للسنين والحساب لما دونها من الشهور والأيام والساعات وليس بعد هذه المراتب الأربعة إلا التكرار (وكل شيء فصلناه تفصيلا) يعني وكل شيء تفتقرون اليه من امر دينكم ودنياكم قد بيناه بيانا شافيا واضحا غير ملتبس قيل انه تعالى لما ذكر احوال ايتي الليل والنهار وهما من وجه دليلان قاطعان على التوحيد ومن وجه آخر نعمتان من الله تعالى على أهل الدنيا وكل ذلك تفضل منه فلا جرم قال وكل شيء فصلناه تفصيلا قوله عز وجل (وكل إنسان الزمناه طائره في عنقه) قال ابن عباس عمله وما قدر عليه فهو ملازمه اينما كان وقيل خيره وشره معه لا يفارقه حتى يحاسب به وقيل ما من مولود إلا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد وقيل أراد بالطائر ما قضى عليه أنه عامله وما هو صائر إليه من سعادة أو شقاوة وقيل هو من قولك طار له سهم إذا خرج يعني الزمناه ما طار له من عمله لزوم القلادة أو الغل لا ينفك عنه والعنق في قوله في عنقه كناية عن اللزوم كما يقال جعلت هذا في عنقك اي قلدتك هذا العمل والزمتك الاحتفاظ به وإنما خص العنق من بين سائر الأعضاء لأنه موضع القلائد والأطواق والغل مما يزين أو يشين فان كان عمله خيرا كان له كالقلادة والحلي في العنق وهو ما يزينه وإن كان عمله شرا كان له كالغل في عنقه وهو ما يشينه ويخرج له يقول تبارك وتعالى (ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا) قيل بسطت للإنسان صحيفتان ووكل به ملكان يحفظان عليه حسناته وسيئاته فاذا مات طويت الصحيفتان وجعلتا معه في عنقه فلا ينشران إلا يوم القيامة (إقرأ كتابك) أي يقال له اقرأ كتابك قيل يقرأ يوم القيامة من لم يكن قارئا (كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) اي محاسبا قال الحسن لقد عدل عليك[1] من جعلك حسيب نفسك وقيل يقول الكافر انك لست بظلام للعبيد فاجعلني أحاسب نفسي فيقال له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا * قوله سبحانه وتعالى (من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها) يعني ان ثواب العمل الصالح مختص بفاعله وعقاب الذنب مختص بفاعله أيضا ولا يتعدى منه إلى غيره وهو قوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى) اي لا تحمل حاملة ثقل أخرى من الاثام ولا يؤاخذ احد بذنب احد بل كل احد مختص بذنبه (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) لاقامة الحجة وقطعا للعذر وفيه دليل على ان ما وجب إنما وجب بالسمع لا بالعقل * قوله سبحانه وتعالى (وإذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها) في معنى الاية قولان احدهما ان المراد منه الأمر بالفعل ثم ان لفظ الآية يدل على أنه تعالى بماذا امرهم فقال اكثر المفسرين معناه انه تعالى امرهم بالأعمال الصالحة وهي الإيمان والطاعة وفعل الخير والقوم خالفوا ذلك الأمر وفسقوا

(١) قوله عدل عليك هكذا في الأصل الطبع وفي بعض النسخ اليك سيدل عليك وفي الخطيب عدل والله في حقك من الخ وفي الكشاف يا ابن ادم انصفك والله الخ اه مصححه

(ونخرج له) يقول الله تعالى ونحن نخرج له (يوم القيامة كتابا) وقرأ الحسن ومجاهد ويعقوب ويخرج له بفتح الياء وضم الراء معناه ويخرج له الطائر يوم القيامة كتابا وقرأ أبو جعفر يخرج بالياء وضمها وفتح الراء (يلقاه) قرأ ابن عامر وابو جعفر يلقاه بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف يعني يلقى الإنسان ذلك الكتاب أي يؤتاه وقرأ الباقون بفتح الياء خفيفة أي يراه (منشورا) وفي الاثار ان الله تعالى يامر الملك بطي الصحيفة إذا تم عمر العبد فلا تنشر إلا في يوم القيامة (إقرأ كتابك) أي يقال له اقرأ كتابك قوله تعالى (كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) محاسبا قال الحسن لقد عدل عليك من جعلك حسيب نفسك قال قتادة سيقرأ يومئذ من لم يكن قارئا في الدنيا (من اهتدى فانما يهتدي لنفسه) لها ثوابه (ومن ضل فانما يضل عليها) لان عليها عقابه (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أي لا تحمل حاملة حمل أخرى من الآثام أي لا يؤخذ أحد بذنب أحد (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) اقامة للحجة وقطعا للعذر وفيه دليل على ان ما وجب وجب بالسمع لا بالعقل (وإذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها) قرأ مجاهد امرنا بالتشديد اي سلطنا شرارها ففسقوا وقرأ الحسن وقتادة ويعقوب امرنا بالمد اي اكثرنا وقرأ الباقون بالقصر مختلفا اي امرناهم بالطاعة ففسقوا او يحتمل ان يكون معناه جعلناهم امراء ويحتمل ان تكون بمعنى اكثرنا يقال امرهم الله اي كثرهم الله وفي الحديث خير المال مهرة مامورة اي كثيرة النسل ويقال منه امر القوم يامرون امرا إذا كثروا وليس من الامر بمعنى الفعل فان الله لا يامر بالفحشاء واختار ابو عبيدة قراءة العامة وقال لأن المعاني الثلاثة تجتمع فيها يعني الأمر والامارة والكثرة مترفيها منعميها واغنياءها والقول

(ففسقوا فيها فحق عليها القول وجب عليها العذاب (فدمرناها تدميرا) أي خربناها وأهلكنا من فيها أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا يحيى بن بكر ثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير أن زينب بنت أبي سلمة حدثته عن أم حبيبة بنت أبي سفيان عن زينب بنت جحش أن النبي ﷺ دخل عليها فزعا وهو يقول لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بأصبعه الابهام والتي تليها قالت زينب فقلت

والقول الثاني أمرنا مترفيها أي كثرنا فساقها يقال أمر القوم إذا كثروا وأمرهم الله إذا كثرهم ومنه الحديث خير المال مهرة مأمورة اى كثيرة النتاج والنسل فعلى هذا قوله تعالى امرنا ليس من الأمر بالفعل والمترف هو الذي ابطرته النعمة وسعة العيش (ففسقوا فيها) اى خرجوا عما امرهم الله به من الطاعة (فحق عليها القول) اى وجب عليها العقاب (فدمرناها تدميرا) اى اهلكناها اهلاك استئصال والدمار الهلاك والخراب (ق) عن ام المؤمنين زينب بنت جحش ان النبي ﷺ دخل عليها فزعا يقول لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج وماجوج مثل هذه وحلق باصبعه الابهام والتي تليها قالت زينب قلت يارسول الله انهلك وفينا الصالحون قال نعم إذا كثر الخبث قوله ويل للعرب ويل كلمة تقال لمن وقع في هلكة او اشرف ان يقع فيها وقوله إذا كثر الخبث اى الشر * قوله تعالى (وكم اهلكنا من القرون) اى المكذبة (من بعد نوح) وهم عاد وثمود وغيرهم من الأمم الخالية يخوف الله بذلك كفار قريش قال عبد الله بن ابي اوفى القرن عشرون ومائة سنة فكان النبي صلى الله عليه وسلم في اول قرن ويزيد بن معاوية في اخره وقيل القرن مائة سنة وروى عن محمد بن القاسم عن عبد الله بن بشر المازني ان النبي ﷺ وضع يده على راسه وقال سيعيش هذا الغلام قرنا قال محمد بن القاسم مازلنا نعد له حتى تمت له مائة سنة ثم مات وقيل القرن ثمانون سنة وقيل أربعون (وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا) يعني أنه عالم بجميع المعلومات يراه بجميع المرئيات لا يخفى عليه شيء من احوال الخلق * قوله عز وجل (من كان يريد العاجلة) اى الدار العاجلة يعني الدنيا (عجلنا له فيها ما نشاء) اى من البسط او التقتير (لمن نريد) اى نفعل به ذلك او اهلاكه وقيل في معنى الاية عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد اى القدر الذي نشاء نعجله له في الدنيا لا الذي يشاء هو ولمن نريد ان نعجل له شيأ قدرناه له وهذا ذم لمن اراد بعمله ظاهر الدنيا ومنفعتها وبيان ان من ارادها لا يدرك منها إلا ما قدر له (ثم جعلنا له) اى في الاخرة (جهنم يصلاها) اى يدخلها (مذموما مدحورا) اى مطرود مباعدا * قوله سبحانه وتعالى (ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها) اى عمل لها عملها (وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا) اى مقبولا قيل في الاية ثلاث شرائط في كون السعي مشكورا ارادة الاخرة بعمله بأن يعقد بها همه ويتجافى عن دار الغرور والسعي فيما كف من الفعل والترك والايمان الصحيح الثابت وعن بعض السلف الصالح من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله إيمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الاية * قوله عز وجل (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء) اى نمد كلا الفريقين من يريد الدنيا ومن يريد الاخرة (من عطاء ربك) يعني يرزقهما جميعا ثم يختلف الحال بهما في المآل (وما كان عطاء ربك محظورا) أي ممنوعا عن عباده والمراد بالعطاء العطاء في الدنيا إذ لا حظ للكافر في الاخرة (انظر) يا محمد (كيف فضلنا بعضهم على بعض) اى في الرزق والعمل يعني طالب العاجلة وطالب الاخرة (وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا) يعني أن تفاضل الخلق في درجات منافع الدنيا محسوس تفاضلهم في درجات منافع الاخرة اكبر واعظم فان نسبة التفاضل في درجات الاخرة إلى التفاضل في درجات الدنيا كنسبة الاخرة إلى الدنيا فاذا كان الانسان تشتد رغبته في طلب الدنيا فلان تقوى وتشتد رغبته في طلب الاخرة اولى لانها دار المقامة * قوله تعالى (لا تجعل مع الله إلها اخر) الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم

يارسول الله أنهلك وفينا الصالحون قال نعم إذا كثر الخبث قوله (وكم أهلكنا من القرون) اى المكذبة (من بعد نوح) يخوف كفار مكة (وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا) قال عبد الله بن ابي اوفى القرن مائة وعشرون سنة فبعث النبي صلى الله عليه وسلم في اول قرن وكان في اخره يزيد بن معاوية وقيل مائة سنة وروى عن محمد بن القاسم عن عبد الله بن بشر المازني ان رسول الله ﷺ وضع يده على رأسه وقال سيعيش هذا الغلام قرنا قال محمد بن القاسم فمازلنا نعده حتى تم له مائة سنة ثم مات قال الكلبي القرن ثمانون سنة وقيل أربعون سنة (من كان يريد العاجلة) يعني الدنيا أي الدار العاجلة (عجلنا له فيها ما نشاء) من البسط والتقتير (لمن نريد) ان نفعل به ذلك أو اهلاكه (ثم جعلنا له) في الاخرة (جهنم يصلاها) يدخل نارها (مذموما مدحورا) مطرودا مبعدا (ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها) عمل عملها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا) مقبولا (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء) اى نمد كلا الفريقين من يريد الدنيا ومن يريد الاخرة (من عطاء ربك) اى يرزقهما جميعا ثم يختلف بهما الحال في المآل (وما كان عطاء ربك) رزق ربك (محظورا) ممنوعا عن عباده فالمراد من العطاء العطاء في الدنيا وإلا فلا حظ للكفار في الاخرة (انظر) يا محمد (كيف فضلنا بعضهم على بعض) في الرزق والعمل الصالح يعني طالب العاجلة وطالب الاخرة (وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا لا تجعل مع الله إلها اخر) الخطاب مع النبي ﷺ والمراد غيره وقيل معناه لا تجعل ايها الإنسان مع الله إلها اخر

(فتقعد مذموما مخذولا) مذموما من غير حمد مخذولا من غير نصر قوله عز وجل (وقضى ربك) وأمر ربك قاله ابن عباس وقتادة والحسن قال الربيع ابن انس وأوجب ربك قال مجاهد وأوصى ربك وحكى عن الضحاك بن مزاحم أنه قرأ ووصى ربك وقال أنهم الصقوا الواو بالصاد فصارت قافا (الا تعبدوا الا إياه وبالوالدين إحسانا) أى وأمر بالوالدين إحسانا برا بهما وعطفا عليهما (إما يبلغن عندك الكبر) قرأ حمزة والكسائى بالألف على التثنية فعلى هذا قوله (احدهما أو كلاهما) كلام مستأنف كقوله تعالى ثم عموا وصموا كثير منهم وقوله واسروا النجوى الذين ظلموا وقوله الذين ظلموا ابتداء وقرأ الباقون يبلغن على التوحيد (فلا تقل لهما اف) فيه ثلاث لغات قرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بفتح الفاء وقرأ أبو جعفر ونافع وحفص بالكسر والتنوين والباقون بكسر الفاء غير منون ومعناها واحدة وهى كلمة كراهية قال ابو عبيدة أصل التف والاف الوسخ على الاصابع إذا فتلتها وقيل الاف ما يكون فى المغابن من الوسخ والتف ما يكون فى الاصابع وقيل الاف وسخ الأذن والتف وسخ (١٢٦) الاظفار وقيل الاف وسخ الظفر والتف ما رفعته بيدك من الأرض من شىء حقير (ولا تنهرهما) ولا تزجرهما (وقل لهما قولا كريما) حسنا جميلا لينا قال ابن المسيب كقول العبد المذنب للسيد الفظ وقال مجاهد لا تسمهما ولا تكنهما وقل لهما يا ابتا يا امها وقال مجاهد فى هذه الاية ايضا اذا بلغا عندك من الكبر ما يبولان فلا تتقذرهما ولا تقل لهما اف حين تميط عنهما الخلاء والبل كما كانا يميطانه عنك صغيرا (واخفض لهما) جناح الذل) اى الن جانبك لهما واخضع لهما قال عروة ابن الزبير الن لهما حتى لا تمتنع عن شىء احباه (من الرحمة) من الشفقة (وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا) اراد اذا كانا مسلمين قال ابن عباس هذا منسوخ بقوله ما كان للنبى والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين انا عبد الواحد

والمراد غيره وقيل معناه لا تجعل أيها الانسان مع الله إلها آخر وهذا أولى (فتقعد مذموما) أى من غير حمد (مخذولا) أى بغير ناصر * قوله سبحانه وتعالى (وقضى ربك) أى وأمر ربك قاله ابن عباس وقيل معناه وأجب ربك وقيل معناه الحكم والجزم قيل ووصى ربك وحكى عن الضحاك أنه قراها ووصى ربك وقال انهم الصقوا الواو بالصاد فصار قافا وهى قراءة على وابن مسعود قال الامام فخر الدين الرازى فى تفسيره الكبير هذا القول بعيد جدا لأنه يفتح باب ان التحريف والتغيير قد تطرق إلى القرآن ولو جوزنا ذلك لارتفع الامان على القران وذلك يخرجه عن كونه حجة ولا شك انه طعن عظيم فى الدين (الا تعبدوا إلا إياه) فيه وجوب عبادة الله والمنع من عبادة غيره وهذا هو الحق لأن العبادة عبارة عن الفعل المشتمل على نهاية التعظيم ونهاية التعظيم لا تليق إلا بمن له الانعام والإفضال على عباده ولا منعم إلا الله فكان هو المستحق للعبادة لا غيره (وبالوالدين إحسانا) اى وامر بالوالدين إحسانا اى برا بهما وعطفا عليهما وإحسانا اليهما (إما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما) معناه انهما يبلغان إلى حالة الضعف والعجز فيصيران عندك فى اخر العمر كما كنت عندهما فى اول العمر واعلم ان الله سبحانه وتعالى لما ذكر هذه الجملة كلف الإنسان فى حق الوالدين خمسة اشياء الأول قوله تعالى (فلا تقل لهما اف) وهى كلمة تضجر وكراهية وقيل ان اصل هذه الكلمة انه إذا سقط عليك تراب او رماد ونفخت فيه تزيله تقول اف ثم انهم توسعوا بذكر هذه الكلمة إلى كل مكروه يصل اليهم والثانى قوله (ولا تنهرهما) اى تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك يقال نهره وانتهره بمعنى * فان قلت المنع من التافيف ابلغ من المنع من الانتهار فما وجه الجمع قلت المراد من قوله تقل لهما اف المنع من اظهار الضجر بالقليل والكثير والمراد من قوله ولا تنهرهما المنع من إظهار المخالفة فى القول على سبيل الرد عليهم الثالث قوله (وقل لهما قولا كريما) اى حسنا جميلا لينا كما يقتضيه حسن الادب معهما وقيل هو يا اماه يا ابتاه وقيل لا يكنيهما وقيل هو ان يقول لهما كقول العبد الذليل المذنب للسيد الفظ الغليظ الرابع قوله عز وجل (واخفض لهما جناح الذل) اى الن لهما جناحك واخفضه لهما حتى لا يمتنع عن شىء احباه (من الرحمة) اى من الشفقة عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم اليك كما كنت فى حال الصغر مفتقرا اليهما الخامس قوله سبحانه وتعالى (وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا) اى وادع الله لهما ان يرحمهما برحمته الباقية وارادبه إذا كانا مسلمين فاما إذا كانا كافرين فان

الدعاء

المليحى انا ابو مسعود محمد بن محمد بن سمعان انا ابو جعفر محمد بن احمد بن عبد الجبار الريانى ثنا حميد بن زنجويه ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد بن يزيد عن عطاء بن السائب عن ابى عبد الرحمن يعنى السلمى عن ابى الدرداء قال قال رسول الله ﷺ الوالد أوسط ابواب الجنة فاحفظ إن شئت او ضيع اخبرنا ابو طاهر محمد بن محمد بن على الزراد انا ابو بكر محمد بن إدريس الجرجانى انا ابو الحسن على بن الحسين المالينى انا حسن بن سفيان ثنا يحيى بن حبيب بن عدى ثنا خالد بن الحارس عن سعيد عن يعلى بن عطاء عن ابيه عن عبد الله بن عمر عن النبى ﷺ قال رضا الله فى رضا الوالد وسخط الله فى سخط الوالد اخبرنا احمد بن عبد الله الصالحى انا ابو سعيد محمد بن موسى الصيرفى انا ابو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار ثنا ابو جعفر محمد بن غالب بن تمام الضبى ثنا عبد الله بن مسلمة ثنا عبد العزيز ابن مسلم عن يزيد بن ابى زياد عن مجاهد عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله ﷺ لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر اخبرنا الامام ابو على الحسين بن محمد القاضى انا ابو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد بن نامويه الاصفهانى انا ابو سعيد احمد بن زياد البصرى انا الحسن بن محمد بن الصباح ثنا ربعى بن عليه عن عبد الرحمن بن اسحق عن سعيد بن ابى

سعيد المقبرى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال النبى ﷺ رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصلى على ورغم أنف رجل أتى عليه شهر رمضان فلم يغفر له ورغم انف امرىء ادرك ابويه الكبر فلم يدخلاه الجنة ربكم أعلم بما فى نفوسكم) من بر الوالدين وعقوقهما (ان تكونوا صالحين) ابرارا مطيعين بعد تقصير كان منكم فى القيام بما لزمكم من حق الوالدين وغير ذلك (فانه كان للأوابين) بعد المعصية (غفورا) قال سعيد ابن جبير فى هذه الآية هو الرجل يكون منه البادرة الى ابويه لا يريد به الا الخير فانه لا يؤاخذ به قال سعيد بن المسيب الأواب الذى يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب قال سعيد ابن جبير الرجاع الى الخير وعن ابن عباس قال هو الرجاع الى الله فيما يحزنه وينوبه وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال هم المسبحون دليله قوله يا جبال اوبى معه قال قتادة هم المصلون قال عون العقيلى هم الذين يصلون صلاة الضحى أخبرنا أبو الحسن طاهر بن الحسين الدورى فى الطوسى أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب أنا أبو النضر محمد بن محمد بن يوسف ثنا الحسن بن سفيان ثنا أبو بكر بن ابى شيبة ثنا وكيع عن هشام صاحب الدستوائى عن قتادة عن القاسم بن عوف عن زيد بن ارقم قال خرج النبى ﷺ عن اهل قباء وهم يصلون صلاة الضحى فقال صلاة الأوابين اذا رمضت الفصال من الضحى وقال محمد بن المنكدر الأواب يصلى بين المغرب والعشاء وروى عن ابن عباس أنه قال إن الملائكة تحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء وهى صلاة الأولين قوله تعالى (وآت ذا القربى حقه) يعنى صلة الرحم وأراد به قرابة الانسان وعليه الاكثرون وعن على بن الحسين أراد به قرابة الرسول ﷺ (والمسكين وابن السبيل

الدعاء منسوخ فى حقهما بقوله سبحانه وتعالى ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى وقيل يجوز الدعاء لهما بأن يهديهما الله الى الاسلام فاذا هداهما فقد رحمها وقيل فى معنى هذه الآية ان الله سبحانه وتعالى بالغ فى الوصية بهما حيث افتتحها بالأمر بتوحيده وعبادته ثم شفعه بالاحسان اليهما ثم ضيق الأمر فى مراعاتهما حتى لم يرخص فى ادنى كلمة تسوءهما وأن يذل ويخضع لهما ثم ختمها بالأمر والدعاء لهما والترحم عليهما (فصل) فى ذكر الاحاديث الواردة فى بر الوالدين (ق) عن ابى هريرة قال جاء رجل الى النبى ﷺ فقال يا رسول الله من احق الناس بحسن صحبتى قال امك ثم امك ثم اباك ثم أدناك فأدناك (م) عنه قال سمعت النبى ﷺ يقول رغم أنفه رغم أنفه رغم أنفه قيل من يا رسول الله قال من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة (م) عنه قال قال النبى ﷺ لن يجزى ولد والده الا ان يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال جاء رجل الى رسول الله ﷺ فاستأذنه فى الجهاد فقال احى والداك قال نعم قال ففيهما فجاهد وعنه ان رسول الله ﷺ قال رضا الرب فى رضا الوالدين وسخط الرب فى سخط الوالدين أخرجه الترمذى مرفوعا أو موقوفا قال وهو اصح عن ابى الدرداء قال سمعت النبى ﷺ يقول الوالد أوسط ابواب الجنة فان شئت فضيع ذلك الباب أو احفظه اخرجه الترمذى وقال حديث صحيح (م) عن عبد الله بن مسعود قال سألت النبى ﷺ اى الاعمال احب الى الله تعالى قال الصلاة لوقتها قلت اى قال بر الوالدين ثم قلت اى قال الجهاد فى سبيل الله تعالى * قوله سبحانه وتعالى (ربكم اعلم بما فى نفوسكم) اى من بر الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وعدم عقوقهما (إن تكونوا صالحين) اى ابرارا مطيعين قاصدين الصلاح والبر بعد تقصير كان منكم فى القيام بما يلزمكم من حق الوالدين أو غيرهما أو قيل فرط منكم فى حال الغضب وعند حرج الصدر وما لا يخلو منه البشر مما يؤدى إلى أذاهما ثم أتيتم الى الله واستغفرتم مما فرط منكم (فانه كان للأوابين) للتوابين (غفورا) قال سعيد بن جبير فى هذه الاية هو الرجل تكون منه البادرة إلى أبويه لا يريد بذلك إلا الخير فانه لا يؤاخذ بهما وقال سعيد بن المسيب الأواب الذى يذنب ثم يتوب وعنه الرجاع إلى الخير وقال ابن عباس الأواب الرجاع إلى الله فيما يحزنه وينوبه وعنه انهم المسبحون وقيل هم المصلون وقيل هم الذين يصلون الضحى يدل عليه ماروى عن زيد بن أرقم قال خرج النبى ﷺ على اهل قباء وهم يصلون الضحى فقال صلاة الاوابين إذا رمضت الفصال اخرجه مسلم قوله إذا رمضت الفصال يريد ارتفاع الضحى وأن تحمى الرمضاء وهو الرمل بحر الشمس فتبرك الفصال من الحر شدة احراقه اخفافها والفصال جمع فصيل وهى أولاد الابل الصغار وقيل الاواب الذى يصلى بين المغرب والعشاء ويدل عليه ماروى عن ابن عباس قال ان الملائكة لتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء وهى صلاة الاوابين * قوله سبحانه وتعالى (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل) قيل الخطاب للنبى ﷺ امره الله سبحانه وتعالى أن يؤتى أقاربه حقوقهم وقيل إنه خطاب للكل وهو أنه سبحانه وتعالى وصى بعد بر الوالدين بالقرابة أن يؤتوا حقهم من صلة الرحم والمودة والزيادة وحسن المعاشرة والمؤالفة على السراء والضراء والمعاضدة ونحو ذلك وقيل إن كانوا محاويج وهو موسر لزمه الانفاق عليهم وهو مذهب أبى حنيفة وقال الشافعى رضى الله تعالى عنه لا تلزم النفقة إلا الوالد على ولده أو ولد على والديه فحسب وقيل أراد القرابة قرابة النبى ﷺ تقدم الكلام على المسكين وابن السبيل

ولا تبذر تبذير) أي لا تنفق مالك في المعصية وقال مجاهد لو أنفق الإنسان ماله كله تبذيرا ولو أنفق مدا في باطل كان تبذيرا وسئل ابن مسعود عن التبذير فقال إنفاق المال في غير حقه قال شعبة كنت أمشي مع أبي إسحق في طريق الكوفة فأتى على دار بنيت بجص وآجر فقال هذا التبذير وفي قول عبد الله انفاق المال من غير حقه (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين) أي أولياءهم والعرب تقول لكل ملازم سنة قوم هو أخوهم (وكان الشيطان لربه كفورا) جحود النعمة (وإما تعرضن عنهم) نزلت في مهجع وبلال وصهيب وسالم وخباب كانوا يسألون النبي ﷺ في الأحايين (١٢٨) مايحتاجون إليه ولا يجد فيعرض عنهم حياء منهم ويمسك عن القول فنزل وإما تعرضن عنهم يعني وان تعرض عن هؤلاء الذين أمرتك أن تؤتيهم (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) انتظار رزق من الله ترجوه أن يأتيك (فقل لهم قولا ميسورا) لينا وهي العدة اى عدهم وعدا جميلا وقيل القول الميسور ان تقول رزقنا الله وإياك (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك) قال جابر اتى صبي فقال يارسول الله ان امي تستكسيك درعا ولم يكن للنبي ﷺ الا قميصه فقال للصبي من ساعة الى ساعة يظهر كذا فعد الينا وقتا آخر فعاد الى امه فقالت قل له ان امي تستكسيك الدرع الذى عليك فدخل النبي ﷺ دارده فنزع قميصه فأعطاه اياه وقعد عريانا فاذن بلال بالصلاة فانتظروه فلم يخرج فشغل قلوب اصحابه فدخل عليه بعضهم فرآه عريانا فأنزل الله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك يعني ولا تمسك يدك عن النفقة في الحق كالمغلولة يده لا يقدر على مدها (ولا تبسطها) بالعطاء (كل البسط) فتعطي جميع ماعندك (فتقعد ملوما) يلومك سائلوك بالإمساك اذا لم تعطهم والملوم الذى اتى بما يلوم نفسه او يلوم غيره (محسورا) منقطعا لاشيء عندك تنفقه يقال حسرته بالمسئلة اذا الحفت عليه ودابة حسير اذا كنت كالة رازحة قال قتادة محسورا نادما على ما فرط منك (إن ربك يبسط) يوسع (الرزق لمن يشاء ويقدر) اى يقتر ويضيق (انه كان بعباده خبيرا بصيرا) قوله تعالى (ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق) فقر (نحن نرزقهم وإياكم) وذلك ان اهل الجاهلية كانوا يئدون بناتهم خشية الفاقة فنهوا عنه واخبروا ان رزقهم ورزق اولادهم على الله تعالى

(ولا تبذر تبذيرا) أي لا تنفق مالك في المعصية وقيل لو أنفق الإنسان ماله كله في الحق لم يكن مبذرا ولو أنفق درهما أو مدا في باطل كان مبذرا وسئل ابن مسعود عن التبذير فقال انفاق المال في غير حقه وقيل هو انفاق المال في العمارة على وجه السرف وقيل ان بعضهم انفق نفقة في خير فأكثر فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين) يعني أولياءهم وأصدقاءهم لأنهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الإسراف وقيل أمثالهم في الشر وهذا غاية المذمة لانه أشر من الشياطين والعرب تقول لكل من هو ملازم سنة قوم هو أخوهم (وكان الشيطان لربه كفورا) أي جحود للنعمة فما ينبغي أن يطاع لأنه يدعو الى مثل عمله ۞ قوله عز وجل (وإما تعرضن عنهم) نزلت في مهجع وبلال وصهيب وسالم وخباب كانوا يسألون النبي ﷺ في الأحايين مايحتاجون إليه ولا يجد فيعرض عنهم حياء منهم ويمسك عن القول فنزلت هذه الآية والمعنى وان تعرض عن هؤلاء الذين أمرت تؤتيهم (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) اى انتظار رزق من الله ترجوه أن يأتيك (فقل لهم قولا ميسورا) أي لينا جميلا اى عدهم وعدا طيبا تطيب به قلوبهم وقيل هو أن يقول رزقنا الله وإياكم من فضله ۞ قوله سبحانه وتعالى (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنك) قال جابر أتى صبي فقال يارسول الله علمت إن أمي تستكسيك درعا ولم يكن للنبي ﷺ إلا قميصه فقال للصبي من ساعة إلى ساعة يظهر كذا فعد إلينا وقتا آخر فعاد إلى أمه فقالت قل له إن أمي تستكسيك الدرع الذى عليك فدخل النبي ﷺ ونزع قميصه وأعطاه وقعد عريانا فاذن بلال بالصلاة وانتظره فلم يخرج فشغل قلوب أصحابه فدخل عليه بعضهم فرآه عريانا فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك أى لا تمسك يدك عن النفقة في الحق والخير كالمغلولة يده لا يقدر على مدها (ولا تبسطها) أى بالعطاء (كل البسط) أى فتعطي جميع ماعندك وقيل هذا تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المسرف أمر بالاقتصاد الذى هو بين الإسراف والتقتير (فتقعد ملوما) أى عند الله لأن السرف غير مرضي عنده وقال ملوما عند نفسك وأصحابك أيضا يلومونك على تضييع المال بالكلية وقيل يلومك سائلوك على الإمساك اذا لم تعطهم (محسورا) اى منقطعا لاشيء عندك تنفقه وقيل محسورا أى نادما على ما فرط منك ثم يسلي النبي ﷺ عما كان يرهقه من الإضاقة بأن ذلك ليس لهوان بك عليه ولا لبخل منه عليك فقال تعالى (ان ربك يبسط) اى يوسع (الرزق لمن يشاء ويقدر) أن يقتر ويضيق وذلك لمصلحة العباد (انه كان بعباده خبيرا بصيرا) يعني انه سبحانه وتعالى عالم بأحوال جميع عباده وما يصلحهم فالتفاوت في ارزاق العباد ليس لأجل البخل بل لأجل رعاية مصالح العباد ۞ قوله عز وجل (ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق) اى فاقة وفقر (نحن نرزقهم وإياكم) وذلك أن اهل الجاهلية كانوا يئدون بناتهم خشية الفاقة أو يخافون عليهم من النهب والغارات أو أن ينكحوهن لغير اكفاء لشدة الحاجة وذلك عار شديد عندهم فنهاهم الله عن قتلهن وقال نحن نرزقهم وإياكم يعني ان الأرزاق بيد الله فكما أنه فتح ابواب الرزق

(إن قتلهم كان خطأ كبيرا) قرأ ابن عامر وأبو جعفر خطأ بفتح الخاء والطاء مقصورا وقرأ ابن كثير بكسر الخاء ممدودا قرأ الاخرون بكسر الخاء وجزم الطاء ومعنى الكل واحد أى إثما كبيرا (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق) وحقها ما روينا ان النبى ﷺ قال لا يحل دم امرئ مسلم إلا باحدى ثلاث رجل كفر بعد إيمانه أو زنى بعد إحصانه أو قتل نفسا بغير نفس فيقتل بها (ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا) أى قوة ولاية على القاتل بالقتل قاله مجاهد وقال الضحاك سلطانه هو انه يتخير فان شاء استفاد منه وإن شاء أخذ الدية وإن شاء عفا عنه (فلا يسرف فى القتل) قرأ حمزة والكسائى فلا تسرف بالتاء يخاطب ولى القتيل وقرأ الاخرون بالياء على الغائب أى لا يسرف الولى فى القتل واختلفوا فى هذا الاسراف الذى منع منه ولى القتيل فقال ابن عباس واكثر المفسرين معناه لا يقتل غير قاتل وذلك انهم كانوا فى الجاهلية إذا قتل منهم قتيل لا يرضون بقتل قاتله حتى يقتل أشرف منه وقال سعيد بن جبير إذا كان القاتل واحدا فلا يقتل جماعة بدل واحد وكان أهل الجاهلية إذا كان المقتول شريفا لا يرضون بقتل القاتل وحده حتى يقتلوا معه جماعة من أقربائه وقال قتادة معناه لا يمثل بالقاتل (إنه كان منصورا) فالهاء راجعة إلى المقتول منصور فى الدنيا قتل مظلوما يعنى ان المقتول منصور فى الدنيا بايجاب القود على قاتله هذا قول مجاهد وقال قتادة الهاء راجعة إلى ولى المقتول معناه انه منصور على القاتل باستيفاء القصاص منه أو الدية وقيل فى قوله فلا يسرف فى القتل انه أراد به القاتل المعتدى يقول لا يعتدى بالقتل بغير الحق فانه إن فعل ذلك فولى المقتول منصور عليه باستيفاء القصاص منه (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد) بالايتيان بما أمر الله به والانتهاء عما نهى الله عنه وقيل ارادبالعهد ما يلتمه الانسان على نفسه (إن العهد كان مسؤلا) عنه وقال السدى كان مطلوبا وقيل العهد يسأل عن صاحب العهد فيقال فيما نقضت كالموؤدة تسأل فيم قتلت (واوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس) قرأ حمزة والكسائى وحفص بالقسطاس بكسر القاف والباقون بضمه وهما لغتان وهو الميزان صغيرا كان كبيرا اى بميزان العدل وقال الحسن هو القبان قال مجاهد هو رومى وقال غيره هو عربى مأخوذ من القسط وهو العدل اى زنوا بالعدل (المستقيم)

على الرجال فكذلك بفتحه على النساء) إن قتلهم كان خطأ كبيرا) أى إثما كبيرا (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة) أى قبيحة زائدة على حد القبيح (وساء سبيلا) أى بئس طريقا طريقة وهو ان تغصب امرأة غيرك او اخته أو بنيه من غير سبب والسبب ممكن وهو الصهر الذى شرعه الله تعالى قيل إن الزنا يشتمل على أنواع من المفاسد منها المعصية وإيجاب الحد على نفسه منها اختلاط الانساب فلا يعرف الرجل ولد من هو ولا يقوم أحد بتربيته وذلك يوجب ضياع الأولاد وانقطاع النسل وذلك يوجب خراب العالم * قوله عز وجل ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق) الأصل فى القتل هو الحرمة المغلظة وحل القتل إنما ثبت بسبب عارض فلما كان كذلك نهى الله عن القتل على حكم الأصل ثم استثنى الحالة التى يحصل فيها حل القتل وهى الأسباب العرضية فقال إلا بالحق أى إلا باحدى ثلاث كما روى عن ابن مسعود ان رسول الله ﷺ قال لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا باحدى ثلاث الثيب الزانى والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة أخرجاه فى الصحيحين (ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا) أى قوة وولاية على القاتل بالقتل وقيل سلطانه هو ان بتخير فان شاء استفاد منه وإن شاء اخذ الدية وإن شاء عفا (فلا يسرف فى القتل) أى الولى قال ابن عباس لا يقتل غير القاتل وذلك انهم كانوا فى الجاهلية إذا قتل منهم قتيل لا يرضون بقتل قاتله حتى يقتل اشرف منه وقيل معناه إذا كان القتيل واحدا فلا يقتل به جماعة بل واحدا وكان أهل الجاهلية إذا كان المقتول شريفا فلا يرضون بقتل القاتل وحده حتى يقتلوا معه جماعة من أقربائه وقيل معناه انه لا يمثل بالقاتل (إنه كان منصورا) قيل الضمير راجع للمقتول ظلما يعنى انه منصور فى الدنيا بايجاب القود على قاتله وفى الاخرة بتكفير خطاياه وايجاب النار لقاتله وقيل الضمير راجع إلى ولى المقتول معناه إنه كان منصورا على القاتل باستيفاء القصاص منه والدية وقيل فى قوله فلا يسرف فى القتل أراد به القاتل المعتدى بالقتل بغير الحق فانه ان فعل ذلك فولى القتيل منصور عليه باستيفاء القصاص منه * قوله سبحانه وتعالى (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن) اى بالطريقة التى هى أحسن وهى تنميته وحفظه عليه (حتى يبلغ أشده) وهو بلوغ النكاح والمراد ببلوغ الاشد كمال عقله ورشده بحيث يمكنه القيام بمصالح ماله وإلا لم ينفك عنه الحجر (واوفوا بالعهد) أى الاتيان بما امر الله به والانتهاء عما نهى عنه وقيل أراد بالعهد ما يلتزمه الإنسان على نفسه (إن العهد كان مسؤلا) أى عنه وقيل مطلوبا وقيل العهد يسئل فيقال فيم نقضت كالموؤدة تسئل فيما قتلت * قوله عز وجل (وأوفوا الكيل إذا كلتم) المراد منه إتمام الكيل (وزنوا بالقسطاس المستقيم) قيل هو الميزان صغيرا كان أو كبيرا من ميزان الدراهم إلى ما هو أكبر منه وقيل هو القبان قيل هو رومى وقيل سريانى والأصح أنه عربى مأخوذ من القسط وهو العدل أى وزنوا بالعدل المستقيم واعلم ان التفلوت الحاصل بسبب نقصان الكيل والوزن قليل والوعيد الحاصل عليه شديد عظيم فوجب على العاقل

ذلك خير وأحسن تأويلا) أي عاقبة (ولا تقف ما ليس لك به علم) قال قتادة لا تقل رأيت ولم ترو سمعت ولم تسمعه وعلمت ولم تعلمه وقال مجاهد لا ترم أحدا بما ليس لك به علم وقال القتيبي لا تتبعه بالحدس والظن وهو في اللغة اتباع الأثر يقال قفوت فلانا اقفوه وقفيته واقفيته إذا اتبعت اثره وبه سميت القافية لتتبعهم الاثار قال القتيبي هو مأخوذ من القفو كانه يقفوا لامور اى يكون في اقفائها يتبعها ويتعرفها وحقيقة المعنى لا تتكلم أيها الانسان بالحدس والظن (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) قيل معناه يسأل المرء عن سمعه وبصره وفؤاده وقيل يسأل السمع والبصر والفؤاد عما فعله المرء وقوله كل أولئك أي كل هذه الجوارح والأعضاء وعلى القول الاول يرجع أولئك إلى أربابها أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو طاهر أحمد بن الحسن انا أبو علي حامد بن محمد الرفاء ثنا أبو الحسن علي بن عبد العزيز أنا الفضل بن دكين ثنا سعيد بن أوس العبسي حدثني بلا بن يحيى العبسي ان شتير بن شكل أخبره عن أبيه شكل بن حميد قال اتيت النبي ﷺ فقلت يارسول الله علمني تعويذا اتعوذ به قال فاخذ بيدي ثم قال قل اللهم إني اعوذ بك من شر سمعي وشر بصري وشر لساني وشر قلبي وشر مني قال فحفظتها قال سعيد المني ماؤه (١٣٠) (ولا تمش في الارض مرحا) أي بطرا وكبرا وخيلاء وهو تفسير المشي فلذلك أخرجه على المصدر (إنك لن تخرق الارض) أي لن تقطعها بكبرك حتى تبلغ آخرها (ولن تبلغ الجبال طولا) أي لا تقدر ان تطاول الجبال وتساويها بكبرك معناه ان الانسان لا ينال بكبره وبطره شيئا كمن يريد خرق الأرض ومطاولة الجبال لا يحصل على شيء وقيل ذكر ذلك لان من مشى مختالا يمشي مرة على عقبة ومرة على صدور قدميه فقيل له انك لن تنقب الارض إن مشيت على عقبيك ولن لا تبلغ الجبال طولا ان مشيت على صدور قدميك انا ابو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجورجاني أنا ابو القاسم علي بن أحمد الخزاعي أنا أبو الهيثم بن كليب ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا سفيان بن وكيع ثنا أبي عن المسعودي عن عثمان بن مسلم بن هرمز عن نافع بن جبير بن مطعم عن علي قال كان رسول الله ﷺ إذا مشى يتكفأ تكفؤا كانما ينحط من صبب أنا أبو محمد الجرجاني انا ابو القاسم الخزاعي انا الهيثم بن كليم ثنا ابو عيسى الترمذي ثنا قتيبة بن سعيد ثنا ابو لهيعة عن أبي يونس عن ابي هريرة رضي الله عنه قال رايت شيئا احسن من رسول الله ﷺ كان الشمس تجري في وجهه وما رايت أحدا أسرع في مشيه من رسول الله ﷺ كأنما الارض تطوى له لنجهدا نفسنا وانه لغير مكترث (كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروها) قرا ابن عامر وابو بكر الكوفة برفع الهمزة وضم الهاء على الإضافة ومعنى كل الذي ذكرنا من قوله وقضى ربك الا تعبدوا إلا اياه كان سيئة اى سيء ما عددنا عليك عند ربك مكروها الا ان فيما عددنا امورا حسنة كقوله وات ذا القربى حقه واخفض لهما جناح الذل وغير ذلك وقرا الاخرون سيئة منصوبة منونة يعني كل الذي ذكرنا من قوله ولا تقتلوا اولادكم إلى هذا الموضع سيئة لا حسنة فيه إذ الكل يرجع إلى المنهي عنه دون غيره ولم يقل مكروهة لان فيه تقديما وتاخيرا تقديره كل ذلك كان مكروها سيئة وقوله مكروها على التكرير لا على الصفة مجازه كل ذلك كان سيئة وكان مكروها راجع إلى المعنى دون اللفظ لان السيئة الذنب وهو مذكر

الاحتراز عنه وإنما عظم الوعيد فيه لان جميع الناس محتاجون إلى المعاوضات والبيع والشراء فالشارع بالغ في المنع من التطفيف والنقصان سعيا في ابقاء الاموال على اربابها (ذلك خير واحسن تأويلا) اى احسن عاقبة من ال إذا رجع وهو ما يؤول اليه أمره * قوله سبحانه وتعالى (ولا تقف) أي ولا تتبع (ما ليس لك به علم) أي لا تقل رايت ولم تر وسمعت ولم تسمع وعلمت ولم تعلم وقيل معناه لا ترم احدا بما ليس لك به علم به علم) أي تتبعه بالحدس والظن وقيل هو مأخوذ من القفا كانه يقفو الامور ويتبعها ويتعرفها والمراد انه لا يتكلم في أحد بالظن (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) معناه يسئل المرء عن سمعه وبصره وفؤاده وقيل يسئل السمع والبصر والفؤاد عما فعلة المرء فعلى هذا نرجع الاشارة في أولئك إلى الاعضاء وعلى القول ترجع إلى اربابها عن شكل بن حميد قال اتيت النبي ﷺ فقلت يانبي الله علمني تعويذا اتعوذ به قال فاخذ بيدي ثم قال قل اعوذ بك من شر سمعي وشر بصري وشر فؤادي وشر لساني وشر قلبي وشر مني قال فحفظتها أخرجه أبو داود والنسائي وقال حديث حسن غريب قوله وشر مني يعني ماؤه وذكره * قوله عز وجل (ولا تمش في الارض مرحا) اى بطرا وكبر وخيلاء (إنك لن تخرق الارض) أي ان تقطعها بكبرك حتى تبلغ اخرها (ولن تبلغ الجبال طولا) أي لا تقدر ان تطاول الجبال وتساويها بكبرك والمعنى ان الانسان لا ينال بكبره وبطره شيئا كمن يريد خرق الارض ومطاولة الجبال لا تحصل على شيء وقيل ان الذي يمشي مختالا يمشي مرة على عقبيه) ومرة على صدوره قدميه فقيل له انك لن تنقب الارض ان مشيت على عقبيك ولن تبلغ الجبال طولا ان مشيت على صدور قدميك عن علي قال كان رسول الله ﷺ إذا مشى تكفأ تكفؤا كانما ينحط من صبب اخرجه الترمذي في الشمائل قوله تكفؤا التكفؤ التمايل في المشي إلى قدام وقوله كانما ينحط من صبب هو قريب من اليكفؤ أي كانه ينحدر من موضع عال عن أبي هريرة قال ما رايت شيئا أحسن من رسول الله ﷺ كان الشمس تجري في وجهه وما رايت احدا اسرع في مشيه من رسول الله ﷺ كانما الارض تطوى له انا لنجهد أنفسنا وانه لغير مكترث أخرجه الترمذي قوله لغير مكترث اى شاق والاكتراث الامر الذي يشق على الانسان (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) اى ما ذكر من

(ذلك الذى ذكرناه (مما أوحى إليك ربك من الحكمة) وكل ما أمر الله به وأنهى الله عنه فهو حكمة (ولا تجعل مع الله إلها آخر) خاطب النبى ﷺ فى هذه الآيات والمراد منه الأمة (فتلقى فى جهنم ملوماً مدحوراً) مطروداً مبعداً من كل خير قوله عز وجل (أفأصفاكم ربكم) أى اختاركم لجعل لكم الصفوة ولنفسه ما ليس بصفوة يعنى اختاركم (بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا) لأنهم كانوا يقولون الملائكة بنات الله (انكم لتقولون قولا عظيما) يخاطب مشركى مكة (ولقد صرفنا هذا القران) يعنى الصبر والحكم والامثال والاحكام والحجج والاعلام والتشديد للتكثير والتكرير (ليذكروا) أى ليتذكروا ويتعظوا وقرأ حمزة والكسائى باسكان الذال وضم الكاف وكذلك فى الفرقان (وما يزيدهم تصريفنا وتذكيرنا (الا نفورا) ذهابا وتباعدا عن الحق (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين (لو كان معه آلهة كما يقولون) قرأ حفص وابن كثير يقولون بالياء وقرأ الآخرون بالتاء (اذا لابتغوا) لطلبوا يعنى الآلهة (إلى ذى العرش سبيلا) بالمبالغة والقهر ليزيلوا ملكه كفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض وقيل معناه لطلبوا إلى ذى العرش سبيلا بالتقرب إليه قال قتادة لعرفوا الله بفضله وابتغوا ما يقربهم اليه والاول اصح ثم نزه نفسه فقال عز من قائل (سبحانه وتعالى عما يقولون) قرأ حمزة والكسائى تقولون بالتاء والاخرون بالياء (علوا كبيرا تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن) قرا ابو عمرو وحمزة والكسائى وحفص ويعقوب تسبح بالتاء وقرا الاخرون بالياء للحائل بين الفعل والتأنيث (وإن من شىء إلا يسبح بحمده) روى عن ابن عباس انه قال وإن من شىء حى الا يسبح بحمده وقال قتادة يعنى الحيوانات والناميات وقال عكرمة الشجرة تسبح والاسطوانة لا تسبح وعن المقدام بن معديكرب قال ان التراب يسبح مالم يبتل فاذا ابتل ترك التسبيح وأن الخرزة تسبح مالم ترفع من موضعها فاذا رفعت تركت التسبيح وأن الورقة لتسبح مادامت على الشجرة فاذا سقطت تركت التسبيح وان الثوب ليسبح مادام جديدا فاذا وسخ ترك التسبيح وان الماء يسبح مادام جاريا فاذا ركد ترك التسبيح وأن الوحش والطير تسبح إذا صاحت فاذا سكتت تركت التسبيح وقال ابراهيم النخعى وإن من شىء جماد إلا يسبح بحمده من صرير الباب ونقيض السقف وقال مجاهد كل الأشياء

الأمور التى نهى الله عنها فيما تقدم * فان قلت كيف قيل سيئة مع قوله مكروها * قلت قيل فيه تقديم وتأخير تقديره كل ذلك كان مكروها سيئة عند ربك وقوله مكروها على التكرير لا على الصفة أى كل ذلك كان سيئة وكان مكروها وقيل أنه يرجع إلى المعنى دون اللفظ لأن السيئة الذنب وهو مذكر * قوله سبحانه وتعالى (ذلك) اشارة إلى ما تقدم من الأوامر والنواهى فى هذه الايات (مما اوحى اليك من ربك من الحكمة) أى ان الاحكام المذكورة فى هذه الايات شرائع واجبة الرعاية فى جميع الأديان والملل لا تقبل النسخ والابطال فكانت محكمة وحكمه بهذا الاعتبار وقيل ان حاصل هذه الايات يرجع الى الاوامر بالتوحيد وانواع البر والطاعات والاعراض عن الدنيا والاقبال على الاخرة وذلك من الحكمة قيل أن هذه الايات كانت فى ألواح موسى عليه السلام اولها ولا تجعل مع الله إلها اخر قال الله سبحانه وتعالى وكتبنا له فى الألواح من كل شىء موعظة واعلم ان الله سبحانه وتعالى افتتح هذه الايات بالأمر بالتوحيد والنهى عن الشرك وختمها به والمقصود منه التنبيه على ان كل قول وعمل يجب ان يكرر فيه التوحيد لانه راس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم ينفعه شىء ثم انه سبحانه وتعالى ذكر فى الاية الأولى أن الشرك يجب ان يكون صاحبه مذموما مخذولا وقال فى هذه الاية (ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا) والفرق بين المذموم والملول اما كونه مذموما فمعناه أن يذكر له أن الفعل الذى اقدم عليه قبيح ومنكر فهذا معنى كونه مذموما يقال له لم فعلت هذا الفعل القبيح وما الذى حملك عليه وهذا هو اللوم والفرق بين المخذول والمدحور أن المخذول هو الضعيف الذى لا ناصر له والمدحور هو المبعد المطرود عن كل خير * قوله سبحانه وتعالى (أفأصفاكم ربكم) يعنى اخصكم واختاركم لجعل لكم الصفوة ولنفسه ما ليس بصفوة (بالبنين) يعنى اختصكم بافضل الأولاد وهم البنون (واتخذ من الملائكة إناثا) لانهم كانوا يقولون الملائكة بنات الله مع علمهم بأن الله سبحانه وتعالى هو الموصوف بالكمال الذى لا نهاية له وهذا يدل على نهاية جهل القائلين بهذا القول (إنكم لتقولون قولا عظيما) يخاطب مشركى مكة يعنى باضافتهم اليه الأولاد وهى خاصة بالأجسام ثم أنهم يفضلون عليه انفسهم حيث يجعلون له ما يكرهون لأنفسهم يعنى البنات * قوله سبحانه وتعالى (ولقد صرفنا فى هذا القران) يعنى العبر والحكم والامثال والأحكام والحجج والاعلام والتشديد فى صرفنا للتكثير والتكرير (ليذكروا) أى ليتعظوا او يعتبروا (وما يزيدهم) اى تصريفنا وتذكيرنا (إلا نفورا) اى تباعدا عن الحق (قل) اى يا محمد لهؤلاء المشركين (لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا) اى لطلبوا يعنى هؤلاء الالهة (الى ذى العرش سبيلا) اى بالمبالغة والقهر ليزيلوا ملكه كفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض وقيل معناه لتقربوا اليه وقيل معناه لتعرفوا اليه فضله فابتغوا ما يقربهم اليه والأول اصح ثم نزه نفسه فقال عز وجل (سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا) معنى وصفه بذلك المبالغة فى البراءة والبعد عما يصفونه * قوله عز وجل (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن) يعنى الملائكة والانس والجن (وإن من شىء إلا يسبح بحمده) قال ابن عباس وان من شىء

تسبح لله حيا كان أو ميتا أو جمادا و تسبيحها سبحان الله و بحمده أخبرنا عبد الواحد المليحي انا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسمعيل ثنا محمد بن المثنى أنا أبو أحمد الزبيري انا اسرائيل عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال كنا نعد الآيات بركة و أنتم تعدونها تخويفا كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقل الماء فقال اطلبوا أفضلة من ماء فجاؤا بإناء فيه ماء قليل فادخل يده في الإناء ثم قال حي على الطهور المبارك و البركة من الله فلقد رايت الماء ينبع من أصابع رسول الله ﷺ و لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل و قال بعض أهل المعاني تسبيح السموات و الأرض و الجمادات و سائر الحيوانات سوى العقلاء مادامت تدل بلطيف تركيبها وعجيب هيئتها على خالقها فيصير ذلك بمنزلة التسبيح منها و الأول هو المنقول عن السلف و اعلم ان الله تعالى علما في الجمادات لا يقف عليه غيره فينبغي ان يوكل علمه اليه (و لكن لا تفقهون تسبيحهم) اى لا تعلمون تسبيح ما عدا من يسبح بلغاتكم و السنتكم (إنه كان حليما غفورا و إذا قرأت القرآن جعلنا بينك و بين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا) يحجب قلوبهم عن فهمه و الانتفاع به قال قتادة وهو الاكنة و المستور بمعنى الساتر كقوله وكان وعده مأتيا مفعول بمعنى فاعل وقيل مستور عن اعين الناس فلا يرونه وفسره بعضهم بالحجاب عن الأعين الظاهر كما روى عن سعيد بن جبير انه لما نزلت تبت يدا ابي لهب جاءت امرأة ابي لهب و معها حجر و النبي ﷺ مع ابي بكر فلم تره فقالت لأبي بكر اين صاحبك لقد بلغني انه هجاني فقال والله ما ينطق عن الهوى و لا ينطق بالشعر و لا يقوله فرجعت وهي تقول قد كنت جئت بهذا الحجر لأرضخ رأسه فقال ابو بكر ما رأتك يا رسول الله قال لم يزل ملك بيني و بينها (وجعلنا على قلوبهم اكنة) اى أغطية (أن يفقهوه) أى لئلا يفهموه (وفي آذانهم وقرا) أى ثقلا لئلا يسمعوه (وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده) يعني إذا قلت لا إله إلا الله و انت تتلو القرآن (ولو على أدبارهم نفورا) جمع نافر (نحن اعلم بما يستمعون به) أى من الهزء بك و بالقران وقيل معناه نحن أعلم بالوجه الذي يستمعون به وهو التكذيب (إذ يستمعون اليك) أى و انت تقرأ القرآن (وإذ هم نجوى) أى و بما يتناجون به في أمرك وقيل معناه ذوو نجوى بعضهم يقول هو مجنون و بعضهم يقول هو كاهن و بعضهم يقول ساحر او

حي إلا يسبح بحمده و قيل جميع الحيوانات و النباتات قيل أن الشجرة تسبح و الأسطوانة لا تسبح و قيل أن التراب يسبح مالم يبتل فاذا ابتل ترك و إن الخرزة تسبح مالم ترفع من موضعها فاذا رفعت تركت التسبيح و إن الورقة تسبح مادامت على الشجرة فاذا سقطت تركت التسبيح و إن الماء يسبح مادام جاريا فاذا ركد ترك التسبيح و إن الثوب يسبح مادام جديدا فاذا اتسخ ترك التسبيح و إن الوحش و الطير لتسبح إذا صاحت فاذا سكتت تركت التسبيح وقيل و إن من شيء جماد أو حي إلا يسبح بحمده حتى صرير الباب و نقيض السقف وقيل كل الأشياء تسبح الله حيوانا كان أو جمادا و تسبيحها سبحان الله و بحمده و يدل على ذلك ما روى عن ابن مسعود قال كنا نعد الآيات بركة و أنتم تعدونها تخويفا كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقل الماء فقال اطلبوا فضلة من ماء فجاؤا بإناء فيه ماء قليل فادخل يده ﷺ في الاناء ثم قال حي على الطهور المبارك و البركة من الله فقد رايت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ و لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل أخرجه البخاري (م) عن جابر بن سمرة أن رسول الله ﷺ قال أن بمكة حجرا كان يسلم علي ليالي بعثت و اني لأعرفه الان (خ) عن ابن عمر قال كان رسول الله ﷺ يخطب إلى جذع فلما اتخذ المنبر تحول اليه فحن الجذع فأتاه فمسح بيده عليه وفي رواية فنزل فاحتضنه و ساره بشيء ففي الأحاديث دليل على أن الجماد يتكلم و أنه يسبح و قال بعض أهل المعاني تسبيح السموات و الأرض و الجمادات و الحيوانات سوى العقلاء بلسان الحال بحيث تدل على الصانع و قدرته و لطيف حكمته فكانها تنطق بذلك و يصير لها بمنزلة التسبيح و القول الأول أصح كما دلت عليه الأحاديث و أنه منقول عن السلف و اعلم أن الله تعالى علما في الجمادات لا يقف عليه غيره فينبغي أن يكل علمه اليه * وقوله تعالى (و لكن لا تفقهون تسبيحهم) أى لا تعلمون و لا تفهمون تسبيحهم ما عدا من يسبح بلغتكم و لسانكم (إنه كان حليما غفورا) أى حيث لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم و جهلكم بالتسبيح * قوله عز و جل (و إذا قرأت القرآن جعلنا بينك و بين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا) أى يحجب قلوبهم عن فهمه و الانتفاع به وقيل معناه مستورا عن أعين الناس فلا يرونه كما روى عن سعيد ابن جبير أنه قال لما نزلت تبت يد أبي لهب جاءت امرأة أبي لهب و معها حجر و النبي ﷺ مع أبي بكر فلم تره فقالت لابي بكر أين صاحبك لقد بلغني أنه هجاني فقال لها ابو بكر و الله ما ينطق بالشعر و لا يقوله فرجعت وهي تقول قد كنت جئت بهذا الحجر لأرضخ رأسه فقال ابو بكر ما رأتك يا رسول الله قال لم يزل ملك بيني و بينها يستترني شاعر

(إذ يقول الظالمون) يعني الوليد بن المغيرة واصحابه (إن تتبعون إلا رجلا مسحوراً) مطبوبا وقال مجاهد مخدوعا وقيل مصروفا عن الحق يقال ماسحرك عن كذا اى ماصرفك عنه وقال ابو عبيدة اى رجلا له سحر والسحر الرئة انه بشر مثلكم تغذى معللا بالطعام والشراب يأكل ويشرب قال الشاعر ارنا موضعين لامر غيب * ونسحر بالطعام وبالشراب

اى يغذى ويعلل (انظر) يا محمد (كيف ضربوا لك الأمثال) الأشباه فقالوا شاعر وكاهن ومجنون (فضلوا) فحاروا وحادوا (فلا يستطيعون سبيلا) اى وصولا إلى طريق الحق (وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا) بعد الموت قال مجاهد ترابا وقيل حطاما والرفات كل ما يكسر ويبلى من كل شيء كالفتات والحطام (ائنا لمبعوثون خلقا جديدا قل) لهم يا محمد (كونوا حجارة او حديدا) فى الشدة والقوة وليس هذا بامر إلزام بل هو امر تعجيز اى استشعروا فى قلوبكم انكم حجارة او حديد فى القوة (او خلقا (١٣٣) مما يكبر فى صدوركم) قيل السماء والأرض والجبال وقال مجاهد وعكرمة واكثر المفسرين انه الموت فانه ليس فى نفس ابن آدم شيء اكبر من الموت اى ولو كنتم الموت بعينه لاميتنكم ولابعثنكم (فسيقولون من يعيدنا) من يبعثنا بعد الموت (قل الذى فطركم) خلقكم (اول مرة) ومن قدر على الانشاء قدر على الاعادة (فسينغضون اليك رؤوسهم) اى يحركونها إذا قلت لهم ذلك مستهزئين بها (ويقولون متى هو) اى البعث والقيامة (قل عسى ان يكون قريبا) اى هو قريب لان عسى من الله واجب نظيره قوله تعالى وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا (يوم يدعوكم) من قبوركم إلى موقف القيامة (فتستجيبون بحمده) قال ابن عباس بامره وقال قتادة بطاعته وقيل مقرين بانه خالقهم وباعثهم ويحمدونه حتى لا ينفعهم الحمد وقيل هذا خطاب مع المؤمنين فانهم يبعثون حامدين (وتظنون ان لبثتم) فى الدنيا وفى القبور (إلا قليلا) لأن الانسان لو مكث فى الدنيا او فى القبور الوفا من السنين عد ذلك قليلا بنسبة مدة القيامة والخلود فى الاخرة وقيل انهم يستحقرون مدة الدنيا فى جنب القيامة * قوله سبحانه وتعالى (وقل لعبادى يقولوا التى هى احسن) وذلك ان المشركين كانوا يؤذون المسلمين فشكوا ذلك الى رسول الله ﷺ فأنزل الله عز وجل وقل لعبادى يقولوا يعنى للكفار التى هى احسن اى لا يكافؤهم على سفههم بل يقولون لهم يهديكم الله وكان هذا قبل الاذن فى القتال والجهاد وقيل نزلت فى عمر بن الخطاب وذلك انه شتمه بعض الكفار فامره الله بالعفو وقيل امر الله المؤمنين ان يقولوا ويفعلوا الخلة هى احسن وقيل الاحسن كلمة الاخلاص لا اله الا الله (ان الشيطان ينزغ بينهم) اى يفسد ويلقى العداوة بينهم (ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا) أى ظاهر العداوة * قوله عز وجل (ربكم اعلم بكم (ان يشأ يرحمكم) اى يوفقكم للايمان فتؤمنوا (وان يشأ يعذبكم) اى يميتكم على الشرك فتعذبوا

شاعر (إذ يقول الظالمون) يعني الوليد بن المغيرة واصحابه (إن تتبعون إلا رجلا مسحورا) اى مطبوبا وقيل مخدوعا وقيل معناه انه سحر فجن وقيل هو من السحر وهو الرئة ومعناه انه بشر مثلكم يأكل ويشرب قال الشاعر ارنا موضعين لامر غيب * ونسحر بالطعام وبالشراب
اى يغذى بهما (انظر كيف ضربوا لك الامثال) اى الاشباه فقالوا ساحر شاعر كاهن مجنون (فضلوا) اى فى جميع ذلك وحاروا (فلا يستطيعون سبيلا) اى إلى طريق الحق (وقالوا ائذا كنا عظاما) اى بعد الموت (ورفاتا) اى ترابا وقيل الرفات هى الاجزاء المتفتتة من كل شيء تكسر (ائنا لمبعوثون خلقا جديدا) فيه انهم استبعدوا الاعادة بعد الموت والبلى فقال سبحانه وتعالى ردا عليهم (قل) اى قل لهم يا محمد (كونوا حجارة) اى فى الشدة (او حديدا) اى فى القوة وليس هذا بأمر إلزال بل هو امر تعجيزى اى استشعروا فى قلوبكم انكم حجارة او حديد فى القوة (او خلقا مما يكبر فى صدوركم) قيل يعنى السماء والارض والجبال لانها اعظم المخلوقات وقيل يعنى به الموت لانه لا شيء فى نفس ابن آدم اكبر من الموت ومعناه لو كنتم الموت بعينه ولا بعثنكم (فسيقولون من يعيدنا) اى من يبعثنا بعد الموت (قل الذى فطركم) اى خلقكم (اول مرة) فمن قدر على الانشاء قدر على الاعادة (فسينغضون اليك رؤسهم) اى يحركونها اذا قلت لهم ذلك مستهزئين بما تقول (ويقولون متى هو) يعنى البعث والقيامة (قل عسى ان يكون قريبا) اى هو قريب (يوم يدعوكم) اى من قبوركم الى موقف القيامة (فتستجيبون بحمده) قال ابن عباس بامره وقيل بطاعته وقيل مقرين بانه خالقهم وباعثهم ويحمدونه حين لا ينفعهم الحمد وقيل هذا خطاب مع المؤمنين فانهم يبعثون حامدين (وتظنون ان لبثتم) اى فى الدنيا وقيل فى القبور (الا قليلا) وذلك لان الانسان لو مكث فى الدنيا وفى القبور الوفا من السنين عد ذلك قليلا بنسبة مدة القيامة والخلود فى الاخرة وقيل انهم يستحقرون مدة الدنيا فى جنب القيامة * قوله سبحانه وتعالى (وقل لعبادى يقولوا التى هى احسن) وذلك ان المشركين كانوا يؤذون المسلمين فشكوا ذلك الى رسول الله ﷺ فأنزل الله عز وجل وقل لعبادى يقولوا يعنى للكفار التى هى احسن اى لا يكافؤهم على سفههم بل يقولون لهم يهديكم الله وكان هذا قبل الاذن فى القتال والجهاد وقيل نزلت فى عمر بن الخطاب وذلك انه شتمه بعض الكفار فامره الله بالعفو وقيل امر الله المؤمنين ان يقولوا ويفعلوا الخلة هى احسن وقيل الاحسن كلمة الاخلاص لا اله الا الله (ان الشيطان ينزغ بينهم) اى يفسد ويلقى العداوة بينهم (ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا) ظاهر العداوة (ربكم اعلم بكم إن يشأ يرحمكم) يوفقكم فتؤمنوا (وإن يشأ يعذبكم) يميتكم على الشرك فتعذبوا اقاله ابن جريج وقال الكلبى إن يشأ يرحمكم فينجيكم

من أهل مكة وإن يشأ يعذبكم فيسلطهم عليكم (وما أرسلناك عليهم وكيلا) حفيظا وكفيلا قيل نسختها آية القتال (وربك أعلم بمن في السموات والأرض) أي ربك العالم بمن في السموات والارض لجعلهم مختلفين في صورهم وأخلاقهم وأحوالهم وملكهم (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) قيل جعل أهل السموات والارض مختلفين كما فضل بعض النبيين على بعض قال قتادة في هذه الآية اتخذ الله إبراهيم خليلا وكلم الله موسى تكليما وقال لعيسى كن فيكون (١٣٤) وأتى سليمان ملكا عظيما لا ينبغي لاحد من بعده وأتى داود زبورا كما قال (وآتينا داود زبورا) والزبور كتاب علمه الله داود يشتمل على مائة وخمسين سورة كلها دعاء وتمجيد وثناء على الله عز وجل وليس فيها حرام ولا حلال ولا فرائض ولا حدود معناه انكم لم تنكروا تفضيل النبيين فكيف تنكرون فضل النبي ﷺ واعطاءه القران وهذا خطاب مع من يقر بتفضيل الانبياء عليهم السلام من اهل الكتاب وغيرهم قوله عز وجل (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه) وذلك ان المشركين اصابهم قحط شديد حتى اكلوا الكلاب والجيف فاستغاثوا بالنبي ﷺ ليدعو لهم قال الله تعالى قل للمشركين ادعوا الذين زعمتم انها الهة من دونه (فلا يملكون كشف الضر) القحط والجوع (عنكم ولا تحويلا) إلى غيركم او تحويل الحال من العسر إلى اليسر (اولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة) يعني الذين يدعونهم المشركون انهم آلهة يعبدونهم قال ابن عباس ومجاهد وهم عيسى وامة عزير والملائكة (وإن

وقيل معناه إن يشأ يرحمكم فينجيكم من أهل مكة أو أن يشأ يعذبكم أي يسلطهم عليكم (وما أرسلناك عليهم وكيلا) اى حفيظا وكفيلا قيل نسختها آية القتال (وربك أعلم بمن في السموات والارض) يعني أن علمه غير مقصور عليكم بل علمه متعلق بجميع الموجودات والمعدومات ومتعلق بجميع ذات الأرضين والسموات ويعلم حال كل احد ويعلم ما يليق به من المصالح والمفاسد وقيل معناه أنه عالم بأحوالهم واختلاف صورهم وأخلاقهم ومللهم وأديانهم (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) وذلك انه اتخذ ابراهيم خليلا وكلم موسى تكليما وقال لعيسى كن فكان وآتى سليمان ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وآتى داود زبورا وذلك قوله تعالى (وآتينا داود زبورا) وهو كتاب انزله الله على داود يشتمل على مائة وخمسين سورة كلها دعاء وثناء على الله تعالى وتحميد وتمجيد ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود ولا احكام * فان قلت لم خص داود في هذه الاية بالذكر دون غيره من الانبياء * قلت فيه وجوه أحدها ان الله تعالى ذكر انه فضل بعض النبيين على بعض ثم قال تعالى وآتينا داود زبورا وذلك أن داود اعطى مع النبوة الملك فلم يذكر بالملك وذكر ما أتاه من الكتاب تنبيها على أن الفضل المذكور في هذه الاية المراد به العلم لا الملك والمال الوجه الثاني أن الله سبحانه وتعالى كتب له في الزبور ان محمدا خاتم الانبياء وان أمته خير الامم فلهذا خصه بالذكر الوجه الثالث ان اليهود زعمت ان لا نبي بعد موسى ولا كتاب بعد التوراة فكذبهم الله بقوله وآتينا داود زبورا ومعنى الاية أنكم لن تنكروا تفضيل النبيين تنكرون تفضيل النبي ﷺ واعطاءه القران وان الله أتى موسى التوراة وداود الزبور وعيسى الإنجيل فلم يبعد أن يفضل محمدا ﷺ على جميع الخلائق ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وهذا خطاب مع من يقر بتفضيل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قوله عز وجل (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه) وذلك أن الكفار أصابهم قحط شديد حتى اكلوا الكلاب والجيف فاستغاثوا بالنبي ﷺ ليدعو لهم فقال الله عز وجل قل ادعوا الذين زعمتم أنهم آلهة من دونه (فلا يملكون كشف الضر عنكم) اى الجوع والقحط (ولا تحويلا) اى إلى غيركم أو تحويل الحال من العسر إلى اليسر ومقصود الاية الرد على المشركين حيث قالوا ليس لنا أهلية أن نشتغل بعبادة الله فنحن نعبد المقربين إليه وهم الملائكة ثم انهم اتخذوا لذلك الملك الذي عبدوه تمثالا وصورة وقد اشتغلوا بعبادته فاحتج على بطلان قولهم بهذه الاية وبين عجزهم ثم قال تعالى (أولئك الذين يدعون) أي الذين يدعون المشركون آلهة (يبتغون إلى ربهم الوسيلة) اى القربة والدرجة العليا قال ابن عباس هم عيسى وعزير الملائكة والشمس والقمر والنجوم وقال عبد الله بن مسعود نزلت هذه الاية في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن فاسلم أولئك الجن ولم يعلم الانس بذلك فتمسكوا بعبادتهم فعيرهم الله وأنزل هذه الاية * وقوله تعالى (أيهم اقرب) معناه ينظرون أيهم أقرب إلى الله فيتوسلون به وقيل ايهم اقرب يبتغي الوسيلة إلى الله ويتقرب إليه بالعمل الصالح وازدياد الخير والطاعة (ويرجون رحمته) اى جنته (ويخافون عذابه) وقيل معناه يرجون ويخافون كغيرهم من عباد الله فكيف يزعمون انهم الهة (ان عذاب ربك كان محذورا) اى حقيقا بان يحذره كل احد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم من الخلائق * قوله سبحانه وتعالى

والشمس والقمر والنجوم يبتغون ان يطلبون إلى ربهم الوسيلة اى القربة وقيل الوسيلة الدرجة اى يتضرعون إلى الله في طلب الدرجة العليا وقيل الوسيلة كلما يتقرب به إلى الله تعالى وقوله (ايهم اقرب) معناه ينظرون ايهم اقرب إلى الله فيتوسلون به وقال الزجاج ايهم اقرب يبتغي الوسيلة إلى الله تعالى ويتقرب إليه بالعمل الصالح (ويرجون رحمته) جنته (ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا) اى يطلب منه الحذر وقال عبد الله بن مسعود نزلت الاية في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن فاسلم الجنيون ولم يعلم الانس الذين كانوا يعبدونهم باسلامهم فتمسكوا بعبادتهم فعيرهم الله وأنزل هذه الاية وقرأ ابن مسعود أولئك

الذين تدعون بالتاء (وان من قرية) وما من قرية (إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة) أي مخربوها ومهلكو أهلها (أو معذبوها عذابا شديدا) بأنواع العذاب إذا كفروا وعصوا وقال مقاتل وغيره مهلكوها في حق المؤمنين بالأماتة ومعذبوها في حق الكفار بأنواع العذاب قال عبد الله بن مسعود إذا ظهر الزنا والربا في قرية أذن الله في إهلاكها (كان ذلك في الكتاب) في اللوح المحفوظ (مسطورا) مكتوبا قال عبادة ابن الصامت سمعت رسول الله ﷺ يقول ان أول ما خلق الله القلم فقال اكتب فقال ما اكتب قال القدر وما كان وما هو كائن إلى الأبد قوله (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون) قال ابن عباس سأل أهل مكة رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبا وان ينحى الجبال عنهم فيزرعوا فأوحى الله تعالى إلى رسوله ﷺ ان شئت ان استأتي بهم فعلت وإن شئت أن أوتيهم ما سألوا فعلت فان لم يؤمنوا أهلكهم كما اهلكت من كان قبلهم فقال النبي ﷺ لا بل لا تستأتي بهم فانزل الله عز وجل (١٣٥) وما منعنا أن نرسل بالآيات التي

(وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة) أي بالموت والخراب (أو معذبوها عذابا شديدا) أي بالقتل وأنواع العذاب إذا كفروا وعصوا وقيل الاهلاك في حق المؤمنين الاماتة وفي حق الكفار العذاب قال عبد الله بن مسعود إذا ظهر الزنا والربا في قرية أذن الله في إهلاكها (كان ذلك في الكتاب) أي في اللوح المحفوظ (مسطورا) أي مكتوبا مثبتا عن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ان أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فقال ما اكتب قال اكتب القدر وما هو كائن إلى يوم القيامة إلى الأبد أخرجه الترمذي * قوله سبحانه وتعالى (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون) قال ابن عباس سأل أهل مكة رسول الله ﷺ ان يجعل لهم الصفا ذهبا وفضة وأن ينحى الجبال عنهم ليزرعوا فأوحى الله إلى رسوله ﷺ إن شئت ان استأتي بهم فعلت وان شئت ان أوتيهم ما سألوا فعلت فان لم يؤمنوا اهلكتهم كما اهلكت من كان قبلهم فقال النبي ﷺ لا بل تستأتي بهم فانزل الله عز وجل وما منعنا ان نرسل بالآيات اي التي سألها كفار قومك إلا ان كذب بها الأولون اي فاهلكناهم فان لم يؤمن قومك بعد ارسال الآيات اهلكناهم لأن من سنتنا في الأمم إذا سألوا الآيات ثم لم يؤمنوا بعد اتيانها ان نهلكهم ولا نمهلهم وقد حكمنا بامهال هذه الأمة إلى يوم القيامة ثم ذكر من تلك الآيات التي اقترحها الأولون ثم كذبوا بها لما ارسلت فاهلكوا فقال تعالى (واتينا ثمود الناقة مبصرة) أي بينة وذلك لان اثار اهلاكهم في بلاد معرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم (فظلموا بها) اي جحدوا انها من عند الله وقيل فظلموا انفسهم بتكذيبها فعاجلناهم بالعقوبة (وما نرسل بالآيات) المقترحة (إلا تخويفا) اي وما نرسل بالآيات إلا تخويفا من نزول العذاب فان لم يخافوا وقع عليهم وقيل معناه وما نرسل بالآيات يعني العبر والدلالات إلا تخويفا اي انذارا بعذاب الآخرة ان لم يؤمنوا فان الله سبحانه وتعالى يخوف الناس بما يشاء من آياته لعلهم يرجعون * قوله عز وجل (وإذ قلنا لك أي واذكر يا محمد إذ قلنا لك (إن ربك أحاط بالناس) اي ان قدرته محيطة بهم فهم في قبضته وقدرته لا يقدرون على الخروج من مشيئته وإذا كان الأمر كذلك فهم لا يقدرون على امر من الامور إلا بقضائه وقدره وهو حافظ وما نعك منهم فلا تهتم وامض لما امرك من التبليغ للرسالة فهو ينصرك ويقويك على ذلك (وما جعلنا الرؤيا التي اريناك إلا فتنة للناس) الاكثرون من المفسرين على ان المراد منها ما رأى النبي ﷺ ليلة المعراج من العجائب والآيات قال ابن عباس هي رؤيا عين أريها النبي ﷺ ليلة المعراج وهي ليلة اسري به إلى بيت المقدس اخرجه البخاري وهو قول سعيد بن جبير والحسن ومسروق وقتادة ومجاهد وعكرمة وابن جريج وغيرهم والعرب تقول رأيت

سألها كفار قريش إلا أن كذب بها الأولون فاهلكناهم فان لم يؤمن قومك بعد ارسال الآيات أهلكناهم لان من شأننا في الأمم إذا سألوا الآيات ثم لم يؤمنوا بعد اتيانهم ان نهلكهم ولا نمهلهم وقد حكمنا بامهال هذه الأمة في العذاب فقال جل ذكره بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ثم قال (واتينا ثمود الناقة مبصرة) مضيئة بينة (فظلموا بها) أي جحدوا بها أنها من عند الله كما قال وما كانوا بآياتنا يظلمون أي يجحدون وقيل ظلموا أنفسهم بتكذيبها يريد فعاجلناهم بالعقوبة (وما نرسل بالآيات) أي العبر والدلالات (إلا تخويفا) للعباد ليؤمنوا قال قتادة ان الله تعالى يخوف الناس بما شاء من اياته لعلهم يرجعون قوله عز وجل (وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس) أي هم في قبضته لا يقدرون على

الخروج عن مشيئته فهو حافظك وما نعك منهم فلا تهتم وامض إلى ما أمرك الله به من تبليغ الرسالة كما قال والله يعصمك من الناس (وما جعلنا الرؤيا التي اريناك إلا فتنة للناس) فالأكثرون على أن المراد منه ما رأى النبي ﷺ ليلة المعراج من العجائب والآيات قال ابن عباس هي رؤيا عين أريها النبي ﷺ وهو قول سعيد بن جبير والحسن ومسروق وقتادة ومجاهد وعكرمة وابن جريج والأكثرين والعرب تقول رأيت بعيني رؤية رؤيا فلما ذكرها رسول الله ﷺ للناس أنكر بعضهم ذلك وكذبوا وكان فتنة للناس وقال قوم اسري بروحه دون بدنه وقال بعضهم كان له معراجان رؤية بالعين ومعراج رؤيا بالقلب وقال قوم أراد بهذه الرؤيا ما رأى صلى الله عليه وسلم عام الحديبية أنه دخل مكة هو وأصحابه فجعل السير إلى مكة قبل الأجل فصده المشركون فرجع إلى المدينة وكان رجوعه في ذلك العام بعد ما أخبر أنه يدخلها فكان رجوعه فتنة لبعضهم حتى دخلها في العام المقبل فأنزل الله تعالى لقد

صدق الله رسوله الرؤيا بالحق (والشجرة الملعونة فى القرآن) يعنى شجرة الزقوم مجازه والشجرة الملعونة المذكورة فى القرآن والعرب تقول لكل طعام كريه طعام ملعون وقيل معناه الملعون أكلها ونصب الشجرة عطفا على الرؤيا أى وما جعلنا الرؤيا التى أريناك والشجرة الملعونة إلا فتنة للناس فكانت الفتنة فى الرؤيا ما ذكرنا والفتنة فى الشجرة الملعونة من وجهين أحدهما ان اباجهل قال ان ابن أبى كبشة يوعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم أنه ينبت فيها شجرة وتعلمون أن النار تحرق الشجرة والثانى أن عبدالله بن الزبعرى قال ان محمدا يخوفنا بالزقوم ولا نعرف الزقوم إلا الزبد والتمر (١٣٦) وقال أبو جهل ياجارية تعالى فزقمينا فاتت بالتمر والزبد فقال ياقوم تزقموا فان هذا ما يخوفكم به محمد فوصفها الله تعالى فى الصافات وقيل الشجرة الملعونة هى التى تلتوى على الشجر فتخنقه يعنى الكشوث (ونخوفهم فما يزيدهم) التخويف (إلا طغيانا كبيرا) أى تمردا وعتوا عظيما فى قوله عز وجل (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا) اى خلقته من طين انا جئت به وذلك ما روى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان الله تعالى بعث ابليس حتى اخذ كفا من تراب الارض من عذبها وملحها فخلق منه ادم فمن خلقه من العذب فهو سعيد وان كان ابن كافرين ومن خلقه من الملح فهو شقى وان كان ابن نبى (قال) يعنى ابليس (أرأيتك) اى اخبرنى والكاف لتأكيد المخاطبة (هذا الذى كرمت على) اى فضلته على (لئن اخرتن) امهلتنى (إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته) اى لأستأصلنهم بالاضلال يقال احتنك الجراد الزرع إذا أكله كله وقيل هو من قول العرب حنك الدابة يحنكها إذا شد فى حنكها ومشاتهم الاسفل حبلا يقودها أى لاقودنهم كيف شئت وقيل لأستولين عليهم بالاغواء (إلا قليلا) يعنى المعصومين الذين استثناهم الله عز وجل فى قوله إن عبادى ليس لك عليهم سلطان (قال) الله (اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم) أى جزاءك وجزاء أتباعك (جزاء موفورا) وافرا مكملا يقال وفرته أوفره وفرا وقوله (واستفزز) واستخفف واستجهد (من استطعت منهم) أى من ذرية آدم (بصوتك) قال ابن عباس وقتادة بدعائك إلى معصية الله وكل داع إلى معصية الله فهو من جند إبليس قال الأزهرى معناه ادعهم دعاء تستفزهم به إلى جانبك أى تستخفهم وقال مجاهد بالغناء والمزامير (واجلب عليهم بخيلك ورجلك) قيل اجمع عليهم مكايدك وخيلك ويقال اجلبوا وجلبوا إذا

بعينى رؤية رؤيا فلما ذكرها رسول الله ﷺ للناس أنكر بعضهم ذلك وكذبوا فكانت فتنة للناس وازدادا المخلصون إيمانا وقال قوم اسرى بروحه دون جسده وهو ضعيف وقال قوم كان له معراجان معراج رؤية عين فى اليقظة ومعراج رؤيا منام وقيل أراد بهذه الرؤيا ما رأى رسول الله ﷺ عام الحديبية انه دخل مكة هو وأصحابه فعجل المسير إلى مكة قبل الاجل فصده المشركون فرجع إلى المدينة فكان رجوعه فى ذلك العام بعدما أخبر أنه يدخلها فتنة لبعضهم ثم دخل مكة فى العام المقبل وأنزل الله عز وجل لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقيل ان النبى ﷺ رأى فى المنام ان ولد الحكم بن أمية يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة فساءه ذلك فان اعترض معترض على هذا التفسير وقال السورة مكية وهاتان الواقعتان كانتا بالمدينة واجيب بأنه لا اشكال فيه فانه لا يبعد أن النبى ﷺ رأى ذلك بمكة ثم كان ذلك حقيقة بالمدينة (والشجرة الملعونة فى القرآن) يعنى شجرة الزقوم التى وصفها الله تعالى فى سورة الصافات والعرب تقول لكل طعام كريه طعام ملعون والفتنة فيها ان أبا جهل قال ان ابن أبى كبشة يعنى النبى ﷺ توعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم انه تنبت فيها شجرة وتعلمون ان النار تحرق الشجر وقيل ان عبدالله بن الزبعرى قال ان محمدا يخوفنا بالزقوم ولا نعرف الزقوم إلا الزبد والتمر فقال ابو جهل ياجارية تعالى فزقمينا فاتت بزبد وتمر فقال ياقوم تزقموا فان هذا ما يخوفكم به محمد فانزل الله سبحانه وتعالى حين عجبوا ان يكون فى النار شجر إنا جعلناها فتنة للظالمين الايات * فان قلت اين لعنت شجرة الزقوم فى القرآن * قلت لعنت حيث لعن الكفار الذين يأكلونها لاذنب لها حتى تلعن وإنما وصفت بلعن اصحابها على المجاز وقيل وصفها الله تعالى باللعن لان اللعن الابعاد من الرحمة وهى فى اصل جهنم فى ابعد مكان من الرحمة وقال ابن عباس فى رواية عنه ان الشجرة الملعونة هى الكشوث الذى يلتوى على الشجر والشوك فيجففه (ونخوفهم فما يزيدهم) اى التخويف (إلا طغيانا كبيرا) اى تمردا وعتوا عظيما قوله سبحانه وتعالى (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا) أى من طين وذلك ان آدم خلق من تراب الأرض من عذبها وملحها فمن خلق من العذب فهو سعيد ومن خلق من الملح فهو شقى (قال) يعنى إبليس (أرأيتك) الكاف للمخاطب والمعنى اخبرنى (هذا الذى كرمت على) اى فضلته على (لئن اخرتن) اى امهلتنى (إلى يوم القيامة لاحتنكن ذريته) اى لاستأصلنهم بالاضلال وقيل معناه لاقودنهم كيف شئت وقيل لاستولين عليهم بالاغواء (إلا قليلا) يعنى المعصومين الذين استثناهم الله تعالى فى قوله إن عبادى ليس لك عليهم سلطان (قال) الله تعالى (اذهب) اى امض لشأنك وليس هو من الذهاب الذى هو ضد المجىء (فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم) اى جزاؤك وجزاء أتباعك (جزاء موفورا) اى مكملا * قوله تعالى (واستفزز) أى استخف واستزل واستعجل وازعج (من استطعت منهم) اى من ذرية آدم (بصوتك) قال ابن عباس معناه بدعائك إلى معصية الله وكل داع إلى معصية الله فهو من جند إبليس وقيل اراد بصوتك الغناء والمزامير واللهو واللعب (واجلب عليهم بخيلك ورجلك) اى اجمع عليهم مكايدك وحيائلك واحثهم على الاغواء وقيل معناه استعن عليهم بركبان جندك

صاحوا يقول صح بخيلك ورجلك واحثهم عليه بالاغواء قال مقاتل استعن عليهم بركبان جندك ومشاتهم والخيل الركبان والرجل المشاة قال اهل التفسير كل راكب وماش فى معاصى الله فهو من جند إبليس وقال مجاهد وقتادة ان له خيلا ورجلا من الجن والانس وهو كل من يقاتل فى المعصية والرجل والرجالة والراجلة واحد يقال راجل ورجل مثل تاجر وتجور وراكب وركب وقرأ حفص ورجلك بكسر الجيم وهما لغتان (وشاركهم فى الأموال والأولاد) فالمشاركة فى الأموال كل ما أصيب من حرام وأنفق فى حرام هذا قول مجاهد والحسن أو سعيد ابن جبير وقال عطاء هو الربا وقال قتادة هو ما كان المشركون يحرمونه من الانعام كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام وقال الضحاك هو ما كانوا يذبحونه لآلهتهم وأما الشركة فى الأولاد روى عن ابن عباس انها الموؤدة وقال مجاهد والضحاك هم أولاد الزنا وقال الحسن وقتادة هو أنهم هودوا الادهم ونصروهم ومجسوهم وعن ابن عباس رواية أخرى هو تسميتهم الأولاد عبد الحرث وعبد شمس وعبد العزى وعبد الدار ونحوها وروى عن جعفر ابن محمد ان الشيطان يقعد على ذكر الرجل فاذا لم يقل بسم الله أصاب معه امرأته وأنزل فى فرجها كما ينزل الرجل وروى فى بعض الأخبار ان فيكم مغربين قيل وما المغربون قال الذين يشارك فيهم الجن وعن ابن عباس انه سأله رجل فقال ان امرأتى استيقظت وفى فرجها شعلة نار قال ذلك من وطء الجن (وعدهم) اى منهم الجميل فى طاعتك وقيل لهم لاجنة ولا نار ولا بعث وذلك ان الشيطان إذا دعا إلى المعصية فلا بد ان يقرر اولا انه لا مضرة فى فعلها البتة وذلك لا يمكن إلا إذا قال لا معاد ولا جنة ولا نار ولا حياة بعد هذه الحياة فيقرر عند المدعو انه لا مضرة البتة فى هذه المعاصى وإذا فرغ من هذا النوع قرر عنده ان هذا الفعل يفيد انواعا من اللذة والسرور ولا حياة للإنسان فى الدنيا إلا به فهذا طريق الدعوة إلى المعصية ثم ينفره عن فعل الطاعات وهو انه يقرر عنده ان لا جنة ولا نار ولا عقاب فلا فائدة فيها وقيل معنى عدهم ان شفاعة الأصنام عند الله وإيثار العاجل على الآجل * فان قلت كيف ذكر الله هذه الأشياء بصيغة الأمر والله سبحانه وتعالى يقول ان الله لا يأمر بالفحشاء * قلت هذا على طريق التهديد كقوله تعالى اعملوا ما شئتم وكقول القائل اجتهد جهدك فسترى ما ينزل بك * وقوله سبحانه وتعالى (وما يعدهم الشيطان إلا غرورا) اى يزين الباطل بما يظن انه حق واعلم ان الله سبحانه وتعالى لما قال وعدهم اردفه بما هو زاجر عن قبول وعده بقوله وما يعدهم الشيطان إلا غرورا والسبب فيه انه إنما يدعو إلى قضاء الشهوة وطلب الرياسة ونحو ذلك ولا يدعو إلى معرفة الله تعالى ولا إلى عبادته وتلك الاشياء التى يدعو اليها خيالية لا حقيقة لها ولا تحصل إلا بعد متاعب ومشاق عظيمة وإذا حصلت كانت سريعة الذهاب والانقضاء وينغصها الموت والهرم وغير ذلك وإذا كانت هذه الأشياء بهذه الصفة كانت الرغبة فيها غرورا (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان) يعنى بعباده الانبياء واهل الفضل والصلاح لانه لا يقدر على اغوائهم (وكفى بربك وكيلا) اى حافظاً والمعنى انه سبحانه وتعالى لما أمكن ابليس ان يأتى بما يقدر عليه من الوسوسة كان ذلك سبباً لحصول الخوف فى قلب الإنسان فقال تعالى وكفى بربك وكيلا اى فالله سبحانه وتعالى اقدر منه ارحم بعباده فهو يدفع عنهم كيد

ومشاتهم يقال ان له خيلا ورجلا من الجن والانس فكل من قاتل او مشى فى معصية الله فهو من جند إبليس وقيل المراد منه ضرب المثل كما تقول للرجل المجد فى الأمر جئتنا بخيلك ورجلك (وشاركهم فى الأموال والأولاد) اما المشاركة فى الأموال فكل مال اصيب من حرام او انفق فى حرام وقيل هو الربا وقيل هو ما كانوا يذبحونه لاصنامهم ويحرمونه كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام واما المشاركة فى الاولاد فروى عن ابن عباس انها الموؤدة وقيل اولاد الزنا وعن ابن عباس ايضا هى تسميتهم اولادهم بعبد العزى وعبد الحرث وعبد شمس ونحوه وقيل هو ان يرغبوا اولادهم فى الاديان الباطلة الكاذبة كاليهودية والنصرانية والمجوسية ونحوها وقيل ان الشيطان يقعد على ذكر الرجل وقت الجماع فاذا لم يقل بسم الله اصاب معه امراته وانزل فى فرجها كما ينزل الرجل وروى فى بعض الأخبار ان فيكم مغربين قال وما المغربون قال الذين شارك فيهم الجن وعن ابن عباس انه سأله رجل فقال ان امراتى استيقظت وفى فرجها شعلة نار قال ذلك من وطء الجن (وعدهم) اى منهم الجميل فى طاعتك وقيل لهم لا جنة ولا نار ولا بعث وذلك ان الشيطان إذا دعا إلى المعصية فلا بد ان يقرر اولا انه لا مضرة فى فعلها البتة وذلك لا يمكن إلا إذا قال لا معاد ولا جنة ولا نار ولا حياة بعد هذه الحياة فيقرر عند المدعو انه لا مضرة البتة فى هذه المعاصى وإذا فرغ من هذا النوع قرر عنده ان هذا الفعل يفيد انواعا من اللذة والسرور ولا حياة للإنسان فى الدنيا إلا به فهذا طريق الدعوة إلى المعصية ثم ينفره عن فعل الطاعات وهو انه يقرر عنده ان لا جنة ولا نار ولا عقاب فلا فائدة فيها وقيل معنى عدهم ان شفاعة الأصنام عند الله وإيثار العاجل على الآجل * فان قلت كيف ذكر الله هذه الأشياء بصيغة الأمر والله سبحانه وتعالى يقول ان الله لا يأمر بالفحشاء * قلت هذا على طريق التهديد كقوله تعالى اعملوا ما شئتم وكقول القائل اجتهد جهدك فسترى ما ينزل بك * وقوله سبحانه وتعالى (وما يعدهم الشيطان إلا غرورا) اى يزين الباطل بما يظن انه حق واعلم ان الله سبحانه وتعالى لما قال وعدهم اردفه بما هو زاجر عن قبول وعده بقوله وما يعدهم الشيطان إلا غرورا والسبب فيه انه إنما يدعو إلى قضاء الشهوة وطلب الرياسة ونحو ذلك ولا يدعو إلى معرفة الله تعالى ولا إلى عبادته وتلك الاشياء التى يدعو اليها خيالية لا حقيقة لها ولا تحصل إلا بعد متاعب ومشاق عظيمة وإذا حصلت كانت سريعة الذهاب والانقضاء وينغصها الموت والهرم وغير ذلك وإذا كانت هذه الأشياء بهذه الصفة كانت الرغبة فيها غرورا (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان) يعنى بعباده الانبياء واهل الفضل والصلاح لانه لا يقدر على اغوائهم (وكفى بربك وكيلا) اى حافظاً والمعنى انه سبحانه وتعالى لما أمكن ابليس ان يأتى بما يقدر عليه من الوسوسة كان ذلك سبباً لحصول الخوف فى قلب الإنسان فقال تعالى وكفى بربك وكيلا اى فالله سبحانه وتعالى اقدر منه ارحم بعباده فهو يدفع عنهم كيد

 أستطيعه إلا بك قال لا يولد لك ولد إلا وكلت به من يحفظونه قال زدنى قال الحسنة العشرة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها قال زدنى قال التوبة معروضة ما دام الروح فى الجسد فقال زدنى قال يا عبادى الذين اسرفوا على أنفسهم الآية وفى الخبر ان إبليس قال يارب بعثت أنبياء وأنزلت كتبا فما قراءتى قال الشعر قال فما كتابى قال الوشم قال ومن رسلى قال الكهنة قال وأين مسكنى قال الحمامات قال وأين مجلسى قال الأسواق قال فما مطعمى قال ما لم يذكر عليه اسمى قال ما شرابى قال كل مسكر قال وما حبالتى قال النساء قال وما أذانى قال المزامير قوله عز وجل (وعدهم) أى خذ منهم الجميل فى طاعتك وقيل قل لهم لا جنة ولا نار ولا بعث (وما يعدهم الشيطان إلا غرورا) والغرور تزيين الباطل بما يظن انه حق فان قيل كيف ذكر الله هذه الأشياء وهو يقول ان الله لا يأمر بالفحشاء قيل هذا على طريق التهديد كقوله تعالى اعملوا ما شئتم وكقوله القائل افعل ما شئت فسترى قوله (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا) أى حافظاً ومن يوكل الامر اليه

قوله عز وجل (ربكم الذي يزجي لكم الفلك) أي يسوق ويجري لكم الفلك (في البحر لتبتغوا من فضله) لتطلبوا من رزقه (إنه كان بكم رحيما وإذا مسكم الضر) الشدة وخوف الغرق (في البحر ضل) أي بطل وسقط (من تدعون) من الآلهة (إلا إياه) إلا الله فلم تجدوا مغيثا سواه (فلما نجاكم) أجاب دعاءكم وانجاكم من هول البحر وأخرجكم (إلى البر أعرضتم) عن الإيمان والاخلاص والطاعة كفرا منكم لنعمه (وكان الانسان كفورا أفأمنتم) بعد ذلك (أن يخسف بكم) يغوركم (جانب البر) ناحية البر وهي الأرض (أو يرسل عليكم حاصبا) أي يمطر عليكم حجارة من السماء كما أمطر على قوم لوط وقال أبو عبيدة والقتيبي الحاصب الريح التي ترمي بالحصباء وهي الحصا الصغار (ثم لا تجدوا لكم وكيلا) قال قتادة مانعا (أم أمنتم أن يعيدكم فيه) يعني في البحر (تارة) مرة (أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح) قال ابن عباس أي عاصفا وهي الريح الشديدة وقال أبو عبيدة هي الريح التي تقصف كل شيء أي تدقه وتحطمه وقال القتيبي هي التي تقصف الشجر أي تكسره (فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا) ناصرا ولا ثائرا وتبيع بمعنى تابع أي تابعا مطالبا بالثار وقيل من يتبعنا بالانكار قرأ ابن كثير وابو عمرو ان نخسف ونرسل ونعيدكم فنرسل فنغرقكم بالنون فهن لقوله علينا وقرأ الآخرون بالياء لقوله إلا إياه وقرأ ابو جعفر ويعقوب فنغرقكم بالتاء يعني الريح قوله عز وجل (ولقد كرمنا بني آدم) روى عن ابن عباس انه قال هو انهم يأكلون بالايدي وغير الادمي يأكل بفيه من الأرض وروى عنه قال بالعقل وقال الضحاك بالنطق وقال عطاء بتعديل القامة وامتدادها والدواب منكبة على وجوهها وقيل بحسن الصورة وقيل الرجال باللحى والنساء بالذوائب وقيل بأن سخر لهم سائر الأشياء وقيل بان منهم خير أمة أخرجت للناس (وحملناهم في البر والبحر) أي حملناهم في البر على الدواب وفي البحر على السفن (ورزقناهم من الطيبات) يعني لذيذ المطاعم والمشارب قال مقاتل السمن والزبد والتمر والحلوى وجعل رزق غيرهم مالا يخفى (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) وظاهر الآية انه فضلهم على كثير ممن خلقهم لا على الكل وقال قوم فضلوا على

الشيطان ووساوسه ويعصمهم من إغوائه وإضلاله وفي بعض الآثار أن إبليس لما خرج إلى الأرض قال يارب اخرجتني من الجنة لأجل ادم فسلطني عليه وعلى ذريته قال انت مسلط قال لا استطيعه إلا بك فزدني قال استفزز من استطعت منهم الاية فقال آدم يارب سلطت إبليس علي وعلى ذريتي وإني لا أستطيعه إلا بك قال لا يولد لك ولد إلا وكلت به من يحفظه قال رب زدني قال الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها قال رب زدني قال التوبة معروضة مادام الروح في الجسد قال رب زدني فقال يا عبادي الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الاية في الخبر قال إبليس يارب بعثت أنبياء وانزلت كتبا فما قراءتي قال الشعر قال فما كتابتي قال الوشم قال ومن رسلي قال الكهنة قال أي شيء مطعمي قال ما لم يذكر عليه اسمي قال فما شرابي قال كل مسكر قال وابن مسكني قال الحمامات قال وأين مجلسي قال في الأسواق قال وما حبائلي قال النساء قال وما أذاني قال المزمار * قوله (ربكم الذي يزجي) أي يسوق ويجري (لكم الفلك) أي السفن (في البحر لتبتغوا من فضله) أي لتطلبوا من رزقه بالأرباح في التجارة وغيرها (إنه كان بكم رحيما) أي حيث يسر لكم هذه المنافع والمصالح وسهلها عليكم (وإذا مسكم الضر في البحر) أي الشدة وخوف الغرق في البحر (ضل من تدعون) أي ذهب عن أوهامكم وخواطركم كل من تدعون في حوادثكم من الأصنام وغيرها (إلا إياه) أي الله وحده فانكم لا تذكرون سواه ولا يخطر ببالكم غيره لأنه القادر على إعانتكم ونجاتكم (فلما نجاكم) أي أجاب دعاءكم وانجاكم من هول البحر وشدته وأخرجكم (إلى البر أعرضتم) أي عن الإيمان والاخلاص والطاعة وكفرتم النعمة وهو قوله تعالى (وكان الإنسان كفورا) أي جحودا (أفامنتم) أي بعد انجائكم (أن يخسف بكم جانب البر) أي تغوره والمعنى ان الجهات كلها له وفي قدرته براكان أو بحرا بل ان كان الغرق في البحر ففي جانب البر ما هو حجارة من السماء كما أمطرناها على قوم لوط ثم لا تجدوا لكم وكيلا) أي مانعا وناصرا (أم امنتم أن يعيدكم فيه) أي في البحر (تارة) أي مرة (أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح) قال ابن عباس أي عاصفا وهي الريح الشديدة وقيل الريح التي تقصف كل شيء من شجر وغيره (فيغرقكم بما كفرتم) أي بكفرانكم النعمة وإعراضكم حين أنجيناكم (ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا) التبيع المطالب والمعنى أنا نفعل ما نفعل بكم ثم لا تجدون لكم أحدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا لكم ودركا للثار من جهتنا وقيل معناه من يتبعنا بالإنكار علينا * قوله تعالى (ولقد كرمنا بني آدم) قال ابن عباس هو انهم يأكلون بالأيدي وغير الادمي يأكل بفيه من الأرض وقال أيضا بالعقل وقيل بالنطق والتمييز والحظ والفهم وقيل باعتدال القامة وامتدادها وقيل بحسن الصورة وقيل الرجال باللحى والنساء بالذوائب وقيل بتسليطهم على جميع ما في الأرض وتسخيره لهم وقيل بحسن تدبيرهم أمر المعاش والمعاد وقيل بان منهم خير أمة أخرجت للناس (وحملناهم في البر) أي على الإبل والخيل والحمير (والبحر) أي وحملناهم في البحر على السفن وهذا من مؤكدات التكريم لأن الله تعالى سخر لهم هذه الأشياء ليتنفعوا بها ويستعينوا بها على مصالحهم (ورزقناهم من الطيبات) يعني لذيذ المطاعم والمشارب وقيل الزبد والتمر والحلواء وجعل رزق غيرهم مما لا يخفى وقيل ان جميع الأغذية إما نباتية وإما حيوانية ولا يتغذى الإنسان إلا باطيب القسمين بعد الطبخ الكامل والنضج التام لا يحصل هذا لغير الإنسان (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)

واعلم

جميع الخلق إلا على الملائكة وقال الكلبي فضلوا على الخلائق كلهم إلا على طائفة من الملائكة جبريل ومكائيل واسرافيل وملك الموت واشباههم وفى تفضيل الملائكة على البشر اختلاف فقال قوم فضلوا على جميع الخلق وعلى الملائكة كلهم وقد يوضع الاكثر موضع الكل كما قال تعالى قل انبئكم على من تنزل الشياطين إلى قوله تعالى واكثرهم كاذبون أى كلهم وفى الحديث عن جابر يرفعه قال لما خلق الله ادم وذريته قالت الملائكة يارب خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون فاجعل لهم الدنيا ولنا الاخرة فقال تعالى لا اجعل من خلقته بيدى ونفخت فيه من روحى كمن قلت له كن فكان والأولى أن يقال عوام المؤمنين افضل من عوام الملائكة وخواص المؤمنين أفضل من خواص الملائكة قال الله تعالى إن الذين امنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية وروى عن ابى هريرة (١٣٩) أنه قال المؤمن افضل واكرم على الله من الملائكة الذين عنده قوله تعالى (يوم ندعو كل اناس بامامهم) قال مجاهد وقتادة بنبيهم وقال أبو صالح والضحاك بكتابهم الذى انزل عليهم وقال الحسن وأبو العالية باعمالهم وقال قتادة أيضا بكتابهم الذى فيه أعمالهم بدليل سياق الاية فمن أوتى كتابه بيمينه ويسمى الكتاب إماما كما قال عز وجل وكل شىء احصيناه فى إمام مبين وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما بامام زمانهم الذى دعاهم فى الدنيا إلى ضلالة أو هدى قال الله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بامرنا وقال وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار وقيل بمعبودهم وعن سعيد بن المسيب قال كل قوم يجتمعون الى رئيسهم فى الخير والشر وقال محمد بن كعب بامامهم قيل يعنى بأمهاتهم وفيه ثلاثة أوجه من الحكمة أحدها لاجل عيسى عليه السلام والثانى لشرف الحسن والحسين والثالث لئلا يفتضح اولاد الزنا (فمن اوتى كتابه بيمينه فاولئك يقرأون كتابهم ولا يظلمون فتيلا) اى لا ينقص من حقهم قدر فتيل (ومن كان فى هذه اعمى) اختلفوا فى هذه الاشارة فقال قوم هى راجعة الى النعم التى عددها الله تعالى فى هذه الايات من قوله ربكم الذى يزجى لكم الفلك الى قوله تفضيلا يقول ومن كان منكم فى هذه النعم التى قد عاين اعمى (فهو فى) امر (الآخرة) التى لم يعاين ولم ير (اعمى واضل سبيلا) يروى هذا عن ابن عباس وقال الاخرون هى راجعة الى الدنيا يقول من كان فى هذه الدنيا اعمى القلب عن رؤية قدرة الله وآياته ورؤية الحق فهو فى الاخرة اعمى اى اشد عمى واضل سبيلا اى اخطا طريقا وقيل من كان فى هذه الدنيا اعمى عن الاعتبار فهو فى الاخرة اعمى عن الاعتذار وقال الحسن من كان فى هذه الدنيا ضالا كافرا فهو فى الاخرة

واعلم أن الله تعالى قال فى أول الاية ولقد كرمنا بنى ادم وفى اخرها وفضلناهم ولا بد من الفرق بين التكريم والتفضيل والالزام التكرار والاقرب أن يقال ان الله تعالى كرم الانسان على سائر الحيوان بامور خلقية ذاتية طبيعية مثل العقل والنطق والخط وحسن الصور ثم انه سبحانه وتعالى عرفه بواسطة ذلك العقل والفهم اكتساب العقائد الصحيحة والاخلاق الفاضلة فالأول هو التكريم والثانى هو التفضيل ثم قال سبحانه وتعالى على كثير ممن خلقنا تفضيلا ظاهر الاية يدل على أنه فضل بنى ادم على كثير ممن خلق لا على الكل فقال قوم فضلوا على جميع الخلق الا على الملائكة وهذا مذهب المعتزلة وقال الكلبى فضلوا على الخلائق كلهم الا على طائفة من الملائكة مثل جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل واشباههم وقيل فضلوا على جميع الخلائق وعلى الملائكة كلهم * فان قلت كيف تصنع بكثير * قلت يوضع الاكثر موضع الكل كقوله تعالى يلقون السمع واكثرهم كاذبون اراد كلهم وفى الحديث عن جابر يرفعه قال لما خلق الله ادم وذريته قالت الملائكة يارب خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة فقال تعالى لا اجعل من خلقته بيدى ونفخت فيه من روحى كمن قلت له كن فكان وقيل بالتفضيل وهو الأولى والراجح ان خواص بنى ادم وهم الأنبياء أفضل من خواص الملائكة وعوام الملائكة افضل من عوام البشر من ادم وهذا التفضيل انما هو بين الملائكة والمؤمنين من بنى ادم لأن الكفار لا حرمة لهم قال الله سبحانه وتعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال المؤمن اكرم على الله تعالى من الملائكة الذين عنده * قوله عز وجل (يوم ندعو كل اناس بامامهم) اى بنبيهم وقيل بكتابهم الذى انزل عليهم وقيل بكتاب اعمالهم وعن ابن عباس بامام زمانهم الذى دعاهم فى الدنيا اما الى هدى واما الى ضلالة وذلك ان كل قوم يجتمعون الى رئيسهم فى الخير والشر وقيل بمعبودهم وقيل بامامهم جمع ام يعنى بامهاتهم والحكمة فيه رؤية حق عيسى عليه السلام واظهار شرف الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما وان لا يفتضح اولاد الزنا (فمن اوتى كتابه بيمينه فاولئك يقرؤن كتابهم) * فان قلت لم خص اصحاب اليمين بقراءة كتابهم مع ان اصحاب الشمال يقرؤنه أيضا * قلت الفرق ان أصحاب الشمال اذا طالعوا كتابهم وجدوه مشتملا على مشكلات عظيمة فيستولى عليهم الخجل والدهشة فلا يقدرون على اقامة حروفه فتكون قراءتهم كلا قراءة وأصحاب اليمين اذا طالعوا كتابهم وجدوه مشتملا على الحسنات والطاعات فيقرؤنه احسن قراءة وابينها (ولا يظلمون فتيلا) اى ولا ينقصون من ثواب اعمالهم ادنى شىء (ومن كان فى هذه اعمى) المراد عمى القلب والبصيرة لا عمى البصر والمعنى ومن كان فى هذه الدنيا اعمى اى عن هذه النعم التى قد عدها فى هذه الايات المتقدمة (فهو فى الاخرة) اى التى لم تعاين ولم تر (اعمى واضل سبيلا) قاله ابن عباس وقيل معناه ومن كان فى هذه الدنيا اعمى القلب عن رؤية قدرة الله وآياته ورؤية الحق فهو فى الاخرة اعمى اى اشد عمى واضل سبيلا اى اخطا طريقا

أعمى وأضل سبيلا لأنه فى الدنيا تقبل توبته وفى الاخرة لا تقبل توبته وأمال بعض القراء هذين الحرفين وفتحهما بعضهم وكان أبو عمرو يكسر الأول ويفتح الثانى فهو فى الاخرة اشد عمى لقوله واضل سبيلا قوله عز وجل (وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك) الاية اختلفوا فى سبب نزولها قال سعيد بن جبير كان النبى ﷺ يستلم الحجر الأسود فمنعته قريش وقالوا لا ندعك حتى تلم بآلهتنا وتمسها فحدث نفسه وعلى ان افعل ذلك والله تعالى انى لها كاره بعد ان يدعونى حتى استلم الحجر وقبل طلبوا منه أن يمس الهتهم حتى يسلموا ويتبعوه فحدث نفسه بذلك فانزل الله هذه الاية قال ابن عباس قدم وفد ثقيف على النبى ﷺ فقالوا نبايعك على أن تعطينا ثلاث خصال قال وماهن قالوا ان لا ننحنى أى فى الصلاة ولا نكسر أصنامنا بأيدينا وأن تمتعنا باللات سنة من غير ان نعبدها فقال النبى ﷺ لا خير فى دين لا ركوع فيه ولا سجود وأما أن لا تكسروا أصنامكم بأيديكم فذاك لكم وأما الطاغية يعنى اللات والعزى فانى غير ممتعكم بها فقالوا يا رسول الله إنا نحب أن تسمع العرب إنك أعطيتنا مالم تعط غيرنا فان خشيت ان تقول العرب أعطيتهم مالم تعطنا فقل الله امرنى بذلك فسكت رسول الله ﷺ فطمع القوم فى سكوته (١٤٠) أن يعطيهم ذلك فأنزل الله عز وجل هذه الاية وإن كادوا ليفتنونك ليصرفونك

وقيل معناه ومن كان فى الدنيا كافرا ضالا فهو فى الاخرة اعمى لانه فى الدنيا تقبل توبته وفى الاخرة لا تقبل توبته * قوله سبحانه وتعالى (وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك) قيل فى سبب نزولها ان النبى ﷺ كان يستلم الحجر الاسود فمنعته قريش وقالوا لا ندعك حتى تلم بالهتنا وتمسها فحدث نفسه ما على ان افعل ذلك والله يعلم انى لها كاره بعد ان يدعونى استلم الحجر وقيل طلبوا منه ان يذكر الهتهم حتى يسلموا ويتبعوه فحدث نفسه فانزل الله هذه الاية وقال ابن عباس قدم وفد ثقيف على النبى ﷺ فقالوا نبايعك على أن تعطينا ثلاث خصال قال وماهن قالوا لا ننحنى فى الصلاة أى لا ننحنى ولا نكسر أصنامنا بأيدينا وأن تمتعنا باللات سنة من غير ان تعبدها فقال النبى ﷺ لا خير فى دين لا ركوع فيه ولا سجود واما ان لا تكسروا أصنامكم بأيديكم فذاك لكم وأما الطاغية يعنى اللات والعزى فانى غير ممتعكم بها قالوا يا رسول الله انا نحب أن تسمع العرب إنك أعطيتنا مالم تعط غيرنا فان خشيت أن تقول العرب اعطيتهم مالم تعطنا فقل الله امرنى بذلك فسكت النبى ﷺ فطمع القوم فى سكوته أن يعطيهم ذلك فانزل الله تعالى وان كادوا اى هموا ليفتنونك اى ليصرفونك عن الذى اوحيتا اليك (لتفترى) اى لتختلق وتبتدع علينا غيره) اى مالم تقله (وإذا) اى لو فعلت ما دعوك اليه (لاتخذوك خليلا) اى والوك ووافوك وصافوك (ولولا ان ثبتنا) اى على الحق بعصمتنا اياك (لقد كدت تركن) اى تميل (اليهم شيئا قليلا) اى قربت من الفعل * فان قلت كان النبى ﷺ معصوما فكيف يجوز ان يطلب مما طلبوه * قلت كان ذلك خاطر قلب ولم يكن عزما وقد عفا الله تعالى عن حديث النفس وكان النبى ﷺ يقول بعد ذلك اللهم لا تكلنى إلى نفسى طرفة عين والجواب الصحيح هو ان الله سبحانه وتعالى قال ولولا ان ثبتناك وقد ثبته الله فلم يركن اليهم (إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات) اى لو فعلت ذلك لأذقناك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات يعنى ضعفنا لك العذاب فى الدنيا والاخرة (ثم لا تجد لك علينا نصيرا) اى ناصرا يمنعك من عذابنا * قوله سبحانه وتعالى (وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها) قيل هذه الاية مدنية وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كره اليهود مقامه بالمدينة وذلك حسدا فاتوه فقالوا يا ابا القاسم

عن الذى أوحينا اليك (لتفترى) لتختلق (علينا غيره واذا) لو فعلت ما دعوك اليه (لاتخذوك خليلا) أى والوك وصافوك (ولولا ان ثبتناك) على الحق بعصمتنا (لقد كدت تركن) اى تميل (اليهم شيئا قليلا) اى قريبا من الفعل فان قيل كان النبى صلى الله عليه وسلم معصوما فكيف يجوز ان يقرب مما طلبوه وما طلبوه كفر قيل كان ذلك خاطر قلب ولم يكن عزما وقد عفا الله عز وجل عن حديث النفس قال قتادة كان النبى ﷺ يقول بعد ذلك اللهم لا تكلنى إلى نفسى طرفة عين والجواب الصحيح هو ان الله تعالى قال ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا وقد ثبته الله ولم يركن وهذا

مثل قوله تعالى ولولا فضل الله ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا وقد تفضل فلم يتبعوا (إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات) أى لو فعلت ذلك لأذقناك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات يعنى أضعفنا لك العذاب فى الدنيا والاخرة وقيل الضعف هو العذاب سمى ضعفا لتضاعف الألم فيه (ثم لا تجد لك علينا نصير) أى ناصرا يمنعك من عذابنا قوله تعالى (وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها) اختلفوا فى معنى الاية فقال بعضهم هذه الاية مدنية قال الكلبى لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كره اليهود مقامه بالمدينة حسدا منهم فاتوه وقالوا يا أبا القاسم لقد علمت ما هذه بأرض الأنبياء فان أرض الأنبياء الشام وهى الأرض المقدسة وكان بها ابراهيم والأنبياء عليهم الصلاة والسلام فان كنت نبيا مثلهم فات الشام وإنما يمنعك من الخروج اليها مخافتك الروم وان الله سيمنعك من الروم إن كنت رسوله فعسكر النبى ﷺ على ثلاثة أميال من المدينة وفى رواية إلى ذى الحليفة حتى يجتمع اليه أصحابه ويخرج فانزل الله هذه الاية والأرض ههنا هى المدينة وقال مجاهد وقتادة الأرض أرض مكة والاية مكية هم المشركون أن يخرجوه منها فكفهم الله عنه حتى امره بالهجرة فخرج بنفسه وهذا اليق بالاية لأن ما قبلها خبر عن أهل مكة والسورة مكية وقيل هم الكفار كلهم ارادوا أن يستفزوه من ارض العرب باجتماعهم وتظاهرهم عليه فمنع الله عز وجل رسوله ﷺ ولم ينالوا منه

القاسم

ما أملوا والاستفزاز هو الازعاج بسرعة (واذا لا يلبثون خلافك) أى بعدك وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وحفص ويعقوب هذا خلافك اعتبارا بقوله تعالى فرح المخلفون بمقعدهم خلاف النبى ومعناهما واحد (إلا قليلا) اى لا يلبثون بعدك إلا قليلا حتى يهلكوا فعلى هذا القول الأول مدة حياتهم وعلى الثانى ما بين خروج النبى ﷺ إلى المدينة إلى أن قتلوا ببدر قوله تعالى (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) اى كسنتنا فانتصب بحذف الكاف وسنة الله فى الرسل إذا كذبتهم الامم ان لا يعذبهم مادام نبيهم بين أظهرهم فاذا خرج نبيهم من بين اظهرهم عذبهم (ولا تجد لسنتنا تحويلا) اى تبديلا قوله (أقم الصلاة لدلوك الشمس) اختلفوا فى الدلوك روى عن عبد الله بن مسعود انه قال الدلوك هو الغروب وهو قول ابراهيم النخعى ومقاتل بن حيان والضحاك والسدى وقال ابن عباس (١٤١) وابن عمار وجابر هو زوال الشمس وهو قول عطاء وقتادة ومجاهد والحسن وأكثر التابعين ومعنى اللفظ يجمعهما لان اصل الدلوك الميل والشمس تميل إذا زالت وغربت والحمل على الزوال أولى القولين لكثرة القائلين به ولانا إذا حملناه عليه كانت الاية جامعة لمواقيت الصلاة كلها فدلوك الشمس يتناول صلاة الظهر والعصر وإلى غسق الليل يتناول المغرب والعشاء وقرآن الفجر هو صلاة الصبح قوله عز وجل (إلى غسق الليل) اى ظهور ظلمته وقال ابن عباس بدو الليل وقال قتادة وقت صلاة المغرب وقال مجاهد غروب الشمس (وقرآن الفجر) يعنى صلاة الفجر سمى صلاة الفجر قرآنا لانها لا تجوز إلا بقرآن وانتصاب القران من وجهين أحدهما أنه عطف على الصلاة أى وأقم قران الفجر قاله الفراء وقال اهل البصرة على الاغراء اى وعليك قران الفجر (وان قرآن الفجر كان مشهودا) اى يشهد ملائكة الليل وملائكة النهار اخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحى انا احمد بن عبد الله النعيمى انبأنا محمد ابن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا ابو اليمن انبأنا شعيب عن الزهرى اخبرنى سعيد بن المسيب وابو سلمة بن عبد الرحمن ان ابو هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول تفضل صلاة الجمع على صلاة احدكم وحده بخمس وعشرين جزءا وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار فى صلاة الفجر ثم يقول ابو هريرة اقرؤا ان شئتم ان قران الفجر كان مشهودا قوله تعالى (ومن الليل فتهجد به) اى قم بعد نومك والتهجد لا يكون إلا بعد النوم يقال تهجد إذا قام بعد ما نام وهجد اذا نام والمراد من الاية قيام الليل للصلاة وكانت صلاة الليل فريضة على الرسول ﷺ فى الابتداء وعلى الأمة لقوله تعالى يا ايها المزمل قم الليل إلا قليلا ثم نزل التخفيف فصار الوجوب منسوخا فى حق الأمة بالصلوات الخمس وبقى الاستحباب قال الله تعالى فاقرؤا ما تيسر منه وبقى الوجوب فى حق النبى ﷺ وروى عن عائشة رضى الله عنها ان النبى ﷺ قال ثلاث هن على فريضة وهن سنة لكم الوتر والسواك وقيام الليل

القاسم لقد علمت ما هذه بأرض أنبياء وإن أرض الانبياء الشام وهى الأرض المقدسة وكان بها إبراهيم والأنبياء عليهم السلام فان كنت نبيا مثلهم فات الشام وإنما يمنعك من الخروج إليها مخافة الروم وان الله سيمنعك من الروم ان كنت رسوله فعسكر النبى ﷺ على ثلاثة أميال من المدينة وفى رواية إلى ذى الحليفة حتى يجتمع إليه أصحابه فيخرج فأنزل الله هذه الاية فالأرض هنا أرض المدينة وقيل الارض أرض مكة والاية مكية والمعنى هم المشركون ان يخرجوه منها فكفهم الله عنه حتى امره بالخروج للهجرة فخرج بنفسه وهذا اليق بالاية لان ما قبلها خبر عن اهل مكة والسورة مكية وقيل هم المشركون كلهم وأرادوا أن يستفزوه من ارض العرب باجتماعهم وتظاهرهم عليه فمنع الله رسوله ولم ينالوا منه ما أملوه والاستفزاز الازعاج (وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا) بأى لا يبقون بعد اخراجك إلا زمانا قليلا حتى يهلكوا * قوله سبحانه وتعالى (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) يعنى ان كل قوم اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فسنة الله ان يهلكهم وأن لا يعذبهم مادام نبيهم بينهم فاذا خرج من بين أظهرهم عذبهم (ولا تجد لسنتنا تحويلا) اى تبديلا * قوله سبحانه وتعالى (أقم الصلاة لدلوك الشمس) روى عن ابن مسعود أنه قال الدلوك الغروب وهو قول النخعى ومقاتل والضحاك والسدى قال ابن عباس وابن عمر وجابر هو زوال الشمس وهو قول عطاء وقتادة ومجاهد والحسن وأكثر التابعين ومعنى اللفظ يجمعهما لأن أصل الدلوك الميل والشمس تميل إذا زالت وإذا غربت والحمل على الزوال أولى القولين لكثرة القائلين به وإذا حملناه عليه كانت الاية جامعة لمواقيت الصلاة كلها فدلوك الشمس يتناول صلاة الظهر والعصر (إلى غسق الليل) اى ظهور ظلمته وقال ابن عباس بدو الليل وهذا يتناول المغرب والعشاء (وقرآن الفجر) يعنى صلاة الفجر سمى الصلاة قرآنا لأنها لا تجوز إلا بالقران (إن قران الفجر كان مشهودا) أى يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار (خ) عن ابى هريرة قال سمعت النبى ﷺ يقول تفضل صلاة الجمع صلاة أحدكم وحده بخمس وعشرين جزأ وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار فى صلاة الفجر ثم يقول أبو هريرة اقرؤا إن شئتم إن قران الفجر كان مشهودا قال الامام فخر الدين الرازى فى تفسيره هذا دليل قاطع قوى على ان التغليس افضل من التنوير لأن الانسان إذا شرع فيها من اول الصبح ففى ذلك الوقت الظلمة باقية فتكون ملائكة الليل حاضرين ثم اذا امتدت للصلاة بسبب ترتيل القران وكثيرها زالت الظلمة وظهر الضوء وحضرت ملائكة النهار أما إذا ابتدا بهذه الصلاة فى وقت الاسفار فهناك لم يبق احد من ملائكة الليل فلا يحصل المعنى المذكور فى الاية فثبت ان قوله تعالى ان قران الفجر كان مشهودا دليل على ان الصلاة فى اول وقتها افضل * قوله سبحانه وتعالى (ومن الليل فتهجد به) اى تم بعد نومك والتهجد لا يكون الا بعد القيام من النوم

قوله عز وجل (نافلة لك) أى زيادة لك يريد فضيلة زائدة على سائر الفرائض فرضها الله عليك وذهب قوم إلى ان الوجوب صار منسوخا فى حقه كما فى حق الامة فصارت نافلة وهو قول مجاهد وقتادة لان الله تعالى قال نافلة لك ولم يقل عليك فان قيل فما معنى التخصيص وهى زيادة فى حق كافة المسلمين كما فى حقه ﷺ قيل التخصيص من حيث أن نوافل العباد كفارة لذنوبهم والنبى ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكانت نوافله لا تعمل فى كفارة الذنوب فتبقى له زيادة فى رفع الدرجات أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجورجانى أنا أبو القاسم على بن احمد الخزاعى أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب ثنا أبو عيسى الترمذى ثنا قتيبة وبشر بن معاذ قالا ثنا أبو عوانة عن زياد بن علاقة عن المغيرة بن شعبة قال قام النبى ﷺ حتى انتفخت قدماه فقيل له اتتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال افلا أكون عبدا شكورا أخبرنا أبو الحسن محمد بن السرخسى أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمى أنا أبو مصعب عن مالك عن عبد الله بن ابى بكرة (١٤٢) عن ابيه عن عبد الله بن قيس بن مخرمة انه أخبره عن زيد بن خالد الجهنى انه قال لارمقن صلاة النبى ﷺ الليلة فتوسدت عتبته او فسطاطه فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم صلى ركعتين طويلتين ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم اوتر فذلك ثلاث عشرة ركعة اخبرنا ابو الحسن محمد بن محمد السرخسى انا زاهر بن احمد انا ابو اسحق الهاشمى انا ابو مصعب عن مالك عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن ابى سلمة بن عبد الرحمن انه اخبره انه سأل عائشة رضى الله عنها كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ فى رمضان قال فقالت ما كان النبى ﷺ يزيد فى رمضان ولا فى غيره على إحدى عشر ركعة يصلى اربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلى اربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهم ثم يصلى ثلاثا اضطجع قالت عائشة فقلت يا رسول الله اتنام قبل ان توتر فقال يا عائشة ان عينى تنامان ولا ينام قلبى أخبرنا الامام ابو على الحسين بن محمد القاضى انا ابو نعيم عبد الملك بن الحسن الاسفرايينى انا ابو عوانة يعقوب بن اسحق انا يونس بن هارون بن عبد الاعلى انا ابن وهب اخبرنى يونس وابن ابى ذئب وعمر بن الحرث ان ابن شهاب اخبرهم عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ يصلى فيما بين ان يفرغ من صلاة العشاء إلى الفجر احدى عشرة ركعة يسلم من كل ركعتين ويوتر بواحدة فيسجد السجدة قدر ما يقرأ احدكم خمسين اية قبل ان يرفع راسه فاذا سكت المؤذن من اذان الفجر وتبين له الفجر قام فركع ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المؤذن للاقامة فيخرج بعضهم يزيد على بعض اخبرنا احمد بن عبد الله الصالحى انا ابو بكر احمد بن الحسن الحيرى انا حاجب بن احمد الطوسى انا عبد الرحمن بن منيب انا يزيد بن هارون انا حميد الطويل عن انس بن مالك رضى الله عنه قال ما كنا نشاء ان نرى رسول الله ﷺ فى الليل مصليا إلا رايناه ولا نشاء ان نراه نائما إلا رايناه وقال كان يصوم الشهر حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم منه شيئا

والمراد من الاية قيام الليل للصلاة وكانت صلاة الليل فريضة على النبى ﷺ وعلى الامة فى الابتداء لقوله تعالى يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا نصفه ثم نزل التخفيف فصار الوجوب منسوخا فى حق الامة بالصلوات الخمس وبقى قيام الليل على الاستحباب بدليل قوله تعالى فاقرؤا ما تيسر منه وبقى الوجوب ثابتا فى حق النبى ﷺ بدليل قوله تعالى (نافلة لك) اى زيادة لك يريد فريضة زائدة على سائر الفرائض التى فرضها الله عليك وروى عن عائشة ان النبى ﷺ قال ثلاث هن على فريضة وهن سنة لكم الوتر والسواك وقيام الليل وقيل ان الوجوب صار منسوخا فى حقه كما فى حق الأمة لصار قيام الليل نافلة لأن الله سبحانه وتعالى قال نافلة لك ولم يقل عليك. فان قلت ما معنى التخصيص إذا كان زيادة فى حق المسلمين كما فى حقه ﷺ قلت فائدة التخصيص ان النوافل كفارات لذنوب العباد والنبى ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكانت له نافلة وزيادة فى رفع الدرجات

(فصل) فى الأحاديث الواردة فى قيام الليل (ق) عن المغيرة بن شعبة قال قام النبى ﷺ حتى انتفخت قدماه فقيل له اتتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا (م) عن زيد بن خالد الجهنى قال لأرمقن صلاة النبى ﷺ الليلة فتوسدت عتبته أو فسطاطه فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم صلى ركعتين طويلتين طويلتين طويلتين ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم أوتر فذلك ثلاث عشرة ركعة لفظ ابى داود (ق) عن ابى سلمة بن عبد الرحمن انه سأل عائشة كيف كانت صلاة النبى ﷺ فى رمضان قالت ما كان يزيد فى رمضان ولا فى غيره على احدى عشر ركعة يصلى اربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلى أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلى ثلاثا قالت عائشة فقلت يا رسول الله أتنام قبل ان توتر فقال يا عائشة ان عينى تنامان ولا ينام قلبى (ق) عنها قالت كان النبى ﷺ يصلى فيما بين ان يفرغ من صلاة العشاء إلى الفجر إحدى عشر ركعة يسلم بين كل ركعتين ويوتر بواحدة ويسجد سجدتين قدر ما يسجد ويقرأ احدكم خمسين آية قبل ان يرفع راسه فاذا سكت المؤذن من صلاة الفجر وتبين له الفجر قام فركع ركعتين خفيفتين ثم

قوله عز وجل (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) عسى من الله تعالى واجب لأنه لا يدع أن يعطى عباده أو يفعل بهم ما أطمعهم فيه والمقام المحمود هو مقام الشفاعة لأمته لأنه يحمده فيه الأولون والآخرون واخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان انا أبو جعفر محمد بن احمد بن عبد الجبار الريانى ثنا حميد بن زنجويه انا عبد الله بن يزيد المقرى أنا حياة عن كعب عن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله ﷺ قال إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فانه من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لى الوسيلة فانها منزلة فى الجنة لا ينبغى أن تكون إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون انا هو فمن سال لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا احمد بن عبد الله النعيلى أنا محمد بن يوسف (١٤٣) ثنا محمد بن اسمعيل ثنا على بن عياش ثنا سعيد بن أبى حمزة عن محمد بن المنكدر عن جابر ابن عبد الله ان رسول الله ﷺ قال من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته حلت له شفاعتى يوم القيامة اخبرنا أبو حامد احمد بن عبد الله الصالحى ابا ابو بكر احمد بن الحسن الحيرى انا حاجب بن احمد الطوسى أنا عبد الرحيم ابن منيب انا يعلى عن الاعمش عن أبى صالح عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ان لكل نبى دعوة مستجابة وانى اختبأت دعوتى شفاعة لامتى وهى نائلة منكم إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا أخبرنا عبد الواحد المليحى انا احمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل قال وقال الحجاج بن منهال ثنا همام بن يحيى ثنا قتادة عن أنس أن رسول الله ﷺ قال يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يهتموا بذلك فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا فأتون آدم فيقولون انت آدم أبو الناس خلقك الله بيده وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شىء اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التى أصاب اكله من الشجرة وقد نهى عنها ولكن ائتوا نوحا أول نبى بعثه الله الى اهل الأرض فيأتون نوحا فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التى أصاب سؤاله ربه بغير علم ولكن ائتوا ابراهيم خليل الرحمن قال فيأتون ابراهيم فيقول انى لست هناكم ويذكر كذبات كذبهن ولكن ائتوا موسى عبدا آتاه الله التوراة وكلمه وقربه نجيا قال فيأتون موسى فيقول انى لست هناكم ويذكر خطيئته التى أصاب قتله النفس ولكن ائتوا عيسى عبد الله ورسوله وروح الله وكلمته قال فيأتون عيسى فيقول لست هناكم ولكن ائتوا محمدا عبدا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال فيأتونى فاستاذن على ربى فى داره فيؤذن لى عليه فاذا رأيته وقعت ساجدا فيدعنى ما شاء الله ان يدعنى فيقول ارفع محمد وقل تسمع

اضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المؤذن للاقامة (خ) عنها قالت كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته بركعتين خفيفتين عن عوف بن مالك الاشجعى قال قمت مع رسول الله ﷺ ليلة فقام فقرأ سورة البقرة لا يمر بآية رحمة إلا وقف وسال ولا يمر بآية عذاب الا وقف وتعوذ ثم ركع بقدر قيامه يقول فى ركوعه سبحان ذى الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة ثم سجد بقدر قيامه ثم قال فى سجوده مثل ذلك ثم قام فقرأ بآل عمران ثم قرأ سورة النساء أخرجه أبو داود والنسائى عن عائشة قالت قام رسول الله ﷺ بآية من القرآن ليلة اخرجه الترمذى (ق) عن الاسود قال سالت عائشة كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ من الليل قالت كان ينام أوله ويقوم اخره فيصلى ثم يرجع إلى فراشه فاذا أذن المؤذن وثب فان كانت به حاجة اغتسل وإلا توضا وخرج عن أنس قال ما كنا نشاء ان نرى رسول الله ﷺ فى الليل مصليا إلا رأيناه ولا نشاء ان نراه نائما إلا رأيناه أخرجه النسائى زاد فى رواية غيره قال وكان يصوم من الشهر حتى نقول لا يفطر منه شيئا ويفطر حتى نقول لا يصوم منه شيئا * وقوله عز وجل (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) أجمع المفسرون على أن عسى من الله واجب وذلك لأن لفظة عسى تفيد الاطماع ومن أطمع إنسانا فى شىء ثم أحرمه كان ذلك عارا عليه والله أكرم من أن يطمع أحدا ثم لا يعطيه ما أطمعه فيه والمقام المحمود هو مقام الشفاعة لانه يحمده فيه الأولون والاخرون (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ ان لكل نبى دعوة مستجابة وانى اخبات دعوتى شفاعة لأمتى فهى نائلة منكم ان شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا (م) عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فمن صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لى الوسيلة فانها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله وارجو ان أكون انا هو فمن سال لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة (م) عن جابر بن عبد الله ان رسول الله ﷺ قال من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته حلت له شفاعتى يوم القيامة (ق) عن أنس ان النبى ﷺ قال يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك وفى رواية فيلهمون لذلك فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا فيأتون آدم فيقولون انت آدم أبو البشر خلقك الله بيده وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شىء اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول لست هناكم فيذكر خطيئته التى أصاب فيستحى ربه منها ولكن ائتوا نوحا أول رسول بعثه الله إلى الأرض فيأتون نوحا فيقول لست هناكم فيذكر خطيئته التى أصاب فيستحى ربه منها ولكن ائتوا إبراهيم الذى اتخذه الله خليلا فيأتون إبراهيم فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التى أصاب فيستحى ربه منها ولكن ائتوا موسى الذى

واشفع تشفع وسل تعطه قال فارفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ثم اشفع فيحد لي حدا فاخرج فاخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم اعود الثانية فاستاذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فاذا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ماشاء الله أن يدعني ثم يقول ارفع محمد وقل تسمع واشفع تشفع وسل تعطه قال فارفع رأسي فاثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ثم اشفع فيحد لي حدا فاخرج فاخرجهم من النار وادخلهم الجنة ثم أعود الثالثة فاستاذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فاذا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ماشاء الله ان يدعني ثم يقول ارفع محمد وقل تسمع واشفع تشفع وسل تعطه قال فارفع رأسي فاثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لي حدا فاخرج فأدخلهم الجنة قال قتادة وقد سمعته يقول فاخرج فاخرجهم من النار وادخلهم الجنة حتى ما بقي في النار إلا من قد حبسه القرآن أي وجب عليه الخلود ثم تلا هذه الاية عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال وهذا المقام المحمود الذي وعده (١٤٤) نبيكم ﷺ وبهذا الاسناد قال حدثنا محمد بن اسمعيل ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد

ابن زيد ثنا معبد بن هلال العنزي قال ذهبنا الى انس ابن مالك فذكر حديث الشفاعة بمعناه وقال فاستأذن على ربي فيؤذن لي ويلهمني محامد احمده بها لاتحضرني الآن فأحمده بتلك المحامد واخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع راسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فأقول يارب امتي امتي فيقال انطلق فاخرج من كان في قلبه مثقال شعيرة من ايمان فانطلق ففعل ثم اعود فاحمده بتلك المحامد ثم اخر له ساجدا فذكر مثله وقال فيقال لي انطلق فاخرج من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من ايمان قال فانطلق ففعل ثم أعود فاحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فذكر مثله ثم يقال انطلق فاخرج من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة من خردل من

كلمه الله وأعطاه التوراة قال فيأتون موسى فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته فيأتون عيسى روح الله وكلمته فيقول لست هناكم ولكن ائتوا محمدا ﷺ عبدا قد غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال قال رسول الله ﷺ فيأتوني فاستاذن على ربي تعالى فيؤذن لي فاذا أنا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ماشاء الله فيقال يا محمد ارفع رأسك قلت سمع سل تعطه اشفع تشفع فارفع رأسي فاحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي ثم أشفع فيحد لي حدا فاخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود فاقع ساجدا فيدعني ماشاء الله ان يدعني ثم يقال لي ارفع يا محمد رأسك قلت اسمع سل تعطه اشفع تشفع فارفع رأسي فاحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي ثم اشفع فيحد لي حدا فاخرجهم من النار وادخلهم الجنة قال فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة قال فأقول يارب ما بقي في النار إلا من حبسه القران أي من وجب عليه الخلود وفي رواية للبخاري ثم تلا هذه الاية عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قال وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم ﷺ زاد في رواية فقال النبي ﷺ يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة قال يزيد بن زريع في حديث شعبة ذرة وفي رواية في إيمان مكان خير وفي حديث معبد بن هلال العنزي عن أنس في حديث الشفاعة وذكر نحوه وفيه فاقول يارب أمتي أمتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه أدنى ادنى ادنى من مثقال حبة من خردل من ايمان فاخرجه من النار فانطلق فافعل قال فلما خرجنا من عند أنس مررنا بالحسن فسلمنا عليه فحدثناه بالحديث الى هذا الموضع فقال هيه فقلنا لم يزدنا على هذا فقال لقد حدثني وهو يومئذ جميع منذ عشرين سنة كما حدثكم ثم قال ثم اعود في الرابعة فاحمده بتلك المحامد ثم اخر له ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقيل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول يارب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله قال ليس لك او قال ليس ذاك اليك ولكن وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا اله الا الله قوله وهو يومئذ جميع اي مجتمع الذهن والراي عن ابي سعيد قال قال رسول الله ﷺ انا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق عنه الأرض ولا فخر قال فيفزع الناس ثلاث فزعات فيأتون ادم فيقولون انت ابونا اشفع لنا إلى ربك فيقول إني اذنبت ذنبا عظيما فاهبطت به الأرض ولكن ائتوا نوحا فيأتون نوحا فيقول إني دعوت على اهل الأرض دعوة فأهلكوا ولكن اذهبوا إلى إبراهيم فيأتون إبراهيم فيقول اني كذبت ثلاث كذبات ثم قال رسول الله ﷺ ما منها كذبة الا ماحل بها عن دين الله ولكن ائتوا

إيمان فأنطلق فافعل فلما خرجنا من عند أنس مررنا بالحسن فسلمنا عليه فحدثناه بالحديث إلى هذا الموضع فقال هيه فقلنا لم موسى يزدنا على هذا فقال لقد حدثني وهو يومئذ جميع منذ عشرين سنة كما حدثكم ثم قال ثم اعود الرابعة فاحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فاقول يارب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله فيقول وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله وروى عن عبد الله بن عمر قال ان الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد ﷺ فيشفع ليقضى بين الخلق فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده اهل الجمع كلهم وأخبرنا الامام ابو علي الحسين بن محمد القاضي انا ابو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد بن ماموية ثنا أبو بكر

محمد بن الحسين القطان ثنا محمد بن حنوية ثنا سعيد بن سليمان ثنا منصور بن أبي الأسود ثنا الليث عن الربيع بن أنس عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ انا اولهم خروجا إذا بعثوا وانا قائدهم إذا وفدوا وانا خطيبهم إذا انصتوا وانا شفيعهم إذا حبسوا وانا مبشرهم إذا أيسوا الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدي ولواء الحمد يومئذ بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي يطوف على الف خادم كانهم لؤلؤ بيض مكنون او لؤلؤ منثور اخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج حدثني الحكم بن موسى ثنا معقل بن زياد عن الأوزاعي حدثني أبو عمار حدثني (١٤٥) عبد الله بن فروخ حدثني ابو هريرة قال قال رسول الله ﷺ انا سيد ولد آدم يوم القيامة واول من ينشق عنه القبر واول شافع وأول مشفع والأخبار في الشفاعة متواترة كثيرة واول من انكرها عمرو بن عبيد وهو مبتدع باتفاق أهل السنة وروى عن يزيد ابن صهيب الفقيه قال كنت قد شغفني رأي من رأى الخوارج وكنت رجلا شابا فخرجنا في عصابة نريد الحج فررنا على المدينة فاذا جابر بن عبد الله يحدث القوم عن رسول الله ﷺ وذكر حديث الجهنميين فقلت له يا صاحب رسول الله ما هذا الذي يحدثون والله عز وجل يقول إنك من تدخل النار فقد اخزيته وكلما أرادوا أن يخرجوا منها اعيدوا فيها فقال لي يافتى اتقرأ القرآن قلت نعم قال هل سمعت بمقام محمد المحمود الذي يبعثه الله فيه قلت نعم قال فانه مقام محمد المحمود الذي يخرج الله به من يخرج من النار ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه

موسى فيأتون موسى فيقول قد قتلت نفسا ولكن ائتوا عيسى فيأتون عيسى فيقول إني عبدت من دون الله ولكن ائتوا محمدا فيأتوني فانطلق معهم قال ابن جدعان قال أنس فكاني انظر إلى رسول الله ﷺ قال فاخذ بحلقة باب الجنة فاقعقعها فيقال من هذا فيقال محمد فيفتحون لي ويقولون مرحبا فاخر ساجدا الله فيلهمني الله من الثناء والحمد فيقال لي ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع وقل يسمع لقولك وهو المقام المحمود الذي قال الله سبحانه وتعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قال سفيان ليس عن انس غير هذه الكلمة فاخذ بحلقة باب الجنة فاقعقعها فيقال من هذا فيقال محمد فيفتحون لي ويرحبون بي فيقولون مرحبا فاخر ساجدا فيلهمني الله من الثناء والحمد اخرجه الترمذي قوله ماحل الماحلة الخاصمة والمجادلة والمعنى انه عليه الصلاة والسلام خاصم وجادل عن دين بتلك الألفاظ التي صدرت منه وقوله فاقعقعها أي أحركها حركة شديدة والقعقعة حكاية اصوات الترس وغيره مما له صوت عن أنس قال قال رسول الله ﷺ انا اول الناس خروجا إذا بعثوا وانا خطيبهم إذا وفدوا وانا مبشرهم إذا ايسوا ولواء الحمد يومئذ بيدي وانا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر أخرجه الترمذي زاد في رواية غير الترمذي وانا مستشفعهم إذا حبسوا الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدي يطوف على خدم كانهم بيض مكنون او لؤلؤ منثور (م) عن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ انا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من تنشق عنه الارض وأول شافع وأول مشفع زاد الترمذي قال انا اول من تنشق عنه الارض فاكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش فليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال ان الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام فيشفع ليقضي بين الخلائق فيمشي حتى ياخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده فيه أهل الجمع كلهم (م) عن يزيد بن صهيب قال كنت قد شغفني رأي من رأى الخوارج فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد أن نحج ثم نخرج على الناس قال فررنا على المدينة فاذا جابر بن عبد الله جالس إلى سارية يحدث عن رسول الله ﷺ وإذا هو قد ذكر الجهنميين فقلت يا صاحب رسول الله ما هذا الذي تحدثون والله يقول إنك من تدخل النار فقد أخزيته وكلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها فالذي تقولون قال أتقرأ القران قلت نعم قال فاقرا ماقبله انه في الكفار ثم قال فهل سمعت بمقام محمد الذي يبعثه الله فيه قلت نعم قال فان مقام محمد ﷺ المحمود الذي يخرج الله به من يخرج من النار قال ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه قال وأخاف أن لا أكون أحفظ ذاك قال غيره انه قد زعم ان قوما يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها قال يعني فيخرجون كانهم عيدان السماسم قال فيدخلون نهرا من انهار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون منه كأنهم عيدان السماسم قال فيدخلون نهرا من أنهار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون منه كانهم القراطيس فرجعنا فقلنا ويحكم اترون هذا الشيخ يكذب على رسول الله ﷺ فرجعنا فلا والله ما خرج غير رجل واحد او كما قال والاحاديث في الشفاعة كثيرة وأول من أنكرها عمرو بن عبيد وهو مبتدع باتفاق أهل السنة وروى

وأن قوما يخرجون من النار بعد ما يكونون فيها قال فرجعنا وقلنا أترون هذا الشيخ يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عن أبي وائل عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل اتخذ ابراهيم خليلا وأن صاحبكم خليل الله وأكرم الخلق على الله ثم قرأ عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وعن مجاهد في قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال يجلسه على العرش وعن عبد الله بن سلام قال يقعده على الكرسي

قوله عز وجل (وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق) المراد من المدخل والمخرج الادخال والاخراج واختلف أهل التفسير فيه فقال ابن عباس والحسن وقتادة أدخلني مدخل صدق المدينة وأخرجني مخرج صدق من مكة نزلت حين امر النبي ﷺ بالهجرة وقال الضحاك وأخرجني مخرج صدق من مكة آمنا من المشركين وأدخلني مدخل صدق مكة ظاهراً عليها بالفتح وقال مجاهد أدخلني في أمرك الذي أرسلتني به من النبوة مدخل صدق وأخرجني من الدنيا وقد قمت بما وجب علي من حقها مخرج صدق وعن الحسن انه قال أدخلني مدخل صدق الجنة وأخرجني مخرج صدق من مكة وقيل أدخلني في طاعتك وأخرجني من المناهي وقيل معناه أدخلني حيث ما أدخلتني بالصدق وأخرجني بالصدق أي لا تجعلني ممن يدخل بوجه ويخرج بوجه فان ذا الوجهين لا يكون امينا ووجيها عند الله ووصف الادخال والاخراج بالصدق لما يؤل اليه الخروج والدخول من النصر والعز ودولة الدين كما وصف القدم بالصدق فقال ان لهم قدم صدق عند ربهم (واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا) قال مجاهد حجة بينة وقال الحسن ملكا قويا تنصرني به على ما ناوائي وعزا ظاهرا اقيم به دينك فوعده الله لينزعن ملك فارس والروم وغيرهما فيجعله له قال قتادة علم نبي الله صلى الله عليه وسلم ان لا طاقة له بهذا الامر إلا بسلطان نصير فسأل سلطانا نصيرا كتاب الله وحدوده واقامة دينه قوله عز وجل (وقل جاء الحق) يعني القران (وزهق الباطل) اي الشيطان قال قتادة وقال السدي الحق الاسلام والباطل الشرك وقيل الحق عبادة الله والباطل عبادة الاصنام (إن الباطل كان زهوقا) ذاهبا يقال زهقت نفسه اي خرجت اخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا صدقة بن الفضل ثنا ابن عيينة عن ابن ابي نجيح عن مجاهد عن ابي معمر عن عبد الله قال دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة صنم فجعل يطعنها بعود في يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد قوله عز وجل (ونزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) قيل من ليس للتبعيض ومعناه ونزل من القران ما هو

أبو وائل عن ابن مسعود انه قال أن الله اتخذ إبراهيم خليلا وأن صاحبكم خليل الله وأكرم الخلق عليه ثم قرأ عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال يقعده على العرش وعن مجاهد مثله وعن عبد الله بن سلام قال يقعد على الكرسي * قوله عز وجل (وقل رب ادخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق) المراد منهما الادخال والاخراج قال ابن عباس معناه ادخلني مدخل صدق المدينة وأخرجني مخرج صدق من مكة نزلت حين أمر رسول الله ﷺ بالهجرة وقيل معناه اخرجني من مكة آمنا من المشركين وادخلني مكة ظاهرا عليها بالفتح وقيل ادخلني في أمرك الذي أرسلتني به من النبوة مدخل صدق وأخرجني من الدنيا وقد قمت بما وجب علي من حق النبوة مخرج صدق وقيل معناه أدخلني في طاعتك مدخل صدق وأخرجني من المناهي مخرج صدق وقيل معناه ادخلني حيثما ادخلتني بالصدق وأخرجتني بالصدق ولا تجعلني ممن يخرج بوجه ويدخل بوجه فان ذا الوجهين لا يكون آمنا عند الله (واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا) اي حجة بينة وقيل ملكا قويا تنصرني به على من عاداني وعزا ظاهرا أقيم به دينك فوعده الله لينزعن عن ملك فارس والروم وغيرهما ويجعله له وأجاب دعاءه فقال له والله يعصمك من الناس وقال يظهره على الدين كله وقال وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض الآية * قوله تعالى (وقل جاء الحق) يعني الاسلام والقرآن (زهق الباطل) اي الشرك والشيطان (إن الباطل كان زهوقا) اي مضمحلا غير ثابت وذلك أن الباطل وان كان له دولة وصولة في وقت من الأوقات فهو سريع الذهاب والزوال (ق) عن عبد الله بن مسعود قال دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح وكان حول البيت ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود في يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد * قوله تعالى (وننزل من القرآن ما هو شفاء) من في قوله تعالى من القران لبيان الجنس والمعنى ننزل من هذا الجنس الذي هو القرآن ما هو شفاء اي بيان من الضلالة والجهالة يتبين به المختلف فيه ويتضح به المشكل ويستشفى به من الشبهة ويهتدى به من الحيرة وهو شفاء القلوب بزوال الجهل عنها قيل هو شفاء للامراض الباطنة والظاهرة وذلك لأنها تنقسم إلى نوعين (١) أحدهما الاعتقادات الباطلة والثاني الأخلاق المذمومة أما الاعتقادات الباطلة فاشدها فساد الاعتقادات الفاسدة في الذات والصفات والنبوات والقضاء والقدر والبعث بعد الموت فالقران كتاب مشتمل على دلائل المذهب الحق في هذه الأشياء وأبطال المذاهب الفاسدة لا جرم كان القران شفاء لما في القلوب من هذا النوع وأما النوع الثاني وهو الاخلاق المذمومة فالقران مشتمل على التنفير منها والارشاد إلى الأخلاق المحمودة والأعمال الفاضلة فثبت أن القران شفاء من جميع الأمراض الباطنة وأما كونه شفاء من الأمراض الجسمانية فلان التبرك بقراءته يدفع كثيرا من الأمراض يدل عليه ماروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في فاتحة الكتاب وما يدريك انها رقية (ورحمة للمؤمنين) لما كان القران شفاء للامراض الباطنة والظاهرة فهو جدير بان يكون رحمة

---

(١) قوله لأنها تنقسم إلى نوعين أي الأمراض الغير الجسمانية بدليل قوله بعد وأما كونه شفاء من الأمراض الجسمانية والعبارة في الفخر الرازي بغاية التهذيب فليراجع

أكله شفاء أي بيان من الضلالة والجهالة يتبين به المختلف ويتضح به المشكل ويستشفى به من الشبهة ويهتدى به من الحيرة وهو شفاء القلوب بزوال الجهل عنها ورحمة للمؤمنين (ولا يزيد الظالمين إلا خسارا) لأن الظالم لا ينتفع به والمؤمن ينتفع به فيكون رحمة له وقيل زيادة الخسارة للظالم من حيث أن كل آية تنزل يتجدد منهم تكذيب ويزدادهم خسارة قال قتادة لم يجالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان قضى الله الذي قضى شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا قوله تعالى (وإذا أنعمنا على الإنسان اعرض) عن ذكرنا ودعائنا (ونأى بجانبه) أي تباعد منا بنفسه أي ترك التقرب إلى الله بالدعاء وقال عطاء تعظم وتكبر ويكسر النون والهمزة حمزة والكسائي ويفتح النون ويكسر الهمزة ابو بكر وقرأ ابن عامر وابو جعفر ونأ مثل جاء قيل هو بمعنى نأى وقيل نأ من النوء وهو النهوض والقيام (وإذا مسه الشر) الشدة والضر (كان يؤسا) أي آيسا قنوطا وقيل معناه أنه يتضرع ويدعو عند الضر والشدة فاذا تأخرت الإجابة يئس ولا ينبغي للمؤمن أن ييأس من الإجابة وإن تأخرت فيدع الدعاة قوله عز وجل (قل كل يعمل على شاكلته) قال ابن عباس على ناحيته قال الحسن وقتادة على نيته وقال مقاتل على خليقته قال الفراء على طريقته التي جبل عليها وقال القتيبي على طبيعته وجبلته (١٤٧) وقيل على السبيل الذي اختاره

للمؤمنين (ولا يزيد الظالمين إلا خسارا) لأن الظالم لا ينتفع به والمؤمن ينتفع به فكان رحمة للمؤمنين وخسارا للظالمين وقيل لان كل اية تنزل يتجدد لهم تكذيب بها فيزداد خسارهم قال قتادة لم يجالس القرآن احد إلا قام عنه بزيادة او نقصان قضاه الله الذي قضى شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا قوله سبحانه وتعالى (وإذا انعمنا على الإنسان) اى بالصحة والسعة (اعرض) اى عن ذكرنا ودعائنا (ونأى بجانبه) اى تباعدمنا بنفسه وترك التقرب الينا بالدعاء وقيل معناه تكبر وتعظم (وإذا مسه الشر) اى الشدة والضر (كان يؤوسا) اى ايسا قنوطا وقيل معناه انه يتضرع ويدعو عند الضر والشدة فاذا تاخرت الاجابة يئس فلا ينبغي للمؤمن ان يدع الدعاء ولو تاخرت الاجابة * قوله عز وجل (قل كل) اى كل واحد احد (يعمل على شاكلته) قال ابن عباس على ناحيته وقيل الشاكلة الطريقة اى على طريقته التي جبل عليها وفيه وجه اخر وهو ان كل إنسان يعمل على حسب جوهر نفسه فان كانت نفسه شريفة طاهرة صدرت عنه افعال جميلة واخلاق زكية طاهرة وإن كانت نفسه كدرة خبيثة صدرت عنه افعال خبيثة فاسدة رديئة (فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا) اى اوضح طريقا واحسن مذهبا واتباعا للحق * قوله سبحانه وتعالى (ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي) (ق) عن عبد الله بن مسعود قال بينما انا امشي مع النبي ﷺ وهو يتوكأ على عسيب معه فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح وقال بعضهم لا تسألوه يسمعكم ما تكرهون فقاموا اليه وفي رواية فقام اليه رجل منهم فقال يا ابا القاسم ما الروح فسكت وفي رواية فقالوا حدثنا عن الروح فقام ساعة ينتظر الوحي وعرفت انه يوحى اليه فتاخرت حتى صعد الوحي قال ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم إلا قليلا فقال بعضهم لبعض قد قلنا لكم لا تسألوه وفي رواية وما اوتوا من العلم إلا قليلا قال الاعمش هكذا في قراءتنا العسيب جريد النخل وسعفه وقال ابن عباس ان قريشا اجتمعوا وقالوا ان محمدا نشأ فينا بالامانة والصدق وما اتهمناه بكذب قط وقد ادعى ما ادعى فابعثوا نفرا إلى اليهود بالمدينة واسألوهم عنه فانهم اهل كتاب فبعثوا جماعة اليهم فقالت اليهود سلوه عن ثلاثة أشياء فان اجاب عن كلها او لم يجب عن شيء منها فليس بنبي وإن اجاب عن اثنتين ولم يجب عن

لنفسه وهو من الشكل يقال لست على شكلي ولا شاكلتي وكلها لغات متقاربة تقول العرب طريق ذو شواكل إذا تشعبت منه الطرق ومجاز الاية كل يعمل على ما يشبهه كما يقال في المثل كل امرئ يشبهه فعله (فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) أوضح طريقا قوله تعالى (ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي) الاية اخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا قيس بن حفص ثنا عبد الواحد يعني ابن زياد ثنا الأعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال بينا أنا امشي مع النبي ﷺ في حرث المدينة

وهو يتوكأ على عسيب معه فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح وقال بعضهم لا تسألوه لا يجيء فيه بشيء تكرهونه فقال بعضهم لنسالنه فقام رجل منهم فقال يا ابا القاسم ما الروح فسكت فقلت انه يوحى إليه فقمت فلما انجلى عنه وقال ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم إلا قليلا وفي رواية وما اوتوا من العلم إلا قليلا قال الاعمش هكذا في قراءتنا وروى عن ابن عباس انه قال ان قريشا قد اجتمعوا وقالوا ان محمدا نشأ فينا بالامانة والصدق وما اتهماه بكذب وقد ادعى ما ادعى فابعثوا نفرا إلى اليهود بالمدينة واسألوهم عنه فانهم اهل كتاب فبعثوا جماعة اليهم فقالت اليهود سلوه عن ثلاثة أشياء فان اجاب عن كلها او لم يجب عن شيء منها فليس بنبي وإن اجاب عن اثنين ولم يجب عن واحدة فهو نبي فسلوه عن فتية فقدوا في الزمن الاول ما كان من امرهم فانه كان لهم حديث عجيب وعن رجل بلغ شرق الأرض وغربها ما خبره وعن الروح فسألوه فقال النبي ﷺ أخبركم بما سألتم غدا ولم يقل إن شاء الله فلبث الوحي قال مجاهد اثنى عشرة ليلة وقيل خمسة عشر يوما وقال عكرمة اربعين يوما واهل مكة يقولون وعدنا محمد غدا وقد أصبحنا لا يخبرنا بشيء حتى حزن النبي ﷺ من مكث الوحي وشق عليه ما يقوله أهل مكة ثم نزل جبريل بقوله ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا ان يشاء الله ونزل في الفتية ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ونزل فيمن بلغ الشرق والغرب

ويسئلونك عن ذى القرنين ونزل فى الروح ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى واختلفوا فى الروح الذى وقع السؤال عنه فروى عن ابن عباس انه جبريل وهو قول الحسن وقتادة روى عن على انه قال ملك له سبعون الف وجه لكل وجه سبعون الف لسان يسبح الله تعالى بكلها وقال مجاهد خلق على صور بنى آدم لهم أيد وأرجل ورؤوس وليسوا بملائكة ولا ناس يأكلون الطعام وقال سعيد بن جبير لم يخلق الله تعالى خلقا أعظم من الروح غير العرش لو شاء أن يبتلع السموات السبع والارضين السبع ومن فيها بلقمة واحدة لفعل صورة خلقه على صور خلق الملائكة وصورة وجهه على صورة الآدميين يقوم يوم القيامة عن يمين العرش وهو أقرب الخلق إلى الله عز وجل اليوم عند الحجب السبعين وأقرب إلى الله يوم القيامة وهو ممن يشفع لاهل التوحيد ولولا ان بينه وبين الملائكة سترا من نور لاحترق أهل السموات من نوره وقيل الروح هو القران وقيل المراد منه عيسى عليه السلام فانه روح الله وكلمته معناه أنه ليس كما يقول اليهود ولا كما يقول النصارى وقال قوم هو للروح المركب فى الخلق الذى يحيل به الانسان وهو الاصح وتكلم فيه قوم فقال بعضهم هو الدم ألا ترى ان الحيوان إذا مات لا يفوت منه شىء إلا الدم وقال قوم هو نفس الحيوان بدليل انه يموت باحتباس النفس وقال قوم هو عرض وقال قوم هو جسم لطيف وقال بعضهم الروح معنى اجتمع فيه النور والطيب والعلو والعلم والنقاء الا ترى انه إذا كان موجودا يكون الإنسان موصوفا بجميع هذه الصفات فاذا خرج منه ذهب الكل وأولى الاقاويل أن يوكل علمه إلى الله عز وجل وهو قول أهل السنة قال عبد الله بن بريدة أن الله لم يطلع على الروح ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا وقوله عز وجل قل الروح من أمر ربى قيل علم ربى (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) أى فى جنب علم الله قيل هذا خطاب للرسول ﷺ وقيل خطاب لليهود لأنهم كانوا يقولون أوتينا التوراة وفيها العلم الكثير وقيل كان النبى ﷺ يعلم معنى الروح ولكن لم يخبر به أحدا لأن ترك اخباره به كان علما لنبوته والأول أصح لأن الله عز وجل استأثر بعلمه قوله تعالى (ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك) يعنى القرآن معناه انا كما منعنا علم الروح عنك وعن غيرك لو شئنا لنذهبن بالذى أوحينا إليك يعنى القران (ثم لا تجد لك به علينا وكيلا) أى من يتوكل برد القران إليك

واحدة فهو نبى فاسألوه عن فتية فعدوا فى الزمن الأول ما كان شأنهم فانه كان لهم حديث عجيب وعن رجل بلغ مشرق الارض ومغربها ما خبره وعن الروح قال فسألوا النبى ﷺ فقال أخبركم بما سألتم غدا ولم يقل ان شاء الله فلبث الوحى قال مجاهد اثنى عشر يوما وقيل خمسة عشر يوما وقيل أربعين يوما وأهل مكة يقولون قد وعدنا محمد غدا وقد أصبحنا لا يخبرنا بشىء حتى حزن رسول الله ﷺ من مكث الوحى وشق عليه ما يقوله أهل مكة ثم نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى ولا تقولن لشىء انى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله ونزل فى الفتية أم حسبت ان أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ونزل فيمن بلغ المشرق والمغرب قوله ويسئلونك عن ذى القرنين ونزل فى الروح ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى واختلفوا فى الذى وقع السؤال عنه فروى عن ابن عباس انه جبريل وعن على انه ملك له سبعون الف وجه فى كل وجه سبعون الف لسان لكل لسان سبعون الف لغة يسبح الله تعالى بكلها وقال مجاهد خلق على صورة بنى آدم لهم أيد وأرجل ورؤوس ليسوا بملائكة ولا ناس يأكلون الطعام وقال سعيد بن جبير لم يخلق الله خلقا أعظم من الروح غير العرش ولو شاء ان يبتلع السموات والأرض ومن فيها بلقمة واحدة لفعل ذلك صورة خلقه على صورة الملائكة وصورة وجهه على صورة الادميين يقوم يوم القيامة على يمين العرش وهو أقرب الخلق الى الله تعالى اليوم عند الحجب السبعين وأقرب الخلق إلى الله يوم القيامة وهو ممن يشفع لأهل التوحيد ولولا أن بينه وبين الملائكة سترا من نور لاحترق اهل السموات من نوره وقيل الروح هو القرآن لان الله سماه روحا ولأن به حياة القلوب وقيل هو الروح المركب فى الخلق الذى به يحيى الانسان وهو واضح الأقوال وتكلم قوم فى ماهية الروح فقال بعضهم هو الدم الا ترى ان الإنسان إذا مات لا يفوت منه شىء إلا الدم وقال قوم هو نفس الحيوان بدليل انه يموت باحتباس النفس وقال قوله هو عرض وقال قوم هو جسم لطيف يحيا به الانسان وقيل الروح معنى اجتمع فيه النور والطيب والعلم والعلو والبقاء الا ترى انه إذا كان موجودا يكون الإنسان موصوفا بجميع هذه الصفات وإذا خرج منه ذهب الكل وأقاويل الحكماء والصوفية فى ماهية الروح كثيرة وليس هذا موضع استقصائها وأولى الأقاويل ان يوكل علمه الى الله عز وجل وهو قول أهل السنة قال عبد الله بن بريدة ان الله لم يطلع على الروح ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا بدليل قوله قل الروح من أمر ربى أى من علم ربى الذى استأثر به (وما أوتيتم من العلم من علم ربى (الا قليلا) أى فى جنب علم الله عز وجل الخطاب عام قيل هو خطاب لليهود فانهم كانوا يقولون أوتينا التوراة وفيها العلم الكثير فقيل لهم ان علم التوراة قليل فى جنب علم الله وقيل لن القلة والكثرة تدوران مع الإضافة فوصف الشىء بالقلة مضافا الى ما فوقه وبالكثرة مضافا الى ما تحته وقيل ان النبى ﷺ علم معنى الروح ولكن لم يخبر به لأن ترك الاخبار به كان علما لنبوته والقول الأصح هو ان الله عز وجل استأثر بعلم الروح * قوله عز وجل (ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك) ومعناه انا كما منعنا علم الروح عنك وعن غيرك لن شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من الصدور والمصاحف فلم نترك له أثرا وبقيت كما كنت ما تدرى ما الكتاب (ثم لا تجد لك به علينا وكيلا) معناه لا تجد بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده عليك واعادته

(إلا رحمة من ربك) هذا استثناء منقطع معناه ولكن لا نشاء ذلك رحمة من ربك (إن فضله كان عليك كبيرا) فان قيل كيف يذهب القرآن وهو كلام الله عز وجل قيل المراد منه محوه من المصاحف واذهاب ما في الصدور وقال عبد الله بن مسعود اقرؤا القرآن قبل أن يرفع فانه لا تقوم الساعة حتى يرفع قيل هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الناس قال يسرى عليه ليلا فيرفع ما في صدورهم فيصبحون لا يحفظون شيئا ولا يجدون في المصاحف شيئا ثم يفيضون في الشعر وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث نزل له دوي حول العرش كدوي النحل فيقول الرب مالك وهو أعلم فيقول يارب أتلى ولا يعمل بي قوله جل وعلا (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله) لا يقدرون على ذلك (ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) عونا ومظاهرا نزلت حين قال الكفار لو نشاء لقلنا مثل هذا فكذبهم الله تعالى فالقرآن معجزة في النظم والتأليف والاخبار عن الغيوب وهو كلام في أعلى طبقات المبالغة لا يشبه كلام الخلق لأنه غير مخلوق ولو كان مخلوقا لاتوا بمثله قوله عز وجل (ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) من كل وجه من العبر والأحكام والوعد والوعيد وغيرها (فأبى أكثر الناس إلا كفورا) جحودا (وقالوا لن نؤمن لك) لن نصدقك (حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا) قرأ أهل الكوفة ويعقوب تفجر بفتح التاء وضم الجيم مخففا لأن الينبوع واحد وقرأ الباقون

محفوظا مسطورا (إلا رحمة من ربك) معناه إلا أن يرحمك ربك فيرده عليك وقيل هو على الاستثناء المنقطع معناه لكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا * فان قلت كيف يذهب بالقرآن وهو كلام الله عز وجل * قلت المراد منه محو ما في المصاحف وإذهاب ما في الصدور قال عبد الله بن مسعود اقرؤا القران قبل أن يرفع فانه لا تقوم الساعة حتى يرفع قيل هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الناس قال يسرى عليه ليلا فيرفع ما في صدورهم فيصبحون لا يحفظون شيئا ولا يجدون مما في المصاحف شيئا ثم يفيضون في الشعر وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال لا تقوم الساعة حتى يرفع القرآن من حيث نزل له دوي حول العرش كدوي النحل فيقول الرب مالك فيقول يارب أتلى ولا يعمل بي (إن فضله كان عليك كبيرا) أي بسبب بقاء العلم والقرآن عليك جعلك سيد ولد آدم وختم النبيين بك واعطائك المقام المحمود * قوله سبحانه وتعالى (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله) أي لا يقدرون على ذلك (ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) أي عونا نزلت حين قال المشركون لو نشاء لقلنا مثل هذا فكذبهم الله عز وجل فالقران معجز في النظم والتأليف والإخبار عن الغيوب وهو كلام في أعلى طبقات البلاغة لا يشبه كلام الخلق لأنه كلام الخالق وهو غير مخلوق ولو كان مخلوقا لأتوا بمثله * قوله عز وجل (ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) اي رددنا وكررنا من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه وقيل معناه من كل وجه من العبر والاحكام والوعد والوعيد والقصص وغيرها (فأبى أكثر الناس إلا كفورا) أي جحودا * قوله سبحانه وتعالى (وقالوا لن نؤمن لك) أي لن نصدقك (حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا) لما تبين إعجاز القرآن وانضمت إليه معجزات أخر وبينات ولزمتهم الحجة وغلبوا أخذوا يتغالون باقتراح الآيات فقالوا لن نؤمن لك روى عكرمة عن ابن عباس أن عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان بن حرب والنضر بن الحرث وأبا البختري بن هشام والأسود بن عبد المطلب وزمعة بن الأسود والوليد بن المغيرة وابا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية وأمية بن خلف والعاص بن وائل ونبيها

بالتشديد من التفجير واتفقوا على تشديد قوله فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا لأن الأنهار جمع والتشديد يدل على التكثير ولقوله تفجيرا من بعد وروى عكرمة عن ابن عباس أن عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان بن حرب والنضر بن الحارث وأبا البختري بن هشام والأسود بن عبد المطلب وزمعة بن الأسود والوليد ابن المغيرة وأبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية وأمية بن خلف والعاص ابن وائل ونبيها ومنبها ابني الحجاج اجتمعوا ومن اجتمع معهم بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه

حتى تعذروا فيه فبعثوا اليه أن اشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فجاءهم رسول الله ﷺ سريعا وهو يظن أنه بدا لهم في أمره بدء وكان عليهم حريصا يحب رشدهم حتى جلس اليهم فقالوا يا محمد انا بعثنا إليك لنعذر فيك وانا والله لا نعلم رجلا من العرب ادخل على قومه ما أدخلت على قومك لقد شتمت الاباء وعبت الدين وسفهت الأحلام وشتمت الالهة وفرقت الجماعة فما بقي أمر قبيح إلا وقد جئته فيما بينك وبيننا وإن كنت جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جعلنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت تطلب الشرف سودناك علينا وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا وإن كان هذا الأمر الذي بك رئي تراه حتى قد غلب عليك لا تستطيع رده بذلنا لك أموالنا في طلب حتى نبرئك منه أو نعذر فيك وكانوا يسمون التابع من الجن الرئي فقال رسول الله ﷺ ما بي ما تقولون ما جئتكم بما جئتكم به لطلب أموالكم ولا الشرف عليكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني اليكم رسولا وأنزل علي كتابا وأمرني ان اكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فان تقبلوا مني فهو حظكم في الدنيا والاخرة وإن تردوه علي أصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم فقالوا يا محمد إن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت فيه ليس أحد أضيق منا

بلادا ولا اشد منا عيشا فسل لنا ربك الذى بعثك فليسير عنا هذه الجبال التى قد ضيقت علينا ويبسط لنا بلادنا ويفجر فيها أنهارا كانهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن منهم قصى بن كلاب فانه كان شيخا صدوقا فنسألهم عما تقول أحق هو أم باطل فان صدقوك صدقناك فقال رسول الله ﷺ ما بهذا بعثت فقد بلغتكم ما أرسلت به فان تقبلوه منى فهو حظكم فى الدنيا والآخرة وإن تردوه اصبر لأمر الله قالوا فان لم تفعل هذا فسل ربك أن يبعث لنا ملكا يصدقك ورسله أن يجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك فانك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش (١٥٠) كما نلتمسه فقالوا ما بعثت بهذا ولكن الله بعثنى بشيرا ونذيرا قالوا فأسقط السماء كما زعمت أن ربك لو شاء فعل فقال ذلك إلى الله إن شاء فعل ذلك بكم فعله وقال قائل منهم لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا فلما قالوا ذلك قام رسول الله ﷺ وقام معه عبد الله بن ابى امية وهو ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب فقال يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا عليك فلم تقبله منهم ثم سألوك لأنفسهم امورا يعرفون بها منزلتك من الله تعالى فلم تفعل ثم سألوك ان تعجل ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل فوالله لا أومن لك ابدا حتى تتخذ إلى السماء سلما ترقى فيها وانا انظر حتى تأتيها وتأتى بنسخة منشورة معك ونفر من الملائكة يشهدون لك بما تقول وايم الله لو فعلت ذلك لظننت أن لا اصدقك فانصرف رسول الله ﷺ الى اهله حزينا لما راى من مباعدتهم فانزل الله تعالى وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض يعنى ارض مكة ينبوعا اى عيونا (او تكون لك جنة) بستان (من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا)

ومنها ابنى الحجاج اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا أمية إشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فجاءهم رسول الله ﷺ سريعا وهو يظن أنه بدا لهم فى أمره بدء وكان حريصا يحب رشدهم حتى جلس إليهم فقالوا يا محمد إنا بعثنا إليك لنعذر فيك وإنا والله لا نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك لقد شتمت الاباء وعبت الدين وسفهت الأحلام وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة وما بقى من قبيح إلا وقد جئته فما بيننا وبينك فان كنت جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وإن كنت تريد الشرف سودناك علينا وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا وإن كان هذا الذى بك رئى تراه قد غلب عليك لا تستطيع رده بذلنا لك أموالنا فى طلب الطب حتى نبرئك منه ونعذر فيك وكانوا يسمون التابع من الجن الرئى فقال رسول الله ﷺ ما بى ما تقولون ما جئتكم بما جئتكم به لطلب أموالكم ولا للشرف عليكم ولا للملك عليكم ولكن الله بعثنى اليكم رسولا وانزل على كتابا وأمرنى أن اكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم فان تقبلوا منى فهو حظكم من الدنيا والاخرة وإن تردوه على اصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم فقالوا يا محمد ان كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت أنه ليس أحد أضيق بلادا ولا اشد عيشا منا فسل لنا ربك الذى بعثك فليسير عنا هذه الجبال التى قد ضيقت علينا ويبسط لنا بلادنا ويفجر لنا فيها الأنهار كانهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن منهم قصى بن كلاب فانه كان شيخا صدوقا فنسألهم عما تقول أحق هو أم باطل فان صدقوك صدقناك فقال رسول الله ﷺ ما بهذا بعثت فقد بلغتكم ما أرسلت به فان تقبلوه فهو حظكم وأن تردوه اصبر لأمر الله تعالى قالوا فان لم تفعل هذا فسل لنا ربك أن يبعث ملكا يصدقك واسأله أن يجعل لك جنات وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يعينك بها على ما تريد فانك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه فقال ما بعثت بهذا ولكن الله بعثنى بشيرا ونذيرا قالوا فاسقط السماء كما زعمت إن ربك إن شاء فعل فقال ذلك إلى الله ان شاء فعل ذلك بكم وقال قائل منهم لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا فلما قالوا ذلك قام رسول الله ﷺ وقام معه عبد الله بن ابى أمية وهو ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب فقال يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سألوك لأنفسهم أمورا يعرفون بها منزلتك من الله فلم تفعل ثم سألوك أن تعجل ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل فوالله ما اومن لك ابدا حتى تتخذ إلى السماء مرقى ترقى فيه وانا أنظر حتى تأتيها فتاتى بنسخة منشورة معك ونفر من الملائكة يشهدون لك بما تقول وايم الله لو فعلت ذلك لظننت أن لا اصدقك فانصرف رسول الله ﷺ إلى اهله حزينا لما رأى من مباعدتهم فأنزل الله تعالى وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض) يعنى ارض بمكة ينبوعا أى عيونا (أو تكون لك جنة من نخيل وعنب) اى بستان فيه نخيل وعنب (فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا) اى تشقيقا (او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) اى قطعا (او تأتى بالله والملائكة قبيلا) قال ابن عباس كفيلا اى يكفلون بما تقول وقيل هو جمع القبيلة اى بأصناف الملائكة قبيلة قبيلة يشهدون لك بصحة ما تقول وقيل معناه تراهم مقابلة عيانا (او يكون لك بيت من زخرف) اى من ذهب واصله الزينة تشقيقا (او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) قرا نافع وابن عامر وعاصم بفتح السين اى قطعا وهى جمع كسفة وهى القطعة والجانب (او مثل كسرة وكسر وقرا الاخرون بسكون السين على التوحيد وجمعه اكساف وكسوف اى تسقطها طبقا واحدا وقيل اراد جانبا منها علينا وقيل معناه ايضا القطع وهى جمع التكسير مثل سدرة وسدر فى الشعراء وسبا كسفا بالفتح حفص وفى الروم ساكنة ابو جعفر وابن عامر (او تاتى بالله والملائكة قبيلا) قال ابن عباس كفيلا أى يكفلون بما تقول وقال الضحاك ضامنا وقال مجاهد هو جمع القبيلة اى باصناف الملائكة قبيلة قبيلة وقال قتادة عيانا اى تراهم القابلة اى معاينة وقال الفراء هو من قول العرب لقيت فلانا قبيلا وقبيلا اى معاينة (او يكون لك بيت من زخرف)

أى من ذهب وأصله الزينة (أو ترقى) تصعد (فى السماء) هذا قول عبد الله بن أبى أمية (ولن نؤمن لرقيك) لصعودك (حتى تنزل علينا كتابا نقرأه) امر نافيه باتباعك (قل سبحان ربى) وقرأ ابن كثير وابن عامر قال يعنى محمدا وقرأ الآخرون على الأمر اى قل يا محمد (هل كنت إلا بشرا رسولا) امره بتنزيهه وتمجيده على معنى انه لو أراد أن ينزل ما طلبوا لفعل ولكن الله لا ينزل الايات على ما يقترحه البشر وما انا إلا بشر وليس ما سألتم فى طوق البشر واعلم أن الله تعالى قد اعطى النبى ﷺ من الايات والمعجزات ما يغنى عن هذا كله مثل القرآن وانشقاق القمر وتفجير العيون من بين الأصابع وما أشبهها والقوم عامتهم كانوا متعنتين لم يكن قصدهم (١٥١) طلب الدليل ليؤمنوا فرد الله

(أو ترقى) أى تصعد (فى السماء ولن نؤمن لرقيك) أى لأجل رقيك (حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه) امر نافية باتباعك وهذا قول عبد الله بن أبى أمية (قل) أى قل يا محمد (سبحان ربى) امره بتنزيهه وتمجيده وفيه معنى التعجب (هل كنت إلا بشرا رسولا) اى كسائر الرسل لأنهم وكان الرسل لا يأتون قومهم إلا بما يظهره الله عليهم من الايات فليس امر الايات إليهم إنما هو إلى الله تعالى ولو أراد ان ينزل ما طلبوا لفعل ولكن لا ينزل الايات على ما اقترحه البشر وما أنا إلا بشر وليس ما سألتم فى طوق البشر واعلم أن الله سبحانه وتعالى قد أعطى النبى ﷺ من الايات والمعجزات ما يغنى عن هذا كله مثل القرآن وانشقاق القمر ونبع الماء من بين أصابعه وما أشبهها من الايات وليست بدون ما اقترحوه بل هى اعظم مما اقترحوه والقوم عامتهم كانوا متعنتين ولم يكن قصدهم طلب الدليل ليؤمنوا فرد الله تعالى عليهم سؤالهم * قوله عز وجل (وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى) اى الوحى والمعنى وما منعهم الايمان بالقرآن وبنبوة محمد ﷺ إلا شبهة تلجلجت فى صدورهم هى إنكارهم أن يرسل الله البشر وهو قوله تعالى (إلا أن قالوا) أى جهلا منهم (أبعث الله بشرا رسولا) وذلك ان الكفار كانوا يقولون لن نؤمن لك لأنك بشر وهلا بعث الله إلينا ملكا فأجابهم الله بقوله (قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين) اى مستوطنين مقيمين فيها (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) اى من جنسهم لان الجنس إلى الجنس أميل (قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم أى على أنى رسوله إليكم وإنى قد بلغت ما ارسلت به إليكم وانكم كذبتم وعاندتم (إنه كان بعباده) يعنى المنذرين والمنذرين (خبيرا بصيرا) أى عالما بأحوالهم فهو مجازيهم وفيه تسلية للنبى ﷺ ووعيد للكفار (ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه) اى يهدونهم وفيه ايضا تسلية للنبى ﷺ وهو ان الذين حكم لهم بالايمان والهداية وجب ان يصيروا مؤمنين ومن سبق لهم حكم الله بالضلال والجهل استحال ان ينقلبوا عن ذلك (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم) (ق) عن انس أن رجلا قال يا رسول الله قال الله الذى يحشرون على وجوههم إلى جهنم أيحشر الكافر على وجهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس الذى امشاه على الرجلين فى الدنيا قادرا على ان يمشيه على وجهه يوم القيامة قال قتادة حين بلغه بلى وعزة ربنا وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنفا مشاة وصنفا ركبانا وصنفا على وجوههم قيل يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم قال ان الذى امشاهم على أقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم اما انهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك اخرجه الترمذى الحدب كل ما ارتفع من الارض (عميا وبكما وصما) أى لا يبصرون ولا ينطقون ولا يسمعون * فان قلت كيف وصفهم بأنهم عمى وبكم وصم وقد قال الله تعالى ورأى المجرمون النار وقال دعوا هنالك ثبورا وقال سمعوا لها تغيظا وزفيرا فاثبت لهم الرؤيا والكلام والسمع * قلت فيه اوجه احدها قال ابن عباس معناه عميا لا يبصرون ما يسرهم بكما لا ينطقون بحجة

عليهم سؤالهم قوله عز وجل (وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا) جهلا منهم (أبعث الله بشرا رسولا) أراد أن الكفار كانوا يقولون لن نؤمن لك لأنك بشر وهلا بعث الله إلينا ملكا فأجابهم الله تعالى (قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين) مستوطنين مقيمين (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) من جنسهم لأن القلب إلى الجنس أميل منه إلى غير الجنس (قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم) انى رسوله اليكم (إنه كان بعباده خبيرا بصيرا ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه) يهدونهم (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم) أخبرنا احمد بن عبد الله الصالحى أنا الحسن ابن شجاع الصوفى المعروف بابن الموصلى أنبأنا ابو بكر ابن الهيثم ثنا جعفر بن محمد الصائغ ثنا حسين بن محمد ثنا سفيان عن قتادة عن أنس أن رجلا قال يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الذى أمشاه على رجليه قادر على أن يمشيه على وجهه وجاء فى الحديث انهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك (عميا وبكما وصما) فان قيل كيف وصفهم بانهم عمى وبكم وصم وقد قال ورأى المجرمون النار وقال ادعوا هنالك ثبورا وقال سمعوا لها تغيظا وزفيرا اثبت لهم الرؤية والكلام والسمع قيل يحشرون على ما وصفهم الله ثم تعاد إليهم هذه الأشياء وجواب آخر قال ابن عباس عميا لا يرون ما يسرهم بكما لا ينطقون بحجة صما لا يسمعون شيئا يسرهم وقال الحسن هذا حين يساقون إلى الموقف إلى أن يدخلوا النار وقال مقاتل هذا حين يقال لهم اخسأوا فيها ولا تكلمون يصيرون بأجمعهم عميا وبكما وصما لا يرون ولا ينطقون ولا يسمعون

(مأواهم جهنم كلما خبت) قال ابن عباس كلما سكنت اى سكن لهيبها وقال مجاهد طفئت وقال قتادة ضعفت وقيل هو الهدو من غير أن يوجد نقصان فى ألم الكفار لان الله تعالى قال لا يفتر عنهم وقيل كلما خبت أى ارادت ان تخبو (زدناهم سعيرا) اى وقودا وقيل المراد من قوله كلما خبت اى ضجت جلودهم واحترقت اعيدوا فيها إى ما كانوا عليه وزيد فى تسعير النار لتحرقهم (ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) فاجابهم الله تعالى فقال (أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض) فى عظمتها وشدتها (قادر على ان يخلق مثلهم) فى صغرهم وضعفهم نظيره قوله تعالى لخلق السموات والأرض اكبر من خلق الناس (وجعل لهم اجلا) أى وقتا لعذابهم (لاريب فيه) انه يأتيهم قيل هو الموت وقيل هو يوم القيامة (فابى الظالمون إلا كفورا) اى جحودا وعنادا (قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربى) اى (١٥٢) نعمة ربى وقيل رزق ربى (إذا لأمسكتم) لبخلتم وحبستم (خشية الانفاق) أى خشية الفاقة قاله قتادة وقيل خشية النفاد يقال انفق الرجل اى املق وذهب ماله ونفق الشىء اى ذهب وقيل لامسكتم عن الانفاق خشية الفقر (وكان الانسان قتورا) اى بخيلا ممسكا عن الايمان قوله عز وجل (ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات) اى دلالات واضحات فهى الايات التسع قال ابن عباس والضحاك هى العصا واليد البيضاء والعقدة التى كانت بلسانه فحلها وفلق البحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وقال عكرمة وقتادة ومجاهد وعطاء هى الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والعصا واليد والسنون ونقص الثمرات وذكر محمد بن كعب القرظى الطمس والبحر بدل السنين ونقص من الثمرات قال فكان الرجل منهم مع اهله فى فراشه وقد صارا حجرين والمرأة منهم قائمة تخبز وقد صارت حجرا وقال بعضهم هن ايات الكتاب أخبرنا ابو سعيد

صما لا يسمعون ما يسرهم الوجه الثانى قيل معناه يحشرون على ما وصفهم الله تعالى ثم تعاد إليهم هذه الأشياء الوجه الثالث قيل معناه هذا حين يقال لهم اخسؤا فيها ولا تكلمون فيصيرون بأجمعهم عميا وبكما وصما لا يرون ولا ينطقون ولا يسمعون (مأواهم جهنم كلما خبت) اى سكن لهيبها وقيل ضعفت وهدأت من غير أن يوجد نقصان فى إيلام الكفار لأن الله سبحانه وتعالى قال لا يفتر عنهم وقيل معناه أرادت ان تخبو (زدناهم سعيرا) أى وقودا وقيل معناه خبت أى نضجت جلودهم واحترقت أعيدوا إلى ما كانوا عليه وزيد فى سعير النار لتحرقهم (ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا) لما ذكر الوعيد المتقدم قال ذلك جزاؤهم بما كفروا يعنى ذلك العذاب جزاؤهم بسبب كفرهم بآياتنا (وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) اجابهم الله ورد عليهم بقوله (أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض) اى فى عظمها وشدتها (قادر على أن يخلق مثلهم) اى فى صغرهم وضعفهم (وجعلوا لهم اجلا) اى وقتا لعذابهم (لاريب فيه) اى لاشك فيه انه يأتيهم قبل الموت وقيل يوم القيامة (فابى الظالمون إلا كفورا) اى جحودا وعنادا (قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربى) اى خزائن نعمه ورزقه وقيل ان خزائن الله غير متناهية والمعنى لو انكم ملكتم من النعم خزائن لا نهاية لها (إذا لامسكتم) اى لبخلتم وحبستم (خشية الانفاق) والفقر والنفاد وهذا مبالغة عظيمة فى وصفهم بهذا الشىء (وكان الانسان قتورا) أى ممسكا بخيلا * فان قلت قد يوجد فى جنس الانسان من هو جواد كريم فكيف وصفه بالبخل قلت الاصل فى الانسان البخل لانه خلق محتاج والمحتاج لا بد وان يحب ما يدفع به عنه ضرر الحاجة ويمسكه لنفسه إلا انه قد يجود لاسباب خارجة مثل أن يحب المدحة اورجاء ثواب فثبت بهذا ان الاصل فى الانسان البخل * قوله تعالى (ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات) اى دلالات واضحات قال ابن عباس هى العصا واليد البيضاء والعقدة التى كانت بلسانه فحلها وفلق البحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وقيل عوض فلق البحر واليد السنون ونقص من الثمرات وقيل الطمس والبحر بدل السنين والنقص وقيل كان الرجل منهم مع اهله فى الفراش وقد صارا حجرين والمرأة قائمة تخبز وقد صارت حجرا وروى ان عمر بن عبد العزيز سأل محمد ابن كعب القرظى عن الايات فذكر منها الطمس فقال عمر هذا يجب أن يكون الفقية ثم قال يا غلام اخرج ذلك الجراب فاخرجه فاذا فيه بيض مكسر نصفين وجوز مكسر نصفين وثوم وحمص وعدس كلها حجارة وقيل التسع ايات هى ايات الكتاب وهى الاحكام ويدل عليه ما روى عن صفوان بن غسان ان يهوديا قال لصاحبه تعالى حتى نسأل هذا النبى فقال الاخر لا تقل نبى فانه لو سمع صارت له اربعة أعين فاتياه فسألاه عن هذه الاية ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات فقال لا تشركوا بالله شيئا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا تزنوا ولا تأكلوا الربا ولا تسحروا ولا تمشوا بالبرىء إلى سلطان ليقتله ولا تسرفوا ولا تقذفوا المحصنات

احمد بن إبراهيم الشريحى انا ابو اسحق احمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى أخبرنى الحسن بن محمد الثقفى انا هارون بن محمد بن هرون العطار دأنبأ نا يوسف بن عبد الله بن ماهان ثنا الوليد الطيالسى ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن مسلمة عن صفوان بن عسال المرادى ان يهوديا قال لصاحبه تعالى حتى نسأل هذا النبى فقال الاخر لا تقل نبى فانه لو سمع صارت أربعة أعين فاتياه فسألاه عن هذه الاية ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات فقال لا تشركوا بالله شيئا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا تزنوا ولا تأكلوا الربا ولا تسحروا ولا تمشوا بالبرىء إلى سلطان ليقتله ولا تسرفوا ولا تقذفوا المحصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا فى السبت فقبلا يده وقال نشهد انك نبى قال فما يمنعكم ان تتبعونى قالا ان داود دعا ربه ان لا يزال فى ذريته نبى وانا نخاف ان تبعناك ان يقتلنا

اليهود قوله عز وجل (فاسأل) يا محمد (بني إسرائيل إذ جاءهم) موسى يجوز أن يكون الخطاب معه والمراد غيره ويجوز أن يكون خاطبه عليه السلام وامره بالسؤال ليتبين كذبهم مع قومهم (فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا) اى مطبوبا سحروك قاله الكلبي وقال ابن عباس مخدوعا وقيل مصروفا عن الحق وقال الفراء وابو عبيدة ساحرا فوضع المفعول موضع الفاعل وقال محمد بن جرير معطى علم السحر فهذه العجائب التي تفعلها من سحرك (قال) موسى (لقد علمت) قرأ العامة بفتح التاء خطابا لفرعون وقرأ الكسائي بضم التاء ويروى ذلك عن علي وقال لم يعلم الخبيث ان موسى على الحق ولو علم لامن ولكن موسى هو الذي علم وقال ابن عباس علمه فرعون ولكنه عاند قال الله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وهذه القراءة وهي نصب التاء أصح في المعنى وعليه اكثر القراء لأن موسى لا يحتج عليه بعلم نفسه ولا يثبت عن علي رفع التاء لأنه روى عن رجل من مراد عن علي وذلك الرجل مجهول (١٥٣) ولم يتمسك بها احد من القراء غير

المحصنات ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود أن لا تعدوا في السبت فقبلا يده وقالا نشهد انك نبي قال فما يمنعكم ان تتبعوني قالوا ان داود دعا ربه ان لا يزال في ذريته نبي وانا نخاف ان اتبعناك ان تقتلنا اليهود (فاسأل) يا محمد (بني إسرائيل) يجوز الخطاب معه والمراد غيره ويجوز ان يكون خاطبه وامره بالسؤال ليتبين كذبهم مع قومهم (إذ جاءهم) يعني جاء موسى إلى فرعون بالرسالة من عند الله عز وجل (فقال له فرعون إني لاظنك يا موسى مسحورا) قال ابن عباس مخدوعا وقيل مطبوبا اى سحروك وقيل معناه ساحرا معطى علم السحر فهذه العجائب التي تفعلها من سحرك (قال) موسى (لقد علمت) خطابا لفرعون قال ابن عباس علمه فرعون ولكنه عانده (ما انزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض) يعني الايات التسع (بصائر) اى بينات يبصر بها (وإني لاظنك يا فرعون مثبورا) قال ابن عباس ملعونا وقيل هالكا وقيل مصروفا عن الخير (فاراد ان يستفزهم من الارض) معناه اراد فرعون ان يخرج موسى وبني إسرائيل من أرض مصر (فاغرقناه ومن معه جميعا) اى اغرقنا فرعون وجنوده ونجينا موسى وقومه (وقلنا من بعده) اى من بعد فرعون (لبني إسرائيل اسكنوا الارض) يعني ارض مصر والشام (فاذا جاء وعد الاخرة) يعني القيامة (جئنا بكم لفيفا) اى جميعا إلى موقف القيامة واللفيف الجمع الكثير إذا كانوا مختلفين من كل نوع فيهم المؤمن والكافر والبر والفاجر وقيل أراد بوعد الآخرة نزول عيسى من السماء * قوله سبحانه وتعالى (وبالحق انزلناه وبالحق نزل) يعني انا ما اردنا بانزال القران إلا تقريره للحق فلما اردنا هذا المعنى فكذلك وقع وحصل وقيل معناه وما انزلنا القران الا بالحق المقتضي لانزاله وما نزل إلا ملتبسا بالحق لاشتماله على الهداية إلى كل خير (وما ارسلناك إلا مبشرا) يعني بالجنة للمطيعين (ونذيرا) اى مخوفا بالنار للعاصين * قوله عز وجل (وقرانا فرقناه) اى فصلناه وبيناه وقيل فرقنا به بين الحق والباطل وقيل معناه انزلناه نجوما لم ينزل مرة واحدة بدليل قوله تعالى (لتقرأه على الناس على مكث) أي على تؤدة وترسل في ثلاث وعشرين سنة (ونزلناه تنزيلا) أي على حسب الحوادث (قل امنوا به او لا تؤمنوا) فيه وعيد وتهديد (ان الذين أوتوا العلم من قبله) قيل هم مؤمنو اهل الكتاب الذين كانوا يطلبون الدين قبل مبعث رسول الله ﷺ ثم أسلموا بعد مبعثه مثل زيد بن عمرو بن نفيل وسلمان الفارسي وابي ذر وغيرهم (إذا يتلى عليهم) يعني القرآن (يخرون للاذقان) قال ابن عباس اراد بها الوجوه (سجدا) أي يقعون على الوجوه سجدا (ويقولون سبحان ربنا) أي تعظيما لربنا لانجازه ما وعد في الكتب المنزلة من بعثه محمد ﷺ (إن كان وعد ربنا لمفعولا) أي كائنا واقعا (ويخرون)

الكسائي (ما انزل هؤلاء) هذه الايات التسع (إلا رب السموات والارض بصائر) جمع بصيرة أي يبصر بها (وإني لاظنك يا فرعون مثبورا) قال ابن عباس ملعونا وقال مجاهد هالكا وقال قتادة مهلكا وقال الفراء اى مصروفا ممنوعا عن الخير يقال ما ثبرك عن هذا الامر اى ما منعك وصرفك عنه (فاراد ان يستفزهم) اى اراد فرعون ان يستفزهم موسى وبني اسرائيل اى يخرجهم (من الأرض) يعني ارض مصر (فاغرقناه ومن معه جميعا) ونجينا موسى وقومه (وقلنا من بعده) اى من بعد هلاك فرعون (لبني إسرائيل اسكنوا الارض) يعني أرض مصر والشام (فاذا جاء وعد الاخرة) يعني يوم القيامة (جئنا بكم لفيفا) اى جميعا إلى موقف القيامة واللفيف الجمع الكثير إذا

(٢٠ - خازن - بع) كانوا مختلطين من كل نوع يقال لفت الجيوش إذا اختلطوا وجمع القيامة كذلك فيهم المؤمن والكافر والبر والفاجر وقال الكلبي فاذا جاء وعد الاخرة يعني مجيء عيسى من السماء جئنا بكم لفيفا اى النزاع ٣ من كل قوم من ههنا وههنا لفوا جميعا (وبالحق انزلناه وبالحق نزل) يعني القران (وما ارسلناك إلا مبشرا) للمطيعين (ونذيرا) للعاصين (وقرانا فرقناه) قيل انزلناه نجوما لم ينزل مرة واحدة بدليل قراءة ابن عباس وقرانا فرقناه بالتشديد وقراءة العامة بالتخفيف أي فصلناه وقيل بيناه وقال الحسن معناه فرقنا به بين الحق والباطل (لتقرأه على الناس على مكث) اى على تؤدة وترسل في ثلاث وعشرين سنة (ونزلناه تنزيلا قل امنوا به او لا تؤمنوا) هذا على طريق الوعيد والتهديد (إن الذين اوتوا العلم من قبله) قيل هم مؤمنو اهل الكتاب وهم الذين كانوا يطلبون الذين قبل مبعث رسول الله ﷺ ثم اسلموا بعد مبعثه مثل زيد بن عمر بن نفيل وسلمان الفارسي وابي ذر وغيرهم (إذا يتلى عليهم) يعني القران (يخرون للاذقان) اى يسقطون على الاذقان قال ابن عباس اراد بها الوجوه (سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا) اى كائنا واقعا (ويخرون

للاذقان يبكون) أى يقعون على الوجوه يبكون البكاء مستحب عند قراءة القرآن (ويزيدهم) نزول القرآن (خشوعا) خضوعا لربهم نظيره قوله تعالى إذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا اخبرنا احمد بن عبد الله الصالحى أنا ابو عمرو بن بكر بن محمد المزنى ثنا ابو بكر محمد بن عبد الله الجنيد ثنا الحسن بن الفضل البجلى أنا عاصم عن على بن عاصم ثنا المسعودى هو عبد الرحمن بن عبد الله عن محمد بن عبد الرحمن مولى ابى طلحة عن ابى عيسى بن طلحة عن ابى هريرة قال قال رسول الله ﷺ لا يلج النار من بكى من خشية الله حتى يعود اللبن فى الضرع ولا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى منخرى مسلم ابدا أخبرنا أبو القاسم بن عبد الكريم بن هوازن القشيرى أنا أبو القاسم عبد الخالق بن على بن عبد الخالق المؤذن انا احمد بن بكر بن محمد بن حمدان ثنا محمد بن يونس الكريمى انبانا عبد الله بن محمد الباهلى ثنا ابو حبيب الغنوى ثنا بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال سمعت رسول الله ﷺ يقول حرمت النار على ثلاث أعين عين بكت من خشية الله وعين سهرت فى سبيل الله وعين غضت عن محارم الله قوله جل وعلا (قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن) قال ابن عباس سجد رسول الله ﷺ بمكة ذات ليلة فجعل يبكى ويقول فى سجوده يا الله يا رحمن فقال ابو جهل ان محمدا ينهانا عن الهتنا وهو يدعو إلهين فانزل الله تعالى هذه الاية ومعناه انهما

للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا) اى خضوعا لربهم وقيل يزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة عين فالبكاء مستحب عند قراءة القران عن ابى هريرة قال قال رسول الله ﷺ لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن فى الضرع ولا اجتمع على غبار فى سبيل الله ودخان جهنم اخرجه الترمذى والنسائى وزاد النسائى فى منخرى مسلم ابدا الوجه الدخول والمنخر الانف عن ابن عباس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله أخرجه الترمذى * قوله عز وجل (قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن) قال ابن عباس سجد رسول الله ﷺ ذات ليلة فجعل يقول فى سجوده يا الله يا رحمن فقال ابو جهل ان محمد ينهانا عن الهتنا وهو يدعو إلهين فانزل الله هذه الاية ومعناه أنهما اسمان لله تعالى فسموه بهذا الاسم أو بهذا الأسم (أياما تدعوا) ماصلة ومعناه أى هذين الأسمين سميتم وذكرتم أو من جميع أسمائه (فله الأسماء الحسنى) يعنى إذا حسنت أسماؤه كلها فهذان الاسمان منها ومعنى كونها حسنى انها مشتملة على معانى التقديس والتعظيم والتحميد (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) (ق) عن ابن عباس فى قوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال نزلت ورسول الله ﷺ مختف بمكة وكان إذا صلى باصحابه رفع صوته بالقران فاذا سمعه المشركون سبوا القران ومن انزله ومن جاء به فقال الله تبارك وتعالى لنبيه ﷺ ولا تجهر بصلاتك اى بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القران ولا تخافت بها عن اصحابك فلا تسمعهم وابتغ بين ذلك سبيلا زاد فى رواية وابتغ بين ذلك سبيلا أسمعهم ولا تجهر حتى يأخذوا عنك القرآن وقيل نزلت الآية فى الدعاء وهو قول عائشة والنخعى ومجاهد ومكحول (ق) عن عائشة ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قالت نزل ذلك فى الدعاء وقيل كان أعراب من بنى تميم إذا سلم رسول الله ﷺ قال اللهم ارزقنا مالا وولدا يجهرون بذلك فانزل الله عز وجل ولا تجهر بصلاتك اى لا ترفع صوتك بقراءتك ودعائك ولا تخافت بها المخافتة خفض الصوت والسكوت (وابتغ) أى اطلب (بين ذلك سبيلا) أى طريقا وسطا بين الجهر والاخفاء عن ابى قتادة أن النبى ﷺ قال لأبى بكر مررت بك وأنت تقرأ القرآن وأنت تخفض من صوتك فقال إنى سمعت من

إسمان لواحد (أياما تدعوا) ماصلة معناه اياما تدعوا من هذين الاسمين ومن جميع اسمائه (فله الأسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) اخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحى انا احمد بن عبد الله النعيمى أنبأنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسمعيل انا يعقوب ابن إبراهيم هشيم ثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال نزلت ورسول الله ﷺ مختف بمكة كان إذا صلى باصحابه رفع صوته بالقرآن فاذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن انزله ومن جاء به فقال الله تعالى لنبيه ﷺ ولا تجهر بصلاتك أى بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ولا تخافت بها عن أصحابك ناجيت فلا تسمعهم (وابتغ بين ذلك سبيلا) وبهذا الاسناد عن محمد بن إسماعيل قال ثنا مسدد عن هشيم عن ابى بشر باسناده مثله وزاد وابتغ بين ذلك سبيلا اسمعهم ولا تجهر حتى ياخذوا عنك القرآن وقال قوم نزلت الاية فى الدعاء وهو قول عائشة رضى الله عنها والنخعى ومجاهد ومكحول اخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسمعيل ثنا طلق بن غنام ثنا زائدة عن هشام عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قالت انزل ذلك فى الدعاء وقال عبد الله بن شداد كان اعراب من بنى تميم إذا سلم النبى ﷺ قالوا اللهم ارزقنا مالا وولدا فيجهرون بذلك فانزل الله هذه الاية ولا تجهر بصلاتك أى لا ترفع صوتك بقراءتك أو بدعائك ولا تخافت بها والمخافتة خفض الصوت والسكوت وابتغ بين ذلك سبيلا أى بين الجهر والاخفاء أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسمعيل الضبى أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الخزاعى أبا ابو العباس محمد بن احمد المحبوبى ثنا أبو عيسى الترمذى ثنا محمود بن غيلان ثنا يحيى بن إسحق ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الله بن أبى رباح الأنصارى عن ابى قتادة أن النبى ﷺ قال لأبى بكر مررت بك وأنت تقرأ القرآن وأنت تخفض صوتك فقال إنى سمعت من ناجيت فقال ارفع قليلا وقال

لعمر مررت بك وأنت تقرأ وأنت ترفع صوتك فقال إني أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان فقاله اخفض قليلا (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا) امر الله نبيه ﷺ بأن يحمد على وحدانيته ومعنى الحمد لله هو الثناء عليه بما هو أهله قال الحسين بن الفضل معناه الحمد لله الذي عرفني أنه لم يتخذ ولدا (ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل) قال مجاهد لم يذل حتى يحتاج إلى ولي يتعزز به (وكبره تكبيرا) أي وعظمه عن أن يكون له شريك أو ولي اخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا الامام أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان ثنا ابو العباس الاصم ثنا محمد بن اسحق الصفاني ثنا نضر بن حماد ابو الحرث الوراق ثنا شعبة عن حبيب بن أبي ثابت قال سمعت سعيد بن جبير يحدث عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ أول ما يدعى إلى الجنة يوم القيامة الحامدون الذين يحمدون الله في السراء والضراء أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي اخبرنا احمد بن عبد الله النعيمي اخبرنا احمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو الحسن بن بشران أنا (١٥٥) اسمعيل بن محمد الصفار انا احمد بن منصور الرمادي انبأنا عبد الرزاق ثنا معمر عن قتادة ان عبد الله بن عمر قال قال رسول الله ﷺ الحمد لله رأس الشكر ما شكر الله عبدا لا يحمده انا ابو الفضل ابن زياد بن محمد الحنفي انا ابو محمد عبد الرحمن بن أحمد الانصاري أنا أبو محمد يحيى ابن محمد بن صاعد ثنا يحيى بن خالد بن ايوب المخزومي ثنا موسى بن ابراهيم بن كثير ابن بشر الخزامي الانصاري عن طلحة بن خراش عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال ان افضل الدعاء الحمد لله وافضل الذكر لا إله الا الله اخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي انا عبد الرحمن بن أبي شريح انا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي ثنا علي ابن الجعد ثنا زهير ثنا منصور عن هلال بن بشار عن الربيع ابن خثيم عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله ﷺ احب الكلام إلى الله تعالى اربع لا إله إلا الله والله اكبر وسبحان الله والحمد لله لا يضرك بايهن بدأت

ناجيت فقال ارفع قليلا وقال لعمر مررت بك وانت تقرأ وانت ترفع من صوتك فقال اني اوقظ الوسنان واطرد الشيطان فقال اخفض قليلا اخرجه الترمذي (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا) امر الله نبيه ﷺ بان يحمده على وحدانيته وقيل معناه الحمد لله الذي عرفني أنه لم يتخذ ولدا وقيل إن كل من له ولد فهو يمسك جميع النعم لولده وإذا لم يكن له ولد افاض نعمه على عبيده وقيل ان الولد يقوم مقام والد بعد انقضائه والله عز وجل يتعالى عن جميع النقائص فهو المستحق لجميع المحامد (ولم يكن له شريك في الملك) والسبب في اعتبار هذه الصفة أنه لو كان له شريك لم يكن مستحقا للحمد والشكر وكذا قوله (ولم يكن له ولي من الذل) ومعناه إنه لم يذل فيحتاج إلى ناصر يتعزز به (وكبره تكبيرا) أي وعظمه عن أن يكون له ولد او شريك أو ولي وقيل إذا كان منزها عن الولد والشريك والولي كان مستوجبا لجميع أنواع المحامد عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ أول ما يدعى إلى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله في السراء والضراء عن عبد الله ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ الحمد لله رأس الشكر ما شكر الله عبد الا يحمده عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال إن افضل الدعاء الحمد لله وأفضل الذكر لا إله إلا الله أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله ﷺ احب الكلام إلى الله اربع لا إله إلا الله والله اكبر وسبحان الله والحمد لله لا يضرك بايهن بدأت اخرجه مسلم والله اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿ تفسير سورة الكهف ﴾

وهي مكية وآياتها مائة وإحدى عشر آية وكلماتها ألف وخمسمائة وسبع وسبعون كلمة وحروفها ستة آلاف وثلثمائة وستون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب) اثنى الله سبحانه وتعالى على نفسه بانعامه على خلقه وعلم عباده كيف يثنون عليه ويحمدونه على اجزل نعمائه عليهم وهي الإسلام وما انزله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم وخص رسوله صلى الله عليه وسلم بالذكر لأن إنزال القران كان نعمة عليه الخصوص وعلى سائر الناس على العموم (ولم يجعل له عوجا) اى لم يجعل شيئا من العوج قط والعوج في المعاني كالعوج في الأعيان والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وقيل معناه لم يجعله مخلوقا روى عن ابن عباس في قوله تعالى قرانا عربيا غير ذي عوج قال غير مخلوق (قيما) اى مستقيما وقال ابن عباس عدلا وقيل قيما على الكتب كلها مصدقا وناسخا لشرائعها (لينذر باسا شديدا) معناه لينذر الذين كفروا باسا شديدا وهو قوله سبحانه وتعالى بعذاب بئيس (من لدنه) اى من عنده (ويبشر

تعالى اربع لا إله إلا الله والله اكبر وسبحان الله والحمد لله لا يضرك بايهن بدأت

﴿ سورة الكهف مكية وهي مائة واحدى عشرة اية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب) اثنى الله على نفسه بانعامه على خلقه وخص رسوله صلى الله عليه وسلم بالذكر لان انزال القران عليه كان نعمة عليه على الخصوص وعلى سائر الناس على العموم (ولم يجعل له عوجا قيما) فيه تقديم وتأخير معناه انزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا قيما اى مستقيما قال ابن عباس عدلا وقال الفراء قيما على الكتب كلها اى مصدقا لها ناسخا لشرائعها وقال قتادة ليس على التقديم والتأخير بل معناه انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ولكن جعله قيما قوله عز وجل ولم يجعل له عوجا اى مختلفا على ما قال الله تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وقيل معناه لم يجعله مخلوقا روى عن ابن عباس في قوله قرانا عربيا غير ذي عوج أي غير مخلوق (لينذر باسا شديدا) اى لينذر بباس شديد (من لدنه) أي من عنده (ويبشر

المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا) أى الجنة (ماكثين فيه أبدا) أى مقيمين فيه (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا مالهم به من علم ولا لآبائهم) أى قالوه عن جهل لا عن علم (كبرت) أى عظمت (كلمة) نصب على التمييز يقال تقديره كبرت الكلمة كلمة وقيل من كلمة فحذف من فانتصب (تخرج من أفواههم) أى تظهر من أفواههم (إن يقولون) ما يقولون (إلا كذبا فلعلك باخع نفسك على اثارهم) من بعدهم (إن لم يؤمنوا بهذا الحديث) أى القرآن (اسفا) اى حزنا وقيل غضبا (انا جعلنا ما على الأرض زينة لها) فان قيل أى زينة فى الحيات والعقارب والشياطين قيل فهى زينة على معنى أنها تدل على وحدانية الله تعالى وقال مجاهد أراد به الرجال خاصة هم زينة الأرض وقيل اراد بهم العلماء والصلحاء لو قيل الزينة بالنبات والأشجار والأنهار كما قال حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت (لنبلوهم) لنختبرهم (ايهم احسن عملا) أى أصلح عملا وقيل ايهم اترك للدنيا (وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا) فالصعيد وجه الأرض وقيل هو التراب جرزا يابسا املس لا يبيت شيئا يقال جرزت الأرض إذا اكل نباتها قوله تعالى (ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا)

يعنى اظننت يا محمد ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا اى هم عجب من اياتنا وقيل معناه انهم ليسوا باعجب من اياتنا فان خلقت من السموات والأرض وما فيهن من العجائب اعجب منهم والكهف هو الغار فى الجبل واختلفوا فى الرقيم قال سعيد بن جبير هو لوح كتب فيه اسماء اصحاب الكهف وقصصهم وهذا اظهر الاقاويل ثم وضعوه على باب الكهف وكان اللوح من رصاص وقيل من حجارة فعلى هذا يكون الرقيم بمعنى المرقوم اى المكتوب والرقم الكتابة وحكى عن ابن عباس انه قال هو اسم للوادى الذى فيه اصحاب الكهف وعلى هذا هو من رقمة الوادى وهو جانبه وقال كعب الاحبار هو اسم للقرية التى خرج منها اصحاب الكهف وقيل اسم للجبل الذى فيه الكهف ثم ذكر الله قصة اصحاب الكهف فقال (إذ اوى الفتية الى الكهف) اى صاروا اليه واختلفوا فى سبب مصيرهم الى الكهف فقال محمد بن اسحق ومحمد بن يسار مرج اهل الانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت فيهم الملوك حتى عبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكين بعبادة الله توحيده فكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال له دقيانوس عبد الأصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه وكان ينزل قرى الروم ولا يترك فى قرية نزلها احدا إلا فتنه حتى يعبد الأصنام ويذبح للطواغيت او قتله حتى نزل مدينة اصحاب الكهف وهى افسوس فلما نزلها اكبر على اهل الايمان فاستخفوا منه وهربوا فى كل وجه وكان دقيانوس حين قدمها امر ان يتبع اهل الايمان فيجمعوا له واتخذ شرطا من الكفار من اهلها يتبعون اهل الايمان فى اماكنهم فيخرجونهم الى دقيانوس فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان والذبح للطواغيت فمنهم من يرغب فى الحياة ومنهم من يابى ان يعبد غير الله فيقتل فلما راى ذلك اهل الشدة فى الإيمان بالله جعلوا يسلمون انفسهم للعذاب والقتل فيقتلون ويقطعون ثم يربط ما قطع من اجسامهم على سور المدينة من بواحها وعلى كل باب من ابوابها حتى عظمت الفتنة فلما راى ذلك الفتنة حزنوا حزنا شديدا فقاموا واشتغلوا بالصلاة والصيام والصدقة والتسبيح والدعاء وكانوا من اشراف الروم وكانوا ثمانية نفر

المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا يعنى الجنة (ماكثين فيه) أى مقيمين فيه (ابدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا مالهم به من علم) أى بالولد وباتخاذه يعنى ان قولهم لم يصدر عن علم بل عن جهل مفرط * فان قلت اتخاذ الله ولدا فى نفسه محال فكيف قيل مالهم به من علم * قلت انتفاء العلم قد يكون للجهل بالطريق الموصل اليه وقد يكون فى نفسه محالا لا يستقيم تعلق العلم به (ولا لآبائهم) أى ولا لاسلافهم من قبل (كبرت) اى عظمت (كلمة تخرج من افواههم) اى هذا الذى يقولونه لا تحكم به عقولهم وفكرهم البتة لكونه فى غاية الفساد والبطلان فكأنه يجرى على لسانهم على سبيل التقليد (إن يقولون إلا كذبا) اى ما يقولون إلا كذبا قيل حقيقة الكذب أنه الذى لا يطابق المخبر عنه وزاد بعضهم مع علم قائله انه غير مطابق وهذا القيل باطل لأن الله سبحانه وتعالى وصف قولهم باثبات الولد بكونه كذبا مع ان الكثير منهم يقولون ذلك ولا يعلمون كونه باطلا فعلمنا ان كل خبر لا يطابق المخبر عنه فهو كذب والكذب خلاف الصدق وقيل هو الانصراف عن الحق إلى الباطل ورجل كذب وكذوب إذا كان كثير الكذب * قوله عز وجل (فلعلك باخع نفسك) اى قاتل نفسك (على اثارهم) اى من بعدهم (إن لم يؤمنوا بهذا الحديث) يعنى القران (اسفا) اى حزنا وقيل غيظا (إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها) اى مما يصلح ان يكون زينة لها ولاهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها وقيل يعنى النبات والشجر والانهار وقيل اراد به الرجال خاصة فهم زينة الأرض وقيل اراد به العلماء والصلحاء وقيل جميع ما فى الأرض هو زينة لها * فان قلت اى زينة فى الحيات والعقارب والشياطين * قلت زينتها كونها تدل على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وقيل ان جميع ما فى الأرض ثلاثة معدن ونبات وحيوان واشرف انواع الحيوان الانسان قيل الأولى ان لا يدخل فى هذه الزينة المكلف بدليل قوله تعالى (لنبلوهم) فمن يبلو يجب ان لا يدخل فى ذلك ومعنى لنبلوهم نختبرهم (ايهم احسن عملا) اى اصلح عملا وقيل ايهم اترك للدنيا وازهد فيها (وإنا لجاعلون ما عليها) اى من الزينة (صعيدا جرزا) يعنى مثل ارض لا نبات فيها بعد ان كانت خضراء معشبة والصعيد وجه الأرض وقيل هو التراب والجرز الأملس اليابس الذى لا ينبت فيه شىء قوله سبحانه وتعالى (ام حسبت) اى ظننت يا محمد (ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا) اى هم عجب من اياتنا وقيل معناه انهم ليسوا باعجب اياتنا فان

بكوا وتضرعوا إلى الله تعالى وجعلوا يقولون ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا ان عبدنا غيره اكشف عن عبادك المؤمنين هذه الفتنة وارفع عنهم هذا البلاء حتى يعلنوا عبادتك فبينما هم على مثل ذلك وقد دخلوا فى مصلى لهم أدركهم الشرط فوجدوهم وهم سجود على وجوههم يبكون ويتضرعون إلى الله فقالوا لهم ما خلفكم عن امر الملك انطلقوا إليه ثم خرجوا فرفعوا أمرهم دقيانوس فقالوا تجمع الناس للذبح لآلهتك وهؤلاء الفتية من اهل بيتك يستهزؤن بك ويعصون امرك فلما سمع بذلك بعث إليهم فأتى بهم تفيض أعينهم من الدمع مغفرة وجوههم بالتراب فقال لهم ما منعكم أن تشهدوا الذبح لآلهتنا التى تعبد فى الارض وتجعلوا أنفسكم أسوة لسادة من اهل مدينتكم اختاروا أما ان تذبحوا لآلهتنا وأما أن أفتككم فقال مكسلمينا وهو اكبرهم سنا ان لنا إلها ملأ السموات والأرض عظمة لن ندعو من دونه إلها ابدا له الحمد والتكبير والتسبيح من أنفسنا خالصا أبدا إياه نعبد وإياه نسأل النجاة والخير فأما الطواغيث فلن نعبدها ابدا فاصنع بنا ما بدا لك وقال اصحاب مكسلمنا لدقيانوس مثل ما قال مكسلمينا فلما قالوا ذلك أمر فنزع عنهم لبوسا كان عليهم من لبوس عظمائهم ثم قال فأفرغ لكم فانجز لكم أوعدتكم من العقوبة وما يمنعنى أن اعجل ذلك لكم إلا انى أراكم شبانا حديثة أسنانكم فلا احب أهلككم حتى أجعل لكم أجلا تذكرون فيه وتراجعون عقولكم ثم امر بحلية كانت عليهم من ذهب وفضة فنزعت عنهم ثم امرهم فأخرجوا من عنده وانطلق دقيانوس إلى مدينة سوى مدينتهم قريبا منهم لبعض اموره فلما رأى الفتية خروجه بادروا قدومه وخافوا إذا قدم مدينتهم ان يذكرهم فأتمروا بينهم ان ياخذ كل رجل منهم نفقة من بيت ابيه فيتصدوا منها ويتزودوا بما بقى ثم ينطلقوا إلى كهف قريب من المدينة فى جبل يقال له مخلوس فيمكثون فيه ويعبدوا الله حتى اذا جاء دقيانوس اتوه فقاموا بين يديه فيصنع بهم ما شاء فلما قال ذلك بعضهم لبعض عمد كل فتى منهم الى بيت ابيه فاخذ نفقة فتصدق منها ثم انطلقوا بما بقى معهم واتبعهم كلب كان لهم حتى أتوا ذلك الكهف فلبثوا فيه قال كعب الاحبار مروا بكلب فتبعهم فطردوه ففعل ذلك مرارا فقال لهم الكلب يا قوم ما تريدون منى لا تخشون جانبى أنا أحب أحباب الله فناموا حتى أحرسكم وقال ابن عباس هربوا ليلا من دقيانوس وكانوا سبعة فمروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم وتبعه كلبه فخرجوا من البلد الى الكهف وهو قريب من البلد قال ابن اسحق فلبثوا فيه ليس لهم عمل الا الصلاة والصيام والتسبيح والتكبير والتحميد ابتغاء وجه الله وجعلوا نفقتهم الى فتى منهم يقال تمليخا فكان يبتاع لهم ارزاقهم من المدينة سرا وكان من احلمهم واجلدهم وكان اذا دخل المدينة يضع ثيابا كاتمت عليه حسانا وياخذ ثيابا

ما خلقنا من السموات والارض وما فيهن من العجائب أعجب منهم والكهف الغار الواسع فى الجبل والرقيم

المساكين الذين يستطعمون فيها ثم ياخذ ورقة فينطلق الى المدينة فيشترى لهم طعاما وشرابا ويتجسس لهم الخبر هل ذكروا وأصحابه بشىء ثم يرجع الى اصحابه فلبثوا بذلك ما لبثوا ثم قدم داقيانوس المدينة فأمر عظماء اهلها فذبحوا للطواغيت ففزع من ذلك اهل الايمان وكان تمليخا بالمدينة يشترى لاصحابه طعامهم فرجع الى اصحابه وهو يبكى ومعه طعام قليل واخبرهم ان الجبار قد دخل المدينة وانهم قد ذكروا والتمسوا من عظماء المدينة ففزعوا ووقعوا سجودا يدعون الله ويتضرعون اليه ويتعوذون من الفتنة ثم ان تمليخا قال لهم يا اجوتاه ارفعوا رؤسكم وأطعموا وتوكلوا على ربكم ففرعوا رؤسهم واعينهم تفيض من الدمع فطعموا وذلك غروب الشمس ثم جلسوا يتحدثون ويتدارسون ويذكر بعضهم بعضا فبينما هم على ذلك إذ ضرب الله على اذانهم النوم فى الكهف وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف فاصابهم ما أصابهم وهم مؤمنون موقنون ونفقتهم عند رؤوسهم فلما كان من الغد فقدهم دقيانوس فالتمسهم فلم يجدهم فقال لبعضهم لقد ساءنى شان هذه الفتية الذين ذهبوا لقد كنا نواظنوا أن نى عضبا عليهم لجهلهم ما جهلوا من امرى ما كنت لاحمل عليهم ان هم تابوا أو عبدوا الهتى فقال عظماء المدينة ما انت بحقيق أن ترحم قوما فجرة مردة عصاة قد كنت احللت لهم اجلا ولو شاؤا لرجعوا فى ذلك الأجل ولكنهم لم يتوبوا فلما قالوا ذلك غضب غضبا ثم ارسل الى ابائهم فأتى بهم فسالهم عنهم فقال اخبرونى عن أبنائكم المردة الذين عصونى فقالوا له أما نحن فلم نعصك فلم تقتلنا بقوم مردة قد ذهبوا باموالنا فاهلكوها فى اسواق المدينة ثم انطلقوا وارتقوا الى جبل يدعى بمخلوس فلما قالوا له ذلك خلى سبيلهم وجعل لا يدرى ما يصنع بالفتية فاتى الله فى نفسه ان يامر بالكهف فيسد عليهم واراد الله ان يكرمهم ويجعلهم اية لامة تستخلف من بعدهم وان يبين لهم ان الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من فى القبور فامر دقيانوس بالكهف ان يسد عليهم وقال دعوهم كما هم فى الكهف يموتون جوعا وعطشا ويكون كهفهم الذى اختاروه قبرا لهم وهو يظن انهم ايقاظا يعلمون ما يصنع بهم وقد توفى الله ارواحهم وفاة النوم وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف قد غشيهم ما غشيهم يتقلبون ذات اليمين وذات الشمال ثم ان رجلين مؤمنين فى بيت الملك دقيانوس يكتمان ايمانهما اسم احدهما يندروس والاخر روناس ائتمرا ان يكتبا شان الفتية وانسابهم واسمائهم وخبرهم فى لوحين من رصاص ويجعلاهما فى تابوت من نحاس ويجعلا التابوت فى البنيان وقالا لعل الله ان يظهر على هؤلاء الفتية قوم مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلم من فتح عليهم حين يقرا هذا الكتاب خبرهم ففعلا وبنيا عليه فبقى دقيانوس ما بقى ثم مات هو وقومه وقرون بعده كثيرة وخلفت الملوك بعد الملوك وقال عبيد بن عمير كان اصحاب الكهف فتيانا مطوقين مسورين ذى ذوائب وكان معهم كلب صيدهم فخرجوا فى عيد لهم عظيم فى ذى وموكب واخرجوا معهم الهتهم التى يعبدونها وقد قذف الله قلوب الفتية الايمان وكان احدهم وزير الملك فآمنوا واخفى كل واحد منهم

إيمانه فقالوا فى أنفسهم تخرج من بين أظهرهؤلاء القوم لا يصيبنا أعقاب محرمهم فخرج شاب منهم حتى انتهى إلى ظل شجرة فجلس فيه ثم خرج آخر فرآه جالسا وحده فرجا ان يكون على مثل أمره من غير ان يظهر ذلك ثم خرج الاخرة فاجتمعوا فى مكان قال بعضهم لبعض ما جمعكم وكل واحد يكتم صاحبه إيمانا مخافة على نفسه ثم قالوا ليخرج كل فتى فيخلوا بصاحبه ثم يفشى كل واحد منكم سره إلى صاحبه ففعلوا فاذاهم جميعا على الايمان واذا كهف فى الجبل قريب منهم فقال بعضهم لبعض فاووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيدهم فناموا ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا وتقدم قومهم فطلبوهم فعمى الله عليهم اثارهم وكهفهم فكتبوا أسماءهم وانسابهم فى لوح فلان وفلان وفلان ابناء ملوكنا فقدناهم فى شهر كذا فى سنة كذا فى مملكة فلان بن فلان ووضعوا اللوح فى خزانة الملك وقالوا ليكونن هذا شأن ومات ذلك الملك وجاء قرن بعد وقال وهب بن منبه جاء حوارى عيسى عليه السلام إلى مدينة أصحاب الكهف فأراد أن يدخلها فقيل له إن على بابها صنما لا يدخلها أحد إلا يسجد له فكره ان يدخلها فاتى حماما قريبا من المدينة فكان يؤاجر نفسه من الحمامى ويعمل فيه ورأى صاحب الحمام فى حمامه البركة واجتمع عليه فتية من اهل المدينة فجعل يخبرهم خبر السماء والأرض وخبر الاخرة حتى آمنوا وصدقوه وكان شرط صاحب الحمام ان الليل لا يحول بينى وبينه ولا بين الصلاة أحد وكان على ذلك حتى اتى ابن الملك بامراة فدخل بها الحمام فعيره الحوارى وقال ابت ابن الملك وتدخل مع هذه فاستحيا وذهب فرجع مرة اخرى فقال له مثل ذلك فسبه وانتهره ولم يلتفت إلى مقالته حتى دخلا معا فاتاه الحمام واتى الملك فقال له قتل صاحب الحمام ابنك فالتمس فلم يدر عليه وهرب فقال من كان يصحبه فسموا الفتية فالتمسوا فخرجوا من المدينة فمروا بصاحب لهم على مثل إيمانهم فانطلق معهم ومعه كلب حتى اواهم الليل الى الكهف فدخلوه وقالوا نبيت هنا الليلة ثم نصبح إن شاء الله تعالى فترون رأيكم فضرب على آذانهم فخرج الملك فى اصحابه يبتغونهم حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف فلما أرادوا رجل منهم دخوله أرعب فلم يطق احد ان يدخله فقال قائل منهم أليس لو قدر عليهم قتلهم قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف واتركهم فيه يموتون جوعا ففعل قال وهب فغير بعد ما سدوا عليهم باب الكهف زمان بعد زمان ثم ان راعيا ادركه المطر عند الكهف فقال لو فتحت باب هذا الكهف وادخلت غنمى فيه من المطر فاكتنهم من المطر فلم يزل يعالجه حتى فتح ورد الله عليهم ارواحهم من الغد حين أصبحوا وقال محمد بن اسحق ثم ملك اهل تلك البلاد رجل صالح يقال له بيدروس فلما ملك بقى فى ملكه ثمانيا وستين سنة فتحزب الناس فى ملكه فكانوا أحزابا منهم من يؤمن بالله ويعلم ان الساعة حق ومنهم من يكذب بها فكبر ذلك على الملك الصالح فبكى وتضرع إلى الله وحزن حزنا شديدا لما رأى اهل الباطل يزيدون ويظهرون على اهل الحق ويقولان لاحياة (١٥٨) إلا حياة الدنيا وإنما تبعث الارواح ولا تبعث الاجساد فجعل بيدروس يرسل ان من يظن فيهم خيرا وانهم

هو لوح كتب فيه أسماء أصحاب الكهف وقصتهم ثم وضع على باب الكهف وكان الروح من رصاص وقيل

أئمة فى الخلق فجعلوا يكذبون بالساعة حتى كادوا أن يحولوا الناس عن الحق وملة الحواريين فلما رأى ذلك الملك الصالح دخل بيته وأغلقه عليه من ولبس مسحا وجعل تحته رمادا فجلس عليه فداب ليله ونهاره زمانا يتضرع الى الله تعالى ويبكى كله ويقول اى رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث إليهم اية تبين بطلان ما هم عليه من ثم ان الله الرحمن الرحيم الذى يكره هلكة العباد أراد ان يظهر الفتية أصحاب الكهف ويبين للناس شأنهم ويجعلهم اية وحجة عليهم ليعلموا ان الساعة اتية لا ريب فيها ويستجيب لعبده الصالح بيدروس ويتم نعمته عليه وان يجمع من كان تبدد من المؤمنين فألقى الله فى نفس رجل من ذلك البلد الذى فيه الكهف وكان اسم ذلك الرجل أوليأس ان يهدم ذلك البنيان الذى على فم الكهف فيبنى به حظيرة لغنمه فاستأجر غلامين فجعلا ينزعان تلك الحجارة ويبنيان تلك الحظيرة حتى نزعا ما على فم الكهف وفتحا باب الكهف وحجبهم الله عن الناس بالرعب فلما فتحها باب الكهف اذن الله ذو القدرة والسلطان محيى الموتى للفتية ان يجلسوا بين ظهرانى الكهف فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة أنفسهم فسلم بعضهم على بعض كأنما استيقظوا من ساعتهم التى كانوا يستيقظون فيها إذا اصبحوا من ليلتهم ثم قاموا إلى الصلاة فصلوا كالذى كانوا يفعلون لا يرى فى وجوههم ولا ألوانهم شىء ينكرونه كهيئتهم حين رقدوا وهم يرون ان دقيانوس فى طلبهم فلما قضوا صلاتهم قالوا التمليخا صاحب نفقاتهم أننا ناما لذى قال الناس فى شأنها عشية امس عند هذا الجبار وهم يظنون انهم رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون وقد تخيل اليهم أنهم قد ناموا أطول مما كانوا ينامون حتى يتساءلوا بينهم فقال بعضهم لبعض كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم ثم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وكل ذلك فى أنفسهم يسير فقال فقال لهم تمليخا التمستم فى المدينة فلم توجدوا وهو يريدان يأتى بكم اليوم فتذبحون للطواغيث او يقتلكم فما شاء الله بعد ذلك فعل فقال لهم مكسلمينا يا إخوتاه اعلموا انكم ملاقوا الله فلا تكفروا بعد إيمانكم إذا دعاكم عدو الله ثم قالوا التمليخا انطلق إلى المدينة فتسمع ما يقال لنا بها وما الذى يذكر عنه قيانوس ولا تلطف ولا تشعرن بك احدا وابتع لنا طعاما فائتنا به وزدنا على الطعام الذى جئتنا به فقد اصبحنا جياعا ففعل تمليخا كما كان يفعل ووضع ثيابه واخذ الثياب التى يتنكر فيها واخذ ورقا من نفقتهم التى كانت معهم والتى ضرب بطابع دقيانوس فكانت كخفاف الربع والربع اول ما ينتج من ولد الضأن فى الربيع فانطلق تمليخا خارجا فلما مر باب الكهف راى الحجارة منزوعة عن باب الكهف فعجب منها ثم مر ولم يبال بها حتى باب المدينة مستخفيا يصد عن الطريق تخوفا ان يراه احد من اهلها فيعرفه ولا يشعر ان دقيانوس واهله قد هلكوا قبل ذلك بثلثمائة سنة فلما اتى باب المدينة رفع بصره فراى فوق ظهر الباب علامة تكون

لأهل الايمان إذا كان الايمان ظاهرا فيها رآها عجب وجعل ينظر اليها مستخفياً وجعل ينظر يميناً وشمالا ثم ترك ذلك الباب فتحول إلى باب اخر من أبوابها فرأى مثل ذلك يخيل اليه ان المدينة ليست بالتى كان يعرف ورأى ناساً كثيرا محدثين لم يكن يراهم قبل ذلك فجعل يمشى ويتعجب ويخيل اليه انه حيران ثم رجع إلى الباب الذى اتى منه فجعل يتعجب بينه وبين نفسه ويقول يا ليت شعرى ماهذا اماعيشة أمس فكان المسلمون يخبئون هذه العلامة ويستخفون بها وأما اليوم فانها ظاهرة لعلى نائم ثم يرى انه ليس بنائم فاخذ كساءه فجعله على رأسه ثم دخل المدينة فجعل يمشى بين ظهرانى سوقها فيسمع ناسا يحلفون باسم عيسى بن مريم فزاده فرقا ورأى انه حيران فقام مسندا ظهره إلى جدار من جدار المدينة وقال فى نفسه والله ما أدرى ماهذا اماعيشة امس فليس على ظهر الأرض إنسان يذكر عيسى بن مريم إلا قتل واما الغداة فاسمعهم وكل إنسان يذكر اسم عيسى ولا يخاف أحدا ثم قال فى نفسه لعل هذه ليست بالمدينة التى أعرف والله ما اعرف مدينة قرب مدينتنا فقام كالحيران ثم لقى فتى فقال له ما اسم هذه المدينة يافتى قال اسمها افسوس فقال فى نفسه لعلى بى مسا او أمرا اذهب عقلى والله يحق لى ان اسرع الخروج منها قبل ان أخزى فيها أو يصيبنى شر فاهلك ثم انه أفاق فقال والله لو عجلت الخروج من المدينة قبل أن يفطن بى لكان اكيس بى فدنا من الذين يبيعون الطعام فاخرج الورق التى كانت معه فاعطاها رجلا منهم فقال بعنى بهذه الورق طعاما فاخذها الرجل فنظر إلى ضرب الورق ونقشها فعجب منه ثم طرحها إلى رجل من اصحابه فنظر اليها فجعلوا يتطارحونها بينهم من رجل إلى رجل يتعجبون منها ثم جعلوا يتساورون بينهم ويقول بعضهم لبعض ان هذا أصاب كنزا خبيئاً فى الارض منذ زمان ودهر طويل فلما راهم تمليخا يتشاورون من أجله فرق فرقا شديدا وجعل يرتعد ويظن انهم قد فطنوا به وعرفوا نهم إنما يريدون أن يذهبوا به إلى ملكهم دقيانوس وجعل اناس اخرون يأتونه فيتعرفونه فلا يعرفونه فقال لهم وهو شديد الفرق منهم افضلوا على قد اخذتم ورقى فامسكوها واما طعامكم فلا حاجة لى به فقالوا له من انت يافتى وما شأنك والله لقد وجدت كنزا من كنوز الأولين وانت تريد ان تخفيه منا فانطق معنا وارنا وشاركنا فيه تخف عليك ما وجدت فانك إن لم تفعل تأت بك الى السلطان فنسلمك اليه فيقتلك فلما سمع قولهم قال فى نفسه قد وقعت فى كل شىء كنت احذر منه فقالوا يافتى إنك والله لا تستطيع ان تكتم ما وجدت فجعل تمليخا لا يدرى ما يقول لهم وما يرجع اليهم وفرق حتى ما يخبر اليهم شيئا فلما راوه ولا يتكلم اخذوا كساءه فطرحوه فى عنقه ثم جعلوا يقودونه فى سكك المدينة حتى سمع به من فيها وقيل قد أخذ رجل معه كنز فاجتمع اليه أهل المدينة صغيرهم وكبيرهم فجعلوا ينظرون اليه ويقولون والله ما هذا الفتى من أهل هذه المدينة وما رأيناه فينا قط وما نعرفه قط فجعل تمليخا لا يدرى ما يقول لهم فلما اجتمع عليه أهل المدينة فرق فسكت فلم يتكلم وكان مستقينا ان اباه وإخوته (١٥٩) بالمدينة وان حسبه ونسبه من أهل

المدينة من عظماء اهلها وأنهم سيأتونه إذا سمعوا به فبينا

من حجارة وعن ابن عباس أن الرقيم اسم الوادى الذى فيه أصحاب الكهف وقال كعب الأحبار هو اسم

هو قائم كالحيران ينتظر متى يأتيه بعض أهله فيخلصه من أيديهم إذا اختطفوه وانطلقوا به إلى رئيس المدينة ومدبرها اللذين يدبران أمرها وهما رجلان صالحان اسم أحدهما أوريوس واسم الاخر طنطيوش فلما انطلق به الهما ظن تمليخا انه ينطلق به إلى دقيانوس الجبار فجعل يلتفت يمينا وشمالا وجعل الناس يسخرون منه كما يسخرون من المجنون وجعل تمليخا ثم رفع راسه إلى السماء فقال فى نفسه اللهم إله السماء وإله الأرض افرغ اليوم على صبرا واوج معى روحا منك تؤيدنى به عند هذا الجبار وجعل يبكى ويقول فى نفسه فرق بينى وبين إخوتى يا ليتهم يعلمون ما لقيت يا ليتهم يأتونى فنقوم جميعاً بين يدى هذا الجبار فانا كنا توائقنا لنكونن معا لا نكفر بالله ولا نشرك به شيئا فرق بينى وبينهم فلن يرونى ولن اراهم ابدا وكنا توائقنا ان لا نفترق فى حياة ولا موت أبدا يحدث به نفسه تمليخا فما يخبر اصحابه حين رجع اليهم حتى انتهوا إلى الرجلين الصالحين أوريوس وطيطنوس فلما رأى تمليخا انه لا يذهب به إلى دقيانوس افاق وذهب عنه البكاء فأخذ اريوس وطنطيوس الورق فنظرا اليها وعجبا منها ثم قال له احدهما اين الكنز الذى وجدت يافتى فقال تمليخا ما وجدت كنزا ولكن هذا ورق ابانى ونقش هذه المدينة وضربها ولكن والله ما أدرى ما شانى وما أقول لكم فقال أحدهما فمن أنت فقال تمليخا أما أنا فكنت أرى انى من أهل هذه المدينة فقالوا ومن أبوك ومن يعرفك فيها فانبأناهم باسم أبيه فلم يجدوا أحدا يعرفه ولا اباه فقال له أحدهما انت رجل كذاب لا تنبئنا بالحق فلم يدر تمليخا ما يقول لهم غير انه نكس بصره الى الأرض فقال بعض من حوله هذا رجل مجنون وقال بعضهم ليس بمجنون ولكنه يحمق نفسه عمدا لكى ينقاب منكم فقال احدهما ونظر اليه نظرا شديدا اتظن أنا نرسلك ونصدقك بأن هذا مال أبيك ونقش هذا الورق وضربها اكثر من ثلثمائة سنة وانما أنت غلام شاب اتظن أنك تأفكنا وتسخر بنا ونحن شيوخ شمط كما ترى وحولك سراة أهل المدينة وولاة أمرها وخزائن هذه البلدة بايدينا وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار وانى لاظنى سآمر بك فتعذب عذابا شديدا ثم اوثقك حتى تعترف بهذا الكنز الذى وجدته فلما قال ذلك قال لهم تمليخا انبئونى عن شىء اسالكم عنه فان فعلتم صدقتكم عما عندى قالوا سل لا نكتمك شيئا قال لهم ما فعل الملك دقيانوس قالوا لا نعرف اليوم على وجه الارض ملك يسمى دقيانوس ولم يكن الا ملك هلك منذ زمان ودهر طويل وهلكت بعده قرون كثيرة فقال تمليخا انى إذا لحيران وما يصدقنى احد من الناس بما أقول لقد كنا فتية على دين واحد وهو الاسلام وان الملك اكرهنا على عبادة الأوثان والذبح للطواغيت فهربنا منه عشية امس فنمنا فلما انتبهنا خرجت لأشترى له طعاما واتجسس الأخبار فاذا انا كما ترون فانطلقوا معى الى الكهف

أريكم أصحابي فلما سمع أريوش مايقول تمليخا قال ياقوم لعل هذه آية من ايات الله جعلها الله لكم على يدى هذا الفتى فانطلقوا بنا معه يرنا اصحابه فانطلق معه أريوس وطنيوس وانطلق معهم أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف لينظروا اليهم ولما رأى الفتية أصحاب الكهف تمليخا قد احتبس عنهم بطعامهم وشرابهم عن القدر الذى كان يأتى به ظنوا انه قد أخذ فذهب به إلى ملكهم دقيانوس فبينما هم يظنون ذلك ويتخفونه إذ سمعوا الأصوات وجلب الخيل مصعدة نحوهم فظنوا انهم رسل الجبار دقيانوس بعث اليهم ليؤتى لهم فقاموا إلى الصلاة وسلم بعضهم على بعض وأوصى بعضهم بعضا قالوا انطلقوا بنا نأت أخانا تمليخا فانه الان بين يدى الجبار ينتظر متى نأتيه فبينما هم يقولون ذلك وهم جلوس بين ظهرانى الكهف لم يروا إلا اريوس وأصحابه وقوفا على باب الكهف وسبقهم تمليخا فدخل عليهم وهو يبكى فلما راوه يبكى بكوا معه ثم سألوه عن شأنه فاخبرهم وقص عليهم القصة والنبأ كله فعرفوا عند ذلك انهم كانوا نياما بأمر الله ذلك الزمان كله بامر الله وإنما أوقظوا ليكونوا اية للناس وتصديقا للبعث وليعلموا أن الساعة اتية لاريب ثم دخل على اثر تمليخا أريوس فرأى تابوتا من نحاس مختوما بخاتم من فضة فقام بباب الكهف ثم دعا رجالا من عظماء أهل المدينة ففتح التابوت عندهم فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوبا فيهما ان مكسلينا ومخشلمينا وتمليخا ومرطونس وكشطونس ويبرونس وديموس وبطيوس والكلب اسمه قطمير كانوا فتية هربوا من ملكهم دقيانوس الجبار مخافة ان يفتنهم عن دينهم فدخلوا هذا الكهف فلما أخبر بمكانهم أمر بالكهف فسد عليهم بالحجارة وإنا كتبنا شأنهم وخبرهم ليعلمه من بعدهم ان عثر عليهم فلما قرأه وعجبوا وحمدوا الله الذى اراهم اية البعث فيهم ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسبيحه ثم دخلوا على الفتية إلى الكهف فوجدوهم جلوسا بين ظهرانيهم مشرقة وجوههم لم تبل ثيابهم فخر اريوس وأصحابه سجودا وحمدوا الله الذى اراهم اية من (١٦٠) اياته ثم كلم بعضهم بعضا وأنبأهم الفتية عن الذى لقوا من ملكهم دقيانوس ثم ان أريوس وأصحابه بعثوا بريدا إلى ملكهم الصالح بيدروس ان عجل لعلك تنظر إلى اية من ايات الله جعلها الله فى ملكك وجعلها اية للعالمين لتكون لهم نورا وضياء وتصديقا للبعث فاعجل إلى فتية بعثهم الله عز وجل وقد كان توفاهم منذ اكثر من ثلثمائة سنة فلما أتى الملك الخبر رجع اليه عقله وذهب عنه عمه فقال احمدك الله رب السموات الأرض وأعبدك واسبح لك تطولت على ورحمتنى فلم تطفىء النور الذى كنت جعلته لابائى وللعبد الصالح بيدروس الملك فلما نبأ به أهل المدينة الحياة ركبوا اليه وساروا معه حتى اتوا مدينة اكسوس فتلقاهم أهل المدينة وساروا معه حتى صعدوا نحو الكهف فلما رأى الفتية بيدروس فرحوا به وخرجوا له سجدا على وجوههم وقام بيدروس قدامهم ثم اعتنقهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الأرض يسبحون الله ويحمدونه قال الفتية لبيدروس نستودعك الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته حفظك الله وملكك ونعيذك بالله من شر الانس والجن فبينما الملك قائم إذ رجعوا إلى مضاجعهم فناموا وتوفى الله تعالى انفسهم وقام الملك اليهم فجعل ثيابهم عليهم وامر ان يجعل كل رجل منهم فى تابوت من ذهب فلما امسى ونام اتوه فى المنام فقالوا له انا لم نخلق من ذهب ولا من فضة ولكنا خلقنا من تراب وإلى التراب نصير فاتركنا كما كنا فى الكهف على التراب حتى يبعثنا الله منه فامر الملك حينئذ بتابوت من ساج فجعلوا فيه وحجبهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب فلم يقدر احد على ان يدخل عليهم فامر الملك فجعل على باب الكهف مسجدا يصلى فيه وجعل لهم عيدا أعظما وامر ان يؤتى كل سنة وقيل ان تمليخا لما حمل إلى الملك الصالح قال له الملك من انت قال انا رجل من اهل هذه المدينة وذكر انه خرج امس او منذ ايام وذكر منزله واقواما لم يعرفهم احد وكان الملك قد سمع ان فتية فقدوا فى الزمن الأول وان اسماءهم مكتوبة على اللوح بالخزانة فدعا باللوح وقد نظر فى اسمائهم فاذا هو من اولئك القوم وذكر اسماء الاخرين فقال تمليخا هم اصحابى فلما سمع الملك ذلك ركب ومن معه من القوم فلما اتوا باب الكهف قال تمليخا دعونى ادخل على اصحابى فأبشرهم فانهم ان راوكم معى ارعبتموهم فدخل فبشرهم فقبض الله ارواحهم واعمى عليهم اثرهم فلم يهتدوا اليهم مرة ثانية وذلك عز وجل إذ اوى الفتية إلى الكهف اى صاروا الى الكهف يقال اوى فلان الى موضع كذا اى اتخذه منزلا الى الكهف وهو غار فى جبل مخلوس واسم الكهف خيرم (فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة) ومعنى الرحمة الهداية فى الدين وقيل الرزق (وهىء لنا) يسر لنا (من أمرنا رشدا)

للقرية التى خرج منها أصحاب الكهف وقيل اسم للجبل الذى فيه أصحاب الكهف ثم ذكر الله عز وجل قصة أصحاب الكهف فقال عز من قائل (إذ اوى الفتية إلى الكهف) أى صاروا اليه وجعلوه ماواهم والفتية جمع فتى وهو الطرى من الشباب (فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة) أى رحمة من خزائن رحمتك وجلائل فضلك وإحسانك وهب لنا الهداية والنصر والامن من الأعداء (وهىء لنا) أى اصلح لنا (من أمرنا رشدا) أى حتى نكون بسببه راشدين مهديين وقيل معناه واجعل أمرنا رشدا كله

(ذكر قصة أصحاب الكهف وسبب خروجهم اليه) قال محمد بن إسحق ومحمد بن يسار مرج أهل (والانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت الملوك حتى عبدوا الأصنام وذبحوا للطواغيت وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكون بعبادة الله وتوحيده وكان من فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال له دقيانوس عبد الأصنام وذبح للطواغيت ومن خالفه وكان ينزل قرى الروم فلا يترك فى قرية نزولها احدا إلا فتنه عن دينه حتى يعبد الأصنام أو يقتله فلما نزل مدينة أصحاب الكهف واسمها افسوس استخفى منه أهل الايمان وهربوا فى كل وجه فاتخذ شرطا من الكفار وأمرهم ان يتبعوهم فجعل أولئك الشرط يتبعون أهل الايمان فى أماكنهم ويخرجونهم إلى دقيانوس فيخرجهم بين القتل وبين عبادة الأصنام فمنهم من يرغب فى

الحياة ومنهم من يأتى أن يعبد غير الله فيقتل فلما رأى ذلك اهل الشدة فى الايمان جعلوا يسلمون أنفسهم للعذاب والقتل فيقتلون ويقطعون ويجعل ماقطع من أجسادهم على أسوار المدينة وأبوابها فلما عظمت الفتنة وكثرت ورأى هذه الفتنة حزنوا حزنا شديدا فقاموا واشتغلوا بالصلاة والصيام والصدقة والتسبيح والدعاء وكانوا من أشراف الروم وهم ثمانية نفر وبكوا وتضرعوا إلى الله عز وجل وجعلوا يقولون ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا اكشف عن عبادك المؤمنين هذه الفتنة وارفع عنهم البلاء حتى يعلنوا عبادتك فبينما هم على ذلك وقد دخلوا مصلاهم أدركهم الشرط فوجدوهم سجودا يبكون ويتضرعون إلى الله عز وجل فقال لهم الشرط ما خلفكم عن أمر الملك ثم انطلقوا إلى الملك فاخبروه خبر الفتية فبعث اليهم فأتى بهم تفيض أعينهم من الدمع مغفرة وجوههم بالتراب فقال لهم ما منعكم أن تشهدوا الذبح لآلهتنا التى تعبد فى الأرض وتجعلوا أنفسكم أسوة أهل مدينتكم اختاروا ما أن تذبحوا لالهتنا وما أن اقتلكم فقال مكسلمينا وهو أكبرهم أن لنا إلها ملء السموات والأرض عظمته لن ندعوا من دونه إلها أبدا له الحمد والتكبير من أنفسنا خالصا أبد إياه نعبدوا اياه نسأل النجاة والخير فأما الطواغيت فلن نعبدها أبدا أصنع بنا ما بدالك وقال أصحابه مثل ذلك فلما سمع الملك كلامهم أمر بنزع ثيابهم وحلية كانت عليهم من الذهب والفضة وقال سأفرغ لكم وانجز لكم ما أوعدتكم من العقوبة وما يمنعنى أن اعجل ذلك لكم إلا أنى اراكم شبانا حديثة اسنانكم فلا أحب أن اهلككم حتى اجعل لكم اجلا تذكرون فيه فترجعون إلى عقولكم ثم امر بهم فاخرجوا من عنده وانطلق دقيانوس إلى مدينة اخرى قريبة منهم لبعض أموره فلما راى الفتية خروجه بادروا وخافوا إذا قدم أن يذكرهم فاتمروا بينهم واتفقوا على ان يأخذ كل واحد منهم نفقة من بيت أبيه فيتصدقوا منها ويتزودوا بما بقى ثم ينطلقوا إلى كهف قريب من المدينة فى جبل يقال له ينجلوس (١) فيمكثوا فيه ويعبدوا الله حتى إذا جاء دقيانوس اتوه فيصنع ما يشاء فلما اتفقوا على ذلك عمد كل فتى منهم إلى بيت ابيه فأخذ نفقة فتصدق منها وانطلقوا بما بقى معهم واتبعهم كلب كان لهم حتى اتوا ذلك الكهف فمكثوا فيه وقال كعب الأحبار مروا بكلب فتبعهم فطردوه فعاد ففعلوا ذلك مرارا فقال لهم الكلب ما تريدون منى لاتخشوا منى انا احب احباب الله عز وجل فناموا حتى احرسكم وقال ابن عباس هربوا من دقيانوس وكانوا سبعة فمروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم وتبعهم الكلب فخرجوا من البلد إلى الكهف قال ابن عباس فلبثوا فيه ليس لهم عمل إلا الصلاة والصيام والتسبيح والتحميد ابتغاء لوجه الله عز وجل وجعلوا نفقتهم إلى فتى منهم اسمه تمليخا فكان يبتاع لهم ارزاقهم من المدينة سرا وكان من اجملهم واجلدهم وكان إذا دخل المدينة لبس ثيابا رثة كثياب المساكين ثم يأخذ ورقة فينطلق إلى المدينة فيشترى لهم طعاما وسرابا ويتجسس لهم الخبر هل ذكروا واصحابه بشىء ثم يرجع إلى اصحابه فلبثوا بذلك ماشاء الله ان يلبثوا ثم قدم دقيانوس المدينة وامر عظماء اهلها ان يذبحوا للطواغيت ففزع من ذلك اهل الايمان وكان تمليخا بالمدينة يشترى لأصحابه طعامهم فرجع إلى أصحابه وهو يبكى ومعه طعام قليل فأخبرهم ان الجبار قد دخل المدينة وانهم قد ذكروا والتمسوا مع عظماء المدينة ففزعوا ووقعوا سجودا يدعون الله ويتضرعون اليه ويتعوذون من الفتنة فقال لهم تمليخا يا اخوتاه ارفعوا رؤوسكم واطعموا وتوكلوا على ربكم فرفعوا رؤسهم واعينهم تفيض من الدمع وذلك عند غروب الشمس ثم جلسوا يتحدثون ويذكر بعضهم بعضا فبينما هم على ذلك إذ ضرب الله عز وجل على آذانهم فى الكهف وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف فأصابه ما اصابهم وهم مؤمنون موقنون ونفقتهم عند رؤسهم فلما كان من الغد تفقدهم دقيانوس والتمسهم فلم يجدهم فقال لبعض عظماء المدينة لقد ساءنى شان هؤلاء الفتية الذين ذهبوا لقد ظنوا ان فى غضبا عليهم لجهلهم ما جهلوا من امرى ما كنت لأجهل عليهم ان هم تابوا وعبدوا آلهتى فقال عظماء المدينة ما انت بحقيق ان ترحم قوما فجرة مردة عصاة قد كنت اجلت لهم اجلا ولو شاؤا لرجعوا فى ذلك الأجل ولكنهم لم يتوبوا فلما قالوا ذلك غضب غضبا شديدا ثم ارسل إلى اباتهم فاتى بهم فقال اخبرونى عن ابنائكم المردة الذين عصونى فقالوا اما نحن لم نعصك فلم تقتلنا بقوم مردة انهم

أى ما نلتمس من خير رضاك ومافيه رشدنا وقال ابن عباس رشدا أى مخرجا من الغار فى سلامة

(١) قوله ينجلوس هكذا فى بعض النسخ وفى بعضها مخلوس وفى حياة الحيوان مخلوس وفى حياة الحيوان منحلوس اه

ذهبوا بأموالنا وأهلكوها فى أسواق المدينة ثم انطلقوا إلى جبل يدعى ينجلوس فلما قالوا له ذلك خلا سبيلهم وجعل ما يدرى ما يصنع بالفتية فالقى الله سبحانه وتعالى فى نفسه أن يأمر بسد باب الكهف عليهم وأراد الله عز وجل أن يكرمهم بذلك ويجعلهم آية لأمة تستخلف من بعدهم وأن يبين لهم أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور فأمر دقيانوس بالكهف فسد عليهم وقال دعوهم كما هم فى كهفهم يموتون جوعا وعطشا ويكون كهفهم الذى اختاروه قبرا لهم وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون ما يصنع بهم وقد توفى الله عز وجل أرواحهم وفاة نوم وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف قد غشيه ما غشيهم يتقلبون ذات اليمين وذات الشمال ثم أن رجلين مؤمنين فى بيت الملك دقيانوس يكتمان إيمانهم اسم أحدهما بيدروس واسم الآخر رومانس اهتما أن يكتبا شان هؤلاء الفتية وأسمائهم وأنسابهم وأخبارهم فى لوحين من رصاص ويجعلاهما فى تابوت فى نحاس ويجعلا التابوت فى البنيان وقالا لعل الله ان يظهر على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلم من فتح عنهم خبرهم حين يقرأ الكتاب ففعلا ذلك وبنيا عليه وبقى دقيانوس ما بقى ثم مات هو وقومه وقرون بعده كثيرة وخلقت الملوك بعد الملوك وقال عبيد بن عمير كان أصحاب الكهف فتيانا مطوقين مسورين ذوى ذوائب فخرجوا فى عيد لهم عظيم فى زى وموكب وأخرجوا معهم الهتهم التى كانوا يعبدونها وكان معهم كلب صيد لهم وكان احدهم وزير الملك فقذف الله سبحانه وتعالى الايمان فى قلوبهم فامنوا واخفى كل واحد ايمانه وقال فى نفسه اخرج من بين أظهر هؤلاء القوم لئلا يصيبنى عقاب بجرمهم فخرج شاب منهم حتى انتهى إلى ظل شجرة فجلس فيه ثم خرج آخر فراه جالسا وحده فرجا أن يكون على مثل أمره وجلس اليه من غير أن يظهره على أمره ثم خرج اخر فخرجوا جميعا فاجتمعوا فقال بعضهم لبعض ما جمعكم وكل واحد يكتم إيمانه من صاحبه مخافة على نفسه ثم قالوا ليخرج كل فتيين فيخلوا ويفتش كل واحد سره إلى صاحبه ففعلوا ذلك فاذا هم جميعا على الإيمان وإذا الكهف فى جبل عظيم قريب منهم فقال بعضهم لبعض فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيد فناموا ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا وفقدهم قومهم وطلبوهم فعمى الله عليهم اثارهم وكهفهم فكتبوا أسماءهم وانسابهم فى لوح فلان وفلان وفلان ابناء ملوكنا فقدناهم فى شهر كذا فى سنة كذا فى مملكة فلان ابن فلان الملك ووضعوا اللوح فى خزانة الملك وقالوا ليكون لهؤلاء شأن ومات ذلك الملك وجاء قرن بعد قرن قال محمد بن إسحق ثم ملك اهل تلك البلاد رجل صالح يقال له بيدروس فلما ملك بقى ملكه ثمانيا وستين سنة فتحزب الناس فى ملكه فكانوا احزابا منهم من يؤمن بالله ويعلم ان الساعة حق ومنهم من يكذب بها فكبر ذلك على الملك الصالح وتضرع إلى الله وحزن حزنا شديدا لما راى اهل الباطل يزيدون ويظهرون على اهل الحق ويقولون لا حياة إلا الحياة الدنيا وإنما تبعث الأرواح دون الأجساد وجعل بيدروس الملك يرسل الى من يظن فيهم خيرا وانهم ائمة فى الخلق فلم يقبلوا منه وجعلوا يكذبون بالساعة حتى كادوا يخرجون الناس عن الحق ومنة الحواريين فلما راى ذلك الملك الصالح دخل بيته واغلق بابه عليه ولبس مسحا وجعل تحته رمادا فجلس عليه فداب ليله ونهاره يتضرع إلى الله تعالى ويبكى ويقول رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم بطلان ما هم عليه ثم ان الله سبحانه وتعالى الرحمن الرحيم الذى يكره هلكة عباده اراد ان يظهر على الفتية اصحاب الكهف ويبين للناس شأنهم ويجعلهم اية وحجة عليهم ليعلموا ان الساعة آتية لا ريب فيها ويستجيب لعبده الصالح بيدروس ويتم نعمته عليه وان يجمع من كان تبدد من المؤمنين فالقى الله سبحانه وتعالى فى نفس رجل من أهل ذلك البلد الذى فيه ذلك الكهف وكان اسمه اوليانس ان يهدم ذلك البنيان الذى على فم الكهف ويبنى به حظيرة لغنمه فاستاجر غلامين فجعلا ينزعان تلك الحجارة ويبنيان بها تلك الحظيرة حتى نزعا ما كان على باب الكهف وفتحا باب الكهف وحجبهم الله تعالى عن الناس بالرعب فلما فتح باب الكهف اذن الله سبحانه وتعالى ذو القدرة والسلطان محيى الموتى للفتية ان يجلسوا بين ظهرانى الكهف فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة انفسهم فسلم بعضهم على بعض كانما استيقظوا من ساعتهم التى كانوا يستيقظون منها إذا اصبحوا من ليلهم ثم قاموا إلى الصلاة فصلوا كما كانوا يفعلون لا يرى فى وجوههم ولا الوانهم

شيء ينكرونه وانهم كهيئتهم حين رقدوا وهم يرون أن دقيانوس فى طلبهم فلما قضوا صلاتهم قالوا لتمليخا صاحب نفقتهم انبئنا بما قال الناس فى شأننا عشية أمس عند هذا الخبار وهم يظنون انهم قد رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون وقد خيل إليهم أنهم قد ناموا اطول مما كانوا ينامون حتى تساءلوا بينهم فقال بعضهم لبعض كم لبثتم نياما قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم وكل ذلك فى انفسهم يسير فقال لهم تمليخا قد التمستم فى المدينة وهو يريدان يؤتى بكم اليوم فتذبحوا للطواغيت أو يقتلكم فما شاء الله بعد ذلك فعل فقال لهم مكسلمينا يا إخوتاه اعلموا انكم ملاقوا الله فلا تكفروا بعد إيمانكم إذا دعاكم عدو الله ثم قالوا التمليخا انطلق إلى المدينة فتسمع ما يقال لنا بها وما الذى يذكر فيها عند دقيانوس وتلطف ولا تشعرن بك احدا وابتغ لنا طعاما فاتنا به وزدنا على الطعام الذى جئتنا به فقد اصبحنا جياعا ففعل تمليخا كما كان يفعل ووضع ثيابه وأخذ الثياب التى كان يتنكر فيها واخذ ورقا من نفقتهم التى كانت معهم التى ضربت بطابع دقيانوس وكانت كخفاف الربع فانطلق تمليخا خارجا فلما مر بباب الكهف رأى الحجارة منزوعة عن باب الكهف فعجب منها ثم مر ولم يبال بها حتى اتى باب المدينة مستخفيا يصدعن الطريق تخوفا أن يراه احد من أهلها فيعرفه ولا يشعر أن دقيانوس وأهله هلكوا قبل ذلك بثلثمائة سنة فلما اتى تمليخا باب المدينة رفع بصره فرأى فوق ظهر الباب علامة كانت لأهل الايمان إذ كان امر الايمان ظاهرا فيها فلما رآها عجب وجعل ينظر إليها يمينا وشمالا ثم ترك ذلك الباب ومضى إلى باب آخر فرأى مثل ذلك فخيل إليه أن المدينة ليست بالتى كان يعرف ورأى أشخاصا كثيرة محدثين لم يكن راهم قبل ذلك فجعل يمشى ويتعجب ويخيل إليه أنه حيران ثم رجع إلى الباب الذى منه فجعل يتعجب بينه وبين نفسه ويقول يا ليت شعرى ما هذا اما عشية أمس كان المسلمون يخفون هذه العلامة فى هذه المدينة ويستخفون بها واليوم ظاهرة لعلى نائم حالم ثم يرى انه ليس بنائم فاخذ كساءه فجعله على رأسه ثم دخل المدينة فجعل يمشى فى أسواقها فسمع ناسا يحلفون باسم عيسى ابن من مريم فزاده ذلك تعجبا ورأى انه حيران فقام مسندا ظهره إلى جدار من جدران المدينة وهو يقول فى نفسه والله ما ادرى ما هذا اما عشية امس فليس كان على الارض من يذكر عيسى ابن مريم إلا قتل واما اليوم فاسمع كل إنسان يذكر عيسى بن مريم لا يخاف ثم قال فى نفسه لعل هذه ليست بالمدينة التى اعرف والله ما اعلم مدينة بقرب مدينتنا فقام كالحيران ثم لقى فتى فقال له ما اسم هذه المدينة يا فتى فقال اسمها افسوس فقال فى نفسه لعلى بى مسا أو امر اذهب عقلى والله يحكم لى ان اسرع الخروج قبل ان يصبنى فيها شر فاهلك فمضى إلى الذين يبتاعون الطعام فاخرج لهم الورق التى كانت معه واعطاها رجلا منهم وقال له بعنى بهذه الورق طعاما فاخذها الرجل ونظر إلى ضرب الورق ونقشها فعجب منها فناولها رجلا اخر من اصحابه فنظر ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل إلى رجل ويعجبون منها ويتشاورن بينهم ويقول بعضهم لبعض ان هذا اصاب كنزا خبيئا فى الأرض منذ زمان طويل فلما راهم تمليخا يتحدثون فيه فرق فرقا شديدا وخاف وجعل يرعد ويظن انهم قد فطنوا به وعرفوه وانهم انما يريدون ان يذهبوا به إلى ملكهم دقيانوس وجعل اناس يأتونه ويتعرفونه فلا يعرفونه فقال لهم وهو شديد الخوف منهم افضلوا على قد اخذتم ورقى فامسكوها واما طعامكم فلا حاجة لى به فقالوا له يا فتى من انت وما شأنك والله لقد وجدت كنزا من كنوز الاولين وانت تريد ان تخفيه منا انطلق معنا وارناه وشاركنا فيه نخفف عليك وجدك واتك إن لم تفعل نحملك إلى السلطان فنسلمك إليه فيقتلك فلما سمع قولهم قال والله قد وقعت فى كل شيء كنت احذر منه فقالوا له يا فتى انك والله لا تستطيع ان تكتم ما وجدت وجعل تمليخا ما يدرى ما يقول لهم وخاف حتى لم يجر على لسانه اليهم شيء فلما راوه لا يتكلم اخذوا كساءه فطرحوه فى عنقه وجعلوا يسحبونه فى سكك المدينة حتى سمع به من فيها وقيل قد اخذ رجل معه كنز فاجتمع عليه اهل المدينة وجعلوا ينظرون اليه ويقولون والله ما هذا الفتى من اهل هذه المدينة وما رأينا فيها قط وما نعرفه وجعل تمليخا لا يدرى ما يقول لهم وكان متيقنا ان اباه واخوته بالمدينة وانه من عظماء اهلها وانهم سيأتونه اذا سمعوا به فبينما هو قائم كالحيران ينتظر متى يأتيه بعض اهله

فيخلصه من أيديهم إذا اختطفوه وانطلقوا به إلى رئيس المدينة ومدبريها الذين يدبران أمرها وهما رجلان صالحان اسم احدهما اريوس واسم الاخر طنطيوس فلما انطلقوا به اليهما ظن تمليخا انه إنما ينطلق به إلى دقيانوس الجبار فجعل يلتفت يمينا شمالا وهو يبكي والناس يسخرون منه كما يسخرون من المجنون ثم رفع رأسه إلى السماء وقال اللهم إله السماء وإله الأرض أفرغ على اليوم صبرا او اولج معي روحا منك تايدني به عند هذا الجبار وجعل يقول في نفسه فرقوا بيني وبين اخوتي ياليتهم يعلمون ما لقيت وياليتهم ياتونني فنقوم جميعا بين يدي هذا الجبار فانا قد كنا تواثقنا على الايمان بالله وان لا نشرك به احدا ابدا ولا نفترق في حياة ولا موت فلما انتهى إلى الرجلين الصالحين اريوس وطنطيوس وراى انه لم يذهب إلى دقيانوس أفاق وذهب عنه البكاء وأخذ اريوس وطنطيوس الورقة ونظرا اليها وعجبا منها وقالا اين الكنز الذي وجدت يافتى فقال تمليخا ما وجدت كنزا ولكن هذا ورق اباءي ونقش هذه المدينة وضربها ولكن والله ما ادري ما شأني وما أقول لكم فقال له أحدهما ممن انت فقال تمليخا اما انا فكنت ارى اني من اهل هذه المدينة فقيل له ومن ابوك ومن يعرفك بها فاخبرهم باسم ابيه فلم يوجد من يعرفه ولا اباه فقال له احدهما انت رجل كذاب لا تنبئنا بالحق فلم يدر تمليخا ما يقول غير انه نكث بصره إلى الأرض فقال بعض من حوله هذا رجل مجنون وقال بعضهم ليس بمجنون ولكنه يحمق نفسه عمدا لكي ينفلت منكم فقال له احدهما ونظر اليه نظرا شديدا اتظن انا نرسلك ونصدقك بأن هذا مال أبيك ونقش هذه المدينة وضربها ولهذه الورقة اكثر من ثلثمائة سنة وأنت غلام شاب أتظن أنك تافكنا وتسخر بنا ونحن شيوخ شمط وخولك سراة هذه المدينة وولاة امرها وخزائن هذه المدينة بايدينا وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار وانني لاظنني سامر بك فتعذب عذابا شديدا اثم اوثقك حتى تعترف بهذا الكنز الذي وجدته فقال لهم تمليخا اخبروني عما اسألكم عنه قال انتم فعلتم ضدقتكم عما عندي فقالوا له سل لا نكتمك شيئا قال فما فعل الملك دقيانوس فقال ما نعرف على وجه الأرض من اسمه دقيانوس ولم يكن إلا ملك هلك في الزمان الأول وله دهر طويل وهلك بعده قرون كثيرة فقال تمليخا إني إذا لحيران وما يصدقني احد من الناس فيما أقول لقد كنا فتية على دين الواحد وأن الملك أكرهنا على عبادة الأصنام والذبح للطواغيت فهربنا منه عشية أمس فأتينا إلى الكهف الذي في جبل بنجلوس فنمنا فيه فلما انتبهنا خرجت لأشتري لأصحابي طعاما واتحسس الأخبار فاذا انا معكم كما ترون فانطلقوا معي إلى الكهف أريكم أصحابي فلما سمع اريوس قول تمليخا قال ياقوم لعل هذه آية من ايات الله جعلها الله عز وجل لكم على يد هذا الفتى فانطلقوا بنا معه حتى يرينا اصحابه فانطلق اريوس وطنطيوس ومعهما جميع أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف لينظروا اليهم فلما رأى الفتية أصحاب الكهف تمليخا قد احتبس عنهم بطعامهم وشرابهم عن القدر الذي كان ياتي فيه ظنوا انه قد اخذ وذهب به إلى ملكهم دقيانوس فبينما هم يظنون ذلك ويتخوفونه إذ سمعوا الأصوات وجلبة الخيل مصعدة فظنوا انهم رسل الجبار دقيانوس بعث بهم ليؤتى بهم فقاموا الى الصلاة وسلم بعضهم على بعض وأوصى بعضهم بعضا وقالوا انطلقوا بنا نات اخانا تمليخا فانه الآن بين يدي الجبار وهو ينظرنا حتى ناتيه فبينما هم يقولون ذلك وهم جلوس على هذه الحالة إذ هم باريوس وأصحابه وقوفا على باب الكهف فسبقهم تمليخا ودخل وهو يبكي فلما رأوه يبكي بكوا معه ثم سألوه عن خبره فقص عليهم الخبر كله فعرفوا انهم كانوا نياما بامر الله ذلك الزمن الطويل وانما اوقفوا ليكونوا آية للناس وتصديقا للبعث وليعلموا ان الساعة لا ريب فيها ثم دخل على أثر تمليخا اريوس فرأى تابوتا من نحاس مختوما بخاتم فضة فوقف على الباب ودعا جماعة من عظماء اهل المدينة وامر بفتح التابوت بحضرتهم فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوبا فيهما مكسلمينا ومخشلمينا وتمليخا ومرطنوس وكشطونس وبيرونس وديموس وبطيوس وقالوس والكلب اسمه قطمير كانوا فتية هربوا من ملكهم دقيانوس مخافة ان يفتنهم عن دينهم فدخلوا هذا الكهف فلما اخبر بمكانهم امر بالكهف فسد عليهم بالحجارة وانا كتبنا شأنهم وخبرهم

ليعلمه من بعدهم ان عثر بهم فلما قرؤه عجبوا وحمدوا الله سبحانه وتعالى الذى أراهم اية تدلهم على البعث ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسبيحه ثم دخلوا على الفتية الكهف فوجدوهم جلوسا مشرقة وجوههم لم تبل ثيابهم فخر اريوس وأصحابه سجدا لله وحمدوا الله سبحانه وتعالى الذى أراهم اية من اياته ثم كلم بعضهم بعضا وأخبرهم الفتية عن الذى لقوا من ملكهم دقيانوس ثم ان اريوس واصحابه بعثوا بريدا إلى ملكهم الصالح بيدروس ان عجل لعلك تنظر إلى اية من ايات الله جعلها الله على ملكك للناس اية لتكون لهم نورا وضياء وتصديقا للبعث وذلك ان فتية بعثهم الله وقد كان توفاهم منذ ثلثمائة سنة وأكثر فلما أتى الملك الخبر رجع عقله إليه وذهب همه وقال احمدك اللهم رب السموات والأرض واعبدك واسبح لك تطولت على ورحمتنى ولم تطفىء النور الذى جعلته لآبائى وللعبد الصالح بيدروس الملك ثم أخبر بذلك أهل مدينته فركب وركبوا معه حتى أتوا مدينة فسوس فتلقاهم أهلها وساروا معه نحو الكهف فلما صعد الجبل ورأى الفتية بيدروس فرحبهم وخر ساجدا على وجهه وقام بيدروس الملك قدامهم ثم اعتنقهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الأرض يسبحون الله ويحمدونه ثم قال الفتية لبيدروس الملك نستودعك الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته حفظك الله وحفظ ملكك ونعيذك بالله من شر الانس والجن فبينما الملك قائم إذا هم رجعوا إلى مضاجعهم فناموا وتوفى الله أنفسهم فقام الملك اليهم وجعل ثيابهم عليهم وامر أتان يجعل كل رجل منهم فى تابوت من ذهب فلما أمسى ونام أتوه فى منامه فقالوا له إنا لم نخلق من ذهب ولا فضة ولكنا خلقنا من تراب وإلى التراب نصير فاتركنا كما كنا فى الكهف على التراب حتى يبعثنا الله تعالى منه فامر الملك عند ذلك بتابوت مرساج فجعلوا فيه وحجبهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب ولم يقدر أحد ان يدخل عليهم وأمر الملك أن يتخذوا على باب الكهف مسجدا يصلى فيه وجعل لهم عيدا عظيما وامر ان يؤتى كل سنة وقيل ان تمليخا حمل إلى الملك الصالح فقال له الملك من أنت قال انا رجل من اهل هذه المدينة وذكر أنه خرج أمس او منذ أيام وذكر منزله واقرا مالم يعرفهم احد وكان الملك قد سمع ان فتية قد فقدوا فى الزمان الأول وان اسماءهم مكتوبة على لوح فى خزانته فدعا باللوح ونظر فى اسمائهم فاذا اسمه مكتوب وذكر اسماء الآخرين فقال تمليخا هم أصحابى فلما سمع الملك ركب ومن معه من القوم فلما أتوا باب الكهف قال تمليخا دعونى حتى ادخل على اصحابى فابشرهم فانهم ان راوكم معى ارعشوهم فدخل تمليخا فبشرهم فقبض الله روحه وارواحهم واعمى الملك واصحابه اثرهم فلم يهتدوا إليهم فذلك قوله عز وجل إذ اوى الفتية إلى الكهف اى صاروا إلى الكهف واسمه خيرم فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة اوهداية فى الدين وهيىء لنا اى يسر لنا من امرنا رشدا اى ما نلتمس منه رضاك وما فيه رشدنا وقال ابن عباس اى مخرجا من الغار فى سلامة * قوله سبحانه وتعالى (فضربنا على اذانهم) اى القينا عليهم النوم وقيل منعنا نفوذ الأصوات إلى مسامعهم فان النائم إذا سمع الصوت ينتبه (فى الكهف سنين عددا) اى إنما هم سنين كثيرة فان العدد يدل على الكثرة (ثم بعثناهم) اى من قومهم (لنعلم) اى علم مشاهدة ذلك ان الله عز وجل لم يزل عالما وإنما اراد ما تعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا إيمانا واعتبارا (اى الحزبين) اى الطائفتين (احصى لما لبثوا امدا) اى حفظ لما مكثوا فى كهفهم نياما وذلك ان اهل المدينة تنازعوا فى مدة لبثهم فى الكهف * قوله تعالى (نحن نقص عليك نبأهم بالحق) اى نقرا عليك خبرا صحاب الكهف بالحق اى بالصدق (إنهم فتية) اى شبان امنوا بربهم وزدناهم هدى) اى إيمانا وبصيرة (وربطنا على قلوبهم) اى شددنا على قلوبهم بالصبر والتثبيت وقويناهم بنور الايمان حتى صبروا على هجران دار قومهم ومفارقة ما كانوا عليه من خفض العيش وفروا بدينهم إلى الكهف (إذ قاموا) يعنى بين يدى دقيانوس الجبار حين عاتبهم على ترك عبادة الاصنام (فقالوا) اى الفتية (ربنا رب السموات والارض لن ندعوا من دونه إلها) إنما قالوا ذلك لأن قومهم كانوا يعبدون الأصنام (لقد قلنا إذا شططا) قال ابن عباس يعنى جورا وقيل كذبا يعنى دعونا غير الله (هؤلاء قومنا) يعنى أهل بلدهم (اتخذوا من دونه) اى من دون الله (الهة) يعنى اصناما

ينتبه (فى الكهف سنين عددا) أى أنمناهم سنين معدودة وذكر العدد على سبيل التأكيد وقيل ذكره يدل على الكثرة فان القليل لا يعد فى العادة (ثم بعثناهم) يعنى من نومهم (لنعلم) أى علم المشاهدة (أى الحزبين) أى الطائفتين (أحصى لما لبثوا أمدا) وذلك ان أهل القرية تنازعوا فى مدة لبثهم فى الكهف واختلفوا فى قوله احصى لما لبثوا حفظ لما مكثوا فى كهفهم نياما أمدا أى غاية وقال مجاهد عددا ونصبه على التفسير (نحن نقص عليك) نقرأ عليك (نبأهم) خبرأصحاب الكهف (بالحق) بالصدق (إنهم فتية) شبان (امنوا بربهم وزدناهم هدى) إيمانا وبصيرة (وربطنا) شددنا (على قلوبهم) بالصبر والتثبيت وقويناهم بنور الايمان حتى صبروا على هجران دار قومهم ومفارقة ما كانوا فيه من خفض العيش وفروا بدينهم إلى الكهف (إذ قاموا) بين يدى دقيانوس حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم (فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه إلها) قالوا ذلك لأن قومهم كانوا يعبدون الأوثان (لقد قلنا إذا شططا) يعنى ان دعونا غير الله لقد قلنا اذا شططا قال ابن عباس جورا وقال قتادة كذبا واصل الشطط والاسطاط مجاوزة القدر والافراط (هؤلاء قومنا) يعنى اهل بلدهم (اتخذوا من دونه) اى من دون الله (الهة) يعنى الاصنام يعبدونها

(لولا) أى هلا (يأتون عليهم) أى على عبادتهم (بسلطان بين) بحجة واضحة (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) وزعم أن له شريكا أو ولدا ثم قال بعضهم لبعض (وإذ اعتزلتموهم) يعنى قومكم (وما يعبدون إلا الله) قرأ ابن مسعود وما يعبدون من دون الله وأما القراءة المعروفة فمعناها أنهم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه الأوثان يقول إذ اعتزلتموهم وجميع ما يعبدون إلا الله فانكم لم تعتزلوا (فاووا إلى الكهف) فالجأوا اليه (ينشر لكم) يبسط لكم (ربكم من رحمته ويهيىء لكم) يسهل لكم (من امركم مرفقا) اى ما يعود اليه يسركم ورفقكم قرأ ابو جعفر ونافع وابن عامر مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء وقرأ الاخرون بكسر الميم وفتح الفاء ومعناهما واحد وهو ما يرتفق به الانسان قوله تعالى (وترى الشمس إذا طلعت تزاور) قرأ ابن عامر ويعقوب بسكون الزاى وتشديد الراء على وزن تحمر وقرأ أهل الكوفة بفتح الزاى خفيفة والف بعدها وقرأ الاخرون بتشديد الزاى وكلها بمعنى واحد اى تميل وتعدل (عن كهفهم ذات اليمين) اى جانب اليمين (وإذا غربت تقرضهم) اى تتركهم وتعدل عنهم (ذات الشمال) أصل القرض والقطع (وهم فى فجوة منه) اى متسع من الكهف وجمعها فجوات قال ابن قتيبة كان كهفهم مستقبل بنات نعش لا تقع فيه الشمس عند الطلوع ولا عند الغروب وفيما بين ذلك قال اختار الله لهم مضجعا فى مقناة لا تدخل عليهم الشمس فتؤذيهم بحرها وتغير الوانهم وهم (١٦٦) فى متسع ينالهم برد الريح ونسيمها ويدفع عنهم كرب الغار وغمومه وقال بعضهم هذا القول خطأ وهو ان الكهف كان مستقبل بنات نعش فكانت الشمس لا تقع عليهم ولكن الله صرف الشمس عنهم بقدرته وحال بينها وبينهم الا ترى انه قال (ذلك من ايات الله) من عجائب صنع الله ودلالات قدرته التى يعتبر بها (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل) اى من يضلله افى ولم يرشده (فلن تجد له وليا) معينا (مرشدا) قوله تعالى (وتحسبهم ايقاظا) اى منتبهين جمع يقظ ويقظ (وهم رقود) ينام جمع راقد مثل قاعد وقعود وانما اشتبه حالهم لانهم كانوا مفتحة اعينهم يتنفسون ولا يتكلمون (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال)

يعبدونها (لولا) أى هلا (يأتون عليهم) أى على عبادة الأصنام (بسلطان بين) أى بحجة واضحة وفيه تبكيت لان الاتيان بحجة على عبادة الأصنام محال (فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا) اى وزعم ان له شريكا او ولدا ثم قال بعضهم لبعض (وإذ اعتزلتموهم) يعنى قومكم (وما يعبدون إلا الله) وذلك انهم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه الأصنام والمعنى وإذ اعتزلتموهم وجميع ما يعبدون إلا الله فانكم لم تعتزلوا عبادته (فاووا إلى الكهف) اى الجأوا اليه (ينشر لكم) أى يبسط لكم (ربكم من رحمته ويهيىء) أى يسهل (لكم من أمركم مرفقا) اى ما يعود اليه يسركم ورفقكم * قوله سبحانه وتعالى (وترى الشمس إذا طلعت تزاور) اى وتميل وتعدل (عن كهفهم ذات اليمين) اى جانب اليمين (وإذا غربت تقرضهم) اى تتركهم وتعدل عنهم (ذات الشمال وهم فى فجوة منه) أى متسع من الكهف (ذلك من آيات الله) أى من عجائب صنعه ودلالات قدرته وذلك ان ما كان فى ذلك السمت تصيبهم الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم للكرامة وقيل ان باب الكهف شمالى مستقبل لبنات نعش فهم فى مقناة ابدا لا تقع الشمس عليهم عند الطلوع ولا عند الغروب ولا عند الاستواء فتؤذيهم بحرها ولكن اختار الله لهم مضجعا فى متسع ينالهم فيه برد الريح ونسيمها ويدفع عنهم كرب الغار وغمه وعلى هذا القول يكون معنى قوله ذلك من ايات الله اى ان شأنهم وحديثهم من آيات الله (من يهتد الله فهو المهتد) يعنى من أصحاب الكهف وفيه ثناء عليهم (ومن يضلل) أى ومن يضلله الله لم يرشده (فلن تجد له وليا) اى معينا (مرشدا) اى يرشده * قوله سبحانه وتعالى (وتحسبهم) خطاب لكل أحد (ايقاظا) اى منتبهين لأن أعينهم مفتحة (وهم رقود) أى نيام (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) قال ابن عباس كانوا يقلبون فى السنة مرة من جانب إلى جانب لئلا تأكل الأرض لحومهم قيل كانوا يقلبون فى يوم عاشوراء وقيل كانوا لهم فى السنة تقليبتان (وكلبهم باسط ذراعيه) قال ابن عباس كان كلبا اغر وعنه انه كان فوق القلطى ودون الكرزى والقلطى كلب صينى وقيل كان اصفر وقيل كان شديد الصفرة يضرب إلى حمرة وقال ابن عباس كان اسمه قطمير وقيل ريان وقيل صهيان وقيل ليس فى الجنة دواب سوى كلب اصحاب الكهف وحمار بلعم (بالوصيد) اى فناء الكهف وقيل عتبة الباب وكان الكلب

مرة للجنب الايمن ومرة للجنب الايسر قال ابن عباس كانوا يقلبون فى السنة مرة من جانب إلى جنب لئلا تأكل الأرض لحومهم قد وقيل كان يوم عاشوراء يوم تقلبهم وقال ابو هريرة كان لهم فى كل سنة تقلبان (وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) اكثر اهل التفسير على انه كان من جنس الكلاب وروى عن ابن جريج انه كان اسدا وسمى الاسد كلبا فان النبى صلى الله عليه وسلم دعا على عتبة بن ابى لهب فقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فافترسه اسد والاول المعروف قال ابن عباس كان كلبا اغر ويروى عنه فوق القلطى ودون الكرزى والقلط كلب صينى وقال مقاتل كان اصفر وقال القرظى كانت شدة صفرته تضرب إلى الحمرة وقال الكلبى لونه كالحليج وقيل لون الحجر قال ابن عباس اسمه قطمير وعن على اسمه ريان وقال الأوزاعى يثور وقال السدى يور وقال كعب صهبا قال خالد بن معدان ليس فى الجنة شىء من الدواب سوى كلب اصحاب الكهف وحمار بلعام قوله بالوصيد قال مجاهد والضحاك فناء الكهف وقال عطاء عتبة الباب وقال السدى الوصيد الباب وهو رواية عكرمة عن ابن عباس فان قيل لم يكن للكهف باب ولا عتبة قيل معناه موضع الباب والعتبة كان الكلب قد بسط ذراعيه وجعل عليهم قال السدى كان اصحاب الكهف إذا انقلبوا انقلب الكلب معهم وإذا انقلبوا إلى اليمين كسب الكلب اذنه اليمنى ورقد عليها وإذا انقلبوا الى الشمال كسر اذنه اليسرى ورقد عليها

(لو أطلعت عليهم) يا محمد (لو ليت منهم فرارا) لما ألبسهم الله من الهيبة حتى لا يصل إليهم أحد حتى يبلغ الكتاب أجله فيوقظهم الله تعالى من رقدتهم (ولملئت منهم رعبا) خوفا قرأ أهل الحجاز بتشديد اللام والآخرون بتخفيفها واختلفوا في أن الرعب كان لما ذا قيل من وحشة المكان وقال الكلبي لأن أعينهم كانت مفتحة كالمستيقظ الذي يريد ان يتكلم وهم نيام وقيل لكثرة شعورهم وطول أظفارهم ولتقلبهم من غير حس ولا شعور وقيل أن الله تعالى منعهم بالرعب لئلا يراهم أحد وروى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال غزونا مع معاوية نحو الروم فمررنا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف فقال معاوية لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم فقال ابن عباس رضي الله عنهم لقد منع ذلك من هو خير منك فقال لو أطلعت عليهم لو ليت منهم فرارا فبعث معاوية ناسا فقال اذهبوا فانظروا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فأحرقتهم قوله تعالى (وكذلك بعثناهم) أي كما نمناهم في الكهف وحفظنا أجسادهم من البلى على طول الزمان (١٦٧) فكذلك بعثناهم من النومة التي تشبه الموت (ليتساءلوا بينهم) ليسأل بعضهم بعضا واللام فيه لام العاقبة لأنهم لم يبعثوا للسؤال (قال قائل منهم) وهو رئيسهم مكسلمينا (كم لبثتم) في نومكم وذلك أنهم استكثروا طول نومهم ويقال انهم راعهم ما فاتهم من الصلاة (قالوا لبثنا يوما) وذلك انهم دخلوا الكهف غدوة فانتهوا حين انتهوا عشية فقالوا لبثنا يوما ثم نظروا وقد بقيت من الشمس بقية فقالوا (أو بعض يوم) فلما نظروا إلى طول شعورهم وأظفارهم علموا انهم لبثوا اكثر من يوم (قالوا ربكم اعلم بما لبثتم) وقيل ان مكسلمينا لما سمع الاختلاف بينهم قال دعوا الاختلاف ربكم اعلم بما لبثتم (فابعثوا احدكم) يعني تمليخا (بورقكم) هي الفضة مضروبة كانت او غير مضروبة (هذه إلى المدينة) قيل هي ترسوس وكان اسمها في الزمن الأول قبل الاسلام افسوس (فلينظر ايها ازكى طعاما) اى احل طعاما وقيل امروه ان يطلب ذبيحة مؤمن ولا تكون من ذبح من يذبح لغير الله وكان فيهم مؤمنون يخفون ايمانهم وقيل اطيب طعاما وجودا وقيل اكثر طعاما وارخصه (فليأتكم برزق منه) اى قوت وطعام تأكلونه (وليتلطف) اى ليترفق في الطريق وفي المدينة وليكن في ستر وكتمان (ولا يشعرن) اى ولا يعلمن (بكم احدا) أي من الناس (انهم إن يظهروا عليكم) أي يعلموا بمكانكم (يرجموكم) قيل معناه يشتموكم ويؤذوكم بالقول وقيل يقتلوكم وكان من عادتهم القتل بالحجارة وهو اخبث القتل وقيل يعذبوكم (او يعيدوكم في ملتهم) اى الكفر (ولن تفلحوا إذا ابدا) اى إن عدتم اليه * قوله عز وجل (وكذلك اعثرنا عليهم) اى اطلعنا الناس عليهم (ليعلموا ان وعد الله حق) يعني قوم بيدروس الذين انكروا البعث (وان الساعة لا ريب فيها) اى لا شك فيها انها آتية (إذ يتنازعون بينهم امرهم) قال ابن عباس في البنيان فقال المسلمون نبني عليهم مسجد يصلى فيه الناس لأنهم على ديننا

قد بسط ذراعيه ووجعل وجهه عليهم قيل كان ينقلب مع أصحابه فاذا انقلبوا ذات اليمين كسر الكلب أذنه اليمنى ورقد عليها وإذا انقلبوا ذات الشمال كسر اذنه اليسرى ورقد عليها (لو أطلعت عليهم) يا محمد (لو ليت منهم فرارا) وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة حتى لا يصل إليهم أحد حتى يبلغ الكتاب أجله فيوقظهم الله من رقدتهم (ولملئت منهم رعبا) اى وحشة المكان وقيل أن أعينهم مفتحة كالمتيقظ الذي يريد ان يتكلم وهم نيام وقيل لكثرة شعورهم وطول أظفارهم ولتقلبهم من غير حس ولا اشعار وقيل ان الله سبحانه وتعالى منعهم بالرعب لئلا يراهم احد قال ابن عباس غزونا مع معاوية نحو الروم فمررنا بالكهف الذي فيه اصحاب الكهف فقال معاوية لو كشف الله لنا عن هؤلاء ونظرنا إليهم فقال ابن عباس قد منع ذلك من هو خير منك فقيل له لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فبعث معاوية ناسا فقال اذهبوا فانظروا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فأحرقتهم * قوله سبحانه وتعالى (وكذلك بعثناهم) يعني كما نمناهم في الكهف وحفظنا اجسامهم من البلى على طول الزمان بعثناهم من النومة التي تشبه الموت (ليتساءلوا بينهم) اى ليسأل بعضهم بعضا (قال قائل منهم) وهو رئيسهم وكبيرهم مكسلمينا (كم لبثتم) اى في نومكم وذلك انهم استكثروا طول نومهم وقيل انهم راعهم ما فاتهم من الصلاة فقالوا (قالوا لبثنا يوما) ثم نظروا فوجدوا الشمس قد بقي منها بقية فقالوا (او بعض يوم) فلما نظروا إلى طول شعورهم واظفارهم علموا انهم لبثوا اكثر من يوم (قالوا ربكم اعلم بما لبثتم) وقيل ان مكسلمينا لما سمع الاختلاف بينهم قال دعوا الاختلاف ربكم اعلم بما لبثتم (فابعثوا احدكم) يعني تمليخا (بورقكم) هي الفضة مضروبة كانت او غير مضروبة (هذه إلى المدينة) قيل هي ترسوس وكان اسمها في الزمن الأول قبل الاسلام افسوس (فلينظر ايها ازكى طعاما) اى احل طعاما وقيل امروه ان يطلب ذبيحة مؤمن ولا تكون من ذبح من يذبح لغير الله وكان فيهم مؤمنون يخفون ايمانهم وقيل اطيب طعاما وجودا وقيل اكثر طعاما وارخصه (فليأتكم برزق منه) اى قوت وطعام تأكلونه (وليتلطف) اى ليترفق في الطريق وفي المدينة وليكن في ستر وكتمان (ولا يشعرن) اى ولا يعلمن (بكم احدا) أي من الناس (انهم إن يظهروا عليكم) أي يعلموا بمكانكم (يرجموكم) قيل معناه يشتموكم ويؤذوكم بالقول وقيل يقتلوكم وكان من عادتهم القتل بالحجارة وهو اخبث القتل وقيل يعذبوكم (او يعيدوكم في ملتهم) اى الكفر (ولن تفلحوا إذا ابدا) اى إن عدتم اليه * قوله عز وجل (وكذلك اعثرنا عليهم) اى اطلعنا الناس عليهم (ليعلموا ان وعد الله حق) يعني قوم بيدروس الذين انكروا البعث (وان الساعة لا ريب فيها) اى لا شك فيها انها آتية (إذ يتنازعون بينهم امرهم) قال ابن عباس في البنيان فقال المسلمون نبني عليهم مسجد يصلى فيه الناس لأنهم على ديننا

واحد وهي الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة (إلى المدينة) قيل هي طرسوس وكان اسمها في الجاهلية أنسوس فسموها في الاسلام طرسوس (فلينظر أيها ازكى طعاما) اى أحل طعاما حتى لا يكون من غصب أو سبب حرام وقيل امروه ان يطلب ذبيحة مؤمن ولا يكون من ذبيحة من يذبح لغير الله وكان فيهم مؤمنون يخفون ايمانهم وقال الضحاك أطيب طعاما وقال مقاتل بن حيان أجود طعاما وقال عكرمة اكثر وأصل الزكاة الزيادة وقيل أرخص طعاما (فليأتكم برزق منه) اى قست وطعام تأكلونه (وليتلطف) وليترفق في الطريق وفي المدينة وليكن في ستر وكتمان (ولا يشعرون) ولا يعلمن (بكم احدا) من الناس (انهم ان يظهروا عليكم) أي يعلموا بمكانكم (يرجموكم) قال ابن جريج يشتموكم ويؤذوكم بالقول وقيل يقتلوكم وقيل كان من عادتهم القتل بالحجارة وهو أخبث القتل وقيل يضربوكم (أو يعيدوكم في ملتهم) أي إلى الكفر (ولن تفلحوا إذا أبدا) ان عدتم إليه قوله عز وجل (وكذلك اعثرنا) أي اطلعنا (عليهم) يقال عثرت على الشيء إذا أطلعت عليه وأعثرت غيري اى اطلعته (ليعلموا أن وعد الله حق) يعني اصحاب بيدروس الذين أنكروا البعث (وأن الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم

أمرهم) قال ابن عباس يتنازعون في البنيان فقال المسلمون تبنى عليهم مسجدا يصلى فيه الناس لانهم على ديننا وقال المشركون نبنى عليهم بنيانا لأنهم من اهل ديننا وقال عكرمة تنازعوا في البعث فقال المسلمون البعث للاجساد والأرواح وقال قوم للارواح دون الأجساد فبعثهم الله تعالى وأراهم ان البعث للاجساد والارواح وقيل تنازعوا في مدة لبثهم وقيل في عددهم (فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم) بيدروس الملك واصحابه (لنتخذن عليهم مسجدا سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم) روى ان السيد والعاقب واصحابهما من نصارى اهل نجران كانوا عند النبي ﷺ فجرى ذكر اصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة ثامنهم كلبهم فحقق الله قول المسلمين بعد ما حكى قول النصارى فقال سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم (ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب) اى ظنا وحدسا من غير يقين ولم يقل هذا في حق السبعة فقال (ويقولون) يعنى المسلمون (سبعة ثامنهم كلبهم) اختلفوا (١٦٨) في الواو في قوله وثامنهم قيل تركها وذكرها سواء وقيل هي واو الحكم والتحقيق كانه حكى اختلافهم وتم الكلام عند قوله ويقولون سبعة ثم حقق هذا القول بقوله وثامنهم كلبهم والثامن لا يكون إلا بعد السابع وقيل هذه واو الثمانية وذلك ان العرب تعد فتقول واحد اثنان ثلاثة اربعة خمسة ستة سبعة وثمانية لان العقد كان عندهم سبعة كما هو اليوم عندنا عشرة نظيره قوله تعالى التائبون العابدون الحامدون إلى قوله والناهون عن المنكر وقال في ازواج النبي ﷺ عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وابكارا (قل ربي أعلم بعدتهم) أي بعددهم (ما يعلمهم إلا قليل) اى إلا قليل من الناس قال ابن عباس انا من القليل كانوا سبعة وقال محمد بن اسحق كانوا ثمانية قرأ وثامنهم كلبهم اى حافظهم والصحيح هو الاول وروى عن ابن عباس انه قال هم مكسلينا وتمليخا ومرطونس وبينونس وساربنونس بعضهم وذو نواس وكشفيططونس وهو الراعي والكلب قطمير (فلا تمار فيهم) اى لا تقاتل ولا تقل في عددهم وشأنهم (إلا مراء ظاهرا) إلا بظاهر ما قصصنا عليك يقول بحسبك ما قصصت عليك فلا تزد عليه وقف عنده (ولا تستفت فيهم منهم) من اهل الكتاب (احدا) اى لا ترجع إلى قولهم بعد ان اخبرناك (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا ان يشاء الله) يعنى إذا عزمت على ان تفعل غدا شيئا فلا تقل افعل غدا حتى تقول إن شاء الله وذلك ان اهل مكة سألوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين فقال اخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فلبث الوحي اياما ثم نزلت هذه الاية (واذكر ربك إذا نسيت) قال ابن عباس ومجاهد والحسن معناه إذا نسيت الاستثناء ثم ذكرت فاستثن وجوز ابن عباس الاستثناء المنقطع وإن كان إلى سنة وجوزه الحسن ما دام في المجلس وجوزه بعضهم إذا قرب الزمان فان بعد فلا يصح ولم يجوزه جماعة حتى يكون الكلام متصلا بالكلام وقال عكرمة معنى الاية واذكر ربك إذا غضبت وقال وهب مكتوب في الإنجيل ابن آدم اذكرني حين

وقال المشركون نبنى بنيانا لانهم على ملتنا وقيل كان تنازعهم في البعث فقال المسلمون تبعث الاجساد والارواح وقال قوم تبعث الارواح فأراهم الله آية وان البعث للارواح والاجساد وقيل تنازعوا في مدة لبثهم وقيل في عددهم (فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم) يعنى بيدروس واصحابه (لنتخذن عليهم مسجدا) * قوله تعالى (سيقولون ثلاثة رابعهم) روى ان السيد والعاقب واصحابهما من نصارى نجران كانوا عند النبي ﷺ فجرى ذكر اصحاب الكهف عندهم فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم (كلبهم ويقولون) اى وقال العاقب وكان نسطوريا (خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون) وقال المسلمون (سبعة وثامنهم كلبهم) فحقق الله قول المسلمين وإنما عرفوا ذلك باخبار رسول الله ﷺ على لسان جبريل ﷺ بعد ما حكى قول النصارى اولا ثم اتبعه بقوله سبحانه وتعالى رجما بالغيب اى ظنا وحدسا من غير يقين ولم يقل ذلك في السبعة وتخصيص الشيء بالوصف يدل على ان الحال في الباقي بخلافه فوجب ان يكون المخصوص بالظن هو قول النصارى وان يكون قول المسلمين مخالفا لقول النصارى في كونه رجما بالغيب وظنا ثم اتبعه بقوله سبحانه وتعالى (قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل) هذا هو الحق لان العلم بتفاصيل العوالم والكائنات فيه في الماضي والمستقبل لا يكون إلا لله تعالى او من اخبره الله سبحانه وتعالى بذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما انا من اولئك القليل كانوا سبعة وهم مكسلينا (١) وتمليخا ومرطونس وبينونس وساربنونس ودانواس وكسطنونس وهو الراعي واسم كلبهم قطمير (فلا تمار فيهم) اى لا تجادل ولا تقل في عددهم وشأنهم (إلا مراء ظاهرا) اى إلا بظاهر ما قصصنا عليك فقف عنده ولا تزد عليه (ولا تستفت فيهم) اى في اصحاب الكهف (منهم) اى من اهل الكتاب (احدا) اى لا ترجع إلى قول احد منهم بعد ان اخبرناك قصتهم * قوله سبحانه وتعالى (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا ان يشاء الله) يعنى إذا عزمت على فعل شيء غدا فقل إن شاء الله ولا تقله بغير استثناء وذلك ان اهل مكة سألوا رسول الله ﷺ عن الروح وعن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين فقال اخبركم غدا ولم يقل إن شاء الله فلبث الوحي اياما ثم نزلت هذه الاية وقد تقدمت القصة في سورة بني اسرائيل (واذكر ربك إذا نسيت) قال ابن عباس معناه إذا نسيت الاستثناء ثم ذكرت فاستثن وجوز ابن عباس الاستثناء المنقطع وإن كان بعد سنة وجوزه الحسن ما دام في المجلس وجوزه

(١) قوله مكسلينا الخ وقع اختلاف كبير في اسمائهم وذكر في القاموس في ذلك ثلاثة اقوال فليراجع

تغضب أذكرك حين أغضب وقال الضحاك والسدى هذا فى الصلاة أخبرنا عبد الواحد المليحى أنبأنا الحسن بن احمد المخلدى ثنا عبد الواحد بو العباس السراج ثنا قتيبة ثنا أبو عوانة عن قتادة عن أنس قال قال النبى ﷺ من نسى صلاة فليصلها إذا ذكرها (وقل عسى أن يهدين ربى لاقرب من هذا رشدا) اى يثبتنى على طريق هو اقرب اليه وارشد وقيل امر الله نبيه ان يذكره إذا نسى شيئا ويسأله ان يهديه لما هو خير له من ذكر ما نسيه ويقال هو ان القوم لما سالوه عن قصة اصحاب الكهف على وجه العناد امره الله عز وجل ان يخبرهم ان الله سيؤتيه من الحجج على صحة نبوته ماهو ادل لهم من قصة اصحاب الكهف وقد فعل حيث اتاه من علم الغيب حال المرسلين ما كان اوضح لهم فى الحجة واقرب إلى الرشد من خبر اصحاب الكهف وقال بعضهم هذا شىء امر ان يقوله مع قوله إن شاء الله إذا ذكر الاستثناء بعد النسيان وإذا نسى الانسان إن شاء الله فتوبته من ذلك ان يقول عسى ان يهدين ربى لاقرب من هذا رشدا قوله عز وجل (ولبثوا فى (١٦٩) كهفهم) يعنى اصحاب الكهف قال بعضهم هذا خبر عن اهل الكتاب انهم قالوا ذلك ولو كان خبرا من الله عز وجل عن قدر لبثهم لم يكن لقوله قل الله اعلم بما لبثوا وجه وهذا قول قتادة ويدل عليه قراءة ابن مسعود وقالوا لبثوا فى كهفهم ثم رد الله تعالى عليهم فقال قل الله اعلم بما لبثوا وقال الاخرون هذا إخبار من الله تعالى عن قدر لبثهم فى الكهف وهو الاصح واما قوله قل الله اعلم بما لبثوا فمعناه ان الأمر من مدة لبثهم كما ذكرنا فان يازعوك فيها فاجبهم وقل الله اعلم بما لبثوا اى هو اعلم منكم وقد اخبر بمدة لبثهم وقيل إن اهل الكتاب قالوا إن المدة من حين دخلوا الكهف إلى يومنا هذا وهو اجتماعهم برسول الله ﷺ ثلثمائة وتسع سنين فرد الله عليهم بذلك وقال قل الله اعلم بما لبثوا يعنى بعد قبض ارواحهم إلى يومنا هذا لا يعلمه إلا الله * فان قلت لم قال سنين ولم يقل سنة * قلت قيل لما نزل قوله سبحانه وتعالى ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة فقالوا أياما أو شهورا أو سنين فنزلت سنين على وفق قولهم وقيل هو تفسير لما اجمل فى قوله فضربنا على اذانهم فى الكهف سنين عددا وازدادوا تسعا وقيل قالت نصارى نجران اما ثلثمائة فقد عرفناها وأما التسع فلا علم لنا بها فنزلت قل الله اعلم بما لبثوا وقيل إن عند اهل الكتاب لبثوا ثلثمائة سنة شمسية والله سبحانه وتعالى ذكر ثلثمائة سنة وتسع سنين قمرية والتفاوت بين القمرية والشمسية فى كل مائة سنة ثلاث سنين فتكون الثلثمائة الشمسية ثلثمائة وتسع سنين قمرية) له غيب السموات والارض) يعنى الله سبحانه وتعالى لا يخفى عليه من احوال اهلها فانه العالم وحده به فكيف يخفى عليه حال اصحاب الكهف (أبصر به واسمع) معناه ما ابصر الله بكل موجود واسمعه بكل مسموع لا يغيب عن سمعه وبصره شىء يدرك البواطن كما يدرك الظواهر والقريب والبعيد والمحجوب وغيره لا تخفى عليه خافية (مالهم) أى مالأهل السموات والارض (من دونه) اى من دون الله (من ولى) اى ناصر

ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا) قيل هذا خبر عن قول اهل الكتاب ولو كان خبرا من الله عن قدر لبثهم لم يكن لقوله قل الله اعلم بما لبثوا وجه ولكن الله رد قولهم بقوله (قل الله اعلم بما لبثوا) والاصح انه اخبار من الله تعالى عن قدر لبثهم فى الكهف ويكون معنى قوله قل الله اعلم بما لبثوا يعنى إن نازعوك فى مدة لبثهم فى الكهف فقل انت الله اعلم بما لبثوا أى هو اعلم منكم وقد اخبر بمدة لبثهم وقيل إن اهل الكتاب قالوا إن المدة من حين دخلوا الكهف إلى يومنا هذا وهو اجتماعهم برسول الله ﷺ ثلثمائة وتسع سنين فرد الله عليهم بذلك وقال قل الله اعلم بما لبثوا يعنى بعد قبض ارواحهم إلى يومنا هذا لا يعلمه إلا الله * فان قلت لم قال سنين ولم يقل سنة * قلت قيل لما نزل قوله سبحانه وتعالى ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة فقالوا أياما أو شهورا أو سنين فنزلت سنين على وفق قولهم وقيل هو تفسير لما اجمل فى قوله فضربنا على اذانهم فى الكهف سنين عددا وازدادوا تسعا وقيل قالت نصارى نجران اما ثلثمائة فقد عرفناها وأما التسع فلا علم لنا بها فنزلت قل الله اعلم بما لبثوا وقيل إن عند اهل الكتاب لبثوا ثلثمائة سنة شمسية والله سبحانه وتعالى ذكر ثلثمائة سنة وتسع سنين قمرية والتفاوت بين القمرية والشمسية فى كل مائة سنة ثلاث سنين فتكون الثلثمائة الشمسية ثلثمائة وتسع سنين قمرية) له غيب السموات والارض) يعنى الله سبحانه وتعالى لا يخفى عليه من احوال اهلها فانه العالم وحده به فكيف يخفى عليه حال اصحاب الكهف (أبصر به واسمع) معناه ما ابصر الله بكل موجود واسمعه بكل مسموع لا يغيب عن سمعه وبصره شىء يدرك البواطن كما يدرك الظواهر والقريب والبعيد والمحجوب وغيره لا تخفى عليه خافية (مالهم) أى مالأهل السموات والارض (من دونه) اى من دون الله (من ولى) اى ناصر

ثلثمائة بلا تنوين وقرأ الآخرون بالتنوين فان قيل لم قال ثلثمائة سنين ولم يقل سنة قيل نزل قوله ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة فقالوا اياما او شهورا او سنين فنزلت سنين قال الفراء ومن العرب من يضع سنين فى موضع سنة وقيل معناه ولبثوا فى كهفهم سنين ثلثمائة (وازدادوا تسعا) قال الكلبى قالت نصارى نجران اما ثلثمائة فقد عرفنا واما التسع فلا علم لنا بها فنزلت (قل الله اعلم بما لبثوا) روى عن على انه قال عند اهل الكتاب انهم لبثوا ثلثمائة شمسية والله تعالى ذكر ثلثمائة قمرية والتفاوت بين الشمسية والقمرية فى كل مائة سنة ثلاث سنين فيكون فى ثلثمائة تسع سنين فلذلك قال وازدادوا تسعا (له غيب السموات والأرض) فالغيب ما يغيب عن ادراكك والله عز وجل لا يغيب عن ادراكه شىء (ابصر به واسمع) اى ما ابصر الله بكل موجود واسمعه لكل مسموع اى لا يغيب عن سمعه وبصره شىء (مالهم) اى مالاهل السموات والأرض (من دونه) اى من دون الله (من ولى) ناصر

(ولا يشرك فى حكمه أحداً) قرأ ابن عامر ويعقوب ولا تشرك بالتاء على المخاطبة والنهى وقرأ الآخرون بالياء أى لا يشرك الله فى حكمه أحداً وقيل الحكم هنا علم الغيب أى لا يشرك فى علم غيبه أحداً قوله عز وجل (واتل) أى واقرأ يا محمد (ما أوحى اليك من كتاب ربك) يعنى القرآن واتبع ما فيه (لا مبدل لكلماته) قال الكلبى لا مغير للقرآن وقيل لا مغير لما أنى عد بكلماته أهل معاصيه (ولن تجد) أنت (من دونه) إن لم تتبع القرآن (ملتحدا) قال ابن عباس رضى الله عنهما حرزا وقال الحسن مدخلا وقال مجاهد ملجأ وقيل معدلا وقيل مهربا وأصله من الميل قوله عز وجل (واصبر نفسك) الآية نزلت فى عيينة بن حصن الفزارى اتى النبى ﷺ قبل أن يسلم وعنده جماعة من الفقراء فهم سلمان وعليه شملة قد عرق فيها وبيده خوصة يشقها وينسجها فقال عيينة للنبى ﷺ أما يؤذيك ريح هؤلاء ونحن سادات مضر وأشرافها فان أسلمنا أسلم الناس وما يمنعنا من اتباعك إلا هؤلاء فنحهم حتى نتبعك أو اجعل لنا مجلسا ولهم مجلسا فانزل الله عز وجل واصبر نفسك أى احبس يا محمد نفسك (مع الذين يدعون ربهم (١٧٠) بالغداة والعشى) طرفى النهار (يريدون وجهه) أى يريدون الله لا يريدون به عرضا من الدنيا قال قتادة نزلت فى اصحاب الصفة وكانوا سبعمائة رجل فقراء فى مسجد رسول الله ﷺ لا يرجعون إلى تجارة ولا إلى زرع ولا ضرع يصلون صلاة وينتظرون أخرى فلما نزلت هذه الاية قال النبى ﷺ الحمد لله الذى جعل فى امتى من أمرت أن أصبر نفسى معهم (ولا تعد) أى لا تصرف ولا تتجاوز (عيناك عنهم) إلى غيرهم (تريد زينة الحياة الدنيا) أى طلب مجالسة الأغنياء والأشراف وصحبة أهل الدنيا (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) أى جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا يعنى عيينة بن حصن وقيل أمية ابن خلف (واتبع هواه) أى مراده فى طلب الشهوات (وكان أمره فرطا) قال قتادة ومجاهد ضياعا وقيل معناه ضيع أمره وعطل أيامه وقيل ندما وقال مقاتل بالقساطيط ابن حيان سرفا وقال الفراء متروكا وقيل باطلا وقيل مخالفا للحق وقال الاخفش مجاوزا للحد قيل معنى التجاوز فى الحد هو قول عيينة أن أسلمنا أسلم الناس وهذا إفراط عظيم (وقل الحق من ربكم) أى ما ذكر من الايمان والقرآن معناه قل يا محمد لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا ايها الناس الحق من ربكم واليه التوفيق والخذلان وبيده الهدى والضلال ليس إلى من ذلك شىء (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) هذا على طريق التهديد والوعيد كقوله اعملوا ما شئتم وقيل معنى الاية وقل الحق من ربكم ولست بطارد المؤمنين لهواكم فان شئتم فامنوا وان شئتم فاكفروا فان كفرتم فقد اعد لكم ربكم نارا احاط بكم سرادقها وإن امنتم فلكم ما وصف الله عز وجل لاهل طاعته وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى معنى الاية من شاء الله الايمان امن ومن شاء له الكفر كفر وهو قوله وما تشاؤن إلا أن يشاء الله (إنا اعتدنا) اعددنا وهيأنا من العتاد وهو العدة (للظالمين) للكافرين (نارا أحاط بهم سرادقها) السرادق الحجرة التى تطيف بالفساطيط

(ولا يشرك فى حكمه أحداً) قيل معناه لا يشرك الله فى علم غيبة أحداً وقيل فى قضائه * قوله تعالى (واتل) اى واقرأ يا محمد (ما أوحى اليك من كتاب ربك) يعنى القران واتبع ما فيه واعمل به (لا مبدل لكلماته) اى لا مغير للقران ولا يقدر احد على التطرق اليه بتغيير أو تبديل * فان قلت موجب هذا ان لا يتطرق النسخ اليه * قلت النسخ فى الحقيقة ليس بتبديل لأن المنسوخ ثابت فى وقته إلى وقت طريان الناسخ فالناسخ كالمغاير فكيف يكون تبديلا وقيل معناه لا مغير لما اوعد الله بكلماته أهل معاصيه (ولن تجد من دونه) اى من دون الله إن لم تتبع القران (ملتحدا) اى ملجأ وحرزا تعدل اليه * قوله عز وجل (واصبر نفسك) الاية نزلت فى عيينة بن حصن الفزارى اتى النبى ﷺ قبل ان يسلم وعنده جماعة من الفقراء ومنهم سلمان وعليه شملة صوف قد عرق فيها وبيده خوص يشقه وينسجه فقال عيينة للنبى ﷺ اما يؤذيك ريح هؤلاء ونحن سادات مضر وأشرافها ان اسلمنا اسلم الناس وما يمنعنا من أتباعك إلا هؤلاء فنحهم حتى نتبعك أو اجعل لنا مجلسا فانزل الله عز وجل واصبر نفسك اى احبس يا محمد نفسك (مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى) يعنى طرفى النهار (يريدون وجهه) أى يريدون وجه الله لا يريدون عرض الدنيا وقيل نزلت فى أصحاب الصفة وكانوا سبعمائة رجل فقراء فى مسجد رسول الله ﷺ لا يرجعون إلى تجارة ولا إلى زرع ولا ضرع يصلون صلاة وينتظرون أخرى فلما نزلت هذه الاية قال النبى ﷺ الحمد لله الذى جعل فى امتى من أمرت أن أصبر نفسى معهم (ولا تعد) أى لا تصرف ولا تجاوز (عيناك عنهم) إلى غيرهم (تريد زينة الحياة الدنيا) أى تطلب مجالسة الاغنياء والأشراف وصحبة أهل الدنيا (ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا) أى جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا يعنى عيينة بن حصن وقيل أمية بن خلف (واتبع هواه) أى فى طلب الشهوات (وكان أمره فرطا) ضياعا ضيع أمره وعطل أيامه وقيل ندما وقيل سرفا وباطلا وقيل مخالفا للحق (وقل الحق من ربكم) أى قل يا محمد لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا من ربكم الحق واليه التوفيق والخذلان وبيده الهدى والضلال ليس إلى من ذلك شىء (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) هذا على طريق التهديد والوعيد كقوله اعملوا ما شئتم وقيل معنى الاية وقل الحق من ربكم أى لست بطارد المؤمنين لهواكم فان شئتم فامنوا وإن شئتم فاكفروا فان كفرتم فقد اعد لكم ربكم نارا وإن امنتم فكم ما وصف الله لاهل طاعته وعن ابن عباس فى معنى الاية من شاء الله له الايمان امن ومن شاء له الكفر كفر (إنا اعتدنا) أى هيانا من العتاد وهو العدة (للظالمين) أى للكافرين (نارا احاط بهم سرادقها) السرادق الحجرة التى تطيف

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنبأنا محمد بن أحمد بن الحارث أنبأنا محمد بن يعقوب الكسائي أنبأنا عبد الله بن محمود أنبأنا إبراهيم ابن عبد الله الخلال أنبأ عبد الله بن المبارك عن رشدين بن سعد حدثني عمرو بن الحارث عن دراج بن أبي السمح عن أبي الهيثم بن عبد الله عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال سرادق النار أربعة جدر كثف كل جدار مثل مسيرة أربعين سنة قال ابن عباس هو حائط من نار وقال الكلبي هو عنق يخرج من النار فيحيط بالكفار كالحظيرة وقيل هو دخان يحيط بالكفار وهو الذي ذكره الله تعالى انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب (وإن يستغيثوا) من شدة العطش (يغاثوا بماء كالمهل) أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنبأنا محمد بن أحمد بن الحارث أنبأنا محمد بن يعقوب الكسائي أنبأنا عبد الله بن محمد أنبأنا إبراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن رشيدين بن سعد ثنا عمرو بن الحارث عن دراج بن أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال بماء كالمهل قال كعكر الزيت فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه فيه وقال ابن عباس هو ماء غليظ مثل دردي الزيت وقال مجاهد هو القيح والدم وسئل ابن مسعود عن المهل فدعا بذهب وفضة فأوقد عليهما النار حتى ذابا ثم قال هذا أشبه شيء بالمهل (يشوي الوجوه) ينضج الوجوه (١٧١) من حره (بئس الشراب وساءت)

بالفساطيط عن أبي سعيد الخدر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سرادق النار أربعة جدر كثف كل جدار أربعون سنة أخرجه الترمذي قال ابن عباس هو حائط من نار وقيل هو عنق يخرج من النار فيحط بالكفار كالحظيرة وقيل هو دخان يحيط بالكفار (وإن يستغيثوا) أي من شدة العطش (يغاثوا بماء كالمهل) قال ابن عباس هو ماء غليظ مثل دردي الزيت عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال في قوله سبحانه وتعالى بماء كالمهل قال كعكر الزيت فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه منه أخرجه الترمذي وقال رشد بن أحد رواة الحديث قد تكلم فيه من قبل حفظه الفروة جلدة الوجه وقيل المهل الدم والقيح وقيل هو الرصاص والصفر المذاب (يشوي الوجوه) أي ينضج الوجوه من حره (بئس الشراب) أي ذلك الذي يغاثون به (وساءت) أي النار (مرتفقا) قال ابن عباس رضي الله عنهما منزلا وقيل مجتمعا وأصل المرتفق المتكأ وإنما جاء كذلك لمشاكلة قوله وحسنت مرتفقا وإلا فلا ارتفاق لأهل النار ولا متكأ * قوله عز وجل (إن الذين امنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا) أي لا نترك أعمالهم تذهب ضياعا بل نجازيهم بأعمالهم الصالحة وقيل ان قوله إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا كلام معترض وتقديره ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات (أولئك لهم جنات عدن) أي دار إقامة سميت عدنا لخلود المؤمنين فيها (تجري من تحتهم الأنهار) وذلك لأن أفضل الماكن ما كان يجري فيه الماء (يحلون فيها من أساور من ذهب) قيل يحلى كل انسان منهم ثلاثة أساور سوار من ذهب لهذه الاية وسوار من فضة لقوله تعالى وحلوا أساور من فضة وسوار من لؤلؤ لقوله ولؤلؤ أو لباسهم فيها حرير (ويلبسون ثيابا خضرا من سندس) هو الديباج الرقيق (واستبرق) هو الديباج الصفيق الغليظ وقيل السندس المنسوج بالذهب (متكئين) خص الاتكاء لأنه هيئة المتنعمين والملوك (فيها) أي في الجنة (على الارائك) جمع اريكة وهي السرور في الحجال ولما وصف الله سبحانه وتعالى هذه الاشياء قال (نعم الثواب) أي نعم الجزاء (وحسنت) اي الجنات (مرتفقا) أي مقرا ومجلسا والمراد بقوله وحسنت مرتفقا مقابلة ما تقدم ذكره من قوله سبحانه وتعالى وساءت مرتفقا * قوله عز وجل (واضرب لهم مثلا رجلين) قيل نزلت في أخوين من أهل مكة من بني مخزوم وهما أبو سلمة عبد الله بن عبد الاسد بن عبد يا ليل وكان

النار (مرتفقا) قال ابن عباس منزلا وقال مجاهد مجتمعا وقال عطاء مقرا وقال القتيبي مجلسا وأصل المرتفق المتكأ قوله تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا) فان قيل اين جواب قوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات قيل جوابه قوله اولئك لهم جنات عدن تجري واما قوله إنا لا نضيع فكلام معترض وقيل فيه اضمار معناه ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات فانا لا نضيع أجرهم بل نجازيهم ثم ذكر الجزاء فقال (اولئك لهم جنات عدن) أي إقامة يقال عدن فلان بالمكان إذا أقام به سميت عدنا لخلود المؤمنين فيها (تجري من تحتهم الانهار يحلون فيها من

أساور من ذهب) قال سعيد بن جبير يحلى كل واحد منهم ثلاثة أساور واحد من ذهب وواحد من فضة وواحد من لؤلؤ ويواقيت (ويلبسون ثيابا خضرا من سندس) وهو ما رق من الديباج (واستبرق) وهو ما غلظ منه ومعنى الغلظ في ثياب الجنة احكامه وعن ابي عمر ان الجوني قال السندس هو الديباج المنسوج بالذهب (متكئين فيها) في الجنان (على الارائك) وهي السرور في الحجال واحدتها اريكة (نعم الثواب) اي نعم الجزاء (وحسنت) الجنان (مرتفقا) اي مجلسا ومقرا (واضرب لهم مثلا رجلين) الاية قيل نزلت في اخوين من أهل مكة من بني مخزوم احدهما مؤمن وهو أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن عبد يا ليل وكان زوج أم سلمة قبل النبي ﷺ والاخر كافر وهو الأسود بن عبد الاسد بن عبد يا ليل وقيل هذا مثل لعيينة بن حصن وأصحابه مع سلمان واصحابه شبههما برجلين من بني إسرائيل اخوين احدهما مؤمن واسمه يهوذا في قول ابن عباس وقال مقاتل تمليخا والاخر كافر واسمه قطروس وقال وهب، قطفيروها اللذان وصفهما الله تعالى في سورة والصافات وكانت قصتهما على ما حكى عبد الله بن المبارك عن معمر عن عطاء الخراساني قال كان رجلان شريكين لهما ثمانية الاف دينار وقيل كانا أخوين ورثا من ابيهما ثمانية الاف دينار فاقتسماها فعمد احدهما فاشترى ارضا بألف دينار فقال صاحبه اللهم ان فلانا قد اشترى أرضا بألف دينار فاني اشتري منك ارضا في الجنة بألف دينار فتصدق بألف دينار ثم ان صاحبه بنى دارا بألف دينار فقال

هذا اللهم إن فلانا بنى دارا بألف دينار فانى اشترى منك دارا فى الجنة بالف دينار فتصدق بذلك ثم تزوج صاحبه امرأة فانفق عليها الف دينار فقال هذا المؤمن اللهم إنى اخطب اليك امراة من نساء الجنة بالف دينار فتصدق بالف دينار ثم اشترى صاحبه خدما ومتاعا بالف دينار فقال هذا اللهم إنى اشترى منك متاعا وخدما فى الجنة بالف دينار فتصدق بالف دينار ثم اصابته حاجة شديدة فقال لو اتيت صاحبى لعله ينالنى منه معروف فجلس على طريقه حتى مر به فى حشمه فقام اليه فنظر اليه الآخر فعرفه فقال فلان قال نعم فقال ماشأنك قال اصابتنى حاجة بعدك فاتيتك لتصيبنى بخير فقال ما فعل مالك وقد اقتسمناه الا وأخذت شطره فقص عليه قصته فقال وإنك لمن المصدقين بهذا ذهب فلا أعطيك شيأ فطرده فقضى لهما ان توفيا فنزل فيهما فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم إنى كان لى قرين وروى انه لما اتاه أخذ بيده وجعل يطوف به ويريه أمواله نفسه فنزل فيهما واضرب (١٧٢) لهم مثلا رجلين اذكر لهم خبر رجلين (جعلنا لاحدهما جنتين) بستانين (من اعناب وحففناهما بنخل) أى اطفناهما من جوانبهما بنخل والحفاف الجانب وجمعه احفة يقال حف به القوم أى طافوا بجوانبه (وجعلنا بينهما زرعا) اى جعلنا حول الأعناب النخيل ووسط الأعناب الزرع وقيل بينهما اى بين الجنتين زرعا يعنى لم يكن بين الجنتين موضع خراب (كلتا الجنتين اتت) أى عطت كل واحدة من الجنتين (أكلها) ثمرها تاما (ولم تظلم) لم تنقص) منه شيئا وفجرنا) قرأ العامة بالتشديد وقرأ يعقوب بتخفيف الجيم (خلالهما نهرا) يعنى شققنا واخرجنا وسطهما نهرا (وكان له) لصاحب البستان (ثمر) قرأ عاصم وأبو جعفر ويعقوب ثمر بفتح التاء والميم وكذلك بثمره وقرأ أبو عمرو بضم التاء ساكنة الميم وقرأ الاخرون بضمهما فمن قرأ بالفتح هو جمع ثمرة وهو ما تخرجه الشجرة من الثمار المأكولة ومن قرأ بالضم فهى الأموال الكثيرة من كل صنف جمع ثمار وقال مجاهد ذهب وفضة وقيل جمع الثمرات قال الأزهرى الثمرة يعطينى تجمع على ثمر ويجمع الثمر على ثمار ثم تجمع الثمار على ثمر (فقال) يعنى صاحب البستان (لصاحبه) المؤمن (وهو يحاوره) يخاطبه ويجاوبه (انا أكثر منك مالا وأعز نفرا) أى عشيرة ورهطا وقال قتادة خدما وحشما وقال مقاتل ولدا تصديقه قوله تعالى إن ترن انا أقل منك مالا وولدا (ودخل جنته) يعنى الكافر أخذا بيد أخيه المسلم يطوف به فيها ويريه ثمارها (وهو ظالم لنفسه) بكفره (قال ما أظن أن تبيد) تهلك (هذه أبدا) قال أهل المعانى راقه حسنها وغرته زهرتها فتوهم أنها لا تفنى أبدا وأنكر البعث فقال (وما أظن الساعة قائمة) كائنة (ولئن رددت إلى ربى لاجدن خيرا منها منقلبا) قرأ أهل الحجاز والشام هكذا على التثنية يعنى من الجنتين وكذلك هو فى مصاحفهم وقرأ الاخرون منها أى من الجنة التى دخلها منقلبا أى مرجعا فان قيل كيف قال ولئن رددت إلى ربى وهو منكر البعث قيل معناه ولئن رددت إلى ربى على ما تزعم

مؤمنا وأخوه الأسود بن عبد الأسود وكان كافرا وقيل هذا مثل لعيينة بن حصين وأصحابه وسلمان وأصحابه وشبههما من بنى إسرائيل اخوين احدهما مؤمن واسمه يهوذا فى قول ابن عباس وقيل تمليخا والآخر كافر واسمه قطروس وهما اللذان وصفهما الله سبحانه وتعالى فى سورة والصافات وكانت قصتهما على ما ذكره عطاء الخراسانى وقال كان رجلان شريكان لهما ثمانية الاف دينار وقيل كانا اخوين ورثا من ابيهما ثمانية الاف دينار فاقتسماها فاشترى أحدهما أرضا بالف دينار فقال صاحبه اللهم إن فلانا قد اشترى ارضا بالف دينار وإنى قد اشتريت منك ارضا فى الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم ان صاحبه بنى دارا بالف دينار فقال اللهم إن فلانا بنى دارا بألف دينار وانى اشتريت منك دارا فى الجنة بألف دينار فتصدق بها ثم تزوج صاحبه امراة فانفق عليها الف دينار فقال هذا اللهم إنى اخطب اليك امرأة من نساء الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم ان صاحبه اشترى خدما ومتاعا بألف دينار فقال هذا اللهم انى اشترى منك خدما ومتاعا بألف دينار فى الجنة فتصدق بها ثم اصابته حاجة شديدة فقال لو اتيت صاحبى لعل ينالنى منه معروف فجلس على طريقه حتى مر به فى خدمه وحشمه فقام اليه فنظر اليه صاحبه فعرفه فقال فلان قال نعم قال ماشانك قال اصابتنى حاجة بعدك فاتيتك لتعينني بخير قال فما فعلت بمالك وقد قاسمتك مالا وأخذت شطره فقص عليه قصته فقال وإنك لمن المصدقين بهذا اذهب فلا اعطيك شيئا فطرده فقضى لهما فتوفيا فنزل فيهما قوله فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم إنى كان لى قرين وروى أنه لما اتاه أخذ بيده وجعل يطوف به ويريه أمواله فنزل فيهما وضرب لهم مثلا رجلين (جعلنا لاحدهما جنتين) اى بستانين (من اعناب وحففناهما) أى اطفناهما من جوانبهما (بنخل وجعلنا بينهما زرعا) أى وجعلنا بين النخل والأعناب الزرع وقيل بينهما اى بين الجنتين يعنى لم يكن بين الجنتين خراب بغير زرع (كلتا الجنتين اتت) اى اعطت كل واحدة من الجنتين (أكلها) أى ثمرها تاما (ولم تظلم منه شيأ) اى ولم تنقص منه شيأ (وفجرنا خلالهما) شققنا وسطهما (نهرا وكان له) أى لصاحب البستان (ثمر) قرىء بالفتح جمع ثمرة وقرىء بالضم وهو الأموال الكثيرة المثمرة من كل صنف من الذهب والفضة وغيرهما (فقال) يعنى صاحب البستان (لصاحبه) يعنى المؤمن (وهو يحاوره) اى يخاطبه (انا اكثر منك مالا واعز نفرا) أى عشيرة ورهطا وقيل خدما وحشما (ودخل جنته) يعنى الكافر آخذا بيد أخيه المؤمن يطوف به فيها ويريه اياها (وهو ظالم لنفسه) اى بكفره (قال ما أظن أن تبيد) أى تهلك (هذه) يعنى جنته (أبدا) وذلك أنه راقه حسنها وغرته زهرتها فتوهم أنها لا تفنى أبدا وأنكر البعث فقال (وما أظن الساعة قائمة) أى كائنة (ولئن رددت إلى ربى) * قال قلت كيف قال ولئن رددت إلى ربى وهو منكر للبعث قلت معناه ولئن رددت إلى ربى على ما تزعم من أن الساعة اتية (لاجدن خيرا منها منقلبا) أى

انت تعطيني هنا لك خيرا منها فانه لم يعطني هذه الجنة في الدنيا إلا ليعطيني في الآخرة أفضل منها (قال له صاحبه) المسلم (وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب) أي خلق أصلك من تراب (ثم) خلقك (من نطفة ثم سواك رجلا) أي عدلك بشرا سويا وذكر (لكنا هو الله ربي) قرأ ابن عامر ويعقوب لكنا بالألف في الاصل وقرأ الباقون بلا الف واتفقوا على إثبات الألف في الوقف وأصله لكن انا فحذفت الهمزة للتخفيف لكثرة استعمالها ثم ادغمت احدى النونين في الاخرى قال الكسائي فيه تقديم وتأخير مجازه لكن هو الله ربي (ولا أشرك بربي أحدا ولولا إذ دخلت جنتك) أي هلا اذ دخلت جنتك (قلت ماشاء الله) اي الامر ماشاء الله وقيل جوابه مضمر اي ماشاء الله كان وقوله (لا قوة إلا بالله) أي لا أقدر على حفظ مالي أو دفع شيء عنه إلا بالله وروى عن هشام بن عروة عن ابيه أنه كان إذا رأى من ماله شيئا يعجبه أو دخل حائطا من حيطانه قال ماشاء الله لا قوة إلا بالله ثم قال (إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا) انا عمادولذلك (١٧٣) نصب اقل معناه ان ترني اقل منك مالا وولدا فتكبرت وتعظمت على (فعسى ربي) فلعل ربي (ان يؤتين) يعطيني في الاخرة (خيرا من جنتك ويرسل عليها) اي على جنتك (حسبانا) قال قتادة عذابا وقال ابن عباس رضي الله عنه نارا وقال القتيبي مرامي (من السماء) وهي مثل صاعقة أو شيء يهلكها واحدتها حسبانة (فتصبح صعيدا زلقا) أي أرضا جرداء ملساء لا نبات فيها وقيل تزلق فيها الاقدام وقال مجاهد رملا هائلا (او يصبح ماؤها غورا) غائرا ذاهبا لا تناله الايدي ولا الدلاء (فلن تستطيع له طلبا) يعني إن طلبته لم تجده (واحيط بثمره) اي أحاط العذاب بثمر جنته وذلك ان الله تعالى ارسل عليها نارا فاهلكتها وغار ماؤها (فاصبح) صاحبها الكافر (يقلب كفيه) اي يصفق بيده على الاخرى ويقلب كفيه ظهرا لبطن تأسفا وتلهفا (على ما أنفق فيها وهي خاوية) أي ساقطة (على عروشها) سقوفها (ويقول يا ليتني لم اشرك بربي أحدا) قال الله تعالى (ولم تكن له فئة) جماعة (ينصرونه من دون الله) يمنعونه من عذاب الله (وما كان منتصرا) ممتنعا منتقما لا يقدر على الانتصار لنفسه وقيل لا يقدر على رد ماذهب عنه (هنالك الولاية لله الحق) يعني في القيامة قرأ حمزة والكسائي الولاية بكسر الواو يعني السلطان وقرأ الاخرون بفتح الواو من الموالاة والنصرة كقوله تعالى الله ولي الذين آمنوا قال القتيبي يريد انهم يتولونه يومئذ ويتبرؤن مما كانوا يعبدون وقيل بالفتح الربوبية وبالكسر الامارة الحق برفع القاف ابو عمرو والكسائي على نعت الاية وتصديقه قراءة أبي هنالك الولاية لله الحق وقرأ الاخرون بالجر على صفة الله كقوله تعالى ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق (هو خير ثوابا) افضل جزاء لاهل طاعته لو كان غيره يثيب (وخير عقبا) أي عاقبه طاعته خير من عاقبة طاعة غيره فهو خير اثابة وعاقبة طاعة قرأ حمزة وعاصم عقبا ساكنة القاف وقرأ الاخرون بضمها قوله تعالى (واضرب لهم) يا محمد اى لقومك (مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء) يعني المطر (فاختلط به نبات

يعطيني هنا لك خيرا منها لأنه لم يعطني الجنة في الدنيا إلا ليعطني في الاخرة افضل منها (قال له صاحبه) يعني المؤمن (وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب) أي خلق اصلك من تراب لأن خلق اصله سبب في خلقه فكان خلقا له (ثم من نطفة ثم سواك رجلا) أي عدلك بشرا سويا وكملك إنسانا ذكرا بالغ مبلغ الرجال (لكنا هو الله ربي) مجازه لكن انا هو الله ربي (ولا أشرك بربي أحدا ولولا) اي هلا (إذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله) والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر إلى ما رزقك الله منا ماشاء الله اعترافا بأنها وكل خير فيها إنما حصل بمشيئة الله تعالى وفضله وان أمرها بيده وانه ان شاء تركها عامرة وإن شاء تركها خرابا (لا قوة إلا بالله بالله) اي وقلت لا قوة الا بالله اقرارا بان ما قويت به على عمارتها وتدبير أمرها هو بمعونة الله وتأييده وألا أقدر على حفظ مالي ودفع شيء عنه إلا بالله روى عن عروة بن الزبير انه كان اذا رأى من ماله شيئا يعجبه أو دخل حائطا من حيطانه قال ماشاء الله لا قوة إلا بالله الحائط البستان (إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا) اي لاجل ذلك تكبرت على وتعظمت (فعسى ربي) اى فلعل ربي (أن يؤتين) أي يعطيني (خيرا من جنتك) يعني في الاخرة (ويرسل عليها) أي على جنتك (حسبانا) قال ابن عباس نارا وقيل مرامي (من السماء) وهي الصواعق فتهلكها (فتصبح صعيدا زلقا) اى ارضا جرداء ملساء لا نبات فيها وقيل تزلق فيها الأقدام وقيل رملا هائلا (او يصبح ماؤها غورا) غائرا ذاهبا لا تناله الايدي ولا الدلاء (فلن تستطيع له طلبا) يعني ان طلبته لم تجده (وأحيط بثمره) يعني أحاط العذاب بثمر جنته وذلك ان الله تعالى ارسل عليها من السماء نارا فأهلكها وغار ماؤها (فأصبح) يعني صاحبها الكافر (يقلب كفيه) يصفق بكف على كف ويقلب كفيه ظهرا لبطن تاسفا وتلهفا (على ما انفق فيها) والمعنى فأصبح يندم على ما انفق في عمارتها (وهي خاوية على عروشها) أي ساقطة سقوفها وقيل ان كرومها المعرشة سقطت عروشها على الارض (ويقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا) يعني انه تذكر موعظة اخيه المؤمن فعلم انه اتى من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا (ولم تكن له فئة) اى جماعة (ينصرونه من دون الله) اى يمنعونه من عذاب الله (وما كان منتصرا) اى ممتنعا لا يقدر على الانتصار لنفسه وقيل معناه لا يقدر على رد ماذهب منه * قوله سبحانه وتعالى (هنالك الولاية) قرىء بكسر الواو يعني السلطان في القيامة (لله الحق) وقرىء بفتحها من الموالاة والنصرة يعني انهم يتولونه يومئذ ويتبرؤن مما كانوا يعبدونه من دونه في الدنيا (هو خير ثوابا) اى أفضل جزاء الاهل طاعته لو كان غيره يثيب (وخير عقبا) يعني عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره فهو خير اثابة وعاقبة قوله عز وجل واضرب لهم) اى اضرب يا محمد لقومك (مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء) يعني المطر فاختلط به نبات

الارض) خرج منه لون وزهرة (فأصبح) عن قريب (هشيما) يابسا قال ابن عباس وقال الضحاك كسيرا والهشيم مايبس وتفتت من النباتات فاصبح هشيما (تذروه الرياح) قال ابن عباس تفرقه الرياح وقال أبو عبيدة مثله وقال القتيبي تنسفه (وكان الله على كل شيء مقتدرا) قادرا (المال والبنون) التي يفتخر بها عتبة واصحابه الاغنياء (زينة الحياة الدنيا) ليست من زاد الآخرة قال على ابن طالب رضى الله عنه المال والبنون حرث الدنيا والاعمال الصالحة حرث الاخرة وقد يجمعهما الله لأقوام (والباقيات والصالحات) اختلفوا في هذا فقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد هي قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر وقد روينا ان النبي ﷺ قال افضل الكلام أربع كلمات سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله

اكبر اخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد الحنفي أنبأنا أبو بكر محمد بن الحسن الحيري اخبرنا أبو جعفر عبد الله بن اسمعيل الهاشمي أنبأنا احمد بن عبد الجبار العطاردي ثنا ابو معاوية عن الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة رضى الله عنه قال قال النبي ﷺ لأن اقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر احب الى مما طلعت عليه الشمس اخبرنا عبد الواحد المليحي أنبأنا ابو منصور محمد بن محمد بن سمعان انبأنا ابو جعفر محمد بن احمد ابن عبد الجبار انبانا حميد ابن زنجويه ثنا عثمان عن ابي صالح ثنا ابو لهيعة ثنا دراج عن ابي الهيثم عن ابي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ انه قال استكثروا من الباقيات الصالحات قيل وماهن يارسول الله قال الملة قيل وماهي يارسول الله قال التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وقال سعيد بن جبير ومسروق وابراهيم الباقيات الصالحات هي الصلوات الخمس ويروى هذا عن ابن عباس وعنه رواية أخرى أنها الأعمال الصالحة وهو قول قتادة قوله تعالى (خير عند ربك ثوابا) أي جزاء المراد (وخير املا) اى ما يأمله الانسان (ويوم نسير الجبال) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر تسير بالتاء وفتح الياء الجبال رفع دليله قوله تعالى وإذا الجبال سيرت وقرأ الاخرون بالنون وكسر الياء الجبال نصب سير الجبال نقلها من مكان إلى مكان (وترى الأرض بارزة) أي ظاهرة ليس عليها شجر ولا جبل ولا نبات كما قال فيذرها قاعا صفصفا لاترى فيها عوجا ولا أمتا قال عطاء هو بروز ما في باطنها من الموتى وغيرهم فترمى باطن الأرض ظاهرا (وحشرناهم) جميعا إلى الموقف والحساب (فلم نغادر منهم) أي نترك منهم (أحدا وعرضوا على ربك صفا) اى صفا صفا فوجا فوجا لا أنهم صف واحد وقيل قياما ثم يقال لهم يعنى الكفار (لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة) يعنى احياء وقيل فرادى كما ذكر في سورة الانعام وقيل غرلا (بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا) يعنى القيامة يقول ذلك لمنكر البعث

(الارض) أي خرج منه كل لون وزهرة (فأصبح) أي عن قريب (هشيما) قال ابن عباس يابسا (تذروه الرياح) قال ابن عباس تذريه وقيل تفرقه وتنسفه (وكان الله على كل شيء مقتدرا) اى قادرا * قوله سبحانه وتعالى (المال والبنون) يعني التي يفتخر بها عيينة واصحاب الأنبياء (زينة الحياة الدنيا) يعنى ليست من زاد الاخرة قال على بن ابى طالب رضى الله عنه المال والبنون حرث الدنيا والاعمال الصالحة حرث الاخرة وقد يجمعهما الاقوام (والباقيات الصالحات) قال ابن عباس هى قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر (م) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال النبي ﷺ لان اقول سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله اكبر احب إلى مما طلعت عليه الشمس عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبي ﷺ انه قال استكثروا من قول الباقيات الصالحات قيل وماهن يارسول الله قال التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال النبي ﷺ إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قلت يارسول الله وما رياض الجنة قال المساجد قلت وما الرتع قال النبي ﷺ سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اخرجه الترمذى قال حديث غريب عن سعيد بن المسيب ان الباقيات الصالحات هى قول العبد الله اكبر وسبحان الله ولا اله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله اخرجه مالك في الموطا وقوفا عليه وعن ابن عباس ان الباقيات الصالحات الصلوات الخمس وعنه أنها الأعمال الصالحة (خير عند ربك ثوابا) اى جزاء (وخير أملا) اى ما يؤمله الانسان * قوله سبحانه وتعالى (ويوم نسير الجبال) أى نذهب بها وذلك ان يجعل هباء منثورا كما يسير السحاب (وترى الارض بارزة) اى ظاهرة ليس عليها شجر ولا جبل ولا بناء وقيل هو بروز ما في بطنها من الموتى وغيرهم فيصير باطن الارض ظاهرها (وحشرناهم) يعنى جميعا إلى موقف الحساب (فلم نغادر منهم أحدا) اى لم نترك منهم احدا (وعرضوا على ربك صفا) أى صفا صفا وفوجا فوجا لانهم صف واحد وقيل قياما وقيل كل امة وزمرة صف ثم يقال لهم (لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة) يعنى احياء وقيل حفاة عراة غرلا (بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا) يعنى القيامة يقول ذلك لمنكر البعث (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال النبي ﷺ بموعظة فقال ايها الناس إنكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين الا ان اول الخلائق يكسى يوم القيامة ابراهيم عليه السلام إلا وأنه سيجاء رجال من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يارب اصحابى فيقول انك لاتدرى ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم الى قوله العزيز الحكيم قال فيقال لى انهم لن يزالوا مرتدين على اعقابهم منذ فارقتهم زاد فى رواية فأقول سحقا سحقا قوله غرلا اى قلفا والغرلة القلفة التى تقع من جلد الذكر وهو موضع الختان وقوله سحقا اى بعدا قال بعض العلماء ان

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا معلى بن اسد ثنا وهب عن

ابن طاوس عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين وراهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث أمسوا أخبرنا عبد الواحد المليحي أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنبأنا محمد يوسف ثنا بن اسمعيل ثنا محمد بن كثير ثنا سفيان بن المغيرة بن النعمان حدثني سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال إنكم محشورون حفاة عراة غرلا ثم قرأ كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين وأول من يكسى يوم القيامة ابراهيم وإن ناسا من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال فاقول أصحابي أصحابي فيقول انهم لن يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم فاقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم إلى قوله العزيز الحكيم أخبرنا أبو الحسن السرخسي انا زاهر بن أحمد السرخسي أنا ابو القاسم جعفر بن محمد مغلس ببغداد ثنا هرون بن إسحق الهمداني انبأنا أبو خالد الأحمر عن حاتم بن أبي صغير عن ابن أبي مليكة عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت قالت يا رسول كيف يحشره (١٧٥) الناس يوم القيامة قال عراة حفاة قالت قلت والنساء قال والنساء قالت قلت يا رسول الله نستحي قال يا عائشة الامر أشد من ذلك أن يهمهم أن ينظر بعضهم إلى بعض قوله تعالى (ووضع الكتاب) يعني صحائف أعمال العباد توضع في أيدي الناس في إيمانهم وشمائلهم وقيل توضع بين يدي الله تعالى (فترى المجرمين مشفقين) أي خائفين (مما فيه) يعني من الأعمال السيئة (ويقولون) يعني إذا رأوها (يا ويلتنا) أي يا هلاكنا وكل من وقع في هلكه دعا بالويل (مال هذا الكتاب لا يغادر) أي لا يترك (صغيرة ولا كبيرة) أي من ذنوبنا (إلا أحصاها) أي عدها وكتبها وأثبتها فيه وحفظها قال ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وقال سعيد بن جبير الصغيرة اللمم واللمس والقبلة والكبيرة الزنا عن سهل بن سعد قال قال رسول الله ﷺ إياكم ومحقرات الذنوب فانما مثل محقرات الذنوب مثل قوم نزلوا في بطن واد فجاء هذا بعود وجاء هذا بعود فانضجوا خبزهم وان محقرات الذنوب لموبقات الحقير الشيء الصغير التافه وقوله لموبقات أي مهلكات (ووجدوا ما عملوا حاضرا) أي مكتوبا مثبتا في كتابهم (ولا يظلم ربك أحدا) أي لا ينقص ثواب احد عمل خيرا ولا يؤاخذ احدا بجرم لم يعمله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير وأما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير مصحف في الايدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله أخرجه الترمذي وقال لا يصح هذا الحديث من قبل ان الحسن لم يسمع من أبي هريرة وقد رواه بعضهم عن الحسن عن أبي موسى * قوله سبحانه وتعالى (وإذ قلنا) أي واذكر يا محمد إذ قلنا (للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن) قال ابن عباس كان من حي الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم وقال الحسن كان من الجن ولم يكن من الملائكة فهو أصل الجن كما أن ادم أصل الانس وكونه من الملائكة لا ينافي كونه من الجن بدليل قوله سبحانه وتعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وذلك أن قريشا قالت الملائكة بنات الله فهذا يدل على أن الملك يسمى جنا ويعضده اللغة لأن الجن مأخوذ من الاجتنان وهو الستر فعلى هذا تدخل الملائكة فيه فكل الملائكة جن لاستتارهم وليس كل جن ملائكة ووجه كونه من الملائكة أن الله سبحانه وتعالى استثناه من الملائكة والاستثناء يفيد إخراج ما لولاه لدخل ويصح دخوله وذلك يوجب كونه من الملائكة ورجه من قال انه قال كان الجن ولم يكن من الملائكة قوله كان من الجن جنس

المراد بهؤلاء اصحاب الردة الذين ارتدوا من العرب ومنعوا الزكاة بعده (ق) عن عائشة قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول يحشر الناس حفاة عراة غرلا قالت عائشة فقلت الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم إلى بعض قال الأمر أشد من ان يهمهم ذلك زاد النسائي في روايته لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه * قوله عز وجل (ووضع الكتاب) يعني صحائف أعمال العباد توضع في أيدي الناس في إيمانهم وشمائلهم وقيل توضع بين يدي الله تعالى (فترى المجرمين مشفقين) أي خائفين (مما فيه) يعني من الأعمال السيئة (ويقولون) يعني إذا رأوها (يا ويلتنا) أي يا هلاكنا وكل من وقع في هلكه دعا بالويل (مال هذا الكتاب لا يغادر) أي لا يترك (صغيرة ولا كبيرة) أي من ذنوبنا (إلا أحصاها) أي عدها وكتبها وأثبتها فيه وحفظها قال ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وقال سعيد بن جبير الصغيرة اللمم واللمس والقبلة والكبيرة الزنا عن سهل بن سعد قال قال رسول الله ﷺ إياكم ومحقرات الذنوب فانما مثل محقرات الذنوب مثل قوم نزلوا في بطن واد فجاء هذا بعود وجاء هذا بعود فانضجوا خبزهم وان محقرات الذنوب لموبقات الحقير الشيء الصغير التافه وقوله لموبقات أي مهلكات (ووجدوا ما عملوا حاضرا) أي مكتوبا مثبتا في كتابهم (ولا يظلم ربك أحدا) أي لا ينقص ثواب احد عمل خيرا ولا يؤاخذ احدا بجرم لم يعمله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير وأما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير مصحف في الايدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله أخرجه الترمذي وقال لا يصح هذا الحديث من قبل ان الحسن لم يسمع من أبي هريرة وقد رواه بعضهم عن الحسن عن أبي موسى * قوله سبحانه وتعالى (وإذ قلنا) أي واذكر يا محمد إذ قلنا (للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن) قال ابن عباس كان من حي الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم وقال الحسن كان من الجن ولم يكن من الملائكة فهو أصل الجن كما أن ادم أصل الانس وكونه من الملائكة لا ينافي كونه من الجن بدليل قوله سبحانه وتعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وذلك أن قريشا قالت الملائكة بنات الله فهذا يدل على أن الملك يسمى جنا ويعضده اللغة لأن الجن مأخوذ من الاجتنان وهو الستر فعلى هذا تدخل الملائكة فيه فكل الملائكة جن لاستتارهم وليس كل جن ملائكة ووجه كونه من الملائكة أن الله سبحانه وتعالى استثناه من الملائكة والاستثناء يفيد إخراج ما لولاه لدخل ويصح دخوله وذلك يوجب كونه من الملائكة ورجه من قال انه قال كان الجن ولم يكن من الملائكة قوله كان من الجن جنس السدي كتبها وأثبتها قال مقاتل بن حيان حفظها أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنبأنا أبو العباس عبد الله بن محمد بن هرون الطيسفوني أنبأنا أبو الحسن محمد بن أحمد الترابي أنبأنا أبو بكر أحمد بن عمرو بن بسطام أنبأنا أبو الحسن أحمد بن يسار القرشي ثنا يوسف بن عدي المصري ثنا ابو ضمرة انس بن عياض عن أبي حازم قال لا أعلمه إلا عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إياكم ومحقرات الذنوب فانما مثل محقرات الذنوب مثل قوم نزلوا بطن واد فجاء هذا بعود وجاء هذا بعود فانضجوا خبزتهم وان محقرات لموبقات قوله تعالى (ووجدوا ما عملوا حاضرا) مكتوبا مثبتا في كتابهم (ولا يظلم ربك أحدا) أي لا ينقص ثواب أحد عمل خيرا وقال الضحاك لا يؤاخذ احدا بجرم لم يعمله وقال عبد الله بن قيس يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير وأما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الايد فآخذ بيمينه وآخذ بشماله ورفعه بعضهم عن أبي موسى قوله تعالى (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم) يقول واذكر يا محمد إذ

قلنا للملائكة اسجدوا لادم (فسجدوا إلا ابليس كان من الجن) قال ابن عباس كان من حى من الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم وقال الحسن كان من الجن ولم يكن من الملائكة فهو أصل الجن كما ان ادم اصل الانس (ففسق) أى خرج (عن أمر ربه) عن طاعة ربه (افتتخذونه) يعنى يا بنى آدم (وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو) أى أعداء روى مجاهد عن الشعبى قال انى لقاعد يوما إذا قبل رجل فقال أخبرنى هل لابليس زوجة قلت ان ذلك العرس ماشهدته ثم ذكرت قوله تعالى افتتخذونه وذريته أولياء من دونى فعلمت انه لا تكون الذرية إلا من الزوجة فقلت نعم وقال قتادة يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وقيل ذنبه فى دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين قال مجاهد من ذريته لاقيس وولهان وهما صاحبا الطهارة والصلاة والهفاف ومرة وبه يكنى وزلنبور وهو صاحب الأسواق يزين اللغو والحلف الكاذبة ومدح السلع وبتر وهو صاحب المصائب يزين للناس خمش الوجوه ولطم الخدود وشق الجيوب والأعور وهو صاحب الزنا ينفخ فى احليل الرجل وعجز المرأة ومطوس وهو صاحب الأخبار الكاذبة يلقيها فى أفواه الناس ولا يجدون لها أصلا وداسم وهو الذى إذا دخل الرجل بيته ولم (١٧٦) يسلم ولم يذكر اسم الله بصره من المتاع مالم يرفع ولم يوضع فى موضعه أو يحتبس موضعه وإذا اكل ولم يذكر اسم الله اكل معه قال الأعمش ربما دخلت البيت ولم اذكر اسم الله ولم اسلم فرأيت مطهرة فقلت ارفعوا هذه وخاصتهم ثم اذكر اسم الله فأقول داسم داسم وروى عن ابى بن كعب عن النبى ﷺ انه قال ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاتقوا وسواس الماء انا اسمعيل بن عبد القاهر أنبأنا عبد الغافر ابن محمد انبأنا محمد بن عيسى الجلودى انبانا ابراهيم بن محمد بن سفيان انبأنا مسلم بن الحجاج ثنا يحيى بن خلف الباهلى انبأنا مسلم بن الحجاج ثنا يحيى بن خلف الباهلى أنبأنا عبد الأعلى عن سعيد الحريرى عن ابى العلاء ان عثمان بن ابى العاص اتى النبى ﷺ فقال يارسول الله ان الشيطان قد حال بينى وبين صلاتى وبين قراءتى يلبسها على فقال رسول الله ﷺ ذاك شيطان يقال له خنزب فاذا حسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا ففعلت ذلك فاذهبه الله عنى واخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنبأنا عبد الغافر ابن محمد عيسى الجلودى ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان أنبأنا مسلم بن الحجاج ثنا ابو كريب محمد بن علاء أنبأنا ابو معاوية ثنا الأعمش عن أبى سفيان عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه يفتنون الناس فادناهم منه منزلة اعظمهم فتنة يجىء أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيئا قال ثم يجىء إحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته قال فيدنيه منه ويقول نعم انت قال الأعمش اراه قال فيلتزمه قوله تعالى (بئس للظالمين بدلا) قال قتادة بئس ماستبدلوا طاعة ابليس وذريته بعبادة ربهم وطاعته وقوله تعالى (ما اشهدتهم) أى ما احضرتهم يعنى ابليس وذريته وقيل الكفار وقيل الملائكة (خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم) والمعنى ما اشهدتهم خلقها

مخالف للملائكة قوله افتتخذونه وذريته فأثبت له ذريته والملائكة لا ذرية لهم وأجيب عن الاستثناء انه استثناء منقطع وهو مشهور فى كلام العرب قال الله سبحانه وتعالى وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه انني برىء مما تعبدون إلا الذى فطرنى وقال تعالى لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما قيل انه كان من الملائكة فلما خالف الامر مسخ وغير وطرد ولعن * وقوله تعالى (ففسق عن أمر ربه) أى خرج عن طاعة ربه (افتتخذونه) يعنى يا بنى ادم أفتتخذون ابليس (وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو) يعنى أعداء روى مجاهد عن الشعبى قال انى لقاعد يوما إذا قبل رجل فقال اخبرنى هل لابليس زوجة قلت ان ذلك العرس ماشهدته ثم ذكرت قول الله عز وجل افتتخذونه وذريته أولياء من دونى فعلمت انه لا تكون ذريه إلا من زوجة فقلت نعم قيل يتوالدون كما يتوالد ابن ادم وقيل انه يدخل ذنبه فى دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين قال مجاهد من ذرية ابليس لاقيس وولهان وهو صاحب الطهارة والصلاة والهفاف ومرة به يكنى وزلنبور وهو صاحب الأسواق يزين اللغو والحلف الكاذب ومدح السلع وبتر وهو صاحب المصائب يزين خمش الوجوه ولطم الخدود وشق الجيوب والأعور وهو صاحب الزنا ينفخ فى احليل الرجل وعجيزة المرأة وهو صاحب الأخبار الكاذبة يلقيها فى أفواه الناس لا يجدون لها أصلا وداسم وهو الذى إذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر الله بصره من المتاع مالم يرفع أو يحسن موضعه وإذا اكل ولم يسم اكل معه قال الأعمش ربما دخلت البيت ولم اذكر اسم الله ولم اسلم فرايت مطهرة فقلت ارفعوا هذه وخاصتهم ثم اذكر فاقول داسم داسم أعوذ بالله منه روى أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاتقوا وسواس الماء أخرجه الترمذى (م) عن عثمان بن ابى العاص قال قلت يارسول الله ان الشيطان قد حال بينى وبين صلاتى وبين قراءتى يلبسها فقال رسول الله ﷺ ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل على يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فاذهبه الله عنى (م) عن جابر قال قال رسول الله ﷺ إن ابليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فادناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجىء أحدهم فيقول فعلت كذا فيقول ما صنعت شيئا ثم يجىء احدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته قال فيدنيه منه ويقول نعم انت قال الاعمش اراه قال فيلتزمه * وقوله (بئس للظالمين بدلا) يعنى بئس ما استبدلوا طاعة ابليس وذريته بعبادة ربهم وطاعته * وقوله سبحانه وتعالى (ما أشهدتهم) أى ما احضرتهم يعنى ابليس وذريته وقيل الكفار وقيل الملائكة (خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم) والمعنى ما اشهدتهم خلقا فاستعين بهم على

يقول ما أشهدتم خلقا فاستعين بهم على خلقها وأشاورهم فيها (وما كنت متخذ المضلين عضدا) أى الشياطين الذين يضلون الناس عضدا أى أنصارا واعوانا قوله تعالى (ويوم يقول) قرا حمزة بالنون والاخرون بالياء أى يقول الله لهم يوم القيامة (نادوا شركائى) يعنى الأوثان (الذين زعمتم) أنهم شركائى (فدعوهم) فاستغاثوا بهم (فلم يستجيبوا لهم) أى لم يجيبوهم ولم ينصروهم (وجعلنا بينهم) يعنى بين الأوثان وعبدتها وقيل بين اهل الهدى وأهل الضلال (موبقا) مهلكا قاله عطاء والضحاك وقال ابن عباس هو واد فى النار وقال مجاهد واد فى جهنم وقال عكرمة هو نهر فى النار يسيل نارا على حافتيه حيات مثل البغال الدهم قال ابن الأعرابى وكل حاجز بين شيئين فهو موبق وأصله الهلاك يقال أوبقه أى أهلكه قال الفراء وجعلنا تواصلهم فى الدنيا مهلكا لهم فى الاخرة والبين على هذا القول التواصل كقوله تعالى لقد تقطع بينكم على قراءة من قرأ بالرفع (ورأى المجرمون النار) أى المشركون (فظنوا) أيقنوا (أنهم مواقعوها) داخلوها وواقعون فيها (ولم يجدوا عنها مصرفا) معدلا لانها أحاطت بهم من كل جانب قوله تعالى (ولقد صرفنا) بينا (فى هذا القران للناس من كل مثل) أى ليتذكروا ويتعظوا (وكان الانسان أكثر شىء جدلا) خصومة فى الباطل قال ابن عباس اراد النضر بن الحارث وجداله فى القران قال الكلبى اراد به ابى بن خلف الجمحى وقيل المراد من الاية الكفار لقوله تعالى ويجادل الذين كفروا بالباطل وقيل هى على العموم وهذا اصح اخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحى انبانا احمد بن عبد الله النعيمى انبانا محمد بن يوسف انبانا محمد بن اسمعيل انا ابو اليمان انا شعيب عن الزهرى انبانا على بن الحسين ان الحسين بن على اخبره ان عليا اخبره ان رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة بنت رسول الله ﷺ ليلة فقال ألا تصليان فقلت يارسول الله إن أنفسنا بيد الله فاذا شاء أن يبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله ﷺ حين قلت له ذلك ولم يرجع إلى شيأ ثم سمعته وهو مول يضرب فخذه وهو يقول وكان الانسان أكثر شىء جدلا قوله عز وجل (وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى) القرآن والإسلام والبيان من الله عز وجل وقيل إن الرسول ﷺ (ويستغفروا ربهم إلا ان تأتيهم سنة الأولين) يعنى سنتنا فى إهلاكهم إن لم يؤمنوا وقيل إلا طلب ان تاتيهم سنة الاولين من معاينة العذاب كما قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم (أو يأتيهم العذاب قبلا) قال ابن عباس أى عيانا من المقابلة وقال مجاهد فجأة وقرأ أبو جعفر وأهل الكوفة قبلا بضم القاف والباء جمع قبيل أى اصناف العذاب نوعا نوعا (وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل) ومجادلتهم قولهم أبعث الله بشرا رسولا ولولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وما أشبهه (ليدحضوا) ليبطلوا (به الحق) وأصل الدحض الزلق يريد ليزيلوا به الحق (واتخذوا آياتى وما أنذروا هزوا) فيه إضمار يعنى وما أنذروا به وهو القران هزوا أى استهزاء

خلقها واشاورهم فيها (وما كنت متخذ المضلين) يعنى الشياطين الذين يضلون الناس (عضدا) يعنى انصار اواعوانا * قوله عز وجل (ويوم يقول نادوا) يعنى يقول الله تعالى يوم القيامة نادوا (شركائى) يعنى الاصنام (الذين زعمتم) يعنى انهم شركائى (فدعوهم) اى فاستغاثوا بهم (فلم يستجيبوا لهم) أى فلم يجيبوهم ولم ينصروهم (وجعلنا بينهم) يعنى بين الاصنام وعبدتها وقيل بين أهل الهدى وبين أهل الضلال (موبقا) يعنى مهلكا قال ابن عباس هو واد فى النار وقيل نهر تسيل منه نار وعلى حافتيه حيات مثل البغال الدهم وقيل كل حاجز بين شيئين فهو موبق وأصله الهلال (ورأى المجرمون) اى المشركون (النار فظنوا) أى أيقنوا (أنهم مواقعوها) أى داخلوها وواقعون فيها (ولم يجدوا عنها مصرفا) أى معدلا لانها أحاطت بهم من كل جانب وقيل لأن الملائكة تسوقهم اليها * قوله سبحانه وتعالى (ولقد صرفنا) اى بينا (فى هذا القران للناس من كل مثل) اى ليتذكروا ويتعظوا (وكان الانسان اكثر شىء جدلا) اى خصومة فى الباطل قال ابن عباس اراد النضر بن الحرث وجداله فى القران وقيل اراد به ابى بن خلف وقيل اراد به جمع الكفار وقيل الاية على العموم وهو الأصح (ق) عن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه ان رسول الله ﷺ طرقه وفاطمه ليلا فقال الا تصليان فقلت يارسول الله انفسنا بيد الله تعالى فاذا شاء ان يبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله ﷺ حين قلت ذلك ولم يرجع إلى شيأ ثم سمعته يقول وهو مول يضرب فخذه بيده وكان الانسان اكثر شىء جدلا * قوله عز وجل (ومامنع الناس ان يؤمنوا إذ جاءهم الهدى) يعنى القران واحكام الاسلام والبيان من الله تعالى وقيل انه رسول الله ﷺ (ويستغفروا ربهم) والمعنى انه لا مانع لهم من الايمان ولا من الاستغفار والتوبة والتخلية حاصلة والاعذار زائلة فلم يقدموا على الايمان والاستغفار (إلا ان تاتيهم سنة الاولين) يعنى سنتنا فى اهلاك الاولين إن لم يؤمنوا وهو عذاب الاستئصال (او ياتيهم العذاب قبلا) قال ابن عباس اى عيانا من المقابلة وقيل فجأة * قوله سبحانه وتعالى (وما نرسل المرسلين إلا مبشرين) اى بالثواب على الطاعة (ومنذرين) بالعقاب لمن عصى (ويجادل الذين كفروا بالباطل) هو قولهم ابعث الله بشرا رسولا وقولهم للرسل وما انتم إلا بشر مثلنا وشبه ذلك (ليدحضوا) اى ليبطلوا (به الحق) ويزيلوه (واتخذوا اياتى وما انذروا هزوا) فيه إضمار يعنى اتخذوا ما انذروا به من القران استهزء * قوله عز وجل

(ومن أظلم ممن ذكر) وعظ (بآيات ربه فأعرض عنها) أى تولى عنها وتركها ولم يؤمن بها (ونسى ما قدمت يداه) أى ما عمل من المعاصى من قبل (إنا جعلنا على قلوبهم أكنة) أى أغطية (ان يفقهوه) يريد لئلا يفهموه (وفى أذانهم وقرا) أى ثقلا وصمما (وإن تدعهم) يا محمد (إلى الهدى) أى الدين (فلن يهتدوا إذا أبدا) وهذا فى أقوام علم الله منهم أنهم لا يؤمنون (وربك الغفور) أى البليغ المغفرة (ذو الرحمة) اى الموصوف بالرحمة (لو يؤاخذهم) اى يعاقب الكفار (بما كسبوا) من الذنوب (لعجل لهم العذاب) اى فى الدنيا (بل لهم موعد) يعنى البعث والحساب (لن يجدوا من دونه موئلا) اى ملجا (وتلك القرى) يعنى قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم (اهلكناهم لما ظلموا) اى كفروا (وجعلنا لمهلكهم موعدا) اى اجلا لاهلاكهم * قوله سبحانه وتعالى (وإذ قال موسى لفتاه) الآيات اكثر العلماء على ان موسى المذكور فى هذه الاية هو موسى بن عمران من سبط لاوى بن يعقوب صاحب المعجزات الظاهرة وصاحب التوراة وعن كعب الأحبار انه موسى بن ميشا من اولاد يوسف بن يعقوب وكان قد تنبأ قبل موسى بن عمران والقول الأول أصح بدليل أن الله سبحانه وتعالى لم يذكر فى كتابه العزيز موسى إلا أراد به صاحب التوراة فاطلاق هذا الاسم يوجب الانصراف اليه ولو أراد شخصا اخر لوجب تعريفه بصفة توجب الامتياز بينهما وتزيل الشبهة فلما لم يميزه بصفة علمنا انه موسى بن عمران صاحب التوراة واما فتاه فالاصح انه يوشع ابن نون بن افراثم بن يوسف وهو صاحب موسى وولى عهده بعد وفاته وقيل انه أخو يوشع وقيل انه فتاه يعنى عبده بدليل قوله ﷺ لا يقل احدكم عبدى وامتى وليقل فتاى وفتاتى (ق) عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس ان نوفا البكالى يزعم ان موسى صاحب الخضر ليس هو موسى بنى اسرائيل فقال ابن عباس كذب عدو الله حدثنا ابى بن كعب انه سمع رسول الله ﷺ يقول ان موسى عليه السلام قام خطيبا فى بنى اسرائيل فسئل اى الناس اعلم فقال انا فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم اليه فأوحى الله سبحانه وتعالى اليه ان لى عبدا بمجمع البحرين هو اعلم منك قال موسى يارب فكيف لى به قال فخذ معك حوتا فاجعله فى مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم فاخذ حوتا فجعله فى مكتل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى إذا اتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما فاضطرب الحوت فى المكتل فخرج منه فسقط فى البحر فاتخذ سبيله سربا وامسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسى صاحبه ان يخبره بالحوت وانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذى امره الله به فقال له فتاه ارأيت إذ اوينا إلى الصخرة فانى نسيت الحوت وما انسانيه إلا الشيطان ان اذكره واتخذ سبيله فى البحر عجبا قال فكان للحوت سربا ولموسى ولفتاه عجبا فقال موسى ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا قال رجعا فقصا آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة فاذا رجل مسجى بثوب ابيض فسلم عليه موسى فقال الخضر وإنى بارضك السلام فقال انا موسى قال موسى بنى اسرائيل قال نعم اتيتك لتعلمنى مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معى صبرا يا موسى انى على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه وانت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه فقال موسى ستجدنى إن شاء الله صابرا ولا اعصى لك امرا فقال له الخضر فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء حتى احدث لك منه ذكرا فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت بهم سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول فلما ركبا السفينة لم يفجأ موسى إلا والخضر قد قلع لوحا من الواح السفينة بالقدوم فقال له موسى قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا قال ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبرا قال لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من امرى عسرا قال رسول الله ﷺ كانت الاولى من موسى نسيانا قال وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر فى البحر نقرة فقال له الخضر ما نقص علمى وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل إذا بصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فاخذ الخضر برأسه فاقتلعه

(ومن أظلم ممن ذكر) وعظ (بآيات ربه فأعرض عنها) تولى عنها وتركها ولم يؤمن بها (ونسى ما قدمت يداه) اى ما عمل من المعاصى من قبل (إنا جعلنا على قلوبهم أكنة) اغطية (ان يفقهوه) اى يفهموه يريد لئلا يفهموه (وفى آذانهم وقرا) اى صمما وثقلا (وإن تدعهم) يا محمد (الى الهدى) إلى الدين (فلن يهتدوا إذا أبدا) وهذا فى اقوام علم الله منهم انهم لا يؤمنون (وربك الغفور ذو الرحمة) ذو النعمة (لو يؤاخذهم) يعاقب الكفار (بما كسبوا) من الذنوب (لعجل لهم العذاب) فى الدنيا (بل لهم موعد) يعنى البعث والحساب (لن يجدوا من دونه موئلا) ملجأ (وتلك القرى اهلكناهم) يعنى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم (لما ظلموا) كفروا (وجعلنا لمهلكهم موعدا) أى اجلا قرا ابو بكر لمهلكهم بفتح الميم واللام وقرا حفص بفتح الميم وكسر اللام وكذلك فى النمل مهلك اى لوقت هلاكهم وقرا الاخرون بضم الميم وفتح اللام اى لاهلاكهم قوله تعالى (وإذ قال موسى لفتاه

لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين) عامة أهل العلم قالوا انه موسى بن عمران وقال بعضهم هو موسى بن ميشا من أولاد يوسف والأول أصح
أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أنبأنا احمد بن عبد الله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا الحميدي ثنا سفيان أنا عمرو بن
دينار أخبرني سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس ان نوفا البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى بني إسرائيل فقال ابن عباس
كذب عدو الله أنا أبي بن كعب انه سمع رسول الله ﷺ يقول ان موسى قام خطيبا في بني إسرائيل فسئل اي الناس أعلم فقال أنا فعتب الله
عليه إذ لم يرد العلم اليه فأوحى الله اليه ان لي عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك قال موسى يارب فكيف لي به قال تأخذ معك حوتا فتجعله في
مكتل فحيث ما فقدت الحوت فهو ثمة فأخذ حوتا فجعله في مكتل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما
فناما واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا وأمسك الله تعالى عن الحوت جرية الماء فصار
عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه ان يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه
آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمره الله به وقال له فتاه أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة
فاني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان ان أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال فكان للحوت سربا ولموسى ولفتاه عجبا وقال موسى
ذلك ما كنا نبغ نطلبه فارتدا على آثارهما قصصا فوجدا عبدنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما قال له موسى هل أتبعك على أن
تعلمن مما علمت رشدا قال رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة فاذا رجل مسجى (١٧٩) بثوب فسلم عليه موسى فقال

بيده فقال له موسى أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال ألم أقل لك أنك لن تستطيع
معي صبرا قال وهذه أشد من الأولى قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا
فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريدان ينقض
أي مائلا فقال الخضر بيده هكذا فاقامه فقال موسى قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا لو شئت
لاتخذت عليه أجرا قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا قال رسول الله
ﷺ يرحم الله موسى لوددت أنه صبر حتى يقص علينا من أخبارهما قال سعيد بن جبير فكان ابن عباس
يقرأ وكان أمامهم ملك ياخذ كل سفينة صالحة غصبا وكان يقرأ وأما الغلام فكان كافرا وأبواه مؤمنين
وفي رواية عن أبي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ قام موسى عليه السلام ذكر الناس يوما حتى
إذا فاضت العيون ورقت القلوب ولى فادركه رجل فقال أي رسول الله هل في الأرض أحد أعلم
منك قال لا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم الى الله تعالى فقال بلى قال اي رب واين هو قال بمجمع
البحرين قال خذ حوتا ميتا حيث ينفخ فيه الروح وفي رواية تزود حوتا مالحة فانه حيث يفقد الحوت
زاد في رواية في أصل الصخرة عين يقال لها الحياة لا يصيب من مائها شيء الا حي فاصاب الحوت
من ماء تلك العين فتحرك وانسل من المكتل فدخل البحر ورجعنا الى التفسير * قوله سبحانه
وتعالى (لا أبرح) اي لا ازال اسير (حتى ابلغ مجمع البحرين) قيل اراد بحر فارس والروم مما يلي

الخضر عليه السلام وأنى بارضك السلام فقال له أنا موسى قال موسى بني إسرائيل قال نعم قال أتيتك لتعلمني مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا يا موسى اني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت وانت على علم من علم علمكه الله لا اعلمه فقال موسى ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا فقال له الخضر فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا فانطلقا يمشيان على ساحل

البحر فمرت سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول حتى اذا ركبا في السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحا من الواح
السفينة بالقدوم فقال له موسى قوم قد حملونا بغير نول عمدت الى سفينتهم فخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا قال الم اقل لك انك لن تستطيع
معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال وقال النبي ﷺ فكانت الأولى من موسى
نسيانا والوسطى شرطا والثالثة عمدا قال وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر ما نقص علمي وعلمك من علم
الا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل اذ ابصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فاخذ
الخضر براسه فاقتلعه بيده وقتله فقال له موسى اقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال
وهذه اشد من الأولى قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبك قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها فابوا ان
يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريدان ينقض قال كان مائلا فقال الخضر بيده فاقامه فقال مرسى قوم اتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا لو شئت
لتخذت عليه اجرا قال هذا فراق بيني وبينك الى قوله ذلك تاويل ما لم تستطع عليه صبرا فقال رسول الله ﷺ وددنا ان موسى كان صبر
حتى يقص علينا من خبرهما قال سعيد بن جبير فكان ابن عباس يقرأ وكان امامهم ملك ياخذ كل سفينة صالحة غصبا وكان يقرأ واما الغلام
فكان كافرا وكان ابواه مؤمنين وهن سعيد بن جبير في رواية اخرى عن ابن عباس عن ابي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ قام موسى
رسول الله فذكر الناس يوما حتى اذا فاضت العيون ورقت القلوب ولى فادركه رجل فقال اي رسول الله هل في الأرض احد اعلم منك قال لا
فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم الى الله قيل بلى عبدنا الخضر قال يارب واين قال بمجمع البحرين قال خذ حوتا ميتا حيث ينفخ فيه الروح وفي

رواية قيل له تزود حوتا ما لحافانه حيث تفقد الحوت فأخذ حوتا فجعله فى مكتل رجعنا إلى التفسير قوله وإذ قال موسى لفتاه يوشع بن نون لا أبرح أى لا ازال أسير حتى أبلغ مجمع البحرين قال قتادة بحر فارس وبحر الروم مما يلى المشرق وقال محمد بن كعب طنجة وقال أبى بن كعب أفريقية (أو امضى حقبا) أى وإن كان حقبا أى دهرا طويلا وزمانا وجمعه أحقاب والحقب قال عبد الله بن عمر والحقب ثمانون سنة فجعلا خبزا وسمكة مالحة حتى انتهيا إلى الصخرة التى عند مجمع البحرين ليلا وعندها عين تسمى ماء الحياة لا يصيب ذلك الماء شيئا إلا حيى فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده اضطربت فى المكتل وعاشت ودخلت البحر فذلك قوله (فلما بلغا) يعنى موسى وفتاه (بمجمع بينهما) أى بين الفريقين (نسيا) تركا (حوتهما) وإنما كان الحوت مع يوشع وهو الذى نسيه واضاف النسيان اليهما لأنهما جميعا تزوداه لسفرهما كما يقال خرج القوم إلى موضع كذا وحملوا من الزاد كذا وإنما حمله واحد منهم (فاتخذ) أى الحوت (سبيله فى البحر سربا) أى مسلكا وروى عن ابن كعب عن رسول الله ﷺ (١٨٠) انجاب الماء عن مسلك الحوت فصار كوة لم يلتئم فدخل موسى الكوة على أثر الحوت فاذا هو بالخضر قال ابن عباس جعل الحوت لا يمس شيئا من البحر إلا يبس حتى صار صخرة وقال الكلبى توضأ يوشع بن نون من عين الحياة فانتضح على الحوت الماء فعاش ثم وثب فى ذلك الماء فجعل يضرب بذنبه فلا يضرب بذنبه شيئا من الماء وهو ذاهب إلا يبس وقد روينا انهما لما انتهيا إلى الصخرة وضعا رؤسهما فناما واضطرب الحوت فخرج وسقط فى البحر فاتخذ سبيله فى البحر سربا فامسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسى صاحبه أن يخبره فانطلقا حتى اذا كان من الغد قوله تعالى (فلما جاوزا) يعنى ذلك الموضع وهو مجمع البحرين (قال) موسى (لفتاه آتنا غداءنا) أى طعامنا والغداء ما يعد للأكل غدوة والعشاء ما يعد للأكل عشية (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) أى تعبا (ذلك وشدة وذلك انه التقى على موسى الجوع بعد مجاوزة الصخرة ليتذكر الحوت ويرجع إلى مطلبه (قال) له فتاه يذكر أرأيت إذ اوينا إلى الصخرة) وهى صخرة كانت بالموضع الموعود قال هقل بن زياد هى الصخرة التى دون نهر الزيت (فانى نسيت الحوت) أى تركته وفقدته وذلك ان يوشع حين رأى ذلك من الحوت قام ليدرك موسى فيخبره فنسى ان يخبره فمكثا يومهما حتى صليا الظهر من الغد قيل فى الآية إضمار معناه نسيت أن أذكر لك أمر الحوت ثم قال (وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره) أى وما أنسانى ان اذكر لك أمر الحوت الا الشيطان وقرأ حفص أنسانيه وفى الفتح عليه الله بضم الهاء وقيل معناه انسانيه لئلا اذكره (واتخذ سبيله فى البحر عجبا) قيل هذا من قول يوشع ويقول ظفر الحوت الى البحر فاتخذ فيه مسلكا فعجبت من ذلك عجبا وروينا فى الخبر كان للحوت سربا ولموسى وفتاه عجبا وقيل هذا من قول موسى لما قال له يوشع واتخذ سبيله فى البحر سربا قال موله سى عجبا كأنه قال اعجب عجبا قال ابن زيد اى شىء اعجب من حوت يؤكل منه دهرا ثم صار حيا بعدما أكل بعضه (قال) موسى

المشرق وقيل طنجة وقيل أفريقية (أو أمضى حقبا) يعنى أو أسير دهرا طويلا والحقب ثمانون سنة فحمل خبزا وسمكة مالحة فى المكتل وهو الزنبيل الذى يسع خمسة عشر صاعا ومضيا حتى انتهيا إلى الصخرة التى عند مجمع البحرين وعندها عين تسمى عين الحياة لا تصيب شيئا إلا حيى فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده اضطربت فى المكتل وهاجت ودخلت فى البحر (فلما بلغا) يعنى موسى وفتاه (بمجمع بينهما) أى بين البحرين (نسيا) أى تركا (خوتهما) وإنما كان الحوت مع يوشع بن نون وهو الذى نسيه وإنما أضاف النسيان اليهما لأنهما تزوداه لسفرهما وقيل المراد من قوله نسيا حوتهما أى نسيا كيفية الاستدلال بهذه الحالة المخصوصة على الوصول للمطلوب (فاتخذ) أى الحوت (سبيله فى البحر سربا) أى مسلكا وروى ابى بن كعب عن رسول الله ﷺ انه قال انجاب الماء عن مسلك الحوت فصار كوة لم يلتئم فدخل موسى الكوة على أثر الحوت فاذا هو بالخضر قال ابن عباس جعل الحوت لا يمس شيئا من البحر إلا يبس حتى صار صخرة وقد روينا انهما لما انتهيا إلى الصخرة وضعا رؤسهما فناما واضطرب الحوت فخرج فسقط فى البحر فاتخذ سبيله فى البحر سربا فامسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ موسى نسى صاحبه أن يخبره فانطلقا حتى إذا كانا من الغد وهو قوله سبحانه وتعالى (فلما جاوزا) يعنى ذلك الموضع وهو مجمع البحرين (قال) يعنى موسى (لفتاه آتنا غداءنا) أى طعامنا (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) أى تعبا وشدة وذلك أنه ألقى على موسى الجوع بعد ما جاوز الصخرة ليتذكر الحوت ويرجع فى طلبه (قال) يعنى يوشع (أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة) وهى صخرة كانت بالموضع الموعود (فانى نسيت الحوت) أى تركته وفقدته وذلك ان يوشع حين رأى من الحوت ذلك قام ليدرك موسى فيخبره فنسى أن يخبره فمكثا يومهما حتى صليا الظهر من الغد ثم قال (وما أنسانيه الشيطان ان أذكره) أى وما أنسانى ان اذكر لك أمر الحوت إلا الشيطان قيل المراد من النسيان شغل قلب الانسان بوساوس الشيطان التى التى هى من فعله دون النسيان الذى يضاد الفكر لأن ذلك لا يصح إلا من قبل الله تعالى (واتخذ سبيله فى البحر عجبا) قيل هذا من قول يوشع بن نون يعنى وقع الحوت فى البحر فاتخذ سبيله مسلكا وروى فى الخبر كان للحوت سربا ولموسى ولفتاه عجبا وقيل أى شىء أعجب من حوت يؤكل منه دهرا ثم صار حيا بعد ما أكل بعضه * قوله عزوجل (قال) يعنى موسى

(ذلك ما كنا نبغ) أى نطلب (فارتدا على اثارهما قصصا) أى رجعا يقصان الأثر الذى جاء منه أن يبتغيانه فوجدا عبدا من عبادنا قيل كان ملكا من الملائكة والصحيح الذى جاء فى التواريخ وثبت عن النبى ﷺ أنه الخضر واسمه بليا بن ملكان قيل كان من نسل بنى إسرائيل وقيل كان من أبناء الملوك الذين تزهدوا فى الدنيا والخضر لقب له سمى بذلك لما أخبرنا أبو على حسان بن سعيد المنعمى أنبأنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادى أبو بكر محمد بن الحسين القطان ثنا أحمد بن يوسف السلمى ثنا عبد الرازق أنا معمر عن همام بن منبه قال ثنا أبو هريرة قال قال رسول الله ﷺ إنما سمى خضرا لأنه جلس على فروة بيضاء فاذا هى تهتز تحته خضراء قال مجاهد سمى خضرا لأنه إذا صلى أخضر ما حوله وروينا أن موسى رأى الخضر مسجى بثوب فسلم عليه فقال الخضر وإنى بأرضك السلام قال أنا موسى (١٨١) اتيتك لتعلمنى مما علمت رشدا وفى

رواية أخرى إليه مسجى بثوب مستلقيا على قفاه بعض الثوب تحت رأسه وبعضه تحت رجليه وفى رواية لقيه وهو يصلى وروى لقيه على طنفسة خضراء على كبد البحر فذلك قوله تعالى (فوجدا عبدا من عبادنا اتيناه رحمة) أى نعمة (من عندنا وعلمناه من لدنا علما) أى علم الباطن إلهاما ولم يكن الخضر نبيا عند اكثر أهل العلم بقول جئت لأتبعك (قال له موسى هل اتبعك) وأصحبك (على أن تعلمن مما علمت رشدا) قرأ أبو عمرو ويعقوب رشدا بفتح الراء والشين وقرأ الآخرون بضم الراء وسكون الشين أى صوابا وقيل علما ترشدنى به وفى بعض الأخبار أنه لما قال له موسى هذا قال له الخضر كفى بالتوراة علما وبنى إسرائيل شغلا فقال له موسى إن الله أمرنى بهذا فحينئذ (قال) له الخضر (إنك لن تستطيع معى صبرا) وإنما قال ذلك لأنه علم انه يرى

ذلك ما كنا نبغ) نطلب فارتد على اثارهما قصصا) أى رجعا يقصان الذى جاء منه ويتبعانه (فوجد عبدا من عبادنا) قيل كان ملكا من الملائكة والصحيح الذى ثبت عن رسول الله ﷺ وجاء فى التواريخ أنه الخضر واسمه بليا بن ملكان وكنيته أبو العباس قيل كان من بنى إسرائيل وقيل كان من أبناء الملوك الذين تزهدوا وتركوا الدنيا والخضر لقب له سمى به لأنه جلس على فروة بيضاء فاخضرت (خ) عن ابى هريرة قال قال رسول الله ﷺ إنما سمى الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء فاذا هى تهتز تحته خضراء الفروة قطعة نبات مجتمعة يابسة وقيل سمى خضر لأنه كان إذا صلى اخضر ما حوله وروينا أن موسى راى الخضر مسجى بثوب فسلم عليه فقال الخضر واتى بأرضك السلام قال انا موسى أتيتك لتعلمنى مما علمت رشدا ومعنى مسجى بثوب أى مغطى بثوب وقوله وانى بارضك السلام معناه من اين بارضك التى انت فيها الان السلام وروى ان لقيه على طنفسة خضراء على جانب البحر فذلك قوله سبحانه وتعالى فوجدا عبدا من عبادنا (اتيناه رحمة) اى نعمة (من عندنا وعلمناه من لدنا علما) يعنى علم الباطن إلهاما ولم يكن الخضر نبيا عند اكثر أهل العلم * فان قلت ظاهر الآيات يدل على ان الخضر كان اعلى شانا من موسى وكان موسى يظهر التواضع له والتادب معه * قلت لا يخلو اما ان يكون الخضر من بنى اسرائيل او من غيرهم فان كان من بنى إسرائيل فهو من امة موسى ولا جائز ان يكون احد الأمة افضل من نبيها او على شأ نامنه وإن كان من غير بنى إسرائيل فقد قال الله تعالى لبنى إسرائيل وإنى فضلتكم عن العالمين أن على عالمى زمانكم (قال له موسى هل اتبعك) معناه جئت لأصحبك واتبعك (على ان تعلمنى مما علمت رشدا) يعنى صوابا وقيل علما ترشدنى به وفى بعض الأخبار قال الخضر لموسى كفى بالتوراة علما وبنى إسرائيل شغلا فقال له موسى إن الله امرنى بهذا فحينئذ (قال الخضر لموسى (إنك لن تستطيع معى صبرا) وإنما قال ذلك لأنه علم انه يرى امورا منكرة ولا يجوز للأنبياء الصبر مع المنكرات ثم بين عذره فى ترك الصبر فقال (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) اى علما (قال) موسى (ستجدنى إن ساء الله صابرا) إنما استثنى لأنه لم يثق من نفسه بالصبر (ولا اعصى لك امرا) اى لا اخالفك فيما تامرنى به (قال فان اتبعتنى) اى فان صحبتنى ولم يقل اتبعنى ولكن جعل الاختيار اليه ثم شرط عليه شرطا فقال (فلا تسالنى عن شىء) ى امما اعمله مما تنكره ولا تعترض عليه (حتى احدث لك منه ذكرا) معناه حتى ابتدا بذكره فابين لك شانه * قوله سبحانه وتعالى (فانطلقا) اى يمشيان على الساحل يطلبان سفينة يركبانها فوجدا سفينة فركباها فقال اهل السفينة هؤلاء لصوص وأمروهما بالخروج فقال صاحب السفينة ماهم بلصوص ولكن ارى وجوه الأنبياء وروينا عن ابى بن كعب عن النبى ﷺ مرت بهم سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول اى بغير عوض ولا عطاء فلما لجوا فى البحر اخذ الخضر فاسا فخرق لوحا من ألواح السفينة فذلك

أمورا منكرة ولا يجوز للأنبياء ان يصبروا على المنكرات ثم بين عذره فى ترك الصبر فقال له وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) اى علما (قال) موسى (ستجدنى إن شاء الله صابرا) إنما استثنى لأنه لم يثق من نفسه بالصبر (ولا اعصى لك امرا) اى لا اخالفك فيما تامرنى (قال) الخضر (فان اتبعتنى (قان صحبتنى ولم يقل اتبعنى ولكن جعل الاختيار اليه الا انه شرط عليه شرطا فقال (فلا تسالنى) قرا ابو جعفر ونافع وابن عامر بفتح اللام وتشديد النون والآخرون بسكون اللام وتخفيف النون (عن شىء) اعمله فيما تنكره وتعترض عليه (حتى احدث لك منه ذكرا) حتى ابتدا لك بذكره فابين لك شانه (فانطلقا) يمشيان على مساحل يطلبان سفينة يركبانها فوجدا سفينة فركباها فقال اهل السفينة هؤلاء لصوص وامرهما بالخروج فقال صاحب السفينة ماهم بلصوص ولكنى ارى وجوه الأنبياء وروينا عن ابى كعب عن النبى ﷺ قال مرت بهم سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول فلما لجوا البحر اخذ الخضر فاسا فخرق لوحا من السفينة فذلك قوله

(حتى إذا ركبا فى السفينة خرقها قال) له موسى (اخرقتها لتغرق أهلها) قرأ حمزة والكسائى ليغرق بالياء وفتحها وفتح الراء أهلها بالرفع على اللزوم وقرأ الاخرون بالتاء ورفعها وكسر الراء أهلها بالنصب على أن الفعل للخضر (لقد جئت شيئا إمرا) أى منكرا والأمر فى كلام العرب الداهية وأصله كل شىء شديد كثير يقال أمر القوم إذا كثروا واشتد أمرهم وقال القتيبى إمرا اى عجبا وروى أن الخضر لما خرق السفينة لم يدخلها الماء وروى أن موسى لما رأى ذلك أخذ ثوبه فحشى به الخروق وروى أن الخضر أخذ قدحا من الزجاج ورقع به خرق السفينة (قال) العالم وهو الخضر (ألم اقل انك لم تستطيع معى صبرا قال) موسى (لا تؤاخذنى بما نسيت) قال ابن عباس أنه لم ينس ولكنه من معاريض الكلام فكانه نسى شيئا آخر وقيل معناه بما تركت من عهدك والنسيان الترك وقال أبى بن كعب عن النبى ﷺ كانت الأولى من موسى نسيانا والوسطى شرطا والثالثة عمدا (ولا ترهقنى) ولا تغشنى (من امرى عسرا) وقيل لا تكلفنى مشقة يقال أرهقته عسرا اى كلفته ذلك يقول لا تضيق على امرى وعاملنى باليسر ولا تعاملنى بالعسر (١٨٢) (فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله) فى القصة انهما خرجا من البحر يمشيان فرأ بغلمان يلعبون فاخذ الخضر غلاما ظريفا وضىء الوجه فاضجعه ثم ذبحه بالسكين قال السدى كان أحسنهم وجها وكان وجهه يتوقد حسنا وروينا انه أخذ برأسه فاقتلعه بيده وروى عبد الرازق هذا الخبر واشار بأصابعه الثلاث الابهام والسبابة والوسطى وقلع براسه وروى انه رضخ راسه بالحجارة وقيل ضرب راسه بالجدار فقتله قال ابن عباس كان غلاما مالم يبلغ الحنث وهو قول الأكثر قال ابن عباس لم يكن نبى الله يقول اقتلت نفسا زكية إلا وهو صبى لم يبلغ وقال الحسن كان رجلا وقال شعيب الجبائى كان اسمه حيسور قال الكلبى كان فتى يقطع الطريق ويأخذ المتاع ويلجأ إلى ابويه وقال الضحاك كان غلاما يعمل بالفساد وتأذى منه ابوه اخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر سألتك انا عبد الغافر بن محمد انا محمد بن عيسى الجلودى أنبانا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج انبانا عبد الله بن مسلمة بن مغيث ثنا معمر بن سليمان عن ابيه عن رقية بن مصقلة عن ابى اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن ابى بن كعب قال قال رسول الله ﷺ ان الغلام الذى قتله الخضر طبع كافرا ولو عاش لأرهق ابويه طغيانا وكفرا (قال) موسى (اقتلت نفسا زكية) قرأ ابن كثير ونافع وابو جعفر وابو عمرو زاكية بالألف وقرأ الآخرون زكية قال الكسائى والفراء معناهما واحد مثل القاسية والقسية وقال ابو عمر بن العلاء الزاكية التى لم تذنب قط والزكية التى اذنبت ثم تابت (بغير نفس) اى لم تقتل نفسا بشىء وجب به علها القتل (لقد جئت شيئا نكرا) اى منكرا قال قتادة النكر اعظم من الأمر لأنه حقيقة الهلاك وفى خرق السفينة كان خوف الهلاك قيل الأمر اعظم لأنه كان فيه تغريق جمع كثير قرأ نافع وابن عامر ويعقوب وابو بكر ههنا نكرا وفى سورة الطلاق بضم الكاف والآخرون بسكونها (قال) يعنى الخضر (الم اقل لك انك لن تستطيع معى صبرا) قيل زاد هنا لك لأنه نقض العهد مرتين وفى القصة إن يوشع كان يقول لموسى يا نبى الله اذكر العهد الذى انت عليه (قال) موسى (إن سألتك عن شىء بعدها) بعد هذه المرة (فلا تصاحبنى) وفارقنى وقرأ يعقوب فلا تصاحبنى بغير الف من الصحبة

* قوله تعالى (حتى إذا ركبا فى السفينة خرقها قال) يعنى موسى له (أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا) اى اتيت شيئا عظيما منكرا روى أن الخضر لما خرق السفينة لم يدخلها الماء وروى ان موسى لما راى ذلك اخذ ثوبه فحشا به الخرق (قال) العالم وهو الخضر (الم اقل لك انك لن تستطيع معى صبرا قال) يعنى موسى (لا تؤاخذنى بما نسيت) قال ابن عباس لم ينس ولكنه من معاريض الكلام فكانه نسى شيئا اخر وقيل معناه بما تركت من عهدك والنسيان الترك وقال أبى بن كعب عن النبى ﷺ كانت الاولى من موسى نسيانا والثانية شرطا والثالثة عمدا (ولا ترهقنى) اى لا تغشنى (من امرى عسرا) والمعنى لا تعسر على متابعتك وسيرها بالاغضاء وترك المناقشة وقيل لا تكلفنى مشقة ولا تضيق على امرى (فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله) فى القصة انهما خرجا من البحر يمشيان فرأ بغلمان يلعبون فاخذ الخضر غلاما ظريفا وضى الوجه كان وجهه يتوقد حسنا فاضجعه ثم ذبحه بالسكين وروينا انه اخذ برأسه فاقتلعه بيده وروى عبد الرازق هذا الخبر وفيه واشار باصبعه الثلاث الابهام والسبابة والوسطى وقلع راسه وروى انه رضخ راسه بحجر وقيل ضرب راسه بالجدار فقتله قال ابن عباس كان غلاما مالم يبلغ الحنث ولم يكن نبى الله موسى يقول اقتلت نفسا زكية إلا وهو صبى لم يبلغ الحنث وقيل كان رجلا وقيل كان اسمه حيسور وقيل كان فتى يقطع الطريق ويأخذ المتاع ويلجأ إلى ابويه وقيل كان غلاما يعمل بالفساد ويتأذى منه ابواه (ق) عن ابى بن كعب قال قال رسول الله ﷺ ان الغلام الذى قتله الخضر طبع كافرا ولو عاش لأرهق ابويه طغيانا وكفرا لفظ مسلم (قال) يعنى موسى (اقتلت نفسا زكية) اى لم تذنب قط وقرئ زكية وهى التى اذنبت ثم تابت (بغير نفس) اى لم تقتل نفسا حتى يجب علها القتل (لقد جئت شيئا نكرا) أى منكرا وقيل النكر اعظم من الأمر لأنه حقيقة الهلاك وفى خرق السفينة خوف الهلاك وقيل الأمر اعظم لأن فيه تغريق جمع كثير وقيل معناه لقد جئت شيئا انكر من الأول لأن ذاك كان خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل إلى تداركه (قال) يعنى الخضر (الم اقل لك أنك لن تستطيع معى صبرا) قيل زاد فى هذه الاية قوله لك لأنه نقض العهد مرتين وقيل ان هذه اللفظة توكيد للتوبيخ فعند هذا (قال) موسى (إن سألتك عن شىء بعدها فلا تصاحبنى) قيل ان يوشع كان يقول لموسى يا نبى الله اذكر العهد الذى انت عليه قال موسى ان

(قد بلغت من لدنى عذرا) قرأ أبو جعفر و نافع و أبو بكر من لدنى خفيفة النون وقرأ الآخرون بتشديدها قال ابن عباس أى قد أعذرت فيما بينى و بينك و قيل قد حذرتنى انى لا أستطيع معك صبرا و قيل اتضح لك العذر فى مفارقتى اخبرنا إسمعيل بن عبد القاهر انبأنا عبد الغافر بن محمد انبأنا محمد بن عيسى ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا محمد بن عبد على القيسى ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن رقبة عن أبى إسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبى بن كعب قال قال رسول الله ﷺ رحمة الله علينا و على موسى او كان إذا ذكر أحدا من الأنبياء بدأ بنفسه لولا أنه عجل لرأى العجب و لكنه أخذته من صاحبه زمامة قال إن سألتك عن شىء بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا فلو صبر لرأى العجب قوله تعالى (فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية) قال ابن عباس يعنى انطاكية و قال ابن سيرين هى الايلة و هى أبعد الأرض من السماء و قيل برقة و عن أبى هريرة بلدة بالأندلس (استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما) قال أبى بن كعب عن النبى ﷺ حتى إذا أتيا أهل قرية لئاما فطافا فى المجالس فاستطعما اهلها فأبوا ان يضيفوهما و روى انهما طافا فى القرية فاستطعما اهلها (١٨٣) فأبوا ان يضيفوهما و روى انهما طافا فى القوم فاستطعماهم فلم يطعموهما و استضافوهم فلم يضيفوهما قال قتادة شر القرى التى لا تضيف الضيف و روى عن ابى هريرة قال اطعمتهما امرأة من اهل بربر بعد ان طلبا من الرجال فلم يطعموهما فدعوا لنسائهم و لعن رجالهم قوله تعالى (فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض) اى يسقط و هذا من مجاز كلام العرب لأن الجدار لا إرادة له و إنما معناه قرب و دنا من السقوط كما تقول العرب دارى تنظر إلى دار فلان إذا كانت تقابلها (فاقامه) اى رواه و روى عن ابى بن كعب عن النبى ﷺ فقال الخضر بيده فاقامه و قال سعيد بن جبير مسح الجدار بيده فاستقام و روى عن ابن عباس هدمه ثم قعد يبنيه و قال السدى بل طينا و جعل يبنى الحائط (قال) موسى (لو شئت لاتخذت عليه أجرا) قرأ ابن كثير و أبو عمرو و يعقوب لتخذت بتخفيف التاء و كسر الخاء و قرأ الاخرون لتخذت بتشديد التاء و فتح الخاء و هما لغتان مثل اتبع و تبع عليه يعنى على اصلاح الجدار اجرا يعنى جعلا معناه انك قد علمت أننا جياع و أن أهل القرية لم يطعمونا فلو أخذت على عملك أجرا (قال) الخضر (هذا فراق بينى و بينك) يعنى هذا وقت فراق بينى و بينك و قيل هذا الانكار على ترك الأجر هو المفرق بيننا و قال الزجاج معناه هذا فراق بيننا اى فراق اتصالنا و كرر بين تأكيدا (سأنبئك) أى سوف اخبرك (بتأويل مالم تستطع عليه صبرا) و فى بعض التفاسير ان موسى أخذ بثوبه فقال اخبرنى بمعنى ما عملت قبل أن تفارقنى فقال (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر) قال كعب كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى و خمسة يعملون فى البحر و فيه دليل على أن المسكين و إن كان يملك شيئا فلا يزول عنه اسم المسكنة إذ لم يقم ما يملك بكفايته يعملون فى البحر أى يؤاجرون و يكتسبون بها (فاردت أن أعيبها) أجعلها ذات عيب (و كان وراءهم) أى امامهم (ملك) كقوله من ورائه جهنم و قيل وراءهم خلفهم و كان رجوعهم

سألتك عن شى بعد هذه المرة فلا تصاحبنى أى فارقنى و لا تصاحبنى (قد بلغت من لدنى عذرا) قال ابن عباس اى قد اعذرت فيما بينى و بينك و قيل معناه اتضح لك العذر فى مفارقتى و المعنى انه مدحه بهذه الطريقة من حيث انه احتمله مرتين أولا و ثانيا مع قرب المدة (ق) عن أبى بن كعب قال قال رسول الله ﷺ رحمة الله علينا و على موسى و كان إذا ذكر احد من الأنبياء بدأ بنفسه لولا انه عجل لرأى العجب و لكنه اخذته من صاحبه ذمامه فقال إن سألتك عن شىء بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا فلو صبر لرأى العجب قوله ذمامة هو بذال معجمة اى حياء و اشفاق من الذم و اللوم يقال ذممته ذمامة يعنى لمته ملامة و يشهد له قول الخضر هذا فراق بينى و بينك * قوله سبحانه و تعالى (فانطلقا حتى إذا أتيا اهل قرية) قال ابن عباس يعنى انطاكية و قيل الايلة و هى ابعد الارض من السماء و قيل هى بلدة بالأندلس (استطعما اهلها فأبوا ان يضيفوهما) قال ابى بن كعب عن النبى ﷺ اتيا اهل قرية لئاما فطافا فى المجالس فاستطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما و روى انهما طافا فى القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما و استضافوهم فلم يضيفوهما و عن ابى هريرة قال اطعمتهما امرأة من اهل بربر بعد ان طلبا من الرجال فلم يطعموهما فدعا لنسائهم و لعن رجالهم و عن قتادة قال شر القرى التى لا تضيف الضيف (فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض) اى يسقط و هذا من مجاز الكلام لان الجدار لا إرادة له و إنما معناه قرب و دنا من السقوط كما تقول دارى تنظر إلى دار فلان إذا كانت تقابلها فاستعير لها النظر كما استعير للجدار الارادة (فأقامه) اى سواه و فى حديث ابى بن كعب عن النبى ﷺ فقال الخضر بيده هكذا فاقامه و قال ابن عباس هدمه و قعد يبنيه (قال) يعنى موسى (و لو شئت لاتخذت عليه اجرا) يعنى على إصلاح الجدار جعلا و المعنى انك قد علمت انا جياع و ان اهل القرية لم يطعمونا فلو اتخذت على عملك اجرا (قال) يعنى الخضر هذا فراق بينى و بينك) يعنى هذا وقت فراق بينى و بينك و قيل ان هذا الانكار على ترك اخذ الأجر هو المفرق بيننا (سانبئك) اى سوف اخبرك (بتاويل مالم تستطع عليه صبرا) و قيل ان موسى اخذ بثوب الخضر و قال اخبرنى بمعنى ما عملت قبل ان تفارقنى فقال الخضر (اما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر) قيل كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى و خمسة يعملون فى البحر أى يؤجرونها و يكتسبون بها و فيه دليل على أن المسكين و ان كان يملك شيئا لا يزول عنه اسم المسكنة إذا لم يقم ما يملكه بكفايته و إن حال الفقير فى الضر و الحاجة اشد من حال المسكين لان الله تعالى سماهم مساكين مع انهم كانوا يملكون تلك السفينة (فاردت ان اعيبها) اى اجعلها ذات عيب (و كان وراءهم ملك)

طريقهم عليه والأول أصح يدل عليه قراءة ابن عباس وكان امامهم ملك (يأخذ كل سفينة غصبا) أى كل سفينة صالحة غصبا وكان ابن عباس يقرأ كذلك فخرقها وعيبها الخضر حتى لا ياخذها الملك الغاصب وكان اسمه الجلندى وكان كافرا قال محمد ابن اسحق اسمه متوله بن جلندى الازدى وقال شعيب الجبائى اسمه هدد بن بدد وروى ان الخضر اعتذر إلى القوم وذكر لهم شان الغاصب ولم يكونوا يعلمون بخبره وقال اردت إذا هى مرت به ان يدعها لعيبها فاذا جاوزه اصلحوها فانتفعوا بها قيل سدوها بقارورة وقيل بالقار قوله تعالى (وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا) اى فعلمنا وفى قراءة ابن عباس واما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين فخشينا اى فعلمنا (ان يرهقهما) يغشيهما وقال الكلبى يكلفهما (طغيانا وكفرا) قال سعيد بن جبير فخشينا ان يحملهما حبه على ان يتابعاه على دينه (فاردنا ان يبدلهما) قرأ ابو جعفر ونافع وأبو عمر بالتشديد ههنا وفى سورة (١٨٤) التحريم والقلم وقرأ الآخرون بالتخفيف وهما لغتان وفرق بعضهم فقال التبديل تغيير الشىء او تغيير حاله وعن الشى قائم والابدال رفع الشىء ووضع شىء آخر مكانه (ربهما خيرا منه زكاة) اى صلاحا وتقوى (واقرب رحما) قرأ ابن عامر وابو جعفر ويعقوب بضم الحاء والباقون بجزمها اى عطفا من الرحمة وقيل هو من الرحم والقرابة قال قتادة اى اوصل للرحم وابر بوالديه قال الكلبى ابدلهما الله جارية فتزوجها نبى من الانبياء فولدت له نبيا فهدى الله على يديه أمة من الأمم وعن جعفر ابن محمد عن ابيه قال ابدلهما الله جارية ولدت سبعين نبيا وقال ابن جريج ابدلهما بغلام مسلم قال مطرف فرح به ابواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل ولو بقى لكان فيه هلاكهما فليرض امرؤ بقضاء الله تعالى فان قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب قوله تعالى (وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة) وكان اسمهما اصرم وصريم (وكان تحته كنز لهما) أشدهما اختلفوا فى ذلك الكنز روى عن أبى الدرداء عن النبى ﷺ انه قال كان ذهبا وفضة وقال عكرمة كان مالا وعن سعيد بن جبير كان الكنز صحفا فيها علم وعن ابن عباس انه قال كان لوحا من ذهب مكتوبا فيه عجبا لمن أيقن بالموت كيف يفرح عجبا لمن ايقن بالحساب كيف يغفل عجبا لمن ايقن بالرزق كيف يتعب عجبا لمن ايقن بالقدر كيف ينصب عجبا لمن ايقن بزوال الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها لا إله إلا الله محمد رسول الله وفى الجانب الآخر مكتوب أنا الله لا إله إلا أنا وحدى لا شريك لى خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير وأجريته على يديه والويل لمن خلقته للشر وأجريته على يديه وقيل الكنز إذا أطلق يراد به المال ومع التقييد يراد به غيره يقال عند فلان كنز علم وكان هذا اللوح جامعا لهما (وكان ابوهما صالحا) قيل ان اسمه كاشح وكان من الأتقياء قال ابن عباس حفظا بصلاح ابيهما وقيل كان بينهما وبين الأب الصالح سبعة آباء قال محمد بن المنكدر إن الله سبحانه وتعالى يحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده وعشيرته واهل دويرات حوله فلا يزالون فى حفظ الله مادام فيهم وقال سعيد بن المسيب انى لأصلى فاذكر ولدى فازيد فى صلاتى (فاراد ربك ان يبلغا

اى أمامهم وقيل خلفهم وكان رجوعهم فى طريقهم عليه والأول اصح (يأخذ كل سفينة غصبا) اى كل سفينة صالحة فخرقتها وعبتها حتى لا ياخذها الملك الغاصب وكان اسمه الجلندى الازدى وكان كافرا وقيل كان اسمه هدد بن بدد وروى ان الخضر اعتذر إلى القوم وذكر لهم شان الملك الغاصب ولم يكونوا يعلمون بخبره وقال اردت إذا هى تمر به ان يدعها لعيبها فاذا جاوزوا اصلحوها وانتفعوا بها * قوله عز وجل (واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا) اى خفنا والخشية خوف يشوبه تعظيم واكثر ما يكون عن علم بما يخشى منه وقيل معناه فعلمنا (ان يرهقهما) أى غشيهما وقيل يكلفهما (طغيانا وكفرا) قيل معناه فخشينا ان يحملهما حبه على ان يتبعاه على دينه (فاردنا ان يبدلهما ربهما) الابدال رفع الشى ووضع آخر مكانه (خيرا منه زكاة) اى صلاحا وتقوى وقيل هو فى مقابلة قوله تعالى اقتلت نفسا زكية فقال الخضر اردنا ان يرزقهما الله خيرا منه زكاة (واقرب رحما) اى ويكون المبدل منه اقرب عطفا ورحمة ابويه بان يبرهما ويشفق عليهما قيل ابدلهما جارية فتزوجها نبى من الأنبياء فولدت له نبيا فهدى الله على يديه الأمة من الأمم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل ابدلهما بغلام مسلم وقيل ان الغلام الذى قتل فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل ولو بقى لكان فيه هلاكهما فليرض العبد بقضاء الله تعالى فان قضاء الله سبحانه وتعالى للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب * قوله سبحانه وتعالى (واما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة) قيل كان اسمهما اصرم وصريم (وكان تحته كنز لهما) روى ابى الدرداء عن النبى ﷺ قال كان الكنز ذهبا وفضة اخرجه الترمذى وقيل كان الكنز صحفا فيها علم وقال ابن عباس كان لوحا من ذهب مكتوبا فيه عجبا لمن ايقن بالموت كيف يفرح عجبا لمن ايقن بالقدر كيف يغضب عجبا لمن ايقن بالرزق كيف يتعب عجبا لمن ايقن بالحساب كيف يغفل عجبا لمن ايقن بزوال الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن إليها لا إله إلا الله محمد رسول الله وفى الجانب الاخر مكتوب انا الله لا إله إلا انا وحدى لا شريك لى خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير واجريته على يديه والويل كل الويل لمن خلقته للشر واجريته على يديه وقيل الكنز إذا اطلق يراد به المال ومع التقييد يراد به غيره يقال عند فلان كنز علم وكان هذا اللوح جامعا لهما (وكان ابوهما صالحا) قيل كان اسمه كاشح وكان من الأتقياء قال ابن عباس حفظا بصلاح ابيهما وقيل كان بينهما وبين الأب الصالح سبعة آباء قال محمد بن المنكدر ان الله سبحانه وتعالى يحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده وعشيرته واهل دويرات حوله فلا يزالون فى حفظ الله مادام فيهم قال سعيد بن المسيب انى لأصلى فاذكر ولدى فازيد فى صلاتى قوله عز وجل (فاراد ربك ان يبلغا

أشدهما) أى يدركا ويعقلا قوتهما وهو البلوغ وقيل ثمان عشرة سنة * فان قلت كيف قال فى الاولى فاردت وفى الثانية فاردنا وفى الثالثة فأراد ربك وماوجه كل واحدة من هذه الألفاظ * قلت أنه لما ذكر العيب أضافه إلى نفسه على سبيل الأدب مع الله تعالى فقال فأردت أن أعيبها ولما ذكر القتل عبر عن نفسه بلفظ الجمع تنبيها على أنه من العلماء العظماء فى علم الباطن وعلوم الحكمة وأنه لم يتقدم على مثل هذا القتل إلا بحكمة عالية ولما ذكر رعاية المصالح فى مال اليتيمين لأجل صلاح أبيهما أضافه إلى الله سبحانه وتعالى لأن حفظ الأبناء وصلاح أحوالهم لرعاية حق الآباء ليس إلا لله سبحانه وتعالى فلاجل ذلك أضافه إلى الله تعالى (ويستخرجا كنزهما) يعنى إذا بلغا وعقلا وقويا (رحمة من ربك) أى نعمة من ربك (وما فعلته عن أمرى) أى باختيارى ورأى بل فعلته بامر الله وإلهامه إياى لان تنقيص أموال الناس وإراقة دمائهم وتغيير أصولهم لا يكون إلا بالنص وأمر الله تعالى واستدل بعضهم بقوله سبحانه وتعالى وما فعلته عن امرى على ان الخضر كان نبيا لأن هذا يدل على الوحى وذلك للانبياء والصحيح انه ولى لله وليس بنبى وأجيب عن قوله سبحانه وتعالى وما فعلته عن أمرى انه الهام من الله سبحانه وتعالى له بذلك وهذه درجة الاولياء وقيل معناه إنما فعلت هذه الافعال لغرض ان تظهر رحمة الله لانها باسرها ترجع إلى معنى واحد وهو تحمل الضرر الأدنى لدفع الضرر الأعلى (ذلك تأويل مالم تستطع عليه صبرا) اى لم تطق ان تصبر عليه روى أن موسى عليه السلام لما اراد ان يفارق الخضر قال اوصنى قال لا تطلب العلم لتحدث به واطلب العلم لتعمل به واختلف العلماء فى ان الخضر حى ام ميت فقيل انه حى وهو قول الاكثرين من العلماء وهو متفق عليه عند مشايخ الصوفية واهل الصلاح والمعرفة والحكايات فى رؤيته والاجتماع به ووجوده فى المواضع الشريفة ومواطن الخير اكثر من ان تحصر قال الشيخ ابو عمرو بن الصلاح فى فتاواه هو حى عند جماهير العلماء والصالحين والعامة هذا اخر كلامه وقيل ان الخضر والياس حيان يلتقيان كل سنة بالموسم وكان السبب فى حياة الخضر فيما حكى انه شرب من عين الحياة وذلك ان ذو القرنين دخل الظلمة لطلب عين الحياة وكان الخضر على مقدمته فوقع الخضر على العين فاغتسل وشرب منها وصلى شكرا لله تعالى واخطا ذو القرنين الطريق فرجع وذهب اخرون إلى انه ميت لقوله سبحانه وتعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد وقال النبى ﷺ بعد ما صلى العشاء ليلة ارايتكم ليلتكم هذه فان على راس مائة سنة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض احد ولو كان الخضر حيا لكان لا يعيش بعده * وقوله عز وجل (ويسئلونك عن ذى القرنين) قيل اسمه مرزبان بن مرزبة اليونانى من ولد يونان بن يافث بن نوح وقيل اسمه الاسكندر بن فيلفوس كذا صح الرومى وكان ولد عجوز ليس له ولد غيره ونقل الامام فخر الدين فى تفسيره عن ابى الريحان السرورى المنجم فى كتابه المسمى بالآثار الباقية عن القرون الخالية أنه من حمير واسمه ابو كرب سمى ابن عير بن ابى افريقيس الحميرى وهى الذى افتخر به احد شعراء حمير حيث يقول

قد كان ذو القرنين جدى مسلما * ملكا علا فى الارض غير مفند
بلغ المشارق والمغارب يبتغى * اسباب ملك من كريم مرشد
فراى ماب الشمس عند غروبها * فى عين ذى خلب وثاطة حرمد

قوله فرأى مآب الشمس أى ذهاب الشمس وقوله فى عين ذى خلب أى حماة والثاطة الحمأ أيضا والجمع ثأط والحرمد الطين الاعود وقيل سمى ذا القرنين لانه بلغ قرنى الشمس مشرقها ومغربها وقيل لانه ملك فارس والروم وقيل لأنه دخل النور والظلمة وقيل لأنه رأى فى المنام كانه أخذ بقرنى الشمس وقيل لأنه كان له ذؤابتان حسنتان وقيل كان له قرنان تواريهما العمامة وروى عن على أنه امر قومه بتقوى الله فضربوه على قرنه الايمن فمات فأحياه الله ثم بعثه فأمرهم بتقوى الله فضربوه على قرنه الأيسر فمات فأحياه الله واختلفوا فى نبوته فقيل كان نبيا ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى قلنا ياذا القرنين وخطاب الله لا يكون إلا مع الأنبياء وقيل لم يكن نبيا قال ابو الطفيل سئل على عن ذى القرنين اكان نبيا فقال لم يكن نبيا ولا ملكا

(أشدهما) أى يبلغا ويعقلا وقيل أن يدركا شدتهما وقوتهما وقيل ثمان عشرة سنة (ويستخرجا) حينئذ (كنزهما رحمة) نعمة (من ربك وما فعلته عن أمرى) أى باختيارى ورأى بل فعلته بأمر الله وإلهامه (ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا) أى لم تطق عليه صبرا واستطاع واسطاع بمعنى واحد روى أن موسى لما أراد أن يفارقه قال له أوصنى قال لا تطلب العلم لتحدث به واطلبه لتعمل به واختلفوا فى أن الخضر حى أم ميت قيل أن الخضر والياس حيان يلتقيان كل سنة بالموسم وقيل ميت وكان سبب حياته فيما يحكى أنه شرب من عين الحياة وذلك أن ذا القرنين دخل الظلمات لطلب عين الحياة وكان الخضر على مقدمته فوقع الخضر على العين فنزل واغتسل وشرب وصلى شكرا لله عز وجل واخطأ ذو القرنين الطريق فعاد وذهب آخرون إلى انه ميت لقوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد وقال النبى ﷺ بعد ما صلى العشاء ليلة أرأيتكم ليلتكم هذه فان على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم حى على ظهر الأرض أحد

ولو كان الخضر حيا لكان لا يعيش بعده قوله تعالى (ويسألونك عن ذى القرنين

قل سأتلوا عليكم منه ذكرا) خبرا واختلفوا فى نبوته فقال بعضهم كان نبيا وقال أبو الطفيل سئل على رضى الله عنه عن ذى القرنين أكان نبيا أم ملكا قال لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان عبدا احب الله وأحبه الله وناصح الله فناصحه الله وروى ان عمر رضى الله عنه سمع رجلا يقول لاخر ياذا القرنين فقال سميتم باسماء النبيين فلم ترضوا حتى تسميتم باسماء الملائكة والاكثرون على انه كان ملكا عادلا صالحا واختلفوا فى سبب تسميته بذى القرنين قال الزهرى لأنه بلغ قرنى الشمس مشرقها ومغربها وقيل لانه كان ملك الروم وفارس وقيل لأنه دخل النور والظلمة وقيل لأنه رأى فى المنام كانه أخذ بقرنى الشمس وقيل لانه كانت له ذؤابتان حسنتان وقيل لانه كان له قرنان تواريهما العمامة وروى ابو الطفيل عن على انه قال سمى ذا القرنين لأنه أمر قومه بتقوى الله فضربوه على قرنه الأيمن فمات فبعثه الله ثم امرهم بتقوى الله فضربوه على قرنه الايسر فمات فاحياه الله واختلفوا فى اسمه (١٨٦) قيل اسمه مرزبان بن مرزبة اليونانى من ولد يونان بن يافث بن نوح وقيل اسمه الاسكندر ابن فيلقوس بن ياملوس الرومى قوله عز وجل (إنا مكنا له فى الارض) اوطانا والتمكين تمهيد الاسباب وقال على سخر له السحاب فحمله عليها ومد له فى الاسباب وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء فهذا معنى تمكنه من الارض وهو انه سهل عليه السير فيها وذلل له طرقها (وآتيناه من كل شىء) اى من كل شىء يحتاج اليه الخلق وقيل من كل ما يستعين به الملوك على فتح المدن ومحاربة الاعداء (سببا) أى علما يتسبب به إلى كل ما يريد ويسير به فى اقطار الارض والسبب ما يوصل به إلى الشىء وقال الحسن بلاغا إلى حيث اراد وقيل قربنا اليه اقطار الارض (فأتبع سببا) أى سلك وسار طريقا قرأ أهل الحجاز والبصرة فاتبع ثم اتبع موصولا مشددا وقرا الاخرون بقطع الألف وجزم التاء وقيل معناهما واحد والصحيح الفرق بينهما فمن قطع الالف فمعناه ادرك ولحق ومن قرأ من بالتشديد فمعناه سار يقال مازلت اتبعه حتى اتبعته اى ما زلت اسير خلفه حتى لحقته وقوله سببا اى طريقا وقال ابن عباس منزلا (حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة) قرأ أبو جعفر وأبو عامر وحمزة والكسائى وأبو بكر حامية بالألف غير مهموزة أى حارة وقرأ الاخرون حمئة مهموزا بغير الالف ذات حمأة وهى الطينة السوداء وسأل معاوية كعبا كيف تجد فى التوراة ان تغرب الشمس قال نجد فى التوراة انها تغرب فى ماء وطين قال القتيبى يجوز ان يكون معنى قوله فى عين حمئة اى عندها عين حمئة أو فى رأى العين (ووجد عندها قوما) اى عند العين أمة قال ابن جريج مدينة لها اثنا عشر الف باب لولا ضجيج أهلها لسمعت وجبة الشمس حين تجب (قلنا ياذا القرنين) يستدل بهذا من زعم انه كان نبيا فان الله تعالى خاطبه والاصح انه لم يكن نبياً والمراد منه الالهام (إما ان تعذب) يعنى إما ان تقتلهم ان لم يدخلوا فى الاسلام (وإما ان تتخذ فيهم حسنا) يعنى تعفو وتصفح وقيل تأسرهم فتعلمهم الهدى خيره الله سبحانه وتعالى بين الامرين (قال أما

ولكن كان عبداً أحب الله فأحبه الله وناصح الله فناصحه الله وروى ان عمر سمع رجلا يقول لاخر ياذا القرنين فقال تسميتم باسماء الانبياء فلم ترضوا حتى تسميتم باسماء الملائكة والاصح الذى عليه الاكثرون أنه كان ملكا صالحا عادلا وانه بلغ اقصى المغرب والمشرق والشمال والجنوب وهذا هو القدر المعمور من الارض وذلك أنه لما مات ابوه جمع ملك الروم بعد ان دان له طوائف ثم مضى إلى العرب وقهرهم ومضى حتى انتهى إلى البحر الاخضر ثم رجع إلى مصر وبنى الاسكندرية وسماها باسمه ثم دخل الشام وقصد بيت المقدس وقرب فيه القربان ثم انعطف إلى ارمينية وبوب الابواب وبنى السد ودانت له ملوك العراق والنبط والبربر واستولى على ممالك الفرس ثم مضى إلى الهند والصين وغزا الامم البعيدة ثم رجع إلى العراق ومرض بشهرزور ومات بها وحمل إلى حيث هو مدفون وقيل ان عمره كان الفا وثلاثين سنة ومثل هذا الملك البسيط الذى هو على خلاف العادات وجب ان يبقى ذكره مخلدا على وجه الارض فذلك قوله سبحانه وتعالى ويسئلونك عن ذى القرنين (قل سأتلوا عليكم منه ذكرا) اى خبرا يتضمن حاله * قوله سبحانه وتعالى (إنا مكنا له فى الارض) أى وطانا له والتمكين تمهيد الاسباب قال على سخر الله له السحاب فحمل عليه ومد له فى الاسباب وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء وسهل عليه السير فى الارض وذلل له طريقها (وآتيناه من كل شىء) مما يحتاج اليه الخلق وكل ما يستعين به الملوك على فتح المدن ومحاربة الاعداء (سببا) أى علما يتسبب به إلى كل ما يريد ويسير به فى اقطار الارض وقيل بلاغا إلى حيث اراد وقيل قربنا له اقطار الارض (فاتبع سببا) اى سلك طريقا (حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة) أى ذات حماة وهى الطينة السوداء وقرىء حامية اى حارة وسأل معاوية كعبا كيف تجد فى التوراة تغرب الشمس واين تغرب قال نجد فى التوراة انها تغرب فى ماء وطين وقيل يجوز ان يكون معنى فى عين حمئة اى عندها عين حمئة او فى راى العين وذلك انه بلغ موضعا من المغرب لم يبق بعده شىء من العمران فوجد الشمس كانها تغرب فى وهدة مظلمة كما ان راكب البحر يرى أن الشمس كأنها تغيب فى البحر (ووجد عندها قوما) اى عند العين امة قال ابن جريج مدينة لها اثنا عشر الف باب يقال انها الجاسوس واسمها يا لسريانية حريحسا سكنها قوم من نسل ثمود الذين امنوا بصالح لولا ضجيج أهلها السمع الناس وجبة الشمس حين تجب اى تغيب (قلنا ياذا القرنين) يستدل بهذا من يزعم انه كان نبيا فان الله خاطبه ومن قال انه لم يكن نبيا قال المراد منه الالهام وقيل يحتمل ان يكون الخطاب على لسان غيره (إما ان تعذب) يعنى تقتل من لم يدخل لله الاسلام (وإما ان تتخذ فيهم حسنا) يعنى تعفو وتصفح وقيل تأسرهم فتعلمهم الهدى خيره الله سبحانه وتعالى بين الامرين (قال أما

(قال أما من ظلم) كفر (فسوف نعذبه) أي نقتله (ثم يرد إلى ربه) في الاخرة (فيعذبه عذابا نكرا) أي منكرا يعني بالنار والنار أنكر من القتل (وأما من امن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى) قرأ حمزة والكسائي وابو جعفر ويعقوب جزاء منصوبا منونا أي فله الحسنى جزاء نصب على المصدر وقرأ الاخرون بالرفع على الاضافة والحسنى الجنة وإضافة الحسن اليها كما قال ولدار الاخرة خير والدار هي الاخرة وقيل المراد بالحسنى على هذه القراءة الأعمال الصالحة أي له جزاء الأعمال الصالحة (وسنقول له من أمرنا يسرا) أي نلين له القول ونعامله باليسر من أمرنا وقال مجاهد يسرا أي معروفا (ثم اتبع سببا) أي سلك طرقا ومنازل (حتى إذا بلغ مطلع الشمس) أي موضع طلوعها (وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا) قال قتادة والحسن لم يكن بينهم وبين الشمس ستر وذلك أنهم كانوا في مكان لا يستقر عليه بناء فكانوا يكونون في أسراب لهم حتى إذا زالت الشمس عنهم خرجوا إلى معايشهم وحروثهم وقال الحسن كانوا إذا طلعت الشمس يدخلون الماء فاذا ارتفعت عنهم خرجوا فرعوا كالبهائم وقال الكلبي هم قوم عراة يفترش أحدهم إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى قوله عز وجل (كذلك) قيل معناه كما بلغ مغرب الشمس كذلك بلغ مطلعها والصحيح أن معناه كما حكم في القوم الذين هم عند غروب الشمس كذلك حكم في الذين هم عند طلوع الشمس (وقد أحطنا بما لديه خبرا) يعني بما عنده ومعه من الجند (١٨٧) والعدة والالات خبرا أي علما (ثم

من ظلم) أي كفر (فسوف نعذبه) أي نقتله (ثم يرد إلى ربه) أي في الاخرة (فيعذبه عذابا نكرا) أي منكرا يعني بالنار لأنها أنكر من القتل (وأما من امن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى) أي جزاء اعماله الصالحة (وسنقول له من أمرنا يسرا) أي تلين له القول ونعامله باليسر من أمرنا (ثم اتبع سببا) أي سلك طريقا ومنازل (حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا) قيل أنهم كانوا في مكان ليس بينهم وبين الشمس ستر من جبل ولا شجر ولا يستقر عليهم بناء فاذا طلعت الشمس دخلوا في اسراب لهم تحت الارض فاذا زالت الشمس عنهم خرجوا إلى معايشهم وحروثهم وقيل أنهم كانوا إذا طلعت الشمس نزلوا في الماء فاذا ارتفت عنهم خرجوا فرعوا كالبهائم وقيل هم قوم عراة يفترش أحدهم إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى وقيل انهم قوم من نسل مؤمني قوم هود واسم مدينتهم جابلق واسمها بالسريانية مرقيسيا وهم مجاورون ياجوج وماجوج * قوله سبحانه وتعالى (كذلك) أي كما بلغ مغرب الشمس كذلك بلغ مطلعها وقيل معناه أنه حكم في القوم الذين هم عند مطلع الشمس كما حكم في القوم الذين عند مغربها وهو الأصح (وقد أحطنا بما لديه خبرا) أي علما بما عنده ومن معه من الجند والعدة والآت الحرب وقيل معناه وقد علمنا حين ملكناه ما عنده من الصلاحية بذلك الملك والاستقلال به والقيام بامره * قوله عز وجل (ثم اتبع سببا حتى إذا بلغ بين السدين) هما هنا جبلان في ناحية الشمال في منقطع ارض الترك حكى ان الواثق بعث بعض من يثق به من اتباعه اليه ليعاينوه فخرجوا من باب الأبواب حتى وصلوا اليه وشاهدوه فوصفوا أنه بناء من لبن حديد مشدود بالنحاس المذاب وعليه باب مقفل (وجد من دونهما قوما) أي أمام السدين قيل هم الترك (لا يكادون يفقهون قولا) قال ابن عباس لا يفهمون كلام أحد ولا يفهم الناس كلامهم (قالوا ياذا القرنين) * فان قلت كيف اثبت لهم القول وهم لا يفقهون * قلت تكلم عنهم مترجم ممن هو مجاورهم ويفهم كلامهم وقيل معناه لا يكادون يفقهون قولا إلا بجهد ومشقة من اشارة ونحوها كما يفهم الخرس (إن ياجوج وماجوج) اصلهما من اجيج النار وهو ضوؤها وشررها شبهوا به

أتبع سببا حتى إذا بلغ بين السدين) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص السدين وسداهنا بفتح السين وافق حمزة والكسائي في سداد وقرأ الاخرون بضم السين وفي يس سدا بالفتح حمزة وحفص وقرأ الباقون بالضم منهم من قال هما لغتان معناهما واحد وقال عكرمة ما كان من صنعة بني آدم فهو السد بالفتح وما كان من صنع الله فهو سد بالضم وقاله أبو عمرو وقيل السد بالفتح مصدر وبالضم اسم وهما هنا جبلان سدد والقرنين ما بينهما حاجزا بين ياجوج وماجوج ومن ورائهم (وجد من دونهما قوما) يعني أمام السدين (لا يكادون يفقهون قولا) قرأ حمزة والكسائي يفقهون بضم الياء وكسر القاف على معنى لا يفهمون غيرهم قولا وقرأ الاخرون بفتح الياء والقاف اي لا يفهمون كلام غيرهم قال ابن عباس لا يفهمون كلام احد ولا يفهم الناس كلامهم (قالوا ياذا القرنين) فان قيل كيف قالوا ذلك وهم لا يفهمون قيل كلم عنهم مترجم دليله قراءة ابن مسعود لا يكادون يفقهون قولا قال الذين من دونهم ياذا القرنين (ان ياجوج وماجوج) قرأ هما عاصم مهموزين والاخرون بغير همز وهما لغتان اصلهما من اجيج النار وهو ضوؤها وشررها شبهوا به لكثرتهم وشدتهم وقيل بالهمز من اجيج النار ويترك الهمز اثنان اعجميان مثل هاروت وماروت وهم من اولاد يافث بن نوح قال الضحاك هم جيل من الترك قال السدي الترك سرية من ياجوح وماجوج خرجت فضرب ذو القرنين السد فبقيت خارجه فجميع الترك منهم وعن قتادة أنهم اثنان وعشرون قبيلة بنى ذو القرنين السد على احدى وعشرين قبيلة فبقيت قبيلة واحدة فهم الترك سموا الترك لانهم تركوا خارجين قال اهل التواريخ اولاد نوح ثلاثة سام حام ويافث فسام ابو العرب والعجم والروم وحام ابو الحبشة والزنج والنوبة ويافث ابو الترك والخزر والصقالبة وياجوج وماجوج قال ابن عباس في رواية عطاء هم عشر اجزاء وولد ادم كلهم جزء روى عن حذيفة مرفوعا ان ياجوج وماجوج امة كل اربعة الاف امة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى الف ذكر من صلبه كلهم قد

حمل السلاح وهم من ولد آدم يسيرون إلى خراب الدنيا وقيل هم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الأرز شجر بالشام طوله عشرون ومائة ذراع في السماء وصنف منهم عرضه وطوله سواء عشرون ومائة ذراع في السماء وهؤلاء لا يقوم لهم جبل ولا حديد وصنف منهم يفترش أحدهم اذنه ويلتحف الاخرى لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير ولا كلب إلا اكلوه ومن مات منهم اكلوه مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون أنهار المشارق وبحيرة طبرية وعن علي أنه قال منهم من طوله شبر ومنهم من هو مفرط في الطول وقال كعب هم نادرة ولد آدم وذلك ان آدم احتلم(١) ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك الماء يأجوج ومأموجوج فهم يتصلون بنا من جهة الأب دون الأم وذكر وهب بن منبه ان ذا القرنين كان رجلا من الروم ابن عجوز فلما بلغ كان عبدا صالحا قال الله له إني باعثك إلى أمم مختلفة السنتهم منهم امتان بينهما طول الأرض إحداهما عند مغرب الشمس يقال لها ناسك والأخرى عند مطلعها يقال لها منسك وامتان بينهما عرض الأرض إحداهما في القطر الأيمن يقال لها تاويل والأخرى في قطر الارض الأيسر يقال لها تأويل وأمم في وسط الأرض منهم الجن والانس ويأجوج ومأجوج فقال ذو القرنين يارب بأي قوة اكابرهم وبأي جمع اكاثرهم وبأي لسان اناطقهم قال الله عز وجل إني ساقويك وابسط لك لسانك وأشد عضدك فلا يهولنك شيء وألبسك الهيبة فلا يروعك شيء وأسخر لك النور والظلمة واجعلهما من جنودك يهديك النور من امامك وتحوطك الظلمة من ورائك (١٨٨) فانطلق حتى اتى مغرب الشمس فوجد جمعا وعددا لا يحصيه إلا الله فكابرهم بالظلمة حتى

لكثرتهم وشدتهم وهم من أولاد يافث بن نوح والترك منهم قيل أن طائفة منهم خرجت تغير فضرب ذو القرنين السد فبقوا خارجه فسموا الترك لذلك لأنهم تركوا خارجين قال أهل التواريخ أولاد نوح ثلاثة سام وحام ويافث فسام أبو العرب والعجم والروم وحام أبو الحبشة والزنج والنوبة ويافث أبو الترك والخزر والصقالبة ويأجوج ومأجوج قال ابن عباس هم عشرة اجزاء وولد آدم كلهم جزء وروى حذيفة مرفوعا أن يأجوج ومأجوج أمة وكل أمة أربعة آلاف أمة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر ألف ذكر من صلبه قد حمل السلاح وهم من ولد آدم يسيرون إلى خراب الدنيا وقال هم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الأرز شجر بالشام طوله عشرون ومائة ذراع في السماء وصنف منهم عرضه وطوله سواء عشرون ومائة ذراع وهؤلاء لا يقوم لهم جبل ولا حديد وصنف منهم يفترش أحدهم أذنه ويلتحف بالأخرى يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير إلا اكلوه ومن مات منهم اكلوه مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية وعن علي منهم من طوله شبر ومنهم من هو مفرط في الطول وقال كعب هم نادرة في ولد آدم وذلك أن آدم احتلم(١) ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك الماء يأجوج ومأموجوج فهم متصلون بنا من جهة الأب دون الام وذكر وهب بن منبه ان ذا القرنين كان رجلا من الروم ابن عجوز فلما بلغ كان عبدا صالحا قال الله سبحانه وتعالى إني باعثك إلى أمم مختلفة السنتهم منهم امتان بينهما طول الأرض إحداهما عند مغرب الشمس يقال له ناسك والأخرى عند مطلعها يقال لها منسك وامتان بينهما عرض الأرض احداهما في القطر الأيمن يقال لها ويل والأخرى في قطر الأرض الايسر يقال لها تاويل وأمم في وسط الارض منهم الجن والانس ويأجوج ومأجوج فقال ذو القرنين بأي قوة اكابدهم وباي جمع اكاثرهم وبأي لسان اناطقهم فقام الله تعالى إني ساقويك وابسط لسانك واشد عضدك فلا يهولنك شيء والبسك الهيبة فلا يروعك شيء واسخر لك النور والظلمة واجعلهما من جنودك فالنور يهديك من أمك والظلمة تحوطك من ورائك فانطلق حتى أتى مغرب الشمس فوجد جمعا

حتى جمعهم في مكان واحد فدعاهم إلى الله وإلى عبادته فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه فعمد إلى الذين تولوا عنه فأدخل عليهم الظلمة فدخلت في أجوافهم وبيوتهم فدخلوا في دعوته فجند من أهل المغرب جندا عظيما فانطلق يقودهم والظلمة تسوقهم حتى أتى هويل فعمل فيهم كعمله في ناسك ثم مضى حتى انتهى إلى منسك عند مطلع الشمس فعمل فيها وجند فيها جنودا كفعله في الامتين ثم أخذ ناحية الأرض اليسرى فاتى تأويل فعمل فيها كعمله ثم عمد إلى الامم التي في وسط الارض فلما دنا مما يلي منقطع الترك نحو المشرق قالت له أمة صالحة من الانس ياذا القرنين أن بين هذين الجبلين خلقا أشباه البهائم يفترسون الدواب وعددا والوحوش لهم أنياب واضراس كالسباع يأكلون الحيات والعقارب وكل ذي روح خلق في الأرض وليس يزداد خلق كزيادتهم ولا شك أنهم سيملؤن الأرض ويظهرون علينا ويفسدون فيها فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكني فيه ربي خير قال اعدوا إلى الصخرة والحديد والنحاس حتى اعلم علمهم فانطلق حتى توسط بلادهم فوجدهم على مقدار واحد يبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربوع منا لهم مخالب كالأظفار في أيدينا وأنياب وأضراس كالسباع ولهم هدب من الشعر في أجسادهم يواريهم ويتقون به من الحر والبرد ولكل واحد منهم اذنان عظيمتان يفترش احداهما ويلتحف بالأخرى يصيف في إحداهما ويشتو في الاخرى يتسافدون تسافد البهائم حيث التقوا فلما عاين ذلك ذو القرنين انصرف إلى ما بين الصدفين فقاس ما بينهما فحفر له الاساس حتى بلغ الماء وجعل حشوه الصخر وطينه النحاس يذاب فيصب عليه فصار كانه عرق من جبل تحت الأرض

(١) قوله احتلم هذا مردود فان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من الشيطان والاحلام من الشيطان اه من هامش

قوله تعالى (مفسدون فى الارض) قال الكلبى فسادهم انهم كانوا يخرجون أيام الربيع إلى أرضهم فلا يدعون فيها شيئا أخضر إلا أكلوه ولا يابسا إلا احتملوه وأدخلوه أرضهم وقد لقوا منهم أذى شديدا وقتلا وقيل فسادهم أنهم كانوا يأكلون الناس وقيل معناه انهم سيفسدون فى الأرض عند خروجهم (فهل نجعل لك خرجا) قرأ حمزة والكسائى خراجا بالألف وقرأ الاخرون خرجا بغير ألف وهما لغتان بمعنى واحد أى جعلا وأجرا من أموالنا وقال أبو عمرو الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك (١٨٩) أداؤه وقيل الخراج على الأرض والخرج على الرقاب يقال أدخرج رأسك وخراج مدينتك (على ان تجعل بيننا وبينهم سدا) اى حاجزا فلا يصلون الينا (قال) لهم ذو القرنين (ما مكنى فيه) قرأ ابن كثير مكننى بنونين ظاهرين وقرأ الاخرون بنون واحدة مشددة على الإدغام أى ما قوانى عليه (ربى خير) من جعلكم (فأعينونى بقوة) معناه انى لا أريد المال بل أعينونى بأبدانكم وقوتكم (اجعل بينكم وبينهم ردما) اى سدا قالوا وما تلك القوة قال فعلة وصناع يحسنون البناء والعمل والآلة قالوا وما تلك الآية قال (آتونى) أعطونى وقرأ أبو بكر ائتونى اى جيئونى (زبر الحديد) اى قطع الحديد واحدتها زبرة فأتوه بها وبالحطب وجعل بعضها على بعض فلم يزل يجعل الحديد على الحطب والحطب على الحديد (حتى إذا ساوى بين الصدفين) قرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب بضم الصاد والدال وجزم ابو بكر الدال وقرأ الاخرون بفتحها وهما الجبلان وساوى اى سوى بين طرفى الجبلين (قال انفخوا) وفى القصة انه جعل الفحم الحطب فى خلال زبر الحديد ثم قال انفخوا يعنى فى النار (حتى إذا جعله نارا) اى صار الحديد نارا (قال آتونى) قرا حمزة وابو بكر وصلا وقرا الاخرون بقطع الالف (افرغ عليه قطرا) اى آتونى قطرا افرغ عليه والافراغ الصب والقطر هو النحاس المذاب فجعلت النار تأكل الحطب ويصير النحاس مكان الحطب حتى لزم الحديد النحاس قال قتادة هو كالبر والبحر طريقة سوداء وطريقة حمراء وفى القصة ان عرضه كان خمسين ذراعا وارتفاعه مائتى ذراع وطوله فرسخ

وعددا لا يحصيهم إلا الله تعالى فكانرهم بالظلمة حتى جمعهم فى مكان واحد فدعاهم إلى الله تعالى وعباداته فمنهم من آمن ومنهم من صد عنه فعمد إلى الذين تولوا عنه فادخل عليهم الظلمة فدخلت أجوافهم وبيوتهم فدخلوا فى دعوته فجند من اهل المغرب جندا عظيما وانطلق يقودهم والظلمة تسوقهم حتى اتى هاويل ففعل فيهم كفعله فى ناسك ثم مضى حتى منسك ففعل فيهم كفعله فى الامتين وجند منهم جندا عظيما ثم اخذ ناحيه اليسرى فأتى تأويل ففعل بهم كفعله فيما قبلها ثم عمد الى الامم التى فى وسط الارض فلما كان فيما يلى منقطع الترك مما يلى المشرق قالت له امه صالحة من الانس ياذا القرنين ان بين هذين الجبلين خلقا أشباه البهائم يفترسون الدواب والوحوش والسباع ويأكلون الحيات والعقارب وكل ذى روح خلق فى الارض وليس يزداد خلق كزيادتهم فلاشك أنهم يمتلكون الأرض ويظهرون عليها ويفسدون فيها فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكننى فيه ربى خير وقال اعدوا لى الصخور والحديد والنحاس حتى اعلم علمهم فانطلق حتى توسط بلادهم فوجدهم على مقدار واحد يبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربوع منا لهم مخالب وأضراس كالسباع ولهم هدب شعر يوارى اجسادهم ويتقون به من الحر والبرد ولكل واحد منهم اذنان عظيمتان يفترش احداهما ويلتحف بالأخرى يصيف فى واحدة ويشتى فى واحدة يتسافدون تسافد البهائم حيث التقوا فلما عاين ذو القرنين ذلك انصرف إلى ما بين الصدفين فقاس ما بينهما وحفر له الاساس حتى بلغ الماء فذلك قوله تعالى قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج (مفسدون فى الارض) قيل فسادهم انهم كانوا يخرجون أيام الربيع إلى أرضهم فلا يدعون فيها شيئا أخضر إلا أكلوه ولا يابسا إلا احملوه وادخلوه ارضهم فلقوا منهم اذى شديدا وقيل فسادهم انهم كانوا يأكلون الناس وقيل معناه انهم سيفسدون عند خروجهم (فهل نجعل لك خرجا) اى جعلا واجرا من الاموال (على ان تجعل بيننا وبينهم سدا) اى حاجزا فلا يصلون الينا (قال) لهم ذو القرنين (ما مكنى فيه ربى خير) اى ما قوانى به ربى خير من جعلكم (فأعونونى بقوة) يعنى لا اريد منكم المال بل اعينونى بأبدانكم وقوتكم (اجعل بينكم وبينهم ردما) اى سدا قالوا وما تلك القوة قال فعلة وصناع يحسنون البناء والآلة قالوا وما تلك الآلة قال (آتونى) أعطونى وقرأ أبو بكر ائتونى اى جيئونى (١) (زبر الحديد) اى قطع الحديد فأتوه بها وبالحطب فجعل الحطب على الحديد والحديد على الحطب (حتى إذا ساوى بين الصدفين) يعنى بين طرفى الجبلين (قال انفخوا) يعنى فى النار (حتى إذا جعله نارا) يعنى صار نارا (قال آتونى افرغ عليه) يعنى اصبب عليه (قطرا) يعنى نحاسا مذابا فجعل النار تأكل الحطب وجعل النحاس يسيل مكانه حتى لزم الحديد النحاس قيل إن السد كالبرد المحبر طريقه سواء وطريقة حمراء وقيل ان عرضه خمسون ذراعا وارتفاعه مائة ذراع وطوله فرسخ واعلم ان هذا السد معجزة عظيمة ظاهرة لأن الزبرة الكبيرة إذا نفخ عليها صارت كالنار لم يقدر احد على القرب منها والنفخ عليها لا يمكن إلا بالقرب منها فكانه تعالى صرف تأثير تلك الحرارة العظيمة عن إبدان الئك النافخين حتى تمكنوا من

(١) قوله وقيل جيئونى ظاهره انه تفسيره لاتونى مقطوع الهمزة ولا يصح إنما يصح إذا كان تفسيرا لاتونى موصولها فليتامل اه

(فما استطاعوا أن يظهروه) أن يعلوه من فوقه لطوله وملاسته (وما استطاعوا له نقبا) من أسفله لشدته ولصلابته وقرأ حمزة فما اسطاعوا بتشديد الطاء أدغم تاء الافتعال فى الطاء (قال) يعنى ذا القرنين (هذا) أى السد (رحمة) نعمة (من ربى فاذا جاء وعد ربى) قيل القيامة وقيل وقت خروجهم (جعله دكاء) قرأ أهل الكوفة دكاء بالمد والهمزة أى أرضا ملساء وقرأ الاخرون ملامدا أى جعله مدكوكا مستويا مع وجه الارض (وكان وعد ربى حقا) وروى قتادة عن ابى رافع عن ابى هريرة يرفعه ان يأجوج ومأجوج يحفرونه كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا فيعيده الله كما كان حتى إذا بلغت مدتهم حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا إن شاء الله واستثنى فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه فيخرجون على الناس فيتبعون المياه ويتحصن الناس فى حصونهم منهم فيرمون بسهامهم إلى السماء فيرجع كهيئة الدم فيقولون قهرنا اهل الارض وعلونا اهل السماء فيبعث الله عليها نغفا فى اقفائهم فيهلكون وأن دواب الأرض لتسمن وتشكر من لحومهم شكرا اخبرنا إسمعيل بن عبد القاهر أنبأنا عبد الغفار بن محمد الفارسى أنبأنا محمد بن عيسى الجلودى ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا محمد بن مهران الرازى ثنا الوليد بن مسلم ثنا عبد الرحمن يزيد بن جابر عن يحيى بن جابر الطائى عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن النواس ابن سمعان ذكر النبى ﷺ (١٩٠) الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظننناه فى طائفة النخل فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا فقال ماشأنكم قلنا يارسول الله ذكرت الدجال ذات غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظننناه فى طائفة النخل فقال غير الدجال أخوفنى عليكم ان يخرج وانا فيكم فانا حجيجه دونكم وان يخرج ولست فيكم فكل امرىء حجيج نفسه والله خليفتى على كل مسلم انه شاب قطط عينه اليمنى طافية كانى اشبهه بعبد العزى بن قطن فمن ادركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف انه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا ياعباد الله فاثبتوا قلنا يارسول الله فما لبثه فى الارض قال اربعون يوما أول يوم كسنة ويوما كشهر ويوم كجمعة وسائر ايامه كأيامكم قلنا يارسول الله فذلك اليوم الذى كسنة يكفينا فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره قلنا يارسول الله وما اسراعه فى الارض قال كالغيث استدبرته الريح فيأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنوا به ويستجيبوا له فيأمر السماء فتمطر والارض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم اطول ما كانت ذرى واسبغه ضروعا وامده خواصر ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله قال فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شىء من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها اخرجى كنوزك فيتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه ويضحك فبينما هو كذلك اذ بعث الله المسيح عيسى بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقى باب دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين اذا طأطأ رأسه قطر واذا رفعه تحدر منه مثل جمان اللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد من ريح نفسه الا مات ونفسه ينتهى حيث ينتهى طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ثم يأتى عيسى قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم فى الجنة فبينما هو كذلك اذ اوحى الله الى عيسى انى قد اخرجت عبادا لى لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادى الى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر اخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر نبى الله واصحابه حتى يكون رأس الثور لاحدهم خيرا من مائة دينار لاحدكم اليوم فيرغب نبى الله عيسى واصحابه فيرسل الله عليهم النغف فى رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس

العمل فيه (فما اسطاعوا أن يظهروه) اى يعلوا عليه لعلوه وملاسته (وما استطاعوا له نقبا) اى من اسفله لشدته وصلابته (قال) يعنى ذا القرنين (هذا) أى السد (رحمة من ربى) أى نعمة من ربى (فاذا جاء وعد ربى) قيل يعنى يوم القيامة وقيل وقت خروجهم (جعله دكاء) أى ارضا ملساء وقيل مدكوكا مستويا مع الارض وكان وعد ربى حقا (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال النبى ﷺ فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وعقد بيده تسعين قوله وعقد بيده تسعين هو من موضات الحساب وهو ان نجعل رأس اصبعك السبابة فى وسط الابهام من باطنها شبه الحلقة لكن لا يتبين لها إلا خلل يسير وعنه ان النبى ﷺ قال فى السد يحفرونه كل يوم حتى اذا كادا يخرقونه قال بعضهم ارجعوا فستحفرونه غدا قال فيعيده الله كاشد ما كان حتى اذا بلغوا مدتهم واراد الله تعالى ان يبعثهم على الناس قال الذى عليهم ارجعوا فتستحفرونه غدا إن شاء الله تعالى واستثنى قال فيرجعون فيجدونه على هيئته حين تركوه فيخرقونه فيخرجون على الناس فيستقون المياه وتفر منهم الناس وفى رواية تتحصن الناس فى حصونهم منهم فيرمون بسهام إلى السماء فترفع مخضبة بالدماء فيقولون قهرنا من الارض وعلونا من فى السماء فيزدادون قسوة وعتوا فيبعث الله عليهم نغفا فى رقابهم فيهلكون فوالذى نفس محمد بيده ان دواب الأرض لتسمن وتشكر من لحومهم شكرا أخرجه الترمذى وقوله قسوة وعتوا أى غلظة وفظاظة وتكبرا والنغف دود يكون فى انوف الإبل والغنم وقوله وتشكر يقال شكرت الشاة تشكر شكر إذا امتلأ ضرعها لبنا والمعنى أنها تمتلىء أجسامها لحما وتسمن (خ) عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج * قوله تعالى

واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للأرض انبتي ثمرتك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل حتى ان اللقحة من الابل لتكفي الفامن الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة وبهذا الاسناد حدثنا مسلم بن الحجاج ثنا علي بن حجر السعدي ثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر والوليد بن مسلم بن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر بهذا الاسناد نحو ما ذكرنا وزاد بعد قوله لقد كان بهذه مرة ماء ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر وهو جبل المقدس فيقولون لقد قتلنا من في الارض هلم فلنقتل من في السماء فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دما وقال وهب انهم كانوا يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الخشب ومن ظفروا به من الناس ولا يقدرون أن يأتوا مكة ولا المدينة ولا بيت المقدس أخبرنا عبد الواحد المليحي أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل أنبأنا أبي أنبأنا ابراهيم عن الحجاج بن حجاج عن قتادة عن عبد الله بن أبي عتبة عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال ليحجن البيت (١٩١) وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج وفي القصة أن ذا القرنين دخل الظلمة فلما رجع توفي بشهرزور وذكر بعضهم ان عمره كان نيفا وثلاثين سنة قوله تعالى (وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) قيل هذا عند فتح السد يقول تركنا يأجوج وماجوج يموج أي يدخل بعضهم في بعض كموج الماء ويختلط بعضهم ببعض لكثرتهم وقيل هذا عند قيام الساعة يدخل الخلق بعضهم في بعض لكثرتهم ويختلط أنسيهم بجنيهم حيارى (ونفخ في الصور) لأن خروج يأجوج

(وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) قيل هذا عند فتح السد يقول تركنا يأجوج ومأجوج يموج أي يدخل بعضهم في بعض كموج الماء ويختلط بعضهم في بعض لكثرتهم وقيل هذا عند قيام الساعة يدخل الخلق بعضهم في بعض لكثرتهم ويختلط انسهم بجنهم حيارى (ونفخ في الصور) فيه دليل على ان خروج يأجوج وماجوج من علامات قرب الساعة (فجمعناهم جمعا) أي في صعيد واحدا (وعرضنا) أي ابرزنا (جهنم يومئذ للكافرين عرضا) ليشاهدوها عيانا (الذين كانت أعينهم في غطاء) أي غشاء وستر (عن ذكري) أي الايمان والقران والهدى والبيان وقيل عن رؤية الدلائل وتبصرها (وكانوا لا يستطيعون سمعا) أي سمع قبول للايمان والقران لغلبة الشقاء عليهم وقيل معناه لا يستطيعون ان يسمعوا من رسول الله ﷺ لشدة عداوتهم له * قوله تعالى (أفحسب) أي أفظن (الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني أولياء) يعني أربابا يريد عيسى والملائكة بل هم لهم أعداء يتبرؤون منهم وقال ابن عباس يعني الشياطين أطاعوهم من دون الله والمعنى أفظن الذين كفروا أن يتخذوا غيري أولياء وانى لا اغضب لنفسي فلا اعاقبهم وقيل معناه افظنوا انه ينفعهم ان يتخذوا عبادي من دوني أولياء (انا اعتدنا) أي هيأنا (جهنم للكافرين نزلا) أي منزلا قال ابن عباس رضي الله عنهما هي مثواهم وقيل معدة لهم عندنا كالنزل للضيف * قوله تعالى (قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا) يعني الذين اتبعوا انفسهم في عمل يرجون به فضلا ونوالا فنالوا هلاكا وبوارا قال ابن عباس هم اليهود والنصارى وقيل هم الرهبان الذين حبسوا انفسهم في الصوامع وقال علي بن ابي طالب هم اهل حوراء يعني الخوارج (الذين ضل سعيهم) اي بطل عملهم واجتهادهم (في الحياة الدنيا وهم يحسبون) اي يظنون (انهم يحسنون صنعا) أي عملا ثم وصفهم

وماجوج من علامات قرب الساعة (فجمعناهم) في صعيد واحد (وعرضنا) ابرزنا (جهنم يومئذ للكافرين عرضا) حتى يشاهدوها عيانا (الذين كانت اعينهم في غطاء) اي غشاء والغطاء ما يغطى به الشيء ويستره (عن ذكري) يعني عن الايمان والقران وعن الهدى والبيان وقيل عن رؤية الدلائل (وكانوا لا يستطيعون سمعا) يعني سمع القبول والايمان لغلبة الشقاوة عليهم وقيل يعقلون وقيل كانوا لا يستطيعون اي لا يقدرون ان يسمعوا من رسول الله ﷺ ما يتلوه عليهم لشدة عداوتهم كقول الرجل لا استطيع ان اسمع من فلان لعداوته (أفحسب) افظن (الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني اولياء) اربابا يريد بالعباد عيسى والملائكة كلا بل هم لهم اعداء ويتبرؤون منهم قال ابن يعني عباس الشياطين اطاعوهم من دون الله قال مقاتل الاصنام سماها عبادا كما قال ان الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم وجواب هذا الاستفهام محذوف قال ابن عباس يريد اني لا اغضب لنفسي يقول افظن الذين كفروا ان يتخذوا غيري اولياء واني لا اغضب لنفسي ولا اعاقبهم وقيل افظنوا انهم ينفعهم ان يتخذوا عبادي من دوني أولياء (إنا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا) يعني منزلا قال ابن عباس هي مثواهم وقيل النزل ما يهيأ للضيف يريد هي معدة لهم عندنا كالنزل للضيف (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا) يعني الذين اتبعوا انفسهم في عمل يرجون به فضلا ونوالا فنالوا هلاكا وبورا كمن يشتري سلعة يرجو عليها ربحا فخسر وخاب سعيه واختلفوا فيهم قال ابن عباس وسعد بن أبي وقاص هم اليهود والنصارى وقيل هم الرهبان (الذين) حبسوا انفسهم في الصوامع وقال علي بن أبي طالب هم أهل حوراء (ضل سعيهم) بطل عملهم واجتهادهم (في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا) أي عملا

(أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت) بطلت (أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) أي لا نجعل لهم خطرا وقدرا تقول العرب ما لفلان عندي وزن أي قدر لخسته اخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي أنا أحمد عن محمد بن يوسف محمد بن اسمعيل ثنا محمد ابن عبد الله ثنا سعيد بن مريم أنبانا المغيرة عن ابي الزناد عن الأعرج عن ابي هريرة قال النبي ﷺ انه قال ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال اقرؤا ان شئتم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا قال ابو سعيد الخدري يأتي اناس باعمال يوم القيامة هي عندهم في العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيئا فذلك قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا (ذلك) الذي ذكرت من حبوط أعمالهم وخسة أقدارهم ثم ابتدأ فقال (جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي) يعني القرآن (ورسلي هزوا) أي سخرية ومهزوأ بهم قوله تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم (١٩٢) جنات الفردوس) روينا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه اوسط الجنة واعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة قال كعب ليس في الجنان جنة اعلى من جنة الفردوس فيها الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر وقال قتادة الفردوس ربوة الجنة وأوسطها واقصاها وارفعها قال كعب الفردوس هو البستان الذي فيه الاعناب وقال مجاهد هو البستان بالرومية وقال عكرمة هي الجنة بلسان الحبش قال الزجاج هو بالرومية منقول إلى لفظ العربية قال الضحاك هي الجنة الملتفة الاشجار وقيل هي الروضة المستحسنة وقيل هي التي تنبت ضروبا من النبات وجمعه فراديس (نزلا) قيل اي منزلا وقيل ما يهيأ للنازل على معنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس ونعيمها نزلا ومعنى كانت لهم أي في علم الله أن يخلقوا (خالدين فيها لا يبغون) لا يطلبون (عنها حولا) أي تحولا إلى غيرها قال ابن عباس لا يريدون أن يتحولوا عنها كما ينتقل الرجل من دار إذا لم توافقه إلى دار أخرى (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي) قال ابن عباس قالت اليهود يا محمد تزعم أنا قد أوتينا الحكمة وفي كتابك ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ثم تقول وما أوتيتم من العلم إلا قليلا فانزل الله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي قال ابن عباس قالت اليهود ما محمد تزعم أنا قد أوتينا الحكمة وفي كتابك ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ثم تقول وما أوتيتم من العلم إلا قليلا فانزل الله هذه الاية وقيل لما نزلت وما أوتيتم من العلم إلا قليلا قالت اليهود أوتينا التوراة فيها علم كل شيء فانزل الله قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي أي ما يستمده الكاتب ويكتب به واصله من الزيادة قال مجاهد لو كان البحر مدادا للقلم والقلم يكتب (لنفد البحر) أي ماؤه (قبل ان تنفد) قرأ حمزة والكسائي ينفد بالياء لتقدم الفعل والباقون بالتاء (كلمات ربي أي علمه وحكمه (ولو جئنا بمثله مددا) معناه لو كان الخلائق يكتبون والبحر يمدهم لنفد البحر ولم تنفد كلمات الله جئنا بمثله مددا بمثل ماء البحر في كثرته مددا وزيادة نظيره قوله تعالى ولو ان ما في الأرض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله (قل إنما أنا بشر مثلكم)

فقال تعالى (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه) يعني أنهم جحدوا دلائل توحيده وقدرته وكفروا بالبعث والثواب والعقاب وذلك لأنهم كفروا بالنبي ﷺ وبالقرآن فصاروا كافرين بهذه الأشياء (فحبطت اعمالهم) أي بطلت (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) قيل لا نقيم لهم ميزانا لان الميزان إنما توضع لاهل الحسنات والسيآت من الموحدين ليتميز وا مقدار الطاعات ومقدار السيآت قال ابو سعيد الخدري يأتي اناس باعمال يوم القيامة هي عندهم من العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيئا فذلك قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وقيل معناه نزدري بهم فليس لهم عندنا حظ ولا قدر ولا وزن (ق) عن ابي هريرة عن رسول الله ﷺ قال انه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال اقرؤا إن شئتم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا (ذلك) إشارة إلى ما ذكر من حبوط أعمالهم وخسة قدرهم ثم ابتدأ فقال تعالى (جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا) يعني سخرية واستهزاء * قوله تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه أوسط الجنة واعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة قال كعب ليس في الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس فيها الامرون بالمعروف والناهون على المنكر وقال قتادة الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وافضلها وارفعها وقيل الفردوس هو البستان الذي فيه الاعناب وقيل هي الجنة الملتفة بالاشجار التي تنبت ضروبا من النبات وقيل الفردوس البستان بالرومية وقيل بلسان الحبش منقول إلى العربية نزلا هو ما يهيأ للنازل على معنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس ونعيمها نزلا وقيل في معنى كانت لهم أي في علم الله تعالى قبل ان يخلقوا (خالدين فيها لا يبغون) أي لا يطلبون (عنها حولا) أي تحولا إلى غيرها قال ابن عباس لا يريدون ان يتحولوا عنها كما ينتقل الرجل من دار إذا لم توافقه إلى دار أخرى * قوله تعالى (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي) قال ابن عباس قالت اليهود يا محمد تزعم انا قد اوتينا الحكمة وفي كتابك ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم تقول وما اوتيتم من العلم إلا قليلا فانزل الله تعالى هذه الاية وقيل لما نزل وما اوتيتم من العلم إلا قليلا قالت اليهود اوتينا علم التوراة وفيها علم كل شيء فانزل الله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي اي ما يستمده الكاتب ويكتب به واصله من الزيادة قال مجاهد لو كان البحر مدادا للقلم والعلم يكتب قيل والخلائق يكتبون (لنفد البحر) اي لنفد ماؤه (قبل ان تنفد كلمات ربي) اي علمه وحكمه (ولو جئنا بمثله مددا) والمعنى ولو كان الخلائق يكتبون والبحر يمدهم لفنى ماء البحر ولم تفن كلمات ربي ولو جئنا بمثل ماء البحر في كثرته مددا وزيادة * قوله تعالى (قل إنما انا بشر مثلكم)

يوحى إلى انما إلهكم إله واحد) قال ابن عباس علم الله ورسوله التواضع لئلا يزهو على خلقه فامره الله أن يقر فيقول انا آدمى مثلكم إلا أنى خصصت بالوحى واكرمنى الله به يوحى إلى انما إلهكم إله واحد لا شريك له (فمن كان يرجو لقاء ربه) أى يخاف المصير اليه وقيل يأمل رؤية ربه فالرجاء يكون بمعنى الخوف والأمل جميعا قال الشاعر فلا كل ما ترجى من الخير كائن * ولا كل ما ترجو من الشر واقع فجمع به المعنيين (فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احد) أى لا يرائى بعمله أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف انبانا ابو نعيم انا سفيان عن سلمة هو ابن كهيل قال سمعت جندبا يقول قال النبى ﷺ من سمع سمع الله به ومن يرائى يرائى الله به وروينا عن النبى ﷺ أنه قال ان اخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الاصغر قال الرياء أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى انبانا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفى ثنا (١٩٣) أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم ثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ثنا أبى ثنا شعيب قال ثنا الليث عن أبى الهادى عن عمرو عن سعيد بن المسيب عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ان الله تبارك وتعالى يقول انا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه معى غيرى فانا منه برىء هو الذى عمله اخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحى انبانا ابو منصور محمد بن محمد بن سمعان ثنا ابو جعفر محمد بن احمد بن عبد الجبار الريانى ثنا حميد بن زنجويه ثنا حفص بن عمر ثنا همام عن قتادة عن سالم بن الجعد الغطفانى عن معدان بن ابى طلحة عن أبى الدرداء يرويه عن النبى ﷺ قال من حفظ عشر ايات من اول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال وأخبرنا عبد الواحد المليحى انا ابو منصور السمعانى ثنا ابو جعفر الريانى ثنا حميد بن

قال ابن عباس علم الله تعالى رسوله ﷺ التواضع لئلا يزهى على خلقه فأمره ان يقر فيقول انا آدمى مثلكم إلا انى خصصت بالوحى واكرمنى الله به وهو قوله تعالى (يوحى إلى انما الهكم إله واحد) لا شريك له فى ملكه (فمن كان يرجو لقاء ربه) اى يخاف المصير اليه وقيل يؤمل رؤية ربه (فليعمل عملا صالحا) اى من حصل له رجاء لقاء الله تعالى والمصير اليه فليستعمل نفسه فى العمل الصالح (ولا يشرك بعبادة ربه احدا) اى لا يرائى بعمله ولما كان العمل الصالح قد يراد به وجه الله سبحانه وتعالى وقد يراد به الرياء والسمعة اعتبر فيه قيدان احدهما ان يراد به الله سبحانه وتعالى والثانى أن يكون مبرأ من جهات الشرك جميعا (ق) عن جندب بن عبد الله البجلى قال قال رسول الله ﷺ من سمع سمع الله به ومن يرائى يرائى الله به قوله من سمع سمع الله به اى من عمل عملا مراآة للناس يشتهر بذلك شهرة الله يوم القيامة وقيل سمع الله به اى اسمعه المكروه (م) عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الله تبارك وتعالى يقول انا اغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا اشرك فيه غيرى تركته وشركه ولغير مسلم فانا منه برىء. هو الذى عمله عن سعيد بن ابى فضالة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إذا جمع الناس ليوم لا ريب فيه نادى منادٍ من كان يشرك فى عمل عمله لله احدا فليطلب ثوابه منه فان الله اغنى الشركاء عن الشرك اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وعن النبى ﷺ قال اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الأصغر قال الرياء (م) عن ابى الدرداء عن النبى ﷺ قال من حفظ عشر ايات من اول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال وفى رواية من آخرها والله اعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة مريم عليها السلام

مكية وفى ثمان وتسعون آية وثمانون وسبعمائة كلمة وثلاث الاف وسبعمائة حرف

(بسم الله الرحمن الرحيم) * قوله عز وجل (كهيعص) قال ابن عباس رضى الله عنهما هو اسم من اسماء الله تعالى وقيل اسم للقرآن وقيل للسورة وقيل هو قسم اقسم الله تعالى به وعن ابن عباس قال الكاف من كريم وكبير والهاء من هاد والباء من رحيم والعين من عليم والصاد من صادق وقيل معناه كاف لخلقه هاد لعباده يده فوق أيديهم عالم ببريته صادق فى وعده (ذكر) اى هو الذى نتلو عليك ذكر (رحمة ربك عبده زكريا) قيل معناه ذكر ربك عبده زكريا برحمته (إذ نادى) أى دعا (ربه) فى المحراب (نداء خفيا) اى دعاء سرا من قيامه فى جوف الليل وقيل راعى ستة الله فى إخفاء دعائه لان الجهر ولا اسرار عند الله تعالى

(٢٥ - خازن - بع) زنجويه ثنا ابو الأسود ثنا ابو لهيعة عن زياد عن سهل هو ابن معاذ عن ابيه عن النبى ﷺ قال من قرأ اول سورة الكهف واخرها كانت له نورا من قدميه إلى راسه ومن قراها كلها كانت له نورا من الأرض إلى السماء (سورة مريم مكية وهى ثمان وتسعون آية) (بسم الله الرحمن الرحيم) قوله عز وجل (كهيعص) قرا ابو عمر وبكسر الهاء وفتح الياء وضدة ابن عامر وحمزة وبكسرهما الكسائى وأبو بكر والباقون بفتحهما ويظهر الذال عند الذال من صاد ذكر ابن كثير ونافع وعاصم ويعقوب والباقون بالادغام قال ابن عباس رضى الله عنهما هو اسم من اسماء الله تعالى وقال قتادة هو اسم من اسماء القرآن وقيل اسم للسورة وقيل هو قسم اقسم الله به وروى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله كهيعص قال الكاف من كريم وكبير والهاء من هاد والباء من رحيم والعين من عليم وعظيم والصاد من صادق وقال الكلبى معناه كاف لخلقه هاد لعباده يده فوق ايديهم عالم ببريته صادق فى وعده (ذكر) رفع بالمضمر اى هذا التى نتلوه عليك ذكر (رحمة ربك) وفيه تقديم وتأخير معناه ذكر ربك (عبده زكريا) برحمته (إذ نادى) دعا (ربه) فى محرابه (نداء خفيا)

دعا سرا من قومه فى جوف الليل (قال رب إنى وهن) ضعف ورق (العظم منى) من الكبر قال قتادة اشتكى سقوط الأضرس (واشتعل الرأس) أى ابيض شعر الرأس (شيبا) شمطا (ولم أكن بدعائك ربى شقيا) يقول عودتنى الاجابة فيما مضى ولم تخيبنى وقيل معناه لما دعوتنى إلى الايمان آمنت ولم أشق بترك الايمان (وإنى خفت الموالى) والموالى بنو العم وقال مجاهد العصبة وقال أبو صالح الكلالة وقال الكلبى الورثة (من ورائى) من بعد موتى قرأ ابن كثير من ورائى بفتح الياء والآخرون باسكانها (وكانت امرأتى عاقرا) لا تلد (فهب لى من لدنك) أعطنى من عندك (وليا) ابنا (يرثنى ويرث من آل يعقوب) قرأ أبو عمرو والكسائى بجزم الثاء فيهما على جواب الدعاء وقرأ الآخرون بالرفع على الحال والصفة يعنى وليا وارثا واختلفوا فى هذا الإرث قال الحسن معناه يرث مالى ويرث من ال يعقوب النبوة والحبورة وقيل أراد ميراث النبوة والعلم وقيل أراد إرث الحبورة لأن زكريا كان رأس الأحبار وقال الزجاج والأولى أن يحمل على ميراث غير المال لأنه يبعد ان يشق زكريا وهو نبى من الأنبياء أن يرثه بنو عمه ماله (١٩٤) والمعنى أنه خاف تضييع بنى عمه دين الله وتغيير أحكامه على ما كان شاهده من بنى إسرائيل من تبديل الدين وقيل الانبياء فسأل ربه ولدا صالحا يأمنه على امته ويرث نبوته وعمله لئلا يضيع الدين وهذا معنى قول عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما (واجعله رب رضيا) اى برا تقيا مرضيا قوله عز وجل (يا زكريا إنا نبشرك) وفيه اختصار معناه فاستجاب الله دعاءه فقال يا زكريا إنا نبشرك (بغلام) بولد ذكر (اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا) قال قتادة والكلبى لم يسم أحد قبله يحيى وقال سعيد بن جبير وعطاء لم نجعل له شبها ومثلا كما قال الله تعالى هل تعلم له سميا اى مثلا والمعنى انه لم يكن له مثل لانه لم يعص ولم يهم بمعصية قط وقيل لم يكن له ميل فى امر النساء لانه كان سيدا وحصورا وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما اى لم تلد العواقر مثله ولدا وقيل لم يرد الله به اجتماع الفضائل كلها ليحيى إنما اراد بعضها لان الخليل والكليم كانا قبله وهما افضل منه (قال رب إنى) من اين (يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا) أى يبسا وقال قتادة يريد تحول العظم يقال عتا الشيخ يعتو عتيا وعسيا (إذا انتهى سنه وكبر وشيخ عات وعاس إذا صار إلى حالة اليبس والجفاف وقرا حمزة والكسائى عتيا وبكيا وصليا وجثيا بكسر أوائلهن والباقون برفعها وهما لغتان (قال كذلك قال ربك هو على هين) يسير (وقد خلقتك) قرا حمزة والكسائى خلقناك بالنون والالف على التعظيم (من قبل) اى من قبل يحيى (ولم تك شيئا قال رب اجعل لى آية) دلالة على حمل امرأتى (قال آيتك) علامتك (ان لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا) أى صحيحا سليما من غير بأس ولا خرس وقيل ثلاث ليال متتابعات والاول اصح قيل انه لم يقدر فيها ان يتكلم مع الناس فاذا أراد ذكر الله انطلق لسانه * قوله عز وجل (فخرج على قومه من المحراب) اى من الموضع الذى كان يصلى فيه وكان الناس من وراء المحراب ينتظرونه حتى يفتح لهم الباب فيدخلون

سيان ولكن الاخفاء أولى لانه أبعد عن الرياء وأدخل فى الاخلاص وقيل أخفاه لئلا يلام على طلب الولد زمن الشيخوخة وقيل خفت صوته لضعفه وهرمه يدل عليه قوله تعالى (قال رب إنى وهن) أى رق وضعف (العظم منى) أى من الكبر وقيل اشتكى سقوط الأضراس (واشتعل الرأس) أى ابيض الشعر (شيبا) أى شمطا (ولم أكن بدعائك رب شقيا) أى عودتنى الاجابة فيما مضى ولم تخيبنى وقيل معناه لما دعوتنى إلى الايمان آمنت ولم أشق بترك الإيمان (وإنى خفت الموالى من ورائى) أى من بعد موتى والموالى هم بنو العم وقيل العصبة وقيل الكلالة وقيل جميع الورثة (وكانت امرأتى عاقرا) أى لا تلد (فهب لى من لدنك وليا) اى اعطنى من عندك ولدا مرضيا (يرثنى ويرث من ال يعقوب) اى وليا ذا رشاد وقيل أراد به يرث مالى ويرث من ال يعقوب النبوة والحبورة وقيل أراد ميراث النبوة والعلم وقيل أراد به الحبورة لأن زكريا كان رأس الأحبار الأولى أن يحمل على ميراث غير المال لان الأنبياء لم يورثوا المال وإنما يورثون العلم ويبعد من زكريا وهو نبى من الانبياء أن يشفق على ماله أن يرثه بنو عمه وإنما أخاف أن يضيع بنو عمه دين الله ويغيروا أحكامه وذلك لما أن شاهد من بنى إسرائيل تبديل الدين وقيل الأنبياء فسأل ربه ولدا صالحا يأمنه على أمته ويرث نبوته وعلمه لئلا يضيع وهذا قول ابن عباس (واجعله رب رضيا) اى برا تقيا مرضيا * قوله تعالى (يا زكريا) المعنى فاستجاب الله له دعاءه فقال يا زكريا (إنا نبشرك بغلام) اى بولد ذكر (اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا) أى لم يسم أحد قبله بيحيى وقيل معناه لم نجعل له شبها ومثلا وذلك لأنه لم يعص الله ولم يهم بمعصية قط وقال ابن عباس لم تلد العواقر مثله ولدا قيل لم يرد الله تعالى بذلك اجتماع الفضائل كلها ليحيى وإنما أراد بعضها لان الخليل والكليم كانا قبله وهما أفضل منه (قال رب أنى يكون لى) اى من يكون لى (غلام وكانت امرأتى عاقرا) اى وامرأتى عاقر (وقد بلغت من الكبر عتيا) اى يأسا يريد بذلك تحول الجسم ودقة العظم وتحول الجلد (قال كذلك قال ربك هو على هين) اى يسير (وقد خلقتك من قبل) اى من قبل يحيى (ولم تك شيئا قال رب اجعل لى آية) اى دلالة على حمل امرأتى (قال آيتك) اى علامتك (ان لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا) أى صحيحا سليما من غير بأس ولا خرس وقيل ثلاث ليال متتابعات والاول اصح قيل انه لم يقدر فيها ان يتكلم مع الناس فاذا أراد ذكر الله انطلق لسانه * قوله عز وجل (فخرج على قومه من المحراب) اى من الموضع الذى كان يصلى فيه وكان الناس من وراء المحراب ينتظرونه ان يفتح لهم الباب فيدخلون ويصلون إذا خرج عليهم زكريا متغيرا لونه فانكروه فقالوا مالك يا زكريا

(فأوحى اليهم) قال مجاهد كتب لهم الأرض (أن سبحوا) أى صلوا لله (بكرة) غدوة (وعشيا) معناه انه كان يخرج على قومه بكرة وعشيا فيأمرهم بالصلاة فلما كان وقت حمل امرأته ومنع من الكلام خرج اليهم فأمرهم بالصلاة إشارة قوله عز وجل (يا يحيى) قيل فيه حذف معناه وهبنا له يحيى وقلنا له يا يحيى (خذ الكتاب) يعنى التوراة (بقوة) بجد (وآتيناه الحكم) قال ابن عباس رضى الله عنهما النبوة (صبيا) وهو ابن ثلاث سنين وقيل أراد بالحكم فهم الكتاب فقرأ التوراة وهو صغير وعن بعض السلف قال من قرأ القرآن قبل أن يبلغ فهو ممن أوتى الحكم صبيا (وحنانا من لدنا) رحمة من عندنا قال الخطيئة لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه شعر (١٩٥) تحنن على هداك الملبك * فان لكل مقام مقالا

فيدخلون ويصلون إذ خرج اليهم زكريا متغير الونه فأنكروا ذلك عليه وقالوا له مالك (فأوحى) أى فاوما واشار (اليهم) وقيل كتب لهم فى الأرض (ان سبحوا) أى صلوا لله (بكرة وعشيا) المعنى انه كان يخرج على قومه بكرة وعشيا فيأمرهم بالصلاة فلما كان وقت حمل امرأته ومنع من الكلام خرج اليهم فأمرهم بالصلاة إشارة * قوله عز وجل (يا يحيى) فيه إضمار ومعناه وهبنا له يحيى وقلنا له يا يحيى (خذ الكتاب) اى التوراة (بقوة) أى بجد واجتهاد (واتيناه الحكم) قال ابن عباس يعنى النبوة (صبيا) وهو ابن ثلاث سنين وذلك أن الله تعالى احكم عقله وأوحى اليه فان قلت كيف يصح حصول العقل والفطنة والنبوة حال الصبا * قلت لان اصل النبوة مبنى على خرق العادات إذا ثبت هذا فلا تمنع صيرورة الصبى نبيا وقيل أراد بالحكم فهم الكتاب فقرأ التوراة وهو صغير وعن بعض السلف قال من قرا القران قبل ان يبلغ فهو ممن اوتى الحكم صبيا (وحنانا من لدنا) اى رحمة من عندنا قال الخطيئة يخاطب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه تحنن على هداك الملبك * فان لكل مقام مقالا

أى ترحم على (وزكاة) قال ابن عباس يعنى بالزكاة الطاعة والاخلاص وقيل هى العمل الصالح ومعنى الاية واتيناه رحمة من عندنا وتحننا على العباد ليدعوهم إلى طاعة ربهم وعملا صالحا فى إخلاصه (وكان تقيا) أى مسلما مخلصا مطيعا وكان من تقواه انه لم يعمل خطيئة ولم يهم بها قط (وبرا بوالديه) اى بارا لطيفا بهما محسنا اليهما لانه لا عبادة بعد تعظيم الله تعالى أعظم من بر الوالدين يدل عليه قوله تعالى وقضى ربك ان لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا الاية (ولم يكن جبارا) الجبار المتكبر وقيل الذى يقتل ويضرب على الغضب وقيل الجبار الذى لا يرى لاحد على نفسه حقا وهو من التعظيم بنفسه يرى أن لا يلزمه قضاء لاحد (عصيا) قيل هو ابلغ من المعاصى والمراد وصف يحيى بالتواضع ولين الجانب وهو من صفات المؤمنين (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا) معناه وامان له من الله يوم ولد من ان يناله الشيطان كما ينال سائر بنى ادم وامان له يوم يموت من عذاب القبر ويوم يبعث حيا من عذاب يوم القيامة وقيل اوحش ما يكون الخلق ثلاثة مواطن يوم ولد لانه يرى نفسه خارجا من مكان قد كان فيه ويوم يموت لانه يرى قوما ما شاهدهم قط ويوم يبعث لانه يرى مشهدا عظيما فاكرم الله تعالى يحيى فى هذه المواطن كلها فخصه بالسلامة فيها * قوله عز وجل (واذكر فى الكتاب) اى فى القران (مريم إذ انتبذت) اى تنحت واعتزلت (من أهلها) أى من قومها (مكانا شرقيا) اى مكانا فى الدار مما يلى المشرق وكان ذلك اليوم شاتيا شديد البرد فجاست فى مشرقة تغلى رأسها وقيل ان مريم قد طهرت من الحيض فذهبت تغتسل قيل ولهذا المعنى اتخذت النصارى المشرقة قبلة (فاتخذت) اى فضربت (من دونهم حجابا) قال ابن عباس اى سترا وقيل جلست وراء جدار وقيل ان مريم كانت تكون فى المسجد فاذا حاضت تحولت إلى بيت خالتها حتى إذا طهرت عادت إلى المسجد فبينما هى تغتسل من الحيض قد تجردت إذ عرض لها جبريل فى صورة شاب أمرد وضيء الوجه سوى الخلق فذلك قوله تعالى فلما لم يكن عاينهم ويوم يبعث حيا فيرى نفسه فى محشر لم ير مثله فخص يحيى بالسلامة فى هذه المواطن قوله عز وجل (واذكر فى الكتاب) فى القران (مريم إذا انتبذت) تنحت واعتزلت (من أهلها) من قومها (مكانا شرقيا) اى مكانا فى الدار مما يلى المشرق وكان يوما شاتيا شديد البرد فجاست فى مشرقة تغلى رأسها وقيل كانت طهرت من الحيض فذهبت لتغتسل قال الحسن ومن ثم اتخذت النصارى المشرق قبلة (فاتخذت) فضربت (من دونهم حجابا) قال ابن عباس رضى الله عنهما سترا وقيل جلست وراء جدار وقال مقاتل وراء جبل وقال عكرمة ان مريم كانت تكون فى المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها حتى اذا طهرت عادت إلى المسجد فبينما هى تغتسل من الحيض قد تجردت إذ عرض لها جبريل فى صورة شاب امرد وضيء الوجه جعد الشعر سوى الخلق فذلك قوله

مقالا أى ترحم (وزكاة) قال ابن عباس رضى الله عنه عنهما يعنى بالزكاة الطاعة والاخلاص وقال قتادة رضى الله عنه هى العمل الصالح وهو قول الضحاك ومعنى الاية واتيناه رحمة من عندنا وتحننا على العباد ليدعوهم إلى طاعة ربهم ويعمل عملا صالحا فى اخلاص وقال الكلبى يعنى صدقة تصدق الله بها على ابويه (وكان تقيا) مسلما ومخلصا مطيعا وكان من تقواه انه لم يعمل خطيئة ولا هم بها (وبرا بوالدية) اى بارا لطيفا بهما محسنا اليهما (ولم يكن جبارا عصيا) الجبار المتكبر وقيل الجبار الذى يضرب ويقتل على الغضب والعصى العاصى (وسلام عليه) أى سلام له (يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا) قال سفيان بن عيينة اوحش ما يكون الانسان فى هذه الاحوال يوم ولد فيخرج مما كان فيه ويوم يموت فيرى

(فأرسلنا اليها روحنا) يعنى جبريل عليه السلام (فتمثل لها بشرا سويا) وقيل المراد بالروح عيسى عليه السلام جاء فى صورة بشر فحملت به والاول أصح فلما رأت مريم جبريل يقصد نحوها من بعيد و (قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا) مؤمنا مطيعا فان قيل إنما يستعاذ من الفاجر فكيف قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا قيل هذا كقول القائل إن كنت مؤمنا فلا تظلمنى اى ينبغى أن يكون إيمانك مانعا من الظلم وكذلك ههنا معناه وينبغى أن يكون تقواك مانعا لك من الفجور (قال) لها جبريل (إنما أنا رسول ربك لأهب لك) قرأ نافع وأهل البصرة ليهب لك ربك وقرأ الآخرون لأهب لك أسند الفعل إلى الرسول وإن كانت الهبة من الله تعالى لأنه أرسل به (غلاما زكيا) ولدا صالحا (١٩٦) طاهرا من الذنوب (قالت) مريم (أنى) من اين (يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر) لم يقربنى زوج (ولم أك بغيا) فاجرة تريدان الولد إنما يكون من نكاح أو سفاح ولم يكن هنا واحد منهما (قال) جبريل (كذلك) قيل معناه كما قلت يا مريم ولكن (قال ربك) وقيل هكذا قال ربك (هو على هين) اى خلق ولد بلا اب (ولنجعله اية) علامة (للناس) دلالة على قدرتنا (ورحمة منا) ونعمة لمن تبعه على دينه (وكان) ذلك (امرا مقضيا) محكوما مفروغا عنه لا يرد ولا يبدل قوله عز وجل (فحملته) قيل ان جبريل رفع عنها درعها فنفخ فى جيبها فحملت حين لبست وقيل مد جيب درعها باصبعه ثم نفخ فى الجيب وقيل نفح فى كم قميصها وقيل فى فيها وقيل نفج جبريل عليه السلام نفخا من بعيد فوصل الريح اليها فحملت بعيسى فى الحال (فانتبذت به) اى تنحت بالحمل فلما حملته انتبذت به أى وانفردت (مكانا قصيا) اى بعيدا من أهلها قال ابن عباس رضى الله عنهما أقصى الوادى وهو وادى فغلبنى بيت لحم فرارا من قومها أن يعيروها بولادتها من غير زوج واختلفوا فى مدة حملها ووقت وضعها فقال ابن عباس رضى الله عنهما كان الحمل والولادة فى ساعة واحدة وقيل كان مدة حملها تسعة اشهر كحمل سائر النساء وقيل كان مدة ثمانية أشهر وكان ذلك آية أخرى لانه لا يعيش ولد يولد لثمانية اشهر وولد عيسى لهذه المدة وعاش وقيل ولدت لستة أشهر وقال مقاتل بن سليمان حملته مريم فى ساعة وصور فى ساعة ووضعته فى ساعة حين زالت الشمس من يومها وهى بنت عشر سنين وكانت فحاضت حيضتين قبل أن تحمل بعيسى

(فأرسلنا اليها روحنا) يعنى جبريل (فتمثل لها بشرا سويا) أى سوى الخلق لم ينقص من الصورة الآدمية شيئا وإنما مثل لها فى صورة الإنسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها فى صورة الملائكة لنفرت عنه ولم تقدر على استماع كلامه وقيل المراد من الروح روح عيسى جاءت فى صورة بشر فحملت به والقول الاول اصح فلما رأت مريم جبريل عليه السلام يقصد نحوها بادرته من بعيد (قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا) اى مؤمنا مطيعا لله تعالى دل تعوذها من تلك الصورة الحسنة على عفتها وورعها * فان قلت إنما يستعاذ من الفجر فكيف قالت إن كنت تقيا * قلت هذا كقول القائل إن كنت مؤمنا فلا تظلمنى أى ينبغى أن يكون إيمانك مانعا من الظلم كذلك ههنا معناه ينبغى ان تكون تقواك مانعة لك من الفجور (قال) لها جبريل عليه السلام (إنما أنا رسول ربك لأهب) أسند الفعل اليه وإن كانت الهبة من الله تعالى لانه أرسل به (لك غلاما زكيا) قال ابن عباس ولدا صالحا طاهرا من الذنوب (قالت) مريم (أنى يكون لى) اى من أين يكون لى (غلام ولم يمسسنى بشر) اى ولم يقربنى زوج (ولم اك بغيا) أى فاجرة تريد ان الولد إنما يكون من نكاح أو سفاح ولم يكن ههنا واحد منهما (قال) جبريل (كذلك قال ربك) اى هكذا قال ربك (هو على هين) اى خلق ولدك بلا اب (ولنجعله آية للناس) أى علامة لهم ودلالة على قدرتنا (ورحمة منا) أى ونعمة لمن تبعه على دينه اى بعثه محمد ﷺ (وكان امرا مقضيا) اى محكوما مفروغا منه لا يرد ولا يبدل * قوله عز وجل (فحملته) قيل ان جبريل رفع درعها فنفخ فى جيبه فحملت حين لبست الدرع وقيل مد جيب درعها باصبعه ثم نفخ فى الجيب وقيل نفخ فى كمها وقيل فى ذيلها وقيل فى فيها وقيل نفخ من بعيد فوصل النفخ اليها فحملت بعيسى عليه السلام فى الحال (فانتبذت به) اى حملته تنحن بالحمل وانفردت (مكانا قصيا) اى بعيدا من اهلها قال ابن عباس اقصى الوادى وهو بيت لحم فرارا من أهلها وقومها ان يعيروها بولادتها من غير زوج قال ابن عباس كان الحمل والولادة فى ساعة واحدة وقيل حملته فى ساعة وصور فى ساعة ووضعته فى ساعة حين زالت الشمس من يومها وقيل كانت مدته تسعة أشهر كحمل سائر الحوامل من النساء وقيل كانت مدة حملها ثمانية أشهر وذلك آية أخرى له لأنه لا يعيش من ولد الثمانية أشهر وولد عيسى لهذه المدة وعاش وقيل ولدلستة أشهر وهى بنت عشر سنين وقيل ثلاث عشر سنة وقيل ست عشرة سنة وقد كانت حاضت حيضتين قبل أن تحمل بعيسى وقال وهب أن مريم لما حملت بعيسى كان معها ابن عم لها يقال له يوسف النجار وكانا منطلقين إلى المسجد الذى يمنه جبل صهيون وكانا يخدمان ذلك المسجد ولا يعلم من اهل زمانها احد أشد عبادة واجتهادا منها واول من علم بحملها يوسف فبقى متحيرا فى أمرها كلما أراد أن يتهمها ذكر عبادتها وصلاحها وإنها لم تغب عنه وإذا أراد أن يبرئها رأى ماظهر منها من الحمل فاول ماتكلم به قال انه وقع فى نفسى من امرك شىء وقد حرصت على كتمانه

(فاجاءها) أى ألجأها وجاء بها (المخاض) وهو وجع الولادة (إلى جذع النخلة) وكانت نخلة يابسة فى الصحراة فى شدة الشتاء لم يكن لها سعف وقيل التجأت اليها لتستند وتتمسك بها على وجع الولادة (قالت ياليتنى مت قبل هذا) تمنت الموت استحياء من الناس وخوف الفضيحة (وكنت نسيا) قرأ حمزة وحفص نسيا بفتح النون والباقون بكسرها وهما لغتان مثل الوتر والوتر والجسر والجسر وهو الشىء المنسى والنسى فى اللغة كل ما ألقى ونسى ولم يذكر لحقارته (منسيا) أى متروكا قال قتادة شيء لا يعرف ولا يذكر قال عكرمة والضحاك ومجاهد جيفة ملقاة وقيل تعنى لم أخلق (فناداها من تحتها) قرأ أبو جعفر ونافع وحمزة والكسائى وحفص من تحتها بكسر الميم والتاء يعنى جبريل عليه السلام وكانت يمم على أكمة وجبريل وراء الأكمة تحتها فناداها وقرأ الآخرون بفتح الميم والتاء وأراد جبريل عليه السلام أيضا ناداها من سفح الجبل وقيل هو عيسى لما خرج من بطن أمه ناداها (ألا تحزنى) وهو قول مجاهد والحسن والأول قول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما والسدى وقتادة والضحاك وجماعة ان المنادى كان جبريل لما سمع كلامها وعرف جزعها ناداها ألا (١٩٧/) تحزنى (قد جعل ربك تحتك سريا)

فعلمنى ذلك فرايت ان اتكلم به أشفى صدرى فقالت قل قولا جميلا قال أخبرنى يا مريم هل ينبت زرع بغير بذور هل ينبت شجر بغير غيث وهل يكون ولد من غير ذكر قالت نعم ألم تعلم ان الله انبت الزرع يوم خلقه من غير بذر الم تر ان الله انبت الشجرة بالقدرة من غير غيث او تقول ان الله تعالى لا يقدر على ان ينبت الشجرة حتى استعان بالماء ولو لا ذلك لم يقدر على انباتها قال يوسف لا اقول هذا ولكنى اقول ان الله تعالى يقدر على كل شىء يقول له كن فيكون قالت له مريم الم تعلم ان الله خلق آدم وامراته من غير ذكر ولا أنثى فعند ذلك زال ما عنه من التهمة وكان ينوب عنها فى خدمة المسجد لاستيلاء الضعف عليها بسبب الحمل فلما دنت ولادتها اوحى الله إليها ان اخرجى من ارض قومك فذلك قوله تعالى فانتبذت به مكانا قصيا، قوله عز وجل (فأجاءها المخاض) اى ألجأها وجاء بها والمخاض وجع الولادة (إلى جذع النخلة) وكانت نخلة يابست فى الصحراء فى شدة البرد ولم يكن لها سعف وقيل التجأت اليها تستند اليها وتستمسك بها من شدة الطلق ووجع الولادة (قالت ياليتنى مت قبل هذا) تمنت الموت استحياء من الناس وخوفا من الفضيحة (وكنت نسيا منسا) يعنى شيئا حقيرا متروكا لم يذكر ولم يعرف لحقارته وقيل جيفة ملقاة وقيل معناه انها تمنت انها لم تخلق (فناداها من تحتها) قيل ان مريم كانت على اكمة جبريل وراء الاكمة تحتها وقيل ناداها من سفح الجبل وقيل هو عيسى وذلك انه لما خرج من بطن امه ناداها (ان لا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا) اى نهرا قال ابن عباس رضى الله عنهما ضرب جبريل عليه السلام وقيل عيسى عليه السلام برجله فى الأرض فظهرت عين ماء عذبة وجرت وقيل كان هناك نهر يابس فجرى فيه الماء بقدرة الله سبحانه وتعالى وحنت النخلة اليابسة فأورقت واثمرت وارطبت وقيل معنى تحتك اى تحت امرك ان امرته ان يجرى جرى وإن امرته بالامساك امسك وقيل معنى سريا اى عيسى عبدا سريا رفيعا (وهزى اليك) اى حركى اليك (بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا) قيل الجنى الذى بلغ الغاية وجاء اوان اجتنائه قال الربيع بن خيثم ما للنفساء عندى خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل (فكلى واشربى) اى مريم كلى من الرطب واشربى من النهر (وقرى عينا) اى طيبى نفسا وقيل قرى عينا بولدك عيسى يقال اقر الله عينك أى صادف فؤادك ما يرضيك فتقر عينيك عن النظر إلى غيره (فاما ترين من البشر أحدا) معناه يسألك عن

والسرى النهر الصغير وقيل تحتك أى جعله الله تحت أمرك إن أمرته ان يجرى جرى وإن أمرته بالامساك أمسك قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ضرب جبريل عليه السلام ويقال ضرب عيسى عليه الصلاة والسلام برجله الارض فظهرت عين ماء عذب وجرى وقيل كان هناك نهر يابس أجرى الله سبحانه وتعالى فيه الماء وحييت النخلة اليابسة فأورقت وأثمرت وارطبت وقال الحسن تحتك سريا يعنى عيسى وكان والله عبدا سريا يعنى رفيعا (وهزى إليك) يعنى قيل لمريم حركى (بجذع النخلة) تقول العرب هزه وهز به كما يقول

حز راسه وحز براسه وامداد الحبل وامدد به (تساقط عليك) القراءة المعروفة بفتح التاء والقاف وتشديد السين يعنى تتساقط فأدغمت إحدى التاءين فى السين يعنى تسقط عليك النخلة رطبا وخفف حمزة السين وحذف التاء التى ادغمها غيره وقرا حفص بضم التاء وكسر القاف خفيف على وزن تفاعل وتساقط بمعنى اسقط والتانيث لأجل النخلة وقرا يعقوب يساقط بالياء مشددة رده إلى الجذع (رطبا جنيا) مجنيا وقيل الجنى هو الذى بلغ الغاية وجاء اوان اجتنائه قال الربيع بن خيثم ما للنفساء عندى خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل قوله سبحانه وتعالى (فكلى واشربى) يعنى فكلى يا مريم من الرطب واشربى من ماء النهر (وقرى عينا) يعنى طيبى نفسا وقيل قرى عينك بولدك عيسى يقال اقر الله عينك يعنى صادف فؤادك ما يرضيك فتقر عينك من النظر اليه وقيل اقر الله عينه يعنى انامها يقال قر يقر إذا سكن وقيل ان العين إذا بكت من السرور فالدمع بارد وإذا بكت من الحزن فالدمع يكون حارا فمن هذا قيل اقر الله عينه واسخن الله عينه (فاما ترين من البشر احدا) يعنى ترين فدخل عليه نون التاكيد فكسرت الياء لالتقاء الساكنين معناه فاما ترين من البشر احدا فيسئلك عن وعدك

(فقولى انى نذرت للرحمن صوما) يعنى صمتا وكذلك كان يقرأ أبو مسعود رضى الله عنه والصوم فى اللغة الامساك عن الطعام والشراب والكلام قال السدى كان فى بنى إسرائيل من إذا أراد ان يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم حتى يمسى وقيل ان الله تعالى أمرها أن تقول هذا إشارة وقيل امرها أن تقول هذا القدر نطقا ثم تمسك عن الكلام بعده (فلن أكلم اليوم إنسيا) يقال كانت تكلم الملائكة ولا تكلم الإنس (فاتت به قومها تحمله) وقيل انها ولدته ثم حملته فى الحال إلى قومها وقال الكلبى حمل يوسف النجار مريم عليها السلام وابنها عيسى صلوات الله على نبينا وعليه إلى غار ومكث أربعين يوما حتى طهرت من نفاسها ثم حملته مريم عليها السلام الى قومها فكلمها عيسى عليه السلام فى الطريق فقال يا أماه ابشرى فانى عبد الله ومسيحه فلما دخلت على أهلها ومعها الصبى بكوا وحزنوا وكانوا أهل بيت صالحين (قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا) عظيما منكرا قال ابو عبيدة كل أمر فائق من عجب او عمل فهو فرى قال النبى ﷺ فى عمر فلم ار عبقريا يفرى فريه يعنى عمله (يا أخت هرون) يريد يا شبيهة هرون قال (١٩٨) قتادة وغيره كان هرون رجلا صالحا عابدا فى بنى إسرائيل وروى انه اتبع جنازته يوم مات اربعون الفا كلهم يسمى هرون من بنى اسرائيل سوى سائر الناس شبهوها على معنى انا ظننا انك مثله فى الصلاح وليس المراد منه الاخوة فى النسب كما قال الله تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين اى اشباههم اخبرنا اسمعيل ابن عبد القاهر انا عبد الغفار بن محمد انا محمد بن عيسى انا ابراهيم بن محمد ابن محمد بن سفيان ثنا مسلم ابن الحجاج ثنا محمد بن عبد الله بن نمير ثنا ابن ادريس عن ابيه عن سماك ابن حرب عن علقمة بن وائل عن المغيرة بن شعبة قال لما قدمت خراسان سالونى فقالوا انكم تقرؤن ياأخت هرون وموسى قبل عيسى بكذا وكذا سنة فلما قدمت على رسول الله ﷺ سالته عن ذلك فقال انهم كانوا يسوون بانبيائهم عند والصالحين قبلهم وقال الكلبى كان هرون اخا مريم من ابيها وكان امثل رجل فى بنى اسرائيل وقال السدى انما عنوا به هرون اخا موسى لأنها كانت من نسله كما يقال للتميمى يا اخا تميم وقيل كان هرون رجلا فاسقا فى بنى إسرائيل عظيم الفسق فشبهوها به (ما كان أبوك) عمران امرأ سوء) قال ابن عباس رضى الله عنهما زانيا (وما كانت أمك) حنة (بغيا) اى زانية فمن اين لك هذا الولد (فاشارت) مريم (اليه) اى الى عيسى عليه السلام ان كلموه قال ابن عباس رضى الله عنهما لما لم تكن لها حجه اشارت اليه ليكون كلامه حجة لها وفى القصة لما اشارت اليه غضب القوم وقالوا مع ما فعلت اتسخرين بنا (قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا) اى من هو فى المهد وهو حجرها وقيل هو المهد بعينه وكان بمعنى هو وقال ابو عبيدة كان صلة اى كيف نكلم صبيا فى المهد وقد يجىء كان حشوا فى الكلام لا معنى له كقوله وكنت إلا بشيرا رسولا اى هل انا قال السدى فلما سمع عيسى كلامهم ترك الرضاع واقبل عليهم وقيل لما اشارت اليه ترك الثدى واتكا على يساره واقبل عليهم وجعل يشير بيمينه (فقال انى عبد الله) وقال وهب اتاها زكريا عند مناظرتها اليهود

ولدك (فقولى انى نذرت للرحمن صوما) أى صمتا قيل كان فى بنى إسرائيل من أراد أن يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم حتى يمسى وقيل ان الله أمرها ان تقول هذا القول نطقا ثم تمسك عن الكلام بعده وإنما منعت من الكلام لأمرين أحدهما أن يكون عيسى عليه السلام هو المتكلم عنها ليكون اقوى لحجتها فى إزالة التهمة عنها وفيه دلالة على أن تفويض الكلام إلى الافضل أولى الثانى كراهة مجادلة السفهاء وفيه ان السكوت عن السفيه واجب (فلن أكلم اليوم إنسيا) يقال انها كانت تكلم الملائكة ولا تكلم الانس * قوله تعالى (فاتت به قومها تحمله) قيل إنها لما ولدت عيسى عليه السلام حملته فى الحال إلى قومها وقيل ان يوسف النجار احتمل مريم وابنها عيسى إلى غار فمكث فيه أربعين يوما حتى طهرت من نفاسها ثم حملته الى قومها فكلمها عيسى فى الطريق فقال يا أماه ابشرى فانى عبد الله ومسيحه فلما دخلت على أهلها ومعها الصبى بكوا وحزنوا وكانوا أهل بيت صالحين (قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا) اى عظيما منكرا وقيل معناه جئت بامر عجيب بديع (يا أخت هرون) أى ياشبيهة هرون قيل كان رجلا صالحا فى بنى إسرائيل شبهت به فى عفتها وصلاحها والمراد الاخوة فى النسب قيل انه تبع جنازته يوم مات أربعون الفا من بنى إسرائيل كلهم يسمى هرون سوى سائر الناس (م) عن المغيرة بن شعبة قال لما قدمت خراسان سالونى فقالوا انكم تقرؤن ياأخت هرون وموسى قبل عيسى بكذا وكذا فلما قدمت على رسول الله ﷺ سالته عن ذلك فقال انهم كانوا يسمون باسماء أنبيائهم والصالحين قبلهم وقيل كان هرون أخا مريم لأبيها وقيل كان من أمثل رجل فى بنى إسرائيل وقيل إنما عنوا هرون اخا موسى لأنها كانت من نسله كما يقال للتميمى يا أخا تميم وقيل كان هرون فى بنى اسرائيل فاسقا أعظم الفسق فشبهوها به (ما كان أبوك) يعنى عمران (امرأ سوء) قال ابن عباس زانيا (وما كانت أمك) يعنى حنة (بغيا) اى زانية فمن اين لك هذا الولد (فاشارت اليه) أى اشارت مريم إلى عيسى ان كلموه قال ابن مسعود لما لم يكن لها حجة اشارت اليه ليكون كلامه حجة لها وقيل لما اشارت اليه غضب القوم وقالوا مع ما فعلت اتسخرين بنا (قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا) قيل أراد بالمهد الحجر وهو حجرها وقيل هو المهد بعينه قيل لما سمع عيسى كلامهم ترك الرضاع واقبل عليهم وقيل لما أشارت اليه ترك الرضاع واتكا على يساره واقبل عليهم وجعل يشير بيمينه (قال انى عبد الله) قال وهب اتاها زكريا

فقال لعيسى انطق بحجتك إن كنت امرت بها فقال عند ذلك عيسى عليه السلام وهو ابن اربعين يوماً وقال مقاتل بل هو يوم ولدانى عبد الله أقر على نفسه بالعبودية لله عز وجل اول ما تكلم لئلا يتخذ الها (اتانى الكتاب وجعلنى نبيا) قيل معناه سيؤتينى الكتاب ويجعلنى نبيا وقيل هذا اخبار عما كتب فى اللوح المحفوظ كما قيل للنبى ﷺ متى كنت نبيا قال كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد وقال الاكثرون اوتى الانجيل وهو صغير طفل وكان يعقل عقل الرجال وعن الحسن انه قال الهم التوراة وهو فى بطن امه (وجعلنى مباركا اينما كنت) اى نفاعا حيث ما توجهت مجاهدا معلماً للخير وقال عطاء ادعو الى الله والى توحيده وعبادته وقيل مباركا على من تبعنى (١٩٩) (واوصانى بالصلاة والزكاة) اى امرنى

عند مناظرتها اليهود فقال لعيسى انطق بحجتك إن كنت امرت بها فقال عند ذلك عيسى وهو ابن اربعين يوماً وقيل بل يوم ولدانى عبد الله اقر على نفسه بالعبودية لله تعالى اول ما تكلم لئلا يتخذ إلها * فان قلت ان الذى اشتدت اليه الحاجة فى ذلك الوقت نفى التهمة عن امه وان عيسى لم ينص على ذلك وإنما نص على إثبات عبودية الله تعالى * قلت كأنه جعل إزالة التهمة عن امه لله تعالى اولى من إزالة التهمة عن امه فلهذا اول ما تكلم إنما تكلم باعترافه على نفسه بالعبودية لتحصل إزالة التهمة عن الأم لأن الله تعالى لم يختص بهذه المرتبة العظيمة من ولد فى زنا والتكلم بازالة التهمة عن امه لا يفيد إزالة التهمة عن الله سبحانه وتعالى فكان الاشتغال بذلك اولى (اتانى الكتاب وجعلنى نبيا) قيل معناه سيجعلنى نبيا ويؤتينى الكتاب وهو الانجيل وهذا عما كتب فى اللوح المحفوظ كما قيل للنبى ﷺ متى كنت نبيا قال كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد وقال الاكثرون انه اوتى الأنجيل وهو صغير وكان يعقل عقل الرجال الكمل وعن الحسن انه ألهم التوراة وهو فى بطن أمه (وجعلنى مباركا أينما كنت) معناه انى نفاع اينما توجهت وقيل معلما للخير اداعو الى الله وإلى توحيده وعبادته وقيل مباركا على من يتبعنى (وأوصانى بالصلاة والزكاة) اى أمرنى بهما وكلفنى فعلهما * فان قلت كيف يؤمر بالصلاة والزكاة فى حال طفوليته وقد قال ﷺ رفع القلم عن ثلاث الصبى حتى يبلغ الحديث * قلت ان قوله وأوصانى بالصلاة والزكاة لا يدل على أنه تعالى أوصاه بادائهما فى الحال بل المراد اوصاه بأدائهما فى الوقت المعين لهما وهو البلوغ وقيل ان الله تعالى صيره حين انفصل عن امه بالغا عاقلا وهذا القول أظهر فى سياق قوله (مادمت حيا) فانه يفيد أن هذا التكليف متوجه اليه فى زمان جميع حياته حين كان فى الأرض وحين رفع إلى السماء وحين ينزل الأرض بعد رفعه (وبرا بوالدتى) اى جعلنى برا بوالدتى (ولم يجعلنى جبارا شقيا) أى عاصيا لربى متكبرا على الحق بل أنا خاضع متواضع وروى انه قال قلبى لين وانا صغير فى نفسى قال بعض العلماء لا تجد العاق إلا جبارا شقيا وتلا هذه الاية وقيل الشقى الذى يذنب ولا يتوب (والسلام على يوم ولدت) ألا السلامة عند الولادة من طعن الشيطان (ويوم اموت) اى عند الموت من الشرك (ويوم ابعث حيا) اى من اهوال يوم القيامة فلما كلمهم عيسى بذلك علموا براءة مريم ثم سكت عيسى فلم يتكلم حتى بلغ المدة التى يتكلم فيها الاطفال (ذلك عيسى بن مريم) اى ذلك الذى قال انى عبد الله هو عيسى بن مريم (قول الحق) اى هذا الكلام هو القول الحق اضاف القول إلى الحق وقيل هو نعت لعيسى يعنى بذلك عيسى بن مريم كلمة الله الحق والحق هو الله (الذى فيه يمترون) اى يشكون ويختلفون فقائل يقول هو ابن الله وقائل يقول الله وقائل يقول ثالث ثلاثة تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ثم نزه نفسه عن اتخاذ الولد ونفاه عنه فقال تعالى (ما كان لله ان يتخذ من ولد) اى ما كان من صفاته اتخاذ الولد ولا ينبغى له ذلك (سبحانه إذا قضى امرا) اى إذا أراد ان يحدث امرا (فانما يقول له كن فيكون) اى لا يتعذر عليه اتخاذه على الوجه الذى أراده (وإن الله ربى وربكم فاعبدوه) هذا اخبار عن عيسى انه قال ذلك يعنى ولأن الله ربى وربكم لا رب للمخلوقات سواه (هذا صراط مستقيم) اى هذا الذى اخبرتكم به ان الله أمرنى به هو الصراط المستقيم الذى

بهما فان قيل لم يكن لعيسى مال فكيف يؤمر بالزكاة قيل معناه بالزكاة لو كان لى مال وقيل اوصانى بالزكاة اى امرنى ان اوصيكم بالزكاة وقيل بالاستكثار من الخير (مادمت حيا وبر بوالدتى) اى وجعلنى برا بوالدتى (ولم يجعلنى جبارا شقيا) اى عاصيا لربه وقيل الشقى الذى يذنب ولا يتوب (والسلام على يوم ولدت) أى السلام عند الولادة من طعن الشيطان (ويوم أموت اى عند الموت من الشرك (ويوم أبعث حيا) من الاهوال فلما كلمهم عيسى بهذا علموا براءة مريم ثم سكت عيسى عليه السلام فلم يتكلم بعد ذلك حتى بلغ المدة التى يتكلم فيها الصبيان (ذلك عيسى ابن مريم) قال الزجاج اى ذلك الذى قال انى عبد الله عيسى بن مريم (قول الحق) قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب قول الحق بنصب اللام وهو نصب على المصدر اى قال قول الحق (الذى فيه يمترون) يختلفون

فقائل يقول هو ابن الله وقائل يقول هو الله وقائل يقول هو ساحر كذاب وقرأ الآخرون برفع اللام يعنى هو قول الحق اى هذا الكلام هو قول الحق اضاف القول الى الحق كما قال حق اليقين ووعد الصدق وقيل هو نعت لعيسى بن مريم يعنى ذلك عيسى بن مريم كلمة الله الحق هو الله الذى فيه يمترون ويشكون ويختلفون ويقولون غير الحق ثم نفى عن نفسه الولد ثم عظم نفسه فقال (وما كان لله ان يتخذ من ولد) اى ما كان من صفته اتخاذ الولد وقيل اللام منقولة اى ما كان الله ان يتخذ من ولد (سبحانه اذا قضى امراً) اذا اراد ان يحدث امرا (فانما يقول له كن فيكون وإن الله ربى وربكم) قرأ اهل الحجاز وابو عمرو ان الله بفتح الالف يرجع إلى قوله واوصانى بالصلاة والزكاة وبأن الله ربى وربكم وقرأ اهل الشام والكوفة ويعقوب بكسر الألف على الاستئناف (فاعبدوه هذا صراط مستقيم)

قوله (فاختلف الأحزاب من بينهم) يعنى النصارى سموا أحزابا لأنهم تحزبوا ثلاث فرق فى أمر عيسى النسطورية الملكانية اليعقوبية (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) يعنى يوم القيامة (اسمع بهم وابصر) اى ما اسمعهم وابصرهم يوم القيامة حين لا ينفعهم السمع والبصر أخبر انهم يسمعون ويبصرون فى الآخرة مالم يسمعوا ولم يبصروا فى الدنيا قال الكلبى لا أحد يوم القيامة أسمع منهم ولا ابصر حين يقول الله تعالى لعيسى أأنت قلت للناس الآية (يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين) أى فى خطأ بين (وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الامر) فرغ من الحساب وادخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وذبح الموت اخبرنا عبد الواحد المليحى انا احمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسميل انا عمر بن (٢٠٠) حفص بن غياث انا ابى انا الأعمش ابو صالح عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله ﷺ

يؤتى بالموت كهيئة كبش املح فينادى مناد يا اهل الجنة فيشرفون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد راه ثم ينادى يا اهل النار فيشرفون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد راه فيذبح ثم يقول يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت ثم قرأ وانذرهم يوم الحسرة إذ قضى الامر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون ورواه ابو عيسى عن احمد ابن منيع عن النضر بن اسمعيل عن الاعمش بهذا الاسناد وزاد فلولا ان الله تعالى قضى لاهل الجنة الحياة والبقاء لماتوا فرحا ولولا ان الله تعالى قضى لاهل النار الحياة والبقاء لماتوا ترحا اخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحى انا احمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا معاذ بن اسد انا عبد الله انا عمر بن محمد بن زيد عن ابيه انه حدثه عن ابن عمر

يؤدى إلى الجنة (فاختلف الأحزاب من بينهم) يعنى النصارى سموا أحزابا لانهم تحزبوا ثلاث فرق فى أمر عيسى النسطورية والملكانية واليعقوبية (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) يعنى يوم القيامة حين (اسمع بهم وابصر) اى ما اسمعهم وابصرهم يوم القيامة حين لا ينفعهم السمع والبصر واخبرانهم يسمعون ويبصرون فى الاخرة مالم يسمعوا ويبصروا فى الدنيا وقيل معناه التهديد بما يسمعون ويبصرون مما يسوءهم ويصدع قلوبهم (يوم يأتوننا) اى يوم القيامة (لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين) قيل اراد باليوم الدنيا يعنى انهم فى الدنيا فى خطأ بين وفى الاخرة يعرفون الحق وقيل معناه لكن الظالمون فى الاخرة فى ضلال عن طريق الجنة بخلاف المؤمنين * قوله تعالى (وأنذرهم يوم الحسرة) يعنى خوف يا محمد كفار مكة يوم الحسرة سمى بذلك لان المسىء يتحسر هلا احسن العمل والمحسن هلا ازداد فى الاحسان يدل عليه ما روى ابو هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال مامن احد يموت إلا ندم قالوا ما ندمه يا رسول الله قال ان كان محسنا ندم ان لا يكون ازداد وإن كان مسيئا ندم ان لا يكون نزع اخرجه الترمذى قوله ان لا يكون نزع النزع عن الشىء الكف عنه وقال اكثر المفسرين يعنى بيوم الحسرة حين يذبح الموت (ق) عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله ﷺ يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادى منادى يا أهل الجنة فيشرفون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد راه ثم ينادى منادى يا اهل النار فيشرفون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد راه فيذبح بين الجنة والنار ثم يقول يا اهل الجنة خلود بلا موت ويا اهل النار خلود بلا موت ثم قرأ وانذرهم يوم الحسرة إذ قضى الامر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون وأشار بيده إلى الدنيا زاد الترمذى فيه فلو أن أحدا مات فرحا مات أهل الجنة ولو ان أحدا مات حزنا مات أهل النار قوله كهيئة كبش أملح الاملح المختلط بالبياض والسواد قوله فيشرفون يقال اشرف له الشىء إذا تطلع ينظر إليه ومالت نحوه نفسه قوله فيذبح بين الجنة والنار أعلم ان الموت عرض ليس بجسم فى صورة كبش أو غيره فعلى هذا يتأول الحديث على أن الله تعالى يخلق هذا الجسم وهو حيوان فيذبح فيموت فلا يبقى بزجىء له حياة ولا وجود وكذلك حال أهل الجنة والنار بعد الاستقرار فيهما لا زوال لهما ولا انتقال (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ إذا صار اهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جىء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار فيذبح ثم ينادى مناد يا اهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحا إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزنا إلى حزنهم عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ لا يدخل الجنة أحد إلا رأى مقعده من النار لو اساء فيزداد شكرا ولا يدخل النار أحد إلا رأى مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرة أخرجه البخارى * وقوله تعالى (إذ قضى الامر) أى

فرغ

قال قال رسول الله ﷺ إذا صار اهل الجنة إلى الجنة واهل النار إلى النار جىء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ثم ينادى مناديا اهل الجنة لا موت ويا اهل النار لا موت فيزداد اهل الجنة فرحا إلى فرحهم ويزداد اهل النار حزنا إلى حزنهم اخبرنا عبد الواحد المليحى انا احمد النعيمى انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا ابو اليمان انا شعيب انا ابو الزناد عن الاعرج عن ابى هريرة قال قال رسول الله ﷺ لا يدخل احد الجنة إلا راى مقعده من النار لو اساء ليزداد شكرا ولا يدخل النار احد إلا راى مقعده من الجنة لو احسن ليكون عليه حسرة اخبرنا ابو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودى انا ابو الحسن احمد بن محمد بن موسى بن الصلت انا ابو اسحق ابراهيم ابن عبد الصمد الهاشمى انا الحسين بن الحسن انا ابن المبارك انا يحيى بن عبد الله قال سمعت ابى قال سمعت ابا هريرة يقول قال رسول الله ﷺ مامن احد يموت الا ندم قالوا فما ندمه يا رسول الله قال ان كان محسنا ندم ان لا يكون ازداد وإن كان مسيئا ندم ان لا يكون نزع

(وهم فى غفلة) أى عما يفعل بهم فى الاخرة (وهم لا يؤمنون) لا يصدقون قوله عز وجل (إنا نحن نرث الأرض ومن عليها) أى نميت سكان الأرض ونهلكهم جميعا ويبقى الرب وحده فيرثهم (وإلينا يرجعون) فنجزيهم باعمالهم (واذكر فى الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبياً) الصديق الكثير الصدق القائم عليه وقيل من صدق الله فى وحدانيته وصدق أنبياءه ورسله وصدق بالبعث وقال بالأوامر فعمل بها فهو الصديق والنبى العالى فى الرتبة بارسال الله تعالى إياه قوله تعالى (إذ قال) ابراهيم (لأبيه) آزر وهو يعبد الأصنام (يا ابت لم تعبد مالا يسمع) صوتا (ولا يبصر) شيئاً (ولا يغنى عنك) أى لا يكفيك (شيئا يا ابت إنى قد (٢٠١) جاءنى من العلم) بالله والمعرفة (مالم

فرغ من الحساب وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وذبح الموت (وهم فى غفلة) أى عما يراد بهم فى الاخرة (وهم لا يؤمنون) أى لا يصدقون (إنا نحن نرث الأرض ومن عليها) أى نميت سكان الأرض جميعا ويبقى الله سبحانه وتعالى وحده فيريهم (وإلينا يرجعون) فنجزيهم باعمالهم * قوله عز وجل (واذكر فى الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا) اى كثير الصدق وهو مبالغة فى كونه صديقا وقيل الصديق الكثير التصديق وقيل من صدق الله فى وحدانيته وصدق أنبياءه ورسله وصدق بالبعث بعد الموت وقام بالأوامر فعمل بها فهو صديق ولما قربت رتبة الصديق من رتبة النبى انتقل من ذكر كونه صديقا إلى ذكر كونه نبيا والنبى العالى فى الرتبة بارسال الله إياه وأى رتبة أعلى من رتبة من جعله الله تعالى واسطة بينه وبين عباده (إذ قال لأبيه) يعنى آزر وهو يعبد الأصنام (يا ابت لم تعبد مالا يسمع) يعنى صوتا (ولا يبصر) ولا ينظر شيئا (ولا يغنى عنك) أى يكفيك (شيئا) وصف الاصنام بثلاثة أشياء كل واحد منها قادح فى الالهية وذلك ان العبادة هى غاية التعظيم للمعبود فلا يستحقها إلا من له ولاية الانعام وله أوصاف الكمال وهو الله تعالى فلا يستحق العبادة إلا هو (يا ابت إنى قد جاءنى من العلم) يعنى بالله والمعرفة (مالم يأتك فاتبعنى) أى على دينى (اهدك صراطا سويا) أى مستقيما (يا ابت لا تعبد الشيطان) أى لا تطعه فيما يزين لك من الكفر والشرك (إن الشيطان كان للرحمن عصيا) اى عاصيا (يا ابت إنى أخاف) أى اعلم وقيل هو على ظاهره لأنه يمكن أن يؤمن فيكون من أهل الجنة ويصر على الكفر فيكون من اهل النار فحمل الخوف على ظاهره اولى واعلم ان إبراهيم عليه الصلاة والسلام رتب هذا الكلام فى غاية الحسن مقرونا بالتلطف والرفق فان قوله فى مقدمة كلامه يا ابت دليل على شدة الحب والرغبة فى صرفه عن العقاب وإرشاده إلى الصواب لانه نبه ولا على ما يدل على المنع من عبادة الاصنام ثم امره باتباعه فى الايمان ثم نبه على ان طاعة الشيطان غير جائزة فى العقول ثم ختم الكلام بالوعيد الزاجر عن الاقدام على ما لا ينبغى بقوله إنى أخاف (ان يمسك) أى يصيبك (عذاب من الرحمن) أى ان اقمت على الكفر (فتكون للشيطان وليا) أى قرينا فى النار وقيل صديقا له فى النار وإنما فعل إبراهيم عليه الصلاة والسلام هذا مع أبيه لأمور أحدها لشدة تعلق قلبه بصلاحية أبيه وإزاء حق الابوة والرفق به وثانيها أن النبى الهادى إلى الحق لابد أن يكون رفيقا لطيفا حتى يقبل منه كلامه وثالثها النصح لكل احد فالأب اولى (قال) يعنى اباه مجيبا له (أراغب انت عن آلهتى يا ابراهيم) أى اتاركها انت وتارك عبادتها (لئن لم تنته) اى ترجع وتسكت عن عيبك آلهتنا وشتمك إياها (لأرجمنك) قال ابن عباس معناه لاضربنك وقيل لاقتلنك بالحجارة وقيل لاشتمنك وقيل لا بعدنك عنى بالقول القبيح والقول الاول هو الصحيح (واهجرنى) أى اجتنبنى قال ابن عباس اعتزلنى سالما لا يصيبنك منى معرة (مليا) اى دهرا طويلا (قال) يعنى إبراهيم (سلام عليك) اى سلمت منى لا اصيبك بمكروه وذلك لانه لم يؤمن بقتاله على كفره وقيل هذا سلام هجران ومفارقة وقيل هو سلام بر ولطف وهو جواب الحليم للسفيه (ساستغفر لك ربى) قيل انه لما اعياه امره وعده ان يراجع الله فيه فيسأله ان يرزقه التوحيد ويغفر له وقيل معناه ساسأل لك ربى توبة تنال بها المغفرة (إنه كان بى حفيا) اى برا لطيفاً والمراد انه يستجيب لى إذا دعوته لانه عودنى الاجابة لدعائى (واعتزلكم وما تدعون من دون الله) اى افارقكم وافارق ما تعبدون من دون الله وذلك انه فارقهم وهاجر إلى الارض المقدسة

يأتك فاتبعنى) على دينى (اهدك صراطا سويا) مستقيما (يا ابت لا تعبد الشيطان) لا تطعه فيما يزين لك من الكفر والشرك (إن الشيطان كان للرحمن عصيا) عاصيا كان بمعنى الحال أى هو كذلك (يا ابت إنى أخاف) أى اعلم (ان يمسك) يصيبك (عذاب من الرحمن) ان أقمت على الكفر (فتكون للشيطان وليا) قرينا فى النار (قال) أبوه مجيبا له (أراغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم لئن لم تنته) لئن لم تسكت وترجع عن عيبك آلهتنا وشتمك إياها (لأرجمنك) قال الكلبى ومقاتل والضحاك لأشتمنك ولأبعدنك عنى بالقول القبيح قال ابن عباس لأضربنك وقال الحسن لأقتلنك بالحجارة (واهجرنى مليا) قال الكلبى اجتنبنى طويلا وقال مجاهد وعكرمة حينا وقال سعيد ابن جبير دهرا أصله المكث ومنه يقال تمليت حينا والملوان الليل والنهار وقال قتادة وعطاء سالما وقال ابن عباس اعتزلنى سالما لا تصيبك منى معرة

(٢٦ - خازن - بع) يقال فلان ملى بامر كذا (إذا كان كافيا (قال) ابرهيم (سلام عليك) أى سلمت منى لا أصيبك بمكروه وذلك أنه لم يؤمر بقتاله على كفر وقيل هذا سلام هجران ومفارقة وقيل سلام بر ولطف وهو جواب الحليم للسفيه قال الله تعالى وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما (سأستغفر لك ربى) قيل انه لما اعياه امره ووعده أن يراجع الله فيه فيسأله أن يرزقه التوحيد ويغفر له معناه سأسأل الله تعالى لك توبة تنال بها المغفرة (إنه كان بى حفيا) برا لطيفا قال الكلبى عالما يستجيب إذا دعوته قال مجاهد عودنى الاجابة لدعائى (واعتزلكم وما تدعون من دون الله) اى اعتزل ما تعبدون من دون الله قال مقاتل كان اعتزاله إياهم انه فارقهم من كوثى فهاجر منها إلى الأرض

المقدسة (وادعو ربى) أى أعبد ربى (عسى أن لا أكون بدعاء ربى شقيا) أى عسى أن لا أشقى بدعائه وعبادته كما أنتم تشقون بعبادة الأصنام وقيل عسى أن يجيبنى إذا دعوته ولا يجيبنى (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله) فذهب مهاجرا (وهبنا له) بعد الهجرة (إسحاق ويعقوب) أنسنا وحشته من فراقهم وأقررنا عينه بأولاد كرام على الله عز وجل (وكلا جعلنا نبيا) يعنى إسحاق ويعقوب (ووهبنا لهم من رحمتنا) أى نعمتنا قال الكلبى المال والولد وهو قول الأكثرين قالوا معناه ما بسط لهم فى الدنيا من سعة الرزق وقيل الكتاب والنبوة (وجعلنا لهم لسان صدق عليا) يعنى ثناء حسنا رفيعا فى كل أهل الأديان فكلهم يتولونهم ويثنون عليهم قوله عز وجل (واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا) غير مراء أخلص العبادة والطاعة لله عز وجل وقرأ أهل الكوفة مخلصا بفتح اللام أى مختارا اختاره الله عز وجل وقيل أخلصه الله من الدنس (وكان رسولا نبيا وناديناه من جانب الطور الأيمن) يعنى يمين موسى والطور جبل بين مصر ومدين ويقال اسمه الزبير وذلك حين أقبل من مدين ورأى النار فنودى يا موسى انى انا الله رب العالمين (وقربناه نجيا) اى مناجيا فالنجى المناجى كما يقال جليس ونديم قال ابن عباس معناه قربه فكلمه ومعنى التقريب اسماعه كلامه وقيل رفعه على الحجب حتى سمع صرير القلم (ووهبنا له من رحمتنا اخاه هارون نبيا) وذلك حين دعا موسى فقال واجعل لى وزيرا من اهلى هارون أخى فأجاب الله دعاءه وارسل إلى هارون ولذلك سماه هبة له (واذكر فى الكتاب اسماعيل) وهو اسماعيل بن إبراهيم جد النبى ﷺ (انه كان صادق الوعد) قال مجاهد لم يعد شيئا إلا وفى به وقال مقاتل وعد رجلا ان يقيم مكانه حتى يرجع إليه الرجل فاقام إسماعيل مكانه ثلاثة أيام للميعاد وقيل حتى رجع إليه الرجل وقال الكلبى انتظره حتى حال عليه الحول (وكان رسولا) إلى جرهم (نبيا) مخبرا عن الله عز وجل (وكان يأمر اهله) اى قومه وقيل اهله وجميع امته (بالصلاة والزكاة) قال ابن عباس يريد التى افترضها الله تعالى عليهم وهى الحنيفية التى فرضت علينا (وكان عند ربه مرضيا) قائما لله بطاعته قيل رضيه الله عز وجل لنبوته ورسالته قوله (واذكر فى الكتاب إدريس) وهو جد ابى نوح واسمه اخنوخ سمى إدريس لكثرة درسة الكتب وكان خياطا وهو اول من خط بالقلم واول من خاط الثياب ولبس الثياب المخيطة وكانوا من قبله يلبسون الجلود واول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار واول من نظر فى علم النجوم والحساب (انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا)

(وادعو ربى) اى أعبد ربى الذى خلقنى وأنعم على (عسى ان اكون بدعاء ربى شقيا) أى أرجو أن لا اشقى بدعاء ربى وعبادته كما تشقون أنتم بعبادة الأصنام ففيه التواضع له مع التعريض بشقاوتهم * قوله عز وجل (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله) يعنى ذهب مهاجرا (وهبنا له) اى بعد الهجرة (اسحاق ويعقوب) أى أنسنا وحشته من فراقهم بأولاد اكرم على الله من أبيه (وكلا جعلنا نبيا) اى أنعمنا عليهما بالنبوة (ووهبنا لهم من رحمتنا) يعنى مع ما وهبنا لهم من النبوة وهنا لهم المال والولد وذلك انه بسط لهم فى الدنيا من سعة الرزق وكثرة الأولاد (وجعلنا لهم لسان صدق عليا) يعنى ثناء حسنا رفيعا فى أهل دين حتى دعا لهم أهل الأديان كلهم فهو يتولونهم ويثنون عليهم * قوله عز وجل (واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا) قرىء بكسر اللام اى أخلص العبادة والطاعة لله تعالى ولم يرء وقرىء بالفتح أى مختارا اختاره الله تعالى ثم استخلصه واصطفاه (وكان رسولا نبيا) فهذان وصفان مختلفان فكل رسول نبى ولا عكس (وناديناه من جانب الطور الأيمن) أى من ناحية يمين موسى والطور جبل معروف بين مصر ومدين ويقال ان اسمه الزبير وذلك حين أقبل من مدين ورأى النار فنودى يا موسى انى انا الله رب العالمين (وقربناه) قال ابن عباس قربه وكلمه ومعنى التقريب اسماعه كلامه وقيل رفعه على الحجب حتى سمع صرير الأقلام وقيل معناه رفع قدره ومنزلته أى وشرفناه بالمناجاة وهو قوله تعالى (نجيا) أى مناجيا أخى فأجاب الله دعوته وأرسل إلى هارون ولذلك سماه هبة له وكان هارون اكبر من موسى * قوله عز وجل (واذكر فى الكتاب اسماعيل) هو اسماعيل بن إبراهيم وهو جد النبى ﷺ (انه كان صادق الوعد) قيل انه لم يعد شيئا إلا وفى به وقيل انه وعد رجلا ان يقوم مكانه حتى يرجع الرجل فوقف إسماعيل مكانه ثلاثة ايام للميعاد حتى رجع إليه الرجل وقيل انه وعد نفسه الصبر على الذبح فوفى به فوصفه الله بهذا الخلق الحسن الشريف سئل الشعبى عن الرجل يعد ميعادا إلى اى وقت ينتظر فقال ان وعده نهارا فكل النهار وإن وعده ليلا فكل الليل وسئل بعضهم عن مثل ذلك فقال إن وعده فى وقت صلاة ينتظر إلى وقت صلاة أخرى (وكان رسولا) إلى جرهم وهم قبيلة من عرب اليمن نزلوا على هاجر أم اسماعيل بوادى مكة حين خلفهم ابراهيم وجرهم هو جرهم بن حطان بن عابر بن شالخ وحطان ابو قبائل اليمن (نبيا) أى مخبرا عن الله تعالى (وكان يأمر اهله) أى قومه وجميع أمته (بالصلاة والزكاة) قال ابن عباس يريد الصلاة المفروضة عليهم وهى الحنيفية التى افترضت علينا وقيل كان يبدأ بأهله فى الأمر بالصلاة والعبادة ليجعلهم قدوة لمن سواهم (وكان عند ربه مرضيا) أى قائما لله بطاعته وقيل رضيه لنبوته ورسالته وهذا نهاية فى المدح لأن المرضى عند الله هو الفائز فى كل طاعة بأعلى الدرجات * قوله عز وجل (واذكر فى الكتاب ادريس) هو جد أبى نوح واسمه اخنوخ سمى ادريس لكثرة درسه الكتب وكان خياطا وهو اول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب ولبس المخيط وكانوا من قبل يلبسون الجلود وهو أول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار وأول من نظر علم الحساب (انه كان صديقا نبيا) وذلك ان الله تعالى شرفه بالنبوة وأنزل عليه ثلاثين صحيفة (ورفعناه مكانا عليا) قيل هى الرفعة بعلو المرتبة فى الدنيا

قيل هى الجنة وقيل هى الرفعة بعلو الرتبة فى الدنيا وقيل أنه رفع إلى السماء الرابعة روى أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة عن النبى ﷺ أنه رأى إدريس فى السماء الرابعة ليلة المعراج وكان سبب رفع إدريس على ماقاله كعب وغيره انه سار ذات يوم فى حاجة فاصابه وهج الشمس فقال يارب إنى مشيت فيها يوما واحدا فاصابنى المشقة الشديدة من وهج الشمس واضرنى حرها ضررا بليغا فكيف بمن يحملها مسيرة خمسمائة عام فى يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما اصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها مالم يعرف فقال يارب ما الذى قضيت فيه حتى خففت عنى ما انا فيه قال ان عبدى إدريس سألنى ان اخفف عنك حملها وحرها فاجبته فقال يارب اجعل بينى وبينه خلة فاذن له حتى اتى إدريس فكان يسأله إدريس فقال له إنى اخبرت انك اكرم الملائكة وامكنهم عند ملك الموت فاشفع لى اليه ليؤخر اجلى فازداد شكرا وعبادة فقال الملك لا يؤخر الله نفسا إذا جاء اجلها وانا مكلمه فرفعه إلى السماء ووضعه عند مطلع (٢٠٣) الشمس ثم اتى ملك الموت فقال لى حاجة

وقيل انه رفع إلى السماء وهو الأصح يدل عليه ماروى أنس بن مالك بن صعصعة عن النبى ﷺ انه رأى إدريس فى السماء الرابعة ليلة المعراج متفق عليه وكان سبب رفع إدريس إلى السماء الرابعة على ماقاله كعب الاحبار وغيره انه سار ذات يوم فى حاجة فاصابه وهج الشمس فقال يارب إنى مشيت يوما فكيف بمن يحملها مسيرة خمسمائة عام فى يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما اصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لم يعلم فقال يارب خلقتنى لحر الشمس فما الذى قضيت فيه قال إن عبدى إدريس سألنى أن أخفف عنك حملها وحرها فأجبته قال يارب فاجمع بينى وبينه واجعل بينى وبينه خلة فاذن له حتى اتى إدريس فكان إدريس يسأله مما سأله ان قال انى اخبرت انك اكرم الملائكة وامكنهم عند ملك الموت فاشفع لى اليه ليؤخر اجلى لعلى ازداد شكرا وعبادة فقال الملك لا يؤخر الله نفسا إذا جاء اجلها وانا مكلمه فرفعه إلى السماء ووضعه عند مطلع الشمس ثم اتى ملك الموت فقال له لى اليك حاجة صديق لى من بنى ادم تشفع بى اليك لتؤخر اجله فقال ملك الموت ليس لى ذلك ولكن ان احببت اعلمته اجله فيقدم نفسه قال نعم فنظر فى ديوانه فقال انك كلمتنى فى إنسان ما اراه يموت ابدا قال وكيف ذلك فقال لا اجده يموت إلا عند مطلع الشمس قال انى اتيتك وتركته هناك قال انطلق فلا اراك تجده إلا وقد مات فوالله مابقى من عمر ادريس شىء فرجع الملك فوجده ميتا وقال وهب كان يرفع لادريس كل يوم من العبادة مثل مايرفع لجميع اهل الارض فى زمانه فعجب منه الملائكة واشتاق اليه ملك الموت فاستأذن ربه فى زيارته فاذن له فأتاه فى صورة بنى ادم وكان إدريس يصوم الدهر فلما كان وقت افطاره دعاه إلى الطعام فابى ان يأكل معه ففعل ذلك ثلاث ليال فانكره ادريس وقال له فى الليلة الثالثة انى اريد ان اعلم من انت قال أنا ملك الموت استأذنت ربى ان اصحبك فقال لى اليك حاجة قال وماهى قال تقبض روحى فاوحى الله اليه ان اقبض روحه فقبض روحه وردها الله اليه بعد ساعة فقال له ملك الموت ما الفائدة فى سؤالك قبض الروح قال لاذوق كرب الموت وغمه فأكون اشد استعدادا له ثم قال له ادريس لى اليك حاجة أخرى قال وماهى قال ترفعنى إلى السماء لانظر اليها وإلى الجنة والنار فأذن الله له فرفعه فلما قرب من النار قال لى اليك حاجة قال وماهى قال اريد ان اسأل مالكا ان يرفع ابوابها فاردها ففعل قال فكما اريتنى النار فارنى الجنة فذهب به إلى الجنة فاستفتح ففتحت ابوابها فادخله الجنة ثم قال له ملك الموت اخرج لتعود إلى مقرك فتعلق بشجرة وقال ما اخرج منها فبعث الله اليه ملكا حكما بينهما قال له الملك مالك لا تخرج قال لان الله تعالى قال كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته ثم قال وإن منكم إلا واردها فانا وردتها وقال وماهم منها بمخرجين فنست اخرج فأوحى الله تعالى إلى ملك الموت باذنى دخل الجنة وبأمرى لايخرج فهو حى هناك فذلك قوله تعالى

اليك فقال وماهى فقال صديق لى من بنى ادم تشفع بى اليك لتؤخر اجله قال ليس ذلك إلى ولكن ان احببت اعلمته اجله متى يموت فيقدم لنفسه قال نعم فنظر فى ديوانه فقال انك كلمتنى فى إنسان ما اراه يموت ابدا قال وكيف ذلك قال لا اجده يموت إلا عند مطلع الشمس قال انى اتيتك وتركته هناك قال انطلق فلا اراك تجده إلا وقد مات فوالله مابقى من اجل ادريس شىء فرجع الملك فوجده ميتا واختلفوا فى انه حى فى السماء ام ميت فقال قوم هو ميت وقال قوم هو حى وقالوا اربعة من الانبياء فى الاحياء اثنان فى الارض الخضر والياس واثنان فى السماء إدريس وعيسى وقال وهب كان يرفع لادريس كل يوم من العبادة مثل مايرفع لجميع اهل الارض فى زمانه فعجب منه الملائكة واشتاق اليه ملك الموت

فاستأذن ربه عز وجل فى زيارته فأذن له فأتاه فى صورة بنى آدم وكان إدريس يصوم الدهر فلما كان وقت افطاره دعاه إلى طعامه فأبى ان يأكل معه ففعل ذلك ثلاث ليال فأنكره إدريس فقال له فى الليلة الثالثة انى اريد ان اعلم من انت فقال انا ملك الموت استأذنت ربى ان اصحبك قال فلى اليك حاجة قال وماهى قال تقبض روحى فاوحى الله اليه ان اقبض روحه فقبض روحه وردها الله اليه بعد ساعة قال له ملك الموت ما الفائدة فى سؤالك قبض الروح قال لاذوق كرب الموت وغمه لاكون اشد استعدادا له ثم قال إدريس له ان لى اليك حاجة أخرى قال وماهى قال ترفعنى إلى السماء لانظر اليها وإلى الجنة والنار فاذن الله فى رفعه فلما قرب من النار قال لى حاجة اخرى قال وماتريد قال تسأل مالكا حتى يفتح لى ابوابها فاردها ففعل ثم قال فكما اريتنى النار فارنى الجنة فذهب به إلى الجنة فاستفتح ففتحت ابوابها فادخله الجنة ثم قال له ملك الموت اخرج لتعود إلى مقرك فتعلق بشجرة وقال لا اخرج منها فبعث الله ملكا حكما بينهما فقال له الملك مالك لا تخرج قال لان الله تعالى قال كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته وقال وإن منكم إلا واردها وقد وردتها وقال وماهم

منها بمخرجين فلست اخرج فأوحى الله إلى ملك الموت باذني دخل الجنة وبأمري لا يخرج فهو حي هناك فذلك قوله تعالى ورفعناه مكانا عليا (اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية ادم) اى إدريس ونوحا (وممن حملنا مع نوح) اى ومن ذرية من حملنا مع نوح فى السفينة يريد إبراهيم لانه ولد سام بن نوح (ومن ذرية إبراهيم) يريد اسماعيل واسحاق ويعقوب قوله (واسرائيل) اى ومن ذرية اسرائيل وهم موسى وهرون وزكريا ويحيى (وممن هدينا واجتبينا) هؤلاء كانوا ممن ارشدناوا اصطفينا (اذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا) سجدا جمع ساجد وبكيا جمع باك اخبر (٢٠٤) الله ان الانبياء كانوا إذا سمعوا ايات الله سجدوا وبكوا قوله تعالى (فخلف من بعدهم خلف)

أى من بعد النبيين المذكورين خلف وهم قوم سوء والخلف بالفتح الصالح وبالجزم الطالح قال السدى اراد بهم اليهود ومن لحق بهم وقال مجاهد وقتادة هم قوم فى هذه الامة (اضاعوا الصلاة) تركوا الصلاة المفروضة وقال ابن مسعود وابراهيم اخروها عن وقتها وقال سعيد بن المسيب هو ان لا يصلى الظهر حتى يأتى العصر ولا العصر حتى تغرب الشمس (واتبعوا الشهوات) اى المعاصى وشرب الخمر اى اثروا شهوات انفسهم على طاعة الله وقال مجاهد هؤلاء قوم يظهرون فى اخر الزمان ينزوا بعضهم على بعض فى الاسواق والازقة (فسوف يلقون غيا) قال ابن وهب الغى نهر فى جهنم بعيد قعره خبيث طعمه وقال ابن عباس الغى واد فى جهنم وان اودية جهنم لتستعيذ من حره اعد للزانى المصر عليه ولشارب الخمر المدمن عليها ولاكل الربا الذى لا ينزع عنه ولاهل العقوق ولشاهد الزور

ورفعناه مكانا عليا واختلفوا فى أنه حى فى السماء أم ميت فقال قوم هو ميت واستدل بالاول وقال قوم هو حى واستدل بهذا وقالوا اربعة من الانبياء احياء اثنان فى الارض وهما الخضر والياس واثنان فى السماء وهما ادريس وعيسى * قوله عز وجل (اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين) اولئك اشارة إلى المذكورين فى هذه السورة انعم الله عليهم بالنبوة وغيرها مما تقدم وصفه (من ذرية ادم) يعنى ادريس ونوحا (وممن حملنا مع نوح) أى ومن ذرية من حملنا مع نوح فى السفينة يريد ابراهيم لانه ولد سام بن نوح (ومن ذرية إبراهيم) يعنى إسحق واسمعيل ويعقوب (واسرائيل) اى ومن ذرية اسرائيل وهو يعقوب وهم موسى ويحيى وهارون وزكريا وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم فرتب الله تعالى احوال الانبياء الذين ذكرهم على هذا الترتيب منبها بذلك على انهم كما شرفوا بالنبوة شرفوا بالنسب ثم قال تعالى (وممن هدينا واجتبينا) أى هؤلاء ممن ارشدناوا اصطفينا وقيل ممن هدينا إلى الاسلام واجتبينا على الانام (إذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا) جمع ساجد (وبكيا) جمع باك اخبر الله تعالى ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا إذا سمعوا ايات الله سجدوا وبكوا خضوعا وخشوعا وخوفا وحذرا والمراد من الايات ما خصهم به من الكتب المنزلة عليهم وقيل المراد من الايات ذكر الجنة والنار والوعد والوعيد ففيه استحباب البكاء وخشوع القلب عند سماع القران

﴿فصل﴾ وسجدة سورة مريم من عزائم سجود القران فيسن للقارىء والمستمع ان يسجد عند تلاوة هذه السجدة وقيل يستحب لمن قرا اية سجدة فسجد ان يدعوا بما يناسب تلك السجدة فان قرا سجدة سبحان قال اللهم اجعلنى من الباكين اليك والخاشعين لك وإن قرا سجدة مريم قال اللهم اجعلنى من عبادك المتعم عليهم الساجدين لك الباكين عند تلاوة اياتك وإن سجد سجدة الم السجدة قال اللهم اجعلنى من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك * قوله تعالى (فخلف من بعدهم) اى من بعد النبيين المذكورين (خلف) اى قوم سوء ارادبهم اليهود ومن لحق بهم وتابعهم وقيل هم فى هذه الامة (اضاعوا الصلاة) اى تركوا الصلاة المفروضة وقيل اخروها عن وقتها وهو ان لا يصلى الظهر حتى يأتى العصر ولا العصر حتى تاتى المغرب (واتبعوا الشهوات) اى اثروا شهوات انفسهم على طاعة الله وقيل اتبعوا المعاصى وشرب الخمور وقيل هؤلاء قوم يظهرون فى اخر الزمان ينزو بعضهم على بعض فى الاسواق والازقة (فسوف يلقون غيا) قال ابن عباس الغى واد فى جهنم وان اودية جهنم لتستعيذ من حره اعد للزانى المصر عليه ولشارب الخمر المدمن له ولاكل الربا الذى لا ينزع عنه ولاهل العقوق ولشاهد الزور وقيل هو واد فى جهنم بعيد قعره خبيث طعمه يسيل قيحا ودما وقيل هو واد فى جهنم ابعدها قعرا واشدها حرا فيه بئر تسمى الهيثم كلما خبت جهنم فتح الله تلك البئر فتستعر بها جهنم وقيل معنى غيا خسرانا وقيل هلاكا وعذابا وليس معنى يلقون يرون فقط بل معناه الاجتماع والملابسة مع الرؤية * قوله تعالى (إلا من تاب وآمن وعمل صالحا) يعنى إلا من تاب من التقصير فى الصلوات والمعاصى وآمن من الكفر وعمل صالحا بطاعة الله تعالى

ولامرأة أدخلت على زوجها ولد اوقال عطاء الغى واد فى جهنم يسيل قيحا ودما وقال كعب هو واد فى جهنم ابعدها قعرا (فاولئك وأشدها حرا فيه بئر تسمى الهيثم كلما خبت جهنم فتح الله تلك البئر فيسعر بها جهنم اخبرنا محمد بن عبد الله بن ابى توبة أنا محمد بن أحمد الحارثى أنا محمد ابن يعقوب الكسائى انا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الخلال وانا عبد الله بن المبارك عن هشيم بن بشير انا زكريا بن ابى مريم الخزاعى قال سمعت ابى امامة الباهلى يقول ان ما بين شفير جهنم إلى قعرها مسيرة سبعين خريفا من حجر يهوى او قال صخرة تهوى عظمها كعشر عشرت واسمان فقال له مولى لعبد الرحمن بن خالد بن الوليد هل تحت ذلك شيء يا ابا امامة قال نعم غى واثام وقال الضحاك غيا وخسرانا وقيل هلاكا وقيل عذابا وقوله فسوف يلقون غيا ليس مراده يرون فقط بل معناه الاجتماع والملابسة مع الرؤية (إلا من تاب وامن وعمل صالحا

فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب) ولم يروها (انه كان وعده مأتيا) يعني أتيا مفعول بمعنى فاعل وقيل لم يقل أتيا لأن كل من أتاك فقد أتته والعرب لا تفرق بين قول القائل أتت على خمسون سنة وبين قوله أتيت على خمسين سنة ويقول وصل إلى الخير ووصلت إلى الخير قال ابن جرير وعده أي موعوده وهو الجنة ماتيا يأتيه أولياؤه وأهل طاعته (لا يسمعون فيها) في الجنة (لغوا) باطلا وفحشا وفضولا من الكلام وقال مقاتل هو اليمين الكاذبة (إلا سلاما) استثناء من غير جنسه يعني بل يسمعون فيها سلاما أي قولا يسلمون منه والسلام اسم جامع للخير لأنه يتضمن السلامة معناه أن أهل الجنة لا يسمعون ما يؤثمهم إنما يسمعون ما يسلمهم وقيل هو تسليم بعضهم على بعض وتسليم الملائكة عليهم وقيل هو تسليم الله عليهم (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) قال أهل التفسير ليس في الجنة ليل يعرف به البكرة والعشي بل هم في نور ابدا ولكنهم يؤتون بأرزاقهم على مقدار طرفي النهار وقيل أنهم يعرفون وقت النهار برفع الحجب ووقت الليل بارخاء الحجب وقيل المراد منه رفاهية العيش وسعة الرزق من غير تضييق وكان الحسن البصري (٢٠٥) يقول كانت العرب لا تعرف من العيش أفضل من الرزق بالبكرة والعشي فوصف الله عز وجل أهل جنته بذلك (تلك الجنة التي نورث من عبادنا) أي نعطي وننزل وقيل يورث عباده المؤمنين المساكن التي كانت لاهل النار لو امنوا (من كان تقيا) أي المتقين من عباده (وما نتنزل إلا بأمر ربك) أنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا خلاد بن يحيى أنا عمر بن ذر قال سمعت أبي يحدث عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي ﷺ قال يا جبريل ما يمنعك ان تزورنا اكثر مما تزورنا فنزلت وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا الاية قال كان هذا الجواب لمحمد ﷺ وقال عكرمة والضحاك وقتادة ومقاتل والكلبي احتبس جبريل عن النبي ﷺ حين سأله قومه عن اصحاب الكهف وذي القرنين والروح فقال اخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله حتى شق ذلك على النبي ﷺ ثم نزل بعد ايام فقال رسول الله ﷺ ابطأت علي حتى ساء ظني واشتقت اليك فقال له جبريل اني كنت اشوق ولكني عبد مأمور إذا بعثت نزلت وإذا حبست احتبست فانزل الله وما نتنزل إلا بأمر ربك وانزل والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى (له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك) اي له علم ما بين ايدينا واختلفوا فيه فقال سعيد بن جبير وقتادة ومقاتل ما بين ايدينا من امر الاخرة والثواب والعقاب وما خلفنا ما مضى من الدنيا وما بين ذلك ما يكون هذا من الوقت إلى قيام الساعة وقيل ما بين ايدينا من امر الاخرة وما خلفنا من امر الدنيا وما بين ذلك اي ما بين النفختين وبينهما اربعون سنة وقيل ما بين ايدينا ما بقي من الدنيا وما خلفنا ما مضى منها وما بين ذلك مدة حياتنا وقيل ما بين ايدينا بعد ان نموت وما خلفنا قبل ان نخلق وما بين ذلك مدة الحياة وقيل ما بين ايدينا من الأرض إذا اردنا النزول اليها وما خلفنا السماء اذا نزلنا منها وما بين ذلك الهواء بريد ان ذلك كله لله عز وجل فلا نقدر على شيء إلا بأمره

(فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا) اي لا ينقصون شيئا ثم وصف الجنة فقال تعالى (جنات عدن) اي بساتين إقامة وصفها بالدوام بخلاف جنات الدنيا فانها لا تدوم (التي وعد الرحمن عباده بالغيب) اي أنهم لا يرونها فهي غائبة عنهم وهم غائبون عنها (إنه كان وعده مأتيا) أي آتيا وقيل معنى وعده موعوده وهو الجنة مأتيا أي يأتيه أولياء الله وأهل طاعته (لا يسمعون فيها لغوا) أي باطلا وفحشا وهو فضول الكلام (إلا سلاما) يعني بل يسمعون فيها سلاما والسلام اسم جامع للخير لأنه يتضمن معنى السلامة وذلك أن أهل الجنة لا يسمعون فيها ما يؤلمهم إنما يسمعون تسليمهم وقل هو تسليم بعضهم على بعض وتسليم الملائكة عليهم وقيل هو تسليم الله عليهم (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) قال أهل التفسير ليس في الجنة ليل ولا نهار حتى يعرف به البكرة والعشي بل هم في نور أبدا ولكنهم يؤتون بأرزاقهم على مقدار طرفي النهار كعادتهم في الدنيا وقيل أنهم يعرفون وقت النهار برفع الحجب ووقت الليل بارخاء الحجب وقيل المراد منه رفاهية العيش وسعة الرزق من غير تضييق ولا تقتير وقيل كانت العرب لا تعرف أفضل من الرزق الذي يؤتى به البكرة والعشي فوصف الله تعالى الجنة بذلك وقوله تعالى (تلك الجنة التي نورث من عبادنا) اي نعطي وننزل وقيل يورث عباده المؤمنين المساكن التي كانت لأهل النار لو آمنوا (من كان تقيا) اي المتقين من عباده قوله عز وجل (وما نتنزل إلا بأمر ربك) (خ) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا اكثر مما تزورنا فنزلت وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا الاية قال فكان هذا جواب جبريل لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل احتبس جبريل عن النبي ﷺ حين سأله اليهود عن أمر الروح وأصحاب الكهف وذي القرنين فقال اخبركم غدا ولم يقل إن شاء الله حتى شق على النبي صلى الله عليه وسلم ثم نزل بعد أيام فقال له رسول الله ﷺ ابطأت علي حتى ساء ظني واشتقت اليك فقال له جبريل وأنى كنت أشوق اليك ولكني عبد مأمور إذا بعثت نزلت وإذا حبست احتبست فانزل الله تعالى وما نتنزل إلا بأمر ربك وانزل الله تعالى والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى * وقوله (له ما بين أيدينا وما خلفنا) أي له علم ما بين أيدينا وما خلفنا وقيل كذلك بقوله ما بين أيدينا وما خلفنا أي هو المدبر لنا في كل الأوقات الماضي والمستقبل وقيل معناه له ما بين ايدينا من امر الآخرة والثواب والعقاب وما خلفنا أي ما مضى من الدنيا (وما بين ذلك) أي من هذا الوقت إلى ان تقوم الساعة وقيل ما بين ذلك اي ما بين النفختين وهو مقدار اربعين سنة وقيل ما بين ايدينا ما بقي من الدنيا وما

(وما كان ربك نسيا) أي ناسيا يقول ما نسيك ربك أي ما تركك والناسي التارك (رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته) أي اصبر على أمره ونهيه (هل تعلم له سميا) قال ابن عباس رضي الله عنهما مثلا وقال سعيد بن جبير عدلا وقال الكلبي هل تعلم أحدا يسمى الله غيره (ويقول الانسان) يعني أبي بن خلف الجمحي كان منكر البعث قال (أئذا مامت لسوف اخرج حيا) من القبر قاله استهزاء وتكذيبا للبعث قال الله عز وجل (أولا يذكر) يعني يتذكر وينفكر وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب يذكر خفيف (الانسان) يعني ابي بن خلف (انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا) يعني لا يتفكر هذا الجاحد في بدء خلقه فيستدل به على الاعادة ثم اقسم بنفسه فقال (فوربك لنحشرنهم) أي لنجمعنهم في المعاد يعني المشركين المنكرين للبعث (والشياطين) مع الشياطين وذلك أنه يحشر كل كافر مع شيطانه في سلسلة (ثم لنحضرنهم حول جهنم) قيل في جهنم (جثيا) قال ابن عباس رضي الله عنه جماعات جمع جثوة وقال الحسن والضحاك جمع جاث أي جاثين على الركب قال السدي قائمين على الركب لضيق المكان (٢٠٦) (ثم لننزعن) لنخرجن (من كل شيعة) يعني من كل أمة وأهل دين من الكفار (أيهم أشد على الرحمن عتيا) عتوا قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني جرأة وقال مجاهد فجورا يريد الأعتى فالاعتى وقال الكلبي قائدهم ورأسهم في الشر يريد أنه يقدم في إدخال النار من هو اكبر جرما وأشد كفرا وفي بعض الاثار أنهم يحضرون جميعا حول جهنم مسلمين مغلولين ثم يقدم الاكفر فالاكفر ورفع ايهم على معنى الذي يقال لهم أيهم أشد على الرحمن عتيا وقيل على الاستئناف ثم لننزعن يعمل في موضع من كل شيعة (ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا) اي احق بدخول النار يقال صلى يصلى صليا مثل لقي يلقى لقيا وصلى يصلى صليا مثل مضى يمضى مضيا إذا دخل النار وقاسى حرها (وإن منكم الا واردها) اى وما منكم إلا واردها وقيل القسم في مضمر أي والله ما منكم من أحد إلا واردها والورود هو موافاة المكان واختلفوا في معنى الورود ههنا وفيما تنصرف اليه الكناية في قوله واردها قال ابن عباس رضي الله عنه وهو قول الاكثرين معنى الورود ههنا هو الدخول والكناية راجعة إلى النار وقالوا النار يدخلها البر والفاجر ثم ينجي الله المتقين فيخرجهم منها والدليل على أن الورود هو الدخول قول الله عز وجل حكاية عن فرعون يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وروى بن عيينة عن عمرو بن دينار ان نافع بن الازرق ماروى ابن عباس رضي الله عنهما في الورود فقال ابن عباس رضي الله عنهما هو الدخول وقال نافع ليس الورود الدخول فتلا عبد الله بن عباس رضي الله عنه قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون ادخلها هؤلاء أم لا ثم قال يا نافع اما والله انت وأنا سنردها وانا ارجو ان يخرجني الله منها وما ارى الله عز وجل أن يخرجك منها بتكذيبك وقال قوم ليس المراد من الورود الدخول وقالوا النار لا يدخلها مؤمن أبدا لقوله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وقالوا كل من دخلها لا يخرج منها والمراد من قوله وإن منكم إلا واردها الحضور والرؤية

خلفنا ما مضى منها وما بين ذلك أي مدة حياتنا (وما كان ربك نسيا) يعني ناسيا أي ما نسيك ربك وما تركك (رب السموات والأرض وما بينهما) يعني من يكون كذلك لا يجوز عليه النسيان لأنه لا بد ان يدبر احوالها كلها وفيه دليل على ان فعل العبد خلق الله لأنه حاصل بين السموات والارض فكان لله تعالى (فاعبده واصطبر لعبادته) يعني اصبر على أمره ونهيه (هل تعلم له سميا) قال ابن عباس مثلا وقيل هل تعلم احدا يسمى الله غير الله قوله تعالى (ويقول الانسان) يعني جنس الانسان والمراد به الكفار الذين أنكروا البعث وقيل هو ابي بن خلف الجمحي وكان منكرا للبعث (أئذا مامت لسوف اخرج حيا) قاله استهزاء وتكذيبا للبعث قال الله تعالى (اولا يذكر الانسان) يعني يتذكر ويتفكر يعني منكر البعث (انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا) والمعنى أولا يتفكر هذا الجاحد في بدء خلقه فيستدل به على الاعادة قال بعض العلماء لو اجتمع كل الخلائق على إيراد حجة في البعث على هذا الاختصار ما قدروا عليه إذ لا شك أن الإعادة ثانيا اهون من الايجاد أولا ثم اقسم بنفسه فقال تعالى (فوربك) وفيه تشريف للنبي ﷺ (لنحشرنهم) يعني لنجمعنهم في المعاد يعني المشركين المنكرين للبعث (والشياطين) يعني مع الشياطين وذلك انه يحشر كل كافر مع شيطان في سلسلة (ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا) قال ابن عباس جماعات وقيل جاثين على الركب لضيق المكان وقيل إن البارك على ركبتيه صورته كصورة الدليل * فان قلت هذا المعنى حاصل للكل بدليل قوله تعالى وترى كل أمة جاثية * قلت وصفوا بالجثو على العادة المعهودة في مواقف المقالات والمناقلات وذلك لما فيه من القلق مما يدهمهم من شدة الأمور التي لا يطيقون معها القيام على ارجلهم فيجثون على ركبهم جثوا (ثم لننزعن) يعني لنخرجن (من كل شيعة) يعني من كل امة وأهل دين من الكفار (أيهم أشد على الرحمن عتيا) قال ابن عباس يعني جرأة وقيل فجورا وتمردا وقيل قائدهم ورئيسهم في الشرك والمعنى أنه يقدم في إدخال النار الاعتى فالأعتى ممن هو اكبر جرما وأشد كفرا وفي بعض الأخبار أنهم يحضرون جميعا حول جهنم مسلمين مغلولين ثم يقدم الاكفر فالاكفر فمن كان أشد منهم تمردا في كفره خص بعذاب أعظم وأشد لان عذاب الضال المضل واجب أن يكون فوق عذاب الضال التابع لغيره في الضلال وفائدة هذا التمييز التخصيص بشدة العذاب لا التخصيص باصل العذاب فلذلك قال في جمعهم (ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا) ولا يقال أولى إلا مع اشتراك القوم في العذاب وقيل معنى الاية أنهم أحق بدخول النار * قوله عز وجل (وإن منكم إلا واردها) يعني وما منكم إلا واردها وقيل القسم فيه مضمر أي والله

لا الدخول كما قال تعالى ولما ورد ماء مدين أراد به الحضور وقال عكرمة الآية فانهم يدخلونها ولا يخرجون منها وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال وان منكم الا واردها يعنى القيامة والكناية راجعة اليها والاول اصح وعليه اهل السنة انهم جميعا يدخلون النار ثم يخرج الله عز وجل منها أهل الايمان بدليل قوله تعالى ثم ننجى الذين اتقوا اى اتقوا الشرك وهم المؤمنون والنجاة إنما تكون مما دخلت فيه لا ما وردت وقرأ الكسائى ويعقوب ننجى بالتخفيف والاخرون بالتشديد والدليل على هذا ما أخبرنا احمد بن عبد الله الصالحى انا ابو بكر احمد بن الحسين الحيرى انا حاجب بن احمد الطوسى انا عبد الرحيم بن منيب انا سفيان عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن ابى هريرة قال قال النبى ﷺ لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم وأراد بالقسم قوله وإن منكم إلا واردها (٢٠٧) اخبرنا عبد الواحد المليحى انا أحمد النعيمى انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا مسلم بن ابراهيم أنا هشام انا قتادة عن انس عن النبى ﷺ قال يخرج من النار من قال لا اله إلا الله وفى قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا اله إلا الله وفى قلبه وزن برة من خير ويخرج من النار من قال لا إله الا الله وفى قلبه وزن ذرة من خير وقال ابان عن قتادة من إيمان مكان خير أخبرنا أبو المظفر محمد بن اسمعيل بن على الشجاعى انا أبو نصر النعمان ابن محمد بن محمود الجرجانى انا ابو عثمان عمر بن عبد الله البصرى انا محمد بن عبد الوهاب انا محمد بن الفضل أبو النعمان انا سلام بن مسكين أنا أبو الظلال عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ ان رجلا فى النار ينادى الف سنة يا حنان يا منان فيقول الله عز وجل لجبريل اذهب فائتنى بعبدى هذا قال فذهب جبريل فوجد اهل النار منكبين يبكون قال فرجع فاخبر ربه عز وجل قال اذهب فانه فى موضع كذا وكذا قال فجاء به قال يا عبدى كيف وجدت مكانك ومقيلك قال يا رب شر مكان وشر مقيل قال ردوا عبدى قال ما كنت ارجو ان تعيدنى اليها إذ أخرجتنى منها قال الله تعالى للملائكة دعوا عبدى وأما قوله عز وجل لا يسمعون حسيسها قيل ان الله عز وجل اخبر عن وقت كونهم فى الجنة انهم لا يسمعون حسيسها فيجوز ان يكون قد سمعوا ذلك قبل دخولهم الجنة لانه لم يقل لم يسمعوا حسيسها ويجوز ان لا يسمعوا حسيسها عند دخولهم إياها لان الله عز وجل يجعلها عليهم بردا وسلاما وقال خالد بن معدان يقول اهل الجنة ألم يعدنا ربنا أن نرد النار فيقال بلى ولكنكم مررتم بها وهى خامدة وفى الحديث تقول النار للمؤمنين جزيا مؤمن فقد اطفا نورك لهبى وروى عن مجاهد قوله عز وجل وإن منكم إلا واردها قال من حم من المسلمين فقد وردها وفى الخبر الحمى كير من جهنم وهى حظ

ما منكم من احد إلا واردها والورود هو موافاة المكان ولما اختلفوا فى معنى الورود ههنا وفيما تنصرف اليه الكناية فى قوله واردها فقال ابن عباس والاكثرون معنى الورود هنا الدخول والكناية راجعة إلى النار فيدخلها البر والفاجر ثم ينجى الذين اتقوا منها يدل عليه ما روى ان نافع بن الأزرق سأل ابن عباس فى الورود فقال ابن عباس هو الدخول فقال نافع ليس الورود الدخول فقرأ ابن عباس انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون ادخلها هؤلاء أم لا ثم قال يا نافع والله أنا وأنت نجود ها وانا أرجو أن يخرجنى الله منها وما أرى ان يخرجك منها بتكذيبك فمن قال بدخول المؤمنين النار يقول من غير خوف ولا ضرر ولا عذاب البتة بل مع الغبطة والسرور لأن الله تعالى اخبر عنهم انهم لا يحزنهم الفزع الاكبر * فان قلت كيف يدفع عن المؤمنين حر النار وعذابها * قلت يحتمل ان الله تعالى يخمد النار فتعبرها المؤمنون ويحتمل أن الله تعالى يجعل الأجزاء الملاصقة لأبدان الكفار من النار محرقة والاجزاء الملاصقة لأبدان المؤمنين تكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت فى حق إبراهيم عليه السلام وكما ان الملائكة الموكلين بها لا يجدون ألمها فان قلت إذا لم يكن على المؤمنين عذاب فما فائدة دخولهم النار * قلت فيه وجوه أحدها أن ذلك مما يزيدهم سرورا إذا علموا الخلاص منه وثانيها ان فيه مزيد غم على اهل النار حين يرون المؤمنين يتخلصون منها وهم باقون فيها وثالثها انهم إذا شاهدوا ذلك العقاب الذى على اهل الكفار صار ذلك سببا لمزيد التذاذهم بنعيم الجنة وقال قوم ليس المراد من الورود الدخول وقالوا لا يدخل النار مؤمن ابدا لقوله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها فعلى هذا يكون المراد من الورود الحضور والرؤية لا الدخول كما قال تعالى ولما ورد ماء مدين اراد به الحضور وقال عكرمة الاية فى الكفار فانهم يدخلونها ولا يخرجون منها وروى عن ابن مسعود انه قال وإن منكم إلا واردها يعنى يوم القيامة والكناية راجعة إليها والقول الاول اصح وعليه اهل السنة فانهم جميعا يدخلون النار ثم يخرج الله منها اهل الايمان بدليل قوله تعالى ثم ننجى الذين اتقوا اى الشرك وهم المؤمنون والنجاة إنما تكون مما دخلت فيه يدل عليه ما روى عن ابى هريرة قال قال النبى ﷺ لا يموت لأحد من المؤمنين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم وفى رواية فيلج النار ألا تحلة القسم أخرجاه فى الصحيحين أراد بالقسم قوله تعالى وإن منكم إلا واردها (م) عن ام مبشر الانصارية انها سمعت النبى ﷺ يقول عند حفصة لا يدخل النار إن شاء الله تعالى من اصحاب الشجرة احد من الذين بايعوا تحتها قالت يا رسول الله فانتهزها فقالت حفصة وان منكم إلا واردها فقال النبى ﷺ قد قال الله تعالى ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وقال خالد بن معدان يقول اهل الجنة ألم يعدنا ربنا أن نرد النار فقال بلى ولكنكم مررتم بها وهى خامدة وفى الحديث تقول النار للمؤمنين جزيا مؤمن فقد اطفا نورك لهبى وروى عن مجاهد قوله عز وجل وإن منكم إلا واردها قال من حم من المسلمين فقد وردها وفى الخبر الحمى كير من جهنم وهى حظ المؤمن من النار (ق) عن عائشة ان النبى ﷺ قال الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء قوله فيح جهنم اى وهجها وحرها * وقوله تعالى

المؤمن من النار أخبرنا عبد الواحد المليحي انا أحمد النعيمي أنا محمد بن يوسف انا محمد بن إسمعيل أنا محمد بن المثنى أنا يحيى عن هشام أخبرني أبي عن عائشة عن النبي ﷺ قال الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء (كان على ربك حتما مقضيا) اى كان ورودكم جهنم حتما لازما مقضا قضاه الله عليكم (ثم ننجي الذين اتقوا) اى اتقوا الشرك وقرأ الكسائي ننجي بالتخفيف والباقون بالتشديد (ونذر الظالمين فيها جثيا) جميعا وقيل جاثين على الركب وفيه دليل على ان الكل دخلوها ثم اخرج الله منها المتقين وترك فيها الظالمين وهم المشركون اخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا ابو اليمان انا شعيب عن الزهري قال اخبرني سعيد بن المسيب وعطاء بن يزيد الليثي ان ابا هريرة اخبرهما ان الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تضارون في القمر في ليلة البدر ليس دونه سحاب فقالوا لا يا رسول الله قال فهل تمارون في الشمس ليس دونها (٢٠٨) سحاب قالوا لا قال فانكم ترونه كذلك يحشر الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه

فمنهم من يتبع الشمس ومنهم من يتبع القمر ومنهم من يتبع الطواغيت وتبقى هذه الامة فيها منافقوها فيأتيهم الله عز وجل فيقول انا ربكم فيقولون هذا مكاننا حتى ياتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله فيقول انا ربكم فيقولون انت ربنا ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم فاكون اول من يجوز من الرسل بامته ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رايتم شوك السعدان قالوا نعم قال فانها مثل شوك السعدان غير انه لا يعلم قدر عظمها إلا الله تخطف الناس باعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو حتى إذا فرغ الله من القضاء بين عباده واراد ان يخرج من النار من اراد ان يخرجه ممن كان يشهد ان لا اله إلا الله امر الملائكة ان يخرجوا من كان يعبد

(كان على ربك حتما مقضيا) يعني كان ورود جهنم قضاء لازما قضاه الله تعالى عليكم واوجبه (ثم ننجي الذين اتقوا) يعني الشرك (ونذر الظالمين فيها جثيا) يعني جميعا وقيل جاثين على الركب قالت المعتزلة في الاية دليل على صحة مذهبهم في ان صاحب الكبيرة والفاسق يخلد في النار بدليل ان الله بين ان الكل يردونها ثم بين صفة من ينجو منها وهم المتقون والفاسق لا يكون متقيا فبقي في النار ابدا واجيب عنه بأن المتقي هو الذي يتقي الشرك بقوله لا إله إلا الله ويشهد لصحة ذلك أن من آمن بالله ورسوله صح ان يقول أنه متق من الشرك ومن صدق عليه أنه متق من الشرك صح انه متق لأن المتقي جزء من المتقي من الشرك ومن صدق عليه المركب صدق عليه المفرد فثبت ان صاحب الكبيرة متق وإذا ثبت ذلك وجب أن يخرج من النار بعموم قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا فصارت الاية التي توهموها دليلا لهم من اقوى الدلائل على فساد قولهم وهذا من حيث البحث واما من حيث النص فقد وردت احاديث تدل على إخراج المؤمن الموحد من النار

(خ) عن انس بن مالك عن النبي ﷺ قال يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير وفي رواية من ايمان (ق) عن ابي هريرة رضي الله عنه ان الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا يا رسول الله قال هل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فانكم ترونه كذلك يحشر الناس يوم القيامة فيقول الله من كان يعبد شيئا فليتبعه فمنهم من يتبع الشمس ومنهم من يتبع القمر ومنهم من يتبع الطواغيت وتبقى هذه الامة فيها منافقوها فيأتيهم الله فيقول انا ربكم فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله فيقول انا ربكم فيقولون أنت ربنا فيدعوهم فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم فاكون أول من يجوز من الرسل بأمته ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رايتم شوك السعدان قالوا نعم قال فانها مثل شوك السعدان غير انه لا يعلم قدر عظمها إلا الله تعالى تخطف الناس باعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو حتى إذا أراد الله رحمة من اراد من اهل النار امر الملائكة ان يخرجوا من كان يعبد الله فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود وحرم الله على النار ان تاكل اعضاء السجود فيخرجون من النار وقد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ثم يفرغ من القضاء بين العباد ويبقى رجل بين الجنة والنار وهو اخر اهل النار دخولا الجنة مقبل بوجهه قبل النار فيقول يارب اصرف وجهي عن النار قد قشبني ريحها واحرقني ذكاؤها فيقول هل عسيت ان افعل ذلك بك ان تسال غير ذلك فيقول لا وعزتك فيعطي الله ما شاء الله من عهد وميثاق فيصرف الله وجهه عن النار فاذا اقبل به على الجنة رأى بهجتها سكت ما شاء الله تعالى ان يسكت ثم يقول يارب قدمني عند باب الجنة فيقول الله أليس قد اعطيت

الله فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود وحرم الله على النار ان تاكل اثر السجود فكل ابن آدم تاكله النار إلا اثر السجود المواثيق فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ويبقى رجل بين الجنة والنار وهو آخر اهل النار دخولا إلى الجنة مقبل بوجهه قبل النار فيقول يارب اصرف وجهي عن النار قد قشبني ريحها واحرقني ذكاؤها فيقول هل عسيت ان افعل ذلك بك ان تسال غير ذلك فيقول لا وعزتك افيعطي الله ما شاء الله من عهد وميثاق فيصرف الله وجهه عن النار فاذا اقبل به على الجنة ورأى بهجتها سكت ما شاء الله ان يسكت ثم قال يارب قدمني عند باب الجنة فيقول الله تبارك وتعالى اليس قد اعطيت العهود والميثاق ان لا تسال غير الذي كنت سالت فيقول يارب لا اكون اشقى خلقك فيقول فما عسيت ان اعطيت ذلك ان تسال غيره فيقول لا وعزتك لا

أسألك غير ذلك فيعطى ربه ما شاء من عهد وميثاق فيقدمه إلى باب الجنة فاذا بلغ بابها فرأى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور فسكت ما شاء الله ان يسكت فيقول يارب ادخلنى الجنة فيقول الله تعالى ويلك يا ابن آدم ما اعذرك أليس قد أعطيت العهود والميثاق ان لا تسأل غير الذى اعطيت فيقول يارب لا تجعلنى اشقى خلقك فلا تزال يدعو حتى يضحك الله منه فاذا ضحك اذن له فى دخول الجنة فيقول تمن فيتمنى حتى إذا انقطع امنيته قال الله تعالى تمن كذا وكذا اقبل يذكره ربه حتى اذا انتهت به الأمانى قال الله تعالى لك ذلك ومثله معه قال ابو سعيد لأبى هريرة ان رسول الله ﷺ قال قال الله تعالى لك ذلك وعشرة امثاله قال ابو هريرة لم أحفظ من رسول الله ﷺ الا قوله لك ذلك ومثله معه قال ابو سعيد انى سمعته يقول ذلك لك وعشرة امثاله ورواه محمد بن اسمعيل عن محمود بن غيلان انا عبد الرزاق انا معمر عن الزهرى عن عطاء ابن يزيد عن ابى هريرة بمعناه فقال فيأتيهم الله عز وجل فى غير الصورة التى يعرفون فيقول انا (٢٠٩) ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا أتانا ربنا عرفناه فيأتيهم الله فى الصورة التى يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون انت ربنا فيتبعونه اخبرنا احمد بن عبد الله الصالحى انا ابو بكر احمد بن الحسين الحيرى انا حاجب بن احمد الطوسى انا محمد بن حماد انا ابو معاوية عن الأعمش عن ابى سفيان عن جابر قال قال رسول الله ﷺ يعذب اناس من أهل التوحيد فى النار حتى يكونوا حمما ثم تدركهم الرحمة قال فيخرجون فيطرحون على ابواب الجنة قال فيرش عليهم اهل الجنة الماء فينبتون كما تنبت القثاء فى حميل السيل ثم يدخلون الجنة اخبرنا ابو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجورجانى انا ابو القاسم على بن احمد الخزاعى أنا ابو سعيد الهيثم بن كليب انا ابو عيسى الترمذى انا هناد بن السرى انا ابو معاوية عن الأعمش عن ابراهيم عن عبيدة السلمانى عن عبد الله بن

المواثيق والعهود ان لا تسأل غير الذى كنت سألت فيقول يارب لا اكون اشقى خلقك فيقول فما عسيت أن اعطيت ذلك ان لا تسأل غيره فيقول وعزتك لا اسأل غير ذلك فيعطى ربه ما شاء من عهد وميثاق فيقدمه الى باب الجنة فاذا بلغ بابها رأى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور فيسكت ما شاء الله ان يسكت فيقول يارب ادخلنى الجنة فيقول الله تعالى ويحك يا ابن آدم ما أغدرك أليس قد أعطيت العهد والميثاق ان لا تسأل غير الذى أعطيت فيقول يارب لا تجعلنى اشقى خلقك فيضحك الله عز وجل منه ثم يؤذن له فى دخول الجنة فيقول له تمن فيتمنى فاذا انقطعت امنيته قال الله تمن كذا وكذا أقبل يذكره ربه حتى إذا انتهت به الأمانى قال الله لك ذلك ومثله معه قال ابو سعيد الخدرى لأبى هريرة وعشرة أمثاله قال أبو هريرة لم أحفظ من رسول الله ﷺ إلا قوله لك ذلك ومثله معه قال ابو سعيد رضى الله عنه سمعته يقول لك ذلك وعشرة أمثاله وفى رواية للبخارى قال فيأتيهم الله فى غير الصورة التى يعرفونها فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا أتانا عرفناه فيأتيهم الله فى الصورة التى يعرفونها فيقول انا ربكم فيقولون انت ربنا فيتبعونه * قلت اما ما يتعلق بمعانى الحديث والكلام على الرؤية فسيأتى فى تفسير سورة ق والقيامة ونتكلم ههنا على شرح غريب الفاظه قوله مثل شوك السعدان هو بنت ذو شوك معقف وهو من أجود مراعى الإبل وقوله فمنهم من يوبق بعمله يقال اوبقته الذنوب اى اهلكته والمنجدل المرمى المصروع وقيل هو المقطع والمعنى انه تقطعه كلاليب الصراط حتى يقع فى النار قوله وقد امتشحوا اى احترقوا وقيل هو أن تذهب النار الجلد وتبدى العظم قوله كما تنبت الحبة فى حميل السيل الحبة بكسر الحاء وهى البزورات جميعا وحميل السيل هو الزبد وما يلقيه الماء على شاطئه قوله فتبنى ريحها أى اذانى والقشب السم فكأنه قد قال سمى ريحها قوله واحرقنى ذكاؤها اى اشتعالها ولهبها قوله رأى زهرتها الزهرة الحسن والنظارة والبهجة (ق) عن ابن مسعود قال قال النبى ﷺ انى لاعلم آخر اهل النار خروجا وآخر اهل الجنة دخولا الجنة رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله له اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل اليه انها ملاى فيرجع فيقول يارب وجدتها ملاى فيقول الله تعالى له اذهب فادخل الجنة فان لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها وان لك مثل عشرة أمثال الدنيا فيقول اتسخر بى وانت الملك فلقد رايت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه فكان يقال ذلك ادنى اهل الجنة منزلة قوله حتى بدت نواجذه اى اضراسه وانيابه وقيل هى آخر الاسنان عن جابر قال قال رسول الله ﷺ يعذب ناس من اهل التوحيد فى النار حتى يكونوا حمما ثم تدركهم الرحمة قال فيخرجون فيطرحون على أبواب الجنة قال يرش عليهم أهل الجنة من الماء فينبتون كما تنبت الحبة فى حمالة السيل اخرجه الترمذى الحمم الفحم والحمالة كل ما جاء به السيل فدلت الآية الأولى على أن الكل دخلوا النار ودلت الاية الثانية والأحاديث ان الله تعالى اخرج منها المتقين وجمع الموحدين وترك فيها الظالمين وهم المشركون * قوله تعالى (وإذا تتلى عليهم آياتنا

(٢٧ - خازن - بع) مسعود قال قال رسول الله ﷺ انى لأعرف آخر اهل النار رجل يخرج منها زحفا فيقال له انطلق فادخل الجنة قال فيذهب ليدخل الجنة فيجد الناس قد اخذوا المنازل فيرجع فيقول يارب قد أخذ الناس المنازل فيقال له اتذكر الزمان الذى كنت فيه فيقول نعم فيقال له تمن فيتمنى فيقال له ان لك الذى تمنيته وعشرة أضعاف الدنيا قال فيقول أتسخر بى وأنت الملك الجبار قال فلقد رايت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه اخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو بكر احمد بن حسين الحيرى أنا حاجب ابن أحمد الطوسى أنا محمد بن حماد انا ابو معاوية عن الأعمش عن ابى سفيان عن جابر عن ام مبشر عن حفصة انها قالت قال رسول الله ﷺ انى لأرجو ان يدخل النار إن شاء الله احد شهد بدرا والحديبية قالت قلت يا رسول الله اليس قد قال الله تعالى وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا قال فلم تسمعيه يقول ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (وإذا تتلى عليهم آياتنا

بينات) واضحات (قال الذين كفروا) يعنى النضر بن الحرث وذويه من قريش (للذين آمنوا) يعنى فقراء أصحاب النبى ﷺ وكانت فيهم قشافة وفى عيشهم خشونة وفى ثيابهم رثاثة وكان المشركون يرجلون شعارهم ويدهنون رؤوسهم ويلبسون ثيابهم فقالوا للمؤمنين (أى الفريقين خير مقاما) منزلا ومسكنا وهو موضع الاقامة وقرا ابن كثير مقاما بضم الميم اى اقامة (واحسن نديا) اى مجلسا ومثله النادى فأجابهم الله تعالى فقال (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا) اى متاعا واموالا وقال مقاتل لباسا وثيابا (ورئيا) قرا اكثر القراء بالهمز اى منظرا من الرؤية وقرا ابن عامر وابو جعفر ونافع غير ورش ريا مشددا بغير همز وله تفسيران احدهما هو الاول بطرح الهمز والثانى من الرى الذى هو ضد العطش ومعناه الارتواء من النعمة فان المتنعم يظهر فيه ارتواء النعمة والفقير يظهر عليه ذبول الفقر (قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا) هذا أمر بمعنى الخبر معناه يدعه فى طغيانه ويمهله فى كفره (حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب) وهو الاسر والقتل فى الدنيا (وإما الساعة) يعنى القيامة (فسيعلمون) عند ذلك (من هو شر مكانا) منزلا (واضعف جندا) اقل ناصرا اهم ام المؤمنون لانهم فى النار والمؤمنون فى الجنة وهذا رد عليهم فى قوله اى الفريقين خير مقاما واحسن نديا (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) اى ايمانا وايقانا على يقينهم (والباقيات الصالحات) الاذكار والأعمال الصالحة التى تبقى لصاحبها (خير عند ربك ثوابا وخير مردا) عاقبة ومرجعا قوله (افرايت الذى كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولدا) اخبرنا عبد الواحد المليحى انا احمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا عمر بن حفص انا ابى انا الاعمش بن مسلم عن مسروق حدثنا خباب قال كنت قينا فعملت للعاص بن وائل فاجتمع مالى عنده فاتيته اتقاضاه فقال لا والله لا اقضيك حتى تكفر بمحمد فقلت اما والله حتى تموت ثم تبعث قال وانى لميت ثم مبعوث قلت نعم قال انه سيكون لى ثم مال وولد فاقضيك فانزل الله عز وجل افرايت الذى كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولدا (اطلع الغيب) قال ابن عباس انظر فى اللوح المحفوظ وقال مجاهد علم الغيب حتى يعلم فى الجنة هو أم لا (ام اتخذ عند الرحمن عهدا) يعنى قال لا إله إلا الله وقال قتادة يعنى اعمل عملا صالحا قدمه وقال الكلبى اعهد إليه ان يدخل الجنة (كلا) رد عليه يعنى لم يفعل ذلك (سنكتب) سنحفظ عليه (ما يقول) فنجازيه به الاخرة وقيل نامر الملائكة حتى يكتبوا ما يقول (ونمد له من العذاب مدا) أى نزيده عذابا فوق العذاب وقيل نطيل مدة عذابه (ونرثه ما يقول) أى ما عنده من المال والولد باهلا كنا إياه وابطال ملكه وقوله ما يقول لانه زعم ان له مالا وولدا فى الاخرة اى لا نعطيه ونعطى غيره فيكون الارث راجعا إلى ما تحت القول لا إلى نفس القول وقيل معنى قوله ونرثه ما يقول اى نحفظ ما يقول حتى نجازيه به (ويأتينا فردا) يوم القيامة بلا مال ولا ولد (واتخذوا من دون الله آلهة) يعنى مشركى قريش اتخذوا الاصنام آلهة يعبدونها (ليكونوا لهم عزا) اى منعة يعنى يكونون لهم شفعاء يمنعونهم من العذاب

بينات) اى دلائل واضحات (قال الذين كفروا) يعنى النضر بن الحرث ومن دونه من كفار قريش (للذين آمنوا) يعنى فقراء اصحاب رسول الله ﷺ وكانت فيهم قشافة وفى عيشهم خشونة وفى ثيابهم رثاثة وكان المشركون يرجلون شعورهم ويدهنون رؤوسهم ويلبسون افخر ثيابهم (اى الفريقين خير مقاما) اى منزلا ومسكنا وهو موضع الاقامة (واحسن نديا) أى مجلسا فاجابهم الله تعالى بقوله (وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا) اى متاعا واموالا وقيل احسن ثيابا ولباسا (ورئيا) اى منظرا من الرؤية (قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا) هذا أمر بمعنى الخبر معناه يدعه فى طغيانه ويمهله فى كفره (حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب) أى الاسر والقتل فى الدنيا (وإما الساعة) يعنى القيامة فيدخلون النار (فسيعلمون) أى عند ذلك (من هو شر مكانا) اى منزلا (واضعف جندا) اى اقل ناصرا والمعنى فسيعلمون اهم خير وهم فى النار ام المؤمنون وهم فى الجنة وهذا رد عليهم فى قولهم اى الفريقين خير مقاما واحسن نديا * قوله تعالى (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) اى إيمانا وإيقانا على يقينهم (والباقيات الصالحات) اى الاذكار والأعمال الصالحة التى تبقى لصاحبها (خير عند ربك ثوابا وخير مردا) أى عاقبة ومرجعا * قوله تعالى (افرايت الذى كفر بآياتنا) الاية (ق) عن خباب بن الأرت قال كنت رجلا قينا فى الجاهلية وكان لى على العاص بن وائل السهمى دين فأتيته اتقاضاه وفى رواية فعملت للعاص بن وائل السهمى سيفا فجئته اتقاضاه فقال لا أعطيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا أكفر حتى يميتك الله ثم نبعث قال وإنى لميت ثم مبعوث قلت بلى قال دعنى حتى اموت وابعث فساوتى مالا وولدا فاقضيك فنزلت افرايت الذى كفر بآياتنا (وقال لاوتين مالا وولدا) إلى قوله فردا القين الحداد فرد الله عليه بقوله (اطلع الغيب) قال ابن عباس معناه انظر فى اللوح المحفوظ وقيل اعلم علم الغيب حتى يعلم اهو فى الجنة ام لا (ام اتخذ عند الرحمن عهدا) يعنى قال لا إله إلا الله محمد رسول الله وقيل يعنى عمل عملا صالحا قدمه وقيل عهد اليه انه يدخله الجنة (كلا) رد عليه يعنى لم يفعل ذلك (سنكتب) سنحفظ عليه ما يقول فنجازيه به فى الاخره وقيل يامر الملائكة حتى يكتبوا (ما يقول ونمد له من العذاب مدا) اى نزيده عذابا فوق العذاب وقيل نطيل مدة عذابه (ونرثه ما يقول) معناه اى ما عنده من المال والولد باهلاكنا اياه وابطال ملكه وقيل يزول عنه ما عنده من مال وولد فيعود الارث إلى من خلفه وإذا سلب ذلك بقى فردا فذلك قوله (ويأتينا) يعنى يوم القيامة (فردا) بلا مال ولا ولد فلا يصح ان يبعث فى الاخرة بمال وولد * قوله تعالى (واتخذوا من دون الله آلهة) يعنى مشركى قريش اتخذوا الاصنام آلهة يعبدونها (ليكونوا لهم عزا) أى منعة يعنى يكونوا شفعاء يمنعونهم من

(كلا) أى ليس الأمر كما زعموا (سيكفرون بعبادتهم) أى يجحد الأصنام والآلهة التى كانوا يعبدونها عبادة المشركين ويتبرؤن منهم كما أخبر الله تعالى تبرأنا اليك ما كانوا إيانا يعبدون (ويكونون عليهم ضدا) أى اعداء لهم وكانوا أولياءهم فى الدنيا وقيل أعوانا عليهم يكذبونهم ويلعنونهم (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين) أى سلطناهم عليهم وذلك حين قال لا بليس واستفزز من استطعت منهم بصوتك الآية (تؤزهم ازا) تزعجهم ازعاجا من الطاعة إلى المعصية والازوالهز التحريك أى تحركهم وتحثهم على المعاصى (فلا تعجل عليهم) أى لا تطلب عقوبتهم (إنما نعد لهم عدا) قال الكلبى يعنى الليالى والأيام والشهور والاعوام وقيل الانفاس التى يتنفسون بها فى الدنيا إلى الاجل الذى اجل لعذابهم قوله (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) اذكر لهم يا محمد اليوم الذى يجتمع فيه من اتقى الله فى الدنيا بطاعته إلى الرحمن يعنى إلى جنته وفدا يعنى جماعات جمع وافد مثل راكب وركب وصاحب وصحب وقال ابن عباس ركبانا (٢١١) وقال أبو هريرة على الإبل وقال

العذاب (كلا) يعنى ليس الامر كما زعموا (سيكفرون بعبادتهم) يعنى تجحد الاصنام والالهة التى كانوا يعبدونها عبادة المشركين ويتبرؤن منهم (ويكونون عليهم ضدا) يعنى أعوانا عليهم يكذبونهم ويلعنونهم وقيل أعداء لهم وكانوا أولياءهم فى الدنيا * قوله عز وجل (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين) يعنى سلطانهم عليهم (تؤزهم ازا) يعنى تزعجهم ازعاجا من الطاعة إلى المعصية والمعنى تحثهم وتحرضهم على المعاصى تحريضا شديدا وفى الآية دليل على ان الله تعالى مدبر لجميع الكائنات (فلا تعجل عليهم) يعنى لا تعجل بطلب عقوبتهم (إنما نعد لهم عدا) يعنى الليالى والايام والشهور والاعوام وقيل الانفاس التى يتنفسونها فى الدنيا إلى الاجل الذى أجل لعذابهم * قوله تعالى (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) يعنى اذكر لهم يا محمد اليوم الذى يجتمع فيه من اتقى الله فى الدنيا بطاعته إلى جنته وفدا أى جماعات قال ابن عباس ركبانا قال ابو هريرة على الإبل وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ما يحشرون والله أرجلهم ولكن على نوق رحالها من الذهب ونجائب سروجها ياقيت أن هموا بها سارت وأن هموا بها طارت (ونسوق المجرمين) أى الكافرين (إلى جهنم وردا) أى مشاة عطاشا قد تقطعت أعناقهم من العطش والورد جماعة يردون الماء ولا يرد أحدا إلا بعد العطش وقيل يساقون إلى النار باهانة واستخفاف كأنهم نعم عطاش تساق إلى الماء (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق راغبين وراهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير وتحشر معهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسى معهم حيث أمسوا قوله تقيل معهم حيث قالوا من القتلولة وعنه قال قال رسول الله ﷺ يحشر الناس يوم القيامة ثلاث اصناف صنفا مشاة وصنفا ركبانا وصنفا على وجوههم قيل يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم قال ان الذى أمشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم اما انهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك اخرجه الترمذى * قوله عز وجل (لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا) يعنى لا إله إلا الله وقيل لا يشفع الشافعون إلا للمؤمنين وقيل لا يشفع إلا لمن قال لا إله إلا الله اى لا يشفع إلا للمؤمنين (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) يعنى اليهود والنصارى ومن زعم ان الملائكة بنات الله من العرب (لقد جئتم شيئا إدا) قال ابن عباس منكرا وقيل معناه لقد قلتم قولا عظيما (تكاد السموات يتفطرن منه) من الانفطار وهو الشق (وتنشق الارض) أى تخسف بهم (وتخر الجبال هدا) اى تسقط وتنطبق عليهم (ان دعوا) أى من اجل ان جعلوا (للرحمن ولدا) * فان قلت ما معنى انفطار السموات وانشقاق الارض وخرور الجبال ومن أين تؤثر هذه الكلمة فى هذه الجمادات * قلت فيه وجهان احدهما أن الله تعالى يقول كدت ان افعل هذا بالسموات والارض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا منى على من تفوه بها لولا حلمى وإنى لا اعجل بالعقوبة الثانى أن

على بن أبى طالب ما يحشرون والله على أرجلهم ولكن على نوق رحالها الذهب ونجائب سرجها ياقيت أن هموا بها سارت وأن هموا بها طارت (ونسوق المجرمين) الكافرين الكاذبين (إلى جهنم وردا) يعنى مشاة وقيل عطاشا قد تقطعت أعناقهم من العطش والورد جماعة يردون الماء ولا يرد احد الماء إلا بعد عطش (لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا) يعنى لا إله إلا الله وقيل معناه لا يشفع الشافعون لمن اتخذ عند الرحمن عهدا يعنى المؤمنين كقوله لا يشفعون إلا لمن ارتضى من رسول وقيل لا يشفع إلا من شهد ان لا إله إلا الله أى لا يشفع إلا المؤمن (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) يعنى اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله وقرأ حمزة والكسائى ولدا بضم الواو وسكون اللام هنا وفى الزخرف وسورة نوح ووافق ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب فى سورة نوح والباقون بفتح الواو هنا وهما لغتان مثل العرب والعرب والعجم والعجم (لقد جئتم شيئا إدا) قال ابن عباس منكرا وقال قتادة ومجاهد عظيما وقال مقاتل لقد قلتم قولا عظيما والإد فى كلام العرب أعظم الدواهى (تكاد السموات) قرأ نافع والكسائى يكاد بالياء هنا وفى حمعسق لتقدم الفعل وقرأ الباقون بالتاء لتأنيث السموات (يتفطرن منه) هاهنا وفى حمعسق بالنون من الانفطار ابو عمرو وابو بكر ويعقوب ووافق ابن عامر وحمزة هنا لقوله تعالى إذا السماء انفطرت والسماء منفطر وقرأ الباقون بالتاء من التفطر ومعناهما واحد يقال انفطر الشىء وتفطر اى تشق (وتنشق الارض وتخر الجبال هدا) اى تنكسر كسرا وقيل تنشق الارض اى تنخسف بهم والانفطار فى السماء ان تسقط عليهم وتخر الجبال هدا اى تنطبق عليهم (ان دعوا) يعنى من اجل ان جعلوا (للرحمن ولدا) قال ابن عباس وكعب فزعت السموات والارض والجبال وجميع الخلائق إلا الثقلين وكادت ان تزول وغضبت الملائكة واستعرت جهنم حين قالوا اتخذ الله ولدا ثم نفى الله عن

نفسه الولد فقال (وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا) أي ما يليق به اتخاذ الولد ولا يوصف به (إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن) يعني إلا اتيه يوم القيامة (عبدا) ذليلا خاضعا يعني الخلق كلهم عبيده (لقد أحصاهم وعدهم عدا) يعني عدا أنفسهم وأيامهم وآثارهم فلا يخفى عليه شيء (وكلهم اتيه يوم القيامة فردا) وحيدا ليس معه من الدنيا شيء (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) أي محبة قال مجاهد يحبهم الله ويحببهم إلى عباده المؤمنين أنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الدوادي أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت أنا أبو اسحق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا أبو مصعب (٢١٢) عن مالك عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال إذا احب الله العبد قال لجبرائيل قد احببت فلانا فاحبه فيحبه جبرائيل ثم ينادي في اهل السماء ان الله عز وجل قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض وإذا ابغض العبد قال مالك لا احسبه إلا قال في البغض مثل ذلك قال هرم بن حيان ما اقبل عبد بقلبه إلى الله عز وجل إلا اقبل الله بقلوب اهل الايمان إليه حتى يرزقه مودتهم (فانما يسرناه بلسانك) اي سهلنا القران بلسانك يا محمد (لتبشر به المتقين) يعني المؤمنين (وتنذر به قوما لدا) شدادا في الخصومة جمع الالد وقال الحسن صما عن الحق قال مجاهد الالد الظالم الذي لا يستقيم قال ابو عبيدة الالد الذي لا يقبل الحق ويدعي الباطل (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس) هل ترى وقيل هل تجد (منهم من احدا وتسمع لهم ركزا) يعني صوتا والركز الصوت الخفي قال الحسن يعني بادوا جميعا فلم يبق منهم عين ولا اثر

﴿ سورة طه ﴾

مكية وهي مائة واربعة وقيل خمس وثلاثون آية ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ اخبرنا عبد الواحد المليحي انا ابو منصور والهاء السمعاني ابو جعفر الريائي انا حميد بن زنجويه انا ابن ابي اويس حدثني ابي عن ابي بكر الهزلي عن عكرمة عن ابن عباس ان رسول الله ﷺ قال اعطيت السورة التي ذكرت فيها والبقرة من الذكر الاول واعطيت طه والطواسين من الواح موسى واعطيت فواتح القران وخواتيم السورة التي ذكرت فيها والبقرة من كنز تحت العرش واعطيت المفصل نافلة (طه) قرا ابو عمرو بفتح الطاء وكسر الهاء وبكسرهما حمزة والكسائي وابو بكر والباقون بفتحهما قيل هو قسم وقيل

ويكون استعظاما للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لأثرها في الدين وهدمها لأركانه وقواعده قال ابن عباس فزعت السموات والأرض والجبال وجميع الخلائق إلا الثقلين وكادت أن تزول وغضبت الملائكة واستعرت جهنم حين قالوا اتخذ الله ولدا ثم نزه الله نفسه عن اتخاذ الولد ونفاه عنه فقال تعالى (وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا) أي ما يليق به اتخاذ الولد ولا يوصف به لأن الولد لا بد أن يكون شبيها بالوالد ولا شبيه لله تعالى ولأن اتخاذ الولد إنما يكون لأغراض لا تصح في الله تعالى من سرور به واستعانة وذكر جميل بعده وكل ذلك لا يليق بالله تعالى (إن كل من في السموات والأرض إلا آت الرحمن عبدا) أي اتيه يوم القيامة عبدا ذليلا خاضعا والمعنى أن الخلائق كلهم عبيده (لقد أحصاهم وعدهم عدا) أي عد أنفاسهم وأيامهم واثارهم فلا يخفى عليه شيء من أمورهم وكلهم تحت تدبيره وقهره وقدرته (وكلهم اتيه يوم القيامة فردا) أي وحيدا أليس معه من احوال الدنيا شيء * قوله عز وجل (إن الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) أي محبة قيل يحبهم الله تعالى ويحببهم إلى عباده المؤمنين (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال إذا أحب الله سبحانه وتعالى عبدا دعا جبريل عليه السلام أن الله تعالى يحب فلانا فاحبه فيحبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء ان الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض وفي رواية لمسلم قال قال رسول الله ﷺ أن الله سبحانه وتعالى إذا احب عبدا دعا جبريل فقال إني أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول أن الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض وإذا ابغض الله عبدا دعا جبريل عليه السلام فيقول إني ابغض فلانا فابغضه فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء ان الله يبغض فلانا فابغضوه ثم يوضع له البغضاء في الارض قال هرم بن حيان ما أقبل عبد بقلبه إلى الله عز وجل الا اقبل الله بقلوب المؤمنين اليه حتى يرزقه مودتهم وقال كعب مكتوب في التوراة لا محبة لاحد في الارض حتى يكون ابتداؤها من الله عز وجل ينزلها على أهل السماء ثم على أهل الارض وتصديق ذلك في القران سيجعل لهم الرحمن ودا * قوله تعالى (فانما يسرناه) اي سهلنا القران (بلسانك) يا محمد (لتبشر به المتقين) يعني المؤمنين (وتنذر به) اي القرآن (قوما لدا) اي شدادا في الخصومة وقيل صما عن الحق وقيل الالد الظالم الذي لا يستقيم ولا يقبل الحق ويدعي الباطل (وكم اهلكنا قبلهم من قرن) ختم الله تعالى هذه السورة بموعظة بليغة لانهم إذا علموا وأيقنوا أنه لا بد من زوال الدنيا بالموت خافوا ذلك وخافوا سوء العاقبة في الاخرة فكانوا إلى الحذر من المعاصي اقرب ثم اكد ذلك فقال تعالى (هل تحس منهم) يعني هل ترى وقيل هل تجد منهم يعني من القرون (من أحد او تسمع لهم ركزا) يعني صوتا خفيا قال الحسن بادوا جميعا لم يبق منهم عين ولا اثر والله اعلم بمراده واسراره كتبه

اسم من أسماء الله تعالى وقال مجاهد والحسن وعطاء والضحاك معناه يا رجل وقال قتادة هو يا رجل بالسريانية وقال الكلبي هو يا انسان بلغة عك وقال مقاتل معناه طأ الأرض بقدميك يريد في التهجد وقال محمد بن كعب القرظي هو قسم اقسم الله عز وجل بطوله وهدايته قال سعيد ابن جبير الطاء افتتاح اسمه طاهر والهاء افتتاح اسمه هاد قال الكلبي لما نزل على رسول الله ﷺ الوحي بمكة اجتهد في العبادة حتى كان يراوح بين قدميه في الصلاة لطول قيامه وكان يصلي الليل كله فانزل الله هذه الآية وامره ان يخفف على نفسه فقال (ما انزلنا عليك القرآن لتشقى) وقيل لما رأى المشركون اجتهاده في العبادة قالوا ما انزل عليك القرآن يا محمد إلا لشقائك فنزلت ما انزلنا عليك القرآن لتشقى اى لتتعنى وتتعب واصل الشقاء في اللغة العناء (إلا تذكرة لمن يخشى) أى لكن انزلناه عظة لمن يخشى وقيل تقديره ما انزلنا عليك القرآن

والهاء افتتاح اسمه هاد وقيل معناه يا رجل والمراد به النبي ﷺ وكذلك يا انسان وقيل هو بالسريانية وقيل بالقبطية فعلى هذا يكون قد وافقت لغة العرب هذه اللغات في هذه الكلمة وقيل هو يا انسان بلغة عك وعك قبيلة من قبائل العرب وقيل معناه طا الارض بقدميك يريد به التهجد وذلك لما نزل الوحي على رسول الله ﷺ بمكة اجتهد في العبادة حتى كان يراوح بين قدميه في الصلاة لطول قدميه وكان يصلي الليل كله فانزل الله تعالى هذه الآية وامره ان يخفف على نفسه فقال تعالى طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى وقيل لما رأى المشركون اجتهاده في العبادة قالوا ما انزل عليك القرآن يا محمد إلا لشقائك فنزلت (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) اى لتتعنى وتتعب (إلا تذكرة لمن يخشى) يعنى لكن أنزلناه عظة لمن يخشى إنما خص من يخشى بالتذكرة لانهم هم المنتفعون بها (تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى) اى من الله الذى خلق الارض والسموات العلية الرفيعة التى لا يقدر على خلقها في عظمها وعلوها إلا الله تعالى (الرحمن على العرش استوى) تقدم الكلام عليه في سورة الاعراف مستوفى (له ما في السموات وما في الارض وما بينهما) يعنى الهواء (وما تحت الثرى) يعنى انه مالك لجميع ما في الاربعة الاقسام والثرى هو التراب الندى وقيل معناه ما وراء الثرى من شيء وقال ابن عباس ان الارضين على ظهور النون والنون على بحر ورأسه وذنبه يلتقيان تحت العرش والبحر على صخرة خضراء حضرة السماء منها وهى الصخرة التى ذكرها الله تعالى في قصة لقمان والصخرة على قرن ثور والثور على الثرى ولا يعلم ما تحت ذلك الثرى إلا الله تعالى وذلك الثور فاتح فاه فاذا جعل الله البحار بحرا واحدا سالت في جوف ذلك الثور فاذا وقعت في جوفه يبست * قوله تعالى (وإن تجهر بالقول) يعنى تعلن به (فانه يعلم السر واخفى) قال ابن عباس السر ما تسر في نفسك واخفى من السر ما يلقيه الله في قلبك من بعد ولا تعلم أنك ستحدث به نفسك لانك لا تعلم ما تسر اليوم ولا تعلم ما تسر غدا والله يعلم ما اسرت به اليوم وما تسر به غدا وعنه أن السر ما اسر به ابن آدم في نفسه واخفى ما هو فاعله قبل ان يعلمه وقيل السر ما اسره الرجل إلى غيره واخفى من ذلك ما اسره في نفسه وقيل السر هو العمل الذى يسر من الناس واخفى هو الوسوسة وقيل السر ان يعلم الله تعالى اسرار العباد واخفى هو سره من عباده فلا يعلم احد سره وقيل مقصود الاية زجر المكلف عن القبائح ظاهرة كانت أو باطنة والترغيب في الطاعات ظاهرة كانت أو باطنة فعلى هذا الوجه ينبغى أن يحمل السر والاخفاء على ما فيه ثواب أو عقاب فالسر هو الذى يسره المرء في نفسه من الامور التى عزم عليها والاخفاء هو الذى لم يبلغ حد العزيمة ثم وحد نفسه فقال تعالى (الله لا إله إلا هو له الاسماء الحسنى) تأنيث الاحسن والذى فضلت به اسماؤه في الحسن دون سائر الاسماء دلالتها على معنى التقديس والتحميد والتعظيم والربوبية والافعال التى هى النهاية في الحسن * قوله عز وجل (وهل اتاك حديث موسى) اى وقد اتاك لما قدم ذكر رسول الله ﷺ قفاه بقصة موسى عليه الصلاة والسلام ليتاسى به في تحمل أعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود (إذ رأى ناراً) وذلك ان موسى استأذن شعيبا في

لتشقى ما أنزلناه إلا تذكرة لمن يخشى (تنزيل) بدل من قوله تذكرة (ممن خلق الارض) اى من الله الذى خلق الارض (والسموات العلى) يعنى العالية الرفيعة وهى جمع العليا كقولهم كبرى وكبر وصغرى وصغر (الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما) يعنى الهواء (وما تحت الثرى) والثرى هو التراب الندى قال الضحاك يعنى ما وارى الثرى من شيء وقال ابن عباس ان الارضين على ظهر النون والنون على بحر ورأسه وذنبه يلتقيان متن تحت العرش والبحر على صخرة خضراء حضرة السماء منها وهى الصخرة التى ذكر الله في قصة لقمان فتكن في صخرة والصخرة على قرن ثور والثور على الثرى وما تحت الثرى لا يعلمه إلا الله وذلك الثور فاتح فاه فاذا جعل الله عز وجل البحار بحرا واحدا سالت في جوف

ذلك الثور فاذا وقعت في جوفه يبست (وإن تجهر بالقول) أى تعلن به (فانه يعلم السر واخفى) قال الحسن السر ما أسر الرجل إلى غيره وأخفى من ذلك ما اسر من نفسه وعن ابن عباس وسعيد بن جبير السر ما تسر في نفسك واخفى من السر ما ينقيه الله عز وجل في قلبك من بعد ولا تعلم انك ستحدث به نفسك لانك تعلم ما تسر به اليوم وما تعلم ما تسر به غدا والله يعلم ما اسررت اليوم وما تسر به غدا قال ابن ابى طلحه عن ابن عباس السر ما اسر ابن آدم في نفسه واخفى ما خفى عليه مما هو فاعله قبل أن يعمله وقال مجاهد السر العمل الذى لا تسره من الناس واخفى الوسوسة وقيل السر هو العزيمة واخفى ما يخطر على القلب ولم يعزم عليه وقال زيد بن اسلم يعلم السر واخفى اى يعلم اسرار العباد واخفى سره من عباده فلا يعلمه أحد ثم وحد نفسه فقال (الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى وهل اتاك حديث موسى) يعنى قد اتاك استفهام بمعنى التقرير (إذ رأى نارا) وذلك ان موسى استأذن شعيبا في الرجوع من مدين إلى مصر لزيارة والدته واخته فاذن له فخرج باهله وماله وكانت ايام الشتاء واخذ على

غير الطريق مخافة من ملوك الشام وامرأته فى سقمها لا تدرى أليلا تضع أم نهارا فسار فى البرية غير عارف بطرقها فألجأه المسير إلى جانب الطور الغربى الأيمن فى ليلة مظلمة مثلجة شديدة البرد وأخذ امرأته الطلق فقدح زنده فلم يورو قيل ان موسى كان رجلا غيورا وكان يصحب الرفقة بالليل ويفارقهم بالنهار لئلا ترى امرأته فاخطأ مرة الطريق فى ليلة مظلمة شاتية لما اراد الله عز وجل من كرامته فجعل يقدح الزبد فلا يورى فابصر نارا من بعيد عن يسار الطريق من جانب الطور (فقال لاهله امكثوا) اقيموا وقرا حمزة بضم الهاء ههنا وفى القصص (إنى آنست) أى أبصرت (نارا لعلى اتيكم منها بقبس) قطعة من نار والقبس قطعة من نار يأخذها فى طرف عمود من معظم النار (او اجد على النار هدى) اى أجد عند النار من يدلنى على الطريق (فلما اتاها) رأى شجرة خضراء من أسفلها إلى اعلاها اطافت بها نار بيضاء تتقد كاضوا ما يكون فلا ضوء النار يغير خضرة الشجرة ولا خضرة الشجرة تغير ضوء النار قال ابن مسعود كانت الشجرة سمرة خضراء وقال قتادة ومقاتل والكلبى كانت من العوسج وقال وهب كانت (٢١٤) من العليق وقيل كانت شجرة العناب وروى ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما وقال اهل التفسير لم يكن الذى رآه موسى نارا بل كان نورا ذكر بلفظ النار لان موسى حسبه نارا وقال اكثر المفسرين انه نور الرب عز وجل وهو قول ابن عباس وعكرمة وغيرهما وقال سعيد بن جبير هى النار بعينها وهى إحدى حجب الله تعالى يدل عليه ما روينا عن ابى موسى الاشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال حجابه النار لو كشفها الله لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه وفى القصة ان موسى أخذ شيأ من الحشيش اليابس وقصد الشجرة فكان كلما دنا نأت عنه وإذا نأى دنت منه فوقف متحيرا وسمع تسبيح الملائكة والقيت عليه السكينة (فنودى ياموسى إنى انا ربك) قرأ أبو جعفر وابن كثير وأبو عمر وإنى بفتح الالف على معنى نودى بأنى وقرأ الآخرون بكسر الالف أى نودى فقيل إنى أنا ربك قال وهب نودى من الشجرة فقيل ياموسى فأجاب وقيل

الرجوع من مدين إلى مصر ليزور والدته وأخاه فأذن له فخرج بأهله وماله وكانت أيام الشتاء فأخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام وامرأته حامل فى شهرها لا يدرى أليلا تضع أم نهارا فسار فى البرية غير عارف بطرقها فالجأه المسير إلى جانب الطور الغربى الايمن وذلك فى ليلة مظلمة مثلجة شاتية شديدة البرد لما أراد الله من كرامته فاخذ امرأته الطلق فاخذ زنده فجعل يقدح فلا يورى فابصر نارا من بعيد عن يسار الطريق من جانب الطور (فقال لاهله امكثوا) اى اقيموا (إنى انست نارا) يعنى ابصرت نارا (لعلى اتيكم منها بقبس) يعنى شعلة من نار فى طرف عود (او اجد على النار هدى) يعنى اجد على النار من يدلنى على الطريق (فلما اتاها) يعنى اتى النار اى شجرة خضراء من أعلاها إلى اسفلها أطاف بها نار ابيضاء تتقد كاضوا ما يكون فلا ضوء النار يغير خضرة الشجرة ولا خضرة الشجرة تغير ضوء النار قيل كانت الشجرة ثمرة خضراء وقيل كانت من العوسج وقيل كانت من العليق وقيل كانت شجرة من العناب روى ذلك عن ابن عباس وقال اهل التفسير لم يكن الذى راه موسى نارا بل كان نورا ذكر بلفظ النار لأن موسى عليه الصلاة والسلام حسبه نارا قال ابن عباس هو من نور الرب سبحانه وتعالى وقيل هى النار بعينها وهى إحدى حجب الرب تبارك وتعالى يدل عليه ما روى عن ابى موسى الأشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال حجابه النار لو كشفها لاهلكت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه اخرجه مسلم قيل أن موسى اخذ شيئا من الحشيش اليابس وقصد الشجرة فكان كلما دنا نات عنه وإذا نأى دنت منه فوقف متحيرا وسمع تسبيح الملائكة وألقيت عليه السكينة فعند ذلك (نودى يا موسى إنى انا ربك) قال وهب نودى من الشجرة فقال ياموسى فاجات سريعا وما يدرى من دعاه فقال إنى اسمع صوتك ولا ارى مكانك فاين انت فقال انا فوقك ومعك وامامك وخلفك وأقرب إليك منك فعلم أن ذلك لا ينبغى إلا الله تعالى فايقن به وقيل ان سمعه بكل أجزائه حتى أن كل جارحة منه كانت اذنا وقوله (فاخلع نعليك) كان السبب فيه ما روى عن ابن مسعود مرفوعا فى قوله فاخلع نعليك قال كانتا من جلد حمار ميت ويروى غير مدبوغ وإنما امر بخلعهما صيانة للوادى المقدس وقيل امر بخلعها ليباشر بقدميه تراب الارض المقدسة لتناله بركتها فانها قدست مرتين فخلعها موسى فالقاهما من وراء الوادى (إنك بالواد المقدس) يعنى المطر (طوى) اسم للوادى الذى حصل فيه وقيل طوى واد مستدير عميق مثل المطوى فى استدارته (وانا اخترتك) اصطفيتك برسالاتى وبكلامى (فاستمع لما يوحى) فيه نهاية الهنة والجلال له فكانه قال له لقد جاءك امر عظيم فتأهب له (إننى انا الله لا إله إلا انا فاعبدنى) ولا تعبد غيرى (واقم الصلاة لذكرى) اى لتذكرنى فيها وقيل لذكرى خاصة لا تشوبه بذكرى غيرى

سريعا لا يدرى من دعاه فقال إنى اسمع صوتك ولا ارى مكانك فاين انت قال انا فوقك ومعك وامامك وخلفك واقرب اليك من نفسك فعلم ان ذلك لا ينبغى إلا الله فايقن به قوله عز وجل (فاخلع نعليك) وكان السبب فيه ما روى عن ابن مسعود مرفوعا فى قوله فاخلع نعليك قال كانتا من جلد حمار ميت ويروى غير مدبوغ وقال عكرمة ومجاهد امر بخلع النعلين ليباشر بقدمه تراب الارض المقدسة فتناله بركتها لانها قدست مرتين فخلعهما موسى والقاهما من وراء الوادى (إنك بالواد المقدس) يعنى المطر (طوى) وطوى اسم الوادى قرا اهل الكوفة والشام طوى بالتنوين ههنا وفى سورة النازعات وقرا الاخرون بلا تنوين لانه معدول به عن طاو فلما كان معدولا عن وجهه كان مصروفا عن إعرابه مثل عمر وزفر وقال الضحاك طوى واد مستدير عميق مثل الطوى فى استدارته (وانا اخترتك) اصطفيتك برسالاتى قرا حمزة وانا مشددة النون اخترناك على التعظيم (فاستمع لما يوحى) إليك (إننى انا الله لا إله إلا انا فاعبدنى) ولا تعبد غيرى (واقم الصلاة لذكرى)

قال مجاهد أقم الصلاة لتذكرني بها وقال مقاتل إذا تركت صلاة ثم ذكرتها فاقمها أخبرنا احمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو عمر بكر بن محمد المزني انا ابو بكر بن محمد بن عبد الله الحفيد انا الحسين بن الفضل البجلي انا عفان انا همام انا قتادة عن أنس قال قال النبي ﷺ من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك ثم قال سمعته يقول بعد ذلك اقم الصلاة لذكري (إن الساعة آتية أكاد أخفيها) قيل معناه ان الساعة آتية أخفيها وأكاد صلة قالوا أكثر المفسرون قالوا معناه أكاد أخفيها من نفسي وكذلك هو في مصحف ابي بن كعب وفي عبد الله بن مسعود أكاد أخفيها من نفسي فكيف يعلمها مخلوق وفي بعض القراء فكيف اظهرها لكم وذكر ذلك على عادة العرب إذا بالغوا في كتمان الشيء يقولون كتمت سرك من نفسي يعني أخفيته غاية الاخفاء والله تعالى لا يخفى عليه شيء وقال أكاد يعني أريد ومعنى الآية ان الساعة آتية اريد أخفيها والمعنى في اخفائها التهويل والتخويف لانهم إذا لم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على حذر منها كل وقت وقرأ الحسن بفتح الالف اي اظهرها يقال خفيت الشيء إذا أظهرته وأخفيته إذا سترته قوله تعالى (لتجزى كل نفس بما تسعى) يعني بما تعمل من خير وشر (فلا يصدنك عنها) فلا يصرفنك عن الايمان بالساعة (من لا يؤمن بها واتبع هواه) مراده مخالف امر الله (فتردى) أي فتهلك قوله عز وجل (وما تلك بيمينك يا موسى) سؤال تقرير والحكمة في هذا السؤال تنبيهه وتوقيفه على انها عصا حتى إذا قلبها حية علم انها معجزة عظيمة (قال هي عصاي) قيل كان لها شعبتان وفي أسفلها سنان ولها محجن واسمها نبعة (أتوكأ عليها) يعني اعتمد عليها إذا مشيت وإذا عييت وعند الوثبة وأهش بها على غنمي) يعني اضرب بها الشجرة ليسقط ورقها فترعاه الغنم (ولي فيها مآرب أخرى) يعني حاجة ومنافع أخرى واراد بالمارب ما كان يستعمل فيه العصا في السفر فكان يحمل بها الزاد ويشد بها الحبل ويستقى بها الماء من البئر ويقتل بها الحيات ويحارب السباع ويستظل بها إذا قعد وروى عن ابن عباس ان موسى كان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه وتحدثه وكان يضرب بها الارض فيخرج له ما يأكل يومه ويركزها فيخرج الماء فاذا رفعها ذهب الماء وكان اذا اشتهى ثمر قركزها فتصير غصن تلك الشجرة وتورق وتثمر وإذا أراد الاستقاء من البئر أدلاها فطالت على طول البئر وصارت شعبتاها كدلو حتى يستقي وكانت تضيء بالليل كالسراج واذا ظهر له عدو كانت تحارب وتناضل عنه (قال) الله تعالى (القها يا موسى) يعني انبذها واطرحها قال وهب ظن موسى انه يقول ارفضها (فألقاها) يعني فطرحها على وجه الرفض ثم حانت منه نظرة (فاذا هي حية) صفراء من أعظم ما يكون من الحيات (تسعى) يعني تمشي بسرعة

وقيل لاخلاص ذكري وطلب وجهي ولا ترائي فيها ولا تقصد بها غرضا آخر وقيل معناه اذا تركت صلاة ثم ذكرتها فاقمها (ق) عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك ولفظ قتادة واقم الصلاة لذكري وفي رواية اذا رقد أحدكم عن الصلاة او غفل عنها فليصلها إذا ذكرها فان الله عز وجل يقول واقم الصلاة لذكري إن الساعة آتية أكاد أخفيها قال أكثر المفسرين معناه اكاد أخفيها من نفسي فكيف يعلمها مخلوق وكيف اظهرها لكم ذلك على عادة العرب إذا بالغوا في الكتمان للشيء يقولون لو كتمت سرك في نفسي يعني اخفيته غاية الاخفاء والله تعالى لا يخفى عليه شيء والمعنى في إخفائها التهويل والتخويف لانهم إذا لم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على حذر منها كل وقت وكذلك المعنى في إخفاء وقت الموت على الانسان لأنه إذا عرف وقت موته وانقضاء أجله اشتغل بالمعاصي الى ان يقرب من ذلك الوقت فيتوب ويصلح العمل فيتخلص من عقاب المعاصي بتعريف وقت الموت وانه اذا لم يعرف وقت موته لا يزال على قدم الخوف والوجل فيترك المعاصي او يتوب منها في كل وقت مخافة معالجة الاجل * قوله تعالى (لتجزى كل نفس بما تسعى) يعني بما تعمل من خير وشر (فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها) يعني فلا يصرفك عن الايمان بالساعة ومجيئها من لا يؤمن بها (واتبع هواه) يعني مراده ومخالف أمر الله (فتردى) يعني فتهلك * قوله عز وجل (وما تلك بيمينك يا موسى) سؤال تقرير والحكمة فيه تنبيهه وتوقيفه على انها عصا حتى إذا قلبها حية علم انها معجزة عظيمة (قال هي عصاي) قيل كان لها شعبتان وفي أسفلها سنان ولها محجن واسمها نبعة (أتوكأ عليها) يعني اعتمد عليها إذا مشيت وإذا عييت وعند الوثبة وأهش بها على غنمي) يعني اضرب بها الشجرة ليسقط ورقها فترعاه الغنم (ولي فيها مآرب أخرى) يعني حاجة ومنافع أخرى واراد بالمارب ما كان يستعمل فيه العصا في السفر فكان يحمل بها الزاد ويشد بها الحبل ويستقى بها الماء من البئر ويقتل بها الحيات ويحارب السباع ويستظل بها إذا قعد وروى عن ابن عباس ان موسى كان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه وتحدثه وكان يضرب بها الارض فيخرج له ما يأكل يومه ويركزها فيخرج الماء فاذا رفعها ذهب الماء وكان اذا اشتهى ثمر قركزها فتصير غصن تلك الشجرة وتورق وتثمر وإذا أراد الاستقاء من البئر أدلاها فطالت على طول البئر وصارت شعبتاها كدلو حتى يستقي وكانت تضيء بالليل كالسراج وإذا ظهر له عدو كانت تحارب وتناضل عنه (قال) الله تعالى (القها يا موسى) يعني انبذها واطرحها قال وهب ظن موسى انه يقول ارفضها (فألقاها) يعني فطرحها على وجه الرفض ثم حانت منه نظرة (فاذا هي حية) صفراء من أعظم ما يكون من الحيات (تسعى) يعني تمشي بسرعة

الوثبة (وأهش بها على غنمي) اضرب بها الشجرة اليابسة فيسقط ورقها فترعاه الغنم وقرا عكرمة وأهش بالسين غير معجمة يعني ازجر بها الغنم والهش زجر الغنم (ولي فيها مآرب أخرى) حاجات ومنافع أخرى جمع مأربة بفتح الراء ولم يقل اخر لرؤس الاي وأراد بالمارب ما يستعمل فيه العصا في السفر فكان يحمل بها الزاد ويشد بها الحبل فيستقي الماء من البئر ويقتل بها الحيات ويحارب بها السباع ويستظل بها اذا قعد وغير ذلك وروى عن ابن عباس ان موسى كان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه وتحادثه وكان يضرب بها الأرض فيخرج ما يأكل يومه ويركزها فيخرج الماء فاذا رفعها ذهب الماء واذا اشتهى ثمرة ركزها فجعلت تماشيه غصنا كالشجرة وأورقت وأثمرت واذا أراد الاستقاء من البئر أدلاها فطالت على طول البئر وصارت شعبتاها كالدلو حتى يستقي وكانت تضيء بالليل بمنزلة السراج وإذا ظهر له عدو كانت تحارب وتناضل عنه (قال) الله تعالى (القها يا موسى) انبذها فال وهب ظن موسى انه يقول ارفضها (فألقاها) على وجه الرفض ثم خانت منه نظرة (فاذا هي حية) صفراء من اعظم ما يكون من الحيات (تسعى) تمشي بسرعة

على بطنها وقال فى موضع آخر كانها جان وهى الحية الصغيرة الخفيفة الجسم وقال فى موضع ثعبان وهو أكبر مايكون من الحيات فأما الحية فانها تجمع الصغير والكبير والذكر والأنثى وقيل الجان عبارة عن ابتداء حالها فانها كانت حية على قدر العصائم كانت تتورم وتنتفخ حتى صارت ثعبانا والثعبان عبارة عن انتهاء حالها وقيل انها كانت فى عظم الثعبان وسرعة الجان قال محمد بن اسحق نظر موسى فاذا العصا حية من أعظم مايكون من الحيات صارت شعبتاها شدقين لها وهو المحجن عنقا لها وعرفا تهتز كالنيازك وعيناها تتقدان كالنار وتمر بالصخرة العظيمة مثل الحلقة من الابل فتلقمها وتقصف الشجرة العظيمة بأنيابها ويسمع لأسنانها صريف عظيم فلما عاين ذلك موسى ولى مدبرا وهرب ثم ذكر به فوقف استحياء منه ثم نودى ان يا موسى (٢١٦) اقبل وارجع حيث كنت فرجع وهو شديد الخوف (قال خذها) بيمينك (ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى) هيئتها الأولى يعنى نردها عصا كما كانت وكان على موسى مدرعة من صوف قد خللها بعيدان من الخلال فلما قال الله تعالى خذها لف طرف المدرعة على يده قال فأمر الله تعالى ان يكشف يده فكشفها وذكر بعضهم انه لما لف كم المدرعة على يده قال له ملك أرأيت لو اذن الله بما تحاذره اكانت المدرعة تغنى عنك شيئا قال لا ولكنى ضعيف ومن ضعف خلقت فكشف عن يده ثم وضعها فاذا هى عصا كما كانت ويده فى شعبتها فى الموضع الذى كان يضعها إذا توكأ قال المفسرون اراد الله تعالى ان يرى موسى ما أعطاه من الاية التى لا يقدر عليها مخلوق ولئلا يفزع منها إذا ألقاها عند فرعون قوله تعالى (واضمم يدك إلى جناحك) يعنى إلى ابطك وقيل تحت عضدك (تخرج بيضاء) يعنى نيرة مشرقة (من غير سوء) يعنى من غير عيب والسوء ههنا بمعنى البرص قال ابن عباس كان ليده نور ساطع يضىء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر (اية أخرى) اى دلالة اخرى على صدقك سوء العصا (لنريك من آياتنا الكبرى) قال ابن عباس كانت يد موسى أكبر آياته * قوله عز وجل (اذهب إلى فرعون انه طغى) يعنى جاوز الحد فى العصيان والتمرد وإنما خص فرعون بالذكر مع ان موسى كان مبعوثا إلى الكل لأنه ادعى الالهية وتكبر وكان متبوعا فكان ذكره الأولى قال وهب قال الله تعالى لموسى اسمع كلامى واحفظ وصيتى وانطلق برسالتى وانك بعينى وسمعى وان معك يدى وبصرى وانى البست حلة من سلطانى تستكمل بها القوة فى امرى بعثتك الى خلق ضعيف من خلقى بطر نعمتى وامن مكرى حتى جحد حقى وانكر ربوبيتى وانى أقسم بعزتى لولا الحجة التى وضعت بينى وبين خلقى لبطشت به بطشة جبار ولكن هان على وسقط من عينى فبلغه رسالتى وادعه إلى عبادتى وحذره نقمتى وقولا له قولا لينا لا يغتر بلباس الدنيا فان ناصيته بيدى ولا يتنفس إلا بعلمى قال فسكت موسى فجاءه ملك وقال له اجب ربك (قال) يعنى موسى (رب اشرح لى صدرى) يعنى وسعه للحق قال ابن عباس يريد حتى لا أخاف غيرك وذلك ان موسى كان يخاف فرعون خوفا شديدا لشدة شوكته وكثرة جنوده فكان يضيق بما كلف من مقاومة فرعون وحده فسأل الله تعالى ان يوسع قلبه للحق حتى يعلم ان أحدا لا يقدر على مضرته إلا باذن الله

على بطنها وقال فى موضع آخر كانها جان وهى الحية الصغيرة الجسم الخفيفة وقال فى موضع آخر ثعبان وهو اكبر مايكون من الحيان ووجه الجمع ان الحية اسم جامع للكبير والصغير والذكر والأنثى فالجان عبارة عن ابتداء حالها فانها كانت حية على قدر العصائم كانت تتورم وتنتفخ حتى صارت ثعبانا وهو انتهاء حالها وقيل انها كانت فى عظم الثعبان وسرعة الجان قال محمد بن اسحق نظر موسى فاذا العصا حية من اعظم مايكون من الحيات وصارت شعبتاها شدقين لها وهو المحجن عنقا وعرفا يهتز كالنيازك وعيناها تتقدان كالنار تمر بالصخرة العظيمة مثل الحلقة من الابل فتلقمها وتقصف الشجرة العظيمة بأنيابها ويسمع لأنيابها صريفا عظيما فلما عاين ذلك موسى ولى مدبرا وهرب ثم ذكر به فوقف استحياء منه ثم نودى يا موسى اقبل وارجع حيث كنت فرجع وهو شديد الخوف (قال خذها) يعنى بيمينك (ولا تخف) قيل كان خوفه لما عرف ما لقى ادم من الحية وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ من طمأنينة نفسه وذهاب الخوف عنه ان ادخل يده فى فمها وأخذ بلحييها (سنعيدها سيرتها الأولى) اى إلى هيئتها فتردها عصا كما كانت وقيل كان على موسى مدرعة صوف قد خللها بعود فلما قال الله تعالى خذها لف طرف المدرعة على يده فأمره الله تعالى ان يكشف يده فكشفها وذكر بعضهم انه لما لف كم المدرعة على يده قال له ملك أرأيت لو أمرك الله بها تحاذره أكانت المدرعة تغنى عنك شيئا قال لا ولكنى ضعيف من ضعف خلقت قال فكشف عن يده ثم وضعها فى فم الحية فاذا هى عصا كما كانت ويده فى شعبتها فى الموضع الذى كان يضعها إذا توكأ قال المفسرون اراد الله تعالى ان يرى موسى ما أعطاه من الاية التى لا يقدر عليها مخلوق ولئلا يفزع منها إذا ألقاها عند فرعون قوله تعالى (واضمم يدك إلى جناحك) يعنى إلى ابطك وقيل تحت عضدك (تخرج بيضاء) يعنى نيرة مشرقة (من غير سوء) يعنى من غير عيب والسوء ههنا بمعنى البرص قال ابن عباس كان ليده نور ساطع يضىء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر (اية أخرى) اى دلالة اخرى على صدقك سوء العصا (لنريك من آياتنا الكبرى) قال ابن عباس كانت يد موسى أكبر آياته * قوله عز وجل (اذهب إلى فرعون انه طغى) يعنى جاوز الحد فى العصيان والتمرد وإنما خص فرعون بالذكر مع ان موسى كان مبعوثا إلى الكل لأنه ادعى الالهية وتكبر وكان متبوعا فكان ذكره الأولى قال وهب قال الله تعالى لموسى اسمع كلامى واحفظ وصيتى وانطلق برسالتى وانك بعينى وسمعى وان معك يدى وبصرى وانى البست حلة من سلطانى تستكمل بها القوة فى امرى بعثتك الى خلق ضعيف من خلقى بطر نعمتى وامن مكرى حتى جحد حقى وانكر ربوبيتى وانى أقسم بعزتى لولا الحجة التى وضعت بينى وبين خلقى لبطشت به بطشة جبار ولكن هان على وسقط من عينى فبلغه رسالتى وادعه إلى عبادتى وحذره نقمتى وقولا له قولا لينا لا يغتر بلباس الدنيا فان ناصيته بيدى ولا يتنفس إلا بعلمى قال فسكت موسى فجاءه ملك وقال له اجب ربك (قال) يعنى موسى (رب اشرح لى صدرى) يعنى وسعه للحق قال ابن عباس يريد حتى لا أخاف غيرك وذلك ان موسى كان يخاف فرعون خوفا شديدا لشدة شوكته وكثرة جنوده فكان يضيق صدرا بما كلف من مقاومة فرعون وجنده فسأل الله ان يوسع قلبه للحق حتى يعلم ان أحدا لا يقدر على مضرته إلا باذن الله وإذا علم ذلك لم يخف من فرعون وشدة شوكته وكثرة جنوده

(ويسر لى أمرى) يعنى سهل على ما أمرتنى به من تبليغ الرسالة إلى فرعون (واحلل عقدة من لسانى) وذلك ان موسى كان فى حجر فرعون ذات يوم فى صغره فلطم فرعون لطمة وأخذ بلحيته فقال فرعون لآسيه امرأته ان هذا عدوى وأراد أن يقتله فقالت آسية انه صبى لا يعقل ولا يميز وفى رواية ان ام موسى لما فطمته ردته فنشأ موسى فى حجر فرعون وامرأته اسية يربيانه واتخذاه ولدا فبينما هو يلعب يوما بين يدى فرعون وبيده قضيب يلعب به إذ رفع القضيب فضرب به رأس فرعون فغضب فرعون وتطير بضربه حتى هم بقتله فقالت اسية ايها الملك انه صغير لا يعقل فجربه إن شئت فجاءت بطشتين فى احدهما الجمر وفى الآخر الجواهر فوضعتهما بين يدى موسى فأراد أن يأخذ الجواهر فأخذ جبريل بيد موسى فوضعها على النار فأخذ جمرة فوضعها فى فيه فأحرقت لسانه وصارت عليه عقدة (يفقهوا قولى) يقول احلل العقدة كى يفقهوا كلامى (واجعل لى وزيرا) معينا وظهيرا (من أهلى) والوزير من يوازرك ويعينك ويتحمل عنك بعض ثقل عملك ثم بين من هو فقال (هرون أخى) وكان هرون أكبر من موسى بأربع سنين وكان أفصح منه لسانا وأجمل وأوسم أبيض اللون وكيان موسى ادم اقنى اجعد

تعالى وإذا علم ذلك لم يخف من فرعون وشدة شوكته وكثرة جنوده (ويسر لى امرى) اى سهل على ما أمرتنى به من تبليغ الرسالة إلى فرعون (واحلل عقدة من لسانى) وذلك ان موسى كان فى حجر فرعون ذات يوم فى صغره فلطم فرعون لطمة وأخذ بلحيته فقال فرعون لامرأته اسية إن هذا عدوى وأراد أن يقتله فقالت له اسية انه صبى لا يعقل وقيل ان ام موسى لما فطمته ردته إلى فرعون فنشا فى حجره وحجر امرأته يربيانه واتخذاه ولدا فبينما هو يلعب بين يدى فرعون وبيده قضيب إذ رفعه فضرب به رأس فرعون فغضب فرعون وتطير منه حتى هم بقتله فقالت اسية ايها الملك انه صبى لا يعقل جربه إن شئت فجاءت بطشتين فى احدهما جمر وفى الآخر جوهر فوضعهما بين يدى موسى فاراد ان يأخذ الجوهر فاخذ جبريل يد موسى فوضعها على الجمر فاخذ جمرة فوضعها فى فيه فاحترق لسانه وصارت فيه عقدة (يفقهوا قولى) يعنى احلل العقدة كى يفهموا قولى (واجعل لى وزيرا من أهلى) يعنى معينا وظهيرا والوزير من يوازرك ويحتمل عنك بعض ثقل عملك ثم بين من هو فقال (هرون اخى) وكان هرون أكبر من موسى وأفصح لسانا واجمل وأوسم وكان أبيض اللون وكان موسى ادم اقنى جعدا (اشدد به أزرى) يعنى قو به ظهرى (واشركه فى امرى) يعنى فى أمر النبوة وتبليغ الرسالة (كى نسبحك كثيرا) يعنى نصلى كثيرا (ونذكرك كثيرا) يعنى نحمدك ونثنى عليك بما وليتنا من جميل نعمك (انك بنا بصيرا) يعنى خبيرا عليما (قال) الله تعالى (قد أوتيت سؤلك يا موسى) يعنى اعطيت جميع ما سألته (ولقد منا عليك مرة اخرى) يعنى قبل هذه المرة ثم بين تلك المنة بقوله تعالى (إذ اوحينا إلى امك ما يوحى) يعنى ما يلهم ثم فسر ذلك الالهام وعدد نعمه عليه فقال (ان اقذفيه فى التابوت) يعنى الهمناها ان اجعليه فى التابوت (فاقذفيه فى اليم) يعنى نهر النيل (فليلقه اليم بالساحل) يعنى شاطىء البحر (يأخذه عدو لى وعدو له) يعنى فرعون فأخذت تابوتا وجعلت فيه قطنا ووضعت فيه موسى وقيرت راسه وشققه ثم القته فى النيل وكان يشرع منه نهر كبير فى دار فرعون فبينما فرعون جالس على البركة مع امرأته اسية اذا هو بتابوت يجىء به الماء فأمر الغلمان والجوارى باخراجه فأخرجوه وفتحوا راسه فاذا بصبى من اصبح الناس وجها فلما رآه فرعون احبه بحيث لم يتمالك نفسه وعقله فذلك قوله تعالى (والقيت عليك محبة منى) قال ابن عباس احبه وحببه إلى خلقه فيل ما رآه احد إلا أحبه لملاحة كانت فى عينى موسى (ولتصنع على عينى) لترنى ويحسن اليك وانا مراعيك ومراقبك كما يرعى الرجل الشىء بعينه إذا اعتنى به ونظر اليه (إذ تمشى اختك) واسمها مريم متعرفة خبره (فتقول هل ادلكم على من يكفله) اى على امراة ترضعه وتضمه اليها وذلك انه كان لا يقبل ثدى امراة فلما قالت لهم اخته ذلك قالوا نعم فجاءت بالأم فقبل ثديها فذلك قوله

(اشدد به أزرى) قو به ظهرى (وأشركه فى أمرى) يعنى فى النبوة وتبليغ الرسالة وقرأ ابن عامر اشدد بفتح الالف واشركه بضمها على الجواب حكاية عن موسى يعنى افعل ذلك وقرا الآخرون على الدعاء والمسئلة عطفا على ما تقدم من قوله رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى (كى نسبحك كثيرا) قال الكلبى نصلى لك كثيرا (ونذكرك كثيرا) نحمدك ونثنى عليك بما اوليتنا من نعمك (إنك كنت بنا بصيرا) خبيرا عليما (قال) الله تعالى (قد اوتيت) أعطيت (سؤلك) جميع ما سألته (يا موسى ولقد منا عليك) انعمنا عليك (مرة اخرى) يعنى قبل هذه المرة وهى (إذ اوحينا إلى امك) وحى إلهام (ما يوحى) ما يلهم ثم فسر ذلك الالهام وعدد نعمه عليك فقال (ان اقذفيه فى

التابوت) يعنى الهمناه ان اجعليه فى التابوت (فاقذفيه فى اليم) يعنى نهر النيل (فليقه اليم بالساحل) يعنى شاطىء النهر لفظه امر ومعناه خبر ومجازه حتى يلقيه اليم بالساحل (يأخذه عدو لى وعدو له) يعنى فرعون فتخذت تابوتا وجعلت فيه قطنا محلوجا ووضعت فيه موسى وقيرت راسه وخصاصه يعنى شقوقه ثم القته فى النيل وكان يشرع منه نهر كبير فى دار فرعون فبينما فرعون جالس على رأس البركة مع امرأته اسية إذ تابوت يجىء به الماء فأمر الغلمان والجوارى باخراجه فأخرجوه وفتحوا راسه فاذا صبى من أصبح الناس وجها فلما رآه فرعون احبه بحيث لم يتمالك فذلك قوله تعالى (والقيت عليك محبة منى) قال ابن عباس أحبه وحببه إلى خلقه قال عكرمة ما رآه احدا إلا أحبه قال قتادة ملاحة كانت فى عينى موسى ما رآه احدا إلا عشقه (ولتصنع على عينى) يعنى على بمرأى ومنظر منى قرأ أبو جعفر ولتصنع بالجزم (إذ تمشى اختك) واسمها مريم متعرفة خبره (فتقول هل أدلكم على من يكفله) يعنى على امرأة ترضعه وتضمه اليها وذلك انه كان لا يقبل ثدى امرأة فلما قالت ذلك لهم اخته قالوا نعم فجاءت بالأم فقبل ثديها فذلك قوله تعالى

(فرجعناك إلى أمك كى تقر عينها) بلقائك (ولا تحزن) اى ليذهب عنها الحزن (وقتلت نفسا) قال ابن عباس رضى الله عنهما كان قتل قبطيا كافرا قال كعب الأحبار كان إذذاك ابن اثنتى عشرة سنة (فنجيناك من الغم) اى من غم القتل وكربه (وفتناك فتونا) قال ابن عباس رضى الله عنه اختبرناك اختبارا وقال الضحاك ومقاتل ابتليناك ابتلاء وقال مجاهد اخلصناك اخلاصا وعن ابن عباس فى رواية سعيد بن جبير ان الفتون وقوعه فى محنة بعد محنة خلصه الله منها اولها ان امه حملته فى السنة التى كان فرعون يذبح فيها الاطفال ثم القاؤه فى البحر فى التابوت ثم منعه الرضاع إلا من ثدى امه ثم اخذ بلحية فرعون حتى هم بقتله ثم تناوله الجمرة بدل الدرة ثم قتله القبطى وخروجه إلى مدين خائفا فكان ابن عباس يقص القصة على سعيد بن جبير فعلى هذا معنى فتناك خلصناك من تلك المحن كما يفتن الذهب من النار فيخلص من كل خبث فيه والفتون مصدر (فلبثت) فمكثت اى فخرجت (٢١٨) من ارض مصر إلى مدين فلبثت (سنين فى اهل مدين) يعنى ترعى الاغنام عشر سنين ومدين بلدة شعيب عليه السلام على ثمان مراحل من مصر هرب اليها موسى وقال وهب لبث عند شعيب عليه السلام ثمانيا وعشرين سنة عشر سنين منها مهر زوجته صفوراء بنت شعيب وثمان عشرة سنة اقام عنده حتى ولد له (ثم جئت على قدر يا موسى) قال مقاتل على موعد ولم يكن هذا الموعد مع موسى وإنما كان موعدا فى تقدير الله قال محمد بن كعب جئت على القدر الذى قدرت لك انك تجىء إلى فيه وقال عبد الرحمن بن كيسان على راس اربعين سنة وهو القدر الذى يوحى فيه إلى الأنبياء وهذا معنى قول اكثر المفسرين أى على الموعد الذى وعده الله وقدره أنه يوحى اليه بالرسالة وهو اربعون سنة قوله عز وجل (واصطنعتك لنفسى) يعنى اخترتك واصطفيتك لوحيى ورسالتى يعنى لتتصرف على إرادتى أوحى ومحبتى وذلك أن قيامه بأداء الرسالة تصرف على إرادة الله ومحبته قال الزجاج اخترتك لأمرى وجعلتك القائم بحجتى والمخاطب بينى وبين خلقى كأنى الذى اقمت بك عليهم الحجة وخاطبتهم (إذهب أنت واخوك بآياتى) بدلالاتى وقال ابن عباس يعنى الايات التسع التى بعث بها موسى (ولا تنيا) ولا تضعفا وقال السدى لا تفترا وقال محمد بن كعب لا تقصرا (فى ذكرى اذهبا إلى فرعون انه طغى) قرا ابو عمرو واهل الحجاز لنفسى اذهب وذكرى اذهبا وان قومى اتخذوا من بعدى اسمه بفتح الباء فيهن ووافقهم ابو بكر من بعدى اسمه وقرأ الباقون باسكانها (فقولا له قولا لينا) يقول داريا وارفقا به قال ابن عباس رضى الله عنه لا تعنفا فى قولكما وقال السدى وعكرمة كنياه فقولا يا ابا العباس وقيل يا ابا الوليد وقال مقاتل يعنى بالقول اللين هل لك إلى أن تزكى واهديك إلى ربك فتخشى وقيل امرهما باللطافة فى القول لما له من حق التربية وقال السدى القول اللين ان موسى اتاه ووعده على قبول الايمان شبابا لا يهرم معه ومكا لا ينزع منه إلا بالموت ويبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح إلى حين موته وإذا مات دخل الجنة فأعجبه ذلك وكان لا يقطع أمرا دونه اماما وكان غائبا فلما

تعالى (فرجعناك إلى امك كى تقر عينها) يعنى بلقائك ورؤيتك (ولا تحزن) يعنى وليذهب عنها الحزن (وقتلت نفسا) قال ابن عباس كان قتل قبطيا كافرا قيل كان عمره إذذاك اثنتى عشرة سنة (فنجيناك من الغم) يعنى من غم القتل وكربه (وفتناك فتونا) قال ابن عباس اختبرناك اختبارا وقيل ابتليناك ابتلاء قال ابن عباس والفتون وقوعه فى محنة بعد محنة وخلصه الله تعالى منها اولها ان امه حملته فى السنة التى كان فرعون يذبح فيها الاطفال ثم القاؤه فى البحر فى التابوت ثم منعه من الرضاع إلا من ثدى امه ثم اخذه بلحية فرعون حتى هم بقتله ثم تناوله الجمرة بدل الجوهرة ثم قتله القبطى وخروجه الى مدين خائفا (فلبثت) يعنى مكثت سنين فى اهل مدين) هى بلدة شعيب على ثمان مراحل من مصر هرب اليها موسى قال وهب لبث موسى عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة عشر سنين منها يرعى الغنم مهر زوجته صفوراء ابنة شعيب وثمان عشرة سنة اقام عنده بعد ذلك حتى ولد له وخرج من مصر ابن اثنتى عشرة سنة هاربا (ثم جئت على قدر يا موسى) يعنى جئت على القدر الذى قدرت ان تجىء فيه قيل على راس اربعين سنة وهو القدر الذى يوحى الى الانبياء فيه (واصطنعتك لنفسى) يعنى اخترتك واصطفيتك لوحيى ورسالتى لتتصرف على إرادتى ومحبتى وذلك ان قيامه بأداء الرسالة تصرف على إرادة الله ومحبته وقيل معناه اخترتك لأمرى وجعلتك القائم بحجتى والمخاطب بينى وبين خلقى كأنى الذى أقمت عليهم الحجة وخاطبتهم (اذهب أنت وأخوك بآياتى) أى بدلائلى قال ابن عباس يعنى الايات التسع الذى بعث بها موسى عليه السلام (ولا تنيا) أى لا تضعفا وقيل لا تفترا ولا تقصرا (فى ذكرى) يعنى لا تقصرا فى ذكرى بالإحسان اليكما والانعام عليكما ومن ذكر النعمة شكرها (اذهبا إلى فرعون أنه طغى فقولا له قولا لينا) أى داريا وارفقا به قال ابن عباس لا تعنفا فى قولكما وقيل كنياه فقولا له يا أبا العباس وقيل يا أبا الوليد وقيل أراد بالقول اللين قوله هل لك إلى أن تزكى الاية إنما أمرهما باللطافة لما له من حق تربية موسى وقيل عداه على قبول الإيمان شبابا لا يهرم وملكا لا ينزع منه إلا بالموت وتبقى عليه لذة المطعم والمشرب والمنكح إلى حين موته وإذا مات دخل الجنة فلما أتاه موسى ووعده بذلك أعجبه وكان لا يقطع أمرا دونها مان وكان غائبا فلما قدم أخبره بالذى دعاه اليه موسى وقال أردت أن اقبل منه فقال له هامان كنت أرى أن لك عقلا ورأيا أنت رب تريد أن تكون مربوبا وأنت تعبد تريد أن تعبد فقال فرعون صواب ما قلت فغلبه على رأيه وكان هارون بمصر فامر الله موسى ان يأتى هرون وأوحى الله إلى هرون وهو بمصر أن يتلقى موسى فتلقاه إلى مرحلة واخبره بما

قدم أخبره بالذى دعاه إليه موسى وقال أردت أن أقبل منه فقال له هامان كنت أرى أن لك عقلا ورأيا أنت رب يريد أن تكون مربوبا وأنت تعبد تريد أن تعبد فغلبه على رأيه وكان هرون يومئذ بمصر فأمر الله موسى أن يأتى هرون وأوحى إلى هرون وهو بمصر أن يتلقى موسى فتلقاه إلى مرحله وأخبره بما أوحى إليه (لعله يتذكر أو يخشى) أى يتعظ ويخاف ويسلم فان قيل كيف قال لعله يتذكر وقد سبق فى علمه أنه لا يتذكر ولا يسلم قيل معناه اذهبا على رجاء منكما وطمع وقضاء الله وراء امركما وقال الحسين بن الفضل هو ينصرف إلى غير فرعون مجازه لعله يتذكر ويخشى خاش إذا رأى برى والطافى بمن خلقته وأنعمت عليه ثم ادعى الربوبية وقال أبو بكر محمد بن عمر الوراق لعل من الله واجب ولقد تذكر فرعون وخشى حين لم تنفعه الذكرى والخشية وذلك حين ألجمه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين قرأ رجل عند يحيى بن معاذ هذه الاية فقالا له قولا لينا فبكى يحيى وقال إلهى (٢١٩) هذا برك بمن يقول أنا الإله فكيف برك بمن يقول أنت الإله (قالا) يعنى موسى وهرون (ربنا إننا نخاف ان يفرط علينا) قال ابن عباس رضى الله عنهما يعجل علينا بالقتل والعقوبة يقال فرط عليه فلان إذا عجل بمكروه وفرط منه امر اى بدر وسبق (أو أن يطغى) أى يجاوز الحد فى الاساءة إلينا (قال لا تخافا إننى معكما أسمع وأرى) قال ابن عباس أسمع دعاءكما فأجيبه وأرى ما يراد بكما فأمنع لست بغافل عنكما فلا تهتما (فأتياه فقولا إنا رسولا ربك) أرسلنا إليك (فأرسل معنا بنى اسرائيل) أى خل عنهم وأطلقهم من أعمالك (ولا تعذبهم) لا تتبعهم فى العمل وكان فرعون يستعملهم فى الأعمال الشاقة (قد جئناك بآية من ربك) قال فرعون وما هى فأخرج يده لها شعاع كشعاع الشمس (والسلام على من اتبع الهدى) ليس المراد منه التحية إنما معناه يسلم من عذاب الله من أسلم (إنا قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب وتولى) أى إنما يعذب الله من كذب بما جئنا به واعرض عنه (قال فمن ربكما يا موسى) من إلهكما الذى أرسلكما (قال ربنا الذى اعطى كل شىء خلقه ثم هدى) قال الحسن وقتادة أعطى كل شىء صلاحه وهداه لما يصلحه وقال مجاهد أعطى كل شىء صورته لم يجعل خلق الإنسان كخلق البهائم ولا خلق البهائم كخلق الإنسان ثم هداه إلى منافعه من المطعم والمشرب والمنكح وقال الضحاك أعطى كل شىء خلقه يعنى اليد للبطش والرجل للمشى واللسان للنطق والعين للنظر والاذن للسمع وقال سعيد بن جبير اعطى كل شىء خلقه يعنى زوج الانسان المرأة والبعير الناقة والحمار الاتان والفرس الرمكة ثم هدى أى ألهمه كيف يأتى الذكر الانثى (قال) فرعون (فما بال القرون الاولى) ومعنى البال الحال أى ما حال القرون الماضية والأمم الخالية مثل قوم نوح وعاد وثمود فيما تدعونى إليه فانها كانت تعبد الاوثان وتنكر البعث (قال) موسى (علمها عند ربى) اى اعمالهم محفوظة عند الله يجازى بها وقيل إنما رد موسى علم ذلك

أوحى إليه * وقوله تعالى (لعله يتذكر أو يخشى) أى يتعظ ويخاف ويسلم * فان قلت كيف قال لعله يتذكر وقد سبق فى علمه أنه لا يتذكر ولا يسلم * قلت معناه اذهبا على رجاء منكما وطمع وقضاء الله وراء امركما وقيل هو الزام الحجة وقطع المعذرة كقوله تعالى ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك وقيل هو ينصرف إلى غير فرعون مجازه لعله يتذكر من تذكر او يخشى خاش إذا رأى برى والطافى بمن خلقته وأنعمت عليه ثم ادعى الربوبية وقيل لعل من الله واجب ولقد تذكر فرعون وخشى حين لم تنفعه الذكرى والخشية وذلك حين ألجمه الغرق وقرأ رجل عند يحيى بن معاذ الرازى فقولا له قولا لينا الآية فبكى يحيى وقال إلهى هذا رفقك بمن يقول أنا الإله فكيف رفقك بمن يقول أنت الإله (قالا) يعنى موسى وهرون (ربنا إننا نخاف ان يفرط علينا) قال ابن عباس يعجل علينا بالقتل والعقوبة (أو أن يطغى) أى يجاوز الحد فى الإساءة إلينا (قال) الله تعالى (لا تخافا إننى معكما أسمع وأرى) قال ابن عباس اسمع دعاءكما فأجيبه وأرى ما يراد بكما فأمنع لست بغافل عنكما فلا تهتما (فأتياه فقولا إنا رسولا ربك) أى أرسلنا إليك ربك (فارسل معنا بنى إسرائيل) أى خل عنهم واطلقهم من أعمالك (ولا تعذبهم) أى لا تتعبهم فى العمل وكان فرعون يستعملهم فى الأعمال الشاقة كالبناء وقطع الصخور مع قتل الولدان وغير ذلك (قد جئناك بآية من ربك) قال فرعون وما هى فاخرج موسى يده لها شعاع كشعاع الشمس وقيل معناه قد جئناك بمعجزة وبرهان يدلان على صدقنا على ما ادعيناه من الرسالة (والسلام على من اتبع الهدى) ليس المراد منه سلام التحية بل إنما معناه سلم من العذاب من أسلم (إنا قد أوحى إلينا ان العذاب على من كذب وتولى) أى إنما يعذب الله من كذب بما جئنا به من واعرض عنه (قال) يعنى فرعون (فمن ربكما يا موسى) اى فمن إلهكما الذى ارسلكما (قال ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى) أى كل شىء يحتاجون إليه ويرتفقون به وقيل اعطى كل شىء صلاحه وهداه وقيل أعطى كل شىء صورته فخلق اليد للبطش والرجل للمشى واللسان للنطق والعين للنظر والأذن للسمع ثم هداه إلى منافعه من المطعم والمشرب والمنكح وقيل يعنى جعل زوجة الرجل المرأة والبعير الناقة والفرس الرمكة وهى الحجرة والحمار الأتان ثم هدى الهمه كيف يأتى الذكر الانثى (قال) يعنى فرعون (فما بال القرون الاولى) أى فما حال القرون الماضية والامم الخالية مثل قوم نوح وعاد وثمود فانها كانت تعبد الاوثان وتنكر البعث وإنما قال فرعون ذلك لموسى حين خوفهم مصارع الأمم الخالية فحينئذ قال فرعون فما بال القرون الأولى (قال يعنى) موسى (علمها عند ربى) أى أعمالهم محفوظة عند الله يجازى بها وقيل إنما رد موسى علم ذلك

(فى كتاب) يعنى فى اللوح المحفوظ (لا يضل ربى) اى لا يخطىء وقيل لا يغيب عنه شىء ولا يغيب عن شىء (ولا ينسى) ما كان من أمرهم حتى يجازيهم بأعمالهم وقيل لا ينسى أى لا يترك الانتقام فينتقم من الكفار ويجازى المؤمن (الذى جعل لكم الأرض مهدا) قرأ اهل الكوفة مهدا ههنا وفى الزخرف فيكون مصدرا أى فرشا وقرأ الآخرون مهادا كقوله تعالى ألم نجعل الأرض مهادا أى فراشا وهو اسم يفرش كالبساط اسم لما يبسط (وسلك لكم فيها سبلا) السلك ادخال الشىء فى الشىء والمعنى ادخل فى الأرض لاجلكم طرقا تسلكونها قال ابن عباس سلك لكم فيها طرقا تسلكونها (وأنزل من السماء ماء) يعنى المطر ثم الاخبار عن موسى ثم أخبر الله عن نفسه بقوله (فأخرجنا به) بذلك الماء (أزواجا) أصنافا (من نبات شتى) مختلف الألوان والطعوم والمنافع من أبيض وأحمر وأخضر وأصفر فكل صنف منها زوج فمنها للناس ومنها للدواب (كلوا وارعوا) أى وارتعوا (أنعامكم) تقول العرب رعيت الغنم فرعت اى أسيموا أنعامكم ترعى (إن فى ذلك) الذى ذكرت (لآيات لأولى النهى) لذوى العقول واحدتها نهية سميت نهية لانها تنهى صاحبها عن القبائح والمعاصى قال الضحاك الاولى النهى الذين ينتهون عما حرم الله عليهم قال قتادة لذوى الورع (منها) اى من الارض (خلقناكم) يعنى اباكم آدم وقال عطاء الخراسانى ان الملك ينطلق فيأخذ من تراب المكان الذى يدفن فيذره على النطفة فيخلق من التراب ومن النطفة فذلك قوله تعالى منها خلقناكم (وفيها نعيدكم) اى عند الموت والدفن (ومنها نخرجكم تارة اخرى) يوم البعث قوله تعالى (ولقد اريناه) يعنى فرعون (آياتنا كلها) يعنى الآيات التسع التى اعطاها الله موسى (فكذب) بها وزعم انها سحر (وابى) ان يسلم (قال) يعنى فرعون (اجئتنا لتخرجنا من ارضنا) يعنى ارض مصر (بسحرك ياموسى) اى تريدان تغلب على ديارنا فيكون لك الملك وتخرجنا منها (فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا) اى فاضرب بيننا وبينك اجلا وميقاتا (لا نخلفه) قرأ ابو جعفر لا نخلفه جزما (فتنازعوا لا نجاوزه (نحن ولا انت مكانا سوى) قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب سوى بضم السين وقرأ الاخرون بكسرها وهما لغتان مثل عدى وعدى وطوى وطوى قال مقاتل وقتادة مكانا عدلا بيننا وبينك وعن ابن عباس ونصفا ومعناه تستوى مسافة الفريقين اليه قال ابو عبيدة والقتيبى وسطا بين الفريقين قال مجاهد منصفا وقال الكلبى يعنى سوى هذا المكان (قال موعدكم يوم الزينة) قال مجاهد وقتادة ومقاتل والسدى كان يوم عيدهم يتزينون فيه ويجتمعون فى كل سنة وقيل هو يوم النيروز وقال ابن عباس وسعيد بن جبير يوم عاشوراء (وان يحشر الناس ضحى) اى وقت الضحوة نهارا جهارا ليكون من الريبة (فتولى فرعون فجمع كيده) مكره وحيلته وسحرته (ثم اتى) اى الميعاد (قال لهم موسى) يعنى السحرة الذين جمعهم فرعون وكانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل واحد حبل وعصا وقيل كانوا اربعمائة وقال كعب كانوا اثنى عشر الفا وقيل اكثر من ذلك (ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب) قرأ حمزة والكسائى وحفص فيسحتكم بضم الياء وكسر الحاء وقرأ الباقون بفتح الياء والحاء وهما لغتان قال مقاتل والكلبى فيهلككم وقال قتادة فيستأصلكم (وقد خاب من افترى)

إلى الله تعالى لانه لم يعلم ذلك لان التوراة إنما نزلت بعد هلاك فرعون وقومه (فى كتاب) يعنى اللوح المحفوظ (لا يضل ربى) اى لا يخطىء وقيل لا يغيب عنه شىء (ولا ينسى) اى فيتذكر وقيل لا ينسى ما كان من اعمالهم حتى يجازيهم بها (الذى جعل لكم الارض مهدا) اى فراشا وقيل مهدها لكم (وسلك لكم فيها سبلا) اى دخل فى الارض لاجلكم طرقا وسهلها لكم لتسلكوها (وانزل من السماء ماء) يعنى المطر ثم الاخبار عن موسى ثم قال الله تعالى (فأخرجنا به) اى بذلك الماء (ازواجا) اصنافا (من نبات شتى) اى مختلف الالوان والطعوم والمنافع فمنها ماهو للناس ومنها ماهو للدواب (كلوا وارعوا انعامكم) اى اخرجنا اصناف النبات للانتفاع بالاكل والرعى (إن فى ذلك) اى الذى ذكر (لآيات لاولى النهى) اى لذوى العقول قيل هم الذين ينتهون عما حرم الله عليهم (منها خلقناكم) اى من الارض خلقنا آدم وقيل ان الملك ينطق فيأخذ من التراب الذى يدفن فيه فيذره فى النطفة فيخلق من التراب ومن النطفة (وفيها نعيدكم) اى عند الموت والدفن (ومنها نخرجكم تارة اخرى) اى يوم القيامة للبعث والحساب * قوله تعالى (ولقد اريناه) يعنى فرعون (آياتنا كلها) يعنى الايات التسع التى اعطاها الله موسى (فكذب وابى) وزعم انها سحر وابى ان يسلم (قال) يعنى فرعون (اجئتنا لتخرجنا من ارضنا) يعنى مصر (بسحرك ياموسى) يريدان تغلب على ديارنا فيكون لك الملك وتخرجنا منها (فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا) اى اضرب اجلا وميقاتا (لا نخلفه) لا نجاوزه (نحن ولا انت مكانا سوى) اى مكانا عدلا وقال ابن عباس نصفا تستوى مسافة الفريقين إليه وقيل معناه سوى هذا المكان (قال) يعنى موسى (موعدكم يوم الزينة) قيل كان يوم عيدهم يتزينون فيه ويجتمعون فى كل سنة وقيل هو يوم النيروز وقال ابن عباس يوم عاشوراء (وان يحشر الناس ضحى) اى وقت الضحوة نهارا جهارا ليكون ابعد من الريبة (فتولى فرعون فجمع) يعنى فرعون (كيده) يعنى مكره وسحره وحيله (ثم اتى) يوم الميعاد (قال لهم موسى) يعنى السحرة الذين جمعهم فرعون وكانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل ساحر حبل وعصا وقيل كانوا اربعمائة وقيل كانوا اثنى عشر الفا (ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب) اى فيهلككم ويستأصلكم (وقد خاب من افترى) اى خسر من ادعى مع الله إلها آخر وقيل معناه خسر من كذب على الله تعالى * قوله تعالى

فتنازعوا أمرهم بينهم) أي تناظروا وتشاوروا يعني السحرة في أمر موسى سرا من فرعون قال الكلبي قالوا سرا ان غلبنا موسى اتبعناه وقال محمد بن اسحق لما قال لهم موسى لا تفتروا على الله كذبا قال بعضهم لبعض ماهذا بقول السحر (واسروا النجوى) اى المناجاة يكون مصدرا واسما ثم (قالوا) واسر بعضهم إلى بعض يتناجون (إن هذان لساحران) يعني موسى وهرون وقرا ابن كثير وحفص ان بتخفيف النون هذان اى ماهذان إلا ساحران كقوله ان نظنك إلا من الكاذبين اى ما نظنك إلا من الكاذبين وشددا بن كثير النون من هذان وقرا ابو عمرو ان بتشديد النون هذين بالياء على الاصل وقرا الاخرون ان بتشديد النون هذان بالالف واختلفوا فيه قرأ هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة ام المؤمنين انه خطأ من الكاتب وقال قوم هو لغة بالحارث بن كعب وخثعم وكنانة فانهم يجعلون الاثنين في موضع الرفع والنصب والخفض بالالف يقولون اتاني الزيدان ورايت الزيدان ومررت بالزيدان فلا يتركون الف التثنية في شيء وكذلك يجعلون كل ياء ساكنة انفتح ماقبلها الف كما في التثنية يقولون كبرت يداه وركبت علاه يعني يديه وعليه وقال شاعرهم تزود مني بين اذناه ضربة * دعته إلى هابي التراب عقيم يريد بين اذنيه وقال اخر ان اباها وابا اباها * قد بلغا في المجد غايتاها وقيل تقدير الاية انه هذان لحذف الهاء وذهب جماعة إلى ان حرف ان ههنا بمعنى نعم اى نعم هذان روى ان اعرابيا سأل الزبير شيئا فحرمه فقال لعن الله ناقة حملتني اليك فقال ابن الزبير ان وصاحبها أي نعم وقال الشاعر بكرت علي عواذلي * يلمنني وألومهنه (٢٢١) ويقلن شيب قد علاه * لو قد كبرت فقلت انه

فتنازعوا امرهم بينهم) اى تناظروا وتشاوروا يعني السحرة في امر موسى سرا من فرعون وقالوا ان غلبنا موسى اتبعناه معنا ملا قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا قال بعضهم لبعض ماهذا بقول ساحر (واسروا النجوى) اى المناجاة (قالوا) قال بعضهم لبعض سرا (إن هذان لساحران) يعني موسى وهرون (يريدان ان يخرجاكم من ارضكم) يعني من مصر (بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى) قال ابن عباس يعني بسراة قومكم واشرافكم وقيل معناه يصرفان وجوه الناس عنكم وقيل اراد اهل طريقتكم المثلى وهم بنو إسرائيل يعني يريدان يذهبا بهم لأنفسهما وقيل معناه يذهبا بسنتكم وبدينكم الذي انتم عليه (فاجمعوا كيدكم) يعني لا تدعوا شيئا من كيدكم إلا جئتم به وقيل معناه اعزموا كلكم على كيده مجتمعين له ولا تختلفوا فيختل امركم (ثم ائتوا صفا) يعني جمعا مصطفين ليكون أشد لهيبتكم وقيل معناه ثم ائتوا المكان الموعود به (وقد افلح اليوم من استعلى) اى فاز من غلب (قالوا) يعني السحرة (يا موسى إما ان تلقي) يعني عصاك (وإما أن نكون أول من ألقى) يعني عصينا (قال) يعني موسى (بل القوا) يعني أنتم أولا فاذا حبالهم) فيه اضمار يعني فالقوا فاذا حبالهم (وعصيهم يخيل إليه من سحرهم انها تسعى) قيل انهم لما القوا الحبال والعصي اخذوا اعين الناس فرأى موسى كأن الأرض امتلأت حيات وكانت قد اخذت ميلا في ميل من كل جانب ورآها كأنها تسعى (فأوجس) يعني اضمر وقيل وجد (في نفسه خيفة موسى) قيل هو طبع البشرية وذلك أنه ظن أنها تقصده وقيل أنه خاف على القوم أن يلتبس عليهم الأمر فيشكوا في أمره فلا يتبعوه (قلنا لا تخف) يعني قال الله تعالى لموسى لا تخف (إنك أنت الأعلى) يعني الغالب عليهم ولك الغلبة عليهم والظفر (وألق ما في يمينك) يعني عصاك والمعنى لا يخيفنك كثرة حبالهم وعصيهم فان في يمينك شيئا أعظم منها كلها (تلقف) يعني تلقم وتبتلع

أي نعم (يريدان ان يخرجاكم من ارضكم) مصر (بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى (قال ابن عباس يعني بسراة قومكم واشرافكم يقال هؤلاء طريقة قومهم اى اشرافهم والمثل تأنيث الامثل وهو الافضل حديث الشعبي عن علي قال يصرفان وجوه الناس اليهما قال قتادة طريقتهم المثلى كان بنو إسرائيل يومئذ اكثر القوم عددا واموالا فقال عدو الله يريدان يذهبا بهم لأنفسهم وقيل بطريقتكم المثلى ان بسنتكم ودينكم الذي انتم عليه والمثلى نعت

الطريق تقول العرب فلان على الطريقة المثلى يعني على الصراط المستقيم (فأجمعوا كيدكم) قرأ أبو عمرو فأجمعوا بوصل الالف وفتح الميم من الجمع أي لا تدعوا أشياء من كيدكم إلا جئتم به بدليل قوله فجمعته بمعنى واحد والصحيح ان معناه العزم والاحكام اى اعزموا كلكم على كيده مجتمعين له لا تختلفوا فيختل امركم (ثم ائتوا صفا) اى جميعا قاله مقاتل والكلبي وقال قوم اى مصطفين مجتمعين ليكون اشد لهيبتكم وقال ابو عبيدة الصف المجتمع ويسمى المصلى صفا معناه ثم ائتوا المكان الموعد صفا (وقد افلح اليوم من استعلى) اى فاز من غلب (قالوا) يعني السحرة (يا موسى إما ان تلقي) عصاك (وإما ان نكون اول من القى) عصينا (قال) موسى (بل القوا) انتم اولا (فاذا حبالهم) وفيه اضمار يعني فالقوا فاذا حبالهم (وعصيهم) جمع العصا (يخيل اليه) قرأ ابن عامر ويعقوب تخيل بالتاء رد إلى الحبال والعصي وقرأ الآخرون بالياء رد وه إلى الكيد والسحر (من سحرهم انها تسعى) حتى تظن انها تسعى يعني تمشي وذلك انهم كانوا لطخوا حبالهم وعصيهم بالزئبق فلما اصابه حر الشمس انهمست واهتزت فظن موسى انها تقصده وفي القصة انهم لما القوا الحبال والعصي اخذوا اعين الناس فراى موسى والقوم كان الارض امتلأت حيات وكانت قد أخذت ميلا من كل جانب ورأوا أنها تسعى (فأوجس في نفسه خيفة موسى) يعني وجد وقيل اضمر في نفسه خوفا واختلفوا في خوفه طبع البشرية وذلك انه ظن أنها تقصده وقال مقاتل خاف على القوم ان يلتبس عليهم الامر فيشكوا في أمره فلا يتبعونه (قلنا) لموسى (لا تخف إنك انت الاعلى) اى الغالب يعني لك الغلبة والظفر (وألق ما في يمينك) يعني العصا (تلقف) تلتقم

وتبتلع (ماصنعوا) قرأ ابن عامر تلقف برفع الفاء ههنا وقرأ الآخرون بالجزم على جواب الامر (إنما صنعوا) ى الذى صنعوا (أكيد ساحر) اى حيلة سحر هكذا قرأ حمزة والكسائى بكسر السين بلا الف وقرأ الاخرون ساحر لان إضافة الكيد إلى الفاعل اولى من اضافته إلى الفعل وإن كان ذلك لا يمتنع فى العربية (ولا يفلح الساحر حيث أتى) من الأرض قال ابن عباس لا يسعد حيث كان وقيل معناه حيث احتال (فألقى السحرة سجدا قالوا آمنا برب هرون وموسى قال آمنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم) لرئيسكم ومعلمكم (الذى علمكم السحر فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم فى جذوع النخل) يعنى على جذوع النخل (ولتعلمن اينا اشد عذابا) يعنى على إيمانكم به انا او رب موسى على ترك الايمان به (وابقى) يعنى ادم (قالوا) يعنى السحرة (لن نؤثرك) لن نختارك (على ماجاءنا من البينات) يعنى الدلالات قال مقاتل يعنى اليد البيضاء والعصا وقيل كان (٢٢٢) استدلالهم انهم قالوا لو كان سحرا فأين حبالنا وعصينا وقيل من البينات يعنى من اليقين والعلم حكى عن القاسم ابن ابى بزة انه قال انهم لما القوا سجدا ما رفعوا رؤسهم حتى راوا الجنة والنار وراوا ثواب اهلها وراوا منازلهم فى الجنة فعند ذلك قالوا لن نؤثرك على ماجاءنا من البينات (والذى فطرنا) يعنى لن نؤثرك على الله الذى فطرنا وقيل هو قسم (فاقض ما انت قاض) يعنى فاصنع ما انت صانع (إنما تقضى هذه الحياة الدنيا) يعنى امرك وسلطانك فى الدنيا وسيزول عن قريب (إنا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه من السحر) فان قيل كيف قالوا هذا وقد جاءوا مختارين يحلفون بعزة فرعون ان لهم الغلبة قيل روى عن الحسن انه قال كان فرعون يكره قوما على تعلم السحر لكيلا يذهب اصله وقد كان اكرههم فى الابتداء وقال مقاتل كانت

(ماصنعوا إنما صنعوا كيد ساحر) اى حيلة ساحر (ولا يفلح الساحر حيث أتى) أى من الأرض وقال ابن عباس لا يسعد حيث كان (فألقى السحرة سجدا قالوا آمنا برب هرون وموسى) قال صاحب الكشاف سبحان الله ما اعجب امرهم قد القوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم القوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما أعظم الفرق بين الالقاءين وقيل انهم لم يرفعوا رؤسهم حتى رأوا الجنة والنار وقيل انهم لما سجدوا اراهم الله تعالى فى سجودهم منازلهم التى يصيرون اليها فى الجنة (قال) يعنى فرعون (آمنتم له قبل أن اذن لكم انه لكبيركم) أى لرئيسكم وعظيمكم يعنى انه اسحركم واعلاكم فى صناعة السحر ومعلمكم (الذى علمكم السحر فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف) يعنى اقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى (ولاصلبنكم فى جذوع النخل) يعنى على جذوع النخل (ولتعلمن اينا اشد عذابا) يعنى على ايمانكم بها او رب موسى على ترك الايمان (وابقى) يعنى ادوم (قالوا) يعنى السحرة (لن نؤثرك) يعنى لن نختارك (على ماجاءنا من البينات) يعنى الدلالات الواضحات قيل هى اليد البيضاء والعصا وقيل كان استدلالهم انهم قالوا لو كان هذا سحرا فاين حبالنا وعصينا وقيل انهم لما سجدوا راوا الجنة والنار ورأوا منازلهم فى الجنة فعند ذلك قالوا لن نؤثرك على ماجاءنا من البينات (والذى فطرنا) قيل هو قسم وقيل معناه لن نؤثرك على الله الذى فطرنا (فاقض ما انت قاض) يعنى فاصنع ما انت صانع (إنما تقضى هذه الحياة الدنيا) يعنى إنما امرك وسلطانك فى الدنيا وسيزول عن قريب (إنا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه من السحر) * فان قلت كيف قالوا هذا وقد جاؤا مختارين غير مكرهين * قلت كان فرعون اكرههم فى الابتداء على تعلمهم السحر لكى لا يذهب اصله وقيل كانت السحرة اثنين وسبعين اثنان من القبط وسبعون من بنى اسرائيل وكان فرعون اكره الذين هم من بنى اسرائيل على تعلم السحر وقيل قال السحرة لفرعون ارنا موسى إذا هو نام فاراهم موسى نائما وعصاه تحرسه فقالوا لفرعون هذا ليس بساحر ان الساحر إذا نام بطل سحره فأبى عليهم فأكرههم على ان يعملوا فذلك قولهم وما اكرهتنا عليه من السحر (والله خير وابقى) يعنى خير منك ثوابا وابقى عقابا وقيل خير منك ان اطيع وابقى عذابا ان عصى وهذا جواب لقوله ولتعلمن أينا اشد عذابا وابقى (إنه من يأت ربه مجرما) قيل هذا ابتداء كلام من الله تعالى وقيل هو من تمام قول السحرة معناه من مات على الشرك (فان له جهنم لا يموت فيها) فيستريح (ولا يحيى) حياة ينتفع بها (ومن ياته مؤمنا) يعنى من مات على الايمان (قد عمل

السحرة اثنين وسبعين اثنان من القبط وسبعون من بنى اسرائيل كان عدو الله فرعون اكره الذين هم من بنى اسرائيل الصالحات على تعلم السحر فذلك قوله وما اكرهتنا عليه من السحر وقال عبد العزيز بن ابان قالت السحرة لفرعون ارنا موسى اذا نام فأراهم موسى نائما وعصاه تحرسه فقالوا لفرعون ان هذا ليس بساحر إن الساحر اذا نام بطل سحره فأبى عليهم الا ان يتعلموا فذلك قوله تعالى وما اكرهتنا عليه من السحر (والله خير وابقى) قال محمد بن اسحق خير منك ثوابا وابقى عذابا وقال محمد بن كعب خير منك ثوابا ان اطيع وابقى منك عذابا ان عصى وهذا جواب لقوله ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى (انه من يأت ربه مجرما) قيل هذا ابتداء كلام من الله تعالى وقيل من تمام قول السحرة مجرما اى مشركا يعنى من مات على الشرك (فان له جهنم لا يموت فيها) فيستريح (ولا يحيى) حياة ينتفع بها (ومن ياته) قرأ ابو عمرو ساكنة الهاء ويختلسها أبو جعفر وقالون ويعقوب وقرأ الاخرون بالاشباع (مؤمنا) اى من مات على الإيمان (قد عمل

الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى) أى الرفيعة والعلى جمع العليا والعليا تانيث الأعلى (جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى) يعنى تطهر من الذنوب وقال الكلبى أعطى زكاة نفسه وقال لا إله إلا الله أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى انا ابو القاسم عبد الرحمن بن عبيد السمسار أنا أبو حمزة أحمد بن محمد بن عباس الدهقان انا احمد بن عبد الجبار العطاردى أنا ابو معاوية عن الأعمش عن عطية عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله ﷺ أن اهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون الكوكب الدرى فى افق من آفاق السماء وانما أبو بكر وعمر منهم وانعما قوله عز وجل (ولقد أوحينا إلى موسى ان أسر بعبادى) يعنى أسر بهم ليلا من أرض مصر (فاضرب لهم طريقا فى البحر) يعنى اجعل لهم طريقا فى البحر بالضرب بالعصا (يبسا) ليس فيه ماء ولا طين وذلك ان الله ايبس لهم الطريق فى البحر (لا تخاف دركا) قرأ حمزة لا تخف بالجزم على النهى والباقون بالألف والرفع على النفى لقوله تعالى (ولا تخشى) قيل لا تخاف ان يدركك فرعون من ورائك ولا تخشى أن يغرقك البحر امامك (فاتبعهم) فلحقهم (فرعون بجنوده) وقيل معناه أمر (٢٢٣) فرعون جنوده ان يتبعوا موسى

الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى) يعنى الرفيعة العلية ثم فسر الدرجات بقوله (جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى) يعنى تطهر من الذنوب وقيل اعطى زكاة نفسه وقال لا إله إلا الله عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ أن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع فى أفق السماء وأن ابا بكر وعمر منهم وأنعما أخرجه الترمذى قوله وأنعما يقال أحسن فلان إلى فلان وأنعم يعنى أفضل وزاد فى الاحسان والمعنى انهما منهم وزاد وتناهيا إلى غايته * قوله تعالى (ولقد أوحينا إلى موسى أن اسر بعبادى) يعنى اسر بهم ليلا من أرض مصر (فاضرب لهم طريقا) يعنى اجعل لهم طريقا (فى البحر) بالضرب بالعصا (يبسا) يعنى يابسا ليس فيه ماء ولا طين وذلك ان الله تعالى أيبس لهم الطريق فى البحر (لا تخاف دركا ولا تخشى) قيل معناه لا تخاف ان يدركك فرعون من ورائك ولا تخشى أن يغرقك البحر أمامك (فاتبعهم) يعنى فلحقهم (فرعون بجنوده فغشيهم) يعنى أصابهم (من اليم ماغشيهم) وهو الغرق وقيل علاهم وسترهم من اليم ما لم يعلم كنهه إلا الله تعالى فغرق فرعون وجنوده ونجا موسى وقومه (وأضل فرعون قومه وما هدى) يعنى وما أرشدهم وهو تكذيب لفرعون فى قوله وما أهديكم إلا سبيل الرشاد * قوله عز وجل (يا بنى إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن ونزلنا عليكم المن والسلوى) ذكرهم الله النعمة فى نجاتهم وهلاك عدوهم وفيما وعد موسى من المناجاة بجانب الطور وكتب التوراة فى الألواح وإنما قال وواعدناكم لأنها اتصلت بهم حيث كان لنبيهم ورجعت منافعها إليهم وبها قوام دينهم وشريعتهم وفيها أفاض الله عليهم من سائر نعمه وأرزاقه (كلوا من طيبات مارزقناكم ولا تطغوا فيه) قال ابن عباس لا تظلموا وقيل لا تكفروا النعمة فتكونوا طاغين قيل ولا تتقووا بنعمتى على المعاصى وقيل لا تدخروا (فيحل عليكم غضبى) يعنى يجب عليكم غضبى (ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى) يعنى هلك وسقط فى النار (وإنى لغفار لمن تاب) قال ابن عباس تاب عن الشرك (وآمن) يعنى وحد الله وصدق رسوله (وعمل صالحا) يعنى أدى الفرائض (ثم اهتدى) قال ابن عباس علم أن ذلك توفيق من الله تعالى وقيل لزم الإسلام حتى مات عليه وقيل علم ان لذلك ثوابا وقيل اقام على السنة * قول عز وجل (وما اعجلك) يعنى وما حملك على العجلة (عن قومك يا موسى) وذلك ان موسى اختار من قومه سبعين رجلا يذهبون معه الى الطور ليأخذوا التوراة فسار بهم ثم عجل موسى من بينهم شوقا الى ربه وخلف السبعين وأمرهم ان يتبعوه الى الجبل فقال الله له وما اعجلك عن قومك يا موسى فاجاب ربه (فقال هم اولاء على اثرى)

وقومه والباء فيه زائدة وكان هو فيهم (فغشيهم) أصابهم (من اليم ما غشيهم) وهو الغرق وقيل غشيهم علاهم وسترهم من اليم ما غشيهم يريد غشيهم بعض ماء اليم لا كله وقيل غشيهم من اليم ما غشيهم قوم موسى ففرقهم ونجا موسى وقومه (وأضل فرعون قومه وماهدى) يعنى ما أرشدهم وهذا تكذيب لفرعون فى قوله وما أهديكم إلا سبيل الرشاد قوله (يا بنى إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم) فرعون (وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات مارزقناكم) قرأ حمزة والكسائى أنجيتكم وواعدتكم ورزقتكم بالتاء على التوحيد وقرأ الآخرون بالنون والألف على التعظيم ولم يختلفوا فى ونزلنا لأنه مكتوب بالألف (ولا تطغوا فيه) قال ابن عباس لا تظلموا قال الكلبى لا تكفروا النعمة فتكونوا ظالمين طاغين وقيل لا تنفقوا فى معصيتى وقيل لا تتقووا بنعمتى على معاصى وقيل لا تدخروا فادخروا فتدود (فيحل) قرأ الأعمش والكسائى فيحل بضم الحاء ومن يحلل بضم اللام يعنى ينزل وقرأ الاخرون بكسرها يعنى يجب (عليكم غضبى ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى) هلك وتردى فى النار (وإنى لغفار لمن تاب) قال ابن عباس تاب من الشرك (وآمن) ووحد الله وصدقه (وعمل صالحا) أدى الفرائض (ثم اهتدى) قال عطاء عن ابن عباس علم ان ذلك توفيق من الله وقال قتادة وسفيان الثورى يعنى لزم الاسلام حتى مات عليه قال الشعبى ومقاتل والكلبى علم ان ذلك ثوابا وقال زيد بن اسلم تعلم العلم ليهتدى به كيف يعمل قال الضحاك استقام وقال سعيد بن جبير اقام على السنة والجماعة (وما أعجلك) يعنى وما حملك على العجلة (عن قومك) وذلك ان موسى اختار من قومه سبعين رجلا حتى يذهبوا معه إلى الجبل ليأخذوا التوراة فسار بهم ثم عجل موسى من بينهم شوقا إلى ربه عز وجل وخلف السبعين وأمرهم ان يتبعوه إلى الجبل فقال الله تعالى وما اعجلك عن قومك (يا موسى قال) مجيبا لربه تعالى (هم أولاء على أثرى) يعنى هم

بالقرب مني يأتون من بعدي (وعجلت اليك رب لترضى) لتزداد رضا (قال فانا قد فتنا قومك من بعدك) أي ابتلينا الذين خلفتهم مع هرون وكانوا ستمائة الف فافتتنوا بالعجل غير اثني عشر الفا من بعدك أي من بعد انطلاقك إلى الجبل (وأضلهم السامري) أي دعاهم وصرفهم إلى عبادة العجل واضافه إلى السامري لأنهم ضلوا بسببه (فرجع موسى إلى قومه غضبان اسفا) حزينا (قال ياقوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا) صدقا انه يعطيكم التوراة (أفطال عليكم العهد) مدة مفارقتي اياكم (أم أردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم) أي اردتم أن تفعلوا فعلا يجب عليكم به الغضب من ربكم (فاخلفتم (٢٢٤) موعدي قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا) قرأ نافع وأبو جعفر وعاصم بملكنا بفتح الميم وقرأ حمزة والكسائي بضمها وقرأ الآخرون بكسرها أي ونحن نملك أمرنا وقيل باختيارنا ومن قرأ بالضم فمعناه بقدرتنا وسلطاننا وذلك أن المرء إذا وقع في البلية والفتة لم يملك نفسه (ولكنا حملنا) قرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي وابو بكر ويعقوب حملنا بفتح الحاء وتخفيف الميم وقرأ الاخرون بضم الحاء وتشديد الميم الا جعلونا نحملها وكلفنا حملها (اوزارا من زينة القوم) من حلي قوم فرعون سماها اوزارا لانهم أخذوها على وجه العارية فلم يردها وذلك ان بني اسرائيل كانوا قد استعاروا حليا من القبط وكان ذلك معهم حين خرجوا من مصر وقيل ان الله تعالى لما اغرق فرعون نبذ البحر حليهم فاخذوها وكانت غنيمة ولم تكن الغنيمة حلالا لهم في ذلك الزمان فسماها أوزارا لذلك (فقذفناها) قيل ان السامري قال لهم احفروا حفيرة فالقوها فيها حتى يرجع موسى قال السدي قال لهم هرون ان تلك غنيمة لا تحل فاحفروا حفيرة فالقوها فيها حتى يرجع موسى فيرى رأيه فيها ففعلوا قوله (فقذفناها) اي طرحناها في الحفرة (فكذلك القى السامري) مامعه من الحلي فيها وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أوقد هرون نارا وقال اقذفوا فيها مامعكم فالقوه فيها ثم القى السامري ما كان معه من ترنة حافر فرس جبريل قال قتادة كان صرة قبضة من ذلك التراب في عمامته (فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي) يعني ترك موسى ههنا وذهب يطلبه وقيل اخطأ الطريق وضل وقال الله تعالى

أي هم بالقرب مني يأتون على أثري من بعدي * فان قلت لم يطابق السؤال الجواب فانه سأله عن سبب العجلة فعدل عن الجواب فقال هم اولاء على اثري * قلت كان هم موسى بسط العذر وتمهيد العلة في نفس ما انكر عليه فاعتل بأنه لم يوجد منه إلا تقدم سيره ثم اعقبه بجواب السؤال فقال (وعجلت اليك رب لترضى) اي لتزداد رضا (قال فانا قد فتنا قومك) أي فانا ابتلينا الذين خلفتهم مع هرون وكانوا ستمائة الف فافتتنوا بالعجل غير اثني عشر الفا (من بعدك) أي من بعد انطلاقك إلى الجبل (وأضلهم السامري) أي دعاهم وصرفهم إلى الضلال وهو عبادة العجل وإنما أضاف الضلال إلى السامري لأنهم ضلوا بسببه وقيل ان جميع المنشآت يضاف إلى منشئها في الظاهر وان كان الموجد لها في الأصل هو الله تعالى فذلك قوله هنا واضلهم السامري وقيل كان السامري من عظماء بني اسرائيل من قبيلة تقال لها السامرة وقيل كان من القبط وكان جار الموسى وآمن به وقيل كان علجا من علوج كرمان رفع إلى مصر وكان من قوم يعبدون البقر (فرجع موسى إلى قومه غضبان اسفا) أي حزينا جزعا (قال ياقوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا) أي صدقا يعطيكم التوراة (افطال عليكم العهد) أي مدة مفارقتي إياكم (ام اردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم) أي أردتم ان تفعلوا فعلا يجب عليكم الغضب من ربكم بسببه (فاخلفتم موعدي) يعني ما وعدوه من الاقامة على دينه إلى ان يرجع (قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا) أي بملك امرنا وقيل باختيارنا وذلك ان المرء إذا وقع في الفتنة لم يملك نفسه (ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم) أي حملنا مع انفسنا ما كنا قد استعرناه من قوم فرعون والأوزار الاثقال سميت أوزارا لكثرتها وثقلها وقيل الأوزار الاثام أي حملنا اثاما وذلك ان بني اسرائيل استعاروا حليا من القبط ولم يردوها وبقيت معهم إلى حين خروجهم من مصر وقيل ان الله لما أغرق فرعون نبذ البحر حليهم فأخذها بنو إسرائيل فكانت غنيمة ولم تكن الغنائم تحل لهم (فقذفناها) أي القيناها قيل ان السامري قال لهم احفروا حفيرة والقوها حتى يرجع موسى فيرى رايه فيها وقيل ان هرون أمرهم بذلك ففعلوا (فكذلك القى السامري) أي ما كان معه من الحلي فيها قال ابن عباس اوقد هرون نارا وقال اقذفوا ما معكم فيها وقيل ان هرون مر على السامري وهو يصوغ العجل فقال له ما هذا قال اصنع ما ينفع ولا يضر فادع لي فقال هرون اللهم اعطه ما سالك على ما في نفسه فالقى السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل في فم العجل وقال كن عجلا يخور فكان كذلك بدعوة هرون فذلك قوله تعالى (فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار) اختلفوا هل كان الجسد حيا ام لا على قولين أحدهما لا لأنه لا يجوز اظهار خرق العادة على يد ضال بل السامري صور صورة على شكل العجل وجعل فيه منافذ ومخاريق بحيث إذا دخل فيها الريح صوت كصوت العجل الثاني انه صار حيا وخار كما يخور العجل (فقالوا هذا إلهكم وإله موسى) يعني قال ذلك السامري ومن تابعه ممن افتتن به وقيل عكفوا عليه واحبوه حبا لم يحبوا شيئا قط مثله (فنسي) يقول هو اخبار عن قول السامري الا ان موسى نسي إلهه وتركه ههنا وذهب يطلبه وقيل معناه ان موسى إنما طلب هذا لكنه نسيه وخالفه في طريق اخر فاخطأ الطريق وضل وقيل هو من كلام الله تعالى وكأنه أخبر عن السامري انه نسي الاستدلال على حدوث الاجسام وان

الأله

(أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا) أى لا يرون أن العجل لا يكلمهم ولا يجيبهم إذا دعوه (ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا) وقيل أن هارون مر على السامرى وهو يصوغ العجل فقال له ما هذا قال أصنع ما ينفع ولا يضر فادع لى فقال هارون اللهم اعطه ما سألك على ما فى نفسه فألقى التراب فى فم العجل وقال كن عجلا يخور فكان ذلك بدعوة هارون والحقيقة ذلك كان فتنة ابتلى الله بها بنى إسرائيل (ولقد قال لهم هارون من قبل) أى من قبل رجوع موسى (ياقوم إنما فتنتم به) ابتليتم بالعجل (وإن ربكم الرحمن فاتبعونى) على دينى فى عبادة الله (وأطيعوا أمرى) فى ترك عبادة العجل (قالوا لن نبرح) أى لن نزال (عليه) على عبادته (عاكفين) مقيمين (حتى يرجع (٢٢٥) إلينا موسى) فاعتزلهم هارون فى اثنى عشر ألفا وهم الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى وسمع الصياح والجلبة وكانوا يرقصون حول العجل قال للسبعين الذين كانوا معه هذا صوت الفتنة فلما رأى هارون أخذ شعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله و(قال) له (ياهارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا) أشركوا (ألا تتبعن) يعنى ان تتبعنى ولا صلة يعنى تتبع امرى ووصينى يعنى هلا قاتلهم وقد علمت انى لو كنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم وقيل أن لا تتبعنى اى ما منعك من اللحوق بى واخبارى بضلالتهم فتكون مفارقتك إياهم تقريعا ووزجرا لهم عما أتوه (أفعصيت أمرى) يعنى خالفت امرى (قال يا بن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى) يعنى بشعر رأسى وكان قد أخذ ذوائبه (إنى خشيت) لو انكرت عليهم لصاروا حزبين يقتل بعضهم بعضا) أن تقول فرقت بين

الأله لا يحل فى شىء ولا يحل فيه شىء ثم بين سبحانه وتعالى المعنى الذى يجب الاستدلال به فقال (أفلا يرون ألا يرجع اليهم قولا) يعنى ان العجل لا يرد لهم جوابا إذا دعوه ولا يكلمهم (ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا) هذا توبيخ لهم إذ عبدوا ما لا يملك ضر من ترك عبادته ولا ينفع من عبده وكان العجل فتنة من الله تعالى ابتلى به بنى إسرائيل * قوله عز وجل (ولقد قال لهم هارون من قبل) يعنى من قبل رجوع موسى (ياقوم إنما فتنتم به) يعنى ابتليتم بالعجل (وإن ربكم الرحمن فاتبعونى) على دينى فى عبادة الله (وأطيعوا أمرى) يعنى فى ترك عبادة العجل اعلم أن هارون عليه السلام سلك فى هذا الوعظ أحسن الوجوه لأنه زجرهم اولا عن الباطل بقوله إنما فتنتم به ثم دعا إلى معرفة الله تعالى بقوله إن ربكم الرحمن ثم دعاهم إلى معرفة النبوة بقوله فاتبعونى ثم دعاهم إلى الشرائع بقوله واطيعوا أمرى فهذا هو الترتيب الجيد لأنه لا بد من إماطة الأذى عن الطريق وهى إزالة الشبهات ثم معرفة الله فانها هى الأصل ثم النبوة ثم الشريعة وإنما قال وان ربكم الرحمن لخص هذا الموضع بهذا الاسم لأنه ينبههم على أنهم متى تابوا قبل الله توبتهم لأنه هو التواب الرحيم فقابلوا هذا القول بالاصرار والجحود (قالوا لن نبرح) يعنى لن نزال (عليه) يعنى على عبادة العجل (عاكفين) يعنى مقيمين (حتى يرجع الينا موسى) كأنهم قالوا لن نقبل حجتك ولا نقبل إلا قول موسى فاعتزلهم هارون ومعه اثنا عشر الفا الذين لم يعبدوا العجل فما رجع موسى سمع الصياح والجلبة وكانوا يرقصون حول العجل فقال للسبعين الذين معه هذا صوت الفتنة فلما راى هارون اخذ شعر راسه بيمينه ولحيته بشماله و(قال) له (ياهارون ما منعك إذ رايتهم ضلوا) يعنى اشركوا (الا تتبعن) يعنى تتبع امرى ووصيتى وهلا قاتلتهم وقد علمت انى لو كنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم وقيل معناه ما منعك من اللحوق بى واخبارى بضلالتهم فتكون مفارقتك اياهم زجرا لهم عما اتوه (افعصيت امرى) يعنى خالفت امرى (قال يا بن ام لا تأخذ بلحيتى ولا براسى) يعنى بشعر راسى وكان قد اخذ بذؤابتيه (انى خشيت ان تقول يعنى لو انكرت عليهم لصاروا حزبين يقتل بعضهم بعضا فتقول (فرقت بين بنى اسرائيل يعنى (ان خشيت ان فارقتهم واتبعتك ان يصيروا حزبا فيقاتلون فتقول فرقت بين بنى إسرائيل (ولم ترقب قولى) يعنى لم تحفظ وصيتى حين قلت لك اخلفنى فى قومى واصلح وارفق بهم ثم اقبل موسى على السامرى (قال فما خطبك) يعنى فما امرك وشأنك وما الذى حملك على ما صنعت (ياسامرى قال (يعنى السامرى (بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من اثر الرسول) يعنى من تراب حافر فرس جبريل (فنبذتها) يعنى قذفتها فى فم العجل فخار * فان قلت كيف عرف السامرى جبريل ورآه من بين سائر الناس * قلت ذكروا فيه وجهين احدهما ان امه ولدته فى السنة التى كان يقتل فيها البنون فوضعته فى كهف حذرا عليه من القتل فبعث الله اليه جبريل ليربيه لما قضى الله على يديه من الفتنة الوجه الثانى انه لما نزل جبريل إلى موسى ليذهب به إلى الطور وراه السامرى من بين سائر الناس فلما راه قال ان لهذا لشأنا فقبض القبضة من اصل تربة اثر موطئه

(٢٩ - خازن - بع) بنى إسرائيل) اى خشيت إن فارقتهم واتبعتك صاروا احزابا يتقاتلون فتقول انت فرقت بين بنى إسرائيل ولم ترقب قولى) ولم تحفظ وصيتى حين قلت لك اخلفنى فى قومى واصلح اى ارفق بهم ثم اقبل موسى على السامرى (قال فما خطبك) اى ما امرك وشأنك وما الذى حملك على ما صنعت (ياسامرى قال بصرت بما لم يبصروا به) رايت ما لم يروا وعرفت ما لم يعرفوا قرا حمزة والكسائى ما لم تبصروا بالتاء على الخطاب وقرا الاخرون بالياء على الخبر (فقبضت قبضة من اثر الرسول) اى من تراب اثر فرس جبريل (فنبذتها) اى القيتها فى فم العجل وقال بعضهم إنما خار لهذا الأن التراب كان مأخوذا من تحت حافر فرس جبريل فان قيل كيف عرفه ورأى جبريل من بين سائر الناس قيل لأن امه لما ولدته فى السنة التى يقتل فيها البنون وضعته فى الكهف حذرا عليه فبعث الله جبريل ليربيه لما قضى على يديه من الفتنة

(وكذلك سولت) أي زينت (لي نفسي قال فاذهب فان لك في الحياة) أي مادمت حيا (أن تقول لا مساس) أي لا تخالط أحدا ولا يخالطك أحد وامر موسى بني إسرائيل ان لا يخالطوه ولا يقربوه قال ابن عباس لا مساس لك ولولدك والمساس من المماسة معناه لا يمس بعضنا بعضا فصار السامري يهيم في البرية مع الوحوش والسباع لا يمس احدا ولا يمسه احد فعاقبه الله بذلك وكان التي احدا يقول لا مساس أي لا تقربني ولا تمسني وقيل كان إذا مس أحدا أو مسه أحدهما جميعا حتى أن ابقايا هم اليوم يقولون ذلك وإذا مس أحد من غيرهم أحدا منها حما جميعا في الوقت (وإن لك) يا سامري (موعدا) لعذابك (لن تخلفه) قرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب لن تخلفه بكسر اللام أي لن تغيب عنه ولا مذهب لك عنه بل توافيه يوم (٢٢٦) القيامة وقرأ الآخرون بفتح اللام أي لن تكذبه ولن يخلفك الله ومعناه ان الله تعالى يكافئك على فعلك ولا تفوته (وانظر إلى الهك) بزعمك (الذي ظلت عليه عاكفا) أي ظلت ودمت عليه مقيما تعبده والعرب تقول ظلت أفعل كذا بمعنى ظللت ومست بمعنى مسست وقرأ أبو جعفر بالتخفيف من الأحراق (لنحرقنه) لندرينه (في اليم) في البحر (نسفا) روى ان موسى اخذ العجل فذبحه فسال منه دم لأنه كان قد صار لحما ودما ثم حرقه النار ثم ذراه في اليم قرأ ابن محيصن لنحرقنه بفتح النون وضم الراء لنبردنه بالمبرد ومنه قيل للمبرد المحرق وقال السدي أخذ موسى العجل فذبحه ثم حرقه بالمبرد ثم ذراه في اليم انما الهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علما) وسع علمه كل شيء (كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق من الأمور (وقد آتيناك من لدنا ذكرا) أي القران (من أعرض عنه) أي عن القرآن فلم يؤمن به ولم يعمل بما فيه (فانا يحمل يوم القيامة وزرا) حملا ثقيلا من الاثم (خالدين فيه) مقيمين في عذاب الوزر (وساء لهم يوم القيامة حملا) أي بئس ما حملوا على انفسهم من الاثم كفروا وبالقران (يوم ينفخ في الصور) قرا أبو عمرو ننفخ بالنون وفتحها وضم الفاء لقوله ونحشر وقرأ الاخرون بالياء وضمها وفتح الفاء على غير تسمية الفاعل (ونحشر المجرمين) المشركين (يومئذ زرقا) والزرقة هي الخضرة في سواد العين فيحشرون زرق العيون سود الوجوه وقيل زرقا أي عميا وقيل عطاشا (يتخافتون بينهم) أي يتشاورن بينهم ويتكلمون خفية (إن لبثتم) اي ما مكثتم في الدنيا (إلا عشرا) اي عشر ليال وقيل في القبور وقيل بين النفختين وهو أربعون سنة لأن العذاب يرفع عنهم بين النفختين استقصروا مدة لبثهم لهول ما عاينوا قال الله تعالى (نحن أعلم بما يقولون) أي يتشاورون بينهم (إذ يقول امثلهم طريقة) اوفاهم عقلا واعدلهم قولا

فلما سأله موسى قال قبضت قبضة من أثر الرسول اليك يوم جاء للميعاد وقيل رآه يوم فلق البحر فأخذ القبضة وجعلها في عمامته لما يريد الله ان يظهره من الفتنة على يديه وهو قوله (وكذلك سولت) يعني زينت (لي نفسي) وقيل انه من السؤال والمعنى انه لم يدعني إلى فعله غيري واتبعت فيه هواي (قال) يعني موسى للسامري (فاذهب فان لك في الحياة) يعني مادمت حيا (ان تقول لا مساس يعني لا تخالط احدا ولا يخالطك أحد فعوقب في الدنيا بعقوبة ولا شيء أوحش منها ولا أعظم وذلك ان موسى امر بني إسرائيل ان لا يخالطوه ولا يقربوه وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته وقال ابن عباس رضي الله عنهما لا مساس لك ولولدك فصار السامري يهيم في البرية مع الوحش والسباع لا يمس احدا ولا يمسه احد وقيل كان إذا مس احدا او مسه أحد حما جميعا فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لا مساس حتى ان بقاياهم اليوم يقولون ذلك (وإن لك) يعني يا سامري (موعدا) يعني بعذابك في الاخرة (لن تخلفه) قرىء بكسر اللام ومعناه لن تغيب عنه ولا مذهب لك عنه بل توافيه يوم القيامة وقرىء بالفتح أي لن تكذبه ولم يخلفكه الله بل يكافئك على فعلك (وانظر إلى إلهك) يعني الذي تزعم (الذي ظلت عليه عاكفا) يعني دمت عليه مقيما تعبده (لنحرقنه) بالنار (ثم لننسفنه) أي لنذرينه (في اليم) يعني في البحر (نسفا) روى ان موسى اخذ العجل فذبحه فسال منه دم وحرقه في النار ثم ذراه في البحر وقيل معناه لنحرقنه أي لنبردنه فعلى هذا التأويل لم ينقلب لحما ودما فان ذلك لا يمكن أن يبرد بالمبرد ويمكن ان يقال صار لحما ودما فذبح ثم بردت عظامه بالمبرد حتى صارت بحيث يمكن نسفها في البحر فلما فرغ موسى من أمر العجل وإبطال ما ذهب اليه السامري رجع إلى بيان الدين الحق فقال مخاطبا لبني إسرائيل (إنما إلهكم الله) يعني المستحق للعبادة والتعظيم هو الله (الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علما) يعني وسع علمه كل شيء وقيل يعلم من يعبده قوله عز وجل (كذلك نقص عليك من أنباء) يعني من اخبار (ما قد سبق) يعني الأمم الخالية وقيل ما سبق من الأمور (وقد آتيناك من لدنا ذكرا) وهو القران (من أعرض عنه) يعني عن القرآن لم يؤمن به ولم يعمل بما فيه (فانه يحمل يوم القيامة وزرا) يعني حملا ثقيلا من الاثم (خالدين فيه) يعني مقيمين في عذاب الوزر (وساء لهم يوم القيامة حملا (يعني بئس ما حملوا أنفسهم من الاثم (يوم ينفخ في الصور) قيل هو قرن ينفخ فيه يدعى به الناس للمحشر والمراد بهذه النفخة النفخة الثانية لأنه اتبعه بقوله (ونحشر المجرمين يومئذ زرقا) يعني نحشر المجرمين زرق العيون سود الوجوه وقيل عميا وقيل عطاشا (يتخافتون) يعني يتشاورون (بينهم) ويتكلمون خفية (إن لبثتم) يعني مكثتم في الدنيا (الا عشرا) يعني عشر ليال وقيل في القبور قيل بين النفختين وهو مقدار اربعين سنة وذلك أن العذاب رفع عنهم بين النفختين فاستقصروا مدة لبثهم لهول ما عاينوا فقال الله تعالى (نحن اعلم بما يقولون) يعني يتشاورون فيما بينهم (إذ يقول امثلهم طريقة) أي أوفاهم عقلا

(إن لبثتم إلا يوما) قصر ذلك في أعينهم في جنب ما استقبلهم من أهوال يوم القيامة وقيل نسوا مقدار لبثهم لشدة ما دهمهم قوله (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا) قال ابن عباس سأل رجل من ثقيف رسول الله ﷺ فقال كيف تكون الجبال يوم القيامة فأنزل الله هذه الآية والنسف هو القلع يعني يقلعها من أصولها ويجعلها هباء منثورا (فيذرها) يعني فيدع أماكن الجبال من الأرض (قاعا صفصفا) يعني أرضا ملساء مستوية لا نبات فيها والقاع ما انبسط من الأرض والصفصف الأملس (لا ترى فيها عوجا ولا امتا) قال مجاهد انخفاضا وارتفاعا وقال الحسن العوج ما انخفض من الأرض والأمت ما نشز من الروابي يعني لا ترى واديا ولا رابية قال قتادة لا ترى فيها صدعا ولا أكمة (يومئذ يتبعون الداعي) يعني صوت الداعي الذي يدعوهم إلى موقف القيامة وهو إسرافيل وذلك أنه يضع الصور في فيه ويقول أيتها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلموا إلى عرض الرحمن (لا عوج له) يعني لدعائه وهو من المقلوب يعني لا عوج لهم عن دعاء الداعي لا يزيغون عنه يمينا ولا شمالا ولا يقدرون عليه بل يتبعونه سراعا (وخشعت الأصوات للرحمن) يعني سكنت وذلت وخضعت ووصف الاصوات بالخشوع والمراد أهلها (فلا تسمع إلا همسا) يعني صوت وطء الأقدام إلى المحشر والهمس الصوت الخفي كصوت اخفاف الابل في المشي وقال مجاهد هو تخافت الكلام وخفض الصوت وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال تحريك الشفاه من غير منطق (يومئذ لا تنفع الشفاعة) يعني لا تنفع الشفاعة أحدا من الناس (إلا من أذن له الرحمن) يعني إلا من أذن الله له أن يشفع (ورضي له قولا) يعني ورضي قوله قال ابن عباس يعني قال لا إله إلا الله وهذا يدل على أنه لا يشفع غير المؤمن (يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم) الكناية راجعة إلى الذين يتبعون الداعي اي يعلم الله ما بين ايديهم وما خلفهم وما خلفوا من امر الدنيا وقيل ما بين ايديهم من الاخرة وما خلفهم من الاعمال (ولا يحيطون به علما) قيل الكناية ترجع إلى ما يعني هو يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم وهم لا يعلمونه وقيل الكناية راجعة الى الله لان عباده لا يحيطون به علما (وعنت الوجوه للحي القيوم) يعني ذلت وخضعت ومنه قيل للاسير عان وقال طلق بن حبيب هو السجود على الجبهة للحي القيوم (وقد خاب من حمل ظلما) قال ابن عباس خسر من اشرك بالله والظلم هو الشرك (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما) قرأ ابن كثير فلا يخف بجزم على النهي جوابا لقوله تعالى ومن يعمل وقرأ الاخرون فلا يخاف مرفوعا على الخبر (ظلما ولا هضما) قال ابن عباس لا يخاف ان يزاد على سيآته ولا ان ينقص من حسناته وقال الحسن لا ينقص من ثواب حسناته ولا يحمل عليه ذنب مسيء وقال الضحاك لا يؤخذ بذنب لم يعمله وتبطل حسنة عملها واصل الهضم النقص والكسر ومنه هضم الطعام (وكذلك) يعني كما بينا في هذه السورة (انزلناه) يعني انزلنا هذا الكتاب (قرآنا عربيا)

وأعد لهم قولا (إن لبثتم إلا يوما) قصر ذلك في أعينهم في جنب ما استقبلهم من أهوال يوم القيامة وقيل نسوا مقدار لبثهم لشدة ما دهمهم قوله عز وجل (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا) قال ابن عباس سأل رجل من ثقيف رسول الله ﷺ فقال كيف تكون الجبال يوم القيامة فأنزل الله تعالى هذه الآية والنسف هو القلع يعني يقلعها من أصولها ويجعلها هباء منثورا (فيذرها) يعني يدع أماكن الجبال من الارض (قاعا صفصفا) يعني أرضا ملساء مستوية لا نبات فيها (لا ترى فيها عوجا ولا أمتا) يعني لا انخفاضا ولا ارتفاعا يعني لا ترى واديا ولا رابية (يومئذ يتبعون الداعي) يعني صوت الداعي الذي يدعوهم إلى موقف يوم القيامة وهو إسرافيل وذلك انه يضع الصور في فيه ويقف على صخرة بيت المقدس ويقول ايتها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلموا إلى عرض الرحمن (لا عوج له) يعني لا عوج لهم عن دعائه ولا يزيغون عنه يمينا ولا شمالا بل يتبعونه سراعا (وخشعت الأصوات للرحمن) يعني سكنت وذلت وخضعت وضعفت والمراد به اصحاب الأصوات وقيل خضعت الأصوات من شدة الفزع (فلا تسمع إلا همسا) وهو الصوت الخفي قال ابن عباس هو تحريك الشفاه من غير نطق وقيل أراد بالهمس صوت وطء الاقدام إلى المحشر كصوت أخفاف الابل (يومئذ لا تنفع الشفاعة) لاحد من الناس (إلا من أذن له الرحمن) يعني إلا من أذن له أن يشفع (ورضي له قولا) قال ابن عباس يعني قال لا إله إلا الله وفيه دليل على أنه يشفع غير المؤمن وقيل أن درجة الشافع درجة عظيمة فهي لا تحصل إلا لمن يأذن الله له فيها وكان عند الله مرضيا (يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم) قيل الكناية راجعة إلى الذين يتبعون الداعي يعني يعلم الله ما قدموا من الأعمال وما خلفوا من الدنيا وقيل الضمير يرجع إلى من أذن له الرحمن وهو الشافع والمعنى لا تنفع الشفاعة إلا لمن أذن له الرحمن أن يشفع ثم قال يعلم ما بين ايديهم يعني ايدي الشافعين وما خلفهم (ولا يحيطون به علما) قيل الكناية ترجع إلى ما يعني هو يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم وهم لا يعلمونه والمعنى أن العباد لا يحيطون بما بين أيديهم وما خلفهم علما وقيل الكناية راجعة إلى الله تعالى يعني ولا يحيطون بالله علما (وعنت الوجوه) يعني ذلت وخضعت في ذلك اليوم ويصير الملك والقهر لله تعالى دون غيره وذكر الوجوه وأراد بها المكلفين لان عنت من صفات المكلفين لا من صفات الوجوه وإنما خص الوجوه بالذكر لان الخضوع بها يتبين وفيها يظهر * وقوله تعالى (للحي القيوم) تقدم تفسيره (وقد خاب من حمل ظلما) قال ابن عباس خسر من أشرك بالله (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما) قال ابن عباس معناه لا يخاف أن يزاد على سيآته ولا ينقص من حسناته وقيل لا يؤخذ بذنب لم يعمله ولا تبطل عنه حسنة عملها قوله تعالى (وكذلك أنزلناه) أي كما بيناه في هذه السورة أو هذه الآية المتضمنة للوعيد انزلنا القرآن كله كذلك وقوله (قرآنا عربيا) يعني بلسان العرب ليفهموه

لتعجل به يعنى بلسان العرب (وصرفنا) يعنى بيننا (فيه من الوعيد) أى صرفنا القول فيه بذكر الوعيد (لعلهم يتقون) يعنى يجتنبون الشرك (او يحدث لهم ذكرا) يعنى يجدد لهم القران عبرة وعظة فيعتبروا ويتعظوا بذكر عتاب الله للامم الخالية (فتعالى الله الملك الحق) جل الله عن الحاد الملحدين وعما يقوله المشركون (ولا تعجل بالقرآن) أراد النبى ﷺ كان إذا نزل عليه جبريل بالقرآن يبادر فيقرأ معه قبل أن يفرغ جبريل مما يريد من التلاوة ومخافة الانفلات والنسيان فنهاه الله عن ذلك وقال لا تعجل بالقران يعنى لا تعجل بقراءته (من قبل ان يقضى إليك وحيه) يعنى من قبل ان يفرغ جبريل من الابلاغ نظيره قوله تعالى لا تحرك به لسانك وقرأ يعقوب نقضى بالنون وفتحها وكسر الضاد وفتح الياء وحيه بالنصب وقال (٢٢٨) مجاهد وقتادة معناه لا تقرئه اصحابك ولا تمله عليهم حتى يتبين لك معانيه (وقل رب زدنى علما) يعنى بالقرآن ومعانيه وقيل علما إلى ما علمت وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الاية قال اللهم زدنى إيمانا ويقينا قوله تعالى (ولقد عهدنا إلى ادم من قبل) يعنى امرناه واوحينا اليه ان لا يأكل من الشجرة من قبل هؤلاء الذين نقضوا عهدك وتركوا الايمان وهم الذين ذكرهم الله فى قوله تعالى لعلهم يتقون (فنسى) فترك الامر والمعنى انهم نقضوا العهد فان آدم أيضا عهدنا اليه فنسى (ولم نجد له عزما) قال الحسن لم نجد له صبرا عما نهى عنه وقال عطية العوفى حفظا لما امر به وقال ابن قتيبة رأيا معزوما حيث اطاع عدوه ابليس الذى حسده وابى ان يسجد له والعزم فى اللغة هو توطين النفس على الفعل قال ابو امامة الباهلى لو وزن حلم ادم بحلم جميع ولده لرجح حلمه وقد قال الله ولم نجد له عزما فان قيل اتقولون ان ادم كان ناسيا لامر الله حين اكل من الشجرة قيل يجوز ان يكون نسى امره ولم يكن النسيان فى ذلك الوقت مرفوعا عن الانسان بل كان مؤاخذا به وإنما رفع عنا وقيل نسى عقوبة الله وظن انه نهاه تنزيها قوله تعالى (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا إلا ابليس ابى) ان يسجد (فقلنا يا ادم إن هذا عدو لك ولزوجك) حواء (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) يعنى تتعب وتنصب ويكون عيشك من كد يمينك بعرق جبينك قال السدى يعنى الحرث والزرع والحصيد والطحن والخبز وقيل اهبط إلى ادم ثورا احمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق عن جبينه فذلك شقاؤه ولم يقل فتشقيا رجوعا به إلى ادم لأن تعبه اكثر فان الرجل هو الساعى على زوجته وقيل لاجل رؤوس الاى (ان لك ان لا تجوع فيها) اى فى الجنة (ولا تعرى وانك) قرا نافع وابو بكر بكسر الالف على الاستئناف وقرا الاخرون بالفتح نسقا على قوله الا تجوع فيها (لا تظما) لا تعطش

ويقفوا على اعجازه وحسن نظمه وخروجه عن كلام البشر (وصرفنا فيه من الوعيد) يعنى كررنا وفصلنا القول فيه بذكر الوعيد ويدخل تحت الوعيد بيان الفرائض والمحارم لأن الوعيد بهما يتعلق فتكريره وتصريفه يقتضى بيان الاحكام فلذلك قال تعالى (لعلهم يتقون) يعنى يجتنبوه الشرك والمحارم وترك الواجبات (او يحدث لهم ذكرا) يعنى إنما انزلنا القرآن ليصيروا متقين مجتنبين مالا ينبغى ويحدث لهم القرآن ذكرا يرغبهم فى الطاعات وفعل ما ينبغى وقيل معناه يحدد لهم القرآن عبرة وعظة فيعتبرون ويتعظون بذكر عقاب الله الامم السالفة قوله تعالى (فتعالى الله الملك الحق) يعنى جل الله وعظم عن الحاد الملحدين وعما يقوله المشركون والجاحدون وقيل فيه تنبيه على ما يلزم خلقه من تعظيمه وتمجيده وقيل إنما وصف نفسه بالملك الحق لأن ملكه لا يزول ولا يتغير وليس بمستفاد من قبل الغير ولا غيره أولى به منه (ولا تعجل بالقران) اراد النبى ﷺ كان إذا نزل عليه جبريل بالقران يبادره فيقرأ معه قبل ان يفرغ جبريل مما يريده من التلاوة ومخافة الانفلات أو النسيان فنهاه الله تعالى عن ذلك فقال الله تعالى ولا تعجل بالقران اى ولا تعجل بقراءته (من قبل أن يقضى إليك وحيه) يعنى من قبل ان يفرغ جبريل من الابلاغ وقيل معناه ولا تقرئه اصحابك ولا تمله عليهم حتى يتبين لك معناه (وقيل رب زدنى علما) فيه التواضع والشكر لله والمعنى زدنى علما إلى ما علمت فان لك فى كل شىء علما وحكمة قيل امر الله رسوله ﷺ بطلب الزيادة فى شىء إلا فى العلم وكان ابن مسعود إذا قرا هذه الاية يقول اللهم زدنى علما وإيمانا ويقينا قوله عز وجل (ولقد عهدنا إلى آدم) يعنى امرناه واوحينا اليه أن لا يأكل من الشجرة (من قبل) اى من هؤلاء الذين نقضوا عهدى وتركوا الايمان بى وهم الذين ذكرهم الله تعالى فى قوله تعالى لعلهم يتقون (فنسى) يعنى فترك ما عهدنا اليه من الاحتراز عن اكل هذه الشجرة واكل منها وقيل اراد النسيان الذى هو ضد الذكر (ولم نجد له عزما) اى صبرا عما نهى عنه وحفظا لما امر به وقيل معناه لم نجد له رأيا معزوما حيث اطاع عدوه ابليس الذى حسده وابى ان يسجد له وقيل معناه لم نجد له عزما على المقام على المعصية فيكون إلى المدح اقرب * قوله عز وجل (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا إلا إبليس ابى) ان يسجد (فقلنا يا ادم ان هذا) اى ابليس (عدو لك ولزوجك) اى حواء وسبب العداوة ما رأى من أثار نعمة الله على آدم فحسده فصار عدوا له (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) أسند الخروج اليه وان كان الله تعالى هو المخرج لأنه لما كان بوسوسته وفعل ادم ما يترتب عليه الخروج صح ذلك ومعنى تشقى تتعب وتنصب ويكون عيشك من كد يمينك بعرق جبينك وهو الحرث والزرع والحصد والطحن والخبز قيل اهبط إلى ادم ثورا احمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق عن جبينه فكان ذلك شقاءه * فان قلت لم اسند الشقاء إلى ادم دون حواء * قلت فيه وجهان احدهما ان فى ضمن شقاء الرجل شقاء اهله كما ان فى سعادته سعادتهم لانه القيم عليهم الثانى انه اريد بالشقاء التعب فى طلب القوت وذلك على الرجل دون المراة لان الرجل هو الساعى على زوجته (إن لك ان لا تجوع فيها) يعنى فى الجنة (ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها) أى تعطش (ولا تضحى) يعنى تبرز للشمس فيؤذيك حرها لانه ليس فى الجنة شمس

(فيها ولا تضحى) يعنى لا تبرز للشمس فيؤذيك حرها وقال عكرمة لا تصيبك الشمس واذاها لأنه ليس فى الجنة شمس وأهلها فى ظل ممدود (فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد) يعنى على شجرة ان أكلت منها بقيت مخلدا (وملك لا يبلى) لا يبيد ولا يفنى (فاكلا) يعنى آدم وحواء عليهما السلام (منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه) بأكل الشجرة (فغوى) يعنى فعل مالم يكن له فعله وقيل أخطأ طريق الحق وضل حيث طلب الخلد بأكل ما نهى عن أكله فخاب ولم ينل مراده وقال ابن الاعرابى اى فسد عليه عيشه وصار من العز الى الذل ومن الراحة الى التعب قال ابن قتيبة يجوز ان يقال ادم عاص لأنه انما يقال عاص لمن اعتاد فعل المعصية كالرجل يخيط ثوبه يقال خاط ثوبه ولا يقال هو خياط حتى يعاود ذلك ويعتاده حدثنا أبو الفضل زياد بن محمد الحنفى أنا أبو معاذ الشاه عبد الرحمن المزنى أبو بكر عبد الله بن محمد بن زياد النيسابورى ببغداد أنا يونس بن عبد الاعلى الصدفى انا سفيان ابن عيينة بن عمرو بن دينار عن طاوس سمع ابا هريرة يقول قال رسول الله ﷺ احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم انت أبونا واخرجتنا من الجنة فقال ادم يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده أفتلومنى على أمر قدره الله على قبل ان يخلقنى بأربعين سنة فحج ادم موسى وزاد قال ادم يا موسى بكم وجدت الله كتب التوراة قبل ان أخلق قال موسى بأربعين عاما قال ادم فهل وجدت فيها وعصى ادم ربه فغوى قال نعم أفتلومنى على ان عملت عملا كتبه الله على أن أعمله قبل ان يخلقنى بأربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج ادم موسى

شمس واهلها فى ظل ممدود والمعنى ان الشبع والرى والكسوة والسكن هى الأمور التى يدور عليها كفاف الانسان فذكر الله تعالى حصول هذه الأشياء فى الجنة وانه مكفى لا يحتاج الى كفاية كاف ولا الى كسب كاسب كما يحتاج اليه أهل الدنيا (فوسوس اليه الشيطان) أى انهى اليه الوسوسة كاسر اليه ثم بين تلك الوسوسة ما هى فقال (قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد) أى على الشجرة التى ان اكلت منها بقيت مخلدا (وملك لا يبلى) أى لا يبيد ولا يفنى رغبة فى دوام الراحة فكان الشىء الذى رغب فيه آدم رغبه إبليس فيه إلا ان الله تعالى وقف ذلك على الاحتراز عن تلك الشجرة وإبليس وقفه على الاقدام عليها وادم مع كمال علمه بأن الله تعالى هو خالقه وربه ومولاه وناصره وإبليس هو عدوه اعرض عن قول الله تعالى ولم يرد المخالفة ومن تأمل هذا السر عرف انه لا دافع لقضاء الله ولا مانع لما منه * وقوله تعالى (فأكلا منها) يعنى أكل آدم وحواء من الشجرة (فبدت لهما سوآتهما) أى عريا من الثياب التى كانت عليهما حتى بدت فروجهما وظهرت عوراتهما (وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) أى يلزقان بسوآتهما من ورق التين (وعصى آدم ربه) أى باكل الشجرة (فغوى) اى فعل مالم يكن له فعله وقيل أخطأ طريق الحق وضل حيث طلب الخلد باكل ما نهى عنه فخاب ولم ينل مراده وصار من العز إلى الذل ومن الراحة إلى التعب قال ابن قتيبة يجوز أن يقال عصى آدم ولا يجوز أن يقال آدم عاص لأنه انما يقال لمن اعتاد فعل المعصية كالرجل يخيط ثوبه ولا يقال هو خياط حتى يعاود ذلك مرارا ويعتاده (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم انت أبونا أخرجتنا من الجنة فقال له آدم انت يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده افتلومنى على أمر قدرة الله تعالى على قبل ان يخلقنى بأربعين عاما فحج آدم موسى وفى رواية لمسلم قال ادم بكم وجدت الله كتب التوراة قبل ان أخلق قال موسى بأربعين سنة قال فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال فهل تلومنى على أن عملت عملا كتب الله على أن أعمله قبل ان يخلقنى بأربعين سنة قال رسول الله ﷺ فحج ادم موسى ﴿الكلام على معنى الحديث وشرحه﴾ قوله احتج ادم وموسى المحاجة المجادلة والمخاصمة يقال حاججت فلانا فحججته اى جادلته فغلبته قال أبو سليمان الخطابى قد يحسب كثير من الناس ان معنى القدر والقضاء من الله تعالى على معنى الاجبار والقهر للعبد على ما قضاه وقدره ويتوهم ان قوله فحج ادم موسى من هذا الوجه وليس كذلك وإنما معناه الاخبار عن تقدم علم الله بما يكون من افعال العباد واكسابهم وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها والقدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر والقضاء فى هذا معناه الخلق وإذا كان الأمر كذلك فقد بقى عليهم من وراء علم الله فيهم افعالهم واكسابهم ومباشرتهم الأمور وملابستهم إياها عن قصد وتعمد وتقدم إرادة واختيار فالحجة إنما يلزمهم بها واللائمة تلحقهم عليها وجماع القول فى هذا انهما امران لا ينفك احدهما عن الاخر لأن احدهما بمنزلة الأساس والآخر بمنزلة البناء فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه وإنما موضع الحجة لآدم على موسى ان الله تعالى كان قد علم من ادم انه يتناول الشجرة ويأكل منها فكيف يمكنه ان يرد علم الله فيه وان يبطله بعد ذلك وإنما كان تناوله الشجرة سببا لنزوله إلى الأرض التى خلق لها وإنما أدلى ادم بالحجة على هذا المعنى ودفع لائمة موسى عن نفسه ولذلك قال أتلومنى على أمر قدره الله على من قبل أن يخلقنى ﴿فصل فى بيان عصمة الأنبياء وما قيل فى ذلك﴾ قال الامام فخر الدين الرازى اختلف الناس فى عصمة الأنبياء وضبط القول فيها يرجع الى أقسام أربعة أحدها ما يقع فى باب الاعتقاد وهو اعتقاد الكفر والضلال كان ذلك غير جائز عليهم الثانى ما يتعلق بالتبليغ فقد اجتمعت الأمة على كونهم معصومين عن الكذب ومواظبين

بيده أفتلومنى على أمر قدره الله على قبل ان يخلقنى بأربعين سنة فحج ادم موسى ورواه عبد الرحمن الأعرج عن أبى هريرة وزاد قال ادم يا موسى بكم وجدت الله كتب التوراة قبل ان أخلق قال موسى بأربعين عاما قال ادم فهل وجدت فيها وعصى ادم ربه فغوى قال نعم قال أفتلومنى على ان عملت عملا كتبه الله على أن أعمله قبل ان يخلقنى بأربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج ادم موسى

على التبليغ والتحريض ولا لارتفع الوثوق بالآراء واتفقوا على ان ذلك لا يجوز وقوعه منهم عمدا ولا سهوا ومن الناس من جوز ذلك سهوا قالوا لان الاحتراز عنه غير ممكن الثالث ما يتعلق بالفتيا فاجمعوا على انه لا يجوز خطؤهم فيها على سبيل العمد وأجازه بعضهم على سبيل السهو الرابع ما يقع فى أفعالهم فقد اختلفت الأمة فيه على خمسة أقوال أحدها قول من جوز عليهم الكبائر الثانى قول من منع من الكبائر وجوز الغائر على جهة العمد وهو قول أكثر المعتزلة الثالث لا يجوز أن يأتوا بصغيرة ولا كبيرة البتة بل على جهة التأويل وهو قول الجبائى الرابع انه لا يقع منهم الذنب على جهة السهو والخطأ الخامس أنه لا يقع منهم لا كبيرة ولا صغيرة لا على سبيل العمد ولا على سبيل السهو ولا على سبيل التأويل وهو قول الشيعة واختلف الناس فى وقت العصمة على ثلاثة أقوال أحدها قول من ذهب إلى انهم معصومون من حين وقت الولادة وهو قول الشيعة الثانى قول من ذهب إلى عصمتهم من وقت بلوغهم وهو قول أكثر المعتزله الثالث قول من ذهب إلى أن ذلك لا يجوز منهم بعد النبوة وهو قول أكثر أصحابنا وأبى الهذيل وابى على من المعتزلة قال الامام والمختار عندنا انه لم يصدر عنهم ذنب صغيرة ولا كبيرة من حين جاءتهم النبوة ويدل عليه وجوه أحدها لو صدر الذنب عنهم لكانوا أقل درجة من احد الأمة وذلك غير جائز لأن درجة الأنبياء غاية فى الرفعة والشرف الثانى لو صدر منه وجب ان لا يكون مقبول الشهادة فكان أقل حالا من عدول الأمة ذلك غير جائز أيضا لأن معنى النبوة والرسالة هو انه يشهد على الله انه شرع هذا الحكم وأيضا فانه يوم القيامة شاهد على الكل الثالث لو صدر من النبى ذنب وجب الاقتداء به فيه وذلك محال الرابع ثبت ببديهة العقل انه لا شىء أقبح ممن رفع الله درجته وائتمنه على وحيه وجعله خليفته فى عباده وبلاده فسمع ربه يناديه لا تفعل كذا فيقدم عليه ويفعله ترجيحا لغرضه واجتمعت الأمة على أن الأنبياء كانوا يأمرون الناس بطاعة الله فلو لم يطيعوه لدخلوا تحت قوله أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون وقال وما أريد ان أخالفكم إلى ما انهاكم عنه الخامس قال الله تعالى انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ولفظه للعموم فيتناول الكل ويدل على فعل ما ينبغى فعله وترك ما ينبغى تركه فثبت ان الانبياء كانوا فاعلين لكل خير وتاركين لكل منهى وذلك ينافى صدور الذنب عنهم السادس قال الله تعالى الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير وقال تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين وقال تعالى فى حق موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى وقال تعالى واذكر اعبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولى الأيدى والأبصار إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الأخيار وغير ذلك من الايات التى تدل على كونهم موصوفين بالاصفاء والخيرة وذلك ينافى صدور الذنب عنهم وذكر غير ذلك من الوجوه قال وأما المخالف فقد تمسك بآيات منها قصة ادم هذه والجواب عنها ان نقول ان كلامهم إنما يتم إن لو بينوا بالدلالة ان ذلك كان حال النبوة وذلك ممنوع ولم لا يجوز أن يقال ان ادم حال ما صدرت عنه هذه الأشياء ما كان نبيا وان هذه الواقعة كانت قبل النبوة وان الله تعالى قبل توبته وشرفه بالنبوة والرسالة وقال القاضى عياض وأما قصة آدم وقوله وعصى ادم ربه فغوى أى جهل وقيل أخطأ فقد أخبر الله تعالى بعذره فى قوله ولقد عهدنا إلى ادم من قبل فنسى ولم نجد له عزما أى نسى عداوة إبليس له وما عهد اليه وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنه اغتر بحلف إبليس له انى لكما لمن الناصحين وتوهم ان أحدا لا يحلف بالله كاذبا وقيل نسى ولم ينو المخالفة فلذلك قال ولم نجد له عزما أى قصدا للمخالفة وقيل بل أكل من الشجرة متأولا وهو لا يعلم انها الشجرة التى نهى عنها لأنه تأول نهى الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل إنما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل تأول الله تعالى لم ينه عنها نهى تحريم * فان قلت إذا نفيت عنهم الذنوب والمعاصى فما معنى قوله وعصى ادم ربه فغوى وما تكرر فى القران والحديث من اعتراف الأنبياء بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم وإشفاقهم وبكائهم على ما سلف منهم وهل يتوب ويستغفر من لا شىء عليه * قلت ان درجة الأنبياء

(ثم اجتباه ربه) اختاره واصطفاه (فتاب عليه) بالعفو (وهدى) هداه إلى التوبة حتى قالا ربنا ظلمنا أنفسنا (قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فأما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى) يعنى الكتاب والرسول (فلا يضل ولا يشقى) روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال من قرأ القران واتبع مافيه هداه الله فى الدنيا من الضلالة ووقاه الله يوم القيامة سوء الحساب وذلك بأن الله يقول فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى وقال الشعبى عن ابن عباس اجاره الله تعالى تابع القران من ان يضل فى الدنيا ويشقى فى الاخرة وقرا هذه الاية (ومن اعرض عن ذكرى) يعنى القران فلم يؤمن به ولم يتبعه (فان له معيشة ضنكا) ضيقا روى عن ابن مسعود وابى هريرة وابى سعيد الخدرى انهم قالوا هو عذاب القبر قال ابو سعيد يضغط حتى تختلف اضلاعه وفى بعض المسانيد مرفوعا يلتئم عليه القبر حتى تختلف اضلاعه فلا يزال يعذب حتى يبعث وقال الحسن هو الزقوم والضريع والغسلين فى النار وقال عكرمة هو الحرام وقال الضحاك هو الكسب الخبيث وعن ابن عباس قال الشقاء وروى عنه انه قال كل ما اعطى العبد قل ام كثر فلم يتق فيه فلا خير فيه وهو الضنك فى المعيشة وان اقواما اعرضوا عن الحق وكانوا اولى سعة من الدنيا مكثرين فكانت معيشتهم ضنكا وذلك انهم يرون ان الله ليس بمخلف لهم فاشتدت عليهم معايشهم من سوء ظنهم بالله قال سعيد بن جبير يسلبه القناعة حتى لا يشبع (ونحشره يوم القيامة اعمى) قال ابن عباس اعمى البصر وقال مجاهد اعمى عن الحجة (قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا) بالعين أو بصيرا بالحجة (قال كذلك) يعنى كما (اتتك آياتنا فنسيتها) فتركتها واعرضت عنها (وكذلك اليوم تنسى) تترك فى النار قال قتادة نسوا من الخير ولم ينسوا من العذاب (وكذلك نجزى من أسرف) أشرك (ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الاخرة اشد) مما يعذبهم به فى الدنيا والقبر (وابقى) وادوم (افلم يهد لهم) يبين لهم القران يعنى كفار مكة (كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم) ديارهم ومنازلهم إذا سافروا والخطاب لقريش كانوا يسافرون إلى الشام فيرون ديار المهلكين من أصحاب الحجر وثمود وقريات قوم لوط (إن فى ذلك لايات لاولى النهى) لذوى العقول (ولولا كلمة سبقت من ربك)

فى الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته فى عباده وعظيم سلطانه وقوة بطشة مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله والاشفاق من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم وانهم فى تصرفهم بأمور لم ينهوا عنها ولم يؤمروا بها واتوها على وجه التأويل او السهو وتعزيد وامن امور الدنيا المباحة اوخذوا عليها وعوتبوا بسببها او حذروا من المؤاخذة بها فهم خائفون وجلون وهى ذنوب بالاضافة إلى علو منصبهم ومعاص بالنسبة إلى كمال طاعتهم لانها ذنوب كذب غيرهم ومعاصيهم كان هذا ادنى افعالهم واسوأ مايجرى من احوالهم كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين اى يرونها بالاضافة إلى علو احوالهم كالسيئات وسنذكر فى كل موضع مايليق به وماقيل فيه إن شاء الله تعالى * قوله عز وجل (ثم اجتباه ربه) اى اختاره واصطفاه (فتاب عليه) اى عاد عليه بالعفو والمغفرة (وهدى) اى هداه لرشده حتى رجع إلى الندم والاستغفار (قال اهبطا منها جميعا) قيل الخطاب لادم ومعه ذريته ولابليس ومعه ذريته فصح قوله اهبطا لاشتمال كل واحد من الجنسين الكثرة وقيل الخطاب لادم وحواء لأنهما أصل البشر فجعلا كأنهما البشر فخوطبا بلفظ الجمع (بعضكم لبعض عدو) وقيل فى تقوية هذا الظاهر حقه ان يكون إبليس والشياطين اعداء للناس ويحتمل ان يكون بعض الفريقين لبعض عدوا (فأما يأتينكم منى هدى) اى كتاب ورسول (فمن اتبع هداى) اى الكتاب والرسول (فلا يضل ولا يشقى) قال ابن عباس من قرا القران واتبع مافيه هداه الله من الضلالة ووقاه يوم القيامة سوء الحساب وذلك لان الله تعالى يقول فمن اتبع هداى فلا يضل يعنى فى الدنيا ولا يشقى يعنى فى الاخرة (ومن اعرض عن ذكرى) يعنى القران فلم يؤمن به ولم يتبعه (فان له معيشة ضنكا) روى عن ابن مسعود وأبى هريرة وأبى سعيد الخدرى رضى الله عنهم أنهم قالوا هو عذاب القبر قال أبو سعيد يضغط فى القبر حتى تختلف اضلاعه وفى بعض المسانيد مرفوعا يلتئم عليه القبر حتى تختلف أضلاعه فلا يزال يعذب حتى يبعث وقيل هو الزقوم والضريع والغسلين فى النار وقيل هو الحرام والكسب الخبيث وقال ابن عباس الشقاء وعنه قال كل ما اعطى العبد قل ام كثر فلم يتق فيه فلا خير فيه وهو الضنك فى المعيشة وان قوما اعرضوا عن الحق وكانوا اولى سعة من الدنيا مكثرين منها فكانت معيشتهم ضنكا وذلك انهم يرون ان الله ليس بمخلف لهم فاشتدت عليهم معايشهم من سوء ظنهم بالله تعالى وقيل يسلب القناعة حتى لا يشبع (ونحشره يوم القيامة اعمى) قال ابن عباس اعمى البصر وقيل اعمى عن الحجة (قال رب لم حشرتنى اعمى وقد كنت بصيرا) يعنى بصير العين او بصير بالحجة (قال كذلك) يعنى كما (اتتك اياتنا فنسيتها) يعنى واعرضت عنها (وكذلك اليوم تنسى) يعنى تترك فى النار وقيل نسوا من من الخير والرحمة ولم ينسوا من العذاب (وكذلك نجزى من أسرف) يعنى كما جزينا من أعرض عن القران كذلك نجزى من اسرف يعنى اشرك (ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الاخرة اشد) يعنى مما يعذبهم الله به فى الدنيا والقبر (وابقى) يعنى وادوم * قوله تعالى (افلم يهد لهم) يعنى افلم يبين القرآن لكفار مكة (كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم) يعنى فى ديارهم ومنازلهم إذا سافروا وذلك ان قريشا كانو يسافرون إلى الشام فيرون ديار المهلكين من أصحاب الحجر وهم ثمود وقريات قوم لوط (إن فى ذلك لايات لأولى النهى) يعنى لذوى العقول (ولولا كلمة سبقت من ربك)

لكان لزاما وأجل مسمى) فيه تقديم وتأخير تقديره ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى والكلمة الحكم بتأخير العذاب عنهم
أي ولولا حكم سبق بتأخير العذاب عنهم وأجل مسمى وهو القيامة لكان لزاما اى لكان العذاب لازما لهم كما لزم القرون الماضية الكافرة
(فاصبر على ما يقولون) نسختها اية القتال (وسبح بحمد ربك) اى صل بأمر ربك وقيل صل لله بالحمد له والثناء عليه (قبل طلوع الشمس)
يعنى صلاة الصبح (وقبل غروبها) صلاة العصر (ومن اناء الليل) ساعاتها واحدها انى (فسبح) يعنى صلاة المغرب والعشاء. قال ابن عباس
يريد اول الليل (واطراف النهار) يعنى صلاة الظهر وسمى وقت الظهر اطراف النهار لان وقته عند الزوال وهو النصف الأول انتهاء
وطرف النصف الاخر ابتداء. وقيل المراد من اناء الليل صلاة العشاء. ومن اطراف النهار صلاة الظهر والمغرب لأن الظهر فى اخر الطرف
الأول من النهار وفى أول الطرف الآخر من النهار فهو فى طرفين منه والطرف الثالث غروب الشمس وعند ذلك يصلى المغرب (لعلك
ترضى) اى ترضى ثوابه فى المعاد وقرأ الكسائى وابو بكر عن عاصم ترضى بضم التاء اى تعطى ثوابه وقيل ترضى اى يرضاك

الله تعالى كما قال وكان عند ربه مرضيا وقيل معنى الاية لعلك ترضى بالشفاعة كما قال ولسوف يعطيك ربك فترضى اخبرنا ابو سعيد احمد بن محمد بن العباس الخطيب الحميدى انا ابو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ انا ابو عبد الله محمد بن يعقوب الشيبانى املاء انا ابراهيم بن عبد الله السعدى أنا يزيد بن هرون انا اسمعيل بن ابى خالد عن قيس بن ابى حازم عن جرير ابن عبد الله قال كنا جلوسا عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها قوله تعالى (ولا تمدن عينيك) قال أبو رافع نزل برسول الله ﷺ ضيف فبعثنى إلى يهودى فقال لى قل له ان رسول الله يقول لك يعنى كذا وكذا من الدقيق واسلفنى إلى هلال رجب فاتيته فقلت له ذلك فقال والله لا ابيعه ولا اسلفه إلا برهن فأتيت رسول الله ﷺ فاخبرته فقال والله لئن باعنى واسلفنى لقضيته وإنى لأمين فى السماء وامين فى الأرض اذهب بدرعى الحديد اليه فنزلت هذه الاية ولا تمدن عينيك لا تنظر (إلى ما متعنا به) اعطينا (ازواجا) أصنافا (منهم زهرة الحياة الدنيا) يعنى زينتها وبهجتها وقرا يعقوب زهرة بفتح الهاء وقرا العامة بجزمها (لنفتنهم فيه) يعنى لنجعل ذلك فتنة لهم بأن ازيد لهم النعمة فيزيدوا كفرا وطغيانا (ورزق ربك) فى المعاد يعنى فى الجنة (خير وابقى) قال ابى بن كعب من لم يستعز بعز الله تقطعت نفسه حسرات ومن يتبع بصره فيما فى ايدى الناس يطل حزنه ومن ظن ان نعمة الله فى مطعمه ومشربه وملبسه فقد قل عمله وحضر عذابه (وامر اهلك بالصلاة) يعنى قومك وقيل من كان على دينك كقوله تعالى وكان يأمر اهله بالصلاة (واصطبر عليها) يعنى اصبر على الصلاة فانها تنهى عن الفحشاء والمنكر (لا نسئلك رزقا)

أى ولو حكم سبق بتأخير العذاب عنهم (لكان لزاما وأجل مسمى) تقديره ولولا كلمة سبقت من ربك
واجل مسمى وهو القيامة لكان العذاب لازما لهم فى الدنيا كما لزم القرون الماضية الكافرة (فاصبر على ما
يقولون) نسختها اية السيف (وسبح بحمد ربك) اى صل بأمر ربك (قبل طلوع الشمس) يعنى صلاة الفجر
(وقبل غروبها) اى صلاة العصر (ومن اناء الليل) اى ومن ساعاته (فسبح) يعنى فصل المغرب والعشاء. قال
ابن عباس يريد اول الليل (واطراف النهار) يعنى صلاة الظهر سمى وقت الظهر اطراف النهار لأن وقته عند
الزوال وهو طرف النصف الأول انتهاء وظرف النصف الاخر ابتداء (لعلك ترضى) اى ترضى ثوابه فى
المعاد وقيل معناه لعلك ترضى بالشفاعة وقرىء ترضى بضم التاء اى تعطى ثوابه وقيل يرضاك ربك (ق) عن
جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر وقال انكم سترون ربكم
عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل
غروبها فافعلوا ثم قرا وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها قوله لا تضامون بتخفيف الميم من
الضيم وهو الظلم والمعنى انكم ترونه جميعا لا يظلم بعضكم بعضا فى رؤيته وروى بتشديد الميم من الانضمام
والأزدحام اى لا يزدحم ولا ينضم بعضكم إلى بعض فى رؤيته والكاف فى قوله كما ترون هذا القمر كاف
التشبيه للرؤية لا للمرئى وهى فعل الرائى ومعناه ترون ربكم رؤية يزاح معها الشك كرؤيتكم هذا القمر ليلة
البدر لا ترتابون فيه ولا تشكون قوله عز وجل (ولا تمدن عينيك) قال ابو رافع نزل برسول الله ﷺ ضيف
فبعثنى إلى يهودى فقال قل له ان رسول الله ﷺ يقول يعنى كذا وكذا من الدقيق اوسلفنى إلى هلال رجب
فأتيته فقلت له ذلك فقال والله لا ابيعه ولا اسلفه إلا برهن فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته فقال والله
لئن باعنى او اسلفنى لقضيته وإنى لأمين فى السماء وامين فى الارض اذهب بدرعى الحديد اليه فنزلت هذه الاية
ولا تمدن عينيك اى لا تنظر نظرا نكادا تردده استحسانا للمنظور اليه واعجابا به وتمنيا له (إلى ما متعنا به) اى
اعطينا (ازواجا) اى اصنافا (منهم زهرة الحياة الدنيا) اى زينتها وبهجتها (لنفتنهم فيه) اى لنجعل ذلك فتنة
لهم بأن نزيد النعمة فيزيدوا كفرا وطغيانا (ورزق ربك) يعنى فى المعاد فى الجنة (خير وابقى) يعنى ادوم
وقال أبى ابن كعب من لم يعتز بعز الله تقطعت نفسه حسرات ومن اتبع بصره ما فى ايدى الناس بطل حزنه ومن
ظن أن نعمة الله عليه فى مطعمه ومشربه وملبسه فقد قل عمله وحضر عذابه * قوله تعالى (وأمر أهلك) يعنى
قومك وقيل من كان على دينك (بالصلاة) يعنى بالمحافظة عليها (واصطبر عليها) يعنى اصبر على الصلاة فانها
تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل اصبر عليها فعلا فان الوعظ بلسان الفعل أبلغ منه بلسان القول (لا نسئلك رزقا)

لا نكلفك أن ترزق أحدا من خلقنا ولا أن ترزق نفسك وإنما نكلفك عملا (نحن نرزقك والعاقبة) الخاتمة الجميلة المحمودة (للتقوى) أى لأهل التقوى قال ابن عباس يعنى الذين صدقوك واتبعوك واتقوني وفى بعض المسانيد ان النبي ﷺ كان إذا أصاب أهله ضرا أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية قوله تعالى (وقالوا) يعنى المشركين (لولا يأتينا بآية من ربه) أى الآية المقترحة فانه كان قد أتاهم بآيات كثيرة (أولم تأتهم بينة) قرأ أهل المدينة والبصرة وحفص عن عاصم تأتهم لتأنيث البينة وقرأ الاخرون بالياء لتقدم الفعل ولأن البينة هى البيان فرد إلى المعنى بينة (ما فى الصحف الأولى) يعنى بيان ما فيها وهو القران أقوى دلالة وأوضح اية وقيل أولم يأتهم بيان ما فى الصحف الأولى التوراة والإنجيل وغيرهما من أنباء الأمم انهم اقترحوا الايات فلما اتتهم ولم يؤمنوا بها كيف عجلنا لهم (٢٣٣) العذاب والهلاك فما يؤمنهم ان اتتهم الاية ان يكون حالهم كحال أولئك (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله) يعنى من قبل إرسال الرسول وإنزال القران (لقالوا ربنا لولا) هلا (ارسلت الينا رسولا) يدعونا اى لقالوا يوم القيامة (فنتبع اياتك من قبل أن نذل ونخزى) بالعذاب والذل والهوان والخزى والافتضاح (قل كل متربص) منتظر دوائر الزمان وذلك أن المشركين قالوا نتربص بمحمد حوادث الدهر فاذا مات تخلصنا قال الله تعالى (فتربصوا) فانتظروا (فستعلمون) إذا جاء امر الله وقامت القيامة (من اصحاب الصراط السوى) المستقيم (ومن اهتدى) من الضلالة نحن أم أنتم

﴿سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مكية وهى مائة واثنتا عشرة اية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اقترب للناس) قيل اللام بمعنى من يعنى اقترب من الناس حسابهم يعنى وقت

أى لا نكلفك أن ترزق أحدا من خلقنا ولا أن ترزق نفسك بل نكلفك عملا (نحن نرزقك) أى بل نحن نرزقك ونرزق اهلك (والعاقبة للتقوى) اى الخصلة المحمودة لأهل التقوى قال ابن عباس الذين صدقوك واتبعوك وامنوا بك وفى بعض المسانيد النبي ﷺ كان إذا أصاب اهله ضرا أمرهم بالصلاة وتلا هذه الاية قوله تعالى (وقالوا) يعنى المشركين (لولا يأتينا بآية من ربه) اى بالاية المقترحة فانه كان قد اتاهم بآيات كثيرة (اولم تأتهم بينة ما فى الصحف الأولى) اى بيان ما فيها وهو القران لأنه أقوى دلالة وأوضح اية وقيل معنى ما فى الصحف ما فى التوراة والإنجيل وغيرهما من أخبار الأمم أنهم اقترحوا الايات فلما اتتهم لم يؤمنوا فجعلنا لهم العذاب والهلاك فما يؤمنهم إن اتتهم الاية ان يكون حالهم كحال اولئك وقيل بينة ما فى الصحف الأولى هى البشارة بمحمد ﷺ ونبوته وبعثه (ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله) اى من قبل إرسال الرسل وإنزال القران (لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا) أى لقالوا يوم القيامة لولا أرسلت الينا رسولا يدعونا (فنتبع اياتك من قبل نذل ونخزى) بالعذاب والهوان والافتضاح (قل كل متربص) اى منتظر دوائر الزمان وذلك ان المشركين قالوا نتربص بمحمد ريب المنون وحوادث الدهر فاذا مات تخلصنا قال الله تعالى (فتربصوا) اى فانتظروا (فستعلمون) اى إذا جاء امر الله وقامت القيامة (من اصحاب الصراط السوى) يعنى المستقيم (ومن اهتدى) يعنى من الضلالة نحن ام أنتم والله اعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام﴾ وهى مكية وعدد اياتها مائة واثنتا عشرة اية وألف وثمان وستون كلمة وأربعة الاف وثمانمائة وتسعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (اقترب للناس حسابهم) أى وقت محاسبة الله اياهم على أعمالهم يوم القيامة نزلت فى منكرى البعث وإنما ذكر الله هذا الاقتراب لما فيه من المصلحة للمكلفين فيكونون اقرب إلى التأهب له والمراد بالناس المحاسبون وهم المكلفون دون غيرهم وقيل هم المشركون وهذا من باب إطلاق إسم الجنس على بعضه (وهم فى غفلة معرضون) اى من التأهب له وقيل معناه أنهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون فى عاقبتهم مع اقتضاء عقولهم انه لا بد من جزاء المحسن والمسىء ثم إذا نبهوا من سنة الغفلة بما يتلى عليهم من الايات والنذر أعرضوا عنه (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) يعنى ما يحدث الله من تنزيل شىء من القرار يذكرهم ويعظهم به وقيل معناه ان الله يحدث الأمر بعد الأمر فينزل الاية بعد الاية والسورة بعد السورة فى وقت الحاجة لبيان الأحكام وغيرها من الأمور والوقائع وقيل الذكر المحدث ما قاله النبي ﷺ وبينه من السنن والمواعظ سوى ما فى القران وأضافه اليه لأن الله تعالى قال وما ينطق عن الهوى ان هو إلا وحى يوحى (إلا استمعوه وهم يلعبون) اى لاعبين لا يعتبرون ولا يتعظون (لاهية قلوبهم)

(٣٠ - خازن - بع) محاسبة الله اياهم على أعمالهم يعنى يوم القيامة نزلت فى منكرى البعث (وهم فى غفلة معرضون) عن التأهب له (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) يعنى ما يحدث الله من تنزيل شىء من القران يذكرهم ويعظهم به قال مقاتل يحدث الله الأمر بعد الأمر وقيل الذكر المحدث ما قاله النبي ﷺ وبينه من السنن والمواعظ سوى القران وأضافه إلى الرب عز وجل لأنه قال بامر الرب (إلا استمعوه وهم يلعبون) يعنى استمعوه لاعبين لا يعتبرون ولا يتعظون (لاهية) ساهية غافلة (قلوبهم) معرضة عن ذكر الله وقوله لاهية نعت تقدم الإسم ومن حق النعت أن يتبع الإسم فى الإعراب وإذا تقدم النعت الإسم فله حالتان فصل ووصل فحالته فى الفصل النصب كقوله تعالى خشعا أبصارهم ودانية عليهم ظلالها ولاهية قلوبهم وفى الوصل حالة ما قبله من الإعراب كقوله ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها

(وأسروا النجوى الذين ظلموا) يعنى أشركوا قوله وأسروا فعل تقدم الجمع وكان حقه وأسر وقال الكسائى فيه تقديم وتأخير أراد الذين ظلموا أسروا النجوى وقيل حمل الذين رفع على الابتداء معناه وأسروا النجوى ثم قال وهم الذين ظلموا وقيل رفع على البدل من الضمير فى أسروا قال المبرد هذا كقولك ان الذين فى الدار انطلقوا بنو عبد الله على البدل مما فى انطلقوا ثم بين سرهم الذين تناجوا به فقال (هل هذا إلا بشر مثلكم) أنكروا إرسال البشر وطلبوا إرسال الملائكة (أفتأتون السحر) يعنى تحضرون السحر وتقبلونه (وأنتم تبصرون) تعلمون أنه سحر (قال) لهم محمد (ربى يعلم القول فى السماء والأرض) قرأ حمزة والكسائى وحفص قال ربى على الخبر عن محمد ﷺ يعلم القول فى السماء والأرض أى لا يخفى عليه شىء (وهو السميع) لأقوالهم (العليم) بأفعالهم (بل قالوا أضغاث أحلام) أباطيلها وأقاويلها وأهاويلها راها فى النوم (بل افتراه) اختلقه (بل هو شاعر) يعنى ان المشركين اقتسموا (٢٣٤) القول فيه وفيما يقوله قال بعضهم أضغاث أحلام وقال بعضهم بل هو قرية وقال بعضهم بل محمد شاعر وما جاءكم به شعر (فليأتنا) محمد (بآية) إن كان صادقا (كما أرسل الأولون) من الرسل بالآيات قال الله تعالى مجيبا لهم (ما آمنت قبلهم) اى قبل مشركى مكة (من قرية) اى من اهل قرية اتتهم الآيات (اهلكناها) اهلكناهم بالتكذيب (افهم يؤمنون) إن جاءتهم آية معناه أولئك لم يؤمنوا بالآيات لما أتتهم أفيؤمن هؤلاء (وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحى إليهم) هذا جواب لقولهم هل هذا إلا بشر مثلكم يعنى انا لم نرسل الملائكة إلا الأولين إنما أرسلنا رجالا نوحى اليهم (فاسئلوا أهل الذكر) يعنى اهل التوراة والانجيل يريد علماء اهل الكتاب فانهم لا ينكرون أن الرسل كانوا بشرا وإن أنكروا نبوة محمد ﷺ وأمر المشركين بمسألتهم لأنهم إلى تصديق من لم يؤمن بالنبى ﷺ اقرب منهم إلى تصديق من آمن به وقال ابن زيد أراد بالذكر القرآن فاسألوا المؤمنين العالمين من اهل القرآن (إن كنتم لا تعلمون وما جعلناهم) أى (إذا الرسل (جسدا) ولم يقل اجسادا لأنه إسم الجنس (لا يأكلون الطعام) هذا رد لقولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام يقول لم نجعل الرسل ملائكة بل جعلناهم بشرا لا يأكلون الطعام (وما كانوا خالدين) فى الدنيا (ثم صدقناهم الوعد) الذى وعدناهم باهلاك أعدائهم (فأنجيناهم ومن نشاء) يعنى أنجينا المؤمنين الذين صدقوهم (وأهلكنا المسرفين) يعنى المشركين المكذبين وكل مشرك مسرف على نفسه (لقد أنزلنا إليكم كتابا يا معشر قريش (فيه ذكركم) يعنى شرفكم كما قال وإنه لذكر لك ولقومك وهو شرف لمن امن به وقال مجاهد وفيه حديثكم وقال الحسن فيه ذكركم اى ذكر ما تحتاجون إليه من أمر دينكم (افلا تعقلون وكم قصمنا) اهلكنا والقصم الكسر (من قرية كانت ظالمة اى كافرة يعنى اهلها (وأنشأنا بعدها) يعنى أحدثنا بعد هلاك أهلها (قوما آخرين فلما أحسوا باسنا) أى رأوا عذابنا بحاسة البصر

أى ساهية معرضة غافلة عن ذكر الله (وأسروا النجوى الذين ظلموا) أى بالغوا فى اخفاء التناجى وهم الذين اشركوا ثم بين سرهم الذين تناجوا به فقال تعالى مخبرا عنهم (هل هذا إلا بشر مثلكم) يعنى انهم أنكروا إرسال البشر وطلبوا إرسال الملائكة والأولى إرسال البشر إلى البشر لأن الانسان إلى القبول من اشكاله اقرب (افتأتون السحر) يعنى أتحضرون السحر وتقبلونه (وأنتم تبصرون) يعنى تعلمون أنه سحر (قال) لهم محمد (ربى يعلم القول فى السماء والأرض) يعنى لا يخفى عليه شىء (وهو السميع) لأقوالهم (العليم) بأفعالهم * قوله عز وجل (بل قالوا أضغاث أحلام) يعنى أباطيل وأهاويل راها فى النوم (بل افتراه) يعنى اختلقه (بل هو شاعر) وذلك ان المشركين اقتسموا القول فى النبى ﷺ وفيما يقوله فقال بعضهم اضغاث أحلام وقال بعضهم بل هو قرية وقال بعضهم هو شاعر وما جاءكم به شعر (فليأتنا) يعنى النبى ﷺ (بآية) يعنى بحجة ان كان صادقا (كما أرسل الأولون) اى من الرسل بالآيات قال الله تعالى مجيبا لهم (ما آمنت قبلهم) اى قبل مشركى مكة (من قرية) أى من اهل قرية اتتهم الآيات (اهلكناها) يعنى بالتكذيب (فهم لا يؤمنون) يعنى ان جاءتهم آية والمعنى ان أولئك لم يؤمنوا بالآيات لما جاءتهم أفيؤمن هؤلاء * قوله تعالى (وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحى إليهم) هذا لقولهم هل هذا إلا بشر مثلكم والمعنى إنا لم نرسل الملائكة إلى الأولين إنما أرسلنا رجالا نوحى إليهم مثلك (فاسئلوا أهل الذكر) يعنى اهل التوراة والانجيل يريد علماء اهل الكتاب فانهم لا ينكرون أن الرسل كانوا بشرا وإن أنكروا نبوة محمد ﷺ امر الله المشركين بسؤال اهل الكتاب لأن المشركين اقرب إلى تصديقهم من تصديق من امن بالنبى ﷺ وقيل اراد بالذكر القران يعنى فاسئلوا المؤمنين العالمين من أهل القرآن (إن كنتم لا تعلمون) * قوله عز وجل (وما جعلناهم) أى الرسل (جسدا لا يأكلون الطعام) هذا رد لقولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام والمعنى لم نجعلهم ملائكة بل جعلناهم بشرا يأكلون الطعام (وما كانوا خالدين) يعنى فى الدنيا بل يموتون كغيرهم (ثم صدقناهم الوعد) يعنى الذى وعدناهم باهلاك أعدائهم (فأنجيناهم ومن نشاء) يعنى من المؤمنين الذين صدقوهم (وأهلكنا المسرفين) يعنى المشركين لأن المشرك مسرف على نفسه * قوله عز وجل (ولقد أنزلنا إليكم) يعنى يا معشر قريش (كتابا فيه ذكركم) يعنى شرفكم وفخركم وهو شرف لمن امن به وقيل معناه فيه حديثكم وقيل فيه ذكر ما يحتاجون اليه من أمر دينكم وقيل فيه تذكرة لكم لتحذروا فيكون الذكر بمعنى الوعد والوعيد (أفلا تعقلون) فيه بعث على التدبر لأن الخوف من لوازم العقل * قوله تعالى (وكم قصمنا) يعنى أهلكنا (من قرية كانت ظالمة) يعنى كافرة والمراد اهل القرية (وأنشأنا بعدها) أى أحدثنا بعد هلاك أهلها (قوما آخرين فلما أحسوا باسنا) أى عذابنا بحاسة البصر

(إذاهم منها يركضون) يعني يسرعون هاربين (لاتركضوا) يعني قيل لهم لاتركضوا لاتهربوا ألا تذهبوا (وارجعوا إلى ماأترفتم فيه) يعني نعمتم به (ومساكنكم لعلكم تسئلون) قال ابن عباس عن قتل نبيكم وقيل من دنياكم شيئا نزلت الآية فى أهل حضرموت وهى قرية باليمن وكان أهلها من العرب فبعث الله اليهم نبيا يدعوهم إلى الله فكذبوه وقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر حتى قتلهم وسباهم فلما استمر فيهم القتل ندموا وهربوا وانهزموا فقالت الملائكة لهم استهزاء لاتركضوا وارجعوا إلى ماأترفتم فيه ومساكنكم وأموالكم لعلكم تسئلون قال قتادة لعلكم تسئلون شيئا من دنياكم فتعطون من شئتم وتمنعون من شئتم فانكم أهل ثروة ونعمة يقولون ذلك استهزاء بهم فاتبعهم بختنصر وأخذتهم السيوف ونادى مناد فى جو السماء يا ثارات الأنبياء فلما رأوا ذلك اقروا بالذنوب حين لم ينفعهم (فقالوا ياويلنا إنا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم) أى تلك الكلمة وهى قولهم ياويلنا دعاؤهم يدعون بها ويرددونها (٢٣٥) (حتى جعلناهم حصيدا) بالسيف كما يحصد الزرع (خامدين) ميتين (وماخلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين) يعنى عبثا وباطلا (لو اردنا أن نتخذ لهوا) اختلفوا فى اللهو قال ابن عباس فى رواية عطاء اللهو ههنا المراة وهو قول الحسن وقتادة وقال فى رواية الكلبى اللهو الولد وهو قول السدى وهو فى المرأة اظهر لأن الوطء يسمى لهوا فى اللغة والمراة محل الوطء (لاتخذناه من لدنا) يعنى من عندنا من حور العين لامن عندكم من اهل الأرض وقيل معناه لوكان ذلك جائزا فى حقنا لم نتخذه بحيث يظهر لكم بل يستر ذلك حتى لايطلعوا عليه وتأويل الاية ان النصارى لما قالوا فى المسيح وأمه ما قالوا ردالله عليهم بقوله لاتخذناه من لدنا لأنكم تعلمون ان ولد الرجل وزوجته يكونان عنده لاعند غيره (انا كنا فاعلين) يعنى ما كنا فاعلين وقيل ما كنا ممن يفعل ذلك لأنه لايليق بالربوبية (بل) يعنى دع ذلك الذى قالوه فانه كذب وباطل (نقذف) يعنى نرمى ونسلط (بالحق) يعنى بالايمان (على الباطل) يعنى على الكفر وقيل الحق قول الله انه لاولد له والباطل قولهم اتخذ الله ولدا (فيدمغه) فيهلكه (فاذاهو زاهق) يعنى ذاهب والمعنى انا نبطل كذبهم بما تبين من الحق حتى يذهب ويضمحل ثم اوعدهم على كذبهم فقال تعالى ولكم الويل (يامعشر الكفار (مما تصفون) الله بما لايليق من الصاحبة والولد (وله من فى السموات والأرض) يعنى عبيدا وملكا وهو الخالق لهم والمنعم عليهم بأصناف النعم (ومن عنده) يعنى الملائكة وانما خص الملائكة وان كانوا داخلين فى جملة من فى السموات لكرامتهم ومزيد الإعتناء بهم (لايستكبرون عن عبادته) يعنى لا يتكبرون ولا يتعظمون عنها (ولا يستحسرون) يعنى لا يعيون ولا يتعبون وقيل لاينقطعون عن العبادة ثم وصفهم الله تعالى بقوله (يسبحون الليل والنهار لايفترون) يعنى لا يضعفون ولا يسامون وذلك ان تسبيحهم

(إذاهم منها يركضون) يعنى يسرعون هاربين من قريتهم لما رأوا مقدمة العذاب (لاتركضوا) يعنى قيل لهم لاتهربوا (وارجعوا إلى ماأترفتم فيه) يعنى تنعمتم فيه من العيش (ومساكنكم لعلكم تسئلون) قال ابن عباس عن قتل نبيكم قيل نزلت هذه الاية فى حضرموت قرية باليمن وكان أهلها عربا فبعث الله اليهم نبيا يدعوهم فكذبوه وقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر فقتلهم وسباهم فلما استمر فيهم القتل هربوا فقالت الملائكة لهم استهزاء لاتركضوا يعنى لاتهربوا وارجعوا إلى مساكنكم واموالكم لعلكم تسئلون شيئا من دنياكم فتعطون من شئتم وتمنعون من شئتم فانكم اهل ثروة ونعمة فاتبعهم بختنصر واخذتهم السيوف ونادى مناد من جو السماء يا لثارات الأنبياء فلما راوا ذلك اقروا بالذنوب حين لم ينفعهم (قالوا ياويلنا إنا كنا ظالمين) يعنى لأنفسنا كذبنا الرسل وذلك انهم اعترفوا بالذنب حين عاينوا العذاب وقالوا ذلك على سبيل الندامة ولم ينفعهم الندم (فما زالت تلك دعواهم) يعنى تلك الكلمة وهى قولهم ياويلنا (حتى جعلناهم حصيدا) يعنى بالسيف كما يحصد الزرع (خامدين) يعنى ميتين. قوله عز وجل (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين) معناه ماسوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من العجائب للعب واللهو وإنما سويناهما لفوائد منها التفكر فى خلقهما وما فيهما من العجائب والمنافع التى لاتعد ولاتحصى (لو أردنا ان نتخذ لهوا) قال ابن عباس اللهو المراة وعنه انه الولد (لاتخذناه من لدنا) يعنى من عندنا من الحور العين لامن عندكم من اهل الأرض وقيل معناه لوكان ذلك جائزا فى حقنا لم نتخذه بحيث يظهر لكم بل نستر ذلك حتى لاتطلعوا عليه وذلك ان النصارى لما قالوا فى المسيح وامه ما قالوا ردالله عليهم بقوله لاتخذناه من لدنا لأنكم تعلمون ان ولد الرجل وزوجته يكونان عنده لاعند غيره (انا كنا فاعلين) يعنى ما كنا فاعلين وقيل ما كنا ممن يفعل ذلك لأنه لايليق بالربوبية (بل) يعنى دع ذلك الذى قالوه فانه كذب وباطل (نقذف) يعنى نرمى ونسلط (بالحق) يعنى بالايمان (على الباطل) يعنى على الكفر وقيل الحق قول الله انه لاولد له والباطل قولهم اتخذ الله ولدا (فيدمغه) فيهلكه (فاذاهو زاهق) يعنى ذاهب والمعنى انا نبطل كذبهم بما تبين من الحق حتى يذهب ويضمحل ثم اوعدهم على كذبهم فقال تعالى ولكم الويل (يامعشر الكفار (مما تصفون) الله بما لايليق به من الصاحبة والولد (وله من فى السموات والأرض) يعنى عبيدا وملكا (ومن عنده) يعنى الملائكة (لايستكبرون عن عبادته) ولا يأنفون عن عبادته (ولا يستحسرون) لا يعيون يقال حسرا واستحسر إذا تعب واعيا وقال السدى لاينقطعون عن العبادة (يسبحون الليل والنهار لايفترون) لايضعفون قال كعب الأحبار التسبيح لهم كالنفس لبنى آدم

متصل دائم لا يفتر فى جميع أوقاتهم لا تتخلله فترة بفراغ أو شغل اخر قال كعب الأحبار التسبيح لهم كالنفس لبنى آدم (ام اتخذوا آلهة من الأرض) يعنى الأصنام من الحجارة والخشب وغيرهما من المعادن هى من الأرض (هم ينشرون) يعنى يحيون الأموات إذ لا يستحق الالهية إلا من يقدر على الاحياء والايجاد من العدم والانعام بأبلغ وجوه النعم وهو الله عز وجل (لو كان فيهما) يعنى فى السماء والأرض (آلهة إلا الله) يعنى غير الله (لفسدتا) يعنى لخربتا وهلك من فيهما لوجود التمانع من الالهة لأن كل أمر صدر عن الاثنين فاكثرهم لم يجر على النظام وقال الإمام فخر الدين الرازى قال المتكلمون القول بوجود إلهين يفضى إلى المحال فوجب أن يكون القول بوجود إلهين محالا وإنما قلنا أنه يفضى إلى المحال لأنا لو فرضنا وجود إلهين فلا بد وأن يكون كل واحد منهما قادرا على كل المقدورات ولو كان كذلك لكان كل واحد منهما قادرا على تحريك زيد وتسكينه ولو فرضنا أن أحدهما أراد تحريكه وأراد الآخر تسكينه فأما أن يقع المرادان وهو محال لاستحالة الجمع بين الضدين ولا يقع واحد منهما وهو محال لأن المانع من وجود مراد كل واحد منهما مراد الآخر فلا يمتنع مراد هذا إلا عند وجود مراد ذلك بالعكس فلو امتنعا معا لوجدا معا وذلك محال او يقع مراد احدهما دون الثانى وذلك ايضا محال لوجهين أحدهما أنه لو كان كل واحد منهما قادرا على مالا نهاية له امتنع كون أحدهما أقدر من الآخر بل لا بد وأن يستويا فى القدرة وإذا استويا فى القدرة استحال أن يصير مراد أحدهما أولى بالوقوع من مراد الثانى وإلا لزم ترجيح الممكن من غير مرجح وثانيهما أنه إذا وقع مراد احدهما دون الاخر فالذى وقع مراده يكون قادرا والذى لم يقع مراده يكون عاجزا والعجز نقص وهو على الاله محال ولو فرضنا إلهين لكان كل واحد منهما قادرا على جميع المقدورات فيفضى إلى وقوع مقدور من قادرين مستقلين من وجه واحد وهو محال لان إسناد الفعل إلى الفاعل إنما كان لإمكانه فاذا كان كل واحد منهما مستقلا بالايجاد فالفعل لكونه مع هذا يكون واجب الوقوع فيستحيل إسناده إلى هذا لكونه حاصلا منهما جميعا فيلزم استغناؤه عنهما معا واحتياجه اليهما معا وذلك محال وهذه حجة تامة فى مسئلة التوحيد فنقول القول بوجود إلهين يفضى إلى امتناع وقوع المقدور بواحد منهما وإذا كان كذلك وجب أن لا يقع البتة وحينئذ يلزم وقوع الفساد قطعا أو نقول لو قدرنا إلهين فأما أن يتفقا أو يختلفا فان اتفقا على الشىء الواحد فذلك الواحد مقدور لهما ومرادلهما فيلزم وقوعه بهما وهو محال وإن اختلفا فأما أن يقع المرادان أو لا يقع أحد منهما او يقع أحدهما دون الثانى والكل محال فثبت أن الفساد لازم على كل التقديرات واعلم أنك اذا وقفت على حقيقة هذه الدلالة عرفت أن جميع ما فى العالم العلوى والسفلى من المحدثات والمخلوقات فهو دليل على وحدانية الله تعالى وأما الدلائل السمعية على الوحدانية فكثيرة فى القران واعلم أن كل من طعن فى دلالة التمانع ففسر الآية بأن المراد لو كان فى السماء والأرض الهة يقول بالهيتها عبدة الأصنام لزم فساد العالم لأنها جمادات لا تقدر على تدبير العالم فلزم افساد العالم قالوا وهذا أولى لأنه تعالى حكى عنهم فى قوله ام اتخذوا الهة من الأرض هم ينشرون ثم ذكر الدلالة على فساد هذا فوجب أن يختص الدليل به وأما قوله (فسبحان الله رب العرش عما يصفون) ففيه تنزيه الله سبحانه وتعالى عما يصفه به المشركون من الشريك والولد (لا يسئل عما يفعل) يعنى لا يسئل الله عما يفعله ويقضيه فى خلقه (وهم يسئلون) يعنى والناس يسئلون عن أعمالهم والمعنى أنه لا يسئل عما يحكم فى عباده من اعزاز واذلال وهدى واضلال واسعاد واشقاء لانه الرب مالك الأعيان والخلق يسئلون سؤال توبيخ يقال لهم يوم القيامة فعلتم كذا لانهم عبيد يجب عليهم امتثال أمر مولاهم والله تعالى ليس فوقه أحد يقول له الشىء فعله لم فعلته قوله عز وجل (ام اتخذوا من دونه الهة) لما ابطل الله تعالى ان تكون الهة سواه بقوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا انكر عليهم اتخاذهم الآلهة فقال ام اتخذوا من دونه الهة وهو استفهام انكار وتوبيخ (قل هاتوا برهانكم) اى حجتكم على ذلك ثم قال تعالى مستأنفا (هذا) يعنى القران (ذكر من معى) يعنى فيه خبر من معى على دينى ومن يتبعنى الى يوم القيامة بما لهم من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية (وذكر) يعنى خبر

(أم اتخذوا الهة) استفهام بمعنى الجحدى لم يتخذوا (من الارض) يعنى الاصنام من الخشب والحجارة وهما من الارض (هم ينشرون) يحيون الاموات ولا يستحق الالهية الا من يقدر على الإحياء والإيجاد من العدم والانعام بأبلغ وجوه النعم (لو كان فيهما) يعنى فى السماء والارض (الهة الا الله) يعنى غير الله (لفسدتا) لخربتا وهلك من فيها بوجود التمانع بين الالهة لان كل امر صدر عن اثنين فاكثر لم يجر على النظام ثم نزه نفسه فقال (فسبحان الله رب العرش عما يصفون) يعنى عما يصفه به المشركون من الشريك والولد (لا يسئل عما يفعل) ويحكم على خلقه لانه الرب (وهم يسئلون) عن أفعالهم وأعمالهم لانهم عبيد (ام اتخذوا من دونه الهة) استفهام انكار وتوبيخ (قل هاتوا برهانكم) يعنى حجتكم على ذلك ثم قال مستأنفا (هذا) يعنى القران (ذكر من معى) فيه خبر من معى على دينى ومن تبعنى الى يوم القيامة بما لهم من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية (وذكر) خبر

(من قبلي) من الأمم السالفة ما فعل بهم في الدنيا وما يفعل بهم في الآخرة وعن ابن عباس في رواية عطاء ذكر من معي القرن وذكر من قبلي التوراة والإنجيل ومعناه راجعوا القرآن والتوراة والانجيل وسائر الكتب هل تجدون فيها ان الله اتخذ ولدا (بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه) قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم نوحي اليه بالنون وكسر الحاء على التعظيم لقوله وما أرسلناك وقرأ الآخرون بالياء وفتح الحاء على الفعل المجهول (انه لا إله إلا انا فاعبدون) وحدون (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) نزلت في خزاعة حيث قال الملائكة بنات الله (سبحانه) نزه نفسه عما قالوا (بل عباد) يعني هم عباد يعني الملائكة (مكرمون لا يسبقونه بالقول) لا يتقدمونه بالقول ولا يتكلمون إلا بما يأمرهم به (وهم بأمره يعملون) معناه أنهم لا يخالفونه قولا ولا عملا (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أي ما عملوا وما هم عاملون وقيل ما كان قبل خلقهم وما يكون بعد خلقهم (ولا يشفعون (٢٣٧) إلا لمن ارتضى) قال ابن عباس

(من قبل) يعني من الامم السالفة وما فعل بهم في الدنيا وما يفعل بهم في الاخرة وقال ابن عباس ذكر من معي القرآن وذكر من قبلي التوراة والانجيل والمعنى راجعوا القرآن والتوراة والانجيل وسائر الكتب هل تجدون فيها ان الله اتخذ ولدا او كان معه الهة (بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون) * قوله عز وجل (وما ارسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون) يعني فوحدوني وقيل لما توجهت الحجة عليهم ذمهم على جهلهم بمواضع الحق فقال بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون يعني عن التامل والتفكر وما يجب عليهم من الايمان بانه لا إله إلا هو * قوله تعالى (وقوله اتخذ الرحمن ولدا) نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله (سبحانه) نزه نفسه عما قالوا * (بل عباد) يعني هم عباد (مكرمون) اي اكرمهم الله واصطفاهم (لا يسبقونه) اي لا يتقدمونه (بالقول) اي لا يتكلمون إلا بما يأمرهم به (وهم بامره يعملون) المعنى انهم لا يخافونه قولا وعملا (يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم) اي ما عملوا وما هم عاملون وقيل ما كان قبل خلقهم وما يكون بعد خلقهم (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) قال ابن عباس إلا لمن قال لا إله إلا الله وقيل إلا لمن رضي الله تعالى عنه (وهم من خشيته مشفقون) اي خائفون وجلون لا يأمنون مكره (ومن يقل منهم إني إله من دونه) قيل عنى به إبليس حيث دعا إلى عبادة نفسه فان احدا من الملائكة لم يقل إني إله من دون الله (فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين) اي الواضعين الالهية والعبادة في غير موضعها * قوله عز وجل (اولم ير الذين كفروا) اي الم يعلم الذين كفروا (أن السموات والأرض كانتا رتقا) قال ابن عباس كانتا شيئا واحدا ملتزقتين (ففتقناهما) اي فصلنا بينهما بالهواء قال كعب خلق الله السماوات والأرض بعضها على بعض ثم خلق ريحا بوسطهما ففتحهما بها وقيل كانت السماوات مرتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سماوات وكذلك الأرض وقيل كانت السماء رتقا لا تمطر والارض رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات (وجعلنا من الماء كل شيء حي) اي واوحينا بالماء الذي ينزل من السماء كل شيء من الحيوان ويدخل فيه النبات والشجر وذلك لانه سبب الحياة كل شيء وقال المفسرون معناه ان كل شيء حي فهو مخلوق من الماء وقيل يعني النطفة * فان قلت قد خلق الله بعض ما هو حي من غير الماء كآدم وعيسى والملائكة والجان * قلت خرج هذا اللفظ مخرج الأغلب والاكثر يعني ان اكثر ما على وجه الارض مخلوق من الماء وبقاؤه بالماء (افلا يؤمنون) اي افلا يصدقون (وجعلنا في الارض رواسي) يعني جبالا ثوابت (ان تميد بهم) اي لئلا تميد بهم قيل ان الأرض بسطت على الماء فكانت تتحرك كما تتحرك السفينة في الماء فارساها الله واثبتها بالجبال (وجعلنا فيها) اي في الرواسي

أي إلا لمن قال لا إله إلا الله وقال مجاهد أي لمن رضي عنه (وهم من خشيته مشفقون) خائفون لا يأمنون مكره (ومن يقل منهم إني إله من دونه) قال مقاتل عنى به إبليس حين دعا إلى عبادة نفسه وامر بطاعة نفسه فان احدا من الملائكة لم يقل إني إله من دون الله (فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين) الواضعين الالهية والعبادة في غير موضعها (أولم ير الذين كفروا) قرا العامة بالواو وقرأ ابن كثير لم ير بغير واو وكذلك هو في مصاحفهم معناه ألم يعلم الذين كفروا (أن السموات والارض كانتا رتقاً) قال ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك وعطاء وقتادة كانتا شيئا واحدا ملتزقتين (ففتقناهما) فصلنا بينهما بالهواء والرتق في اللغة السد والفتق الشق قال كعب خلق الله السموات والارض بعضها على بعض ثم خلق ريحا فوسطها ففتحهما بها قال مجاهد والسدي كانت السماوات مرتقة طبقة واحدة ففتقها وجعلها سبع سماوات وكذلك الأرض كانت مرتقة طبقة واحدة ففتحها فجعلها سبع ارضين قال عكرمة وعطية كانت السماوات السماء رتقا لا تمطر والارض رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات وإنما قال رتقا على التوحيد وهو من نعت السماوات والأرض لأنه مصدر وضع موضع الاسم مثل الزور والصوم ونحوهما (وجعلنا) وخلقنا (من الماء كل شيء حي) أي احيينا بالماء الذي ينزل من السماء كل شيء حي اي من الحيوان ويدخل فيه النبات والشجر يعني انه سبب لحياة كل شيء والمفسرون يقولون يعني ان كل شيء حي فهو مخلوق من الماء لقوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء قال أبو العالية يعني النطفة فان قيل قد خلق الله بعض ما هو حي من غير الماء قيل هذا على وجه التكثير يعني أن أكثر الاحياء في الارض مخلوق من الماء او بقاؤه بالماء (افلا يؤمنون وجعلنا في الارض رواسي) يعني جبالا ثوابت (ان تميد بهم) لئلا تميد بهم (وجعلنا فيها) في الرواسي

(فجاجا) طرقا ومسالك و الفج الطريق الواسع بين الجبلين أى جعلنا بين الجبال طرقا كى يهتدوا إلى مقاصدهم (سبلا) تفسير للفجاج (لعلهم يهتدون وجعلنا السماء سقفا محفوظا) من أن تسقط دليله قوله تعالى ويمسك السماء ان تقع على الارض إلا باذنه وقيل محفوظا من الشياطين بالشهب دليله قوله تعالى وحفظناها من كل شيطان رجيم (وهم) يعنى الكفار (عن آياتها) اى عن ما خلق الله فيها من الشمس والقمر والنجوم وغيرها (معرضون) لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها (وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون) يجرون ويسيرون بسرعة كالسابح فى الماء وإنما قال يسبحون ولم يقل تسبح على ما يقال لما لا يعقل لأنه ذكر عنها فعل العقلاء من الجرى والسبح فذكر على ما يعقل والفلك مدار النجوم الذى يضمها والفلك فى كلام العرب كل شىء مستدير وجمعه أفلاك ومنه فلكة المغزل وقال الحسن الفلك طاحونة كهيئة فلكة المغزل يريد ان الذى يجرى فيه النجوم مستدير كاستدارة الطاحونة قال الضحاك فلكها مجراها وسرعة سيرها قال مجاهد كهيئة حديد الرحى وقال بعضهم الفلك السماء الذى فيه ذلك الكوكب فكل كوكب يجرى فى السماء الذى قدر فيه وهو معنى قول قتادة وقال الكلبى الفلك استدارة السماء وقال آخرون الفلك موج مكفوف دون السماء تجرى فيه الشمس والقمر والنجوم قوله عز وجل (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) دوام البقاء فى الدنيا (افان مت فهم الخالدون) يعنى افهم الخالدون إن مت قيل نزلت هذه الاية حين قالوا نتربص بمحمد ريب المنون (كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم) نختبركم (بالشر والخير) بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر وقيل بما تحبون وما تكرهون (فتنة) ابتلاء لتنظر كيف شكرتم فيما تحبون وصبركم فيما تكرهون (والينا ترجعون) وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك) ما يتخذونك (إلا هزوا) سخريا قال السدى نزلت فى أبى جهل مر به النبى صلى الله عليه وسلم فضحك وقال هذا نبى بنى عبد مناف (أهذا الذى) يعنى يقول بعضهم لبعض أهذا الذى (يذكر آلهتكم) يعنى يعيبها يقال فلان يذكر فلانا يعنى يعيبه وفلان يذكر الله يعنى يعظمه ويبجله (وهم بذكر الرحمن هم كافرون) وذلك انهم كانوا يقولون لا نعرف الرحمن إلا مسيلمة وهم الثانية صلة (خلق الانسان من عجل) اختلفوا فيه فقال قوم معناه ان بنيته وخلقته من العجلة وعليها طبع كما قال الله تعالى وكان الانسان عجولا قال سعيد بن جبير والسدى لما دخلت الروح فى رأس آدم وعينيه نظر إلى ثمار الجنة فلما دخلت فى جوفه اشتهى الطعام فوثب قائما قبل أن تبلغ الروح إلى رجليه عجلا إلى ثمار الجنة فوقع فقيل خلق الانسان من عجل والمراد بالانسان آدم وأورث

(فجاجا) أى طرقا ومسالك والفج الطريق الواسع بين الجبلين (سبلا) هو تفسير الفجاج (لعلهم يهتدون) اى إلى مقاصدهم (وجعلنا السماء سقفا محفوظا) يعنى من ان يسقط ويقع وقيل محفوظا من الشياطين بالشهب (وهم) يعنى الكفار (عن اياتها معرضون) يعنى عما خلق الله فيها من الشمس والقمر والنجوم وكيفية حركاتها فى أفلاكها ومطالعها ومغاربها والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة القاهرة لا يتفكرون ولا يعتبرون بها (وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون) يعنى يجرون ويسيرون بسرعة كالسابح فى الماء وإنما قال يسبحون ولم يقل تسبح على ما يقال لما لا يعقل لأنه ذكر عنها فعل العقلاء. وهو السباحة والجرى والفلك مدار النجوم الذى يضمها وهو فى كلام العرب كل شىء مستدير وجمعه أفلاك وقيل الفلك طاحونة كهيئة فلك المغزل يريد ان الذى تجرى فيه النجوم مستدير كاستدارة الرحى وقيل الفلك السماء الذى فيه ذلك الكوكب فكل كوكب يجرى فى السماء الذى قدر فيه وقيل الفلك استدارة السماء وقيل الفلك موج مكفوف دون السماء تجرى فيه الشمس والقمر والنجوم وقال اصحاب الهيئة الأفلاك أجرام صلبة لا ثقيلة ولا خفيفة غير قابلة للخوف والالتئام والنمو والذبول والحق انه لا سبيل إلى معرفة صفة السموات إلا بأخبار الصادق فسبحان الخالق المدبر لخلقه بالحكمة والقدرة الباهرة غير المتناهية *قوله عز وجل (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) يعنى الدوام والبقاء فى الدنيا (افان مت فهم الخالدون) نزلت هذه الآية حين قالوا نتربص بمحمد ريب المنون لتشمت بموته فنفى الله الشماتة عنه بهذا والمعنى ان الله تعالى قضى ان لا يخلد فى الدنيا بشر لا انت ولا هم فان مت انت افيبقى هؤلاء وفى معناه قول القائل

فقل للشامتين بنا افيقوا ... سيلقى الشامتون كما لقينا

(كل نفس ذائقة الموت) هذا العموم مخصوص بقوله تعالى تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك فان الله تعالى حى لا يموت ولا يجوز عليه الموت والذوق ههنا عبارة عن مقدمات الموت والآلام العظيمة قبل حلوله (ونبلوكم) يعنى نختبركم (بالشر والخير) يعنى بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر وقيل مما تحبون وما تكرهون (فتنة) اى ابتلاء لتنظر كيف شكرتم فيما تحبون وصبركم فيما تكرهون (والينا ترجعون) اى للحساب والجزاء *قوله عز وجل (وإذا رآك الذين كفروا إن) اى ما (يتخذونك إلا هزوا) يعنى سخريا قيل نزلت فى ابى جهل مر به الرسول صلى الله عليه وسلم فضحك وقال هذا نبى بنى عبد مناف (اهذا الذى يذكر الهتكم) اى يقول بعضكم لبعض اهذا الذى يعيب الهتكم والذكر يطلق على المدح والذم مع القرينة (وهم بذكر الرحمن هم كافرون) وذلك انهم كانوا يقولون لا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة وهو مسيلمة الكذاب *قوله تعالى (خلق الانسان من عجل) قيل معناه أن بنيته وخلقته من العجلة وعليها طبع وقيل

أولاده العجلة والعرب تقول للذى يكثر منه كما يقول خلقت منه كما يقول خلقت من تعب وخلقت من غضب تريد المبالغة فى وصفه بذلك يدل على هذا قوله تعالى وكان الإنسان عجولا وقال قوم معناه خلق الانسان يعنى ادم من تعجيل فى خلق الله إياه لأن خلقه كان بعد خلق شىء فى اخر النهار يوم الجمعة فأسرع فى خلقه قبل مغيب الشمس وقال مجاهد فلما أحيا الروح رأسه يارب استعجل بخلقى قبل غروب الشمس وقيل بسرعة وتعجيل على ترتيب خلق سائر الآدميين من النطفة ثم العلقة ثم المضغة وغيرها قال قوم من عجل اى من طين قال الشاعر

والنبع فى صخرة الصماء منبتة * والنخل ينبت بين الماء والعجل

(سأريكم اياتى فلا تستعجلون) هذا خطاب للمشركين نزل هذا فى المشركين كانوا يستعجلون بالعذاب ويقولون أمطر علينا حجارة من السماء وقيل نزلت فى النضر بن الحارث فقال تعالى سأريكم اياتى اى مواعيدى فلا تستعجلون أى فلا تطلبوا العذاب وقته فأراهم يوم بدر وقيل كانوا يستعجلون القيامة (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) فقال تعالى (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون) لا يدفعون (عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم) قيل ولا عن ظهورهم السياط (ولا هم ينصرون) يمنعون من العذاب وجواب لو فى قوله لو يعلم الذين محذوف معناه وعلموا لما قاموا على كفرهم ولما استعجلوا ولا قالوا متى هذا الوعد (بل تأتيهم) يعنى الساعة (بغتة) فجأة (فتبهتهم) أى تحيرهم يقال فلان مبهوت اى متحير (فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون) يمهلون (ولقد استهزىء برسل من قبلك فحاق) نزل (بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن) أى جزاء استهزائهم (قل من يكلؤكم) يحفظكم (بالليل والنهار من الرحمن) أن أنزل بكم عذابه وقال ابن عباس من يمنعكم من عذاب الرحمن (بل هم عن ذكر ربهم) عن القران ومواعظ الله (معرضون أم لهم) أى صلة ٣ فيه وفى أمثاله (الهة تمنعهم من دوننا) فيه تقديم وتاخير تقديره أم لهم الهة من دوننا تمنعهم ثم وصف الالهة بالضعف فقال تعالى (لا يستطيعون نصر أنفسهم) منع أنفسهم فكيف ينصرون عابديهم (ولا هم منا يصحبون) قال ابن عباس يمنعون وقال عطية عنه يجارون تقول العرب انا لك جار وصاحب من فلان أى مجير منه وقال مجاهد ينصرون ويحفظون وقال قتادة لا يصحبون من الله بخير (بل متعنا هؤلاء) الكفار (وآباءهم) فى الدنيا أى أمهلناهم وقيل أعطيناهم النعمة (حتى طال عليهم العمر) أى امتد بهم الزمان فاغتروا (أفلا يرون انا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها) أى ما ننقص من أطراف المشركين ونزيد فى أطراف المؤمنين يريد ظهور النبى ﷺ وفتحه ديار الشرك أرضا فارضا

لما دخل الروح فى رأس ادم وعينيه نظر إلى ثمار الجنة فلما دخل فى جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل أن تبلغ الروح إلى رجليه عجلا إلى ثمار الجنة فوقع فقيل خلق الإنسان من عجل وأورث بنية العجلة وقيل معناه خلق الإنسان من تعجيل فى خلق الله إياه لأن خلقه كان بعد كل شىء فى اخر النهار يوم الجمعة فأسرع فى خلقه قبل مغيب الشمس فلما أحيا الروح رأسه قال يارب استعجل بخلقى قبل غروب الشمس وقيل خلق بسرعة وتعجيل على غير قياس خلق بنيه لأنهم خلقوا من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة اطوارا طورا بعد طور وقيل معنى خلق الإنسان من عجل اى من طين قال الشاعر * والنخل ينبت بين الماء والعجل * أى بين الماء والطين وقيل أراد بالإنسان النوع الإنسانى يدل عليه قوله (سأريكم اياتى فلا تستعجلون) وذلك ان المشركين كانوا يستعجلون العذاب وقيل نزلت فى النضر بن الحرث ومعنى سأريكم اياتى أى مواعيدى فلا تطلبوا العذاب وقيل وقته فأراهم يوم بدر وقيل كانوا يستعجلون القيامة فلذلك قال تعالى (ويقولون) يعنى المشركين (متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) وهذا هو الاستعجال المذموم المذكور على سبيل الاستهزاء فبين تعالى انهم انما يقولون ذلك لجهلهم وغفلتهم ثم بين ما لهؤلاء المستهزئين فقال تعالى (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون) يعنى لا يدفعون (عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم) قيل السياط (ولا هم ينصرون) أى لا يمنعون من العذاب والمعنى لو علموا لما أقاموا على كفرهم ولما استعجلوا بالعذاب ولما قالوا متى هذا الوعد إن كنتم صادقين (بل تأتيهم) يعنى الساعة (بغتة) اى فجأة (فتبهتهم) أى تحيرهم (فلا يستطيعون ردها) أى صرفها ودفعها عنهم (ولا هم ينظرون) أى لا يمهلون للتوبة والمعذرة (ولقد استهزىء برسل من قبلك) أى يا محمد كما استهزأ بك قومك (فحاق) أى نزل وأحاط (بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن) أى عقوبة استهزائهم وفيه تسلية للنبى ﷺ اى فكذلك يحيق بهؤلاء وبال استهزائهم ه قوله تعالى (قل من يكلؤكم) أى يحفظكم بالليل إذا نمتم (والنهار) إذا انصرفتم فى معايشكم (من الرحمن) قال ابن عباس معناه من يمنعكم من عذاب الرحمن (بل هم عن ذكر ربهم) أى عن القران ومواعظه (معرضون) اى لا يتأملون فى شىء منها (أم لهم الهة تمنعهم من دوننا معناه ألهم من دوننا نمنعهم ثم وصف الهتهم بالضعف فقال (لا يستطيعون نصر أنفسهم) أى لا يقدرون على نصر أنفسهم فكيف ينصرون من عبدهم (ولا هم منا يصحبون) قال ابن عباس يمنعون وقيل يجارون وقيل ينصرون وقيل معناه لا يصحبون من الله بخير (بل متعنا هؤلاء) يعنى الكفار (وآباءهم) أى فى الدنيا بأن أنعمنا عليهم وأمهلناهم (حتى طال عليهم العمر) أى امتدبهم الزمان فاغتروا (أفلا يرون) يعنى هؤلاء المشركين (أنا نأتى الأرض ننقصها من اطرافها) يعنى ننقص من اطراف المشركين ونزيد فى أطراف المؤمنين يريد بذلك

(أفهم الغالبون) أم نحن (قل إنما أنذركم بالوحى) أى أخوفكم بالقرآن (ولا يسمع الصم الدعاء) قرأ ابن عباس رضى الله عنهما بالتاء وضمها وكسر الميم الصم نصبا جعل الخطاب للنبى ﷺ وقرأ الآخرون بالياء وفتحها وفتح الميم الصم رفع (إذا ما ينذرون) يخوفون

ظهور النبى ﷺ وفتحه ديار الشرك أرضا فأرضا وقرية فقرية والمعنى أفلا يرى هؤلاء المشركون بالله المستعجلون بالعذاب آثار قدرتنا فى اتيان الارض من جوانبها باخذ الواحد بعد الواحد وفتح البلاد والقرى مما حول مكة وادخالها فى ملك محمد ﷺ وموت رؤوس المشركين المتنعمين بالدنيا أما كان لهم عبرة فى ذلك فيؤمنوا بمحمد ﷺ ويعلموا انهم لا يقدرون عن الامتناع منا ومن إرادتنا فيهم ثم قال (أفهم الغالبون) استفهام بمعنى التقريع معناه بل نحن الغالبون وهم المغلوبون (قل) يا محمد (إنما أنذركم) بالوحى) أى أخوفكم بالقرآن (ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون) أى يخوفون (ولئن مستهم) أى أصابتهم (نفحة من عذاب ربك) قال ابن عباس طرف وقيل شىء قليل (ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين) دعوا على أنفسهم بالويل بعدما أقروا على أنفسهم بالظلم والشرك * قوله عز وجل (ونضع الموازين القسط) أى ذوات العدل وصفها بذلك لان الميزان قد يكون مستقيما وقد يكون بخلافه فبين ان تلك الموازين تجرى على حد العدل ومعنى وضعها احضارها (ليوم القيامة) أى لأهل يوم القيامة قيل المراد بالميزان العدل والقسط بينهم فى الأعمال فمن أحاطت حسناته بسيئاته فاز ونجا وبالعكس ذل وخسر والصحيح الذى عليه أئمة السلف ان الله سبحانه وتعالى يضع الموازين الحقيقية يزن بها أعمال العباد وقال الحسن هو ميزان له كفتان ولسان وأكثر الأقوال أنه ميزان واحد وإنما جمع لاعتبار تعدد الأعمال الموزونة به وروى أن داود عليه الصلاة والسلام سأل ربه عز وجل أن يريه الميزان فأراه كل كفة ما بين المشرق والمغرب فلما راه غشى عليه ثم أفاق فقال إلهى من الذى يقدر أن يملا كفته حسنات قال يا داود إنى إذا رضيت عن عبدى ملأتها بتمرة فعلى هذا فنى كيفية وزن الأعمال مع انها اعراض طن يقان أحدهما ان توزن صحائف الأعمال فتوضع صحائف الحسنات فى كفة وصحائف السيئات فى كفة والثانى أن يجعل فى كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفى كفة السيئات جواهر سود مظلمة * فان قلت كيف تصنع بقوله ونضع الموازين القسط مع قوله فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا * قلت هذه فى حق الكفار لأنهم ليس لهم أعمال توزن مع الكفر * وقوله تعالى (فلا تظلم نفس شيئا) أى لا تبخس مما لها وما عليها من خير وشر شيئا (وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها) معناه أنه لا ينقص من إحسان محسن ولا يزاد فى إساءة مسىء وأراد بالحبة الجزء اليسير من الخردل ومعنى اتينا بها أى أحضرناها النجازى بها عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال ان الله سيخلص رجلا من أمتى على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعين سجلا كل سجل مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيأ أظلمك كتبتى الحافظون فيقول لا يا رب فيقول أفلك عذر فيقول لا يا رب فيقول الله تعالى بلى ان ذلك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقول احضروزنك فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال انك لا تظلم فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شىء أخرجه الترمذى السجل الكتاب الكبير وأصله من التسجيل لأنه يجمع أحكاما والبطاقة ورقة صغيرة تجعل فى طى الثوب يكتب فيه ثمنه والطيش الخفة قلت فى الحديث دليل على ان صحائف الأعمال هى التى توزن لا ان الأعمال تتجسد جواهر فتوزن والله أعلم * قوله تعالى (وكفى بنا حاسبين) قال ابن عباس معناه كفى بنا عالمين حافظين لأن من حسب شيئا فقد علمه وحفظه والغرض منه التحذير فان المحاسب إذا كان فى العلم بحيث لا يمكن ان يشتبه عليه شىء وفى القدرة بحيث لا يعجز عن شىء فحقيق بالعامل ان يكون بأشد الخوف ويروى عن الشبلى انه رؤى فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال

حاسبونا فدققوا * ثم منوا فاعتقوا * هكذا سيمة الملو * ك بالمماليك يرفقوا

(ولئن مستهم) اصابتهم (نفحة) قال ابن عباس رضى الله عنهما طرف وقيل قليل وقال ابن جريج تصيب من قولهم نفح فلان لفلان من ماله اى اعطاه حظا ونصيبا منه وقيل ضربة من قولهم نفحت الدابة برجلها إذا ضربت بها (من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين) اى باهلاكنا إنا كنا مشركين دعوا على انفسهم بالويل بعدما اقروا بالشرك (ونضع الموازين القسط) اى ذوات القسط والقسط العدل (ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ) اى لا تنقص من ثواب حسناتها ولا يزداد على سيآتها وفى الاخبار ان الميزان له لسان وكفتان روى ان داود عليه السلام سأل ربه ان يريه الميزان فأراه كل كفة ما بين المشرق والمغرب فغشى عليه ثم افاق فقال يا إلهى من الذى يقدر ان يملا كفته حسنات فقال يا داود إنى إذا رضيت عن عبدى ملأتها بتمرة (وان كان) الشىء (مثقال حبة) اى زنة مثقال حبة (من خردل) قرا اهل المدينة مثقال برفع اللام ههنا وفى سورة لقمان يعنى وان وقع مثقال حبة من خردل ونصبها الآخرون على معنى وان كان ذلك الشىء مثقال حبة من خردل (اتينا بها) احضرناها النجازى بها قوله (وكفى بنا حاسبين) قال السدى محصين والحسب معناه العدد قال ابن عباس رضى الله عنهما عالمين حافظين لأن من حسب شيأ علمه وحفظه

(ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان) يعنى الكتاب المفرق بين الحق والباطل وهو التوراة وقال ابن زيد الفرقان النصر على الأعداء كما قال الله تعالى وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يعنى يوم بدر لأنه قال (وضياء) ادخل الواو فيه اى آتينا موسى النصر والضياء وهو التوراة ومن قال المراد بالفرقان التوراة قال الواو فى قوله وضياء زائدة مقحمة معناه آتيناه التوراة ضياء وقيل هو صفة اخرى للتوراة (وذكرا) تذكيرا (للمتقين الذين يخشون ربهم بالغيب) اى يخافونه ولم يروه (وهم من الساعة مشفقون) خائفون (وهذا ذكر مبارك) يعنى القرآن وهو ذكر لمن تذكر به مبارك لمن يتبرك به ويطلب منه الخير (أنزلناه أفأنتم) يا اهل مكة (له منكرون) جاحدون هذا استفهام توبيخ وتعيير قوله عز وجل (ولقد آتينا إبراهيم رشده) قال القرطبى اى صلاحه (من قبل) يعنى من قبل موسى وهرون وقال المفسرون رشده من قبل اى هداه من قبل البلوغ وهو حين خرج من السرب وهو صغير يريد هديناه صغيرا كما قال تعالى ليحيى عليه السلام وآتيناه الحكم صبيا (وكنا به عالمين) انه اهل للهداية والنبوة (إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل) اى الصور يعنى الاصنام (التى أنتم لها عاكفون) يعنى على عبادتها مقيمون (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) فاقتدينا بهم (قال) إبراهيم (لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين) خطأ بين بعبادتكم إياها (قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين) يعنون أجاد أنت فيما تقول أم أنت لاعب (قال بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن) خلقهن (وأنا على ذلكم من الشاهدين) يعنى على أنه الاله الذى لا يستحق العبادة غيره وقيل من الشاهدين على انه خالق السموات والأرض (وتالله لأكيدن أصنامكم) لامكرن بها (بعد أن تولوا مدبرين) يعنى بعد ان تدبروا منطلقين إلى عيدكم قال

قوله عز وجل (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان) يعنى الكتاب المفرق بين الحق والباطل وهو التوراة وقيل الفرقان النصر على الأعداء فعلى هذا يكون (وضياء) يعنى التوراة ومن قال الفرقان هو التوراة جعل الواو زائدة فى وضياء والمعنى آتينا موسى التوراة ضياء (وذكرا للمتقين) اى يتذكرون بمواعظها ويعملون بما فيها (الذين يخشون ربهم بالغيب) اى يخافونه ولم يروه وقيل يخافونه فى الخلوات إذا غابوا عن أعين الناس (وهم من الساعة مشفقون) اى خائفون (وهذا ذكر مبارك أنزلناه) اى كما آتينا موسى التوراة فكذلك أنزلنا القرآن ذكرا مباركا اى هو ذكر لمن امن به مبارك ويتبرك به ويطلب منه الخير (أفأنتم) يا اهل مكة (له منكرون) اى جاحدون * قوله تعالى (ولقد آتينا إبراهيم رشده) اى صلاحه وهداه (من قبل) اى من قبل موسى وهرون وقيل من قبل البلوغ وهو حين خرج من السرب وهو صغير (وكنا به عالمين) اى انه من اهل الهداية والنبوة (إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل) اى الصور والأصنام (التى أنتم لها عاكفون) اى مقيمون على عبادتها (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) اى فاقتدينا بهم (قال) اى ابرهيم (لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين) اى فى خطأ بين بعبادتكم إياها (قالوا أجئتنا بالحق) أى بالصدق (أم أنت من اللاعبين) يعنون أجاد أنت فيما تقول أم أنت لاعب (قال بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن) اى خلقهن (وأنا على ذلكم من الشاهدين) اى على انه الاله الذى يستحق العبادة وقيل شاهد على انه خالق السموات والأرض (وتالله لأكيدن أصنامكم) أى لأمكرن بها (بعد أن تولوا مدبرين) أى منطلقين إلى عيدكم فيل إنما قال إبراهيم هذا القول سرا فى نفسه ولم يسمع ذلك إلا رجل واحد من قومه فافشاه عليه وهو القائل إنا سمعنا فتى يذكرهم وقيل كان لهم فى كل سنة مجمع وعيد فكانوا إذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الأصنام فسجدوا لها ثم رجعوا إلى منازلهم فلما كان ذلك العيد قال أبو إبراهيم يا إبراهيم لو خرجت معنا إلى عيدنا أعجبك ديننا فخرج معهم إبراهيم فلما كان ببعض الطريق القى نفسه إلى الأرض وقال انى سقيم اشتكى رجلى فتركوه ومضوا فنادى فى اخرهم وقد بقى ضعفاء الناس تالله لأكيدن أصنامكم فسمعوها منه ثم رجع إبراهيم إلى بيت الالهة وهن فى بهو عظيم ومستقبل باب البهو صنم عظيم الى جنبه صنم أصغر منه والأصنام جنبها الى جنب بعض كل صنم الذى يليه اصغر منه وهكذا الى باب البهو واذا هم قد جعلوا طعاما بين يدى الالهة وقالوا اذا رجعنا وقد بركت الالهة عليه أكلنا منه فلما نظر ابراهيم والى ما بين ايديهم من الطعام قال لهم على طريق الاستهزاء ألا تأكلون فلما لم يجيبوه قال مالكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين وجعل يكسرهن بفاس فى يده حتى اذا لم

(٣١ - خازن - بع)

مجاهد وقتادة إنما قال إبراهيم هذا سرا من قومه ولم يسمع ذلك إلا رجل واحد فأفشاه عليه وقال إنا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم قال السدى كان لهم فى كل سنة مجمع وعيد فكانوا اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الأصنام فسجدوا لها ثم عادوا إلى منازلهم فلما كان ذلك العيد قال أبو إبراهيم له يا إبراهيم لو خرجت معنا إلى عيدنا اعجبك ديننا فخرج معهم إبراهيم فلما كان ببعض الطريق التى نفسه وقال إنى سقيم يقول اشتكى رجلى فلما مضوا نادى إبراهيم فى اخرهم وقد بقى ضعفاء الناس تالله لأكيدن اصنامكم فسمعوها منه ثم رجع إبراهيم إلى بيت الآلهة وهن فى بهو عظيم مستقبل باب البهو صنم عظيم إلى جنبه صنم اصغر منه والاصنام بعضها إلى جنب بعض كل صنم يليه اصغر منه إلى باب البهو وإذا هم قد جعلوا طعاما فوضعوه بين يدى الآلهة وقالوا إذا رجعنا وقد بركت الآلهة فى طعامنا أكلنا فلما نظر اليهم إبراهيم وإلى ما بين ايديهم من الطعام قال لهم على طريق الاستهزاء ألا تأكلون فلما لم تجبه قال مالكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين وجعل يكسرهم بفاس فى يده حتى إذا لم يبق إلا الصنم الأكبر علق الفأس فى عنقه ثم خرج فذلك قوله عز وجل

(فجعلهم جذاذا) قرأ الكسائى جذاذا بكسر الجيم أى كسرا وقطعا جمع جذيذ وهو الهشيم مثل خفيف وخفاف وقرأ الآخرون بضمها مثل الحطام والرفات (إلا كبيرا لهم) فانه لم يكسره ووضع الفاس فى عنقه وقيل ربطه بيده وكانت اثنين وسبعون صنما بعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها من حديد وبعضها من رصاص وشبة وخشب وحجر وكان الصنم الكبير من الذهب مكللا بالجواهر فى عينيه ياقوتتان تتقدان قوله تعالى (لعلهم اليه يرجعون) قيل معناه لعلهم يرجعون إلى دينه وإلى ما يدعوهم اليه إذا علموا ضعف الآلهة وعجزها وقيل لعلهم اليه يرجعون فيسئلونه فلما رجع (٢٤٢) القوم من عيدهم إلى بيت الهتهم ورأوا أصنامهم جذاذا (قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين) يعنى من المجرمين (قالوا) يعنى الذين سمعوا قول ابراهيم وتالله لأكيدن أصنامكم (سمعنا فتى يذكرهم) يعيبهم ويسبهم (يقال له ابراهيم) هو الذى نظن أنه صنع هذا فبلغ ذلك نمرود الجبار واشراف قومه (قالوا فأتوا به على أعين الناس) قاله نمرود يقول جيؤا به ظاهرا بمرأى من الناس (لعلهم يشهدون) عليه انه الذى فعله كرهوا ان يأخذوه بغير بينة قاله الحسن وقتادة والسدى وقال محمد ابن اسحق لعلهم يشهدون اى يحضرون عقابه وما يصنع به فلما اتوا به (قالوا) له (أأنت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم قال) ابراهيم (بل فعله كبيرهم هذا) غضب من ان يعبد معه الصغار وهو اكبر منها فكسرهن وارادبذلك ابراهيم إقامة الحجة عليهم فذلك قوله (فاسئلوهم ان كانوا ينطقون) حتى يخبروا من فعل ذلك بهم قال القتيبى معناه بل فعله كبيرهم ان كانوا ينطقون على سبيل الشرط فجعل النطق شرطا للفعل أى أن قدروا على النطق قدروا على الفعل فاراهم عجزهم عن النطق وفى ضميره أنا فعلت وروى عن الكسائى انه انتم كان يقف عند قوله بل فعله ويقول معناه فعله من فعله والأول أصح لما روى عن ابى هريرة أن النبى ﷺ قال لم يكذب ابراهيم إلا ثلاث كذبات اثنتان منهن فى ذات الله قوله إنى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هذه أختى وقيل فى قوله إنى سقيم أى ساسقم وقيل سقم القلب أى مغتم بضلالتكم وقوله لسارة هذه اختى أى فى الدين وهذه التأويلات لنفى الكذب عن ابراهيم والأول هو الأولى للحديث فيه ويجوز أن يكون الله عز وجل اذن له فى ذلك لقصد الصلاح وتوبيخهم والاحتجاج عليهم كما اذن ليوسف حتى أمر مناديه فقال ايتها العير انكم لسارقون ولم يكونوا سرقوا (فرجعوا إلى أنفسهم) اى تفكروا بقلوبهم ورجعوا إلى عقولهم (فقالوا) ما نراه إلا كما قال (انكم

يبق إلا الصنم العظيم علق الفاس فى عنقه وقيل فى يده ثم خرج فلذلك قوله تعالى (فجعلهم جذاذا) أى كسرا وقطعا (إلا كبيرا لهم) اى تركه ولم يكسره ووضع الفاس فى عنقه ثم خرج وقيل ربطه على يده وكانت اثنين وسبعين صنما بعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها من حديد وبعضها من نحاس ورصاص وحجر وخشب وكان الصنم الكبير من الذهب مكللا بالجواهر فى عينيه ياقوتتان تتقدان * وقوله (لعلهم اليه يرجعون) قيل معناه يرجعون إلى ابراهيم وإلى دينه وما يدعوهم اليه إذا علموا ضعف الالهة وعجزها وقيل معناه لعلهم يرجعون إلى الصنم فيسألونه ما لهؤلاء تكسروا وانت صحيح والفاس فى عنقك فلما رجع القوم من عيدهم إلى بيت الهتهم ورأوا أصنامهم مكسرة (قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين) اى تكسيرها واجترائه عليها (قالوا سمعنا فتى يذكرهم) اى يسبهم ويعيبهم (يقال له ابراهيم) اى هو الذى نظن انه صنع هذا فبلغ ذلك نمرود الجبار واشراف قومه (قالوا فاتوا به على أعين الناس) اى جيؤا به ظاهرا بمرأى من الناس وإنما قاله نمرود (لعلهم يشهدون) أى عليه بأنه الذى فعل ذلك كرهوا ان يأخذوه بغير بينة وقيل معناه لعلهم يحضرون عذابه وما يصنع به فلما أتوا به (قالوا) له (أأنت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم قال) يعنى ابراهيم (بل فعله كبيرهم هذا) غضب اذ تعبدون معه هذه الصغار وهو اكبر منها فكسرهن وارادا براهيم بذلك اقامة الحجة عليهم فذلك قوله (فاسئلوهم ان كانوا ينطقون) اى حتى يخبروا بمن فعل ذلك بهم وقيل معناه ان قدروا على النطق قدروا على الفعل فأراهم عجزهم عن النطق وفى ضمنه أنا فعلت ذلك (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله ﷺ قال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات ثنتين منهن فى ذات الله قوله أنى سقيم وقوله فعله كبيرهم هذا وقوله لسارة هذه أختى لفظ الترمذى قيل فى قوله أنى سقيم أى ساسقم وقيل سقيم القلب مغتم بضلالتكم واما قوله بل فعله كبيرهم هذا فانه علق خبره بشرط نطقه كأنه قال ان كان ينطق فهو على طريق التبكيت لقومه وقوله لسارة هذه أختى أى فى الدين والإيمان قال تعالى إنما المؤمنون أخوة فكل هذه الالفاظ صدق فى نفسها ليس فيها كذب * فان قلت قد سماها النبى ﷺ كذبات بقوله لم يكذب ابراهيم إلا ثلاث كذبات وقال فى حديث الشفاعة ويذكر كذباته * قلت معناه أنه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وإن كان حقا فى الباطن إلا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها اشفق ابراهيم عليه الصلاة والسلام منها بمؤاخذته بها قال البغوى وهذه التأويلات لنفى الكذب عن ابراهيم والأولى هو الأول للحديث ويجوز أن يكون الله اذن له فى ذلك لقصد الصلاح وتوبيخهم والاحتجاج عليهم كما اذن ليوسف حين أمر مناديه فقال أيتها العير أنكم لسارقون ولم يكونوا سرقوا قال الامام فخر الدين الرازى وهذا القول مرغوب عنه والدليل القاطع عليه أنه لو جاز أن يكذب لمصلحة ويأذن الله فيه فلنجوز هذا الاحتمال فى كل ما اخبر الأنبياء عنه وذلك يبطل الوثوق بالشرائع ويطرق التهمة إلى كلها والحديث محمول على المعاريض قال فيها مندوحة عن الكذب وقوله (فرجعوا إلى أنفسهم) يعنى تفكروا بقلوبهم ورجعوا إلى عقولهم (فقالوا) ما نراه إلا كما قال (انكم

أنتم الظالمون) يعنى بعبادتكم من لا يتكلم وقيل أنتم الظالمون هذا الرجل سؤالكم اياه وهذه الهتكم حاضرة فاسألوها (ثم نكسوا على رؤسهم) قالوا هذا التفسير أجرى الله الحق على لسانهم فى القول الأول ثم أدركتهم الشقاوة فهو معنى قوله ثم نكسوا على رؤسهم أى ردوا إلى الكفر بعد ان أقروا على أنفسهم بالظلم يقال نكس المريض إذا رجع إلى حالته الأولى وقالوا (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) فكيف نسألهم فلما اتجهت الحجة لإبراهيم عليه السلام (قال) لهم (أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا) ان عبدتموه (ولا يضركم) ان تركتم عبادته (أف لكم) يعنى تبا وقذا لكم (ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون) يعنى أليس لكم عقل تعرفون به هذا فلما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب (قالوا حرقوه وانصروا الهتكم إن كنتم فاعلين) يعنى ان كنتم ناصرين لها وقال ابن عمر رضى الله عنهما ان الذى قال هذا رجل من الأكراد وقيل ان اسمه هيزن فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة قيل له نمرود فلما أجمع نمرود وقومه على حرق ابراهيم عليه السلام حبسوه فى بيت وبنوا له بنيانا كالحظيرة وقيل بنوا اتونا بقرية يقال كوثى ثم جمعوا له (٢٤٣) صلاب الحطب من أصناف

أنتم الظالمون) يعنى عبادتكم ما لا يتكلم وقيل معناه أنتم الظالمون لهذا الرجل فى سؤالكم اياه وهذه الهتكم حاضرة فاسألوها (ثم نكسوا على رؤسهم) قال اهل التفسير أجرى الحق على ألسنتهم فى القول الاول وهو إقرارهم على أنفسهم بالظلم ثم أدركتهم الشقاوة فرجعوا إلى حالهم الأولى وهو قوله ثم نكسوا على رؤسهم اى ردوا إلى الكفر وقالوا (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) يعنى فكيف نسألهم فلما اتجهت الحجة لابراهيم (قالا) لهم (أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا) يعنى ان عبدتموه (ولا يضركم) يعنى ان تركتم عبادته (اف لكم) يعنى تبا لكم (ولما تعبدون من دون الله) والمعنى انه حقرهم وحقر معبودهم (أفلا تعقلون) يعنى أليس لكم عقل تعقلون به ان هذه الاصنام لا تستحق العبادة فلما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب (قالوا حرقوه وانصروا الهتكم) يعنى إنكم لا تنصرونها إلا بتحريق إبراهيم لأنه يعيبها ويطعن فيها (إن كنتم فاعلين) يعنى ناصرين الهتكم قال ابن عمر الذى قال هذا رجل من الأكراد قيل اسمه هيزون فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة وقيل نمرود بن كنعان بن سنجاريب بن نمرود بن كوش بن حام بن نوح ﴿ذكر القصة فى ذلك﴾ فلما اجتمع نمرود وقومه لاحراق ابراهيم حبسوه فى بيت وبنوا عليه بنيانا كالحظيرة بقرية يقال لها كوثى ثم جمعوا له صلاب الحطب وأصناف الخشب مدة شهر حتى كان الرجل يمرض فيقول لئن عوفيت لاجمعن حطبا لابراهيم وكانت المرأة تنذر فى بعض ما تطلب لئن اصابته لتحتطبن فى نار ابراهيم وكانت المرأة تغزل وتشترى الحطب بغزلها احتسابا فى دينها وكان الرجل يوصى بشراء الحطب من ماله لابراهيم فلما جمعوا ما أرادوا اشعلوا فى كل ناحية من الحطب نارا فاشتعلت النار واشتد حتى ان الطير ليمر بها فتحرق من شدة وهجها وحرها فأوقدوا عليها سبعة أيام فلما ارادوا ان يلقوا ابراهيم لم يعلموا كيف يلقونه فقيل ان إبليس جاء وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه ثم عمدوا الى ابراهيم فقيدوه ورفعوه على راس البنيان ووضعوه فى المنجنيق مقيدا مغلولا فصاحت السماء والارض ومن فيهما من الملائكة وجميع الخلق إلا الثقلين صيحة واحدة اى ربنا ابراهيم خليلك يلقى فى النار وليس فى ارضك احد يعبدك غيره فائذن لنا فى نصرته فقال الله تعالى انه خليلى ليس لى خليل غيره وانا الهه ليس له اله غيرى فان استغاث بأحد منكم او دعاه فلينصره قد اذنت له فى ذلك وان لم يدع غيرى فانا اعلم به وانا وليه فخلوا بينى وبينه فلما ارادوا القائه

الخشب مدة حتى كان الرجل يمرض فيقول لئن عافانى الله لاجمعن حطبا لابراهيم وكانت المراة تنذر فى بعض ما تطلب لئن اصابته لتحتطبن فى نار إبراهيم وكان الرجل يوصى بشراء الحطب والقائه فيها وكانت المرأة تغزل وتشترى الحطب بغزلها فتلقيه فيه احتسابا قال ابن اسحق كانوا يجمعون الحطب شهرا فلما أجمعوا اما أرادوا أشعلوا فى كل ناحية من الحطب النار فاشتعلت النار واشتدت حتى ان كان الطير ليمر بها فيحترق من شدة وهجها فاوقدوا عليها سبعة أيام روى أنهم لم يعلموا كيف يلقونه فيها فجاء ابليس فعلمهم عمل المنجنيق فعملوه ثم عمدوا الى ابراهيم فرفعوه على رأس البنيان وقيدوه

ثم وضعوه فى المنجنيق مقيدا مغلولا فصاحت السماء والأرض من فيها من الملائكة وجميع الخلق والا الثقلين صيحة واحدة اى ربنا ابراهيم خليلك يلقى فى النار وليس فى أرضك أحد يعبدك غيره فاذن لنا فى نصرته فقال الله عز وجل انه خليلى ليس لى غيره خليل وأنا الهه وليس له اله غيرى فان استغاث بشىء منكم أو دعاه فلينصره فقد أذنت له فى ذلك وان لم يدع غيرى فانا أعلم به وأنا وليه فخلوا بينى وبينه فلما أرادوا القاءه فى النار أتاه خازن المياه فقال ان أردت أخمدت النار وأتاه خازن الرياح فقال ان شئت طيرت النار فى الهواء فقال ابراهيم لا حاجة لى اليكم حسبى الله ونعم الوكيل وروى عن ابى بن كعب ان إبراهيم قال حين اوثقوه ليلقوه فى النار قال لا إله إلا انت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم رموا به فى المنجنيق الى النار فاستقبله جبريل فقال يا إبراهيم لك حاجة فقال اما اليك فلا تقال جبريل فاسال ربك فقال ابراهيم حسبى من سوالى علمه بحالى قال كعب الأحبار جعل كل شىء يطفىء عنها النار الا الوزغ فانه كان ينفخ فى النار اخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا عبد الله بن موسى وابن سلام عنه أنا ابن جريج عن عبد الحميد بن جبير عن سعيد بن المسيب عن ام شريك ان رسول الله ﷺ أمر بقتل الوزغ وقال كان ينفخ النار على ابراهيم قال الله تعالى

(قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على إبراهيم) قال ابن عباس لو لم يقل سلاما لمات إبراهيم من بردها ومن المعروف فى الآثار أنه لم يبق يومئذ نار فى الأرض إلا طفئت فلم ينتفع فى ذلك اليوم بنار فى العالم ولو لم يقل على إبراهيم بقيت ذات برد أبدا قال السدى فأخذت الملائكة بضبعى إبراهيم فأقعدوه على الأرض فاذا عين ماء عذب وورد أحمر ونرجس قال كعب ما أحرقت النار من إبراهيم إلا وثاقه قالوا وكان إبراهيم فى ذلك الموضع سبعة أيام قال المنهال بن عمرو قال إبراهيم ما كنت قط ايما أنعم منى من الأيام التى كنت فيها فى النار قال ابن يسار وبعث الله ملك الظل فى صورة إبراهيم فقعد فيها إلى جنب إبراهيم يؤنسه قالوا وبعث الله إليه جبريل بقميص من حرير الجنة وطنفسه فالبسه القميص وأقعده على الطنفسة وقعد معه يحدثه وقال جبريل يا إبراهيم إن ربك يقول (٢٤٤) لك أما علمت ان النار لا تضر أحبائى ثم نظر نمرود وأشرف على إبراهيم من صرح له فرآه جالسا فى روضة والملك قاعد إلى جنبه وما حوله نار تحرق الحطب فناداه يا إبراهيم كبير إلهك الذى بلغت قدرته ان حال بينك وبين ما أرى يا إبراهيم هل تستطيع أن تخرج منها قال نعم قال هل تخشى ان أقمت فيها أن تضرك قال لا قال فقم فاخرج منها فقام إبراهيم يمشى فيها حتى خرج منها فلما خرج اليه قال له يا ابراهيم من الرجل الذى رأيته معك فى مثل صورتك قاعد الى جنبك قال ذاك ملك الظل ارسله الى ربى ليؤنسنى فيها فقال نمرود يا ابراهيم انى مقرب الى ربك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك حيث أبيت الا عبادته وتوحيده انى ذابح له أربعة الاف بقرة فقال له ابراهيم اذا لا يقبلها منك ما كنت على دينك حتى تفارقه الى دينى فقال لا أستطيع ترك ملكى ولكن سوف اذبحها فذبحها له نمرود ثم كف عن ابراهيم ومنعه الله منه قال شعيب الجبائى القى ابراهيم فى النار وهو ابن ستة عشرة سنة قوله (وارادوا به كيدا وقال فجعلناهم الأخسرين) قيل معناه أنهم خسروا السعى والنفقة ولم يحصل لهم مرادهم وقيل معناه ان الله عز وجل ارسل على نمرود وأهله البعوض فاكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت واحدة فى دماغه فاهلكته قوله تعالى (ونجيناه ولوطا) من نمرود وقومه من أرض العراق (الى الأرض التى باركنا فيها للعالمين) يعنى الشام بارك الله فيها بالخصب وكثرة الأشجار والثمار والأنهار ومنها بعث أكثر الأنبياء وقال أبى بن كعب سماها مباركة لانه ما من ماء عذب الا وينبع من تحت الصخرة التى هى ببيت المقدس

فى النار أتاه خازن المياه وقال إن أردت أخمدت النار واتاه خازن الهواء وقال إن شئت طيرت النار فى الهواء فقال ابراهيم لا حاجة لى اليكم حسبى الله ونعم الوكيل وروى عن ابى كعب أن ابراهيم قال حين اوثقوه ليلقوه فى النار لا إله إلا أنت سبحانك لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم رموا به فى المنجنيق الى النار فاستقبله جبريل فقال يا إبراهيم ألك حاجة فقال أما اليك فلا قال جبريل فاسأل ربك فقال ابراهيم حسبى من سؤالى علمه بحالى (خ) عن ابن عباس فى قوله تعالى وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل قال قالها إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين ألقى فى النار وقالها محمد ﷺ حين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم قال كعب الأحبار جعل كل شىء يطفىء عنه النار إلا الوزغ فانه كان ينفخ فى النار (ق) عن أم شريك ان النبى ﷺ أمر بقتل الأوزاغ زاد البخارى وقال كان ينفخ على إبراهيم (قلنا) يعنى قال الله عز وجل (يا نار كونى بردا وسلاما على إبراهيم) قال ابن عباس لو لم يقل سلاما لمات ابراهيم من بردها وفى بعض الآثار أنه لم يبق يومئذ نار فى الأرض إلا طفئت فلم ينتفع فى ذلك اليوم بنار فى العالم ولو لم يقل على إبراهيم بقيت ذات برد أبدا وقيل أخذت الملائكة بضبعى إبراهيم فأقعدوه على الأرض فاذا عين ماء عذب وورد أحمر ونرجس قال ما احرقت النار من ابراهيم إلا وثاقه قالوا وكان إبراهيم فى ذلك الموضع سبعة أيام قال المنهال بن عمر وقال ابراهيم ما كنت أياما قط انعم منى فى من الأيام التى كنت فى النار وقيل وبعث الله تعالى ملك الظل فى صورة ابراهيم فقعد إلى جنب ابراهيم يؤنسه قالوا وبعث الله عز وجل جبريل بقميص من حرير الجنة وطنفسه فألبسه القميص وأجلسه على الطنفسة وقعد معه يحدثه وقال جبريل يا إبراهيم إن ربك يقول أما علمت أن النار لا تضر أحبائى ثم ظهر نمرود وأشرف على ابراهيم من صرح فراه جالسا فى روضة والملك قاعدا إلى جنبه وما حوله نار تحرق الحطب فناداه يا ابراهيم كبير إلهك الذى بلغت قدرته أن حال بينك وبين النار يا إبراهيم هل تستطيع أن تخرج منها قال نعم قال هل تخشى ان أقمت ان أضرك قال لا قال فقم فاخرج منها فقام إبراهيم يمشى فيها حتى خرج منها فلما وصل اليه قال له يا إبراهيم من الرجل الذى رأيته معك مثلك فى صورتك قاعدا إلى جنبك قال ذلك ملك الظل أرسله الى ربى ليؤنسنى فيها فقال نمرود يا ابراهيم انى مقرب الى الهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك حين أبيت الا عبادته وتوحيده وانى ذابح له أربعة الاف بقرة قال ابراهيم لا يقبل الله منك مادمت على دينك حتى تفارقه وترجع الى دينى فقال لا أستطيع ترك ملكى ولكن سوف اذبحها فذبحها نمرود وكف عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام ومنعه الله عز وجل منه * قوله عز وجل (وارادوا به كيدا يعنى أرادوا أن يكيدوه (فجعلناهم الأخسرين) قيل معناه أنهم خسروا السعى والنفقة ولم يحصل لهم مرادهم وقيل ان الله تعالى أرسل على نمرود وقومه البعوض فاكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت فى دماغه بعوضة فاهلكته * قوله تعالى (ونجيناه ولوطا) يعنى من نمرود وقومه (الى الأرض التى باركنا فيها للعالمين) يعنى الى أرض الشام بارك الله فيها بالخصب وكثرة الأشجار والثمار والأنهار

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو الحسين بن بشران أنا إسماعيل بن محمد بن الصفار أنا أحمد بن منصور الرمادي أنا عبد الرازق أنا معمر عن قتادة ان عمر بن الخطاب قال لكعب الا تتحول إلى المدينة فهنا مهاجر رسول الله ﷺ وقبره فقال كعب إني وجدت في كتابة الله المنزل يا أمير المؤمنين ان الشام كنز الله من أرضه وبها كنزه من عباده أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري انا جدي عبد الصمد بن عبد الرحمن البزاز أنا محمد بن زكريا العذافري انا إسحق الديري انا عبد الرازق أنا معمر عن قتادة عن شهر بن حوشب عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله ﷺ يقول انها ستكون هجرة بعد هجرة فخيار الناس إلى مهاجر إبراهيم وقال محمد بن إسحق استجاب لابراهيم رجال من قومه حين رأوا ما صنع الله به من جعل النار عليه بردا وسلاما فآمن به لوط وكان ابن أخيه

وقال أبي كعب أراك الله فيها وسماها مباركا لأنه ما من ماء عذب إلا وينبع أصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس وقيل لأن أكثر الأنبياء منها (ق) عن ابي قتادة ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب ألا تتحول إلى المدينة فيها مهاجر رسول الله ﷺ قبره فقال كعب اني وجدت في كتاب الله المنزل يا أمير المؤمنين ان الشام كنز الله من أرضه وبها كنزه من عباده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ستكون هجرة بعد هجرة فخيار اهل الأرض الزمهم مهاجر ابراهيم اخرجه ابو داود أراد بالهجرة الثانية الهجرة إلى الشام يرغب في المقام بها عن زيد بن ثابت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لأهل الشام فقلت وما ذاك يا رسول الله قال لأن الملائكة باسطة اجنحتها عليها أخرجه الترمذي عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال قلت يا رسول الله اين تأمرني قال ههنا ونحا بيده نحو الشام اخرجه الترمذي قال محمد اسحق استجاب لابراهيم رجال من قومه حين رأوا ما صنع الله تعالى به من جعل النار عليه بردا وسلاما على صوف من نمرود وملئهم وامنت به سارة بنت هاران الاكبر عم ابراهيم وتبعه لوط وكان ابن اخيه وهو لوط بن هاران وهن اخو ابراهيم وكان لهما اخ ثالث اسمه ناخور فثلاثتهم أولا تارخ وهو أزر فخرج ابراهيم من من كوثى من أرض العراق مهاجرا إلى ربه ومعه لوط وسارة فخرج يلتمس الفرار بدينه والامان على عبادة ربه حتى نزل حران فمكث بها ما شاء الله ثم خرج مهاجرا حتى قدم مصر ثم خرج ورجع إلى الشام فنزل السبع من أرض فلسطين ونزل لوط بالمؤتفكة وهي على مسيرة يوم وليلة من السبع فبعثه الله نبيا إلى اهلها وما قرب منها فذلك قوله تعالى ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين قوله تعالى (ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة) يعني عطية من عطاء الله قال ابن عباس النافلة هو يعقوب لأن الله تعالى اعطى ابراهيم واسحق بدعائه حيث قال رب هب لي من الصالحين وزاده يعقوب نافلة وهو ولد الولد (وكلا جعلنا صالحين) يعني ابراهيم واسحق ويعقوب (وجعلناهم ائمة) يعني قدوة يهتدى بهم في الخير (بهدون بأمرنا) يعني يدعون الناس إلى ديننا بأمرنا (وأوحينا اليهم فعل الخيرات) يعني العمل بالشرائع (وإقام الصلاة) يعني المحافظة عليها (وإيتاء الزكاة) يعني الواجبة وخصهما لأن الصلاة أفضل العبادات البدنية وشرعت لذكر الله والزكاة افضل العبادات المالية وبجموعهما التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله (وكانوا لنا عابدين) يعني موحدين قوله عز وجل (ولوطا آتيناه حكماً) أي الفصل بين الخصوم بالحق وقيل أراد الحكمة والنبوة (وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث) يعني قرية سدوم وأراد أهلها وأراد بالخبائث إتيان الذكور في ادبارهم وكانوا يتضارطون في مجالسهم مع اشياء اخر كانوا يعملونها من المنكرات (إنهم كانوا قوم سوء فاسقين وادخلناه في رحمتنا قيل اراد بالرحمة النبوة وقيل اراد بها الثواب (انه من الصالحين) اي الأنبياء قوله تعالى (نوحا إذ نادى من قبل) اي من قبل ابراهيم ولوط

وهو لوط ابن هاران بن تارخ وهاران هو أخو إبراهيم وكان لهما أخ ثالث يقال له ناخور بن تارخ وآمنت به أيضا سارة وهي بنت عمه وهي سارة بنت هاران الاكبر عم إبراهيم فخرج من كوثى من أرض العراق مهاجرا إلى ربه ومعه لوط وسارة كما قال الله تعالى فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي فخرج يلتمس الفرار بدينه والأمان على عبادة ربه حتى نزل حران فمكث بها ما شاء الله ثم خرج منها مهاجرا حتى قدم مصر ثم خرج من مصر إلى الشام فنزل السبع من أرض فلسطين وهي بريئة الشام ونزل لوط بالمؤتفكة وهي من السبع على مسيرة يوم وليلة واقرب فبعثه الله نبيا فذلك قوله تعالى ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين (ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة) قال مجاهد وعطاء معنى

النافلة العطية وهما جميعاً من عطاء الله نافلة يعني عطاء قال الحسن والضحاك فضلا وعن ابن عباس وابي بن كعب وابن زيد وقتادة رضي الله عنهم النافلة هو يعقوب لأن الله عز وجل اعطاه اسحق بدعائه حيث قال هب لي من الصالحين وزاد يعقوب وهو ولد الولد والنافلة الزيادة (وكلا جعلنا صالحين) يعني ابراهيم واسحق ويعقوب (وجعلناهم ائمة يهدون بأمرنا) يقتدى بهم في الخيرات يهدون بأمرنا يدعون الناس الى ديننا (واوحينا اليهم فعل الخيرات) يعني العمل بالشرائع (واقام الصلاة) يعني المحافظة عليها (وايتاء الزكاة) اعطاءها (وكانوا لنا عابدين) موحدين (ولوطاً آتيناه) يعني واتينا لوطاً وقيل واذكر لوطا اتيناه (حكماً) يعني الفصل بين الخصوم بالخصوم (وعلما) ونجيناه القرية التي كانت تعمل الخبائث) يعني سدوم وكان اهلها يأتون الذكران في ادبارهم ويتضارطون في انديتهم مع اشياء اخر كانوا يعملونها من المنكرات (انهم كانوا قوم سوء فاسقين وادخلناه في رحمتنا انه من الصالحين ونوحا اذ نادى) دعا (من قبل) يعني من قبل ابراهيم ولوط

(فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم) قال ابن عباس من الغرق وتكذيب قومه وقيل لأنه كان أطول الأنبياء عمرا وأشدهم بلاء. والكرب اشد الغم (ونصرناه) معناه (من القوم الذين كذبوا بآياتنا) أن يصلوا اليه بسوء. وقال ابو عبيدة يعني على القوم (انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين) قوله تعالى (وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث) قال اختلفوا في الحرث قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم وأكثر المفسرين كان الحرث كرما قد تدلت عناقيده وقال قتادة كان زرعا (إذ نفشت فيه غنم القوم) يعني رعته ليلا فأفسدته والنفش الرعي بالليل والهمل بالنهار وهما الرعي بلا راع (وكنا لحكمهم شاهدين) يعني كان ذلك بعلمنا وبمرأى منا لا يخفى علينا عليه قال الفراء جمع اثنين فقال لحكمهم وهو يريد داود وسليمان لأن الاثنين جمع وهو مثل قوله فان كان له إخوة فلامه السدس وهو يريد اخوين قال ابن عباس وقتادة والزهري وذلك ان رجلين دخلا على (٢٤٦) داود أحدهما صاحب زرع والآخر صاحب غنم فقال صاحب الزرع ان هذا انفلتت غنمه ليلا ووقعت في حرثي فافسدته فلم يبق منه شيء فأعطاه داود رقاب الغنم بالحرث فخرجا فمرا على سليمان فقال كيف قضى بينكما فأخبراه فقال سليمان لو وليت امركما لقضيت بغير هذا وروي انه قال غير هذا أرفق بالفريقين فأخبر بذلك داود فدعاه فقال كيف تقضي وبروي انه قال بحق النبوة والابوة الا اخبرتني بالذي هو أرفق بالفريقين قال ادفع الغنم إلى صاحب الحرث ينتفع بدرها ونسلها وصوفها ومنافعها ويبذر صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه فاذا صار الحرث كهيئته يوم اكل دفع إلى اهله وأخذ صاحب الغنم غنمه فقال داود القضاء ما قضيت وحكم بذلك وقيل سليمان يوم حكم بذلك كان ابن احدى عشرة سنة واما حكم الاسلام في هذه المسألة ان ما افسدت الماشية المرسلة بالنهار من مال الغير فلا ضمان على ربها وما افسدته بالليل ضمنته بها لأن في عرف الناس ان أصحاب الزرع يحفظونه بالنهار والمواشي تسرح بالنهار وترد بالليل إلى المراح ويدل على هذه المسألة ما روى حرام بن سعد بن محيصة ان ناقة البراء ابن عازب دخلت حائطا لرجل من الأنصار فأفسدت فيه فقضى رسول الله ﷺ ان على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى أهل المواشي حفظها بالليل زاد في رواية وان أهل الماشية ما أصابت ماشيتهم بالليل أخرجه أبو داود مرسلا وذهب أصحاب الرأي أن المالك إذا لم يكن مع ماشيته فلا ضمان عليه فيما اتلفت ليلا كان أو نهارا فذلك قوله تعالى (فهمناها سليمان) أي علمناه والهمناه حكم القضية (وكلا) اي داود وسليمان (آتينا حكما وعلما) أي بوجوه الاجتهاد وطرق الأحكام قال الحسن لولا هذه الاية لرأيت الحكام قد هلكوا ولكن الله حمد هذا بصوابه واثنى على هذا باجتهاده واختلف العلماء في ان حكم داود كان باجتهاده أم بنص وكذلك حكم سليمان فقال بعضهم حكما بالاجتهاد قال ويجوز الاجتهاد للانبياء ليدركوا ثواب المجتهدين والعلماء لهم الاجتهاد في الحوادث إذا لم يجدوا فيها نص كتاب أو سنة وإذا اخطؤا فلا إثم عليهم (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى

(فاستجبنا له) أي أجبنا عاده (فنجيناه وأهله من الكرب العظيم قال ابن عباس من الغرق وتكذيب قومه له وقيل انه كان أطول الأنبياء عمرا وأشدهم بلاء والكرب أشد الغم (ونصرناه) أي منعناه (من القوم الذين كذبوا بآياتنا) من أن يصلوا اليه بسوء وقيل من بمعنى على (إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين) * قوله عز وجل (وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث) قال ابن عباس واكثر المفسرين كان الحرث كرما قد تدلت عناقيده وقيل كان زرعا وهو أشبه بالعرف (إذ نفشت فيه غنم القوم) أي رعته ليلا فافسدته وكان بلا راع (وكنا لحكمهم شاهدين) أي كان ذلك بعلمنا ومرأى منا لا يخفى علينا عليه وفيه دليل لمن يقول بأقل الجمع اثنان لقوله وكنا لحكمهم والمراد به داود وسليمان قال ابن عباس وغيره ان رجلين دخلا على داود أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم فقال صاحب الزرع ان غنم هذا دخلت زرعي ليلا فوقعت فيه فأفسدته فلم تبق منه شيئا فاعطاه رقاب الغنم بالزرع فخرجا فمرا على سليمان فقال كيف قضى بينكما فاخبراه فقال سليمان لو وليت امركما لقضيت بغير هذا وروي انه قال غير هذا رفق بالفريق فاخبر بذلك داود فدعاه وقال كيف تقضي وبروي انه قال بحق النبوة والأبوة إلا ما اخبرتني بالذي هو أرفق بالفريقين قال ادفع الغنم إلى صاحب الحرث ينتفع بدرها ونسلها وصوفها ومنافعها ويزرع صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه إذا صار الحرث كهيئته يوم اكل دفع إلى صاحبه واخذ صاحب الغنم غنمه فقال داود القضاء ما قضيت وحكم بذلك فقيل كان لسليمان يوم حكم بذلك من العمر إحدى عشرة سنة وحكم الاسلام في هذه المسألة ان ما افسدته الماشية المرسلة مال الغنى بالنهار فلا ضمان على ربها وما افسدته بالليل ضمنه ربها لأن في عرف الناس ان أصحاب الزروع يحفظونه بالنهار والمواشي تسرح بالنهار وترد بالليل إلى المراح ويدل على هذه المسألة ما روى حرام بن سعد بن محيصة ان ناقة البراء ابن عازب دخلت حائطا لرجل فأفسدت فيه فقضى رسول الله ﷺ ان على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى أهل المواشي حفظها بالليل زاد في رواية وان أهل الماشية ما أصابت ماشيتهم بالليل أخرجه أبو داود مرسلا وذهب أصحاب الرأي أن المالك إذا لم يكن مع ماشيته فلا ضمان عليه فيما اتلفت ليلا كان أو نهارا فذلك قوله تعالى (فهمناها سليمان) أي علمناه والهمناه حكم القضية (وكلا) يعني داود وسليمان (آتينا حكما وعلما) قال الحسن لولا هذه الاية لرأيت الحكام قد اهلكوا ولكن الله حمد هذا بصوابه واثنى على هذا باجتهاده واختلف العلماء في ان حكم داود كان بالاجتهاد أو بالنص وكذلك حكم سليمان فقال بعضهم فعلا بالاجتهاد وقالوا يجوز الاجتهاد للانبياء ليدركوا ثواب المجتهدين الا ان داود اخطأ وأصاب

سليمان وقالوا يجوز الخطأ على الأنبياء إلا أنهم لا يقرون عليه فامد العلماء فلهم الاجتهاد فى الحوادث إذا لم يجدوا فيها نص كتاب ولا سنة فاذا أخطأوا فلا اثم عليهم فانه موضوع عنهم ولما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع بن سليمان أنا الشافعى أنا عبد العزيز ابن محمد عن يزيد بن عبد الله بن الهاذى عن محمد بن إبراهيم التيمى عن يسر بن سعيد أبى عن القيس مولى عمرو ابن العاص عن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله اجر وقال قوم أن داود وسليمان حكما بالوحى وكان حكم سليمان ناسخا لحكم داود وهذا القائل يقول لا يجوز للأنبياء الحكم بالاجتهاد لأنهم مستغنون عن الاجتهاد بالوحى وقالوا لا يجوز الخطأ على الأنبياء واحتج من ذهب إلى أن كل مجتهد مصيب بظاهر الاية وبالخبر حيث وعد الثواب للمجتهد على الخطأ وهو قول أصحاب الرأى وذهب جماعة إلى أنه ليس كل مجتهد مصيبا بل إذا اختلف اجتهاد مجتهدين فى حادثة كان الحق مع واحد لا بعينه ولو كان كل واحد مصيبا لم يكن للتقسيم معنى وقوله عليه السلام (٢٤٧) وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر لم يرد به

الله عليه وسلم إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر وقال قوم ان داود وسليمان حكما بالوحى فكان حكم سليمان ناسخا لحكم داود ومن قال بهذا يقول لا يجوز للأنبياء الحكم بالاجتهاد لأنهم مستغنون عنه بالوحى واحتج من ذهب الى ان كل مجتهد مصيب بظاهر هذه الاية وبالحديث حيث وعد الثواب للمجتهد على الخطأ وهو قول اصحاب الراى وذهب جماعة الى انه ليس كل مجتهد مصيبا بل اذا اختلف اجتهاد المجتهدين فى حادثة كان الحق مع واحد لا بعينيه ولو كان كل واحد مصيبا لم يكن للتقسيم معنى وقوله ﷺ اذا اجتهد فأخطأ فله أجر لم يرد به أنه يؤجر على الخطأ بل يؤجر على اجتهاده فى طلب الحق لان اجتهاده عبادة والاثم فى الخطا عنه موضوع اذا لم يأل جهدا ووجه الاجتهاد فى هذا الحكم أن داود قوم قدر الضرر فى الحرث فكان مساويا بالقيمة الغنم وكان عنده أن الواجب فى ذلك الضرر فى الحرث قيمة المثل فلا جرم سلم الغنى الى المجنى عليه وأما سليمان فان اجتهاده أدى الى انه يجب مقابلة الاصول بالاصول والزوائد بالزوائد فأما مقابلة الاصول بالزوائد فغير جائزة ولعل منافع الغنم فى تلك السنة كانت موازية لمنافع الحرث فحكم به ومن أحكام داود وسليمان عليهما السلام ماروى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن أحدهما فقالت لصاحبتها انما ذهب بابنك وقالت الاخرى انما ذهب بابنك فتحاكما الى داود فقضى به للكبرى فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرتاه فقال ائتونى بالسكين اشقه بينهما فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى اخرجاه فى الصحيحين قوله تعالى (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير) أى يسبحن مع داود اذا سبح قال ابن عباس كان يفهم تسبيح الحجر والشجر قيل كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح كذلك الطير وقيل معنى يسبحن يصلين معه اذا صلى وقيل كان داود اذا فتر يسمعه الله تسبيح الجبال والطير لينشط فى التسبيح ويشتاق اليه (وكنا فاعلين) يعنى ماذكر من التفهيم وايتاء الحكم والتسخير (وعلمناه صنعة لبوس لكم) أى صنعة الدروع التى تلبس فى الحرب قيل أول من صنع الدروع وسردها واتخذها حلقا داود وكانت من قبل صفائح قالوا أن الله الان الحديد لداود بان يعمل منه بغير نار كانه طين والدرع يجمع بين الخفة والحصانة وهو قوله تعالى (لتحصنكم) اى تمنعكم (من باسكم) اى حرب عدوكم وقيل من وقع السلاح فيكم وقيل ليحصنكم الله به (فهل انتم شاكرون) أى يقول ذلك لداود وأهل بيته قوله عز وجل (ولسليمان الريح) اى وسخرنا لسليمان الريح وهو جسم متحرك لطيف يمتنع بلطفه من القبض عليه يظهر للحس بحركته ويخفى عنه البصر بلطفه (عاصفة) أى

أنه يؤجر على اجتهاده فى طلب الحق لان اجتهاده عبادة والاثم فى الخطا عنه موضع اذا لم يأل جهده أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهرى أنا أبو الزناد عن عبد الرحمن الأعرج أنه سمع أبا هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول كانت امرأتان معهما ابناهما فجاء الذئب فذهب بابن أحدهما فقال صاحبتها إنما ذهب بابنك وقالت الأخرى إنما ذهب بابنك فتحاكما إلى داود فقضى به للكبرى فخرجتا على سليمان وأخبرتاه فقال ائتونى بالسكين اشقه بينهما فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله فهو ابنها فقضى به للصغرى قوله تعالى (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير) اى وسخرنا الجبال والطير يسبحن مع داود إذا سبح قال ابن عباس كان يفهم تسبيح الحجر والشجر وقال وهب كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير وقال قتادة يسبحن أى يصلين معه إذا صلى وقيل كان داود إذا فتر يسمعه الله تسبيح الجبال والطير لينشط فى التسبيح ويشتاق اليه (وكنا فاعلين) ماذكر من التفهيم وإيتاء الحكم والتسخير (وعلمناه صنعة لبوس لكم) المراد باللبوس هنا الدروع لانها تلبس وهو فى اللغة اسم لكل ما يلبس ويستعمل فى الاسلحة كلها وهو بمعنى الملبوس كالجلوس والركوب قال قتادة أول من صنع الدروع وسردها وحلقها داود وكانت من قبل صفائح والدرج يجمع الخفة والحصانة (لتحصنكم) لتحرزكم وتمنعكم (من بأسكم) أى من حرب عدوكم قال السدى من وقع السلاح فيكم قرأ أبو جعفر وابن عامر وحفص عن عاصم ويعقوب لتحصنكم بالتاء يعنى الصنعة وقرأ أبو بكر عن عاصم بالنون لقوله وعلمناه وقرأ الآخرون بالياء وجعلوا الفعل للبوس وقيل ليحصنكم الله (فهل أنتم شاكرون) يقول لداود واهل بيته وقيل يقول لاهل مكة فهل انتم شاكرون نعمى بطاعة الرسول (ولسليمان الريح عاصفة) أى وسخرنا

لسليمان الريح وهى هواء متحرك وهو جسم لطيف يمتنع بلطفه من القبض عليه ويظهر للحس بحركته والريح يذكر ويؤنث عاصفة شديدة الهبوب فان قيل قد قال فى موضع آخر تجرى بأمره رخاء والرخاء اللين قيل كانت الريح تحت أمره إن اراد ان تشتد اشتدت وإن أراد أن تلين لانت (تجرى بأمره الى الأرض التى باركنا فيها) يعنى الشام وذلك أنها كانت تجرى لسليمان واصحابه حيث شاء سليمان ثم يعود إلى منزله بالشام وكنا بكل شىء) علمناه (عالمين) بصحة التدبير فيه أى علمنا أن ما يعطى سليمان من تسخير الريح وغيره يدعوه الى الخضوع لربه عز وجل قال وهب بن منبه كان سليمان إذا خرج إلى مجلسه عكفت عليه الطير وقام له الجن والإنس حتى يجلس على سريره وكان امره اغزاء قل ما يقعد عن الغزو ولا يسمع فى ناحية من الارض بملك اتاه حتى يذله فكان فيما يزعمون أنه إذا أراد الغزو وأمر بعسكره فضرب نخشب ثم نصب له على الخشب ثم حمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب فاذا حمل معه ما يريده أمر العاصفة من الريح فدخلت تحت ذلك الخشب فاحتملته حتى اذا استقلت به أمر الرخاء فمرت به شهرا فى روحة وشهرا فى غدوة إلى حيث أراد وكانت تمر بعسكره الريح الرخاء وبالمزعة فما تحركها ولا تثير ترابا ولا تؤذى طائرا قال وهب (٢٤٨) ذكر لى أن منزلا بناحية دجلة مكتوب فيه كتبه بعض صحابة سليمان أما من الجن وأما من الانس نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه عدونا من اصطخر فقلناه ونحن راتحون منه ان شاء الله فباتون بالشام قال مقاتل نسجت الشياطين لسليمان بساطا فرسخا فى فرسخ ذهبا فى ابريسم وكان يوضع له منبر من الذهب فى وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة الاف كرسى من ذهب وفضة ويقعد الانبياء على كرسى الذهب والعلماء على كراسى الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها الا تقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الرواح ومن الرواح الى الصباح وعن سعيد بن جبير قال كان يوضع لسليمان ستمائة الف كرسى فيجلس الإنس فما يليه ثم يليهم الجن ثم تظلهم الطير ثم تحملهم الريح وقال الحسن لما شغلت الخيل نبى الله سليمان وكان عليه السلام حتى فاتته صلاة العصر غضب الله عز وجل فعقر الخيل فابدله الله مكانها خيرا منها واسرع الريح تجرى بأمره كيف شاء فكان يغدو من إيلياء فيقيل باصطخر ثم يروح ومنها فيكون رواحها ببابل وقال ابن زيد كان له مركب من خشب وكان فيه الف كل ركن الف بيت يركب معه فيه الجن والإنس تحت كل ركن ألف شيطان يرفعون ذلك المركب فاذا ارتفعت الريح الرخاء فسارت به وبهم يقيل عند قوم بينه وبينهم شهر ويمسى عند قوم بينه وبينهم شهر ولا يدرى القوم الا وقد اظلهم معه الجيوش وروى ان سليمان سار من أرض العراق غازيا فقال بمدينة مرو وصلى العصر بمدينة بلخ يحمله وجنوده الريح وتظلهم الطير ثم سار من مدينة بلخ متخللا بلاد الترك ثم جاءهم الى أرض الصين يغدو على مسيرة شهر ويروح على مثل ذلك ثم عن مطلع الشمس على ساحل البحر حتى أتى على ارض القندهار وخرج منها الى ارض مكران وكرمان ثم جاوزها حتى الى ارض فارس فنزلها اياما وغدا منها الى الشام فقال بكسكر ثم راح وكان مستقره بمدينة تدمر وكان امر الشياطين قبل شخوصه من الشام إلى العراق فبنوها له بالصفاح والعمد والرخام الابيض والاصفر وفى ذلك يقول النابغة الا سليمان اذ قال المليك له * قم فى البرية فاحددها عن الفند وجيش الجن انى قد اذنت لهم * يبنون تدمر بالصفاح والعمد

شديد الهبوب فان قلت قد وصفها الله بالرخاء وهى الريح اللينة قلت كانت الريح تحت أمره أن اراد ان تشتد اشتدت وإن اراد أن تلين لانت (تجرى بأمره إلى الارض التى باركنا فيها (يعنى الشام وذلك لانها كانت تجرى بسليمان وأصحابه حيث يشاء سليمان ثم يعود إلى منزله بالشام (وكنا بكل شىء عالمين) أى بصحة التدبير فيه وعلمنا أن ما يعطى سليمان من تسخير الريح وغيره يدعوه إلى الخضوع لربه قال وهب كان سليمان عليه السلام إذا خرج إلى مجلسه حلقت عليه الطير وقام له الإنس والجن حتى يجلس على سريره وكان امره أغزاء فلما كان يقعد عن الغزو ولا يسمع فى ناحية من الارض بملك الا أتاه حتى يذله وكان فيما يزعمون إذا أراد الغزو وامر بعسكره فضرب له بمخشب ثم نصب له على الخشب ثم حمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب فاذا حمل معه ما يريد أمر العاصف من الريح فدخلت تحت ذلك الخشب فاحتملته حتى إذا استقلت به امر الرخاء فمرت به شهرا فى روحته وشهرا فى غدوته إلى حيث أراد وكانت تمر بعسكره الريح الرخاء وبالمزعة فما تحركها ولا تثير ترابا ولا تؤذى طائرا قال وهب ذكر لى أن منزلا بناحية دجلة مكتوب فيه كتبه بعض صحابة سليمان إما من الإنس او من الجن نحن نزلناه وما بنيناه مبنيا وجدناه عدونا من اصطخر فقلناه ونحن راتحون منه ان شاء الله فنازلون بالشام وقال مقاتل نسجت الشياطين لسليمان بساطا فرسخا فى فرسخ ذهبا فى إبريسم وكان يوضع له منبر من ذهب وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاث الاف كرسى من ذهب وفضة تقعد الانبياء على كراسى الذهب والعلماء على كراسى الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليه شمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح إلى الرواح وقال الحسن لما شغلت نبى الله سليمان الخيل حتى فاتته صلاة العصر غضب الله فعقر الخيل فابدله الله مكانها خيرا منها وأسرع الريح تجرى بأمره كيف شاء فكان يغدو من إيلياء فيقيل باصطخر ثم يروح منها فيكون رواحه ببابل وروى أن سليمان سار من أرض العراق فقال بمدينة بلخ متخللا بلاد الترك ثم جاوزهم إلى أرض الصين يغدو على مسيرة شهر ويروح على مثل ذلك ثم عطف يمنة عن مطلع الشمس على ساحل البحر حتى ارض السند وجاوزها وخرج منها إلى مكران وكرمان ثم جاوزها حتى أوض فارس فنزلها اياما وغدا منها فقال بكسكر ثم راح الى الشام وكان مستقرة بمدينة تدمر

قوله تعالى (ومن الشياطين) يعنى وسخرنا له من الشياطين (من يغوصون له) يعنى يدخلون تحت الماء فيخرجون له من قعر البحر الجواهر (ويعملون عملا دون ذلك) يعنى دون الغوص وهو ما ذكر الله عز وجل يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل الاية (وكنا لهم حافظين) حتى لا يخرجوا من أمره وقال الزجاج معناه حفظناهم من أن يفسدوا ما عملوا وفى القصة أن سليمان كان إذا بعث شيطانا مع إنسان ليعمل له عملا قال إذا فرغ من عمله قبل الليل اشغله بعمل آخر لئلا يفسد ما عمل وكان من عادة الشياطين أنهم إذا فرغوا من العمل ولم يشتغلوا بعمل آخر خربوا ما عملوا وأفسدوه قوله تعالى (وأيوب إذ نادى ربه) يعنى دعا ربه وقال وهب بن منبه كان أيوب رجلا من الروم وهو أيوب ابن اموص بن تارخ بن روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم وكانت أمه من اولاد لوط بن هاران وكان الله قد اصطفاه ونباه وبسط عليه الدنيا وكانت له البثنية من أرض الشام كلها سهلها وجبلها وكان له فيها من أصناف المال كله من البقر والإبل والغنم والخيل والحمر ما لا يكون لرجل أفضل منه من العدة والكثرة وكان له خمسمائة فدان ينبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ومال ويحمل آلة كل فدان أتان وكل أتان من الولد اثنان وثلاثة وأربعة وخمسة وفوق ذلك وكان الله أعطاه أهلا وولدا من رجال ونساء وكان برا تقيا رحيما بالمساكين يطعم المساكين ويكفل الأرامل والأيتام ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان شاكرا لانعم الله مؤديا لحق الله قد امتنع عن عدو الله ابليس أن يصيب منه ما يصيب من أهل الغنى من الغرة والغفلة والتشاغل عن أمر الله بما هو فيه من الدنيا وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا به وصدقوه رجل من أهل اليمن يقال الثغر ورجلان من أهل بلده يقال لأحدهما بلدد والاخر صافر وكانوا كهولا وكان إبليس لا يحجب عن شىء من السموات وكان يقف فيهن حيث ما اراد حتى رفع عيسى فحجب عن اربع سموات فلما بعث محمد ﷺ حجب من الثلاث الباقية فسمع إبليس تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب وذلك حين ذكره الله وأثنى عليه فادركه البغى والحسد فصعد (٢٤٩) سريعا حتى وقف من السماء موقفا كان يقفه فقال إلهى نظرت فى أمر عبدك أيوب فوجدته عبدا انعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك ولو ابتليته بنزع ما اعطيته لحال عما هو عليه من شكرك وعبادتك ولخرج من طاعتك قال الله عز وجل انطلق فقد سلطتك على ماله فانقض عدو الله إبليس حتى وقع إلى الأرض ثم

وكان امر الشياطين قبل شخوصه إلى العراق فبنوها بالصفاح والعمد والرخام الاصفر والابيض وفى ذلك يقول النابغة إلا سليمان إذ قال المليك له * قم فى البرية فاحددها عن الفند
وجيش الجن انى قد أذنت لهم * يبنون تدمر بالصفاح والعمد
قوله عز وجل (ومن الشياطين) اى وسخرنا له من الشياطين (من يغوصون له) اى يدخلون تحت الماء فيخرجون له من قعر البحر الجواهر (ويعملون عملا دون ذلك) اى دون الغوص وهو اختراع الصنائع العجيبة كما قال يعملون ما يشاء من محاريب وتماثيل الاية ويتجاوزون فى ذلك إلى أعمال المدن والقصور والصناعات كاتخاذ النورة والقوارير والصابون وغير ذلك (وكنا لهم حافظين) يعنى حتى لا يخرجوا عن امره وقيل حفظناهم من ان يفسدوا ما عملوا وذلك انهم كانوا إذا عملوا عملا فى النهار وفرغ قبل الليل افسدوه وخربوه قيل ان سليمان كان إذا بعث شيطانا مع إنسان ليعمل له عملا قال إذا فرغ من عمله قبل الليل اشغله بعمل آخر لئلا يفسد ما عمل ويخربه * قوله تعالى (وأيوب إذ نادى ربه) يعنى دعا ربه

جمع عفاريت الجن ومردة الشياطين وقال لهم ماذا عندكم من القوة فانى قد سلطت على مال أيوب وهى المصيبة الفادحة والفتنة التى لا يصبر عليها الرجال فقال عفريت من الشياطين اعطيت من القوة ما إذا شئت تحولت أعصارا من نار وأحرقت كل شىء آتى عليه فقال له إبليس فات الإبل ورعاتها فاتى الإبل حين وضعت رؤوسها وثبتت فى مراعيها فلم يشعر الناس حتى ثار من تحت الأرض أعصار من نار لا يدنوا منها احد إلا احترق فاحرقها ورعاتها حتى أتى على آخرها ثم جاء عدو إبليس فى صورة قبيحة على قعود إلى أيوب فوجده قائما يصلى فقال يا أيوب أقبلت نار حتى غشيت ابلك فاحرقتها ومن فيها غيرى فقال أيوب الحمد لله الذى هو أعطاها وهو أخذها وقديما ما وطنت نفسى ومالى على الفناء فقال إبليس فان ربك أرسل عليها نارا من السماء فاحترقت فتركت الناس مبهوتين يتعجبون منها منهم من يقول ما كان أيوب يعبد شيئا وما كان إلا فى غرور ومنهم من يقول لو كان إله أيوب يقدر على ان يصنع شيئا لمنع وليه ومنهم من يقول بل هو الذى فعل ذلك ليشمت به عدوه ويفجع به صديقه فقال أيوب الحمد لله حين أعطانى وحين نزع منى عريانا خرجت من بطن أمى وعريانا أعود فى التراب وعريانا أحشر إلى الله ليس لك أن تفرح حين أعارك ولا أن تجزع حين قبض عاريته منك الله أولى بك وبما أعطاك ولو علم الله فيك أيها العبد خير النفل روحك مع تلك الأرواح وصرت شهيدا ولكنه علم منك شرا فاخرك فرجع ابليس الى أصحابه خائبا خاسرا ذليلا فقال لهم ماذا عندكم من القوة فانى لم أكلم قلبه قال غفريت عندى من القوة ما شئت صحت صيحة لا يسمعها ذو روح إلا خرجت نفسه فقال إبليس فات الغنم ورعاتها فانطلق حتى توسطها ثم صاح صيحة فتجشمت أموالنا عن آخرها ومات رعاؤها ثم جاء ابليس متمثلا بقهرمان الرعاة الى ايوب وهو يصلى فقال له مثل القول الاول فرد عليه مثل الرد الأول ثم رجع ابليس الى أصحابه فقال ماذا عندكم من القوة فانى لم أكلم قلب ايوب فقال عفريت عندى من القوة ما اذا شئت تحولت ريحا عاصفا تنسف كل شىء تاتى عليه قال فات الفدادين والحرث فانطلق ولم يشعروا حتى هبت ريح عاصف فنسفت كل شىء من ذلك حتى كانه لم يكن ثم جاء ابليس متمثلا بقهرمان الحرث الى أيوب وهو قائم يصلى فقال له مثل قوله الاول فرد عليه أيوب

مثل رده الاول كلما انتهى إليه هلاك مال من أمواله حمد الله وأحسن الثناء عليه ورضى منه بالقضاء ووطن نفسه بالصبر على البلاء حتى لم يبق له مال فلما رأى إبليس أنه قد افنى ماله صعد إلى السماء فقال الهى ان ايوب يرى منك انك ما متعته بولده فانت تعطيه المال فهل انت مسلطى على ولده فانها المصيبة التى له تقوم قلوب الرجال قال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على ولده فانقض عدو الله إبليس حتى جاء بنى ايوب وهم فى قصرهم فلم يزل يزلزل بهم حتى تداعى من قواعده ثم جعل يناطح جدرة بعضها ببعض ويرميهم بالخشب والجندل حتى إذا مثل بهم كل مثله رفع القصر فقلبه فصاروا منكسين ثم انطلق إلى أيوب متمثلا بالمعلم الذى كان يعلمهم الحكمة وقال لو رأيت بنيك كيف عذبوا وقلبوا وكانوا منكسين على رؤوسهم تسيل دماؤهم ودماغهم ولو رأيت كيف شقت بطونهم وتناثرت امعاؤهم لقطع قلبك فلم يزل يقول هذا ونحوه حتى رق ايوب فبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه وقال يا ليت أمى لم تلدنى فاغتنم إبليس ذلك فصعد سريعا بالذى كان من جزع ايوب مسرورا به ثم لم يلبث ايوب ان فاء وابصر واستغفر فصعد قرناؤه من الملائكة بتوبته فسبقت توبته إلى الله وهو اعلم فوقف إبليس ذليلا فقال يا الهى إنما هون على أيوب المال والدانه يرى (٢٥٠) منك انك ما متعته بنفسه فانت تعهد له المال والولد فهل انت مسلطى على جسده فقال الله عز وجل انطلق فقد سلطتك على جسده ولكن ليس لك سلطان على لسانه ولا على لسانه ولا على قلبه وكان الله عز وجل اعلم به لم يسلطه عليه إلا رحمة له ليعظم له الثواب ويجعله عبرة للصابرين وذكرى للعابدين فى كل بلاء نزل بهم ليتأسوا به فى الصبر ورجاء للثواب فانقض عدو الله ابليس سريعا فوجد ايوب ساجدا فعجل قبل ان يرفع رأسه فأتاه من قبل وجهه فنفخ فى منخره نفخة اشتعل منها جميع جسده فخرج من قرنه إلى قدمه تاليل مثل أليات الغنم ولو وقعت فيها حكة فحكها باظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة كانوا فلم يزل يحكها حتى نغل لحمه وتقطع وتغير وانتن واخرجه اهل القرية فجعلوه على كناسة وجعلوا له عريشا فرفضه خلق الله كلهم غير امرأته رحمة وهى بنت افراثيم بن يوسف بن يعقوب كانت تختلف اليه مما يصلحه وتلزمه فلما رأى الثلاثة من أصحابه وهم النفر ويلدد وصافر ما ابتلاه الله به اتهموه ورفضوه من غير ان يتركوا دينه فلما طال به البلاء انطلقوا اليه فبكتوه ولاموه وقالوا له تب إلى الله من الذنب الذى عوقبت به وكان ممن حضره معهم فتى حديث السن قد آمن به وصدقه فقال لهم انكم تكلمتم ايها الكهول وكنتم احق بالكلام منى لاسنانكم ولكن قد تركتم من القول احسن من الذى قلتم ومن الرأى اصوب من الذى رأيتم ومن الأمر أجل من الذى اتيتم وقد كان لايوب عليكم من الحق والذمام افضل من الذى وصفتم فهل تدرون أيها الكهول حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم ومن الرجل الذى عبتم واتهمتم ألم تعلموا ان ايوب نبى الله وخيرته من خلقه وصفوته من اهل الارض فى يومكم هذا ثم لم تعلموا ولم يطلعكم الله من امره على انه قد سخط عليه شيئا من امره منذ اتاه الله ما آتاه الى يومك هذا ولا على انه نزع منه شيئا من الكرامة التى اكرمه بها ولان ايوب قال على الله غير الحق فى طول ما صحبتموه إلى يومكم هذا فان كان البلاء هو الذى ازرى به عندكم ووضعه فى انفسكم فقد علمتم ان الله يبتلى المؤمنين والصديقين والشهداء والصالحين وليس بلاؤه لاولئك بدليل على سخطه عليهم ولا هوانه لهم ولكنه كرامة وخيرة لهم ولو كان

(ذكر قصة أيوب عليه السلام) قال وهب بن منبه كان أيوب رجلا من الروم وهو ايوب بن أموص بن تاريخ بن روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم وكانت امه من ولد لوط بن هاران وكان الله تعالى قد اصطفاه ونباه وبسط له الدنيا وكانت له الثنية من ارض البلقاء من أعمال خوارزم مع أرض الشام كلها سهلها وجبلها وكان له فيها من أصناف المال كله من الإبل والبقر والغنم والخيل والحمير ما لا يكون لرجل افضل منه فى العدد والكثرة وكان له خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ومال ويحمل له آلة كل فدان اثنان لكل اثنان من الولد اثنان او ثلاثة او اربع أو خمس وفوق ذلك وكان الله تعالى قد اعطاه اهلا وولدا من رجال ونساء وكان براتقيا رحيما بالمساكين يطعمهم ويكفل الايتام والأرامل ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان شاكرا لانعم الله مؤديا لحق الله قد امتنع من عدو الله ابليس ان يصيب منه ما يصيب من اهل الغنى من الغرة والتشاغل عن امر الله بما هو فيه من أمر الدنيا وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا به وصدقوه رجل من اهل اليمن يقال له الثنر وقبل نفير ورجلان من أهل بلده يقال لاحدهما تلدد والاخر صافر وكان لهؤلاء مال وكان إبليس لا يحجب عن شىء من السموات وكان يقف فيهن حيثما ازاد حتى رفع الله عيسى فحجب عن أربع فلما بعث محمد ﷺ حجب عن السموات كلها الا من استرق السمع فسمع ابليس تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب وذلك حين ذكره الله وأثنى عليه فادرك ابليس الحسد والبغى فصعد سريعا حتى وقف من السماء حيث كان يقف وقال يا الهى نظرت فى امر عبدك ايوب فوجدته عبدا انعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك ولو ابتليته بنزع ما اعطيته لحال عما هو عليه من شكرك وعبادتك ولخرج عن طاعتك قال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على ماله فانقض عدو الله إبليس حتى وقع على الأرض فجمع عفاريت الجن ومردة الشياطين وقال لهم ماذا عندكم من القوة فقد سلطت على مال ايوب وهى المصيبة الفادحة والفتنة التى لا تصبر عليها الرجال فقال عفريت من الشياطين اعطيت من القوة ما إذا شئت تحولت اعصارا من نارا فاحرق كل شىء اتى عليه قال ابليس اذهب فات الإبل ورعاتها فاتى الابل حين وضعت رؤسها ورعت فلم يشعر الناس حتى ثار من تحت الأرض أعصار من نار فاحرق الابل ورعاتها حتى أتى على اخرها ثم جاء عدو الله ابليس فى صورة قيم ممن

أيوب ليس من الله بهذه المنزلة إلا أنه أخ أحببتموه على وجه الصحبة لكان لا يحمل أن يعذل أخاه عند البلاء ولا أن يعيروه بالمصيبة ولا أن يعيبه بما لا يعلم وهو مكروب حزين ولكنه يرحمه ويبكي معه ويستغفر له ويحزن لحزنه ويدل على مراشد أمره وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا فالله الله أيها الكهول وقد كان في عظمة الله عز جلاله وذكر الموت ما يقطع السنتكم ويكسر قلوبكم ألم تعلموا أن لله عبادا أسكتتهم خشيته من غير عي ولا بكم وأنهم لهم الفصحاء البلغاء النبلاء الألباء العالمون بالله ولكنهم إذا ذكروا عظمة الله انقطعت ألسنتهم واقشعرت جلودهم وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم إعظاما وإجلالا لله عز وجل فاذا استفاقوا من ذلك استبقوا إلى الله عز وجل بالأعمال الزكية يعدون أنفسهم مع الظالمين الخاطئين وأنهم لابرار تزهاء براء ومع المقصرين والمفرطين وأنهم لأكياس أقوياء فقال إن الله عز وجل يزرع الحكمة بالرحمة في قلب الصغير والكبير فتى نبتت في القلب يظهرها الله على اللسان وليست تكون الحكمة من قبل السن والشيبة ولا طول التجربة وإذا جعل الله العبد حكيما في الصبا لم تسقط منزلته عند الحكماء وهم يرون من الله عليه نور الكرامة ثم اعرض عنهم أيوب واقبل على ربه مستغيثا به متضرعا اليه فقال رب لأي شيء خلقتني ليتني إذ كرهتني لم تخلقني يا ليتني قد عرفت الذنب الذي اذنبت والعمل الذي عملت فصرفت به وجهك الكريم عني لو كنت أمتني فألحقتني بآبائي الكرام فالموت كان أجمل بي ألم أكن للغريب دارا للمسكين قرارا ولليتيم وليا وللارملة قيما إلهي أنا عبدك إن أحسنت فالمن لك وإن أسأت فبيدك عقوبتي

كانوا عليها على قعود إلى أيوب فوجده قائما يصلي فقال يا أيوب أقبلت نار حتى غشيت إبلك وأحرقتها ومن فيها غيري فقال ايوب بعد أن فرغ من الصلاة الحمد لله اعطانيها وهو اخذها وأنها مال الله اعارنيها وهو أولى بها إذا شاء نزعها قال فتركت الناس مهوتين يتعجبون منها منهم من يقول ما كان ايوب يعبد شيئا وما كان إلا في غرور ومنهم من يقول لو كان إله أيوب يقدر ان يضع شيئا لمنع وليه ومنهم من يقول بل هو الذي نعل ما فعل ليشمت به عدوه ويفجع صديقه فقال أيوب الحمد لله حين اعطاني وحين نزع مني عريانا خرجت من بطن أمي وعريانا أعود إلى التراب وعريانا احشر إلى الله عز وجل ليس ينبغي لك أن تفرح حين اعارك وتجزع حين قبض عاريته الله أولى بك وبما أعطاك ولو علم الله فيك أيها العبد خير النقل روحك مع تلك الأرواح وصرت شهيدا ولكنه علم منك شرا فاخرك فرجع إبليس إلى أصحابه خاسئا ذليلا فقال ما عندكم من القوة فاني لم اكلم قلبه قال عفريت من الجنة عندي من القوة ما إذا شئت صحت صيحة لا يسمعها ذو روح إلا خرجت روحه قال إبليس فأنت للغنم ورعاتها فانطلق حتى توسطها ثم صاح صيحة فتجمثت اموالا من عن اخرها ومات رعاتها فجاء إبليس متمثلا بقهرمان الرعاة إلى أيوب فوجده يصلي فقال له مثل القول الأول فرد عليه أيوب مثل الرد الأول فرجع إبليس إلى أصحابه فقال ما ذا عندكم من القوة فاني لم اكلم قلب أيوب فقال عفريت عندي من القوة ما إذا شئت تحولت ريحا عاصفة تنسف كل شيء تاتي عليه قال فات الفدادين في الحرث والزرع فانطلق يؤمهم وذلك حين شرع الفدادون في الحرث والزرع فلم يشعروا حتى هبت ريح عاصفة فنسفت كل شيء من ذلك حتى كانه لم يكن ثم جاء إبليس متمثلا بقهرمانهم إلى أيوب وهو قائم يصلي فقال له مثل قوله الأول فرد عليه أيوب مثل رده الأول وجعل إبليس يصف ماله مالا مالا حتى مر على آخره كلما انتهى إلى هلاك مال من أمواله حمد الله وأحسن الثناء عليه ورضي عنه بالقضاء ووطن نفسه بالصبر والبلاء حتى لم يبق له مال فلما رأى ابليس أنه قد أفنى ماله ولم ينجح منه بشيء صعد سريعا حتى وقف في الموقف الذي يقف فيه وقال الهي أني أوب يرى أنك ما متعته بولده فانت معطيه المال فهل أنت مسلطي على ولده فانها المصيبة التي لا تقوم لها قلوب الرجال قال الله عز وجل انطلق فقد سلطتك على ولده فانقض عدو الله حتى أتى بني أيوب وهم في قصرهم فلم يزل يزلزل بهم القصر حتى تداعى من قواعده وجعل جدره يضرب بعضها بعضا يرميهم بالخشب والحجارة فلما مثل بهم كل مثلة رفع القصر وقلبه عليهم وصاروا منكسين وانطلق إلى أيوب متمثلا بالمعلم الذي كان يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوح الوجه يسيل دمه فاخبره وقال لو رأيت بنيك كيف عذبوا وكيف انقلبوا منكوسين على رؤسهم تسيل دماؤهم وادمغتهم ولو رأيت كيف شقت بطونهم فتناثرت امعاؤهم لتقطع قلبك عليهم فلم يزل يقول هذا ونحوه حتى رق قلب أيوب وبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على راسه وقال يا ليت امي لم تلدني فاغتنم إبليس ذلك فصعد سريعا بالذي كان من جزع ايوب مسرورا به ثم لم يلبث ايوب ان فاء وابصر واستغفر فصعد قرناؤه من الملائكة بتوبته فسبقت توبته إلى الله وهو أعلم فوقف ابليس خاسئا ذليلا وقال الهي انما هون علي ايوب المال والولد انه يرى انك ما متعته بنفسه فانت تعيد له المال والولد فانت مسلطي على جسده فقال الله عز وجل انطلق فقد سلطتك على جسده ولكن ليس لك سلطان على لسانه وقلبه وعقله وكان الله اعلم به ولم يسلطه عليه إلا رحمة وجعلتني للبلاء عرضا وللفتنة نصبا قد وقع علي بلاء لو سلطته على جبل لضعف عن حمله فكيف يحمله ضعفي وإن قضاءك هو الذي اذلني وإن سلطانك هو الذي اسقمني وانحل جسمي ولو ان ربي نزع الهيبة التي في صدري واطلق لساني حتى اتكلم بملء في بما كان ينبغي للعبد ان يحاج عن نفسه لرجوت ان يعافيني عند ذلك عما بي ولكنه القاني وتعالى عني فهو يراني ولا اراه ويسمعني ولا اسمعه فلا نظر إلى فيرحمني ولا دنا مني يا لا دنا مني فادلي بعذري واتكلم ببراءتي واخاصم عن نفسي فلما قال ذلك ايوب واصحابه عنده اظله غمام حتى ظن اصحابه انه عذاب اليم ثم نودي وايوب ان الله عز وجل يقول ها أنا قد دنوت منك ولم ازل منك قريبا قم فادل بعذرك وتكلم ببراءتك وخاصم عن نفسك واشدد

أزاركو قم مقام جبار يخاصم جبارا ان استطعت فانه لا ينبغي أن يخاصمني الا جبار مثلي ولا شبه لي لقد منتك نفسك يا أيوب أمرا ما تبلغه بمثل قوتك أين أنت مني يوم خلقت الأرض فوضعتها على أساسها هل كنت معي تمد باطرافها وهل علمت بأي مقدار قدرتها أم على شيء وضعت اكنافها بطاعتك حمل الماء الأرض أم بحكمتك كانت الأرض للماء غطاء اين كنت مني يوم رفعت السماء سقفا في الهواء لا تعلق بسبب من فوقها ولا تقلها وعم من تحتها هل تبلغ من حكمتك ان تجري نورها او تسير نجومها أو يختلف بامرك ليلها ونهارها اين أنت مني يوم نبعت الأنهار وسكرت البحار (٢٥٢) ابسلطانك حبست امواج البحار على حدودها أم بقدرتك فتحت الأرحام حين بلغت منتها اين انت مني يوم صببت الماء على التراب و نصبت شوامخ الجبال هل تدري على أي شيء ارسيتها او باي مثقال زنتها ام هل لك من ذراع تطبق حملها وهل تدري من اين الماء الذي نزلك من السماء ام هل تدري من اي شيء انشيء السحاب ام هل تدري اين خزائن الثلج ام اين جبال البردام اين خزانة الليل بالنهار وخزانة النهار بالليل واين خزائن الريح وباي لغة تكلم الاشجار ومن جعل العقول في اجواف الرجال ومن شق الاسماع والأبصار ومن دلك الملائكة لملكه وقهر الجبارين بجبروته وقسم الارزاق بحكمته في كلام كثير من اثار قدرته ذكرها لايوب فقال ايوب صغر شاني وكل لساني وعقل ورائي وضعفت قدرتي عن هذا الأمر الذي تعرض علي يا الهي قد علمت ان كل الذي ذكرت صنيع يديك وتدبير حكمتك واعم من ذلك واعجب لو شئت عملت لا يعجزك شيء ولا يخفى عليك خافية إذ لفتني البلايا الهي فتكلمت ولم املك لساني وكان البلاء هو الذي نطقني فليت الأرض انشقت لي فذهبت فيها ولم اتكلم بشيء يسخطك ربي او ليتني مت من بغمي في اشد بلائي قبل ذلك إنما تكلمت حين تكلمت لتعذرني وسكت حين سكت لترحمني كلمة زلت مني فلن اعود وقد وضعت يدي على فمي وعضضت على لساني والصقت بالتراب خدي اعوذ بك اليوم منك واستجيرك من جهد البلاء فاجرني واستغيث بك من عقابك فاغثني واستعين بك على امري فاعني واتوكل عليك فاكفني واعتصم بك فاعصمني واستغفرك فاغفر لي فان اعود لشيء تكرهه مني قال الله تعالى يا ايوب نفذ فيك علمي وسبقت رحمتي غضبي فقد غفرت لك ورددت عليك اهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك اية وتكون

ليعظم له الثواب ويجعله عبرة للصابرين وذكرى للعابدين في كل بلاء نزل بهم ليتاسوا به في الصبر ورجاء الثواب فانقض عدو الله إبليس سريعا إليه فوجد أيوب ساجدا فعجل قبل أن يرفع رأسه فاتاه من قبل وجهه فنفخ في منخريه نفخة اشتعل منها جسده فخرج من قرنه إلى قدمه ثاليل مثل اليات الغنم ووقعت فيه حكة فحك باظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة فلم يزل يحك حتى قرح لحمه وتقطع وتغير وانتن فاخرجه أهل القرية فجعلوه على كناسة لهم وجعلوا له عريشة ورفضه خلق الله كلهم غير امراته وهي رحمة بنت افرائيم بن يوسف بن يعقوب فكانت تختلف اليه بما يصلحه وتلزمه فلما رأى الثلاثة من أصحابه ما ابتلاه الله به اتهموه ورفضوه من غير ان يتركوا دينه فلما طال به البلاء انطلق اليه أصحابه فبكتوه ولاموه وقالوا تب إلى الله من الذنب الذي عوقبت به قال وحضر معهم فتى حديث السن قد امن به وصدقه فقال لهم الفتى أنكم تكلمتم أيها الكهول وأنتم احق بالكلام مني لاسنانكم ولكن تركتم من القول ما هو أحسن من الذي قلتم ومن الرأي اصوب من الذي رأيتم ومن الأمر أجمل من الذي أتيتم وقد كان لأيوب عليكم من الحق والذمام أفضل من الذي وصفتم فهل تدرون أيها الكهول حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم ومن الرجل الذي عبتم واتهمتم ألم تعلموا ان أيوب نبي الله وصفوته وخيرته من أهل الأرض إلى يومكم هذا ثم لم تعلموا أو لم يطلعكم الله على انه سخط شيئا من امره منذ اتاه الله ما اتاه إلى يومكم هذا ولا على أنه نزع منه شيئا من الكرامة التي اكرمه الله بها ولان أيوب قال على الله غير الحق في طول ما صحبتموه إلى يومكم هذا فان كان البلاء هو الذي ازرى به عندكم ووضعه في انفسكم فقد علمتم ان الله تعالى يبتلي المؤمنين والصديقين والشهداء والصالحين وليس بلاؤه لاولئك دليلا على سخطه عليهم ولا هوانهم عليه ولكنها كرامة وخيرة لهم ولو كان ايوب ليس من الله بهذه المنزلة إلا انه اخ احببتموه على وجه الصحبة لكان لا يجمل بالحليم ان يعذل اخاه عند البلاء ولا يعيره بالمصيبة ولا يعيبه بما لا يعلم وهو مكروب حزين ولكنه يرحمه ويبكي ويستغفر له ويحزن لحزنه ويدله على امر أشد امره وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا فالله الله ايها الكهول وقد كان في عظمة الله وجلاله واذكار الموت ما يقطع السنتكم ويكسر قلوبكم الم تعلموا ان لله عبادا اسكنتهم الخشية من غير عي ولا بكم انهم لهم الفصحاء البلغاء النبلاء الالبا العاملون بالله ولكنهم إذا ذكروا عظمة الله انقطعت السنتهم واقشعرت جلودهم وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم اعظاما لامر الله واجلالا فاذا اشتاقوا من ذلك استبقوا إلى الله بالأعمال الزاكية يعدون انفسهم من الظالمين والخاطئين وانهم لابرار برآء ومع المقصرين المفرطين وانهم الاكياس اقوياء قال أيوب عليه السلام ان يزرع الحكمة بالرحمة في قلب الصغير والكبير فاذا نبتت في القلب يظهرها الله على اللسان وليست تكون الحكمة من قبل السن ولا طول التجربة إذا جعل الله العبد حكيما في الصبا لم تسقط منزلته عند الحكماء وهم يرون من الله سبحانه وتعالى عليه نور الكرامة ثم اقبل أيوب على الثلاثة وقال اتيتموني غضابا رهبتم قبل أن تسترهبوا وبكيتم قبل أن تضربوا كيف بي لو قلت تصدقوا عني بأموالكم لعل الله ان يخلصني أو قربوا عني قربانا لعل الله ان يقبله ويرضى عني وانكم قد أعجبتكم انفسكم وظننتم أنكم قد عوفيتم باحسانكم ولو نظرتم فيما بينكم وبين ربكم ثم صدقتم لوجدتم لكم عيوبا ستر ها الله تعالى بالعافية التي البسكم وقد كنتم فيما خلا تورونني وانا مسموع كلامي معروف حقي منتصف

من خصمي فاصبحت اليوم وليس لي رأي ولا كلام معكم فأنتم كنتم أشد علي من مصيبتي ثم اعرض عنهم ايوب وأقبل على ربه مستغيثا به متضرعا إليه فقال يارب لأي شيء خلقتني ليتني إذ كرهتني لم تخلقني يا ليتني عرفت الذنب الذي اذنبت والعمل الذي عملت فصرفت وجهك الكريم عني لو كنت امتي فالحقتني بآبائي فالموت كان اجمل بي ألم اكن للغريب دارا وللمسكين قرارا وللتيتم وليا وللارملة قيما إلهي أنا عبد ذليل ان أحسنت فالمن لك والسأت فبيدك عقوبتي جعلتني للبلاء غرضا وللفتنة نصيبا وقد وقع علي من البلاء مالو سلطته على جبل لضعف عن حمله فكيف يحمله ضعفي وان قضاءك هو الذي أذلني وان سلطانك هو الذي اسقمني وانحل جسمي ولو ان ربي نزع الهيبة التي في صدري واطلق لساني حتى اتكلم بملء في فادلي بعذري واتكلم ببراءتي وأخاصم عن نفسي لرجوت ان يعافيني عند ذلك سماي ولكنه الفاني وتعالى عني فهو يراني ولا اراه ويسمعني ولا اسمعه فلما قال ذلك ايوب وأصحابه عنده أظله غمام حتى ظن اصحابه انه عذاب ثم نودي يا ايوب إن الله قد يقول ها انا قد دنوت منك ولم ازل منك قريبا قم فادل بعذرك وتكلم ببراءتك وخاصم عن نفسك واشدد ازرك وقم مقام جبار يخاصم جبارا إن استطعت فانه لا ينبغي ان يخاصمني إلا جبار مثلي لقد منتك نفسك يا أيوب أمرا ما يبلغ لمثله مثلك اين انت مني يوم خلقت الارض فوضعتها على أساسها هل كنت معي تردبأطرافها هل علمت اي مقدار قدرتها ام على اي شيء وضعت اكتافها ابطاعتك حمل الماء الارض ام بحكمتك كانت الارض للماء غطاء اين كنت مني يوم رفعت السماء سقفا في الهواء لا تعلق بسبب من فوقها ولا يقلها دعم من تحتها هل يبلغ من حكمتك ان تجري نورها وتسير نجومها أو يختلف بامرك ليلها ونهارها اين كنت مني يوم انبعث الانهار سكبت البحار ابسلطانك حبست امواج البحار على حدودها ام بقدرتك فتحت الارحام حين بلغت مدتها اين كنت مني يوم صببت الماء على التراب ونصبت شوامخ الجبال هل تدري على اي شيء ارسيتها ام باي مثقال وزنتها ام هل لك من ذراع تطيق حملها ام هل تدري من اين الماء الذي انزلت من السماء ام هل تدري من اي شيء انشات السحاب ام هل تدري اين خزانة الثلج ام اين جبال البرد ام اين خزانة الليل بالنهار وخزانة النهار بالليل واين خزانة الريح او باي لغة تتكلم الاشجار ومن جعل العقول في اجواف الرجال وشق الاسماع والابصار ومن ذلت الملائكة لمسكه وقهر الجبارين بجبروته وقسم الارزاق بحكمته في كلام كثير يدل على آثار قدرته ذكرها لايوب فقال ايوب صغر شاني وكل لساني وعقلي ورأي وضعفت قوتي عن هذا الامر الذي يعرض علي إلهي قد علمت ان كل الذي قد ذكرت صنع يديك وتدبير حكمتك واعظم من ذلك واعجب لو شئت عملت ولا يعجزك شيء ولا تخفى عليك خافية الهي اوثقني البلاء فتكلمت ولم املك نفسي فكان البلاء هو الذي انطقني ليت الارض انشقت لي فذهبت فيها ولم اتكلم بشيء يسخطك ربي ليتني مت بغمي في اشد بلائي قبل ذلك إنما تكلمت حين تكلمت بعذري وسكت حين سكت لترحمني كلمة زلت مني فلن اعود وقد وضعت يدي على فمي وعضضت على لساني والصقت بالتراب خدي اعوذ بك اليوم منك واستجير بك من جهد البلاء فاجرني واستغيث بك من عقابك فاغثني واستعينك على امر فاعني واتوكل عليك فاكفني واعتصم بك فاعصمني واستغفرك فاغفر لي فلن اعود لشيء تكرهه مني قال الله تعالى يا ايوب نفذ فيك علمي وسبقت رحمتي غضبي فقد غفرت لك رددت عليك اهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك آية وتكون عبرة لاهل البلاء

(٢٥٣) عبد الله بيده ما فارقته من عناقه

حتى مر بهما كل مال لهما وولد فذلك قوله تعالى وأيوب إذ نادى ربه اني مسني الضر واختلفوا في وقت ندائه والسبب الذي قال لأجله إني مسني الضر وفي مدة بلائه فروى ابن شهاب عن أنس رفعه ان ايوب لبث في بلائه ثماني عشرة سنة وقال وهب لبث ايوب في البلاء ثلاث سنين لم يزد يوما وقال كعب كان أيوب في البلاء سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام وقال الحسن مكث ايوب مطروحا على كناسة في مزبلة لبني إسرائيل سبع سنين وأشهرا تختلف فيه الدواب لا يقربه احد غير امرأته رحمة صبرت معه بصدق وتأتيه بطعام وتحمد الله معه إذا حمد وأيوب مع ذلك لا يفتر عن ذكر الله والصبر على ما ابتلاه به فصرخ إبليس صرخة جمع بها جنوده من أقطار الأرض فلما اجتمعوا إليه قالوا له ما حزبك قال اعيا في هذا العبد ايوب الذي لم أدع له مالا ولا ولدا فلم يزد إلا صبرا ثم سلطت على جسده فتركته قرحة ملقاة على كناسة لا يقربه إلا امرأته فاستعنت بكم لتعينوني عليه فقالوا له أين مكرك الذي اهلكت به من مضى قال بطل ذلك كله في ايوب فأشيروا علي قالوا نشير عليك من اين اتيت آدم حين اخرجته من الجنة قال من قبل امرأته قالوا فشأنك في ايوب من قبل امرأته وانه لا يستطيع ان يعصيها وليس احد يقربه غيرها قال اصبتم فانطلق حتى اتى امرأته وهي تصدق فتمثل لها في صورة رجل فقال لها اين بعلك يا امة الله قالت هو ذاك يحك قروحه ويرد الدواب في جسده فلما سمع مقالتها طمع ان تكون كلمة جزع فوسوس اليها وذكرها ما كانت فيه من النعم والمال وذكرها جمال ايوب وشبابه وما هو فيه من الضر وان ذلك لا ينقطع عنه ابدا قال

الحسن فصرخت فلما صرخت علم ان قد جزعت فأتاها بسخلة وقال ليذبح هذه لي أيوب ويبرأ فجاءت تصرخ يا أيوب حتى متى يعذبك ربك أين المال أين الولد أين الصديق أين لونك الحسن اين جسمك الصحيح اذبح هذه السخلة واسترح قال أيوب اتاك عدو الله فنفخ فيك ويلك ارأيت ما تبين عليه من المال والولد والصحة من اعطانيه قالت الله قال فكم متعنا به قالت ثمانين سنة قال فمنذ كم ابتلانا قالت منذ سبع سنين وأشهر قال ويلك ما أنصفت إلا صبرت في البلاء ثمانين (٢٥٤) سنة كما كنا في الرخاء ثمانين سنة والله لئن شفاني الله لأجلدنك مائة جلدة امرتيني ان اذبح لغير الله طعامك وشرابك الذي اتيتني به على حرام وحرام على ان اذوق شيئا مما تاتيني به بعد إذ قلت لي هذا فاعزني عني فلا اراك فطردها فذهبت فلما نظر ايوب وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر ساجدا لله وقال رب (اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين) فقيل له ارفع راسك فقد استجيب لك اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين فاغتسل منها فلم يبق عليه من دائه شيء ظاهر إلا سقط وعاد إليه شبابه وجماله احسن ما كان ثم ركض برجله ركضة أخرى فنبعت عين اخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء إلا خرج فقام صحيحا وكسي حلة قال فجعل يلتفت فلا يرى شيئا ما كان له من اهل ومال إلا وقد ضاعفه الله حتى ذكرانا ان الماء الذي اغتسل منه تطاير منه على صدره جراد من ذهب فجعل يضمه بيده فاوحى الله إليه يا ايوب الم اغنك قال بلى ولكنها بركتك فمن يشبع منها قال فخرج حتى جلس على مكان مشرف ثم ان امراته قالت ارايتك ان كان ايوب طردني الى من اكله ادعه يموت جوعا ويضيع فتاكله السباع لأرجعن اليه فرجعت اليه فلا كناسة ترى ولا تلك الحالة التي كانت وإذا الامور قد تغيرت فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وذلك بعين ايوب وهابت صاحب الحلة ان تاتيه فتسأله عنه فدعاها ايوب فقال ايوب ما كان منك فبكت وقالت اردت ذلك المبتلى الذي كان منبوذا على مكناسة ولا ادري أضاع ام ما فعل فقال ايوب ما كان منك فبكت وقالت بعلي قال فهل تعرفينه إذا رأيتيه فقالت وهل يخفى علي

وعزا للصابرين فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فمنه تناول وقرب عن أصحابك قربانا واستغفر لهم فانهم قد عصوني فيك روي عن أنس برفعه أن أيوب ببلائه ثمانى عشرة سنة وقال وهب ثلاث سنين لم يزد يوما وقال كعب سبع سنين وقال الحسن مكث أيوب مطروحا على كناسة لبني اسرائيل سبع سنين وأشهرا يختلف فيه الدود لا يقربه أحد غير رحمة صبرت معه بصدق وكانت تأتيه بالطعام وتحمد الله معه إذا حمد وأيوب مع ذلك لا يفتر عن ذكر الله تعالى والصبر على بلائه فصرخ إبليس صرخة لجع فيها جنوده من أقطار الأرض فلما اجتمعوا إليه قالوا ما أحزنك قال أعياني هذا العبد الذي لم ادع له مالا ولا ولدا ولم يزدد إلا صبرا ثم سلطت على جسده فتركته قرحة ملقاة على كناسة لا تقربه إلا امرأته فاستعنت بكم لتعينوني عليه فقالوا له فأين مكرك الذي اهلكت به من مضى قال بطل ذلك كله في أيوب فاشيروا علي قال امن أين أتيت آدم حين أخرجته من الجنة قال من قبل امرأته قالوا فشأنك بأيوب من قبل امرأته فانه لا يستطيع أن يعصيها وليس يقربه أحد غيرها قال أصبتم فانطلق إبليس حتى أتى رحمة إمرأة أيوب وهي تصدق فتمثل لها في صورة رجل وقال لها أين بعلك يا أمة الله قالت هو ذاك يحك قروحه ويتردد الديدان في جسده فلما سمعها طمع أن تكون كلمة جزع فوسوس إليها وذكرها ما كانت فيه من النعم والمال وذكرها جمال أيوب وشبابه وما هو فيه من الضر وأن ذلك لا ينقطع عنه أبدا فصرخت فعلم أنها قد جزعت فاتاها بسخلة وقال ليذبح لي هذه أيوب ويبرأ فجاءت تصرخ يا أيوب حتى متى يعذبك ربك أين المال اين الولد اين الصديق اين لونك الحسن اين جسمك الحسن اذبح هذه السخلة واسترح قال ايوب اتاك عدو الله فنفخ فيك ويلك أرأيت ما تبكين عليه من المال والولد والصحة من اعطانيه قالت الله قال كم متعنا به قالت ثمانين سنة قال فمنذ كم ابتلانا قالت منذ سبع سنين وأشهر قال ويلك ما انصفت ربك ألا صبرت في البلاء ثمانين سنة كما كنا في الرخاء ثمانين سنة والله لان شفاني الله لأجلدنك مائة جلدة امرتيني ان اذبح لغير الله طعامك وشرابك الذي تأتيني به على حرام ان اذوق منه شيئا اعزني دعيني فلا اراك فطردها فذهبت فلما نظر ايوب وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر ساجدا لله وقال رب (اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين) فقيل له ارفع رأسك فقد استجيبت لك اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين ماء فاغتسل منها فلم يبق عليه من درنه ودائه شيء ظاهر إلا سقط وعاد شبابه وجماله أحسن ما كان ثم ضرب برجله فنبعت عين اخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء إلا خرج فقام صحيحا وكسي حلة فجعل يلتفت فلا يرى شيئا مما كان عليه وما كان له من اهل ومال إلا وقد ضعفه الله له وذكر لنا ان الماء الذي اغتسل منه تطاير على صدره جرادا من ذهب فجعل يضمه بيده فأوحى الله إليه يا أيوب الم اغنك قال بلى ولكنها بركتك فمن يشبع منها قال فخرج حتى جلس على مكان مشرف ثم ان امراته قالت ارايت ان كان طردني إلى من اكله ادعه يموت جوعا ويضيع فتاكله السباع لأرجعن إليه فرجعت إليه فلا الكناسة رات ولا تلك الحال التي كانت تعرف وإذا الأمور قد تغيرت فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وذلك بعيني ايوب وهابت صاحب الحلة ان تاتيه فتسأله عن ايوب فدعاها وقال ما تريدين يا أمة الله فبكت وقالت اردت ذلك المبتلى الذي كان منبوذا على مكناسة لا ادري اضاع ام ما فعل به فقال ايوب ما كان منك فبكت وقالت بعلي فقال هل تعرينه إذا رايتيه قالت وهل يخفى على احد راه ثم جعلت تنظر إليه وهي تهابه ثم قالت

مشرف ثم ان امراته قالت ارايتك ان كان ايوب طردني الى من اكله ادعه يموت جوعا ويضيع فتاكله السباع لأرجعن اما اليه فرجعت فلا كناسة ترى ولا تلك الحالة التي كانت وإذا الامور قد تغيرت فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وذلك بعين ايوب وهابت صاحب الحلة ان تاتيه فتساله عنه فدعاها ايوب فقال ما تريدين يا امة الله فبكت وقالت اردت ذلك المبتلى الذي كان منبوذا على الكناسة ولا ادري أضاع ام ما فعل فقال ايوب ما كان منك فبكت وقالت بعلي قال فهل تعرفينه إذا رأيتيه فقالت وهل يخفى علي

أحد وأه ثم جعلت تنظر اليه وهي تبكي به ثم قالت أما أنه أشبه خلق الله بك إذ كان صحيحا قال فاني أنا أيوب الذي أمرتني أن أذبح لإبليس واني أطعت الله وعصيت الشيطان ودعوت الله فرد علي ما ترين وقال وهب لبث أيوب في البلاء ثلاث سنين فلما غلب أيوب إبليس ولم يستطع منه شيئا اعترض امرأته في هيئة ليست كهيئة بني ادم في العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب الناس له عظم وبهاء وكمال فقال لها انت صاحبة أيوب هذا الرجل المبتلى قالت نعم قال فهل تعرفيني قالت لا مثال انا إله الأرض وانا الذي صنعت بصاحبك ما صنعت لأنه عبد الله إله السماء وتركني فاغضبني ولو سجد لي سجدة واحدة ترددت عليه وعليك كل ما كان لكما من مال وولد فانه عندي ثم اراها إياهم يبطن الوادي الذي لقيا فيه قال وهب وقد سمعت انه إنما قال لها لوان صاحبك اكل طعاما ولم يسم الله عليه لعوفي مما به من البلاء والله أعلم وفي بعض الكتب ان إبليس قال لها اسجدي لي سجدة حتى أرد عليك المال والاولاد واعافي زوجك فرجعت الى أيوب فأخبرته بما قال لها وما أراها قال لقد اتاك عدو الله إبليس ليفتنك عن دينك ثم اقسم لوان الله عافاه ليضربنها مائة جلدة وقال عند ذلك مسني للضر من طمع إبليس في سجود حرمتي له ودعائه إياها وإياي إلى الكفر ثم ان الله عز وجل رحم رحمة امرأة أيوب بصبرها معه (٢٥٥) على البلاء وخفف عليها وأراد أن يبر يمين أيوب فأمره ان ياخذ ضغثا يشتمل على مائة عود صغار فيضربها به ضربة واحدة كما قال الله تعالى وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث وروي ان ابليس اتخذ اتونا وجعل فيه أدوية وقعد على طريق امرأته يداوي الناس فمرت به امرأة ايوب فقالت ياشيخ ان لي مريضا افتداويه قال نعم والله لا اريد شيأ إلا ان يقول اذا شفيته انت شفيتني فذكرت ذلك لأيوب فقال هو ابليس قد خدعك ثم حلف أن شفاه الله ان يضربها مائة جلدة وقال وهب وغيره كانت امرأة ايوب تعمل للناس وتجيئه بقوته فلما طال عليه البلاء وسئمها الناس ولم يستعملها احد التمست يوما من الأيام ما تطعمه فلم تجد شيأ فحزت قرنا من رأسها فباعته برغيف فأتته به فقال لها اين قرنك فأخبرته فحينئذ قال مسني الضر وقال قوم إنما قال ذلك حين قصدت الدود الى قلبه ولسانه فخشي ان يفتر عن الذكر والفكر وقال حبيب بن ابي ثابت لم يدع الله بالكشف عنه حتى ظهرت له ثلاثة اشياء احدها قد علم عليه صديقان حين بلغهما خبره فجاآ اليه ولم يبق له الا عينان فرايا امرا عظيما فقالا لو كان لك عند الله منزلة ما اصابك هذا والثاني ان امرأته طلبت طعاما فلم تجد ما تطعمه فباعت ذؤابتها وحملت اليه طعاما والثالث قول ابليس اني اداويه على ان يقول انت شفيتني وقيل ان ابليس وسوس اليه ان امراتك زنت فقطعت ذؤابتها فحينئذ عيل صبره فدعا وحلف ليضربنها مائة جلدة وقيل معناه مسني الضر من شماتة الأعداء حتى روي انه قيل له بعد ما عوفي ما كان اشد عليك في بلائك قال شماتة الأعداء وقيل قال كذلك حين وقعت دودة من فخذه فردها الى موضعها وقال كلي فقد جعلني الله طعامك فعضته عضة زاد ألمها على جميع ما قاساه من عض الديدان فان قيل ان الله سماه صابرا وقد اظهر الشكوى والجزع بقوله اني مسني الضر وانى مسني الشيطان بنصب قيل ليس هذا شكاية إنما هو دعاء بدليل قوله تعالى فاستجبنا له على أن الجزع انما هو في الشكوى الى الخلق فأما الشكوى الى الله عز وجل فلا يكون جزعا ولا ترك صبر كما قال يعقوب انما أشكوا بثي وحزني الى الله قال سفيان بن عيينة وكذلك من أظهر الشكوى الى الناس وهو راض بقضاء الله ذلك لا يكون جزعا كما روي ان جبريل دخل على النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه فقال كيف تجدك قال أجدني

اما انه اشبه خلق الله بك اذا كان صحيحا قال فاني انا ايوب الذي امرتني ان أذبح سخلة لابليس واني اطعت الله وعصيت الشيطان ودعوت الله فرد علي ما ترين وقال وهب لبث ايوب في البلاء ثلاث سنين فلما غلب أيوب ابليس ولم يستطع منه شيئا اعترض امراته في هيئة ليست كهيئة بني ادم في العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب الناس له عظم وبهاء فقال انت صاحبة ايوب هذا الرجل المبتلى قالت نعم قال هل تعرفيني قالت لا قال انا اله الأرض وانا الذي صنعت بصاحبك ما صنعت لأنه عبد اله السماء وتركن فاغضبني ولو سجد لي سجدة واحدة ترددت عليك وعليه كل ما كان لكما من مال وولد فانه عندي ثم أراها اياه يبطن الوادي الذي لقيها فيه وفي بعض الكتب ان ابليس قال لها اسجدي لي سجدة واحدة حتى ارد عليك المال والولد واعافي زوجك فرجعت الى ايوب فأخبرته بما قال لها وما اراها قال لقد اتاك عدو الله ليفتنك عن دينك ثم اقسم ان عافاه الله ليضربنها مائة جلدة وقال عند ذلك مسني الضر من طمع ابليس في سجود حرمتي له ودعائه اياها واياي الى الكفر ثم ان الله تعالى رحم رحمة امرأة ايوب بصبرها معه على البلاء وخفف عليها واراد ان يبر يمين ايوب فأمره ان يأخذ ضغثا يشتمل على مائة عود صغير فيضربها به ضربة واحدة وقيل انما قال مسني الضر حين قصد الدود الى قلبه ولسانه فخشي ان يفتر عن الذكر والفكر وقيل لم يدع الله بالكشف عنه حتى ظهرت له ثلاثة اشياء احدها ما قيل في حقه لو كان لك عند الله منزلة ما اصابك هذا والثاني ان امراته طلبت طعاما فلم تجد ما تطعمه فباعت ذؤابتها فاتته بطعام والثالث قول ابليس اني اداويه على ان يقول انت شفيتني وقيل مسني الضر اي من شماتة الأعداء حتى روي انه قيل بعد ما عوفي ما كان اشد عليك في بلائك قال شماتة الأعداء * فان قلت كيف سماه الله صابرا وقد اظهر الشكوى والجزع بقوله مسني الضر وقوله مسني الشيطان بنصب وعذاب * قلت ليس هذا شكاية وانما هو دعاء بدليل قوله تعالى فاستجبنا له والشكوى انما تكون الى الخلق لا الى الخالق بدليل قول يعقوب انما اشكو بثي وحزني الى الله وقال سفيان بن عيينة من اظهر الشكوى الى الناس وهو راض بقضاء الله تعالى لا يكون ذلك جزعا كما روي ان جبريل عليه السلام دخل على رسول الله ﷺ

مغموما واجدني مكروبا وقال لعائشة حين قالت وارأساه قال بل انا وارأساه قوله (فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر) وذلك انه قال له اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين ماء بارد فامره ان يغتسل منها ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى اربعين خطوة فامره ان يركض برجله الأرض مرة أخرى ففعل فنبعت عين ماء بارد فامره فشرب منها فذهب كل داء كان بباطنه فصار كأصح ما يكون من الرجال وأجملهم (وآتيناه اهله ومثلهم معهم) واختلفوا فى ذلك فقال ابن مسعود وقتادة وابن عباس والحسن واكثر المفسرين رد الله عز وجل اليه وأهله وأولاده باعيانهم احياهم الله وأعطاهم مثلهم معهم وهو ظاهر القرآن قال الحسن آتاه الله المثل من نسل ماله الذى رده الله اليه واهله يدل عليه ما روى عن الضحاك عن ابن عباس ان الله عز وجل رد إلى المرأة شبابها فولدت له ستة وعشرين ذكرا قال وهب كان له سبع بنات وثلاثة بنين وقال ابن يسار كان له سبع بنين وسبع بنات وروى عن انس يرفعه انه كان له اندران أندر للقمح وأندر للشعير فبعث الله عز وجل سحابتين فافرغت إحداهما على أندر القمح الذهب وافرغت الأخرى على أندر الشعير الورق حتى فاض وروى ان الله تعالى بعث إليه ملكا وقال له ان ربك يقرئك السلام (٢٥٦) بصبرك فاخرج على اندرك فخرج إليه فارسل الله عليه جرادا من ذهب فطارت واحدة فاتبعها وردها إلى اندره فقال له الملك اما يكفيك ما فى اندرك فقال هذه بركة من بركات ربى ولا اشبع من بركته اخبرنا حسان بن سعيد المنيعى انا ابو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادى انا محمد بن الحسين القطان انا احمد ابن يوسف السلمى انا عبد الرازق انا معمر عن همام ابن منبه قال انا ابو هريرة قال قال رسول الله ﷺ بينما ايوب يغتسل عريانا خر عليه جرادا من ذهب فجعل ايوب يحثى فى ثوبه فناداه ربه يا ايوب الم اكن اغنيك عما ترى قال بلى وعزتك ولكنى لا غنى لى عن بركتك وقال قوم اتى الله ايوب فى الدنيا مثل اهله الذين هلكوا فاما الذين هلكوا فانهم لم

وسلم فى مرضه فقال كيف تجدك قال اجدنى مغموما واجدنى مكروبا وقال لعائشة حين قالت وارأساه بل انا وارأساه * قوله تعالى (فاستجبنا له) أى اجبنا دعاءه (فكشفنا ما به من ضر) وذلك انه قال له اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين ماء فامره ان يغتسل منها ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى اربعين خطوة فأمر بان يضرب برجله الأرض مرة اخرى ففعل فنبعت عين ماء بارد فامره ان يشرب منها فشرب فذهب كل داء كان بباطنه فصار كأصح ما كان (وآتيناه أهله ومثلهم معهم) قال ابن مسعود وابن عباس واكثر المفسرين رد الله اليه اهله وأولاده باعيانهم واحياهم الله واعطاه مثلهم معهم وهو ظاهر القرآن وعن ابن عباس رواية اخرى ان الله رد إلى المرأة شبابها فولدت له ستة وعشرين ذكرا وقيل كان له سبع بنين وسبع بنات وعن انس يرفعه انه كان له اندران اندر للقمح واندر للشعير فبعث الله سحابتين فافرغت احداهما على الاندر والقمح الذهب وافرغت الأخرى على اندر الشعير الورق حتى فاضا وروى ان الله تعالى بعث اليه ملكا وقال ان ربك يقرئك السلام بصبرك فاخرج إلى اندرك فخرج إليه فارسل الله عليه جرادا من ذهب فذهبت واحدة فاتبعها وردها إلى اندره فقال له الملك ما يكفيك ما فى اندرك فقال هذه بركة من بركات ربى ولا أشبع من بركاته (خ) عن ابى هريرة قال قال رسول الله ﷺ بينما ايوب يغتسل عريانا خر عليه جرادا من ذهب فجعل ايوب يحثى فى ثوبه فناداه ربه يا ايوب الم اكن اغنيك عما ترى قال بلى يا رب ولكنى لا غنى لى عن بركتك وقيل آتى الله ايوب مثل اهله الذين هلكوا قال عكرمة قيل لايوب ان اهلك فى الاخرة فان شئت عجلناهم لك فى الدنيا وان شئت كانوا لك فى الاخرة واتيناك مثلهم فى الدنيا فقال بل يكونون لى فى الاخرة واوتى مثلهم فى الدنيا فعلى هذا يكون معنى الاية وآتيناه اهله فى الاخرة ومثلهم معهم فى الدنيا واراد بالأهل الاولاد (رحمة من عندنا) اى نعمة من عندنا (وذكرى للعابدين) يعنى عظة وعبرة لهم * قوله عز وجل (واسمعيل) هو ابن ابراهيم صلى الله عليهما وسلم (وإدريس) هو اخنوخ (وذا الكفل كل من الصابرين) لما ذكر امر ايوب وصبره على البلاء اتبعه بذكر هؤلاء الانبياء لانهم صبروا على المحن والشدائد والعبادة ايضا اما اسماعيل صلى الله عليه وسلم فانه صبر على الانقياد إلى الذبح واما إدريس فقد تقدمت قصته واما ذو الكفل فاختلفوا فيه فقيل نبيا من بنى إسرائيل وكان ملكا اوحى الله إليه إنى اريد قبض روحك فاعرض ملكك على بنى اسرائيل فمن تكفل انه يصل الليل

يردوا عليه فى الدنيا قال عكرمة قيل لايوب ان اهلك لك فى الآخرة فان شئت عجلناهم لك فى الدنيا وان شئت كانوا لك ولا فى الاخرة واتيناك مثلهم فى الدنيا فقال يكونون لى فى الاخرة واوتى مثلهم فى الدنيا فعلى هذا يكون معنى الاية واتيناه اهله فى الاخرة ومثلهم معهم فى الدنيا واراد بالاهل الاولاد (رحمة من عندنا) اى نعمة من عندنا (وذكرى للعابدين) اى عظة وعبرة لهم قوله (واسمعيل) يعنى ابن إبراهيم (وإدريس) وهو اخنوخ (وذا الكفل كل من الصابرين) على امر الله واختلفوا فى ذا الكفل فقال عطاء ان نبيا من انبياء بنى اسرائيل اوحى الله اليه انى اريد قبض روحك فاعرض ملكك على بنى اسرائيل فمن تكفل لك ان يصل بالليل ولا يفتر ويصوم بالنهار ولا يفطر ويقضى بين الناس ولا يغضب فادفع ملكك اليه ففعل ذلك فقام شاب فقال انا اتكفل لك بهذا فتكفل ووفى به فشكر الله له ونباه فسمى ذا الكفل قال مجاهد لما كبر اليسع قالوا لو انى استخلفت رجلا على الناس يعمل عليهم فى حياتى حتى انظر كيف يعمل قال لجميع الناس فقال من يتقبل منى بثلاث استخلفه يصوم النهار ويقوم الليل ويقضى بين الناس ولا يغضب فقام رجل

تزدريه العين فقال أنا فرده ذلك اليوم وقال مثلها اليوم الاخر فسكت الناس وقام ذلك الرجل فقال أنا فرده ذلك اليوم فاستخلفه فاتاه ابليس فى صورة شيخ ضعيف حين اخذ مضجعه للقائلة وكان لا ينام بالليل والنهار إلا تلك النومة فدق الباب فقال من هذا فقال شيخ كبير مظلوم فقام ففتح الباب فقال ان بينى وبين قومى خصومة وانهم ظلمونى وفعلوا وفعلوا وجعل يطول حتى حضر الرواح وذهبت القائلة فقال له اذا رحت فائتنى حتى آخذ حقك فانطلق وراح فكان فى مجلسه ينظر هل يرى الشيخ فلم يره فقام يبتغيه فلما كان من الغد جلس يقضى بين الناس وينتظره فلا يراه فلما رجع الى القائلة فاخذ مضجعه اتاه فدق الباب فقال من هذا فقال الشيخ المظلوم ففتح فقال الم اقل لك اذا قعدت فائتنى فقال انهم اخبث قوم اذا عرفوا انك قاعد قالوا نحن نعطيك حقك واذا قمت جحدونى قال فانطلق فاذا رحت فائتنى ففاتته القائلة وراح فجعل ينظر فلا يراه فشق عليه النعاس فقال لبعض أهله لا تدعن أحداً يقرب هذا الباب حتى أنام فانه قد شق على النوم فلما كان تلك الساعة جاء فلم ياذن له الرجل فلما أعياه نظر فرأى كوة فتسور منها فاذا هو فى البيت يدق الباب من داخل فاستيقظ فقال يا فلان الم امرك فقال اما من قبلى فلم تؤت فانظر من أين أتيت فقام الى الباب فاذا هو مغلق كما هو اغلقه (٢٥٧) واذا الرجل معه فى البيت فقال اتنام

ولا يفتر ويصوم النهار ولا يفطر ويقضى بين الناس ولا يغضب فادفع ملكك اليه ففعل ذلك فقام شاب فقال انا اتكفل لك بهذا فتكفل ووفى فشكر الله له ونباه فسمى ذا الكفل وقيل لما اليسع قال انى استخلف رجلا على الناس يعمل عليهم فى حياتى انظر كيف يعمل قال فجمع الناس وقال من يتقبل منى ثلاثا استخلفه يصوم النهار ويقوم الليل ويقضى ولا يغضب فقام رجل يزدريه العين فقال أنا فرده ذلك اليوم وقال مثلها فى اليوم الاخر فسكت الناس وقام ذلك الرجل فقال أنا فاستخلفه فاتاه ابليس فى صورة شيخ ضعيف حين اخذ مضجعه للقائلة وكان لا ينام من الليل والنهار الا تلك النومة فدق الباب فقال من هذا فقال شيخ كبير مظلوم فقام ففتح الباب فقال ان بينى وبين قومى خصومة وأنهم ظلمونى وفعلوا وفعلوا وجعل يطول عليه حتى ذهبت القائلة فقال اذا رحت فائتنى حتى اخذ حقك فانطلق وراح فكان فى مجلسه ينظر هل يرى الشيخ فلم يره فقام يبتغيه فلم يجده فلما كان الغد جعل يقضى بين الناس وينتظره فلم يره فلما رجع الى القائلة وقال واخذ مضجعه دق الباب فقال من هذا فقال الشيخ المظلوم ففتح له وقال له ألم أقل اذا قعدت فائتنى قال انهم أخبث قوم اذا عرفوا انك قاعد قالوا نحن نعطيك حقك واذا قمت جحدونى قال فانطلق فاذا جلست فاتنى وفاتته القائلة فلما جلس جعل ينظر فلا يراه وشق عليه النعاس فلما كان اليوم الثالث قال لبعض أهله لا تدعن أحداً يقرب هذا الباب حتى أنام فانه قد شق على النعاس فلما كانت تلك الساعة نام فجاء فلم ياذن له الرجل فلما أعياه نظر فرأى كوة فى البيت فتسور منها فاذا هو فى البيت فدق الباب من داخل فاستيقظ فقال يا فلان الم امرك قال اما من قبلى فلم تؤت فانظر من اين اتيت فقام الى الباب فاذا هو مغلق كما اغلقه واذا الرجل معه فى البيت فقال اتنام والخصوم ببابك فنظر اليه فعرفه فقال اعدو الله قال نعم أعييتنى وفعلت ما فعلت لأغضبك فعصمك الله فسمى ذا الكفل لأنه تكفل بامر فوفى به واختلف فى نبوته فقيل كان نبياً وهو الياس وقيل هو زكريا وقيل انه كان عبداً صالحاً ولم يكن نبياً (وادخلناهم فى رحمتنا) يعنى ما انعم به عليهم من النبوة وصيرهم اليه فى الجنة من الثواب (انهم من الصالحين) قوله عز وجل (وذا النون) اى واذكر صاحب الحوت أضيف الى الحوت لابتلاعه اياه وهو يونس بن متى (اذ ذهب مغاضبا) قال ابن عباس فى رواية عنه كان يونس وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسبى منهم تسعة اسباط ونصفا وبقى منهم سبطان ونصف فاوحى الله الى شعياء النبى ان سر الى حزقيل الملك

والخصوم ببابك فعرفه فقال اعدو الله قال نعم اعييتنى ففعلت ما ترى لاغضبك فعصمك الله منى فسمى ذا الكفل لأنه تكفل أمرا فوفى به وقيل ان ابليس جاءه وقال ان لى غريما يمطلنى فاحب أن تقوم معى وتستوفى حقى منه فانطلق معه حتى اذا كان فى السوق خلاه وذهب وروى أنه اعتذر اليه وقال ان صاحبى هرب وقيل ان ذا الكفل رجل كفل أن يصلى كل ليلة مائة ركعة الى أن يقبض الله فوفى به واختلفوا فى أنه كان نبياً فقال بعضهم كان نبياً وقيل هو الياس وقيل زكريا وقال أبو موسى لم يكن نبياً ولكن كان عبدا صالحاً (وادخلناهم فى رحمتنا) يعنى ما انعم به عليهم فى الدنيا من

(٣٣ - خازن - بع) النبوة وصيرهم اليه فى الجنة من الثواب (انهم من الصالحين وذا النون) اى اذكر صاحب الحوت وهو يونس بن متى (اذ ذهب مغاضبا) اختلفوا فى معناه فقال الضحاك مغاضبا لقومه وهو رواية العوفى وغيره عن ابن عباس قال كان يونس وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسبى منهم تسعة اسباط ونصفا وبقى سبطان ونصف فاوحى الله إلى شعياء النبى ان سر إلى حزقيل الملك وقل له حتى يوجه نبيا قويا فانى القى معه فى قلوب أولئك حتى يرسلوا معه بنى اسرائيل فقال له الملك فمن ترى وكان فى مملكته خمسة من الأنبياء فقال يونس انه قوى امين فدعا الملك بيونس فامره ان يخرج فقال له يونس هل امرك الله باخراجى قال لا قال فهل سماك لك قال لا قال فههنا غيرى انبياء اقوياء فالحوا عليه فخرج من بينهم مغاضبا للنبى وللملك ولقومه فاتى بحر الروم فركبه وقال عروة بن الزبير وسعيد بن جبير وجماعة ذهب عن قومه مغاضباً لربه إذ كشف عن قومه العذاب بعدما اوعدهم وكره ان يكون بين قوم قد جربوا عليه الخلف فيما وعدهم واستحيا منهم ولم يعلم السبب الذى به العذاب وكان غضبه انفة من ظهور خلف وعده وانه يسمى كذا بالاكراهية لحكم الله تعالى وفى بعض الأخبار انه كان من عادة قومه ان يقتلوا من جربوا عليه الكذب فخشى ان يقتلوه لما لم يأتهم العذاب للميعاد فغضب والمغاضبة ههنا من المفاعلة التى تكون من واحد

كالمسافرة والمعاقبة فمعنى قوله مغاضبا أى غضبان وقال الحسن إنما غاضب ربه عز وجل من أجل أنه امره بالمسير إلى قومه لينذرهم بأسه ويدعوهم اليه فسأل ربه أن ينظره ليتاهب للشخوص اليهم فقيل له ان الامر اسرع من ذلك حتى سال ان ينظر إلا ان ياخذ نعلا يلبسها فلم ينظر وكان فى خلقه ضيق فذهب مغاضبا عن ابن عباس قال أتى جبريل يونس فقال انطلق الى اهل نينوى فانذرهم فقال التمس دابة قال الأمر أعجل من ذلك فغضب فانطلق إلى السفينة وقال وهب بن منبه ان يونس بن متى كان عبدا صالحا وكان فى خلقه ضيق فلما حمل عليه اثقال النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل فقذفها بين يديه وخرج هاربا منها فلذلك أخرجه الله من اولى العزم من الرسل وقال لنبيه محمد ﷺ فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تكن كصاحب الحوت قوله (فظن ان لن نقدر عليه) اى لن نقضى عليه بالعقوبة قاله مجاهد وقتادة والضحاك والكلبى وهو رواية العوفى عن ابن عباس يقال قدر الله الشىء تقديرا وقدر يقدر قدرا بمعنى واحد ومنه قوله نحن قدرنا بينكم الموت فى قراءة من خففها دليل هذا التاويل قراءة عمر (٢٥٨) بن عبد العزيز والزهرى فظن ان لن نقدر عليه بالتشديد وقال عطاء وكثير من العلماء معناه فظن ان لن نضيق عليه الحبس كقوله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اى يضيق وقال ابن زيد هو استفهام معناه فظن انه يعجز ربه فلا يقدر عليه وقرأ يعقوب يقدر بضم الياء على المجهول خفيف وعن الحسن قال بلغنى أن يونس لما أصاب الذنب انطلق مغاضبا لربه واستزله الشيطان حتى ظن أن لن نقدر عليه وكان له سلف وعبادة فأبى الله أن يدعه للشيطان فقذفه فى بطن الحوت فمكث فيه اربعين من بين يوم وليلة وقال عطاء سبعة أيام وقيل ثلاثة أيام وقيل أن الحوت ذهب به مسيرة ستة الاف سنة وقيل بلغ به تخوم الأرض السابعة فتاب الى ربه تعالى فى بطن الحوت وراجع نفسه فقال لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين حين عصيتك وما صنعت من شىء فلن أعبد غيرك فأخرجه الله من بطن الحوت برحمته والتأويلات المتقدمة فى أولى بحال الأنبياء انه ذهب مغاضبا لقومه أو للملك (فنادى فى الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين) يعنى ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت وروى عن أبى هريرة مرفوعا أوحى الله إلى الحوت أن خذه ولا تخدش له لحما ولا تكسر له عظما فأخذه ثم هوى به إلى مسكنه فى البحر فلما انتهى به إلى أسفل البحر سمع يونس حسا فقال فى نفسه ماهذا فأوحى الله اليه أن هذا تسبيح دواب البحر قال فسبح وهو فى بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا ايا ربنا نسمع صوتا ضعيفا بارض غريبة وفى رواية صوتا معروفا من مكان مجهول فقال ذاك عبدى يونس عصانى فحبسته فى بطن الحوت فقالوا العبد الصالح الذى كان يصعد اليك منه فى كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم فشفعوا له عند ذلك فأمر الحوت فقذفه إلى الساحل كما قال الله تعالى فنبذناه بالعراء وهو سقيم فذلك قوله عز وجل

وقل له يوجه نبيا فانى القى فى قلوب أولئك حتى يرسلوا معه بنى اسرائيل فقال له الملك فمن ترى وكان فى مملكته خمسة من الأنبياء قال يونس انه قوى امين فدعا الملك يونس وامره ان يخرج فقال يونس هل الله امرك باخراجى قال لا قال فهل سماني الله لك قال لا قال فبهذا غيري انبياء اقوياء فالحوا عليه فخرج مغاضبا للنبي وللملك وقومه واتى بحر الروم فركب وقيل ذهب عن قومه مغاضبا لربه لما كشف عنهم العذاب بعد ما أوعدهم وكره أن يكون بين أظهر قوم جربوا عليه الخلف فيما أوعدهم واستحيا منهم ولم يعلم السبب الذى رفع العذاب عنهم به فكان غضبه أنفة من ظهور خلف وعده وأنه يسمى كذابا بالاكراهية لحكم الله وفى بعض الأخبار أنه كان من عادة قومه أنهم يقتلون من جربوا عليه الكذب فخشى أن يقتلوه مالم يأتهم العذاب للميعاد فذهب مغاضبا وقال ابن عباس أتى جبريل يونس فقال انطلق إلى أهل نينوى فانذرهم فقال التمس دابة قال الأمر أعجل من ذلك فغضب وانطلق إلى السفينة وقال وهب أن يونس كان عبدا صالحا وكان فى خلقه ضيق فلما حمل اثقال النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل فقذفها من يده وخرج هاربا منها فلذلك أخرجه الله من أولى العزم من الرسل وقال لنبيه محمد ﷺ فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل وقال ولا تكن كصاحب الحوت * وقوله (فظن أن لن نقدر عليه) أى لن نقضى عليه العقوبة قاله ابن عباس فى رواية عنه وقيل معناه فظن ان لن نضيق عليه الحبس وقيل معناه فظن أنه يعجز ربه فلا يقدر عليه قيل لما انطلق يونس مغاضبا لربه واستزله الشيطان حتى ظن ان لن يقدر عليه وكان له سلف وعبادة ابى الله أن يدعه للشيطان فقذفه فى بطن الحوت فمكث فيه أربعين ما بين يوم وليلة وقيل سبعة أيام وقيل ثلاثة وقيل ان الحوت ذهب به حتى بلغ تخوم الأرض السابعة فتاب إلى ربه وراجع نفسه فى بطن الحوت (فنادى فى الظلمات) أى ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت (أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين) أى حيث عصيتك وما صنعت من شىء فلم أعبد غيرك فأخرجه الله من بطن الحوت برحمته وروى أبو هريرة مرفوعا قال أوحى الله تعالى إلى الحوت أن خذه ولا تخدش له لحما ولا تكسر له عظما فأخذه ثم أهوى به الى مسكنه فى البحر فلما انتهى به الى أسفل البحر سمع يونس حسا فقال فى نفسه ماهذا فأوحى الله اليه هذا تسبيح دواب البحر قال فسبح هو فى بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا ايا ربنا نسمع صوتا ضعيفا بأرض غريبة وفى رواية صوتا معروفا من مكان مجهول فقال ذلك عبدى يونس عصانى فحبسته فى بطن الحوت فقالوا العبد الصالح الذى كان يصعد اليك منه فى كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم فشفعوا له عند ذلك فأمر الحوت فقذفه إلى الساحل كما قال الله تعالى فنبذناه بالعراء وهم سقيم فذلك قوله عز وجل

(فاستجبنا له) أى أجبناه (ونجيناه من الغم) من تلك الظلمات (وكذلك ننجى المؤمنين) من كل كرب إذا دعونا واستغاثوا بنا قرأ ابن عامر وعاصم برواية أبى بكر نجى بنون واحدة وتشديد الجيم وتسكين الياء لأنها مكتوبة فى المصحف بنون واحدة واختلف النحاة فى هذه القراءة فذهب أكثرهم إلا أنها لحن لأنه لو كان على مالم يسم فاعله لم تسكن الياء ورفع المؤمنين ومنهم من صوبها وذكر الفراء أن لها وجها آخر وهو اضمار المصدر أى نجا النجاة المؤمنين كقولك ضرب الضرب عبد الله تقول ضرب زيدا بالنصب على اضمار المصدر وسكن الياء فى نجى كما يسكنون فى بقى ونحوها قاله القتيبى من قرأ بنون واحدة والتشديد فانما أراد ننجى من التنجية إلا أنه ادغم وحذف نونا طلبا للخفة ولم يرضه النحويون لبعد مخرج النون من الجيم والادغام يكون عند قرب المخرج وقرأ العامة ننجى بنونين من الانجاء وإنما كتبت بنون واحدة لأن النون الثانية كانت ساكنة والساكن غير ظاهر على اللسان فحذفت كما فعلوا فى الاحذفوا النون مران لخفائها واختلفوا فى أن رسالة يونس بن متى متى كانت فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس انها كانت بعد أن أخرجه الله من بطن الحوت بدليل ان الله عز وجل ذكره فى سورة والصافات فنبذناه بالعراء ثم ذكر بعده وأرسلناه إلى مائة الف أو يزيدون وقال الاخرون أنها كانت من قبل بدليل قوله تعالى وان يونس لمن المرسلين إذ ابق إلى الفلك المشحون قوله عز وجل (وزكريا إذ نادى ربه) أى دعا ربه (رب لا تذرنى فردا) وحيد الاولد لى وارزقنى وارثا (وانت خير الوارثين) انى على الله بأنه الباقى بعد فناء الخلق وانه افضل من بقى حيا (فاستجبنا له ووهبنا له يحيى) ولدا (واصلحنا له زوجة) اى جعلناها ولودا بعد

فى الساحل فذلك قوله تعالى (فاستجبنا له ونجيناه من الغم) أى من تلك الظلمات (وكذلك ننجى المؤمنين) أى من الكرب إذا دعونا واستغاثوا بنا * فان قلت قد تمسك بمواضع من هذه القصة من أجاز وقوع الذنب من الأنبياء منها قوله إذ ذهب مغاضبا ومنها فظن أن لن نقدر عليه ومنها قوله إنى كنت من الظالمين * قلت أما الجواب الكلى فقد اختلفوا فى هذه الواقعة هل كانت قبل الرسالة أم لا فقال ابن عباس كانت رسالته بعد أن أخرجه الله من بطن الحوت بدليل قوله تعالى فى الصافات بعد ذكر خروجه وأرسلناه إلى مائة ألف أن يزيدون فثبت بهذا أن فى هذه الواقعة كانت قبل النبوة وقد أجاز بعضهم عليه الصغائر قبل النبوة ومنعها بعد النبوة وهو الصحيح وأما الجواب التفصيلى لقوله إذ ذهب مغاضبا فحمله على أنه لقومه أو للملك أولى بحال الأنبياء وأما قوله فظن أن لن نقدر عليه فقد تقدم معناه أن لن نضيق عليه وذلك أن يونس ظن أنه مخير إن شاء أقام وإن شاء خرج وإن الله تعالى لا يضيق عليه اختياره وقيل هو من القدر لا من القدرة وأما قوله انى كنت من الظالمين فالظلم وضع الشىء فى غير موضعه وهذا اعتراف عند بعضهم بذنبه فاما أن يكون لخروجه عن قومه بغير إذن ربه أو لضعفه عما حمله أو لدعائه بالعذاب على قومه وفى هذه الأشياء ترك الأفضل مع قدرته على تحصيله فكان ذلك ظلما وقيل كانت رسالته قبل هذه الواقعة بدليل قوله وإن يونس لمن المرسلين إذ أبق إلى الفلك المشحون فعلى هذا يكون الجواب عن هذه الواقعة ما تقدم من التفصيل والله أعلم * قوله عز وجل (وزكريا إذ نادى ربه) أى دعا ربه فقال (رب لا تذرنى فردا) يعنى وحيدا لا ولد لى يساعدنى وارزقنى وارثا (وأنت خير الوارثين) هو ثناء على الله بانه الباقى بعد فناء الخلق وأنه الوارث لهم وهذا على سبيل التمثيل والمجاز فهو كقوله وأنت خير الرازقين (فاستجبنا له ووهبنا له يحيى) أى ولدا (واصلحنا له زوجه) اى جعلناها ولودا بعدما كانت عقيما وقيل كانت سيئة الخلق فاصلحها الله تعالى له بأن رزقها حسن الخلق (إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات) اى الأنبياء المذكورين فى هذه السورة وقيل زكريا واهل بيته والمسارعة فى الخيرات من اكبر ما يمدح به المرء لانها تدل على حرص عظيم فى طاعة الله عز وجل (ويدعوننا رغبا ورهبا) يعنى انهم ضموا إلى فعل الطاعات امرين احدهما الفزع إلى الله لمكان الرغبة فى ثوابه والرهبة من عقابه والثانى الخشوع وهو قوله تعالى (وكانوا لنا خاشعين) الخشوع هو الخوف اللازم للقلب فيكون الخاشع هو الحذر الذى لا ينبسط فى الأمور خوفا من الوقوع فى الاثم * قوله تعالى (والتى احصنت فرجها) اى إحصانا كليا من الحلال والحرام جميعا كما قالت لم يمسسنى بشر ولم اك بغيا وهى مريم بنت عمران (فنفخنا فيها من روحنا) امرنا جبريل حتى نفخ فى جيب درعها فحلقنا بذلك النفخ المسيح فى بطنها واضاف الروح اليه تشريفا لعيسى كبيت الله وناقة الله (وجعلناها وابنها آية) اى دلالة (للعالمين) على كمال قدرتنا على خلق ولد من

ما كانت عقيما قاله اكثر المفسرين وقال بعضهم كانت سيئة الخلق فأصلحها الله له بأن رزقها حسن الخلق (انهم) الأنبياء يعنى الانبياء الذين سماهم فى هذه السورة (كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا) طمعا (ورهبا) خوفا رغبا من رحمة الله ورهبا من عذاب الله (وكانوا لنا خاشعين) اى متواضعين قال قتادة ذللا لأمر الله قال مجاهد الخشوع هو الخوف اللازم فى القلب (والتى أحصنت فرجها) حفظت من الحرام وأراد مريم بنت عمران (فنفخنا فيه من روحنا) اى أمرنا جبرايل حتى نفخ فى جيب درعها واحدثنا بذلك النفخ المسيح فى بطنها واضاف الروح اليه تشريفا لعيسى عليه السلام (وجعلناها وابنها آية للعالمين) أى دلالة على كمال قدرتنا على خلق ولد من غير أب ولم يقل آيتين وهما آيتان لأن معنى الكلام وجعلنا شأنهما وأمرهما آية ولان الاية كانت فيهما واحدة وهى انها أتت به من غير فحل قوله

(إن هذه أمتكم) أى ملتكم ودينكم (امة واحدة) يعنى دينا واحدا وهو الاسلام فابطل ماسوى الاسلام من الاديان واصل الامة الجماعة التى هى على مقصد واحد فجعلت الشريعة امة واحدة لاجتماع أهلها على مقصد واحد ونصب امة على القطع (وانا ربكم فاعبدون وتقطعوا امرهم بينهم) أى اختلفوا فى الدين فصاروا فرقا واحزابا قال الكلبى فرقوا دينهم بينهم يلعن بعضهم بعضا ويتبرأ بعضهم من بعض والتقطع ههنا بمعنى التقطيع (كل إلينا راجعون) فنجزيهم باعمالهم (فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه) لا يجحدون ولا يبطل عمله بل يشكر ويثاب عليه (وانا له كاتبون) لعمله حافظون وقيل معنى الشكر من الله المجازاة ومعنى الكفران ترك المجازاة (وحرام على قرية) قرأ حمزة والكسائى وابو بكر وحرم بكسر الحاء بلا الف وقرأ الباقون بالالف حرام وهما لغتان مثل حله وحلال قال ابن عباس معنى الاية وحرام على قرية اى اهل قرية (اهلكناها) ان يرجعوا بعد الهلاك فعلى هذا تكون لا صلة وقال اخرون والحرام بمعنى الواجب فعلى هذا تكون لاثابتة معناه واجب على اهل قرية اهلكناهم (انهم لا يرجعون) الى الدنيا وقال الزجاج معناه وحرام على اهل قرية اهلكناهم اى حكمنا بهلاكهم ان يتقبل اعمالهم لانهم لا يرجعون اى لا يتوبون والدليل على هذا المعنى انه قال فى الاية التى قبلها فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه أى يتقبل عمله ثم ذكر هذه الاية عقيبه وبين ان الكافر لا يتقبل عمله عبادى قوله تعالى (حتى إذا فتحت) قرأ ابن عامر وابو جعفر ويعقوب فتحت بالتشديد على التكثير وقرأ الاخرون بالتخفيف (يأجوج ومأجوج) يريد فتح السد عن يأجوج (وهم من كل حدب) اى نشز وتل والحدب المكان المرتفع (ينسلون) يسرعون النزول من الاكام والتلال كنسلان الذئب وهو سرعة مشيه واختلفوا فى هذه الكناية فقال قوم عنى بها يأجوج ومأجوج بدليل ما روينا عن النواس بن

غير اب * فان قلت هما ايتان فكيف قال اية * قلت معنى الكلام وجعلنا شأنهما وامرهما آية واحدة اى ولادتها إياه من غير اى اب اية * قوله تعالى (إن هذه امتكم) اى ملتكم ودينكم (امة واحدة) يعنى دينا واحدا وهو الإسلام فابطل ماسوى الاسلام من الاديان والامة الجماعة التى هى على مقصد واحد وجعلت الشريعة امة لاجتماع أهلها على مقصد واحد (وانا ربكم فاعبدون) أى لا دين سوى دينى ولا رب لكم غيرى فاعبدونى يعنى وحدونى (وتقطعوا امرهم بينهم) يعنى اختلفوا فى الدين فصاروا فرقا واحزابا حتى لعن بعضهم بعضا وتبرأ بعضهم من بعض (كل إلينا راجعون) فنجزيهم باعمالهم (فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه) يعنى لا يجحد ولا يبطل سعيه بل يشكر ويثاب عليه (وإنا له كاتبون) اى لعمله وحافظون له وقيل الشكر من الله المجازاة والكفران ترك المجازاة * قوله عز وجل (وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون) قال ابن عباس ومعناه وحرام على اهل قرية اهلكناهم ان يرجعوا بعد الهلاك وقيل معناه وحرام على اهل قرية حكمنا بهلاكهم ان نقبل اعمالهم لانهم لا يتوبون * قوله عز وجل (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج) يريد فتح السد وذلك ان الله يفتحه اخبر عن يأجوج ومأجوج وهما قبيلتان يقال انهما تسعة اعشار بنى ادم (وهم من كل حدب ينسلون) يعنى يسرعون النزول من كل الاكام والتلال وفى هذه الكناية وجهان احدهما ان المراد بهم يأجوج ومأجوج وهو الاصح بدليل ماروى عن النواس بن سمعان قال ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظننا انه فى طائفة النخل فلما رحنا اليه عرف ذلك فينا فقال ماشانكم قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال الغداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظننا انه فى طائفة النخل فقال غير الدجال اخوفنى عليكم ان يخرج وانا فيكم فانا حجيجه دونكم وان يخرج ولست فيكم فكل امرىء حجيج نفسه والله خليفتى على كل مسلم انه شاب قطط عينه طافئة كانى أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف انه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا يا عباد الله فاثبتوا قلنا يا رسول الله وما لبثه فى الأرض قال اربعون يوما كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر ايامه كأيامكم قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذى كسنة اتكفينا فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره قلنا يا رسول الله وما اسراعه فى الارض قال كالغيث استدبرته الريح فيأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر لهم السماء فتمطر والارض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم اطول ما كانت ذرا واصبغه ضروعا وامده خواصر ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شىء من اموالهم ويمر بالخربة فيقول لها اخرجى كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جولتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه ويضحك فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح بن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على اجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهى إلى حيث ينتهى طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ثم يأتى عيسى عليه السلام إلى قوم قد عصمهم الله منه فيسمح على وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم فى الجنة فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى عليه السلام انى قد اخرجت عبادا لى لا يدان لاحد ان يقاتلهم فحرز

سمعان عن النبي ﷺ أنه قال ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون وقال قوم أراد جميع الخلق يعني أنهم يخرجون من قبورهم ويدل عليه قراءة مجاهد وهم من كل جدث بالجيم والثاء كما قال فاذا هم من الأجداث الى ربهم ينسلون أخبرنا إسمعيل بن عبد القاهر الجرجاني انا عبد الغفار بن محمد الفارسي انا محمد بن عيسى الجلودي أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا أبو خيثمة زهير بن حرب أنا سفيان ابن عيينة عن فرات القزاز عن ابي الطفيل عن حذيفة ابن أسيد الغفاري قال اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر الساعة فقال ما تذكرون قالوا نذكر الساعة قال أنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر ايات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمغرب وخسف بالمشرق وخسف بجزيرة العرب واخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم قوله تعالى (واقترب الوعد الحق) اى القيامة قال الفراء وجماعة الواو في قوله واقترب مقحمة فمعناه حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج اقترب الوعد الحق كما قال الله تعالى فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أي ناديناه والدليل عليه ماروى عن حذيفة قال لو أن رجلا اقتنى فلوا بعد خروج يأجوج ومأجوج ولم يركبه حتى تقوم الساعة وقال قوم لايجوز طرح الواو

عبادي إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر اخرهم فيقول لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر نبي الله وأصحابه عيسى حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله فيهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى واصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الارض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيرا كاعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه مدر ولا وبر فيغسل الارض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للأرض انبتي ثمرتك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك الله في الرسل حتى ان اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت اباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة اخرجه مسلم

﴿شرح غريب ألفاظ الحديث﴾ قوله حتى ظننا ه في طائفة النخل أي ناحية النخل وجانبه والطائفة القطعة من الشيء وقوله نخفض فيه ورفع اى خفض صوته ورفعه من شدة ما تكلم به في امره وقيل انه خفض من امره تهويناله ورفع من شدته فتنته والتخويف من امره قوله إنه شاب قطط أي جعد الشعر وقوله طائفة أي خارجه عن حدها قوله انه خارج خلة اى انه يخرج قصد وطريقا بين جهتين والتحلل الدخول في الشيء قوله فعاث أي أفسد قوله اقدروا له قدره أي قدروا قدر يوم من أيامكم المعهودة وصلوا فيه بقدر أوقاته وقوله فتروح عليهم سارحتهم اى مواشيهم وقوله فيصبحون محلين اى مقحطين قد أجدبت أرضهم وغلت أسعارهم قوله كيعاسيب النحل جمع يعسوب وهو فحل النحل ورئيسها قوله فيقطعه جزلتين رمية الغرض أي قطعتين والغرض الهدف الذي يرمى بالنشاب قوله بين مهرودتين رويت بالدال المهملة وبالمعجمة أي شقتين وقيل حلتين وقيل الهرد الصبغ الاصفر بالورس والزعفران قوله لايدان لاحد بقتالهم أي لاقدرة ولاقوة لاحد بقتالهم والنغف دود يكون في أنوف الابل والغنم فرسى جمع فريس وهو القتيل قوله زهمهم أي ريحهم النتنة قوله كالزلفة أي كالمراة وجمعها زلف ويروى بالقاف واراد به استواءها ونظافتها قوله تاكل العصابة أي الجماعة قيل يبلغون أربعين وقحف الرمانة في الحديث قشرها والرمل بكسر الراء اللبن واللقحة الناقة ذات اللبن والفئام الجماعة من الناس والفخذ دون القبيلة وقوله يتهارجون اى يختفون والتهارج الاختلاف واصله القتل ﴿الوجه في تفسير قوله تعالى وهم من كل حدب ينسلون﴾ قيل جميع الخلائق يخرجون من قبورهم إلى موقف الحساب (م) عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذكرون قالوا نذكر الساعة قال إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر ايات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاث خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وأخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم * قوله عز وجل (واقترب الوعد الحق) أي القيامة قال حذيفة لو أن رجلا اقتنى فلوا بعد خروج يأجوج وماجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة الفلو المهر (فاذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا) قيل معنى الآية أن

وجعلوا جواب حتى إذا فتحت في قوله ياويلنا فيكون مجاز الاية حتى إذا فتحت يأجوج وماجوج واقترب الوعد الحق قالوا ياويلنا قد كنا في غفلة من هذا قوله (فاذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا) وهي قولة هي ثلاثة اوجه احدها انها كناية الابصار ثم اظهر الابصار بيانا معناه فاذا الابصار شاخصة أبصار الذين كفروا والثاني ان هي تكون عمدا كقوله فانها لاتعمى الابصار والثالث ان يكون تمام الكلام عند قوله هي على معنى فاذا هي بارزة يعني من قربها كانها حاضرة ثم ابتدأ شاخصة

أبصار الذين كفروا على تقديم الخبر على الابتداء مجازها أبصار الذين كفروا شاخصة قال الكلبي شخصت أبصار الكفار فلا تكاد تطرف من شدة ذلك اليوم وهوله يقولون (ياويلنا قد كنا في غفلة من هذا) اليوم (بل كنا ظالمين) بوضعنا العبادة في غير موضعها (إنكم) أيها المشركون (وما تعبدون من دون الله) يعني الأصنام (حصب جهنم) يعني وقودها وقال مجاهد وقتادة حطبها والحصب في لغة أهل اليمن الحطب وقال عكرمة هذا الحطب بلغة الحبشة قال الضحاك يعني يرمون بهم في النار كما يرمى بالحصب وأهل الحصب المرمى قال الله عز وجل أرسلنا عليهم حاصبا أي ريحا ترميهم بحجارة وقرأ علي بن أبي طالب حطب جهنم (أنتم لها واردون) أي فيها خالدون (لو كان هؤلاء) يعني الأصنام (الهة) على الحقيقة (ماوردوها) أي ما دخل عابدوها النار (وكل فيها خالدون) يعني العابد والمعبودين (لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون) قال ابن مسعود في هذه الآية إذا بقي في النار (٢٦٢) من يخلد فيها جعلوا في توابيت من نار ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت أخر ثم تلك التوابيت في توابيت اخر عليها مسامير من نار فلا يسمعون شيئا ولا يرى أحد منهم ان في النار احدا يعذب غيره ثم استثنى فقال (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى) قال بعض أهل العلم ان ههنا بمعنى إلا معناه الا الذين سبقت لهم منا الحسنى يعني السعادة والعدة الجميلة بالجنة (اولئك عنها مبعدون) قيل الآية عامة في كل من سبقت لهم من الله السعادة وقال اكثر المفسرين عنى بذلك كل من عبد من دون الله وهو لله طائع ولعبادة من يعبده كاره وذلك ان النبي ﷺ دخل المسجد وصناديد قريش (في الحطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فعرض له النضر بن الحارث فكلمه النبي ﷺ حتى الحمه ثم تلا عليه (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انت لها الآيات الثلاثة ثم قام فأقبل عبد الله بن الزبعرى السهمي فأخبره الوليد بن المغيرة بما قال لهم النبي ﷺ فقال عبد الله اما والله لو وجدته لخصمته فدعوا النبي ﷺ فقال (لا

القيامة إذا قامت شخص أبصار الذين كفروا من شدة الأهوال ولا تكاد تطرف من هول ذلك اليوم ويقولون (ياويلنا قد كنا في غفلة من هذا) يعني في الدنيا حيث كذبنا به وقلنا أنه غير كائن (بل كنا ظالمين) أي في وضعنا العبادة في غير موضعها قوله عز وجل (إنكم) الخطاب للمشركين (وما تعبدون من دون الله) يعني الأصنام (حصب جهنم) أي حطبها ووقودها وقيل يرمى بهم في النار كما يرمى بالحصباء وأصل الحصب الرمي (أنتم لها واردون) أي فيها داخلون (لو كان هؤلاء) يعني الأصنام (الهة) أي على الحقيقة (ماوردوها) أي ما دخل الأصنام النار وعبدوها (وكل فيها خالدون) يعني العابدين والمعبودين (لهم فيها زفير) قيل الزفير هو ان يملأ الرجل صدره غما ثم يتنفس وقيل هو شدة ما ينالهم من العذاب (وهم فيها لا يسمعون) قال ابن مسعود في هذه الآية إذا بقي في النار من يخلد فيها جعلوا في توابيت من نار ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت أخر ثم تلك التوابيت في توابيت اخر عليها مسامير من نار فلا يسمعون شيئا ولا يرى أحد منهم أن في النار أحدا يعذب غيره * قوله تعالى (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى) قال العلماء ان هنا بمعنى إلا أي إلا الذين سبقت لهم منا الحسنى يعني السادة والعدة الجميلة الجنة (أولئك عنها) اى عن النار (مبعدون) قيل الآية عامة في كل من سبقت له من الله السعادة وقال اكثر المفسرين عنى بذلك كل من عبد من دون الله وهو لله طائع ولعبادة من يعبده كاره وذلك النبي ﷺ دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فعرض له النضر بن الحرث فكلمه رسول الله ﷺ حتى الحمه ثم تلا عليه إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآيات الثلاث ثم قام فأقبل عبد الله بن الزبرى السهمي فأخبره الوليد بن المغيرة بما قال لهم النبي ﷺ فقال ابن الزبرى أما والله لو وجدته لخصمته فدعوا النبي ﷺ فقال له ابن الزبرى انت قلت انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال نعم قال أليست اليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد المسيح وبنو مليح يعبدون الملائكة فقال النبي ﷺ بل هم يعبدون الشيطان فأنزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى يعني عزيرا والمسيح والملائكة أولئك عنها مبعدون وانزل فانزل الله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى يعني عزيرا والمسيح والملائكة أولئك عنها مبعدون وأنزل في ابن الزبرى ماضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون وزعم جماعة ان المراد من الآية الأولى الاصنام لان الله يعالى قال انكم وما تعبدون من دون الله ولو أراد به الملائكة والناس لقال انكم ومن تعبدون لان من لم يعقل وما لمن لا يعقل (لا يسمعون حسيسها) يعنى صوتها وحركة تلهبها اذا نزلوا منازلهم في الجنة (وهم فيما اشتهت انفسهم) اى من النعيم والكرامة (خالدون) اى مقيمون * قوله تعالى

(لا ابن الزبرى انت قلت انكم وما تعبدون من دون حصب جهنم قال نعم قال اليست اليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد المسيح وبنو مليح تعبد الملائكة فقال النبي ﷺ بل هم يعبدون الشياطين فأنزل الله عز وجل ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اى عزيرا والمسيح والملائكة اولئك عنها مبعدون وانزل في ابن الزبرى ماضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون وزعم جماعة ان المراد من الآية الأصنام لأن الله تعالى قال وما تعبدون من دون الله ولو اراد الملائكة والناس لقال ومن تعبدون من دون الله (لا يسمعون حسيسها) اى صوتها وحركة تلهبها إذا نزلوا منازلهم في الجنة والحس الحسيس الصوت الخفي (وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون) مقيمون كما قال وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين

(لايحزنهم الفزع الاكبر) قال ابن عباس الفزع الاكبر النفخة الأخيرة بدليل قوله عز وجل ونفخ الصور ففزع من فى السموات ومن فى الأرض قال الحسن حين يؤمر بالعبد إلى النار قال ابن جريج حين يذبح الموت وينادى ياأهل الجنة خلود فلاموت ويا أهل النار خلود فلا موت وقال سعيد بن جبير والضحاك هو أن تطبق عليهم جهنم وذلك بعد أن يخرج الله منها من يريد أن يخرجه (وتتلقاهم الملائكة) أى تستقبلهم الملائكة على أبواب الجنة يهنؤنهم ويقولون (هذا يومكم الذى كنتم توعدون يوم تطوى السماء) قرأ أبو جعفر تطوى السماء بالتاء وضمها وفتح الواو والسماء رفع على المجهول وقرأ العامة بالنون وفتحها وكسر الواو والسماء نصب (كطى السجل للكتب) قرأ حمزة والكسائى وحفص عن عاصم للكتب على الجمع وقرأ الاخرون للكتاب على الواحد واختلفوا فى السجل فقال السدى السجل ملك يكتب أعمال العباد واللام زائدة أى كطى السجل الكتب كقوله ردف لكم اللام فيه زائدة وقال ابن عباس ومجاهد والاكثرون السجل الصحيفة للكتب أى لأجل ما كتب معناه كطى الصحيفة على مكتوبها والسجل اسم مشتق من المساجلة وهى المكاتبة (٢٦٣) والطى الدرج الذى هو ضد النشر

(لايحزنهم الفزع الاكبر) قال ابن عباس يعنى النفخة الأخيرة وقيل حين يذبح الموت وينادى ياأهل النار خلود بلاموت وقيل هو حين يطبق على جهنم وذلك بعد أن يخرج الله منها من يريد أن يخرجه (وتتلقاهم الملائكة) أى تستقبلهم الملائكة على أبواب الجنة يهنؤنهم ويقولون (هذا يومكم الذى كنتم توعدون أى فى الدنيا * قوله عز وجل (يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب) قال ابن عباس السجل الصحيفة والمعنى كطى الصحيفة على مكتوبها والطى هو الدرج الذى هو ضد النشر وقيل السجل اسم ملك يكتب أعمال العباد إذا رفعت اليه والمعنى نطوى السماء كما يطوى السجل الطومار للذى يكتب فيه والتقدير لا يحزنهم الفزع الاكبر فى ذلك اليوم (كما بدأنا أول خلق نعيده) أى كما بدأناهم فى بطون أمهاتهم عراة عزلا كذلك نعيدهم يوم القيامة (ق) عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال أيها الناس انكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده قوله غرلا أى قلفا * وقوله تعالى (وعدا علينا إنا كنا فاعلين) يعنى الاعادة والبعث بعد الموت * قوله تعالى (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر) قيل الزبور جميع الكتب المنزلة على الأنبياء والذكر هو أم الكتاب الذى عنده من ذلك الكتاب تنسخ جميع الكتب ومعنى من بعد الذكر أى بعدما كتب فى اللوح المحفوظ وقال ابن عباس الزبور التوراة والذكر الكتب المنزلة من بعد التوراة وقيل الزبور كتاب داود والذكر هو القرآن وبعد هنا بمعنى قبل (أن الأرض يرثها عبادى الصالحون) يعنى أرض الجنة يرثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى أن الله تعالى كتب فى اللوح المحفوظ فى كتب الأنبياء أن الجنة يرثها من كان صالحا من عباده عاملا بطاعته وقال ابن عباس أراد أن أراضى الكفار يفتحها المسلمون وهذا حكم من الله تعالى باظهار الدين وإعزاز المسلمين وقيل أراد الأرض المقدسة يرثها الصالحون بعده من كان فيها (إن فى هذا) أى فى القرآن (لبلاغا) أى وصولا إلى البغية تعنى من اتبع القرآن وعمل بما فيه وصل إلى ما يرجو من الثواب وقيل البلاغ الكفاية أى فيه كفاية لما فيه من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة فهو زاد العباد إلى الجنة وهو قوله تعالى (لقوم عابدين) يعنى مؤمنين لا يعبدون أحدا من دون الله تعالى وقيل هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم أهل الصلوات الخمس وصوم شهر رمضان والحج وقال ابن عباس عالمين وقيل هم العالمون العاملون * قوله عز وجل (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)

(كما بدأنا أول خلق نعيده) أى كما بدأناهم فى بطون أمهاتهم حفاة عراة غرلا كذلك نعيدهم يوم القيامة نظيره قوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وروى عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال انكم محشورون حفاة عراة غرلا ثم قرأ كل بدانا أول خلق نعيده (وعدا علينا إنا كنا فاعلين) يعنى الاعادة والبعث قوله (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر) قال سعيد بن جبير ومجاهد الزبور جميع الكتب المنزلة والذكر أم الكتاب الذى عنده والمعنى من بعد ما كتب ذكره فى اللوح المحفوظ وقال ابن عباس والضحاك الزبور التوراة والذكر الكتب المنزلة من بعد التوراة وقال الشعبى الزبور كتاب داود والذكر التوراة وقيل الزبور داود والذكر القرآن وبعد بمعنى قبل كقوله تعالى وكان وراءهم ملك أى أمامهم والأرض بعد ذلك دحاها قبله (إن الأرض) يعنى أرض الجنة (يرثها عبادى الصالحون) قال مجاهد يعنى أمة محمد صلى الله عليه وسلم دليله قوله تعالى لحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض وقال ابن عباس أراد ان أراضى الكفار يفتحها المسلمون وهذا حكم من الله باظهار الدين واعزاز المسلمين وقيل أراد بارض الأرض المقدسة (إن فى هذا) أى هذا القران (لبلاغا) وصولا إلى البغية أى من اتبع القران وعمل به وصل إلى ما يرجوه من الثواب وقيل بلاغا أى كفاية يقال فى هذا الشىء بلاغ وبلغه أى كفاية والقرآن زاد الجنة كبلاغ المسافر (لقوم عابدين) أى المؤمنين يعبدون الله وقال ابن عباس عالمين وقال كعب الأحبار هم أمة محمد صلى عليه وسلم أهل الصلوات الخمس وصوم شهر رمضان (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) قال ابن زيد يعنى رحمة للمؤمنين خاصة فهو رحمة لهم وقال ابن عباس هو عام فى حق من آمن ومن لم يؤمن فمن آمن فهو رحمة له فى الدنيا والاخرة ومن لم يؤمن فهو رحمة له فى الدنيا بتأخير العذاب عنهم ورفع

قيل كان الناس أهل كفر وجاهلية وضلال وأهل الكتابين كانوا في حيرة من أمر دينهم لطول وانقطاع تواترهم ووقوع الاختلاف في كتبهم فبعث الله محمد ﷺ حين لم يكن لطالب الحق سبيل إلى الفوز والثواب فدعاهم إلى الحق وبين لهم سبيل الصواب وشرع لهم الأحكام وبين الحلال من الحرام قال الله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين قيل يعني المؤمنين خاصة فهو رحمة لهم وقال ابن عباس هو عام في حق من آمن ومن لم يؤمن فمن امن فهو رحمة له في الدنيا والآخرة ومن لم يؤمن فهو رحمة له في الدنيا بتأخير العذاب عنه ورفع المسخ والخسف والاستئصال قال رسول الله ﷺ إنما أنا رحمة مهداة (قل إنما يوحى إلى انما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون) يعني منقادون لما يوحى إلى من اخلاص الالهية والتوحيد لله والمراد بهذا الاستفهام الأمر أي أسلموا (فان تولوا) أي أعرضوا ولم يسلموا (فقل اذنتكم) أي أعلمتكم بالحرب وأن لاصلح بيننا (على سواء) أنذار بينا نستوي في علمه لاستبدأنا به دونكم لتأهبوا لما يراد بكم والمعنى اذنتكم على وجه نستوي نحن وانتم في العلم به وقيل معناه لتستووا في الايمان به وأعلمتكم بما هو الواجب عليكم من التوحيد وغيره (وإن أدري) يعني وما أعلم (أقريب أم بعيد ما توعدون) يعني يوم القيامة لا يعلمه إلا الله (إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون) يعني لا يغيب عن علمه شيء منكم في علانيتكم وسركم (وإن أدري لعله فتنة لكم) يعني لعل تأخير العذاب عنكم إختبار لكم ليرى كيف صنيعكم وهو أعلم بكم (ومتاع إلى حين) يعني تتمتعون إلى انقضاء اجالكم (قال رب احكم) يعني أفصل بيني وبين من كذبني (بالحق) يعني بالعذاب كانه استعجل العذاب لقومه فعذبوا يوم بدر وقيل معناه أفصل بيني وبينهم بما يظهر الحق للجميع وهو أن تنصرني عليهم والله يحكم بالحق طلب أو لم يطلب ومعنى الطلب ظهور الرغبة من الطالب (وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون) يعني من الشرك والكفر والكذب والاباطيل كأنه سبحانه وتعالى قال قل داعيا الى رب احكم بالحق وقل متوعدا للكفار وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون والله اعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تم الجزء الرابع من تفسير الخازن بعون الله ويليه الجزء الخامس وأوله سورة الحج﴾

يعني أسلموا (فان تولوا فقل اذنتكم) يعني أعلمتكم الجواب وأن لاصلح بيننا نستوي في علمه لاستبدنا به دونكم لتأهبوا لما يراد بكم يعني اذنتكم على وجه نستوي نحن وانتم في العلم به وقيل لتستووا في الايمان به (وان أدري) يعني وما اعلم (اقريب أم بعيد ما توعدون) يعني القيامة (انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون وان أدري لعله) يعني لعل تأخير العذاب عنكم كناية عن غير مذكور (فتنة) اختبار (لكم) ليرى كيف صنيعكم وهو اعلم (ومتاع إلى حين) يعني تتمتعون الى انقضاء اجالكم (قال رب احكم بالحق) قرأ حفص عن عاصم قال رب احكم وقرأ الاخرون قل رب احكم يعني افصل بيني وبين من كذبني بالحق فان قيل كيف قال احكم بالحق والله لا يحكم إلا بالحق والله لا يحكم الا بالحق قيل الحق ههنا بمعنى العذاب لأنه استعجل العذاب لقومه فعذبوا يوم بدر نظيره قوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق قال اهل المعاني معناه رب احكم بحكمك الحق فحذف الحكم واقيم الحق مقامه والله تعالى يحكم بالحق طلب منه اولم يطلب ومعنى الطلب ظهور الرغبة من الطالب في حكمه من الحق (وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون) من الكذب والباطل

﴿ فهرست الجزء الرابع من تفسير القران العظيم للامام على بن محمد المعروف بالخازن ﴾

صحيفة

٢ ﴿ تفسير سورة الرعد ﴾
١١ فصل وهذه السجدة عن عزائم سجود التلاوة (أى قوله تعالى ولله يسجد من فى السموات والأرض)
٢٦ ﴿ تفسير سورة إبراهيم عليه السلام ﴾
٤٥ ﴿ تفسير سورة الحجر ﴾
٥٠ فصل اختلف العلماء هل كانت الشياطين ترمى بالنجوم قبل مبعثه ﷺ أم لا على القولين
٦٤ ﴿ تفسير سورة النحل ﴾
٦٧ فصل احتج بهذه الاية من يرى تحريم لحوم الخيل اى اية (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة)
٩٦ فصل فى حكم الاية (أى قوله تعالى من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان)
١٠٣ فصل اختلف العلماء هل هذه الاية منسوخة أم لا على قولين أى قوله تعالى (ادع إلى سبيل ربك)
١٠٤ ﴿ تفسير سورة الاسراء ﴾
١٠٥ فصل فى ذكر حديث المعراج وما يتعلق به
١٠٩ فصل قال البغوى قال بعض اهل الحديث ماوجدنا للبخارى ومسلم فى كتابيهما شيأ لا يحتمل مخرجا إلا حديث شريك بن ابى نمر عن انس
١٠٩ فصل فى شرح بعض ألفاظ حديث المعراج
١١١ فصل فى ذكر الايات التى ظهرت بعد المعراج الدالة على صدقة ﷺ وسياق أحاديث تتعلق بالإسراء
١١٨ ذكر القصة فى هذه الايات يعنى الايات التى اولها (وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب
١٢٧ فصل فى ذكر الأحاديث التى وردت فى بر الوالدين
١٤٢ فصل فى الاحاديث الواردة فى قيام الليل
١٥٥ ﴿ تفسير سورة الكهف ﴾
١٦٠ ذكر قصة اصحاب الكهف وسبب خروجهم إليه
١٩٣ ﴿ تفسير سورة مريم عليها السلام ﴾
٢١٢ ﴿ تفسير سورة طه ﴾
٢٢٩ الكلام على معنى الحديث وشرحه (اى حديث احتج آدم وموسى الخ)
٢٢٩ فصل فى بيان عصمة الانبياء وما قيل فى ذلك
٢٣٣ ﴿ تفسير سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ﴾
٢٤٣ ذكر القصة فى ذلك يعنى قوله تعالى (قالوا حرقوه الخ)
٢٥٠ ذكر قصة ايوب علية السلام

﴿ تمت ﴾

﴿ فهرست الجزء الرابع من كتاب معالم التنزيل لمحيي السنة أبي محمد الحسين الفراء البغوى ﴾
﴿ الذى بهامش الخازن ﴾

صحيفة

٢ ﴿ سورة الرعد ﴾
٢٦ ﴿ سورة إبراهيم ﴾
٤٥ ﴿ سورة الحجر ﴾
٦٤ ﴿ سورة النحل ﴾
١٠٤ ﴿ سوره الإسراء ﴾
١٥٥ ﴿ سورة الكهف ﴾
١٩٣ ﴿ سورة مريم ﴾
٢١٢ ﴿ سوره طه ﴾
٢٣٣ ﴿ سورة الانبياء ﴾

﴿ تمت ﴾

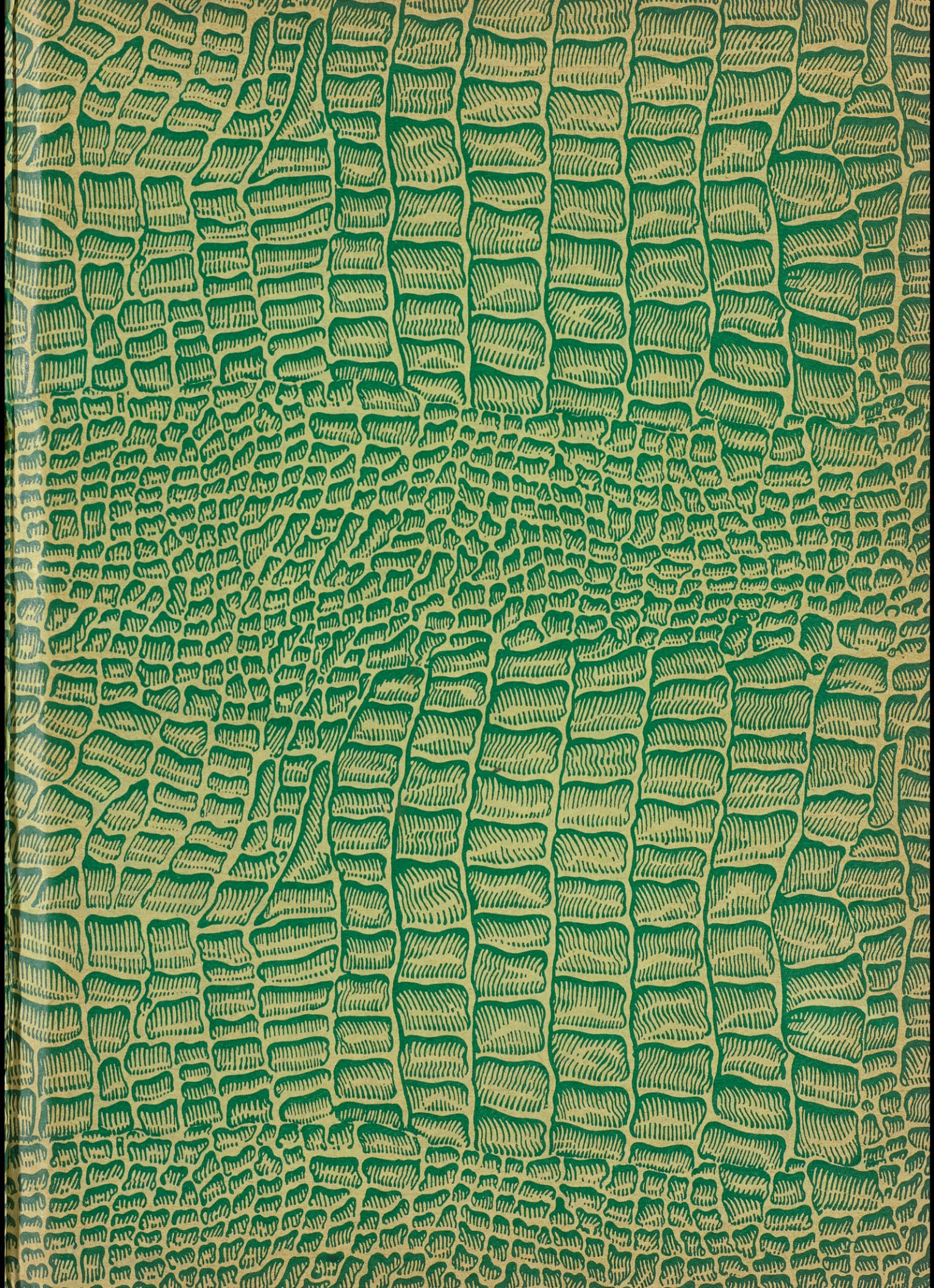

COLUMBIA UNIVERSITY
0026814838

893.7K84
DA7
v. 4

DEC 14 1961